

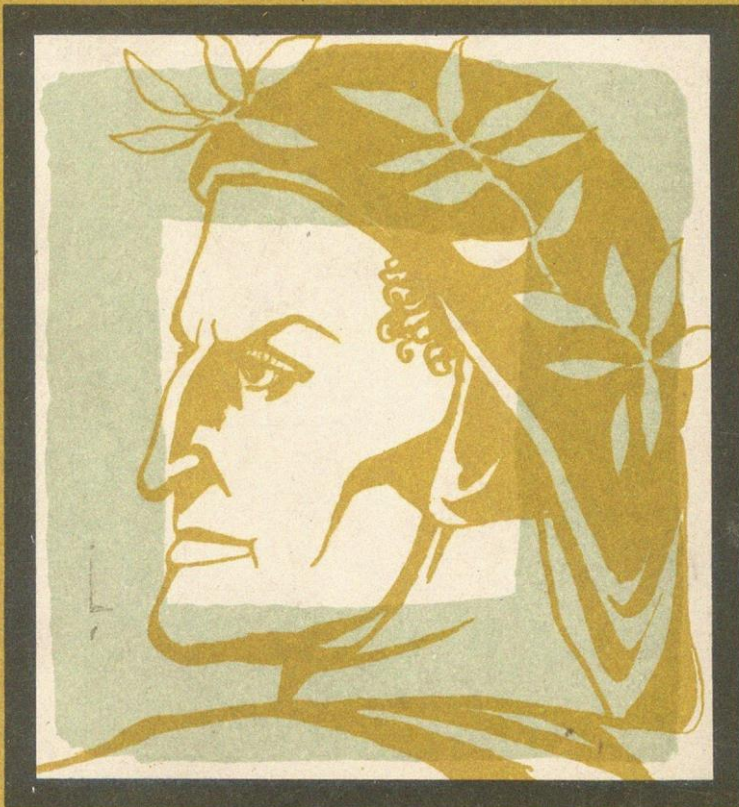
دانتي أليجييري

الكوميديا الإلهية

المطهر

ترجمة

حسن عثمان



دارالمعارف بمصر

دانق اليجيري

الكوميديا الإلهية المطهر

كوميديا دانتي أليجييري

”الفلورنسي مَوْلَدًا لَاحِقًا“

النشيد الثاني
المَطْهَر

ترجمة
حسن عثمان



دار المعارف بمصر

١٩٦٤

ملتزم الطبع والنشر دار المعارف بمصر - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.ع.م.

إلى
عشیرتی
وقسمی
وبلادی

تصدير

سبق أن قدّمت للقارئ العربى ترجمتى لجحيم دانتي ، وهى الجزء الأول من الكوميديا الإلهية ، الذى نشرته دار المعارف فى خريف سنة ١٩٥٩ وأقدّم الآن للقارئ العربى ترجمتى للمطهر ، وهى الجزء الثانى من الكوميديا الإلهية

ولانى شاكر للشعبة القومية لليونسكو بوزارة التعليم العالى ولنظمة اليونسكو فى باريس تفضلهما بتيسير أسباب سفرى إلى الخارج استكمالاً للبحث والدرس ، فى نطاق المشروع الكبير لتبادل القيم الثقافية بين الشرق والغرب ، مؤملاً التوسّع فى ذلك ، بزيادة عدد المبعوثين إلى الخارج ، وبتوفير المال الكافى والزمن المناسب ، ويتجنب عنصر السرعة فى الانتقال ، والاستئناس برأى المبعوثين فى الطريقة التى يُنفذ بها برنامج الأسفار قبل اتخاذ قرار نهائى ، مما سأشير إلى شىء منه فى تذييل هذا الكتاب ، وذلك تحقيقاً للفائدة وتوطيداً للروابط العلمية والأدبية والفنية والثقافية بين أرجاء العالم المتحضّر ، ولما فى ذلك من أسباب تقدم الأمم ونهوض العمران

ولانى أتقدم بالشكر والإعزاز لجماعة من الأصدقاء والزملاء الذين كان لهم على "فضل" فى شرح مسألة ، أو اقتراح فكرة ، أو تشجيع أدبى ، أو إعارتى بعض الكتب ، أو تيسير أسفارى إلى الخارج أو كتابة المخطوط على الآلة الكاتبة — أتقدم بالشكر والإعزاز إلى الدكاترة الأستاذة محمد عوض محمد ، وعبد العزيز السيد ، وعبد العزيز القوصى ، وأحمد بدوى ، وعبد المنعم أبى بكر ، وعز الدين فريد ، وسلامة حماد ، وعلى النشار ، وأحمد حمدى محمود ، وإبراهيم زكى ، وأنخل تراييرو ، ومحمد أنور خليف ، وعبد المنعم يونس ، وأحمد فؤاد الأهوانى ، ويونس الخضراوى ، ومحمد كفافى ، ومحمد محمود الصياد ، ومحمد محمد توفيق ، وجمال الدين الشيال ، والسيد الباز العريى ، ورينيه خورى ، وبربارا ووكر ، والشاطر بصيلى عبد الجليل ، وسعد عاشور ، ومحمد سلامة ، ونعيم ميشيل أندراوس

وكذلك أشكر رجال دار المعارف لما بذلوه من العناية والجهد والصبر في سبيل
إخراج هذه الترجمة في الثوب اللائق بها

وعسى أن ينال عملي بعض القبول لدى القارئ العربي ولدى بعض المختصين في
الدراسات الدانتية وأرجو أن يأتي في المستقبل من يفعل في هذا المجال أفضل
مما فعلت وإني لأسأل المغفرة والصفح عما أكون قد وقعت فيه من الأخطاء وأوجه
النقص وأرجو أن أعمل على إبراز ترجمة الفردوس بأفضل مما عملت في الماضي
إن شاء الله

حسن عثمان

معهد الدراسات الأفريقية

بجامعة القاهرة

٣٣ شارع المساحة الدقي - الجيزة

٨ يونيو سنة ١٩٦٣

مقدمة

تمهيد - بعض أصول المطهر - وصف عام
للمطهر - شيء من فن دانتى فى المطهر - دانتى
فى المطهر - فرجيليو فى الجحيم والمطهر - بياتريتشى .

في مقدمة ترجمتي للبحيم عرضتُ وصفاً عاماً للعصور الوسطى ، وتكلمت عن البيئة التي نشأ فيها دانتي ، وتناولت حياته وشخصيته ، وأشارت إلى بعض مؤلفاته الصغرى ، وإلى أصول الكوميديا الإلهية ، ومميزاتها العامة ، وذكرت شيئاً عن بعض ترجمات الكوميديا ، وعن الدراسات الدانتية في أنحاء من العالم ، وذلك لتقريب دانتي والكوميديا والبحيم إلى القارئ العربي وإن هذا الذي سبق ليساعدنا على الاقتراب من المطهر وفهمه ، فضلاً عما أنا بسبيل تقديمه في هذه الآونة

« ١ »

نالت البحيم في بعض الأوساط من العالم الغربي ، وربما في المشرق ، شهرة خاصة ، وربما ظن بعض الناس أن الكوميديا هي البحيم فحسب ، أو على الأقل أن البحيم هي الجزء الجدير وحده بالقراءة والتذوق ، لأن دانتي — في رأيهم — قد بلغ فيها أعلى مراتب الإبداع ، دون المطهر والفردوس ولعل هذا الرأي يرجع إلى ما قدمه دانتي في البحيم من مشاهد الأسى والعذاب ، ولما أبرزه فيها من الشخصيات الحية ، مثل فرنشيسكا داريمبي وفاريناتا دلتى وأوبرتى وأجولينو دلا جيراردسكا ، ولأنها احتوت على قدر من الشعر الغنائى أكبر مما ورد في سائر الكوميديا على أن هؤلاء القراء العذر في اتجاههم هذه الوجهة ، لأن الحديث عن الأسى والعذاب والآلام ربما كان أقرب إلى النفس وأبلغ تأثيراً ولعل طول الكوميديا وما تحتويه من مسائل العلم أو اللاهوت قد صرف الكثيرين عن المضى في قراءتها كاملة ، فوقفوا عند قراءتهم للبحيم كلها أو بعضها

ونجد دوروثى سايرز مترجمة البحيم والمطهر والأنشودات العشرين الأوليات من الفردوس — والتي أكملت ترجمتها باربارا رينولدز — ونشرت في مجموعة پنجوين في إنجلترا — نجدها كما نجد غيرها من الدارسين ، يعدون دانتي قد بلغ في المطهر أعلى مستواه الأدبى ، لما امتاز به هذا الجزء من الرقة ، ومن فيض الشعور الإنسانى ، ومن الإيمان والغفران والأمل في بلوغ الفردوس ، إذ يرى هؤلاء أن

الكلام عن هذه المعاني يقتضى مجهوداً فنياً يفوق ما يتطلبه الكلام عن الأسى والعذاب والنيران أو عن السعادة العلوية

ومع الاعتراف بالصعوبة التى يلاقها الشاعر حينما يتناول المسائل المتعلقة بالإيمان والغفران والتطلع إلى السعادة العلوية فليس من الإنصاف فى شىء المفاضلة بين أجزاء الكوميديا الثلاثة ، لأن دانتي قد أشاد عوالمه فى الجحيم والمطهر والفردوس كلاً على النمط الذى يلائمه ، وتبعاً لمضمونه ومميزاته وخصائصه ، وإن كان بعضها يتدخل فى بعض وينساب من عالم إلى آخر ، بناء على خطته العامة ، وعلى هدفه الأسى الذى أراد أن يبلغه بكتابته الكوميديا كوحدة فنية شاملة مكتملة متآلفة .

« ٢ »

لم يكن دانتي أول من تناول فكرة العالم الآخر أو فكرة التطهر ، فى أثناء الحياة أو بعد الموت أو بعد يوم الحشر ، أو فى أكثر من مرحلة من هذه المراحل ، إذ ارتبط ذلك أبداً بما خالج البشر بشأن مصيرهم ، وما اعتورهم من المشاعر ، إزاء الآثام والخطايا وظهر أثر ذلك فى التراث الإنسانى منذ أقدم العصور

ومن الأمثلة على ذلك أننا نجد فكرة الميزان لأعمال البشر عند الموت ماثلةً فى ديانة المصريين القدماء ، فعندهم أوزيريس الذى يزن أعمال الناس ، ويدفع كلاً منهم إلى الجزء العادل وفى ديانة الفرس نجد ما يسمى بالتشينواتو پرتو — أى جسر الحساب أو جسر المفرق — الذى يمتد عبر هاوية الجحيم بين الأرض والسماء ، ويتسع للنفوس الصالحة ، ويضيق للنفوس الشريرة حتى يصبح أدق من الشعرة وأحد من الموسيقى ، وتعذب به الأرواح فى مقامات متعددة ، حتى تتطهر من آثامها وتصبح جديرة بالصعود إلى السماء وفى تراث اليونان نجد فيثاغورس يقول فى القرن السادس ق.م. بتطهر الروح فى أثناء الحياة بالدراسة والتأمل وقال أفلاطون فى بعض محاوراته فى القرن الرابع ق.م. بضرورة العقاب للتخاص من الشر وقال الرواقيون فى القرنين الرابع والثالث ق.م. بضرورة تطهر النفس من الخطايا

بعد الموت ، حتى تنال السعادة في الحياة الآخرة

وفي بعض طبقات التوراة نجد إشارات إلى الفكرة التي تعبر عن احتمال زوال الخطيئة عند الموت ، بالصلاوات والابتهالات ، في السفر الثاني للمكابييين ، الذي يرجع إلى القرن الثاني ق.م. وفي إنجيل متى إشارات إلى فكرة التطهر ، وإلى ما يُغفر وما لا يغفر من الخطايا ، في هذا العالم أو في العالم الآتي وجاء في الرسالة الأولى للقديس بولس إلى أهل كورنثوس ، أن النار ستمتحن عمل كل فرد وتميز بين الخير والشر وتكلمت المدرسة السكندرية على لسان القديس كلمنتو الغنوصي وعلى لسان أوريجون ، في القرنين الثاني والثالث للميلاد ، عن تطهر النفوس من الآثام بالنيران في الحياة الآخرة ، إذا هي لم تكفر عن آثامها في الحياة الدنيا ووردت في الرسالة الثانية للقديس بولس إلى أهل كورنثوس إشارة إلى اختطافه إلى السماء الثالثة ، سواء أكان ذلك بالجسد أم خارجه ، وعليها بنى قصص في القرن الرابع ، وأخذ ينمو ويتشكل حتى القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، وجاء فيه وصف صعوده إلى السماء ومشاهدته جسراً أدق من الشعر يمتد فوق هر عكبر مضطرب ، ويصعد من الأرض إلى السماء ، وتعبه النفوس الصالحة في سهولة ويسر ، على حين تسقط عنه النفوس الشريرة ، فيجرفها تيار النهر الصاخب . وقال القديس أوغسطين في مدينة الله في القرن الخامس بأن المطهر امتداد للتطهر الذي ينال الروح في أثناء الحياة ، وبأن التطهر يحدث في أثناء الحياة أو بعدها أو في كلتا المرحلتين ، وبأنه يتم قبل يوم البعث وميز القديس سيزاريوس الأريسي في القرن السادس ، بين الكبائر التي تؤدي بالروح إلى الجحيم ، وبين الصغائر التي يمكن للإنسان أن يتطهر منها بأداء الأعمال الصالحة في الحياة الدنيا ، وأيده في ذلك القديس جريجوريو الكبير في القرن نفسه وفي النصف الثاني من القرن الثاني عشر ظهر في أوروبا قصص عن المطهر ، مستمد من رؤيا القديس باترياك الإيرلندي ، التي يرجع أصلها إلى القرن الخامس ، خلاصته أن أوين الفارس الإيرلندي قد قام برحلة إلى العالم الآخر ، وزار كهف القديس باترياك ، وشهد الجسر الضيق المنحدر ، الكائن فوق بركة من الكبريت الآتي ، والذي لا يعبره غير الصالحين للوصول إلى الفردوس ووصف ما شهدته من عذاب أهل الجحيم وأهل المطهر

معاً ، وقال بأن الأخيرين سيغادرون مكانهم بعد تمام تطهرهم . وجاء في رؤيا الأب يواكيمو دا فلورا في كالابريا في نفس العصر ، أقوال عن الجسر الضيق ، الذى تتفاوت سرعة العابرين عليه بحسب الخطايا ، ويرتفع عند أحد جانبيه سورٌ توجد في أعلاه روضة الفردوس . وقال القديس توماس الأكويني في الخلاصة اللاهوتية في القرن الثالث عشر ، بأن الخطيئة تزول بالتطهر الذى لا يتم إلا إذا قبلت النفس العدالة الإلهية ، وبأن النفس تُعاقب بغير ما ترغب

وتحدّثت فكرة المطهر في مجمع ليون الدينى في سنة ١٢٧٤ ، ثم تأكد ذلك ، بعد عهد دانتى ، في مجمع فلورنسا الدينى في سنة ١٤٣٩ ، ثم في مجمع ترنت في الفترة من سنة ١٥٤٥ إلى سنة ١٥٦٣ وشجعت الكنيسة الكاثوليكية إقامة الصلوات الجامعة وشراء صكوك الغفران ، للسعى إلى تطهر نفوس الآثمين حتى يبلغوا مراتب السعادة العلوية

ووجدت فكرة الميزان في بعض آثار الفن التشكيلى القوطى * فنجد مثلاً الملك ميخائيل ، المكلف بوزن أعمال الناس ، مرسوماً في القرن الثامن على شباك في كاتدرائية شالون على المارن في فرنسا وفي الحفر البارز وفي الصور التى ظهرت في الأجيال التالية نرى ميخائيل ممسكاً بالميزان ، كما في صورة القيامة لروجير فان در ويدين من القرن الخامس عشر ، في مستشفى بون (بمدّ الضمة الخفيفة على الباء) في فرنسا ، وفي صورة القيامة لهانز مملنج من القرن الخامس عشر في كاتدرائية دانتريج وفي أعمال النحت في الكنائس الفرنسية من القرن الثالث عشر ، وفي صورة القيامة في مدافن فيزا الأثرية من القرن الرابع عشر ، وفي صورة القيامة انفرا أنجلكو في أكاديمية فلورنسا من القرن الخامس عشر ، تظهر العذراء ماريا بمفردها أو مع القديس يوحنا المعمدان ، راکعة أمام عرش المسيح قاضى الآثمين ، وتشفع لديه سائلة إياه الرحمة والمغفرة ، حتى يصعد التائبون إلى ملكوت السموات .

وتراث الإسلام ملءً " بصور متنوعة عن عالم ما بعد الحياة فنجد القرآن الكريم ، والإسراء والمعراج النبويين ، وكتب الحديث الشريف والتفسير والتصوف والأدب ، تتناول عالم الآخرة ، سواء أكان ذلك في عالم الجحيم أم في دنيا التطهر

أم في مراتب الفردوس . ومما جاء عن التطهر والمغفرة في تراث الإسلام نجد فكرة الميزان الذى يزن أعمال أبناء آدم ، ويوجه كلاً منهم إلى المكان الملائم ، إما إلى جهنم الجحيم الأبدية ، وإما إلى جهنم البرّانية المؤقتة للتكفير والتطهر تمهيداً لبلوغ الجنة . ومن ذلك أيضاً الصراط الذى جاء — كما جاءت أشياء منه في التراث الفارسي وفي رؤى القديسين بولس وپاترياك ويواكيمو — أنه جسر ممتد على متن جهنم ، ويرتفع من الأرض حتى سطح الفلك المكوكب ، وينتهى إلى مرجٍ خارج سور الجنة . وجاء في تراث الإسلام أن الصراط لمن لا يدخلون النار ، وعليه يعذبون ويكفرون ، وهو أدقّ من الشعرة وأحدّ من السيف ، دقيقٌ في حق قوم عريضٌ في حق آخرين ، ولن يجوزه أحدٌ حتى يُسأل عن أسس الدين في سبع قناطر .

ورود أنه على الصراط ثلاث شجرات يتطلع إليها المؤمن واحدة بعد أخرى ومما جاء فيه أن على الصراط مسيرٌ وصعودٌ وهبوطٌ واستواء . وجاء أن سرعة العابرين عليه متفاوتة ، فمنهم من يمشى عليه أو يحبو أو يزحف ، ومنهم من يمر عليه كالفرس الجلبى ، أو يمر عليه كالريح أو كطرف العين أو لمحة البرق . ومما ورد في هذا المجال فكرة الأعراف بمعنى سور بين جهنم والجنة ، تجري فيه الأنهار وتنبث به الأشجار والثمار ، وكذلك الأعراف بمعنى الجبل الذى عليه رجال من الملائكة . وجاء أن أهل الأعراف ينتهون إلى سهر الحياة وفيه يتطهرون ، وأن أصحاب الأعراف هم من استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فيقفون على السور حتى يُقضى بين الناس ، وهم آخر من يدخلون الجنة . وورد أن أهل الأعراف يطمعون في دخول الجنة بدون جدوى وبهذا المعنى الأخير يشبه اللبؤ — في مقدمة جحيم دانتي — فكرة الأعراف الإسلامية . ومن ذلك أيضاً فكرة البرزخ ، الذى ورد أنه سور مرتفع في الجنة وكذلك نجد أنه قبل دخول أهل الجنة إلى الجنة ، يعرض لهم عيان يشربون من واحدة مهما فيذهب ما في قلوبهم من الغلّ ، ثم يغتسلون من العين الأخرى فتشرق ألوانهم وتُعرف فيهم نضرة النعيم . ومما جاء أن حارس الجنة رضوان كان يحمل كل حوراء لكي ترى سيدها في الدنيا ، فتفرح الحوراء إذا وجدته يصلى في ظلام الليل ، وتحزن إذا وجدته غافلاً عن صلاته

هذه أمثلة ونماذج لبعض ما ورد في نواح من التراث الإنسانى المتنوع عن

فكرة التوبة والغفران والتطهر وكان من الطبيعي أن يستمد دانتى من كل ما وصل إليه من فنون المعرفة ، من البعيد والقريب ومن القديم والحديث ، ليبى عليه عالمه الزاخر ، بدون أن ينقص ذلك من أصالته شيئاً . وقد صاغ دانتى من كل ما استقاه ، ومن كل ما أحسّه ، بناء الشامخ ، ونفث فيه من روحه ما أكسبه الخلود .

« ٣ »

تشابه الجحيم والمطهر عند دانتى بصفة عامة ، من حيث أن موضوعهما عذاب النفوس الآثمة ولكن هناك أوجه خلاف جوهرية بين كل من هذين العالمين ولقد كان من السهل على دانتى أن يبى الجحيم والمطهر على أساس من الخطايا السبع الرئيسية ، ويعذب مرتكبها غير التائبين فى الجحيم عذاباً أبدياً ، على حين يعذب الحاطثين التائبين فى المطهر عذاباً مؤقتاً ، وكما هى الحال فى رؤيا القديس بولس على سبيل المثال ولكن دانتى لم يكن خلقياً أو معلماً أو هندسياً فحسب ، بل كان قبل كل ذلك فناناً شاعراً ولم تكن تعنيه العظات الخلقية أو الآراء الفلسفية أو التناسب الشكلى وحده ، بل كان يعنيه فوق كل ذلك الإبداع الفنى وعلى ذلك فقد حرص على أن يجعل بناء المطهر معكوساً بالنسبة للجحيم ، على وجه العموم ، لكى يتجنب الاستطراد ، ويتيح لنفسه فرصة التغيير والتنويع ، ويكسب هيكله الحرارة والتلوين والرواء .

والمطهر كائن بين الجحيم والفردوس وهو حال وسط تصبح فيها الجحيم كذكرى للخطايا السابقة ، ويشع فيها الفردوس كأمل تتطلع إليه الأرواح النادمة التائبة والجسد شيء أساسى فى الجحيم لأنها عالم الرغبات والشهوات ، ولكن الجسد لا يصبح أساسياً فى المطهر ، إذ يكف فيه عن السيطرة على الروح التى تقف فى مواجهته بعزم وثبات ، فيهزم ويتخلف ويتوارى بالتدرج والأرواح فى الجحيم هم أنفسهم المثلون الذين يقومون بأدوارهم فى العذاب الذى يلاقونه ، وقد سيطرت عليهم آثامهم ، ويكون القراء بمثابة المشاهدين الذين يمكنهم أن يأخذوا العظة والعبرة ، إذا بلغوا من الإدراك والنضج ما يجعلهم راغبين وقادرين على ذلك أما فى المطهر فإن المعذبين هم ممثلون - فيما يلقونه من العذاب - وهم جمهور من

المشاهدين في وقت واحد وهم كشاهدين يعلنون على مشاهد العذاب الماثلة أمامهم ، ويصبحون كقوم غرباء امتزجوا بجمهور محتشد متحمّس ، ويبحثون - بهذا الوضع - في أسباب الاحتشاد ودواعي الحماسة وعلى هذا النحو ذاته يصبح موقف القارئ الناصح الراغب في العظة والتذوق وبذلك تمتزج عناصر التعلم والوصف والفن بعضها ببعض ، ويصبّها الشاعر في بوتقة واحدة لكي يبلغ بها أعلى مراتب الخلق والإبداع

والبحيم معنية "بثمرة الخطيئة" ، أما المطهر فعلى يجنودها ، إذ يعمل على محوها واستئصالها بالتوبة والتكفير والتطهر وهناك تشابه في بعض صور العذاب في كل من البحيم والمطهر ، مع الاختلاف في تطبيقها على خطايا بعينها فنجد مثلاً عذاب المتكبرين في المطهر يشبه عذاب المنافقين في البحيم ، من حيث السير على الدوام في طريق دائري وفي انحناء تحت ثقل عظيم ونجد مثلاً عذاب الآثمين بسبب شهوة الجسد في المطهر يشبه عذاب الهراطقة والمرتشين ومشيرى السوء في البحيم بالنيران ، مع التفاوت في طريقة عذاب كل مهم ومن شأن هذا التشابه في العقوبة مع الاختلاف في تطبيقها على خطيئة بعينها ، أن يعمل على إثارة الشوق إلى قراءة قصيدة طويلة كالكوميديا وتذوقها

ويزداد الاختلاف بين البحيم والمطهر باختلاف الحالة العقلية في كل مهما فالآثمون في البحيم معترفون بالإثم ، غير متصلّين منه وغير تائبين عنه ، وهم راضون بحكم الله الذي يحفزهم إلى نيل ما يستحقّونه من العذاب الأبدي . أما الآثمون في المطهر فهم آثمون تائبون نادمون ، يتقبلون قضاءهم بالترحاب ، لأنه سبيلهم الوحيدة إلى الخلاص ويخفف الأمل من عذاب المطهر ، حتى ليصبح بذلك عذاباً عذباً ، يهدأ فيه القلب بالتطلع إلى رحاب الفردوس . ولا تتخذ الفضيلة في المطهر صورة إيجابية كما في الفردوس ، ولكنها فضيلة "تشتع في الخيال الذي يلهبه الشوق إلى الله . وليس في أرواح المطهر أسى الملعونين في البحيم ، ولا نشوة الأبرار في الفردوس ، ولكن فيهم اتعاظ من لا يزال يعيش في بؤس الأرض وذكرى الخطيئة ، ويظلل الإيمان والأمل في الفردوس

والبحيم سوداء ، مظلمة ، خانقة ، منعزلة ، مليئة بالضوضاء والصراخ

والعويل أما المطهر فناصعٌ مضىءٌ تسطع فيه الشمس ، ويطلع عليه البدر ، وتظهر في سمائه النجوم ، وهو مكان هادئٌ وادعٌ ، يسوده جوٌ عذبٌ رقيقٌ وحينما تتطهر الروح من الخطايا يرتجف جبل المطهر ويتزلزل ، ويرسل صوتاً مدوياً ابتهاجاً بانتصار الروح الآثمة على ذاتها وليس في الجحيم غناء أو إنشاد لأنه تعوزها المحبة الشاملة ، وتميل الكراهية إلى العزلة والانطواء على النفس ، بينما يتردد في أرجاء المطهر الإنشاد والترتيل والترنم والموسيقى ، حيث تخرج الأرواح من إحساسها بذواتها ، وتطلق أنغامها وأصواتها المتنوعة ، وتندمج في شعور واحد من التعاطف والمحبة ومادة الترنم والترتيل أناشيد مقدسة وصلوات وابتهالات وآيات من الكتاب المقدس ، وتعبير عن الألم والأمل والبهجة ، والتمدح بالعدراء وبالسيد المسيح ويبدو الملائكة أنهم أطيافٌ تكسوهم ألوانٌ من البهجة الصوفية ، وتنعكس عليهم أضواء السماء والفردوس .

ولقد خالف دانتي المألوف في تصور المطهر عند أهل الغرب في العصور الوسطى ، إذ جعله مستقلاً قائماً بذاته ، وليس في موضع واحد مع الجحيم أو ملتصقاً بها ولعله قد تأثر في ذلك ، ولو بطريقة غير مباشرة ، بتراث الإسلام والمشرق على وجه العموم وجعل دانتي للمطهر مدخلا أو مقدمة ، لا تُعد في الحقيقة جزءاً منه ، بل هي كإعداد أو تمهيد لصعوده ، وذلك بناء على تقديره لزمن التوبة والتكفير عن الخطيئة في الحياة الدنيا ولا يُظن أنه تُعرف للمطهر مقدمة مماثلة في التراث السابق عليه ونجد دانتي قد مزج في المطهر — كما في سائر الكوميديا — بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة ، واستمد مادته من ألوف العناصر والجزيئات من الميثولوجيا ، ومن التاريخ القديم والمعاصر ، ومن إيطاليا ، ومن فلورنسا ، ومن مظاهر الطبيعة ، ومن الكون ، ومن النبات والحيوان ، ومن الحياة الواقعة ، ومن عواطف البشر ، ومن ذاته ، ومن الخطايا والآلام ، ومن الإيمان والأمل ، ومن الصفح والمغفرة والرحمة والمحبة

وجعل دانتي المطهر جبلاً شاهقاً ، لا ترقى الأبصار إلى مدارجه وهو عنده قد برز من مركز الأرض ، في نصف الكرة الجنوبي ، وسط محيط من الماء ، حينما سقط لوتشيفيرو — إبليس — من السماء ، وترك في موضع بروزه بئراً استقر

فيها في أدنى دركات الجحيم وارتفعت قمة جبل المطهر إلى مسافة تعدل بعد سطح الأرض عن مركزها . وهذا يعنى أن جبل المطهر ارتفع بحساب العصور الوسطى إلى أكثر من ٣٠٠٠ ميل ، ويبلغ ارتفاع مقدمة المطهر أعلى مما تبلغه قمة إفرست ! وباب المطهر في الأنشودة التاسعة هو مهابة جوّ الأرض عند دانتي ، ومنه يبدأ صعود المطهر الحقيقي . ويزيد انحدار الجبل عن ٤٥ درجة ، وهذا يعنى صعوبة ارتفاعه . ولجبل المطهر أفاريز دائرية ، لا يتجاوز عرض الواحد منها ١٨ قدماً ، وهى بلا أسوار أو حواجز تحمى الصاعد عليها من السقوط إذا لم يأخذ حذره والمطهر مبنى على النظام العدديّ كسائر الكوميديا . فمقدمة المطهر تشمل إفريزين ، ويشغل المطهر الحقيقي سبعة أفاريز ، ويضاف إليها الفردوس الأرضى ، فيصبح مجموعها عشرة والسبعة هى الرقم المقدس ، والتسعة مكعب الثلاثة أو الثالوث ، والعشرة هى العدد الكامل ويحتوى المطهر على ٣٣ أنشودة تشمل ٤٧٥٥ بيتاً من الشعر

وفي أول الأمر نجد شاطئ جبل المطهر ، ويشمل الأنشودتين الأولى والثانية وتأتى إليه نفوس التائبين في قارب يقوده أحد الملائكة . ويلى ذلك مدخل المطهر ويشمل إفريزين . ويشغل الإفريز الأول مهما الأنشودة الثالثة وهذا مكان من صدرت ضدهم قرارات الحرمان البابوى ، ثم تابوا في آخر لحظة من حياتهم عما كان السبب في ذلك الحرمان ، ويبقى هؤلاء في موضعهم ثلاثين ضعفاً من مدة حرمانهم في الدنيا ، ما لم تقصر هذه المدة بصلوات أهل الأرض من أجلهم . ويشغل الإفريز الثانى الأنشودات الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة ، ونجد به من ظلوا على وفاق مع الكنيسة ، وندموا على آثامهم في آخر لحظة من حياتهم ، ومكان هؤلاء في الأنشودات الخامسة والسادسة والسابعة ونلقى من أهلوا القيام بواجباتهم الدينية ، ويشغلون الأنشودتين الثامنة والتاسعة ويبقى هؤلاء جميعاً في مواضعهم زمناً يساوى حياتهم في الأرض

وعند باب المطهر يرسم الملاك الحارس على جباه الأرواح سبعة « خاءات » ، رمز الخطايا السبع . والتى تمحى بصعود جبل المطهر بالتدرج وينقسم المطهر ثلاثة أقسام موزعة على سبعة أفاريز . فالمطهر الأدنى بأفاريزه الثلاثة مخصص للحب

المنحرف ، الذى يطلب فيه الآثم الشرّ والضرر لغيره ظناً منه أن فى هذا نفعه ، والإفريز الأول هنا يشمل الأنشودات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة ، وهو مخصص للكبرياء . والإفريز الثانى الذى يشمل الأنشودات الثالثة عشرة والرابعة عشرة والخامسة عشرة مخصص للحسد . ويشمل الإفريز الثالث الأنشودتين السادسة عشرة والسابعة عشرة ، وهو مخصص للغضب أما المطهر الأوسط فيشغل الإفريز الرابع ، الذى يشمل الأنشودتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة ، وهو مخصص للحب الناقص عن الحدّ أى للامبالاة أو التهاون والمطهر الأعلى بأفاريزه الثلاثة ، مخصص للحب الزائد عن الحدّ فالإفريز الخامس الذى يشمل الأنشودات العشرين والحادية والعشرين والثانية والعشرين ، مخصص للبخل والإسراف والإفريز السادس الذى يشمل الأنشودات الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين والخامسة والعشرين ، مخصص للنهم والشره . والإفريز السابع الذى يشمل الأنشودتين السادسة والعشرين والسابعة والعشرين ، مخصص لشهوة الجسد

وهناك تناسق بين أفاريز المطهر ، إذ يتبع التطهّر طرقاً مماثلة متفاوتة فنجد أولاً العقاب الذى يناسب كلّ خطيئة ، ويكون باحتمال آثارها فى صبر وجلد ، وذلك فى الأفاريز الثانى والثالث والخامس وكذلك يكون العقاب بممارسة الفضيلة المقابلة للخطيئة التى ارتكبت ، وذلك فى الأفاريز الأول والرابع والسادس وقد يكون العقاب بكل من الطريقتين معاً ، وذلك فى الإفريز السابع ونجد ثانياً العقاب بالتأمل الذى يقوم على ذكر أمثلة من الفضيلة المقابلة ومن الخطيئة المرتكبة ويؤخذ المثال الأول من حياة العذراء ماريا ، ويؤخذ المثال الثانى من التاريخ المقدّس ، ويؤخذ المثال الثالث من التاريخ الدنيوى وكذلك تُذكر أمثلة من الخطيئة ذاتها ، وتؤخذ من المصادر المقدسة والدنيوية وثالثاً يُبنى التطهر على الصلاة التى تؤخذ من مزامير العهد القديم ومن الأناشيد الكنسية ورابعاً يكون بالتبريك الذى يؤخذ من طوباويات الكتاب المقدس ، وينشده الملاك الحارس للإفريز وخامساً نجد الملاك حارس الإفريز الذى يتلقى الروح حينما تنطهر من خطيئتها ، ويمسح حرف « الخاء » الذى يخصّه من جيبها ، ويوجهها إلى أعلى وأخيراً نجد الفردوس الأرضى فوق القمة من جبل المطهر ، وبشغل ست

أنشودات ، من الثامنة والعشرين حتى الثالثة والثلاثين وكما بدأ دانتى رحلته فى أول الجحيم فى غابة ، انتهى هنا إلى غابة وكانت الغابة الأولى غابة "موحشة مظلمة تثير ذكراها الرعب ، ولكن هذه الغابة الأخيرة غابة "يانعة" ، تخفق أغصانها على هبات النسيم ، فتبعث أنغاماً تتجاوب مع تغريد الطيور ، وفيها يرسل الجدول خريبه وهو يتهدى تحت ظلال أشجارها الوارفة . والفردوس الأرضى مكان الإنسان قبل الخطيئة ، ومكانه بعد أن يتطهر ويعود إلى طهارته وبرأته السابقتين ولكن الطهارة والبراءة اللتين يستعيدهما الإنسان ليستا هما ما عهدهما من قبل ، لأن الآثم الثائب النادم المكفر المتطهر يكتسب تجربة لم يعرفها قبل ارتكاب الخطيئة وبمعونة ماتيلدا وبياتريتشى ، وبالاغتسال فى مياه هر ليقى - هر النسيان - وبالشرب من مياه لانيووى - هر الذكريات الطيبة - تصبح الأرواح متأهبة للصعود إلى فردوس السماوات .

« ٤ »

سبقت الإشارة إلى أن من عوامل ذبوع الجحيم لدى أكثر الناس ، احتواؤها على قدر من الشعر الغنائى أكبر مما جاء فى سائر الكوميديا على أنه لا يجوز أن يتخذ هذا ميزاناً لتقدير أجزاء الكوميديا أو المفاضلة بينها ، ذلك لأنه كان من الأمور الشائعة المألوفة فى عصر دانتى أن يمتزج العلم بالشعر ، ولم يكن الشعر يقدر إلا إذا احتوى على قدر من العلم وعلى ذلك فلا يُضَيَّر المطهر ولا الفردوس أنهما يحتويان على قدر من الشعر أو النظم التعليمى أو الخلقى أو العلمى ، لأن طبيعة العصر كانت تألف ذلك ويشبه هذا ما حدث فى فرنسا فى القرن الثامن عشر ، وما حدث فى ألمانيا فى القرن التاسع عشر

ومع هذا فإننا نجد دانتى قد حوّل بعض ما أورده من الشعر التعليمى أو العلمى فى المطهر إلى أدب وفن فنجد مثلاً يجعل ماركو لومباردو ، فى الأنشودة السادسة عشرة ، يقول إن النفس البشرية الساذجة لتُبعث من يد مَنْ يتأملها من قبل أن توجد ، كأنها طفلة "غريبة" تلهو بين قطرات الدموع ورنين الضحكات ، وهى بسذاجتها لا تدرك سوى أنها منبعثة من يد خالقها السعيد ، وتعود راضية إلى

ما يهبجها ، وفي تذوقها طعم الخير الدنيوى الضئيل لأول وهلة ، تجرى في إثره وهى به مخدوعة ، إذا لم يشها عن حبه دليل " أو عنان " ونحن لا نجد الفكر هنا مجرداً ، بل نجده قد تحوّل إلى طفلة جميلة بريئة طاهرة . وبهذا جسّم دانتى المعنى فى صورة نابضة بالحياة وأضى عليه مضموناً مشعاً متألقاً وهذا نموذج من خلق الشاعر

وكذلك نجد أستانتيوس ، فى الأنشودة الخامسة والعشرين ، يتكلم كلاماً علمياً عن توالد الجنس البشرى ، بامتزاج الدم النقى عند الرجل بالدم النقى عند المرأة — بحسب علم العصر — ثم يتخثر المزيج وتدب فيه الحياة ، ويبدأ الجنين فى النمو ، وتتكون له أعضاء الحس والنفس العاقلة . ويوازن حلول الروح فى الكائن الجديد باتحاد أشعة الشمس غير المادية بمادة عصير الكروم حتى يصنع النبيذ . وهذا مثال " عن تجميل المعنى والعمل على إضفاء صورة شعرية على مضمون علمى .

ورسم دانتى ، فى الأنشودة العاشرة ، بعض لوحات من الحفر البارز جعل عليها صوراً تؤدى المعانى التى أراد التعبير عنها وكان فى ذلك شاعراً يرى كشاعرٍ الشيء الذى يراه النحات كنحات وهو هنا لم يصنع الحفر البارز كنحات لكى يحمل إلينا المعنى الذى أراده ، بل كان شاعراً يتكلم عن المعنى لكى يجعلنا نتصور التمثال الذى يتناوله ، ويعطى للتمثال ما لا يعطيه إياه النحات وهو فى ذلك لا يقدم لنا كل " تفصيلات التمثال ، بل يختار ناحية تتصل بالنفس مباشرة ، وتكفى لتصوّر سائر التمثال . فالشاعر هنا يأخذ التمثال حيث تركه النحات ويضيف إليه مثله الأعلى الشعرى ، ويجعل الكلمة تؤدى ما لا يمكن أن يؤديه الإزميل أو الرخام أو المعدن .

فنجد دانتى قد رسم لنا على المرمز الأبيض حفراً بديعاً يصور لنا جبريل الذى جاء إلى الأرض مبشراً العذراء ماريًا بميلاد السيد المسيح ، وجعله يبدو أنه يقول لها « السلام لك » ، كما جعل ماريًا تبدو متضعة وكأنها تقول إنها « أمة الرب » وكذلك رسم لنا دانتى قصة الملك داود محفورة فى المرمز ذاته ، وإذا بنا نرى الثيران تجرّ العربّة التى تحمل التابوت المقدس . وبدقة الحفر وخلق الفنان يخيل للرائى أن

الجمع الذى أحاط بالعربة قد تحرّكت شفاه أفراده مرتلين أبياتاً من العهد العتيق ، وأن دخان السنا قد تصاعد من المباخر المستعرة أمام التابوت المقدس ، حتى لكانه يتنسم رائحته الطيبة ، وأن الملك داود ذلك الزبورى المتواضع ، قد أخذ يرقص مشمراً ، وبدا على تلك الحال أكثر وأقلّ من ملك . وحُفرت قبالته صورة زوجته ميكال عند نافذة قصر منيف ، وكانت تنظر متأملة كسيدة مملكتها الازدراء والحزن

وبما رسمه لنا دانتي على المرمز قصة الأمبراطور تراجان والأرملة الرومانية الشكلى التى وقفت عند عنان جواده ، وقد التفت من حوله حشدٌ كثيفٌ من الفرسان ، وبدت فوق رؤوسهم نسور الذهب ترفرف مع الريح ، وسألت البثيسة الأمبراطور أن ينتقم لمقتل ابها الصريع ، فأجابها بأن عليها أن تنتظر عودته فقالت وهى تتألم « « وإذا لم تعد يا مولاي ؟ » » ، فأجابها بأن من يحل مكانه سوف يؤدّى لها ذلك ، فقالت ماذا يكون له فى خير يفعلُه غيره ، إذا وضع ما يخصه منه موضع النسيان ؟ فهدهأ من روعها ، وأعرب عن اعتزامه القيام بواجبه قبل أن يرحل وبذلك جعلنا الشاعر نتصور هذه اللوحة متحركة فى عدة مواقف خلال الحديث المتبادل بين الأمبراطور والأرملة ونحن حين نقرأ الشعر نكاد نراها يتحركان ويغيران من وضعهما وسماتهما وكان دانتي فى ذلك قد تخيل مرمراً شعرياً يتحرك ويتبدل ، وعلى ذلك النحو حول الرمز إلى كلمة وفى هذا كله جعل دانتي الحياة تدبّ فى أوصال المرمز ، وقدّم لنا فنّاً ناطقاً يفيض بالحياة .

وإذا نحن أجلنا النظر فى المطهر فسنجد مادة زاخرة من التشبيهات والاستعارات والحجارات والصور التى تسهم فى بناء عالمه الرفيع وسرى مثلاً صورة السماء التى يسودها لون اللازورد الصافى ، ورجرجة مياه البحر حينما تظفر أنوار الفجر بنسيم الصباح ، واعتراك قطرة الندى مع أشعة الشمس حتى تتبخّر رويداً رويداً وتزاحم الناس حول الرسول الذى يحمل غصن الزيتون لكى يسمعوا منه أنباء السلام ، والصديقين اللذين يتعانقان عند اللقاء ، والحمام الذى يجتمع لالتقاط الحب ويولى عنه إذا دهمه خطرٌ مفاجئ ، والأغنام عند انطلاقها من حظيرتها ، والفلاح الذى يسد الثغرات حول الكرمة لحمايتها من اللصوص ، والرجل الذى تقتضيه

وعورة الجبل أن يستخدم قدميه ويديه في أثناء صعوده ، والبرج الثابت الذى لا تهتز قمته بعصف الرياح أبداً ، وتكثف البخار وهطول الأمطار وجريان المياه فى القنوات وانحدارها إلى النهر ، ولأعب النرد الذى يتخلص من رفاقه المزدحمين حوله ، والأسد الرابض الذى ينظر أمامه بدون حركة ، والأزهار بألوانها الزاهية وشذاها العطر ، وإحساس المسافر فى البحر لأول مرة بالحنين إلى وطنه ، والخطاف الذى يشدو بألحانه الحزينة حينما تسنح بارقة من إشراق السماء ، والمتكبرين الذين ساروا وقد ناءت ظهورهم بالأحجار الثقيلة ، والثور الذى يسير تحت وطأة النير الثقيل ، والقديس الذى يجود بأنفاسه الأخيرة وهو يسأل الله المغفرة لقاتليه رجماً بالحجارة ، والجبال حين يغشاها الضباب ، وتبدد فقاعة الهواء حين يعوزها الماء ، والوهج الشديد الذى يغشى الأبصار ، والبارزى الذى يسارع إلى تناول الطعام إذا سمع النداء ، وشديدى الهزال الذين اتخذت جلودهم شكلها من صورة عظامهم ، والأطفال الذين يطلبون الفاكهة من الأشجار بدون أن يتمكنوا من بلوغها ، وفرخ اللقلق الذى يرفع جناحيه ولكنه لا يقوى على مبارحة عشه ، وحشود النمل التى تلمس الواحدة منها فم الأخرى عند تقابلهما ، ودهشة سكان الجبل حين يدخلون المدينة لأول مرة ، واختفاء السمكة فى أعماق الماء ، والراعى الذى يحرس قطعانه وهو مستند إلى عصاه ، والطيور التى تغرد على الأغصان ويتردد حفيفها كأنه ترجيع لأغانها ، وتألق البدر فى منتصف ليلة صافية ، وشعلات النار التى يدفعها الهواء إلى الخلف حتى لتبدو أنها لمسات من ريشة الرسم ، والمحوريات اللاتى يرقصن ببطء وبسرعة ، والطفل الذى يجرى نحو أمه حين يأخذه الضيق أو الخوف ، وأمير البحر الذى ينظر إلى سفنه ويستحث رجاله على أن يبدلوا خير ما فى استطاعتهم ، والسفينة التى تميل على جانبيها وسط العاصفة الهوجاء ، والحاج الذى يعود من رحلته وقد توجّع عصاه بسعف النخل ، ومن لا يقوى على الكلام وهو فى حضرة من يعلوه قدراً ، والظلّ الظليل الذى يغطى الغدران العذبة فى الغابة المزدهرة ، والصديقين اللذين يتمهلان عند افتراقهما ، وصاحب النفس الرقيقة الذى لا يتلمس المعذرة عن عدم القيام بعمل ما ، بل يشكّل إرادته بإرادة صاحبه حينما يفصح عنها بإشارة منه .

هذه هى بعض الصور والتشبيهات والاستعارات التى عرضها دانتي فى المظهر ، ومزج فى بعضها بين الأسطورة والتاريخ ، وبين الخيال والواقع ، وبين الطبيعة والإنسان ، وبين العلم والفن ، وبين الدنيا والآخرة . وإن من يقرأ المظهر أو الكوميديا ، فى النص الإيطالى أو فى إحدى ترجماته ، لا يجد صورة من الصور التى أوردها دانتي تبدو قلقة فى موضعها ، أو متنافرة مع ما يحيط بها ، أو منفصلة عن السياق العام ، بل يرى أنها جاءت كلها فى ثنايا المظهر أو الكوميديا متمزجة متألقة متألقة مع سائر العناصر والجزئيات متسقة منسجمة مع الأفكار والمعانى التى أقام دانتي عليها بناء المعجز وصرحه الشامخ

ويتوفر فى شعر الكوميديا الهبوط والصعود بصورة نادرة المثال . ويتدفق شعر دانتي كالماء المنسكب الذى يدور حول الصخور التى تعترض جريانه . ويلاحظ على شعر الجحيم بصورة عامة طابع من العنف والقسوة والضخامة ، تبعاً لمقتضى الحال ، وإن كان هذا لم يمنع من أن توجد بها ألوان أخرى من الشعر الذى يفيض بالركة والعطف والرحمة . ولكننا نرى الصورة العامة فى شهر المظهر تأخذ فى التبدل والتغير ، تبعاً لمقتضى الحال ، وتتجه إلى الرقة واللفظ والدعة ، وإن لم يمنع هذا من أن توجد به ألوان من الشعر الذى يعود بنا إلى عالم الجحيم ، بما يتميز به من ضروب العنف أو القسوة أو الغضب

ولو أننا اتجهنا إلى دنيا الفنون التشكيلية لأمكننا أن نتيبن فى شعر الجحيم اقتراب دانتي أحياناً من روح جوتو المعاصر ، الذى تحاول النفس البشرية فى صوره التعبير عن مكنونها خلال نظرة الأعين وسمة الرؤوس ، ساعية فى ذلك إلى أن تخرج من تقاليد العصور الوسطى إلى رحاب عصر جديد . ونلاحظ اقتراب دانتي تارة من تعبير تيتريانو فى أجساده الصارخة بالرغبة والملئحة بالحياة . وكذلك يمكننا أن نتيبن شيئاً من الطابع العام للجحيم فى آثار ميكلائنجلو ، بما يسودها من عناصر القوة والضخامة والجمال والتطلع إلى بناء عالم جديد . ولكننا نستطيع أن نتيبن فى شعر المظهر الصورة العامة لآثار بيرودجينو ، بما تحتويه من التعبير عن أشعة الفجر أو سقوط قطرات الندى على الأزهار والأعشاب أو أجنحة ملائكة

السموات والكوميديا كلها معرض في زاخر بآثار الفن التشكيلي الشعرى التى ربما لا يعادله فيها معرض شعرى آخر

ولانه لما يجعلنا أقرب إلى فهم آراء دانتى وتذوق فنه ، اتجاهاً إلى أن ندرس ونتذوق أشياء من فنون النحت والتصوير والعمارة السابقة على زمنه والمعاصرة له ، كما تمثلت في آثار الفن القوطى منذ القرن الثانى عشر بخاصة ، وفي بواكير عصر النهضة ، ثم في روائع عصر النهضة . ويعيننا أيضاً في هذا الصدد تذوقنا لنواح من ثمرات هذه الفنون ، المستوحاة من بعض ما عبر عنه دانتى ، أو ما يمت بشئء من الصلة إليه ، والتى ظلت تترى في أقطار مختلفة حتى الزمن الحديث والمعاصر ، على الرغم من توالى القرون والتفاوت في وسائل الرمز والتعبير

أما بالنسبة لعالم الموسيقى فيمكننا أن نتبين اقتراب دانتى في شعر الجحيم من روح بيتهوفن ، بما تشمله موسيقاه من الألحان المتنوعة العنيفة أو الرقيقة ، والثائرة أو الوديعه . وربما يقترب شعر الجحيم كذلك من روح فاجز الغنائى الدرامى أو من روح تشايكوسكى الحزين الآسى ولكن شعر المطهر يقترب بصورة عامة وفي مواضع مختلفة ، من ألحان التروبادور والفرسان أحياناً ، بما تحتويه من التعبير البسيط عن عواطف البشر ، وبما تصوره من نواح في حياة المجتمع . وكذلك يقترب شعر المطهر أحياناً من الألحان الجريجورية ، ومن ألحان جوسكان دى پريه وبوكستيد ، ومن روح بالسترينا وقيقالدى وباخ وهيندل ، بما تتضمنه ألحانهم من عناصر الآسى والشجن ، والرقه واللفظ ، والدراما والسمو والتجريد ، والخشوع والابتهال ، والإيمان والأمل ، والشوق إلى الله . ويمكننا أن نعد الكوميديا كلها كسيمفونية كبرى أو كمسرح عظيم يعرض لنا عالماً زاخراً بالمشاهد والألحان الشعرية ، بما لا يوازيه مسرح شعرى آخر

وبما يساعدنا على فهم أدب دانتى وتذوق فنه محاولتنا أن نتذوق بعض نواح من فنون الموسيقى والمسرح والرقص ، سواء أكان ذلك في مجال الفن الدينى منذ القداست والترانيم الجريجورية ، ابتداء من القرن العاشر بخاصة ، أم كان ذلك في ناحية الفن الذى كان سائداً في بلاطات الأمراء والنبلاء الإقطاعيين أم في مجال الفن الشعبى في زمان التروبادور والتروفيير ، في العصر السابق على دانتى

وفى زمنه . ويعيننا فى هذا الصدد تذوقنا لبعض المسرحيات الأولية السابقة على دانتى والمعاصرة له ، والتي جمعت ألواناً من المعانى والألحان والأغاني والأناشيد الدينية والدرامية والأرستقراطية والشعبية فى بوتقة واحدة . وذلك فضلاً عن تذوقنا لنواح من فنون الموسيقى والمسرح الدرامى والغنائى الذى استلهم مبدعوها أشياء مما عبّوعنه دانتى أو مما يقترب من روحه ومن موضوع الكوميديا ، حتى الوقت الحاضر .

وإن الفنون ، على اختلاف أدواتها ووسائلها ، لتجاوب ويلقى بعضها الضوء على بعضها الآخر ، مما يزيدها جميعاً تألقاً وبهاء ، وبذلك تتحقق للقارئ الدارس فرصة أكبر لكى يحبى ثمرة درسه وثقفه وتذوقه ، فيزداد علماً ومعرفة وصقلاً وحسناً ، بل وربما ينبلج ذهنه ويومض قلبه وتفيض نفسه ببعض ثمرات الخلق والإبداع البشرى . ولذلك فقد حرصت بقدر المستطاع على أن أزوّد القارئ — ونفسي — فى حواشى الترجمة ، بنواح من الفنون التشكيلية والموسيقية والدرامية ، تحقيقاً للفائدة والمتعة

« ٥ »

عرفنا أشياء عن حياة دانتى عند ترجمة الجحيم . ويلمخص تاريخه فى أنه ولد فى فلورنسا فى مايو سنة ١٢٦٥ . وأنه أحب بياتريتشى التى تزوجت من غيره وماتت فى سن الشباب . وحارب دانتى ضد الجبلين بزعامة أرييترو وشارك فى إحرار النصر الفلورنسى فى موقعة كامبالدينو فى سنة ١٢٨٩ . وتزوج من جيما دوناتى فى سنة ١٢٩١ . ودخل سلك الوظائف العامة ، واشتغل بالسياسة ، وأرسل سفيراً لفلورنسا إلى بعض المدن الإيطالية ، وصار عضواً فى مجلس السنيوريا الذى يحكم فلورنسا ، وعارض سياسة بونيفاتشو الثامن فى فلورنسا . وتدخل شارل دى فالوا الفرنسى فى شئون بلاده ، فهُزم حزب البيض ، ونفى دانتى خارج فلورنسا فى سنة ١٣٠١ ، وفى حياة المنفى شُرد وجاع وطلب المأوى تارة ، ولقى حسن الوفادة لدى بعض الأمراء تارة أخرى . ولم يعد إلى فلورنسا أبداً . ومات فى رافنا فى سبتمبر سنة ١٣٢١

هذه الخطوط يمكن أن ترسم حياة رجل متوسط ، كما يمكن أن تقوم على

أساسها حياة رجل عظيم . ولا يفسّر تاريخ حياة لإنسان بالواقع الذى حدث وحده ، بل يفسر كذلك بما لم يحدث فى الواقع ، وبأفكاره وطموحه وعواطفه وليس من السهل الكشف عن مكنون الإنسان بعمامة ، فما بالناس بالرجال من صنف دانتي ، الذين يتعذر الكشف عن سر إلهامهم ، ويحاول الدارسون استكناه أغوارهم ، فيعرفون منها شيئاً وتغيب عنهم أشياء

ومن الناس من تغلب منفعتهم الذاتية أو حبهم للسيطرة والسلطان على كل ما عداه من الأهداف . ولذلك فهم يسلكون كل السبل لبلوغ غاياتهم ، فيطيعون ويعصون ، ويخضعون ويستكثنون ، ويكذبون ويتملقون وينافقون ، ويبدون ثعالب وآسودا ، ويظهرون رحماء وقساء وكرماء وأذنياء ، وأخيارا وأشرارا ، ويأكلون على كل مائدة ، ويغيرون دفعة سفينتهم تبعاً لمهب الرياح وقد يسميهم بعض الناس متقلبين خارجين على المبادئ ، ولكنهم فى الواقع ثابتين على حال واحدة ، وهم لا يتحولون أبداً عن طبعهم الحقيقى ، ولا يحدون قيد أنملة عن بلوغ أغراضهم . ولم يكن دانتي من هذا النوع من الرجال ولقد عرفنا من قبل جوانب من شخصيته فعرفنا شيئاً عن دانتي الساكن الهادئ الوداع المتأمل القليل الكلام ، وعن دانتي العاشق صاحب الحس المرهف ، ودانتي المترفع المتكبر البسيط المتواضع ، ودانتي الأسوان الساخط على العالم الذى عاش فيه ، ودانتي الوطنى الجريء الشجاع ، ودانتي العزوف عن المال والجاه ، القابع فى محراب الفن وهيكل المعرفة كان دانتي رجل عاطفة وإيمان ، ولم يعرف المسيرة والمداورة ، ومن فرط محبته للناس لم يطق السكوت عن أخطائهم ، وربما كان فى دخيلته يبتسم حينما كان بعض قومه يحاولون تبرير مسالكهم ، أو التعسف فى تفسير المعانى لإرضاء لمشاربهم وغرورهم أو تنصلاً أو عجزاً عن أداء ما يمكن أن يترقب منهم ، أو حينما كانوا يفكرون فى إحلال ميزانهم مكان ميزانه ! وهو عندما لم يفلح فى هداية قومه إلى خيرهم ، وحينما لم يستطع مجازاة الظروف ، كان مصيره النفى والتشريد والحرمان من وطنه وقومه والرجال من صنف دانتي يولدون وقد قُدر عليهم سوء الحظ ، ويعدون غير ناجحين فى الحياة العملية ، وربما ينالون الإعجاب فى أثناء حياتهم ، ولكن لا يكاد يستمع أحد إليهم .



ودانتي الكهل الناضج ، العاكف في وحدته على الدرس والتأمل ، المستغرق في كتابة الكوميديا ، كان قد اكتسب التجربة ، وازدادت معرفته بالناس ، وأصبحت البشرية أمامه كأنها كتاب مفتوح ظلّ يطلّعه ويستشفّ أسرارها ، بدون أن أيدري أحدٌ متى وكيف كان يفعل ذلك . وفي أعماقه سكنت بذور الأفكار والمعاني والعواطف ، وظلت خافية حتى أخرجها من مكملها معمعان الحياة ، وصهرتها الآلام والكفاح وخيبة الأمل ، وأنصبتها الضربات التي لم تقتله ، بل شحذت قواه أبداً ، والتي لم يتهاو عند طرقاتها ، بل وقف كبرج شامخ لا تهتزّ قمته بعصف الرياح ، وجاء بأروع الثمرات ، التي أدهشت قبلته من معاصريه ومريديه ، والتي ربما جعلته هو ذاته يدهش من ذاته ثم أدهشت الأجيال من بعده .

وربّ قائل إن دانتي قد تغير جوهره وتبدل في عوالم الكوميديا الثلاثة فهل يمكننا أن نعدّ الجحيم معبرة عن الجانب الخالك في نفسه ؟ وهل تصوّر الفردوس جانبه المضيء ؟ وهل يعبر المطهر عن الجانب الذي تمتزج فيه الخالكة بالنور ؟ إن دانتي لا يتغيّر ولا يتبدّل ولا يتحوّل وهو يظلّ على بساطته وبرأته وصفائه وعمقه وصدقه وإخلاصه وإحساسه وميزانه ، مهما تقدمت به السنون ، ومهما جرى عليه من خير أو شر . وإن معارفه لتتسع وإن نفسه لتتصلق وإن فنه لينمو ، ولكن جوهره يظلّ ثابتاً لا يتغير وهو يرتوى ويتغذى ويستضيء ، لا لكي يتنكر لماضٍ أو عزيز ، ولا لكي يتغير ويتحوّل ، بل لكي يزداد صفلاً ونموّاً في ذات بذوره وعناصره ومسالكه وأغواره ولم تكن له آراء متعدّدة أو متباينة ، في وقت واحد أو في أوقات مختلفة ، في شأن مسائل بعضها فهو لا يتلوّن ولا يتقلّب ، لأنه لم يجر وراء منفعة ذاتية عاجلة ، ولم يتبدّل رأيه في شيء مهما بلغ به العمر ، إلا إذا ظهر له ما كان خافياً عليه من قبل .

وليس الذي طرأ عليه التغير هو دانتي في الحياة الواقعة ، بل دانتي في الكوميديا أو في القصة أو الفن . فقد ظلّ دانتي المؤلف هو هو لا يتغيّر ولا يتبدل ، ولكن دانتي الرحالة هو الذي يطرأ عليه قدرٌ من التغير ، لكي يكون نموذجاً ومعلماً للبشر ، وطبقاً لما تقتضيه طبيعة كل عالم بذاته من عوالم الكوميديا ، مع بقاء العناصر الأساسية في ذاته لا تتبدل ولا تتغير وأحياناً نجد دانتي الرحالة في

المطهر يعود بنا القهقري إلى دانتى الرحالة فى الجحيم وذلك حينما نراه مثلاً يصب لعناته على بلاده لما كانت عليه من الاضطراب والفوضى والفساد ، مؤملاً أن تتخلص من ويلاتها الداخلية والخارجية ، وأن تتحقق لها الحياة الموحدة العادلة المستقرة السعيدة

ومن أمثلة التغير الذى نلاحظه على دانتى المرتحل فى المطهر ، هو أننا لا نجد فيه دانتى المرتحل فى الجحيم ، الذى كان يجذب بوكادلتى أباتى من شعر رأسه لكى يعرف شخصه ، بل نشهده هنا يتأثر عند مرأى المتغطرسين الذين ساروا وقد ناءت كواهلهم بمحملوه من الأحجار الثقيلة ، فيشعر هنا ، وقد عرف فى نفسه الكبرياء فى الحياة الدنيا ، أنه يناله شئ من عذاب هؤلاء المتغطرسين التائبين المتطهرين . ونجده مثلاً يقف فى المطهر متأثراً أمام الحاسدين الذين أغلقت عيونهم فصاروا كالعميان ، وأحسّ أنه أهانهم وجرحهم ، حينما كان فى استطاعته أن يراهم بدون قدرتهم على أن يروه وهنا يظهر لنا دانتى المرتحل المرهف الحس الرقيق الحاشية بصورة قل أن يبلغها أحد غير

وما يلاحظ فى هذا الصدد أن دانتى كان يكره بونيفاتشو الثامن كعدوه السياسى والشخصى ، وكانت معارضته لسياسته فى إيطاليا وفلورنسا هى السبب فى نفيه وتشريده ، وحرمانه من وطنه وقومه إلى الأبد . وبونيفاتشو عنده هو البابا الآثم الخائن المرتشى ، وهو ناهب الكنيسة وهادم الأمبراطورية ، وهو وصمة عار فى جبين البشرية ، ومكانه مع المرتشين فى الأنشودة التاسعة عشرة من الجحيم وحدث فى سنة ١٣٠٣ أن تأزمت العلاقة بين فيليپ الجميل ملك فرنسا وبين بونيفاتشو ، لتعارض المصالح السياسية بينهما فسعى فيليپ إلى الاعتداء على بونيفاتشو ، فهوجم فى أنانبي فى جنوب شرق روما ، واعتدى عليه وهب قصره وحبس ثلاثة أيام ، ولكن أهل أنانبي هضوا لتخليص البابا من يد أعدائه ، فعاد إلى روما لكى يعدّ وسائل الانتقام ، ولكنه مات بعد قليل متأثراً بالصدمة التى أصابته .

وإزاء هذه الظروف تغير موقف دانتى المرتحل فى المطهر من البابا الآثم الخائن المرتشى ، واختلف عن موقفه منه ومن سائر البابوات الآثمين فى الجحيم . وقال دانتى على لسان هيج كاپيه — مؤسس أسرة كاپيه الملكية فى فرنسا — إنه يرى زهرة

الزنبق — رمز الملكية الفرنسية — تدخل كنيسة ألانيا ، ويرى المسيح يصير سجيناً في شخص نائبه ، وإن تجربة الخلق والعفص ستتجدد ، وسيُقتل بين لصين وهما على قيد الحياة . فالبابا — عنده — هو البابا وللكرسى البابوى مقامه وقداسته ونائب المسيح هو نائبه ، والاعتداء عليه ليس سوى محاولة جديدة لصلب المسيح — كما عند المسيحين — وهو لذلك يعلن استيائه الشديد وغضبه البالغ على هذا التصرف الشائن المعيب الذى أطاح بأسس المقدسات الدينية

ولا تعارض بين موقف دانتي المرتحل من البابا فى الجحيم ، وبين موقفه منه فى المطهر فدانتى المؤلف يضع بونيفاتشوف فى الجحيم ، لكنى يأتى العدالة الإلهية جزاء وفاقاً على ما ارتكبه من المعاصى ولكن لا يجوز عنده أن يعتدى بشرٌ على شخص البابا مهما كانت الظروف والدوافع إلى ذلك ، لأنه رأس الكنيسة ونائب المسيح فى الأرض وكان ذلك من جانب دانتي المؤلف ودانتي المرتحل نصراً عظيماً على كل العوامل الشخصية ، احتراماً وإجلالاً وتقديراً للكرسى البابوى وهذا من المواقف النادرة فى الأدب الإنسانى . ولا ريب فنحن أمام دانتي العملاق الذى يفرق بين آثام البابا وبين مقامه الدينى الروحى العظيم وكم يحتاج كثير من الناس فى ساوكمهم وتصرفهم إلى التفرقة بين أخطاء الإنسان وبين مقامه فى مجتمعه ، أو بالنسبة لما يمكن أن يروى إليه من المعانى ! وكم من الناس يمكنهم أن يفعلوا ذلك ؟

ومع كل ما تتميز به الكوميديا — والمطهر — من ضخامة البناء واتساع المدى ، وعلى الرغم مما تشتمل عليه من المعلومات الغزيرة ، والصور المتنوعة ، والألوان الرائعة ، والأنغام الساحرة ، فهى قصيدة دانتي ذاته . ونحن لا نفقد صوته ولا نفثاته ولا همسه ، فى كل جزء من أجزائها ، وهو وراء كل كلمة فيها ، وربما تعدّ الكوميديا بمثابة مذكراته الشخصية التى تدون دقائق تاريخه ، وهى أفضل مصدر لقصة حياته

« ٦ »

عاش فرجيليو فى القرن الأول ق.م. ونشأ فى أحضان الريف فى منطقة مانتوا الساحرة فى شمال إيطاليا . وتعلم فى كريمونا وميدبولانوم (ميلانو) وفى روما . وشب عاشقاً للطبيعة محباً للدراسة والكتب . وكان يؤثر حياة الفكر والتأمل على صخب المجتمع وضوضائه . ومع أن فرجيليو كان أميل إلى حياة العزلة والدعة ، ومع أنه لم يُعن بمتابعة كثير من تفصيلات الحياة العملية ، فلم يشعر بالكراهية أو المراهة نحو الناس . وعلى العكس كان يتأمل الناس والمجتمع وهو تسوده روح البهجة والتطلع إلى فهم أسرار الحياة . ولم يخامره شعور بالغيرة من الآخرين . ومع أنه كان رجلاً خجلاً فقد امتاز بعقل شامل واع . وكان إنساناً مرهف الحس صافى النفس . وكان فى سداجة الطفل الذى يذهب إلى المسرح لأول مرة فيأخذ بلبه كل ما يرى ويشهد . وكانت الأشياء المألوفة تتشكل لديه فى صورة ذات روعة وبهاء . فالقروية التى تحمل جرّتها ، والفلاح الذى يربى الماشية أو يجمع العسل ، والراعى الذى يقود القطعان على أنغام المزمار ، وصنوف النبات والحيوان ، والأرض والكواكب والكون ، والبشر فى كل أسنانهم وأوضاعهم ، كانوا جميعاً يثيرون انتباهه ويمتدّبون محبته . وعمل الرغم من أنه لم يحب أساليب السياسة ومسالكتها ، فقد أصبح شاعر الأمبرطورية الرومانية ، التى كانت عنده وليدة الإرادة الإلهية . وصار له اسم وسمعة فى العصور الوسطى ، لأنه أعلن فى أناشيده الرعاة عن ميلاد المخلص وسماه أهل العصر الوسيط بالعرّاف والساحر والمتنبى . وتناول فرجيليو فى الإنيادة حياة الناس على الأرض ، كما تناول الأساطير والآلهة كشخصيات درامية . وزار بطله إينياس العالم السفلى وشهد عذاب الآثمين . ومجد فيها الأمبراطورية كما عبّر عن عواطف البشر . ويمثل أسلوبه اللاتينية الصافية فى عصرها الذهبى . ولقد أحدث شعره الصافى الرقيق أثره فى شعراء المدرسة الفلورنسية الحديثة فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ، التى كان دانتى واحداً من شعرائها . ولقد درس دانتى حياة فرجيليو وشعره ، وأخذ عنه دقة التعبير ، وكثيراً من

الصور والتشبيهات والاستعارات ، واستمد منه النظام والتناسب وإحكام البناء وهما يتشابهان في أسلوبهما الوقور الواضح ، الذى تشيع فيه الحرارة والدفع ، وإن كان دانتى قد خالف أستاذه في روحه الشاعرى وفاقه في مستوى الخلق والإبداع ولهذا كله اتخذ دانتى من فرجيليو دليلاً وهادياً ومرشداً ومعاملاً في الجحيم وفى أغلب المطهر فما المعنى أو المعانى التى يرمز إليها فرجيليو ويمثلها ؟ لكى نفهم فرجيليو - ودانتى والكوميديا - مزيداً ، ينبغى علينا أن نوسع مرئى شباكنا إلى أقصى حد مستطاع ، وعلينا أن ننظر إلى فرجيليو نظرة شاملة ، فالمعنى أو المعانى التى يمكن أن يرمز إليها فرجيليو معان واسعة المدى عميقة الغور ، ولكنها تصبح معانى مدركة ميسورة الفهم ، إذا درست بتأمل ومحبة .

فرجيليو فى المعنى الحرفى يرمز للإنسان أو للعقل الطبيعى المكتمل إلى أقصى ما تبيحه له طبيعته الإنسانية ، فيما عدا ما يضيفه عليه الإلهام المسيحى والوحى الإلهى اللذان لم تُتَحْ لفرجيليو فرصة معرفتهما ، إذ عاش ومات رومانياً وثنياً وفى المدلول التاريخى يرمز فرجيليو للأمبراطورية الإلهية العالمية الموحدة ، التى تحكم العالم تحت لواء أمبراطور واحد ، ورائدها الخلاص من الحسد والتنافس والنزاع ، وتجنب السيطرة والاستغلال فى شتى صورهما ، وتبادل المنافع المادية والمعنوية ، وتحقيق النظام والمساواة والعدالة والحرية والحكمة ، وتوفير الأمن والاستقرار والسلام وهذه هى الأمبراطورية الرومانية التى تغنى بها فرجيليو ، واعتقد أنها كفيلة بأن تحقق كل ذلك . وهذه هى صورة للدولة العالمية الموحدة ، التى ما فتئت تراود أذهان المفكرين والساسة والشعوب منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر

وفى المعنى الخلقى يرمز فرجيليو إلى الأخلاق كما يفهمها الإنسانون فى أجلى معانيها ، أى الاعتدال والتعقل وحسن السلوك وأداء الواجب ، والتى هى قائمة على الفضائل الأساسية الأربع ، أى العدالة والتبصر والعفة وقوة العزيمة أما فى المدلول الصوفى فإن فرجيليو يرمز إلى الدين الطبيعى فى أكمل صورهِ ، والذى يخدم آلهة الوثنيين ويتقرب إليهم بالقوى والتبجيل وتقديم القرابين والتقديس والعبادة . وعلى هذا فإننا نرى فرجيليو يمثل جماع الإنسانية ، ويعبر عن مثلها العليا ،

ويعجّد ثمرات العلم والمعرفة والفن ، التي يسير دانتى على مهجها ويعمل على السدو بها وبالبشرية جمعاء ، ويقدّس الآلهة في عالم الوثنية الأسطورى ولهذا لم يكن اختيار دانتى لفرجيليو كرمز لهذه المعانى — أو لغيرها — اختياراً قائماً على أساس من التعسف ، بل كان اختياراً مبنياً على أسس من الفهم والمشاركة والتعاطف والمحبة

وإن تعبيرات فرجيليو المتلاحقة في أول الجحيم لتبهرننا وتجتذبنا إليه ، بما يتناوله فيها من الإفصاح عن إنسانيته وأصله ورومانيته وشعره ، وعن الحياة العادلة التي تطالع إليها وإن هذه المعانى التي يمكن أن يرمز لها فرجيليو ، وما كان عليه في الحياة الواقعة ، لتلتقى وتمتزج ، وتفرق وتتباعد ، وتهبط وتعلو ، وتتقابل ، كأنغام أساسية أو جانبية ، متشابكة أو متتابعة ، مفردة أو مشتركة مع غيرها ، بحسب الموقف . وهى كلها كفيلة بأن تثير لدى بعض القراء الإعجاب والمحبة .

هذا هو فرجيليو ذو الجبهة العريضة ، الذى تعلوه أمارات التأمل والبساطة والتواضع واللطف والرقّة . وهذا هو فرجيليو دليل دانتى ومعلمه وصديقه ، بل والذى جعله دانتى بمثابة الأب أو الأم الحانية على وليدها أبداً . ودانتى وفرجيليو هما أعذب رفيقين سارا معاً جنباً إلى جنب في رحلة طويلة وكان في كل مهمما صورة من نفس صاحبه وما أحوج الشاعر الفنان إلى الصداقة والمحبة ! وما أكثر ما يمتهن لفظ الصداقة وكلمة المحبة ! إذ ليس كل عشير أو جليس بالصديق أو المحب . وليس بصديق أو بمحب من يرجو التسلى أو المنفعة فمحسب والصديق أو المحب هو الذى يقدم إلى صاحبه حاجة باطنة في نفسه إلى صاحبه ، ولحاجة باطنة في نفس صاحبه إليه والصديقان المحبان هما من يفهم أحدهما الآخر بدون كلام ، وهما من تمتزج روحاهما وتتألف نفساهما ، ويعكس أحدهما على الآخر من صفاته وأنواره ما يجعلهما يتألقان معاً

ههنا فرجيليو من مكانه في اللبؤ ملبياً نداء بياتريتشى التي هبت إليه بعينين تقطران دمعاً ، لكى يسارع إلى إنقاذ دانتى الذى اعترضته الوحوش في الغابة الكثيفة الظلماء فيخلص فرجيليو دانتى من شرّ الوحوش ، ويسير به هابطاً إلى حلقات الجحيم ، ويحميه من المخاطر ، ويزيل عنه الشكوك والأوهام ، ويخنو

عليه ويحدثه بوجه رقيق بشوش ، ويدلل له الصعاب ، ويحمّله إذا لم يستطع السير ، ويشرح له ما غمض عليه ، ويبعث في نفسه العزم لمواصلة المسير ، إذ لا يُنَالُ المجد فوق الفراش الناعم الوثير

وأحياناً يؤنب فرجيليو دانتى لتأخره وإطالته الكلام عما ينبغي أن يكون ، ويستحثه على المسير لقصر الوقت وطول الطريق ويندّد به ويؤنبه حينما يبكى أمام العرافين الذين التوت رؤوسهم إلى الخلف ، إذ ليس أضلّ ممن يأخذ الأسي أمام قضاء الله وقدره . ويقف فرجيليو وقفة مهيبة وقورة في خندق المرضى . وحينما يطيل دانتى وقوفه أمام أدامو دا بريشا وسينون إغريقى طروادة الكذوب ، يؤنبه فرجيليو ويقول له إنه لم يبق إلا القليل حتى يعتريك معه ، فيهرول دانتى وهو يعلمه الحجل ، ويبدى اعتذاره بدون كلام ، فيطيبّ فرجيليو من خاطره ، ويسأله أن يطرح عنه كل ما يدعوه إلى الأسف

وفي الجحيم ينذر أن يتوقف فرجيليو أو يعجز عن تخطي العقبات . وإذا حدث ذلك فإن قوى السماء كانت تتدخل لتعينه على متابعة الرحلة ، كما حدث أمام مدينة ديس ، إذ تدخل ملاك السماء وطرّد الشياطين الذين اعترضوا سير الشاعرين ، وفتح لهما أبواب مدينة ديس . وهذا رمز إلى حاجة الإنسان أبداً إلى أيدي السماء . أوليست البشرية في حاجة أبداً إلى عون السماء للخلاص من ضرورها وويلاتها ، وإرشادها وهدايتها ، وهي الكثيرة العثرات والويلات !

ولا يجوز أن يُلام دانتى لوضعه فرجيليو في اللبؤ ، في مقدمة الجحيم . ولا شك أن دانتى قد ارتكب بذلك ما يخالف عواطفه الشخصية ، ولكنه لم يخالف معتقداته ومبادئه فهو يحب فرجيليو ويوفره ويمجده ، ويحترمه كسيد وأستاذ ودليل . ويقدم له آيات الشكر والاعتراف بالجميل ، ولكن هذا لا يمنعه من أن يقيمه ويزنه ويصدر حكمه عليه ، تبعاً لعقيدته . وبينما حرم دانتى فرجيليو من الفردوس ، نجده قد وضع سورديلو واستاسيوس في المطهر ، ومآلها بعد التطهر إلى الفردوس ، على الرغم من أن كل ما كتباه لا يساوى شيئاً يذكر إلى جانب شعر فرجيليو وفنه . وفعل دانتى ذلك تمشياً مع مبادئه ومعتقداته ، لأنه اتخذ فيما اتخذه من فرجيليو رمزاً للعقل ، الذى لا يستطيع الإنسان به وحده أن يبلغ مراتب السعادة

العلوية ، إذ لا بد لبلوغها عنده من الوحي والإلهام الإلهيين إلى جانب العقل الإنسانى على أن العقل ذاته م مهد للإلهام ، ولا إلهام لمن لا عقل له . وبذلك نجد فرجيليو ، رمز العقل ، ممهداً لبياتريتشى ، رمز الوحي والإلهام ولا ضير على فرجيليو قط أن حرمه دانتى من أن يكون من أهل المطهر توطئة لصعوده إلى مراتب الفردوس . ويكفى أنه أتاح له الفرصة لزيارة الجزء الأكبر من المطهر فى صحبته .

وكان فرجيليو فى الجحيم صاحب سلطان لأنه كان فى عالمه الذى سبق فيه أبداً ولكن فرجيليو فى المطهر يصبح فى غير أرضه فهو لا يمكنه أن يظأه بمفرده ، بل لا بد من أن يصحبه إليه روح مسيحى وهو يستطيع فى المطهر أن يمضى كدليل لدانتى ، ويمكنه أن ينصحه وأن يمدّه بالعزم لمواصلة رحلته ، ولكن ليس بالثقة التى كانت له فى الجحيم وهو هنا تعوزه الخبرة والدراية اللتان كانتا له فى عالم الجحيم فهو لا يحسن دائماً معرفة الطريق فى مدارج الجبل ، ولم يعد لكلماته الأثر الذى كان لها دائماً فى الجحيم ومع هذا فإن فرجيليو يصبح أكثر سحرًا وفتنة حينما يسير فى غير عالمه !

فى الأنشودة الأولى من المطهر يقترب فرجيليو من كاتو حارس المطهر ، ويدلى إليه بجديث ودى طويل على سبيل التحية ، ويسأله باسم زوجته مارتريا العريزة عليه أن يسهل له عبور الطريق . فيرد عليه كاتو ردًا مقتضباً ، ويقول له إنه ليس هناك ما يدعو إلى استخدام كلمات الإغراء ، وما عليه إلا أن يمضى بدانتى قدماً ، ما دامت سيدة فى رحاب السماء معنية بأمره ، ويتلقى فرجيليو هذا التعليق الممتزج بالتأنيب دون اعتراض و يعود كاتو إلى التأنيب والتوبيخ حينما يتلصق دانتى وفرجيليو والأرواح فى الإصغاء إلى كازيلا الموسيقى الفلورنسى ، وهو يتغنى بأبيات من شعر دانتى

وعندما يمضى الشاعران صُعداً فى مدارج الجبل ، فلا يرى دانتى إلا ظله وحده منعكساً على الأرض ، يأخذُه الروح حين يتصور أن فرجيليو قد اختفى من جانبه ، فيطمثنه فرجيليو ، ويسأله هل كف عن الاعتقاد بأنه لا يزال إلى جانبه لكى يرشده ويعينه على ارتقاء الجبل . ويقول له إن المساء قد حل الآن فى موضع قبره ، أى فى نابلى التى تضم بقاياها ، إذ اعتادت أن تصنع له ظلاً . فتبعث هذه

الكلمات الحزينة الرقيقة معاني يظلّ صداها يتجاوب بين جوانح ذوى القلوب الرقيقة .

وكلما صعد الشاعران على جبل المطهر مزيداً ، في الجو الذي لا يبلغه جوّ الأرض بظواهره وتقاباته ، زادت الأرواح وزاد فرجيليو معها لطفاً ورقةً وحينما ينحى سوردياو شاعر التروبادور لتقبيل قدمي فرجيليو ، يتركه يفعل ذلك بغير اعتراض أو ممانعة ، مع علمه بأن كلاهما لا يزيد عن كونه شبهاً ، وجعل دانتى هذه المحاولة كرمز لأمنية لم تتحقق ولكن حينما يلتقي الشاعران باستاتيوس ، يمنعه فرجيليو من تقبيل قدميه لعلو قدره لديه ، ويسأله ألا يفعل ذلك قائلاً إنه ليس غير شبح يرى شبحاً . وكان فرجيليو واستاتيوس ودانتى يمثلون في هذا المشهد ثلاثياً فريداً من الشعراء الذين ساد بينهم التقدير والإعزاز والتوافق والمحبة ، إلا أن فرجيليو كان هنا هو الشخصية البارزة ، إذ كان يحرك الموقف بكلامه ونظراته .

وعلى الرغم من أن فرجيليو لم يعد في المطهر يتكلم بالثقة التي كانت له في الجحيم ، فإنه يبذل وسعه لإرواء ظمأ دانتى إلى المعرفة فنجد مثلاً يشرح لدانتى في الإفريز الثاني من مقدمة المطهر بعض مسائل فلكية ، وأفاده بأن حركة الشمس تبدو في نصف الكرة الشمالي من اليسار إلى اليمين ، على حين تبدو في نصف الكرة الجنوبي من اليمين إلى اليسار ونجد فرجيليو على السلم المؤدى إلى الإفريز الرابع مثلاً قد بدا في صورة وديعة رقيقة ، وأخذ يشرح لدانتى معنى المحبة فتكلم عن المحبة الطبيعية أو الغريزية التي لا تخطئ أبداً ، وعن المحبة العقلية التي تتعرض للخطأ بنخب مقصدها أو بزيادة حرارتها أو نقصانها . ومضى فرجيليو في كلامه ، ثم أخذ ينظر متطلعاً إلى وجه دانتى لكي يرى هل فهم عنه ما أراد به بشرحه ، وأدرك — بدون كلام — أن دانتى يحسّ أنه قد ثقل عليه بأسئلته ، فشجعه على المضى في الاستفسار عما يرغب فيستمر فرجيليو في شرحه ويقول إن المعارف الأولى والرغبات الأولية غريزية في الإنسان كغريزة النحل في صنع العسل ، وبذلك فهي لا تستحق ثناء ولا لوماً وقال إن الإنسان مزودٌ بالعقل الذي عليه أن يحرس عتبة الرضى ، وبذلك يكون الجزء تبعاً لقبول المحبة الطيبة أو الخبيثة أو رفضهما وقال الفلاسفة قد أدركوا هذه الحرية الفطرية ، وأورثوا العالم علم

الأخلاق الذى يقول بالإرادة الحرة فى الإنسان . ويحمل فرجيليو دانتى على بياتريتشى لكى تزيده إيضاحاً عما يعجز هو عن إيضاحه ، إذ يعوزه الإيمان الذى ترمز إليه بياتريتشى وكان فرجيليو بذلك كمن يحمل من ورائه مصباحاً ينير به الطريق لمن يأتون فى إثره ، بغير أن يكون قادراً على أن ينير طريقه .

ويزداد فرجيليو تواضعاً ورقة وسحراً كلما اقترب الوقت الذى كان عليه أن يترك فيه دانتى فى رعاية بياتريتشى فى الفردوس الأرضى وإننا لنحس إحساس الرقة الحزينة التى تنبع من قابيهما معاً ، حين نشعر أن فراقهما وشيك الحدوث وما آلم على النفس الرقيقة إحساسها بالافتراق عن أحبائها ! ويقول فرجيليو لدانتى كلمة الوداع بدون أن يفصح صراحة عن رحيله قال فرجيليو لدانتى فى مدخل الفردوس الأرضى ، إنه قد أراه نار الجحيم ونار المطهر ، وإنه قد ساء به إلى موضع لا يتبين فيه بعد بنفسه شيئاً ، وسأله أن يتخذ من بهجته دليلاً له ، وقال إنه يستطيع الجلوس أو السير بين الأزهار حتى تأتى إليه بياتريتشى ، وسأله ألا ينتظر منه مزيداً من الكلام أو الإشارة ، إذ صارت إرادته حرة مستقيمة خالصة ، وسيقع فى الخطأ إذا عمل بدون إلهامها وختم كلامه بقوله إنه يتوجه ويكمله على نفسه الآن

وفجأة تأتى لحظة الفراق بدون أن ينتبه إليها دانتى ولا يجعل فرجيليو دانتى يشعر بذلك ولا يطلب فرجيليو من دانتى ثناء ولا شكراً ولا أن يذرف من أجله دمعاً ، ولا حتى أن يلتفت إلى الوراء لكى يودعه بنظرة أخيرة ، لأنه لا يضع نصب عينيه شيئاً سوى الهدف الأسمى الذى قدر لدانتى أن يبلغه وينسحب فرجيليو ويتراجع ويتوارى فى صمت وسكون قانعاً بأن يكون جزاؤه هو أن أعظم تلاميذه وأعزهم عليه سوف ينعم بالخلود .

وحينما ينتبه دانتى وهو فى حضرة بياتريتشى فلا يجد فرجيليو إلى جانبه ، تنحدر دموعه غزيرة على خديه ، حتى لا يستطيع لها دفعاً فهذا شاعرٌ يبكى على فراق شاعر ، وهذه نفسٌ صافيةٌ رقيقةٌ تبكى على فراق نفس صافية رقيقة وعندما جعل دانتى المؤلف فرجيليو عنصراً أساسياً فى الجحيم وأغلب المطهر ، ثم جعله يخفى حين وصوله إلى الفردوس الأرضى ، قام بمخاطرة لا يقوى

عليها إلا أعظم الشعراء موهبة وبالجلال والمهابة والإشعاع الذى أضفاه دانتي
المؤلف على بياتريتشى ، وبالموقف الدرامى الذى نشأ بيها وبينه ، خفف من الأثر
الذى أحدثه اختفاء فرجيليو ، وجعل أبيات الكوميديا تسير فى طريقها المرسوم ،
وكان شيئاً لم يحدث . وبذلك لم تتأرجح الكوميديا ولم تتعثر ولم تتوقف ، بل مضت
صادحة متدفقة تشعّ منها نغمات الشعر المبدع وآيات الفن الرفيع

« V »

وبياتريتشى من الدعائم الأساسية التى بنيت عليها الكوميديا ، التى كان من
أهم أهداف كتابتها تمجيدها وتخليدها وهى ماثلة فى أجزاء الكوميديا بصورة
متفاوتة ، مسترة تارة ، وظاهرة تارة أخرى وهى تعين دانتي بالواسطة حيناً
وبشخصها حيناً آخر ، ونسمعها تارة كلحن خفيض ، على حين نسمعها تارة
أخرى وقد ملأت الآذان والقلوب بأنغامها العذبة . ونراها تارة بشراً من دم ولحم ،
ونشعر بها طوراً كأنها ملاك أو نور سماوى يقود دانتي إلى رحاب الله .

فنّ هى بياتريتشى ؟ وأحقيقة هى أم خيال ؟ وكيف نشأت وماذا تمثل ؟
يعرف عن بياتريتشى أنها ابنة فولكو پورتينارى الوجه الفلورنسى ، التى عاشت
فى فلورنسا فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ، وسكنت قصر أبيها فى
فلورنسا ، الذى كان مقاماً فى شارع يتعامد عليه شارع سانتا مرجريتا الذى
استقرت فى ضلع منه بيوت آل أليجيرى . وأحبها دانتي ولكنها لم تبادله حباً بحب .
وتزوجت من سيمون دى باردى الثرى ثم ماتت فى شرخ الصبا فهل بياتريتشى
التي صورها دانتي هى بياتريتشى الحقيقية ؟ ولكن هل الحقيقة قاصرة على ما هو
مرئى أو ملموس ؟ وهل الفنان والشعراء كاذبون ؟

قد يكون الأثر الفنى أكثر صدقاً من الواقع المادى ، لأن الفنان إذ يعتمد على
هذا الواقع المادى فى خاقله ، يضفى عليه إحساسه وانفعاله به ويستلهم الفنان
من كل ما حوله صوراً وأنماطاً لا حد لها تسهم كلها فى بنائه الفنى فهو يستوحى
الطبيعة والأطيار ، والعاصفة والمعركة والنيران ، والضوضاء والصخب ، والهدوء
والعزلة ، والأطفال والرجال والنساء ، ويشيع فى كل ما يرى تياراً مستمداً من

إحساسه وتجربته مليئاً بالحرارة والبهاء . وبهذا يكون الأثر الفني ، فى شتى صوره ، جزءاً من الحقيقة ، بل يصبح جوهرها ، لأن المادة تعجز بذاتها عن الإبانة عن كنه الأشياء أو الناس ، وبذلك يحاول الفن أن يستبطن أغوار الكائنات وجوهر الوجود .

وبياتريتشى عند دانتى هى فتاة وامرأة وفكرٌ ورمزٌ فى وقت واحد ورآها فى سن الطفولة ، ثم رآها فى سن الشباب فى كنيسة أو شارع أو حديقة أو عند جسر أو فى حفل وأومات إليه بالتحية تارة ، وأشاحت عنه بوجهها تارة أخرى ، وسخرت منه مع صويحباتها أحياناً ولم تعرف بياتريتشى قدر دانتى ، ولم تدرك ما انطوت عليه نفسه من بذور العبقرية ، ولم تبادله عاطفته الملهبة وحينما أحب دانتى بياتريتشى وهو فى سن الطفولة كان حبه لها حب رجل شاعر ، إذ أضى عليها من حسه وخياله ما خرج بها من الواقع المادى إلى ما بعد الواقع ، ثم عاد بصورتها الجديدة إلى عالم الواقع وبهذا حدث فى نفسه تحوُّلاً وتجليها الأول وأثارت فى نفسه ما لا يعرفه أغلب الناس ، الذين يسخرون فى الغالب من مثل إحساسه ، لأنهم يؤثرون المصلحة العملية على العاطفة القائمة على الوجد والخيال على أن ذوى القلوب النابضة يستشعرون كل ما يمكن أن تعجيش به مثل هذه النفس الرقيقة الشاعرة

ثم تموت بياتريتشى ، ولكن لم يكن موتها مهابة لها وعلى الرغم مما يتمثل فى الموت من العذاب والأسى فإنه عند الشاعر شعرٌ كالحياة ذاتها ولأول وهلة أحدث موتها ما هو مألوفٌ من أثر الغيبة والفراق فبموتها صارت فلورنسا مدينة ثكلى ، وبكت عليها الشمس والنجوم ، وبارتحالها تزلزلت الأرض وتسربت الطبيعة بالسواد ومن منا لم يبك أعزاء عليه ماتوا ، أو لم يأس على أعزاء عليه ولوا واختفوا من حياته وهم أحياء ! وما الذى يبقى لنا مهم ؟ لا تبقى لنا سوى ذكرياتهم التى تتبدى لنا فى أثر أو فى نظرة أو نبرة صوت أو ضحكة أو بسملة وبالتدريج تتوارى هذه الذكريات فى زحمة الحياة ولكننا حين نرى من آن لآخر شروق الشمس أو بزوغ الهلال ، أو حين نتطلع إلى قمة جبل شاهق ، أو نصغى إلى خرير جدول ، أو نرى شارعاً أو وردة ، أو ننظر كتاباً أو قفازاً ،

أو عندما نسمع لحناً ، فإننا نسترجع تَوّاً ذكريات أولئك الأعزّاء ، وتنبعث في نفوسنا صورٌ من حياتهم ، ولسات من أشجاننا — أو من أشجانهم — كأنها نوابض البرق !

وموت بياتريتشى ذرف دانتى غزيرَ الدمع وحزن حتى أصابه السقم ولم ينفعه عزاء الناس ومواساتهم ، إذْ أن أكثر كلامهم كلامٌ أجوف . وقلما يحس أحد بآلام غيره وأحزانه وجاء دانتى العزاء من نفسه وبنفسه وهو حينما عكف على القراءة والدرس للعزاء والتساية ، كان كمن يبحث عن الفضة فوجد الذهب ومع أن موتها قد أضناه وزلزل كيانه ، فإنه شعر أنه من الضروريّ التضحية بها ، لأنها لم تخلق لكي تعيش بين أوصار الأرض ، ولا تناسبها الحياة في ثوب من اللحم والعظم ! وهو لا يحوزها ولا يلمسها في أثناء الحياة ، ولكنها حينما تخرج من عالم اللقاء والفرار ، ومن دنيا المادة والجسد ومن قواعد المجتمع ، إلى ماكوت السماوات — تصبح كلها ملكاً له ، ولن يذكرها أحد سواه ، ويمكنه عندئذ أن يحبها بطريقته بدون قيد أو عائق أو خشية وكان في موت بياتريتشى تحوّلاً وتجليها الثاني في نفس شاعرها ولكي يؤثى دانتى ثمراته كان ينبغي أن تموت بياتريتشى . فأى ثمن اقتضى أن يبذل حتى تنضج العبقريّة ؟

ومع ذلك فلم تكن بياتريتشى المرأة الوحيدة في حياة دانتى صحيحٌ إنه بكى وتألّم عند موت بياتريتشى ، وصحيح أنه سيجعل منها رمزاً علوياً ، ولكنه كان في حياته اليومية في حاجة ملحة إلى الحب وما حياة شاعر بغير الحب ؟ لقد اختلط دانتى بشباب المجتمع الفلورنسى ، وتمتع زمناً بملذات الحياة وتزوج بطريقة تقليدية من جيما دوناتى — كما رأينا — وأنجب ثلاثة أبناء على الأقل ، وعاش في حياة الأسرة فترة عشرة سنوات ، فهل عرف معنى السعادة في أسرته ؟ وهل عرفت أسرته قدره قبل حياته في المنفى ؟ وهل وجد في بيته ما يتطلع إليه فنان مثله ؟ لم يذكر لنا التاريخ شيئاً عن ذلك ، كما لم يذكر هو شيئاً عن حياته في أسرته . والتقى دانتى عن طريق دموعه وأساه بنساء عديدات ، وربما لا يؤدي شيء إلى الحب كما تؤدي الدموع مع الدموع والزفرات مع الزفرات ويذكر بعض الدارسين أسماء نساء في حياة دانتى ربما يربو عددهن على العشرة ، وتفاوتت العلاقة

العاطفية بينه وبين كل مهن بحسب الظروف فما يذكر مثلاً — وكما رأينا في مقدمة ترجمة الجحيم — أنه أحب جنتوكا العذراء الصغيرة الجذابة وأحب فيوليتا التي جعلته يتنهد عند رأى الورود وأحب ليزيتا القوية الواثقة من نفسها وأحب بيترا المرأة الصخرة التي ظلت باردة أمامه كالصخر الذي يغرقه في أعماق البحر بعد النوء الشديد وهكذا كان دانتى يعشق الجمال أينما وُجد وتفتتح له نفسه الرقيقة الحياشة بالعاطفة أبداً

على أن بياتريتشى قد ظلت لدانتى كنجمة الصبح في صحراء الحياة وهي عنده امرأة "واقعية" بصفاتها الأنثوية ، التي استطاع دانتى أن يقدم لنا من صورتها شيئاً محدوداً ، حسبما أتاحت له روح العصر فأوها يشبه لون اللؤلؤ ، وعيناها خضراوان ، وهي ترتدى اللونين الأخضر والأبيض وتبدو بياتريتشى في «الحياة الجديدة» صامتة لا تتكلم ولا تعبر ، وتخطر أمامنا من بعيد ، وكأننا نراها في الحلم لا في الواقع وهي عنده ربة الفضائل ، وتوحى له بشعلة من الرحمة والمحبة تجعله يصفح عن كل من أساء إليه وتبدو له كأنها ابنة الله وهو لا يطمح إلا في التمجيد بها . ووعد بأنه إذا مد الله في أجله أن يقول عنها ما لم يقله رجل في امرأة من قبل وقد برّ دانتى بوعده حينما جعل من أسس كتابته للكوميديا أن يصنع منها تذكاراً لها أو يقيم من أجاها تمثالاً وفي الكوميديا تنمو شخصية بياتريتشى وتكتمل في صورتها الواقعية وفيما تمثله من الرمز ، بكلامها وحركاتها وبما توحىه إلى دانتى من المعاني ، وبما تبدله في سبيله لكي تخلصه من أدران الدنيا وتسمو به إلى حياة الخلود

والصور الرمزية المتجلية في شخصية بياتريتشى مستمدة من أصول وظروف سابقة قريبة وبعيدة فهي متأثرة بصورة المرأة في شعر شعراء «الروبادور» وفهم الغنائى الموسيقى الراقص ، الذي تشكل وأينع في منطقة الپروڤنس في جنوب فرنسا في القرن الثاني عشر ، نتيجة عوامل لا يمكن تفسيرها تماماً فقد تعرضت هذه المنطقة خلال ألى سنة لمؤثرات فينيقية ويونانية وكلتية وغنوصية وأفلاطونية محدثة ورومانية وهراطيقية وعربية ومدرسية ، وكانت طريقاً لعبور التجارة ، وموضعاً لهجمات وغارات متوالية ، فضلاً عن اعتدال جوها وكان للأدب الأندلسي

بمضمونه وأسلوبه وأوزان أشعاره وأزجاله ، أثره الفعال في نمو الأدب الپروفرنسى ، وكما يتمثل ذلك في كتابة ابن حزم عن الحب الصوفى وعن علائم الإخلاص في الحبة المستمدة من تراث العرب ومن بيئة الأندلس ، وكما يتضح في أزجال ابن قزمان المستمدة من النبع العربى فضلا عن الحياة الأندلسية الواقعية ، بما تتضمنه من البساطة والسنداجة والمبالغة اللطيفة ، ومن أخبار المحبين ، ومن وصف لصور الطبيعة وحياة المجتمع وانتقلت هذه المؤثرات إلى شمال فرنسا ، حيث ظهر شعراء « التروفر » الذين مضوا على غرار أقرانهم من شعراء التروبادور في فنون الشعر والغناء والموسيقى والرقص . حينما أخفقت الحملات الصليبية ، وتأثر الأوربيون بحضارة المشرق ، ضعف العنصر الحربى في حياة أمراء الإقطاع ، فاتجهوا إلى حياة المجتمع ، وحلت لديهم دماء الطبع ورقة الشماثل مكان الغلظة والحشونة ، وأخذت المرأة مكانها في المجتمع الإقطاعى الجديد حيثئذ ، وظهرت السيدات المتنفقات ، وأصبح للشعر والقصص والموسيقى والغناء والرقص مكانة مرموقة في حياة أمراء العصر وفرسانه وعامته على السواء .

ولقد احتوى شعر التروبادور وأدب العصر على عنصر من الحب الجسدى الفاحش ، كما ظهر مثلا في شعر جيوم الأكويتانى ، ثم تحول في الأغلب — كما في شعر جيوم الأكويتانى ذاته — إلى حب رقيق لطيف ، أخذ ينمو ويتشكل في صورة حب روحى نبيل بلغ حد التبجيل والتقديس والعبادة . ونجد أندريا كاپلانوس في كتابه عن « فن الحب » يعبر عن مضمون هذا الحب النبيل ، الذى كان من شأنه أن يدفع الفارس النبيل إلى التحلى بالفضائل ، والحرص على الصدق والوفاء والإخلاص والنشامة والعفة ، والسمو بالنفس إلى أرفع المعانى ونجد مثلا إليانور الأكويتانية تعمل على تعليم النساء كيف يأسرن قلوب الرجال ، وكيف يقمن بتعليمهم وتهذيبهم وقيادتهم ، وبذلك تكون قد أسهمت في ظهور شخصية بياتريتشى ، ببعض ما أراد لها دانتي . ونجد مثلا برنارد دى فنتادرون يعبر في شعره عن ارتعاده أمام محبوبته ، واستعدابه بجراح الحب الذى لا قيمة عنده للحياة بغيره . ونقرأ شعر أرنو دانيل الذى يقول إن قلبه يريد محبوبته أكثر مما تفصح عنه كلماته ، وإن محاسن فاتنته مستمدة من الله الذى يقودها ويضئ

عليها من أمجاده . ونقرأ ما كتبه كريتيان دى أتروافى قصة الملك أرتور من « قصص المائدة المستديرة » عن حب تريستان وإيزولده العنيف الجارف ، اللذين خلدتهما ريتشارد فايجر فى موسيقاه ، كما نقرأ ما كتبه كريتيان عن حب لا نسلوت وجينفرا الرقيق النبيل ، اللذين أشار إليهما دانتي فى الأنشودة الخامسة من الجحيم

وقد أثر أدب التروبادور وأدب الفروسية فى الأدب الإيطالى الوليد فى لهجاته المحلية ، منذ أوائل القرن الثالث عشر فى المدرسة الصقلية فى عهد فردريك الثانى نجد مثلاً پييرو دلا فينيى يقول إن الحب كالمغنطيس وإن سلطانه كسلطان الملوك وفى المدرسة الفلورنسية الحديثة نجد جويدو جوينتلى يتأمل جمال المحبوب ، ويقول إن الحب يأوى إلى القلب النبيل كما تأوى الطيور إلى أوكارها ، وإن المرأة كالنجم تثير الحب فى قلب الرجل النقى الصافى . ويرفع جويدو كافالكانتى المرأة إلى مستوى الملائكة ، ويقول إن الهواء يرتجف بنورها حتى لا يجرؤ أحد على النظر إليها ونجد دانتي الذى ينتمى إلى هذه المدرسة الأخيرة يقول بأن الحب والقلب الرقيق ما هما إلا شئ واحد ، كما أنه ينمى المعنى الرمزى الذى أصبحت المرأة موضوعاً له ، فيقول إن بياتريتشى تعقل الألسنة ولا تجرؤ الأعين على النظر إليها ، وهى تأتى من السماء إلى الأرض لكى تقوم بالعجائب

وبياتريتشى فى المعنى الرمزى مستمدةٌ عند دانتي من الكتاب المقدس كذلك . فيمكننا أن ننظر إليها على أنها رمز للعدراء ماريا ، التى ولدت السيد المسيح ، والتى أصبحت عند المسيحيين موضوعاً للتقديس ، ومها استوحى النحاتون والمصورون والموسيقيون التماثيل والصور والألحان التى تعبر عن نواحٍ منها ، كالبشارة والميلاد ومشاركة المسيح عذابه وآلامه — كما عند المسيحيين . ويرى بعضٌ أن بياتريتشى رمز للسيد المسيح ذاته ، الذى هبط وسوف يهبط لخلاص البشر ، عند المسيحيين ، والذى أضحي موضوعاً لمادة غنية رائعة فى فنون النحت والتصوير والموسيقى ، عبرت كلها عن ميلاده وحياته وعذابه وتجليه وصعوده . ويرى بعض الباحثين أن بياتريتشى ترمز إلى الكنيسة ، التى تهدى البشر إلى سواء السبيل . ويرى بعضٌ أنها فى المعنى الصوفى رمز للإيمان أو الإلهام أو الوحي أو الروح القدس أو السر المقدس أو اتحاد النفس بالله . وحينما ركز دانتي هذه المعانى العلوية على بياتريتشى

الفتاة الفلورنسية ، جعل صورتها تتحدث مباشرة إلى الحواس وإلى ملكة الحسد عند من تخاطبهم ، على السواء ونظراً لأن صورتها تنبع من تجربة دانتى الشخصية ، فإنها تجد صدى لدى الناس بحسب التجربة الذاتية لكل منهم ، وهى بذلك تجمع فى ذاتها تعبيراً إنسانياً شاملاً وهذه وجهة واقعية للحياة الروحية أكثر منها وجهة روحية للحياة الواقعية وهذا هو بعض فن دانتى الذى يربط بين المعنى الرمزي والواقع الحى

واستمد دانتى صورة بياتريتشى من ظروف حياته كذلك وإن الأحوال والأوضاع الخاصة والعامة التى عاش دانتى خلالها ، والتى صيغت من المنازعات الأهلية ، ومن المطامع الشخصية ، ومن أعمال القسوة والعنف والغلظة ، ومن صور الدجل والنفاق ، ومن صنوف الفطرسة والعنجهية ، ومن ألوان الحسد والأنانية ، ومن خيبة الأمل ونكران الجميل ، ومن شقشقة اللسان ولغو الكلام — كانت كلها قمينة بأن تفجر فى نفسه فيضاً عكسياً من العواطف وكوئراً مغايراً من الأحاسيس ، التى لا تشوبها الكراهية أو المرارة ، بل تسودها البهجة والإشفاق والعطف والمحبة ، والتى نبتت من أعماقه ، وسرت كجوقة من الألحان المتصاعدة المتألقة وحاول دانتى إزاء ذلك أن يخرج بنفسه — وبالناس — من العالم الذى كدّه وأضناه إلى عالم من الحب الصافى ، فخلق صورة بياتريتشى نابعة كذلك من أغواره ، وجعلها ككائن علوى يضئ عليه — وعلى الناس — بين السخائم والأحقاد محبة علوية صافية ، ويشع عليه وعلى الآخرين بين الضباب والظلمات نوراً شفافاً ، يسمو بهم وبنفسه إلى عالم من الطمأنينة والخلاص والسلام وأى شئ غير هذا كان فنان شاعر مثل دانتى يصبو إلى بلوغه ؟

وقد رأينا أنه حينما ضل دانتى طريقه فى الغابة المظلمة ، فى بداية الجحيم ، وتعرض للمخاطر تحركت من أجله السماء ، فأومأت العذراء ماريا إلى لوتشيا بأن تدفع بياتريتشى لإنقاذ من أخلص لها الحب ، وابتعد فى سبيلها عن غمار الناس . فهرعت بياتريتشى من عليائها وجاءت باكية إلى موضع فرجيليو ، وحلته على أن يبادر إلى تخليص دانتى من الشر والأذى فامتثل فرجيليو لأمرها ، وهب لأداء مهمته فى إنقاذ دانتى وإرشاده واستعان فرجيليو باسم بياتريتشى لكى يمتد دانتى

بالشجاعة والعزم ، حتى يقوى على متابعة رحلته الشاقة خلال الجحيم وأغلب المطهر وكان قرجيليو واثقاً دائماً من مفعول اسمها السحري في دانتى فحينئذ كان يذكر له أنها هي التي ستفسر له ما عجز هو عن إيضاحه وما استعصى على فهمه . وحينئذ كان دانتى يواجه على ذكر اسمها المصاعب ويتخطى العقبات وحينئذ آخر كان يعبر عند سماع اسمها منطقة من النيران المتأججة المستعرة

ولتد جعل دانتى الفردوس الأرضي كختام للحياة على الأرض ، وكتمهيد لفردوس السماء الأبدى وهو مرحلة" يخلد فيها المنطهرون إلى التفكير والتأمل قبل الصعود إلى معارج السماوات ولما كان بناء الكوميديا يشتمل على عناصر من الأرض والسماء، فإننا نجد في الفردوس الأرضي الصور العديدة والرموز المتنوعة المتقابلة المتباينة ، التي تعدّ كتعبير عن الصراع بين ذكريات الأرض والشوق إلى السماء ونشهد في الفردوس الأرضي ما تليداً وسط الربيع الدائم ، بأطياره وأنسامه وأزهاره ورقصه وتوسيقاه وبذلك يؤهلنا دانتى لرؤية شيء عظيم

ويفتح باب السماء ، ويهبط موكب" جامع" للمعاني الواقعية والمثالية والبشرية والكونية والعلمانية والإلهية على السواء . ويتكون هذا الموكب من عربة الكنيسة الظافرة ، يسحبها الجريفون ، رمز السيد المسيح بطبيعته الإلهية والبشرية ، كما عند المسيحيين ، ومن الأنوار السبعة ، رمز لأرواح الله السبع ، ومن الأربعة والعشرين شيخاً ، رمز لإصحاحات العهد القديم ، ومن الحيوانات الأربعة ، رمز الأناجيل الأربعة ، ثم من الحوريات السبع على جانبي العربة ، رمز الفضائل السبع

وكان هذا كله تمهيداً تدريجياً محكماً اشتمل على عناصر متنوعة ، من الواقع والرمز ، ومن الأرض والسماء ، وجاء هذا كقدمات ريتشارد فايز لمسرحه الدرامى الرائع بصفة عامة ، أو لظهور الأبطال في مسرحه بصفة خاصة كان هذا كله تمهيداً دقيقاً محكماً لظهور بياتريتشى على مسرح الفردوس الأرضي ، كبشر وكرمز للحقيقة الإلهية في آن واحد

وكان ظهور بياتريتشى مهيباً وقوراً باعثاً لمشاعر متنوعة ، ليس من السهل الإفصاح عنها وتظهر في أول الأمر فوق العربة الظافرة ، وسط سحابة من الأزهار نثرها عليها أسراب" من الملائكة ولم يستطع دانتى أن يتبناها لأول وهلة على أن

بياتريتشى وإن كانت قد بقيت فترة خافية على عيني دانتي ، إلا أنها لم تخف أبداً على قلبه ، الذى أحس وجودها قبل أن يتبينها . وعرف دانتي علائم الشعلة القديمة فى صدره ، وأحس السلطان العارم لحبه القديم . بالقوة الخفية التى انبعثت منها ، والتى كانت قد أصابته بسهامها وهو لم يتجاوز دور الطفولة بعد . وحاول دانتي أن يعبر لفرجيليو عما انتابه عندئذ من الوجد ، الذى لم يدع فى جسمه قطرة دم لا ترتجف . وكانت هذه كلمات جريئة صادقة تهزّ المشاعر ، جاءت كجملة موسيقية مفاجئة فى لحن موسيقى إنسانى ، لأنها تذكرنا بأن علائم الحب الإنسانى واحدة فى كل زمان ومكان . ولم يسمع فرجيليو الأب العزيز الحبيب ما قاله دانتي ، لأنه كان قد ارتحل وتوارى

وقبل أن تأتى بياتريتشى إلى الفردوس الأرضى ، كانت تمدّ لدانتي يد العون من بعيد . أما الآن ففراها جاءت إليه بنفسها لكى تصبح المعينة المخلصة المائلة بشخصها . وعندئذ تتغير لأول وهلة طريقتها فى عونه . وهى حينما كانت بعيدة عنه لم يكن لها سوى كلمات المعونة والنجدة المشوبة بالعطف والمحبة ظاهراً وباطناً . ولكن طريقة معونتها تختلف حينما تمثل بذاتها . وربما يدهش القارئ عندما يجد بياتريتشى لا تظهر لدانتي آيات الترحاب والمحبة ، التى كان ينتظر أن تبذلها له ، بل يجدها تبادره بكلمات اللوم والعتاب والتقريع الشديدة القاسية . وهى حينما ترى دانتي يهرع إلى فرجيليو طلباً للعون والمساندة ، وحينما ترى دمه المنهمر لارتحال فرجيليو عنه ، عندئذ تناديه باسمه ، وتطلب إليه ألا يسترسل فى البكاء للذهاب فرجيليو ، إذ أن هناك من الأسباب الخطيرة ما سوف يحمله على البكاء مزيداً ، وتسأله كيف اجترأ على القدم صُعداً فوق مدارج الجبل ، الذى ما هو إلا موئل* للسعداء من البشر . وكأنها بذلك تتجاهل كل ما بذله من الجهد والعناء فى رحلته الشاقة ، حتى بلغ هذا الموضع ، وتجعله يبدو كأنه لا يزال فى بدء رحلته فى الغابة الكثيفة المظلمة . ومضت بياتريتشى تذكر له كيف كان جهالها فى الدنيا ومساندتها إياه عاملين أساسيين سارا به فى الطريق القويم ، ولكن ما إن غادرت عالم الأرض ، وسمت من حياة الجسد إلى حياة الروح ، وزاد الفضل والجمال فى أعطافها ، حتى أصبحت لديه أقلّ إعزازاً وأدنى قبولا ، وانساق وراء نساء أخريات وانحرف إلى مواطن الزلل ، وهوى إلى الحضيض

وكان موقف بياتريتشى من دانتي عاملاً أثار فى قلوب الملائكة الرحمة والعطف عليه ، فشرعوا يرتلون شيئاً من آيات الكتاب المقدس ، وعندئذ ملأ دانتي الأسى على ما ارتكبه من المعاصى ، وذرف المزيد من دمه الهتون وتابعت بياتريتشى لومها وتقريعها متسائلة عن العقبات والمغريات التى سارت به فى طريق الضلال ، وقالت إنه كان ينبغى عليه أن يسمو وراءها حينما أصابته سهام الأمور الخادعة ، وإنه ما كان ينبغى للأمور الباطلة أن تخفض إلى الأرض أرياشه ولسعت دانتي شوكة الندم وأحس بوخز الضمير ، حتى اشتدت كراهته لكل ما ازداد ميلاً إلى محبته من مغريات الدنيا الزائفة واستعرت وطأة التقريع والأسى والندم على دانتي حتى سقط على الأرض فاقد الوعى

وكانت هذه كلمات عنيفة قاسية كحدّ السيف القاطع ، جعلت هذا الموقف يقدر كله بالشر . ولكن قسوة بياتريتشى لم تكن قسوة مقصودة لذاتها ، بل كانت آية إعزاز ومحبة لأنها لم تهدف إلا إلى بلوغ دانتي مراحل الطهر والنقاء والصفاء ، وصعوده إلى مراتب السعادة فى الدنيا والآخرة ومن منا يمكنه أن يفرّق بين القسوة التى باطنها الرحمة وبين العطف الذى يؤدّى إلى الأذى والضرر ؟ وألا يوجد بين الناس من يرضى بقسوته الضارة بغيره — أو بنفسه — بدون أن يرضى هو بقسوة غيره عليه ، ولو كان هدفها نفعه ونخيره ؟

وحينما عاد دانتي إلى وعيه ، وجد ماتيلدا تغمره حتى عنقه فى مياه هر لتي ، لكى تطهره من آثار الخطايا ثم أخرجته واقتادته بين الحوريات اللاتى كن يرقصن ، بينما كانت أنغام التريل العلوية تصدح فى أرجاء الفردوس الأرضى وسار دانتي حتى بلغ موضع بياتريتشى ، فرأى فى عينها الجريفون منعكساً بصورته البشرية والإلهية معاً ، وتبين جمال بياتريتشى الإلهى الذى عجز عن وصفه . ونظر دانتي مشهداً يرمز إلى ما لقيته الكنيسة من اضطهاد الأباطرة الرومان ، ومن ويلات السياسة ، ومن فساد الضمائر وانحلال الأخلاق وتأهبت بياتريتشى للمسير ، وسألت دانتي أن يسارع الخطى حتى يكون فى موضع ملائم لكى يتحدثا معاً ، وعملت على أن تزيل ما فى نفسه من مشاعر الخوف والحجل وقالت له بياتريتشى إن الأمبراطورية لن تظل أبداً دون وريث ، وسيأتى الزمن الذى يظهر فيه رسول من السماء لكى يقضى على مفاسد الدنيا . وأفادته بأن تعاليم الفلسفة

لا تكفى وحدها لإيضاح ما أشكل عليه فهمه وسوف ينضح له كل شيء حينما
 ينعم في الفردوس بالنور الإلهي وأشرفت بياتريتشى على إرواء دانتى ، بمعونة
 ماتيلدا ، من مياه هر إينووى ، فعادت إليه ذكرى الأعمال الحميدة وبذلك
 صار دانتى مولوداً جديداً ، وأضحى نقيّاً طاهراً مؤهلاً للصعود إلى مدارج النجوم .
 ويتجلى فنّ دانتى الشعري في هذا الموقف الذى مرّ فيه دانتى المرتحل بتجربة
 درامية قوامها حبه المعجز ، والصراع فى نفسه بين الخير والشر ، وفى الصورة
 التى رسم لنا فيها بياتريتشى كفتاة فلورنسية بلوها وعينيها وثيابها ، وبلومه وعتابه
 كامراً انصرف عنها عاشقها ، وكربة شعر ومعلمة وهادية ، وكرمز للحقائق
 الإلهية فهى تلهمه وتسقيه من رحيق پارناسوس فتنبثق من ينبوعه روائع الشعر
 وهى بما تثيره فيه من العاطفة الخالصة ، تنقيه من الدنيا وتصل نفسه وتسمو به
 إلى أرفع المعانى وهى تعلمه وتشرح له بطريقة عقلية ما غمض عليه من أمور
 الدنيا والآخرة ، بقدر ما يمكن أن يتقبله إدراكه وهى بتآلفها واتحادها بالله تعمل
 على أن تضى على دانتى معنى الإلهام ، الذى ستتخذة وسيلة فى سبيل هدايته
 وإرشاده والصعود به إلى معارج الفردوس

وهذا الموقف الذى شهدناه بين بياتريتشى ودانتى هو النمو الطبيعى فى بناء
 الكوميديا حتى هذا الموضع ولما يلي منها ولقد اكتسب دانتى الرحالة فيضاً من
 الخبرة ، وعرف ألواناً من خفايا النفس البشرية ويبدو هذا الموقف كأنه التجلى
 الشعري والبهجة النامية الناجمة عن عودة دانتى إلى بياتريتشى وإن الصور والمعانى
 الواقعية والمثالية والديوية والإلهية ، التى أرادها دانتى لبياتريتشى ، لتبهنا وتجتذبننا
 إليها ، وهى تتلاقى وتتباعد ، وتتقابل وتنفرد ، وتتآلف وتمتزج ، كأنها أنغام
 إنسانية علوية أرضية إلهية تفعل فعلها فى ذوى النفوس المرفهة وسوف نعود إلى
 بياتريتشى حين ننشر ترجمة الفردوس

* *

وبعد فأرجو أن أكون قد قدمت للقارئ العربى - ولنفسى - شيئاً يساعد
 على الاقتراب من شعر المطهر وتذوقه ، ويا حبذا لو حرص بعض الناس على
 دراسة اللغة الإيطالية ، لكى يتذوقوا بأنفسهم ألواناً من فنّ دانتى المتدفق من
 فيض منله العذب الرائق الصافى

النشيد الثاني

المطهر

الأنشودة الأولى^(١)

وصل دانتى وفرجيليو إلى ساحل جبل المطهر ، فأخذ دانتى يستنجد بربات الشعر لكي تساعدنه على وصف زرقاء السماء التي أبهجت عينيه بعد أن خرج من ظلمة الجحيم ، ورأى الزهرة التي أبهجت المشرق بضوئها المتألق وشهد دانتى أربعة نجوم تضيء السماء ؛ وترمز للفضائل الرئيسية الأربع ؛ ثم رأى دانتى كاتو حارس المطهر ذا اللحية الطويلة والشعر الأبيض ، الذى أظهر دهشته عند رؤية الشاعرين ، وسألهما عن سبب وجودهما فى هذا الموضع جعل فرجيليو دانتى يركع ويطلق رأسه وأخذ يشرح الأمر لكاتو ، وأفاده بأن سيدة من السماء — بياتريتشى — طلبت إليه أن يسعف دانتى ، فجاء به إلى هذا المكان لكي يريه الأرواح التى تطهر نفسها فى رعايته وقال فرجيليو إن دانتى يبحث عن الحرية ، التى يعرفها هو نفسه حق المعرفة وقد رفض الحياة بدونها ، وأفاده أن دانتى لإنسان حى ، وأنه هو من حلقة العيون الطاهرة — أى اللبوة — وحاول أن يستحلفه باسم زوجته مارتيزيا لكي يستجيب إلى طلبه فأجاب كاتو بأن مارتيزيا لا أثر لها عليه الآن بحكم قانون المطهر ، ولكن يكفى أن يلف وسط دانتى بالأسل الناعم ، رمز التواضع ، ويغسل وجهه من علائق الجحيم بقطرات الندى وبينما كان الفجر يهزم نسيم الصباح أخذ فرجيليو يغسل وجه دانتى وقد تساقط دمعته على خديه ، فكشف عن لونه الطبيعى ، ثم طوقه بالأسل ، ذلك النبات الحفيظ الذى كان يعود إلى النمو كلما اقتلع

- ١ الآن يرفع زورق فكرى أشرعته^(٢)، لكى يجرى على مياهٍ أهدأ^(٣)، تاركاً وراءه بحراً خضماً^(٤)،
- ٤ وسأغنى بتلك المملكة الثانية^(٥)، حيث تنطهر الروح الإنسانية^(٦)، وتصبح جديدةً بالصعود إلى السماء .
- ٧ ولكن فليُبعث هنا ميت الشعر^(٧)، ما دمت أنتمى إليكن^(٨) - يا ربّات الشعر المباركات^(٩) - ولتنهض كاليوني برهة^(١٠)،
- ١٠ ولتصاحب نشيدى بذلك النغم الذى أحسست العقائق البائسة بوقع ضرباته^(١١)، حتى أيسّت بذلك من الغفران^(١٢) .
- ١٣ إن لوناً رائعاً من لازورد المشرق^(١٣)، الذى أخذ يتجمّع فى صفحة الهواء الرائق^(١٤) - الصافى حتى أولى الدوائر^(١٥) -
- ١٦ أعاد البهجة إلى عيى^(١٦)، حينما خرجتُ من الهواء الميت^(١٧)، الذى كان قد أحزن قلبي وقبض صدرى^(١٨)
- ١٩ لقد أضحك المشرق كله^(١٩)، الكوكبُ الجميل الذى يهين النفس للمحبة^(٢٠)، حينما حجب برج الحوت الذى كان فى رفقته^(٢١)
- ٢٢ فاستدرت إلى اليمين^(٢٢)، واتجهت بفكرى إلى القطب الآخر^(٢٣)، فرأيت أربعة نجوم^(٢٤)، لم تبصرها بعد أول البشر عينٌ أبداً^(٢٥) .
- ٢٥ وبدت السماء تنعم بأنوارها^(٢٦): إيه يا أرض الشمال المترملة بحرمانك من التطلّع إليها^(٢٧) !
- ٢٨ ولما توقفتُ عن مرآها واتجهت قليلا إلى القطب الآخر^(٢٨)، حيث كان الدب الأكبر قد توارى^(٢٩)،
- ٣١ رأيت بقرى عجوزاً بمفرده^(٣١)، جديراً فى مظهره بالنجلة التى ليس للابن أن يبدى لأبيه أكثر منها^(٣١)
- ٣٤ كان ذا لحية شيباء طويلة^(٣٢)، تشبه شعر رأسه الذى سقطت منه على صدره خصلتان^(٣٢) .
- ٣٧ وبالنور زينت مُحبيّاه أشعةُ الأنوار الأربعة المباركة^(٣٣)، حتى رأيت كَأَن قد صارت أمامه الشمس^(٣٤)



٣ - دانتي وفرجيليو على شاطئ المطهر
يتطلعان إلى الزهرة

- ٤٠ قال وهو يحرك لحيته الوقورة^(٣٥) : « من أنتما اللذان هربتما من السجن الأبدى^(٣٦) — بعكس اتجاه النهر الأعشى^(٣٧) ؟ »
- ٤٣ ومن ذا الذى أرشدكما ، أو بأى مصباح اهتديتما ، حينما خرجتما من أغوار الليل الذى يُظلم وادى الجحيم أبداً^(٣٨) ؟
- ٤٦ أهكذا خُرقت قوانين الهاوية ؟ أم تبدلت أخيراً أحكام السماوات ، حتى تأتيان آثميين إلى صخراتى^(٣٩) ؟ »
- ٤٩ حينئذ أمسك بى دليلى^(٤٠) ، وبكلماته ويديه وإشارات منه ، جعلنى أبدى له احترامى بالساقين والعينين^(٤١)
- ٥٢ ثم أجابه « لأننى لم أجد من تلقاء نفسى بل لقد نزلت من السماء سيدة^(٤٢) ، وبرجائها أسعفت بصحبى هذا الرجل^(٤٣) »
- ٥٥ ولكن ما دامت رغبتك هى أن تستزيد إيضاحاً عن حقيقة أمرنا^(٤٤) ، فلن تقوى لى رغبة على أن أرفض ذلك^(٤٥)
- ٥٨ لم ير هذا الرجل مساءه الأخير بعد^(٤٦) ، ولكنه يجنونه ازداد إليه اقتراباً^(٤٧) ، حتى لم يعد للرجوع عنه سوى وقت جدّ قصير^(٤٨)
- ٦١ وكما قلت^(٤٩) ، لقد أرسلت إليه لكى أنقذه^(٥٠) ، وما من طريق كان له أن يتبعه سوى هذا الذى اتخذته^(٥١)
- ٦٤ ولقد أريته كل الآثمين من الناس^(٥٢) : وقصدى الآن أن أظهره على تلك الأرواح^(٥٣) التى تطهر نفسها تحت سلطانك^(٥٤)
- ٦٧ سيطول بنا الأمر إذا قلت لك كيف جئت به^(٥٥) ، وإن فضلاً ليهبط من أعلى^(٥٦) ، يعيننى على أن أقوده كى يراك ويسمعك^(٥٧) .
- ٧٠ وعسى أن يروقك الآن أن ترحّب بمقدمه : إنه يسير فى طلب الحرية^(٥٨) ، التى هى عزيمة غالية^(٥٩) ، كما يعرف ذلك من يبذل فى سبيلها حياته^(٥٩) .
- ٧٣ وإنك بها عليم^(٦٠) ، إذ لم يكن موتك بسببها فى أوتيك^(٦١) شيئاً مريئاً ، حيث تركت الثوب^(٦٢) الذى سيصبح شديد التألق فى اليوم العظيم^(٦٢)
- ٧٦ وإننا لم نخرق القوانين الأبدية^(٦٣) ، لأن هذا الرجل لإنسان حتى^(٦٤) ، ومينوس لا يقيدنى^(٦٥) ، ولكننى أنتمى إلى الحلقة التى بها العينان الطاهرتان^(٦٦) ،

- ٧٩ حلقة مارتزيا زوجك^(٦٧)، التي تبدو أنها لا تزال ترجوك — أيها الروح المبارك — أن تحتفظ بشخصها النفسك^(٦٨): ولذلك فلتستجب باسم حبها إلينا^(٦٩).
- ٨٢ ولتدعنا نذهب خلال ممالكك السبع^(٧٠): وسأقصّ عليها آيات فضلك ، إذا كان يعينك أن تُذكر هناك في أسفل^(٧١) .
- ٨٥ فقال عندئذ « حينما كنت في ذلك الجانب^(٧٢) ، كانت مارتزيا في عينيّ عزيزة حتى لبيت كل ما سألتني إياه من المكرمات
- ٨٨ وهي بإقامتها الآن خلف مهر الشر^(٧٣) ، لا تقوى على أن تؤثر فيّ مزيداً ، بذلك القاذون^(٧٤) الذي وُضع حينما خرجت من هناك^(٧٥) .
- ٩١ ولكن إذا كانت سيدة من السماء تحرّكك وترشدك^(٧٦) ، كما تقول ، فلا حاجة لك بكلمات الإغراء وحسبك حقاً أن تسألني باسمها^(٧٧)
- ٩٤ امض إذاً ، واعمل على أن تلف وسطه بأسل ناعم^(٧٨) ، وتغسل وجهه ، حتى يزول عنه كل قدر بذلك^(٧٩) ،
- ٩٧ إذ لا يليق السير بعين تغشاها أثارة من الضباب^(٨٠) ، أمام أول راعٍ من بين رعاة الفردوس^(٨١) .
- ١٠٠ هذه الجزيرة — هناك حيث يضربها الموج حول أسفل مواقعها — تحمل أسلا فوق طميتها اللين^(٨٢) ،
- ١٠٣ ولا نبات غيره مما تنمو أوراقه أو يجفّ ، تُتاح له الحياة هناك ، إذ لا يميل مع لطمات الموج^(٨٣)
- ١٠٦ وعلى ذلك فلن يكون من هنا رجوعك ، وإن الشمس التي هي الآن في دور طلوعها^(٨٤) ، ستريك كيف تصعد الجبل عند مرتقى أيسر^(٨٥) »
- ١٠٩ وهكذا اختفى ، فنهضت واقفاً^(٨٦) بدون كلام ، واقتربت تماماً من دليلي ووجهت عينيّ إليه
- ١١٢ فبدأ « فلتتبع خطاى ولتتجه إلى الوراء^(٨٧) ، لأن هذا السهل ينحدر من هذا الموضع حتى حدوده السفلى^(٨٨) »
- ١١٥ وكان الفجر يظفر بنسيم الصباح الذي أخذ في الهرب أمامه ، حتى تبينت من بعيد رجرجة البحر^(٨٩)

- ١١٨ وشرعنا نسير في السهل الخالي^(٩٠) ، كمن يعود إلى الطريق الذي ضلّ عنه ،
ويبدو له السير عبثاً - حتى يبلغه^(٩١)
- ١٢١ ولما أصبحنا هناك حيث تعترك قطرة الندى مع أشعة الشمس ، وإذا تداعبها
في مرقدتها أنسامُ الفجر ، فلا يتبخّر من مائها سوى جزّيات^(٩٢) ،
- ١٢٤ وضع أستاذي برفقٍ كلتا يديه الممدودتين على العشب الناعم^(٩٣) وحينما
أدركتُ قصده أوليته عندئذ
- ١٢٧ خدّتي المخضلين بالدمع^(٩٤) وهنا أزال مئى تماماً ذلك اللون الذي أخفته
مئى أوضار الجحيم^(٩٥)
- ١٣٠ ثم بلغنا الشاطئ القفر ، الذي لم يشهد أبداً فيمن جابوا مياهه من البشر ،
من صار بعدُ خبيراً بالعودة منه^(٩٦)
- ١٣٣ وهنا طوّقتي كما راق ذلك للآخر^(٩٧) وباللهعجب ! فقد كان كلما اقتلع
شيتاً من النبات الخفيض^(٩٨) ، عاد توّاً إلى نموه ،
- ١٣٦ هناك حيث انتزعه^(٩٩)

حواشى الأنشودة الأولى

- (١) الأنشودة الأولى مقدمة للمطهر
- (٢) يشبه دانتي فكره - أو عبقريته - بزورق يجوب مياهاً هادئة بعد أن خرج من الجحيم إلى المطهر وفى الأصل مياه (أفضل)
- Virg. Geor. IV. 117
- (٣) تقترب هذه الصورة مما أورده فرجيليو
- (٤) أى أنه ترك وراءه عالم الجحيم القاسى
- (٥) يعنى عالم المطهر الذى يقع فى مقابل الجحيم والمطهر - جبل - مرتفع يحوطه الماء وله مدخل وسبعة أفاريز يعلوها الفردوس الأرضى
- وتوجد صورة تمثل دانتي يقرأ الكوميديا ومن المناظر الواضحة خلفه - جبل - المطهر وهى من رسم دومنيكو دى ميكيلينو من القرن ١٥ وهى فى كنيسة سانتا ماريا دل فيورى فى فلورنسا
- (٦) يتكرر هذا التعبير فى هذه الأنشودة فى بيت ٦٦ وفيما بعد
- Purg. XVII. 83; XXVI. 92;
- (٧) يرمى الشعر الذى تناول من قبل عالم الموتى فى الجحيم ويمكن أن يترجم لفظ (qui) بقولنا (الآن) بدلا من (هنا) .
- (٨) أى أن دانتي يتلقى الوحى من ربّات الشعر وييشبه هذا قول هوراتيوس
- Hor. Od. III. IV. 21.
- (٩) يستنجد دانتي كما دته برّبات الشعر لكى يقوى على القول .
- (١٠) كاليوبي (Calliope) إحدى ربّات الشعر التسع فى الميثولوجيا اليونانية ، وتختص رعاية شعر الملأحم ، ويقال إنها أم أوفيدىوس ، ويشبه هذا المعنى ما أورده فرجيليو وأوفيدىوس
- Virg. Æn. IX. 525.
- Ov. Met. V. 338.
- (١١) هؤلاء هن البنات التسع لبيروس ملك أماثيا فى مقدونية ، اللاتى تطاولن على ربّات الشعر ، وزعن أنهن يفضلنهن فى الغناء فهزمتن كاليوبي وتحولن إلى عقاقع جمع عقق (pica) وهى طيور تشبه الغربان . وأورد أوفيدىوس أسطورتهن
- Ov. Met. V. 293-678.
- (١٢) أى أن ربة الشعر غلبت بنات بيروس فى الغناء وليس لهن أمل فى العفو حتى يرجعن إلى صورتهن الأولى .
- (١٣) خرج دانتي من ظلمات الجحيم إلى المطهر فرأى لون السماء كلون حجر الصفير - الياقوت الأزرق - الذى يأتى من المشرق
- (١٤) هذا هو الأثير الصافى .
- (١٥) ربما كان المقصود بالدائرة الأولى الأفق - أو سماء القمر أو سماء المحرك الأولى فى الفردوس .

- (١٦) يبدأ دانتي دخول المطهر بشعور بهج سعيد يعكس دخوله في الجحيم .
- (١٧) يعنى هواء الجحيم المظلم
- (١٨) أى الذى أحزن قلبه ونفسه وأضفت (قبض) تأكيداً لمعى الحزن والكرب .
- (١٩) تجعل الزهرة الشرق بضوئها ضاحكاً مبتهجاً . وهذا مزج بين صفات الإنسان والكواكب .
- (٢٠) يعنى كوكب فينوس أو الزهرة . والمقصود أن الوقت كان حوالى الساعتين قبل شروق الشمس في يوم الأحد ١٠ أبريل ١٣٠٠
- (٢١) أى حجب الزهرة سائر النجوم في برج الحوت بضوئها الساطع
- (٢٢) يعنى إلى الجنوب .
- (٢٣) أى القطب الجنوبي .
- (٢٤) هذه نجوم تخيلها دانتي وترمز لفضائل العدالة والحكمة والقوة الخلقية وضبط النفس .
- (٢٥) أول البشر يعنى آدم وحواء .
- (٢٦) يعنى بضياء الفضائل الأربع
- (٢٧) يقصد أن الجحيم - الأرض المترملة - التى تقع في الشمال محرومة من ضياء هذه الفضائل .
- (٢٨) أى القطب الشمالى .
- (٢٩) يعنى أن الدب الأكبر لا يظهر إلا لمن هوفى نصف الكرة الشمالى .
- (٣٠) هذا هو ماركوس بورسيوس كاتو (٩٥ - ٤٦ ق.م ،) (Marcus Porcius Cato) السياسى الرومانى من أنصار الجمهورية ، الذى عارض قيصر وبومبي ، وعند ما قامت الحرب بينهما انضم إلى الأخير ، وهرب بعد معركة فارصاليا قاصداً أفريقياً ، وهزم قيصر فانتحر . وعلى رغم أنه عاش قبل المسيحية فإن دانتي جعله حارس المطهر ، لأنه يمثل عنده الرجل الوطنى المدافع عن الحرية . وسبقت الإشارة إليه في الجحيم ، وعرف فرجيليو قدره
- Inf. XIV. 15.
- Virg. Æn. VIII. 670.
- (٣١) هذه صورة دقيقة لاحترام الشيخوخة والأبوة مأخوذة من الحياة الواقعية .
- (٣٢) لم يكن كاتو عند انتحاره شيخاً في الواقع . وربما فهم دانتي نص لوكانوس على هذا النحو
- Luc. Phar. II. 373-376.
- (٣٣) أى أشعة الفضائل الأربعة .
- (٣٤) بلغ به الضوء هذا المستوى الوضاء .
- (٣٥) حركة الشعرات مأخوذة من حياة الإنسان . ويشبه هذا قول هوراتيوس
- Hor. Od. IV. X. 2...
- (٣٦) دهش كاتو لرؤية فرجيليو ودانتي وظن أنهما هاربان من الجحيم فخطبهما بمزيج من الدهشة والغضب .
- (٣٧) هذا هو الممر المظلم الذى يصل بين مركز الأرض وجزيرة المطهرة
- Inf. XXXIV. 127...

(٣٨) هكذا يستمر كاتو فى استفهامه بهذه الأسئلة المتلاحقة

(٣٩) يعنى إلى الموضع المكلف بحراسته . ويتكرر استخدام لفظ (grotte) بمعنى صخرات

Inf. XIV. 114; XXI. 110. Purg. III. 90; XIII. 45; XXVII. 87.

(٤٠) أمسك فرجيليو دانتى كما فعل غير مرة فى الجحيم .

(٤١) هذه علام الاحترام لشخص كاتو . وعبر دانتى بحركته عن المعنى المقصود .

(٤٢) أى بياتريتشى كما ورد فى الجحيم

Inf. II. 52-120; XII. 88-91.

(٤٣) هكذا يجيب كاتو عن بعض أسئلته .

(٤٤) يعنى هل هما من أهل الخطايا ، وإذا لم يكونا فاحالهما

(٤٥) لا يستطيع فرجيليو رفض ما يطلبه كاتو ، ويعبر عن ذلك بأسلوب رقيق .

(٤٦) أى أن دانتى لم يمت بعد ، والمقصود الموت الروحى .

(٤٧) يعنى أوشك دانتى على أن يفقد نفسه بارتكاب الخطايا

(٤٨) أى أن فرجيليو أنقذ دانتى من موت روحه بارتكاب الخطايا وهذه إشارة إلى ما سبق فى

Inf. I. 61; II. 61-66.

الجحيم

(٤٩) هذه إشارة إلى أبيات ٥٢ - ٥٤

(٥٠) كانت بياتريتشى قد أرسلت فرجيليو لإنقاذ دانتى كما سبق : Inf. II. 58

(٥١) كان هذا هو الطريق الوحيد لإنقاذ روح دانتى كما سبق Inf. I. 91

(٥٢) يعنى أهل الجحيم

(٥٣) أى أهل المطهر

(٥٤) يعنى أن كاتو هو حارس المطهر

(٥٥) هذا استمرار فى الإجابة عن أسئلة كاتو

(٥٦) هذه إشارة إلى تدخل السماء وبياتريتشى لإنقاذ دانتى

(٥٧) أى لكى يعرف كيف تتطهر النفوس

(٥٨) هذه هى الحرية الخلقية أساس كل الحريات وورد هذا المعنى فى «الكتاب المقدس» وفى الكوميديا :

Rom. VIII. 2.

Inf. XVI. 61. Purg. XXIV. 141; XXVII. 115-117, 139-142.

(٥٩) يعنى أن كاتو انتحر فى سبيل الحرية . وفى الأصل (يرفض) الحياة

(٦٠) كان كاتو يعرف قدر الحرية ، وعند ما هزم انتحر فى أوتيكا (Utica) المستعمرة الفينيقية

الأصل بقرب قرطاجنة فى شمال أفريقيا

(٦١) أى جسمه

(٦٢) يعنى أن جسمه سيصبح مضيئاً يوم القيامة لأنه سيكون من الطوبايين .

(٦٣) هكذا يتابع فرجيليو الإجابة عن أسئلة كاتو .

(٦٤) دانتى إنسان حى وبذلك لم تحرق قوايين المطهر

- (٦٥) وثرجيليو ليس من الآثمين الذين يرسلهم مينوس إلى عذاب الجحيم
 Inf. V. 4
- (٦٦) أى أن اللبؤ هو مكان ثرجيليو
 Inf. IV. 39.
- (٦٧) مارتزيا مكانها اللبؤ
 Inf. IV. 128.
- (٦٨) كان كاتو قد ترك زوجته مارتزيا لصديقه هورتيثيوس ، ولما مات تزوجت كاتو من جديد .
- (٦٩) يستحلفه بالحب أن يستجيب إليهما ، والمفروض أن شفاعاة الحب لا ترفض . وفى الأصل فعل
 (ينعطف أو يميل)
- (٧٠) يعنى أفاريز المطهر
- (٧١) أى فى اللبؤ
- (٧٢) يعنى عند ما كان فى الدنيا
- (٧٣) أى وراء هرأكيرونتي الذى يحيط بالجحيم
- Inf. III. 122...; XIV. 112-119.
- (٧٤) يعنى القانون الذى يمنع تبادل العاطفة بين أهل الجحيم وأهل المطهر وهذا مقتبس من . « الكتاب المقدس »
- (٧٥) أى عند ما نزل المسيح لإخراج بعض النفوس من الجحيم :
 Inf. IV. 55-61.
- (٧٦) يعنى بياتريثى .
- (٧٧) يكنى أن يسأل ثرجيليو كاتو باسم بياتريثى حتى يستجيب له .
- (٧٨) الأصل (juncus) نبات عشبي تصنع منه الحصر .
- (٧٩) أى أنه ينبغى إزالة آثار الجحيم من وجه دانتي ومن نفسه حتى يصبح جديراً بزيارة المطهر
 ويشبه هذا المعنى ما ورد فى التراث الإسلامى من حيث إزالة آثار الدنيا بالاغتسال
 ابن مخلوف ، عبد الرحمن كتاب العلوم الفاخرة فى النظر فى أمور الآخرة . القاهرة ،
 ١٣١٧ هـ . ج ٢ ص ٦٢ سطر ١٣
- (٨٠) يعنى كل آثار الجحيم
- (٨١) يقصد الملاك الحارم لدخول المطهرة
 Purg. IX. 73-132.
- (٨٢) الأصل رمز للتواضع والتوبة .
- (٨٣) الأعشاب التى تزيد درجة نموها تصبح قوية ولا تميل مع الأمواج فتتكسر ، بعكس الأصل
 المشب البدائى اللين الذى يميل ويتحرك مع لطمات الأمواج
- (٨٤) أى أن الصعود سيكون جهة الشرق .
- (٨٥) يحدد بهذا موضع الصعود فى المستقبل
 Purg. III. 76-77.
- (٨٦) كان دانتي حتى هذه اللحظة لا يزال راكماً على ركبتيه احتراماً لكاتو .
- (٨٧) يعنى أنهما سيتوجهاً صوب الجنوب
- (٨٨) أى ينحدر نحو شاطئ البحر
- (٨٩) كان الفجر سبباً فى تحرك الهواء ولهذا رأى دانتي اضطراب البحر وهذه إحدى صور الطبيعة
 التى رسمها دانتي بريشته .

- (٩٠) عند ما اختفى كاتو أصبح الطريق خالياً إلا من الشعارين .
- (٩١) هذا تصوير دقيق لحال من يفضل الطريق فيأخذه القلق حتى يعود إليه
- (٩٢) هذا تصوير بارع لشروق الشمس وسقوط الندى وتبخره بأشعتها وبهبوب النسيم
- (٩٣) هذه حركة فرجيليو الرقيقة لكي يغسل وجه دانتي .
- (٩٤) بكى دانتي عند ما أدرك رغبة فرجيليو ، وكان هذا بكاء التوبة والفرح والشعور الرقيق بما هو مقبل عليه
- (٩٥) يعنى غسل وجهه وأزال ما علق به من آثار الجحيم وأعاد إليه لونه الطبيعي .
- (٩٦) هذا دليل على خشونة البحر وصعوبة الملاحة في هذا الموضع ، ويقال إن أوليسيس غرق فيه
- Inf. XXVI. 133..,
- (٩٧) أى أحاط وسطه بالأسل كما راق لكاتو أن يفعل ذلك
- (٩٨) يعنى النبات الضئيل رمز التواضع
- (٩٩) تجدد النبات بعد اقتلاعه رمز لزيادة التواضع عند ممارسته من جديد ويشبه هذا ما ورد في الإنيادة

Virg. Æn. VI. 143..,

الأنشودة الثانية^(١)

أخذ الليل يرخى سدوله فى أورشليم بينما كان النهار طالماً فى المطهر ، وتحول لون السماء إلى الصفرة ، وكان الشاعران على شاطئ الجزيرة ، حينما رأى دانتى نوراً يعبر البحر بسرعة فائقة ، وباقترابه تبين أنه ملاك السماء حمل فرجيليو دانتى على أن يركع ويضم يديه احتراماً له ، وخفض دانتى عينيه لشدة الضياء ، ووصل الملك بقارب سريع يحمل الأرواح السعيدة التى كانت ترتل آيات عن خروج إسرائيل من مصر وبدت جماعة الأرواح غريبة على الشاطئ القفر ، وسألوا الشاعرين عن طريق الذهاب إلى التطهر ، فأجاب فرجيليو بأنهما غريبان مثلهم ، وأنهما قدما عبر طريق شاق وعمر حينما أدركت الأرواح أن دانتى لإنسان حتى ازدحمت حوله ونسيت الذهاب إلى التطهر وخرج شبح لعناق دانتى بحب عظيم وحاول دانتى القيام بالمثل ، ولكن يديه رجعتا إلى صدره ، وعرف دانتى أن هذا هو شبح كازيلا الموسيقى الفلورنسى ، فسأله لِمَ تأخر تطهره ، فأجابه بأن هذه هى رغبة ملاك السماء التى هى مصوغة من إرادة الله وطلب إليه دانتى أن يتغنى بأغنية من شعره ففعل ، وانتبه الجميع إلى أنغامه العذبة وعندئذ صاح بهم كاتو - حارس المطهر - وعنفهم لتكاسلهم وأمرهم بالمسارعة إلى الجبل لكى يتطهروا ، فاندفعوا كالحمام الذى يخيفه خطر داهم بينما يلتقط الحب ، وتركوا الغناء وساروا إلى جبل المطهر ، وكذلك سار الشاعران .

- ١ كانت الشمس قد بلغت الأفق^(٢) الذى يغطى أعلى موضع^(٣) من خطّ زواله^(٤) ، مدينةَ أورشليم ،
- ٤ والليل^(٥) الذى يدور بعكس الشمس^(٦) ، أخذ يخرج من منطقة الكنج^(٧) مع برج الميزان^(٨) ، الذى يسقطه الليل من يده عندما يسبق^(٩) ؛
- ٧ حتى إن خدّى الفجر الجميل الأبيض المشوبين بالحُمْرة^(١٠) ، تحوّل بمرور الوقت^(١١) إلى لون البرتقال^(١٢) — حيث كنت واقفاً هناك^(١٣)
- ١٠ وكنا لا نزال عند شاطئ البحر كقومٍ يتفكرون فى طريق رحلتهم^(١٤) : وبقلوبهم يسرون ولكنهم بأجسامهم يتلبّثون^(١٥)
- ١٣ وانظر ! كما يحمرّ لون المريخ عند انبلاج النهار خلال الضباب الكثيف^(١٦) ، هناك صوب المغرب فوق سطح البحر فى أسفل^(١٧) —
- ١٦ هكذا بدا لى — ولعلّ أراه ثانياً^(١٨) ! — نورٌ يأتى عبْر الماء بسرعة فائقةٍ ، حتى لم يعدل سرعته طيراناً أبداً^(١٩)
- ١٩ وبعد أن نأيتُ بعمى برهةً لكى أسألك عنه دليلى^(٢٠) ، رأيته من جديد قد صار أبهى ضياءً وأكبر حجماً^(٢١)
- ٢٢ ثم بدا لى فى كلا جانبيه لونٌ أبيض ، لم أدر ما هو^(٢٢) ، ومن تحته امتدّ بياضٌ آخر رويداً رويداً^(٢٣)
- ٢٥ وظلّ أستاذى صامتاً^(٢٤) ، حتى بدا اللونان الأبيضان الأولان أنهما جناحان : وحيثما اتضحتْ له ملامح الملاح^(٢٥) ،
- ٢٨ صاح بى « اثن ركبتيك ، اثنهما فهناك ملاك الله ولتضم يديك^(٢٦) » ولسوف ترى من الآن حراساً مثله^(٢٧)
- ٣١ وكنتنظر كيف يزدرى وسائل البشر^(٢٨) ، فهو لا يبغى مجدافاً ولا شراعاً سوى جناحيه^(٢٩) ، بين شطآن شديدة البعد^(٣٠)
- ٣٤ انظر كيف وجههما صوب السماء ، ضارباً الهواء بأرياشه الأبدية ، التى لا تبدّل كما يتبدّل الريش الفانى^(٣١) »
- ٣٧ وكلما كان الطائر الإلهى يزداد منا اقتراباً^(٣٢) ، كان يتبدّى أسطع ضياءً ، حتى لم تقو عينائى على احتمالها من قريب ،

- ٤٠ فغضضتُ بصرى^(٣٣) ، وجاء هو إلى الشاطئ بقاربٍ خفيفٍ سريع الحركة^(٣٤) ، حتى لم يغمر الماء منه شيئاً^(٣٥)
- ٤٣ وكان ملاح السماء واقفاً عند مؤخر القارب^(٣٦) ، وبدت الغبطة مسطرةً على جبينه^(٣٧) ؛ وجلس أكثر من مائة روحٍ بالداخل .
- ٤٦ وترنموا جميعاً بصوت واحد مرددين "عند خروج إسرائيل من مصر" ، وبما كتب بعدُ في ذلك المزمور^(٣٨)
- ٤٩ ثم رسم لهم علامة الصليب المقدس^(٣٩) ، وعندئذ ألقوا جميعاً بأنفسهم على الشاطئ^(٤٠) ، وذهب كما جاء بسرعة فائقة
- ٥٢ والجماعة التي بقيت هناك بدت على ذلك المكان غريبة^(٤١) ، وأخذت تتطلع إلى ما حولها كأن يخبر بنفسه أشياء ليس له بها عهد^(٤٢)
- ٥٥ ورشقت الشمس أشعة النهار في كل جانب^(٤٣) ، وبسهم سديدة طاردت برج الجدى في كبد السماء^(٤٤) ،
- ٥٨ حينما رفع الغرباء^(٤٥) جباههم نحونا قائلين « ألا فلتظهرانا على طريق الذهاب إلى الجبل ، إذا كنّا نعرفان سبيله^(٤٦) » .
- ٦١ فأجاب فرجيليو « ربما تظنون أننا بهذا المكان خبيران ، ولكننا مثلكم فيه غريبان^(٤٧) »
- ٦٤ ولقد جئنا قبلكم ببرهة من غير هذا الطريق ، الذى كان وعراً قاسياً^(٤٨) ، حتى ليبدو لنا لعباً صعودنا الآن »
- ٦٧ والأرواح التي أدركت من تردد أنفاسى أنى لا أزال على قيد الحياة ، شحب لونها بما تولّاها من العجب^(٤٩)
- ٧٠ وكما يتدافع الناس حول رسول يحمل غصن الزيتون^(٥٠) لكى يسمعوا أنباءه ، ولا يتردد أحدهم فى أن يزحم غيره^(٥١) —
- ٧٣ هكذا ثبتت أعينها فى وجهى كل هذه الأرواح السعيدة المولد ، وكادت تنسى الذهاب كى تتجمل^(٥٢)
- ٧٦ ورأيت إحداها^(٥٣) تسمى إلى الأمام لعناق ، وقد تملكها شعورٌ بالحبّة الزائدة ، فحملتنى على أن ألقاها بالمثل^(٥٤)

٧٩ إليه أيتها الأشباح الخاوية إلا من صورتها^(٥٥) ! لقد ضمنتُ يديّ من خلفه ثلاث مرات ، وبذات عددها رجعت بهما إلى صدري^(٥٦)

٨٢ وأعتقد أن وجهي كان قد وشيه العجب^(٥٧) ، وعندئذ ابتسم الشبح وتراجع ، واندفعتُ إلى الأمام لكي أتابعه^(٥٨)

٨٥ فسألني بلطف أن أتوقف فعرفت حينئذ من^٥ كان ، ورجوته أن يقف قليلا كي يحدثني^(٥٩)

٨٨ فأجابني « كما أحبيبتك بجسمي الفاني ، كذلك أحبيتك وقد تحرّرت منه^(٦٠) » ولذا فإني أتوقف ، ولكن لم تأتني أنت ها هنا^(٦١) ؟ »

٩١ قلت « يا عزيزي كازيلا^(٦٢) ، إنني أقوم بهذه الرحلة لكي أعود ثانياً حيث أنا الآن هنا^(٦٣) ، ولكن لم أضعت كل هذا الوقت سدى^(٦٤) ؟ »

٩٤ فقال لي « لم ينلني بذلك ضرر ، ما دام الذي يرفع من يشاء كما يروق له^(٦٥) — قد رفض عبوري مرات عديدة ؛

٩٧ إذ أن إرادته قد صيغت من مشيئة عادلة^(٦٦) : ولكنه أخذ منذ أشهرٍ ثلاثة ، بتمام الرضا ، كل من رغب منا أن يدخل^(٦٧)

١٠٠ وعندئذ تلقّاني بكل ترحاب^(٦٨) ، حينما كنت متجهاً إلى شاطئ البحر ، حيث تصبح مياه التير مالحة^(٦٩)

١٠٣ والآن وجهه جناحه إلى ذلك المصب ، إذ يجمع هناك دوماً كل من لايتهاون إلى مياه أكبر وني^(٧٠) »

١٠٦ فقلت « إذا لم يحرمك قانون جديد^(٧١) من ذاكرتك أو من براعتك في أغاني الحب ، التي اعتادت أن تُرضي كل رغباتي^(٧٢) ،

١٠٩ فلعلّه يروّك أن تسرّي بها قليلا عن نفسي المكدودة المتعبة ، لمحبيّ بجسدي ها هنا^(٧٣) »

١١٢ بدأ عندئذ بصوت عذب رقيق ، لا تزال عذوبته تتردد بين جوانحي^(٧٤) : « الحب الذي تتجاوب في خاطري كلماته^(٧٥) »

١١٥ وبدأ أستاذي وبدوتُ ومن^٥ كانوا في صحبة كازيلا في غاية الرضا ، حتى لكانه لم يعد يخطر ببال أحداً شيء^٥ سواه^(٧٦)

- ١١٨ وظللنا صامتين منتبهين جميعاً إلى أنغامه^(٧٧) وإذا بالشيخ الوقور يصيح بنا^(٧٨) « ما هذا كله ، أيتها الأرواح الكسلى ؟
- ١٢١ ما هذا التهاون وما هذا التوقف ؟ فملتسارِعوا إلى الجبل لكي تنضوا عنكم هذه الغشاوة^(٧٩) التي تحجبكم عن رؤية الله^(٨٠) . »
- ١٢٤ وكالحمام حينما يجتمع على الطعام فيلتقط القمح أو الشبَّلم وهو هادئ ساكن ، بدون أن يُبدى كبرياءه المألوف^(٨١) ،
- ١٢٧ فإذا بدا ما يمكن أن يخيفه ، يدع جانباً طعامه فجأة ، لتعرضه لأمر أجل شأنًا^(٨٢) —
- ١٣٠ هكذا رأيت تلك الأسرة الحديثة المقدِّم^(٨٣) ، تكف عن الغناء وتذهب صوب الشاطئ^(٨٤) ، كمن يسير بدون أن يدرى أين المخرج^(٨٥)
- ١٣٣ ولم يكن رحيلنا أقلَّ مهم سرعة^(٨٦)

حواشى الأنشودة الثانية

- (١) بهذه الأنشودة يبدأ مدخل المطهر على شاطئ جزيرة المطهر ، ويمتد هذا المدخل حتى الأنشودة الثامنة
- (٢) أى أفق المطهر وأورشليم وكان العالم المسكون عند دانتي هو الجزء الواقع شمال خط الاستواء الممتد من مصب نهر الكنج في الهند حتى قادش على الساحل الغربى لأسبانيا ، وتقع أورشليم في وسط المسافة بينهما ، والمطهر عند دانتي واقع في جنوب أورشليم ، في النصف الجنوبي من الأرض . وحينما تغرب الشمس في أورشليم تشرق في المطهر
- (٣) يعنى عند ما يبلغ خط الزوال الأوج ، يعنى وقت الظهر
- (٤) دائرة الزوال أو خط الزوال بالنسبة لمكان ما هو دائرة نمر بسمته والقطبين وتعبه الشمس عندما يكون الوقت فيه ظهراً .
- (٥) المقصود منتصف الليل .
- (٦) أضفت لفظ (الشمس) للإيضاح
- (٧) الكنج (Gange) نهر في الهند ، كان مصبه عند دانتي هو الحد الشرقى للعالم المسكون .
- (٨) كانت الشمس في برج الحمل عند ما كان الليل في برج الميزان .
- ويوجد حفر يمثل برج الميزان يرجع إلى القرن ١٤ في كنيسة سان ماركو في البندقية .
- (٩) يسقط الميزان - أى برج الميزان - من يد الليل عند ما تسيطر عليه الشمس فتعذر رؤيته ، أى من ٢١ أكتوبر إلى ٢١ سبتمبر عند ما يصبح الليل أطول من النهار ، وهذا هو معنى السبق .
- (١٠) أى لون السماء قبل طلوع الشمس .
- (١١) قال دانتي (troppa etate) ويقصد تقدم الوقت .
- (١٢) أى كان قد مضى بعض الوقت على طلوع الشمس ، أى تجاوزت الساعة السادسة صباحاً ، فتحول لون السماء إلى لون البرتقال
- (١٣) يعنى عند شاطئ " جبل المطهر
- (١٤) يعنى كن يأخذهم التردد في حارب السير .
- (١٥) هذه حالهم لأنهم لا يعرفون الطريق
- (١٦) هذه إحدى ظواهر الطبيعة التي كان دانتي حريصاً على ملاحظتها
- (١٧) أى بعد الشاطئ الغربى لأسبانيا
- (١٨) يتمنى دانتي أن يرى هذا الضوء مرة أخرى بعد الموت ، إذ لا يراه غير السعداء .
- (١٩) هذا هو الملاك الذى يأتى من بعيد
- (٢٠) يعنى لكى يسأل فرجيليو عن هذا الضوء .
- (٢١) هذا لأنه اقترب في لحظة من الشاعرين .
- (٢٢) هذان هما جناحا الملاك .
- (٢٣) أى ملا يس الملاك التى كانت تمتد خلفه بحركته الفائقة السرعة .
- (٢٤) ظل فرجيليو ساكناً حتى يتأكد مما سيراه .

(٢٥) هذا هو رسول السماء الذى هبط إلى الجحيم من قبل

Inf. IX. 79...

(٢٦) جعل فرجيليو دانتي يركع ويضم كفيه احتراماً لملاك السماء

(٢٧) يعنى سوف يرى فى المطهر مثل هذا الملاك .

(٢٨) أى لا يستخدم الملاك الوسائل المألوفة لدى البشر

(٢٩) يشبه هذا قول فرجيليو

Virg. Æn. VI. 19.

(٣٠) جاء الملاك ، كما سنرى بعد ، من مصب هر التيبر إلى جزيرة المطهر

(٣١) يعنى كريش الطيور فى الحياة على الأرض

(٣٢) يشبه هذا ما أورده استاتيوس

Stat. Theb. I. 292.

(٣٣) هكذا لم يقو دانتي على احتمال الضوء الشديد الذى سطع من ملك السماء .

(٣٤) سبق ذكر قارب لا يفمر فى الماء

Inf. III. 93.

(٣٥) لم يفطس جزء من القارب فى الماء لأنه كان محملاً بالأرواح التى لا وزن لها

(٣٦) ملاح السماء هنا فى مقابل كارونتى ملاح الجحيم

Inf. III. 82-111.

(٣٧) أى كانت السمادة بادية على وجهه .

(٣٨) كان هذا المزمور يرتل عند الصلاة على الموق

Sal. CXIV.

(٣٩) هذه علامة التبريك عند المسيحيين

(٤٠) يشبه هذا وصول الآثمين - مع الفارق - بعد عبور هر أكيرونتى

Inf. III. 116.

(٤١) استخدم دانتي لفظ (selvaggia) بمعنى الشعور بالوحشة أو الغربة

(٤٢) هذا تصوير دقيق لمن يرى الأشياء لأول مرة

(٤٣) يعنى يساهم من ضوء الشمس

(٤٤) يصبح برج الحمل (capricorno) فى سمت الرأس عند ما يصير برج الحمل فى الأفق يعنى

أن الساعة كانت تسير نحو السادسة والنصف صباحاً

ويوجد حفر يمثل برج الجدى من القرن ١٤ فى كنيسة سان ماركو فى البندقية ،

(٤٥) أى القوم الذين وصلوا أخيراً إلى شاطئ المطهر

(٤٦) استفسر هؤلاء برقة ولطف عن طريق الذهاب إلى الجبل .

(٤٧) استخدم دانتي لفظ حجاج بمعنى غرباء فى أكثر من موضع مثل

Purg. XIII. 96, ecc. V.N. XLI. 6.

Inf. I. 142.

(٤٨) يعنى طريق الجحيم

(٤٩) استولى العجب على هذه النفوس عند ما لاحظت أن دانتى إنسان حى فشحب لونها

(٥٠) غصن الزيتون رمز للسلام ، وكان فى عهد دانتى رمزاً للأنباء الطيبة . ورد هذا المعنى عند

Virg. Æn. VIII. 116.

فرجيليو

(٥١) هذا تصوير دقيق لتدافع الأرواح حول دانتى الإنسان الحى

(٥٢) يعبر دانتى ببساطة وسهولة عن مسلك النفوس التى تجمعت حوله وكادت تنسى الذهاب لكى
تجمل نفسها بالتطهر من آثامها

(٥٣) هذا هو كازيلا الموسيقى الفلورنسى

(٥٤) هذه صورة دقيقة للقاء الأصدقاء بعد الغياب ، وبادل دانتى كازيلا شعور المحبة بالمثل .

(٥٥) أبدى دانتى أسفه لعدم استطاعته عناق صديقه لأنه شبح خال من الجسم

(٥٦) هذا دليل على مدى الصداقة التى أراد دانتى أن يرسمها بهذه الحركات . ويشبه هذا قول

Virg. Æn. VI. 700...

فرجيليو

(٥٧) أى أن ما فى قلبه قد ارتسم على وجهه واستخدم دانتى لفظ (dipinsi) من فن الرسم للتعبير
عن قصده

(٥٨) كان دانتى لا يزال متأثراً وراغباً فى عناق هذا الصديق .

(٥٩) هكذا كان كل مهتما حريصاً على الوقوف والتحدث إلى صاحبه .

(٦٠) يعنى بعد أن تحرر من الجسد بالمت ، وأحب كازيلا دانتى فى الدنيا كما أحبه فى الآخرة .

(٦١) أى لماذا يقوم دانتى بهذه الرحلة فى عالم المطهر . والحوار بينهما لطيف رقيق .

(٦٢) كازيلا (Casella) موسيقى ومغنى فلورنسى (ويقال إنه من بستريا) وكان من أصدقاء

دانتى ، ولحن بعض أشعاره وتغنى بها ، مما كان يطرِب له دانتى . وقرضت عليه غرامة فى سينا
لأنه ألقى الناس بموسيقاه ليلاً . ومات فى أواخر القرن ١٣

(٦٣) كان غرض دانتى من رحلته التطهر لبلوغ السعادة الأبدية وهو يريد الآن أن يتعلم
السيبل إلى ذلك ، حتى يعود إلى المطهر مرة أخرى بعد موته . وأشار دانتى إلى هذا المعنى فى

Inf. XXVIII. 48. Purg. V. 61; VIII. 59-60;

عدة مواضع

(٦٤) يعنى لماذا تأخر فى الحجب إلى المطهر وقد انقضى على موته بعض الوقت

(٦٥) كازيلا راض بحاله ما دام هذا يروق للملاك السماء .

(٦٦) أى أن رغبة ملاك السماء هى من إرادة الله .

(٦٧) يعنى حمل الملاك أرواح الموتى منذ عيد الميلاد فى ١٢٩٩ ، الذى أعلن فيه بونيفاتشو الثامن

أن أرواح الموتى يمكن أن تذهب إلى المطهر إذا اشترى أهلهم صكوك الغفران وكان القرار

البابوى قد صدر فى ٢٢ فبراير ١٣٠٠ بأثر رجعى حتى عيد الميلاد المذكور ، وهذا يعنى

أن القرار أصبح نافذ المفعول منذ مدة تزيد عن ثلاثة أشهر سابقة على رحلة دانتى .

(٦٨) يرد التعبير في الأصل بصيغة المبنى للمجهول .

(٦٩) تصبغ مياه التبر مألحة يدخولها في البحر وجعل دانتى هذا هر الموضع الذى تجتمع عنده أرواح من يموتون في سلام مع الله ، ويقع مصب التبر على مقربة من روما رمز حماية الكنيسة .

(٧٠) تذهب أرواح الآثمين إلى هر أكيروتى في الجحيم كما سبق Inf. III. 70...

(٧١) أى ربما تحت قوانين جديدة في المطهر ذاكرة كازيلا وبذلك لا يستطيع الغناء. ولا يطلب منه دانتى ما هو فوق طاقته

(٧٢) كان دانتى موسيقياً يدرك أثر الموسيقى في النفس . وعبر عن ذلك في « الوليمة »

Conv. II. XIII. 24.

(٧٣) أى أن دانتى قد تعب بعد رحلته في الجحيم ، ويريد الآن أن يروح عن نفسه بسماع الموسيقى .

(٧٤) سيرد تعبير مشابه في الفردوس: Par. A XIII. 127..

(٧٥) هذه أغنية وردت في « الوليمة » Conv. II,

وقد وضع تيودولو مابليي - من القرن ١٩ - لحناً موسيقياً مستوحى من هذه القصيدة يعبر عن أثر الحبة في نفس الشاعر ، ولم أجده مسجلاً

(٧٦) كان الجميع مأخوذين بسحر الغناء والموسيقى فلم يفكروا فيما جاؤوا من أجله وهكذا جعلهم دانتى الشاعر الفنان الموسيق .

وما يساعد على فهم دانتى والكوميديا تذوق شيء من ألحان العصر ، مثل بعض ألحان الترتيل والإنشاد والنناء والمشاهد التمثيلية والرقص وخاصة ألحان التروبادور والفروسية في القرون ١٢ و ١٣ و ١٤ التى يتضح فيها طابع المشرق ، وسيأتى ذكرها بعد .

(٧٧) نسى هؤلاء التطهر الذى قدموا من أجله .

(٧٨) هذا هو كاتو حارس المطهر الحريص على تطهير نفوسهم ولا يرضيه أن يقفوا لسماع الموسيقى ويؤخروا تطهرهم

(٧٩) النشاة من أثر الخطايا . ويشبه هذا ما ورد في « الكتاب المقدس » Isaia, LIX. 2.

(٨٠) يعنى لا يمكن رؤية الله مع بقاء أثر الخطايا

(٨١) هذه صورة دقيقة للحمام وهو يتناول طعامه

(٨٢) يصور دانتى بريشته البارعة فزع الحمام وطيرانه عند ما يهاجمه خطر داهم

(٨٣) استخدم دانتى لفظ (masnada) وتعنى أسرات الفلاحين الذين كانوا يعيشون في كنف الأمراء في المصور الوسطى

(٨٤) يعنى صوب شاطئ جبل المطهر .

(٨٥) أى إلى أى مكان سيؤدى السير في هذا الطريق المجهول .

(٨٦) هكذا رحل الشاعران بسرعة صوب الجبل

الأنشودة الثالثة^(١)

كان دانتي وفرجيليو قد أصابهما بعض الاضطراب والأسف لتأهماخر في سماع غناء كازيلا^٢، ثم استعدادا حالهما الطبيعية ونظر دانتي إلى جبل المطهر فرأى ظله وحده على الصخر ، فظن أن فرجيليو قد فارقه ، فأزال هذا من مخاوفه وقال له إنه لا يزال معه ليقوم بإرشاده ، وقال إن العقل البشري لا يمكنه أن يدرك أسرار الوجود وبلغ الشعاران سفح الجبل ، وأخذ فرجيليو يبحث عن طريق للصعود في الصخر الشديد الانحدار ورأى دانتي جماعة من الأرواح تسير في ببطء شديد لأنهم تأخروا في التوبة إلى آخر لحظة من حياتهم ، ولفت نظر فرجيليو إليهم ، فسألهم عن طريق الصعود تحركت هذه الجماعة كقطعان الأغنام حينما تخرج فقال فرجيليو إن دانتي إنسان حي جاء لصعود الجبل بفضل من السماء . وتعرف مانفريد على دانتي ، وحدّثه عما أصابه من الطعن في معركة بنيفنتو ، واعترف بأن آثامه كانت رهيبة ، ولكن أيدي الرحمة الإلهية تتقبل كل من يتجه إليها وقال إن أسقف كوستانترا نقل جثته إلى خارج مملكة نابلي حيث دُفن بما يناسب من نالهم الحرمان البابوي ، ولكن لعنة الكنيسة يمكن أن تزول بالتوبة والندم ، وبالتطهر الضروري الذي تقصر مدته بالصلوات الطيبة وسأل مانفريد دانتي أن يشرح حقيقة الأمر لابنته كوستانترا عند عودته إلى الأرض

- ١ على الرغم من أن الهرب الفجائي كان قد شئت شمل تلك الجماعة عبر السهل^(٢) صوب الجبل - حيث يعدّ بنا العقل^(٣) -
- ٤ فقد اقتربتُ من دليلي الأمين وكيف كنت أغدّ السير بدونه؟ ومن ذا الذى كان يدفعني صُعداً فوق الجبل^(٤)؟
- ٧ وبدأ لي أنه يلوم نفسه^(٥) آه منك أيها الضمير الطاهر النبيل ، كم ذا تُشعرك الأخطاء الصغيرة بالخزير^(٦) !
- ١٠ وعندما كفت قدماه عن الإسراع^(٧) ، الذى يننى الوقار عن كل فعل ، أفسح عقلي مجال نظره ، وقد كان لذلك شديد التطلع^(٨) ،
- ١٣ بعد أن كان من قبل منحصرأ في شيء واحد^(٩) ، فاتجهتُ بعيني إلى الجبل الذى يرتفع من الماء شاهقاً صوب السماء^(١٠)
- ١٦ والشمس التى اشتعل من ورائنا لهبها الأحمر^(١١) ، احتجبت أمام شخصي ، إذ استقرت أشعتها على جسدي^(١٢)
- ١٩ فاتجهتُ إلى اليمن ، وقد تولأتني الخوف من أن أكون وحيداً ، حين لم أر اسوداد الأرض إلا فيما هو أمامي^(١٣)
- ٢٢ وبدأ مؤنسي^(١٤) يقول لي وهو متجهٌ نحوي بكليته : « لم لا يزال يساورك الشك ؟ ألا تتق بأنى معك وأنى أقوم بإرشادك^(١٥) ؟
- ٢٥ كان المساء قد حلّ هناك^(١٦) ، حيث يُدفن الجسم الذى صنعتُ له ظلاً حين حاولي به إن ناهلي تحوزه ، وكان قد حُلّ إليها من برانديزيو^(١٧)
- ٢٨ والآن ، إذا لم يظهر أمامي ظلٌ ، فلا تعجب أكثر من عجبك من السماوات التى لا تحجب إحداها النور عن الأخرى^(١٨)
- ٣١ وإن القدرة الإلهية لتجعل أجساماً كجسمي^(١٩) تعاني العذاب والحرق والجليد^(٢٠) ، ولا تشاء أن تكشف لنا عن سرّ صنعها^(٢١)
- ٣٤ وإنه لمجنونٌ ذلك الذى يأمل في عقلنا القدرة على اجتياز هذا الطريق اللانهائي ، الذى يجعل من ثلاثة أقنوماً واحداً^(٢٢)
- ٣٧ فلتقنعوا ، أيها البشر ، بالشيء كما هو بمظهره كائن^(٢٣) ، إذ أنكم لو استطعتم إدراك كل شيء ، لما كانت هناك حاجة لأن تلد ماريّا^(٢٤) ؛

٤٠ ولقد رأيتم قوماً يتطلعون عبثاً إلى أن تَرْضَى رغائبهم ، ولكنهم لم ينالوا من ذلك سوى الحزن الأبدى

٤٣ وإلى لأعنى أرسطو وأفلاطون وكثيرين غيرهما (٢٥) « ؛ وهنا خفض جبينه ولم يزد عن ذلك حرفاً ، وظلّ مضطرب الحاطر (٢٦)

٤٦ وكنا قد بلغنا عندئذٍ سفح الجبل وهنا وجدنا الصخر شديداً المنحدر ، حتى لتصبح السيقان السريعة فيه عديمة الجدوى (٢٧)

٤٩ وإن أكثر الطرق عزلةً وأشدّها وعورة بين ليرتشي (٢٨) وتوريبيا (٢٩) ، لتعُدّ بالموازنة به سلتماً سهلاً رحيباً

٥٢ قال أستاذى وهو يوقف خُطاه « منْ ذا يعرف الآن فى أىّ جانب يميل الجبل ، بحيث يتيسر الصعود لمنْ يسير بدون جناح (٣٠) ؟ » .

٥٥ وبينما ظلّ هو مُطرق الرأس يتفكر فى طريق الذهاب (٣١) ، وأخذتُ أنا أنظر إلى أعلى وفيما حول الصخر ،

٥٨ ظهر لى جهة اليسار جماعةٌ من النفوس ، حرّكوا أقدامهم نحونا ، ولكنهم بدؤا أنهم لا يتقدمون ، إذْ ساروا ببطء شديد (٣٢)

٦١ فقلت « ارفع باصرتيك يا أستاذى (٣٣) : وانظر هناك مَنْ سيبدل لنا سديد الرأى ، إذا كنتَ لم تستطع أن تهتدى إليه بنفسك (٣٤) » .

٦٤ فنظر عندئذٍ إلى أعلى وأجاب بوجه المطمئن (٣٥) « فلنذهب إليهم ، لأنهم يأتون ببطء الحركة (٣٦) ، وَلَتُتَقَوَّ منْ أملك (٣٧) أيها الابن الحبيب »

٦٧ وبعد أن سرنا أكثر من ألف خطوة ، كان هؤلاء القوم لا يزالون على مسافة تعدل بَعْدَ حِجر تُلقَى به يدُ رامٍ قدير (٣٨) ،

٧٠ حينما التصقوا كلهم بالصخور الوعرة فى الشاطئ المرتفع ، ووقفوا ثابتين متزاحمين ، كمن يسير فى حيرة ثم يتوقف لكى ينظر (٣٩)

٧٣ وبدأ فرجيليو « يا ذوى النهاية السعيدة (٤٠) ، أيتها الأرواح المختارة ! — باسم ذلك السلام (٤١) الذى أعتقد أنكم ترتقبوه جميعاً —

٧٦ خبرونا أين يميل الجبل بحيث يصبح الصعود أمراً سهلاً (٤٢) ، إذْ كلما اتسعت معارف المرء اشتد كدره بضياح الوقت سدّى (٤٣) »

- ٧٩ وكما تخرج الأغنام من حظيرتها أحادي ومثنى وثلاث ، وتقف بقيتها وجلات خافضات أفواهها وأعيها ؛
- ٨٢ وما تفعله أولاهما تفعله سائرهما ، وتتزاحم من ورائها في هدوءٍ وسداجة إذا هي وقفت ، بدون أن تدري لذلك سبباً^(٤٤) —
- ٨٥ هكذا رأيتُ رأس هذه الجماعة السعيدة يأتي نحونا عندئذ ، بوجه وديع ومشية وقورة^(٤٥)
- ٨٨ ولما رأيت طليعتهم النور على الأرض منحسراً إلى يميني^(٤٦) — حتى امتد الظل من جسدي إلى الصخر —
- ٩١ توقفوا وتراجعوا قليلاً^(٤٧) ، وحذا حذوهم كل الآخرين الذين جاءوا من بعدهم ، بدون أن يعرفوا لذلك سبباً^(٤٨)
- ٩٢ « أعترف لكم — وإن لم تسألوني — بأن هذا الذي ترونه ما هو إلا جسم لإنسان حي ، ولذا انشقت نور الشمس على الأرض بإزائه^(٤٩) »
- ٩٧ فلا يأخذتكم العجب من ذلك ، ولكن ثقوا بأنه لا يسعى لاعتلاء هذا الجدار^(٥٠) ، بدون فضل يأتيه من السماء^(٥١) »
- ١٠٠ هكذا تكلم أستاذي ، فقال هؤلاء القوم الوقورون ، وهم يشيرون لنا بظهور أيديهم^(٥٢) « عليكم بالرجوع ، ولتسير أماننا الآن^(٥٣) » .
- ١٠٣ وبدأ أحدهم « فلتدبر وجهك إلى في أثناء سيرك ، كائناً من كنت ، ولتذكر إذا كنت قد رأيتني في ذلك الجانب أبداً^(٥٤) » .
- ١٠٦ فاتجهتُ نحوه ، وأمعنتُ النظر فيه . وكان أشقر الشعر جميلاً ذا وجهٍ نبيل ، ولكن أحد حاجبيه كان قد شطرتهُ ضربة سيف^(٥٥)
- ١٠٩ وعندما أجبته في تواضعٍ أني لم أره من قبل قط ، قال : « فلتنظر الآن إلى » ؛ وأراني جرحاً في أعلى صدره^(٥٦)
- ١١٢ ثم قال مبتسماً « إنني مانفريد^(٥٧) ، حفيد كوستانتزا الأمباطورة^(٥٨) ، ولذا أرجوك — حينما تعود^(٥٩) —
- ١١٥ أن تذهب إلى ابنتي الجميلة^(٦٠) ، التي أنجبت فخرى صقلية وأراجوانا^(٦١) ، وتحدثها عني بالصدق^(٦٢) إذا ذكرَ شيءٌ غيره^(٦٣)

- ١١٨ فإنه بعد أن تلقى جسد طعنتين قاتلتين ، استسلمتُ باكياً^(٦٥) إلى مَنْ يغفر الذنوب عن طيب خاطر^(٦٦)
- ١٢١ لقد كانت آثامى رهيبة^(٦٧) ؛ ولكن الخير اللانهاى ذو أذرعٍ رحيمية تتقبل كلَّ من يتجه إليها^(٦٨)
- ١٢٤ ولو أن راعى كوسينترا^(٦٩) ، الذى دفعه أكلمنتو عندئذ لمطاردتى^(٧٠) ، كان قد أحسن قراءة تلك الصفحة من كتاب الله^(٧١) —
- ١٢٧ لظلت عظامى عند رأس الجسر بقرب بنيفنتو ، فى حراسة كومةٍ من الأحجار الثقيلة^(٧٢)
- ١٣٠ فالآن يغمرها المطر وتحركها الريح خارج حدود المملكة^(٧٣) ، على مقربة من هر فِردى^(٧٤) ، حيث نُقلتُ بمصاحبة شموع لم تشعل أنوارها^(٧٥)
- ١٣٣ وبلغتهم لن يضيع لإنسانٌ ، حتى يمتنع على المحبة الأبدية أن تعود إلى سابق فيضها — ما دام ينبت للأمل براعم خضراء^(٧٦)
- ١٣٦ حقاً إن من يمت وقد ناله الحرمان من الكنيسة المقدسة ، ينبغي أن يظلل خارج هذا الشاطئ — حتى ولو ندم أخيراً^(٧٧) —
- ١٣٩ ثلاثين ضعفاً من الزمن الذى قضاه فى معصيتها ، إذا لم تقصُر مدة هذا الحكم بالصلوات الخالصة^(٧٨)
- ١٤٢ ولتنظر الآن أستطيع أن تُبهجى ، بإيضاحك لكوستانتزا ابنتى الطيبة — كيف رأيتنى^(٧٩) — وكذلك هذه العقبة^(٨٠) ؛
- ١٤٥ إذ أننا نجى هنا خيراً كثيراً ممّن هم فى ذلك الجانب^(٨١) .

حواشى الأنشودة الثالثة

- (١) هذه أنشودة المهملين المتأخرين فى التوبة ومن حرمتهم الكنيسة من الغفران .
- (٢) المقصود جماعة الأرواح الذين جاء بهم ملاك السماء إلى شاطئ المطهر
- (٣) أى أن العدالة الإلهية تطهرنا بالعذاب
- (٤) هكذا لم يكن دانتي يستطيع شيئاً دون معونة فرجيليو .
- (٥) يعنى أن فرجيليو بدا أسفاً نادماً على تأخره مع الأرواح لسماع غناء كازيلا فى الأنشودة السابقة
- (٦) هذا هو فرجيليو صاحب الضمير النبيل الذى يشعر بمرارة الخطأ الصغير
- (٧) أى عند ما أبطأ فى السير بعد إسرعه السابق
- (٨) أى نظر دانتي إلى ما حوله
- (٩) يعنى أن عقل دانتي كان مركزاً فى كازيلا وكاتو . وأبدلت بيتى ١٢ و ١٣ الواحد مكان الآخر مراعاة للأسلوب العربى .
- (١٠) يعنى أن جبل المطهر يرتفع أكثر من سائر الجبال
- (١١) أى أن الشاعرين كانا قد أوليا ظهرهما للبحر واتجها صوب الجبل
- (١٢) يعنى أن جسم دانتي حجز أشعة الشمس فظهر ظله على الأرض
- (١٣) كان لدانتي وحده الظل على الأرض ولذلك خامره الشك فى أن يكون بمفرده والتفت إلى جواره ليرى هل فرجيليو موجود أم لا
- (١٤) هذه من الصفات التى ينعت دانتي بها فرجيليو .
- (١٥) هكذا يحاول فرجيليو أن يعظم دانتي دائماً
- (١٦) بلغت الساعة فى المطهر حوالى السادسة والنصف صباحاً حينما كانت حوالى الثالثة والنصف مساءً فى إيطاليا ، وحوالى السادسة والنصف مساءً فى أورشليم
- (١٧) مات فرجيليو فى برنديزى فى ١٩ ق.م . ونقلت جثته إلى نابلى . وكتب دانتي برانديزيو - أى برنديزى - متأثراً بطريقة كتابتها فى لغة البروفنس
- (١٨) أى أن السماوات لا تعجب الأفوار لشفافيتها
- (١٩) يعنى الأرواح الشفافة مثل فرجيليو .
- (٢٠) هذه إشارة إلى عذاب الجحيم
- (٢١) فى الأصل (كيف تعمل) وهذا المعنى مقتبس من « الكتاب المقدس »
- (٢٢) أى أن الألقوم الواحد فى الأقاليم الثلاثة سر إلى لا يدرکه البشر - كما عند المسيحيين .
- (٢٣) استخدم دانتي لفظ (quia) بمعنى الشئ كما هو كائن بمظهره ، كما فعل أرسطو والمدرسيون .
- (٢٤) أى لوعرف الإنسان كل شئ لما كانت هناك ضرورة لمحبة السيد المسيح إلى العالم .
- (٢٥) يعنى أن فلاسفة العالم القديم حاولوا أن يعرفوا بالعدل أسرار الألوهية والوجود ولكنهم لم يوفقوا ، ولذلك فهم يعيشون فى شوق بدون أمل
- (٢٦) اضطرب فرجيليو لأنه كان نفسه واحداً من رجال العالم القديم .
- (٢٧) أى كان يلزمهما طريقة أخرى لصعود الجبل .

Inf. III. 87...

Rom. XI. 33.

Inf. IV. 42.

- (٢٨) ليريتشى (Lerici) مدينة فى ليجوريا على الساحل الشرقى لخليج اسبىزيا
- (٢٩) توربيا (Turbia) قرية فى أقصى غربى ليجوريا وتقع الآن فى مقاطعة الألب البحرية على مقربة من شاطئ موناكو، وكان بها برج رومانى قديم . وكانت هذه المنطقة فى عهد دانتي منطقة جبلية وعرة خالية من الطرق الممهدة .
- (٣٠) هكذا يحاول فرجيليو أن يجد طريقاً للصعود .
- (٣١) يعنى كان يفكر فى إيجاد الطريق الملائم ، وهل يتجه صوب الشمال أم صوب الجنوب
- (٣٢) هذا البطء رمز لمرتكبى الخطايا الذين تابوا وندموا فى آخر لحظة من حياتهم ولهذا يتأخر تطهرهم
- (٣٣) كان فرجيليو لا يزال منخفضاً رأسه ، وفى الأصل أرفع (العينين)
- (٣٤) حاول دانتي أن يعين أستاذه بقدر المستطاع بعد أن كسب الخبرة والتجربة
- (٣٥) أى نظر صوب الجماعة السعيدة بوجه تخلص من الخوف والشك ، واستخدم دانتي للتعبير عن ذلك (iberio piglio)
- (٣٦) رأى فرجيليو الذهاب إليهم توفيراً للوقت
- (٣٧) يعنى الأمل فى الحصول على الرأى والنصيحة
- (٣٨) أى على مسافة رمية حجر يلقى به رام قدير ، وأضفت كلمة (حجر) للإيضاح
- (٣٩) وقف هؤلاء عند ما لاحظوا أن دانتي وفرجيليو يسيران فى اتجاه اليسار بعكس قاعدة السير إلى اليمين المتبعة فى المظهر ، ويسيران مسرعين بعكس إبطاء هذه الجماعة من الأرواح
- (٤٠) يعنى الذين ماتوا فى سلام مع الله ، بالتوبة فى آخر لحظة
- (٤١) سيتكرر هذا المعنى بعد
- Purg. V. 61.
- (٤٢) استفسر فرجيليو عن مكان سهل الانحدار يمكن الصعود منه
- (٤٣) أى أن صاحب المعرفة والتجربة يخشى ضياع الوقت ، وكان دانتي رجلاً يعرف قيمته ووردت معان فى الحرص على الوقت فى الكوميديا و « الولية » وفى « الإنيابة »
- Inf. XI. 13-15. Purg. XII. 84; XVII. 88-90; XVIII. 103-105; XIX. 139-141;
- XXIII. 5-6; XXIV. 91-93. Par. XXVI. 4-6. Conv. IV. 11.
- Virg. Æn. X. 467...
- (٤٤) هذه صورة دقيقة مستمدة من ملاحظة حياة الأغنام .
- وقد رسم جوتو الأغنام تخرج من حظيرتها فى إحدى لوحاته فى كنيسة سان فرنشيسكو العليا فى أسيسى .
- (٤٥) يعنى من كانوا فى مقدمة هذه الجماعة واستخدم دانتي لفظ (testa) - رأس - للتعبير عن ذلك .
- (٤٦) كان الجبل إلى يمين الشاعرين وكانت الشمس إلى اليسار وبذلك ظهر ظل دانتي على الصخر
- (٤٧) فعلوا ذلك لما تولاهم من الدهشة عند رؤية إنسان حى .
- (٤٨) الذين جاءوا بعد وقفوا بدون أن يعرفوا سبب وقوف من كانوا فى المقدمة وهذه كلها صور مأخوذة من الحياة الواقعية
- (٤٩) سارع فرجيليو إلى إيضاح الأمر لهذه الجماعة لكى يوفر عليهم العجب والدهشة وأضفت (بلزائنه) للإيضاح
- (٥٠) يعنى جبل المظهر

- (٥١) سبق مثل هذا التعبير
- (٥٢) أى أنه كان على الجميع أن يدوروا حول الجبل ناحية اليمين .
- (٥٣) يعنى لا حاجة به إلى التوقف
- (٥٤) لم يتعرف دانتى عليه لأول وهلة ، وهذا هو ما نفريد . وذلك الجانب يعنى الدنيا
- (٥٥) هذه هى أوصاف مانفريد .
- (٥٦) فعل هذا لعل دانتى يتعرف عليه
- (٥٧) مانفريد (١٢٢١ - ١٢٦٦ Manfredi) ابن غير شرعى للأمبراطور فردريك الثانى وأمه بيانكا ابنة الكونت بونيفاتزيو لانتزيا ، وهو حفيد الأمبراطور هنرى السادس وكوستانتزا الصقلية وأبو كوستانتزا من زوجته بياتريتشى دى سافويا . وبموت فردريك الثانى فى ١٢٥٠ أصبح مانفريد وصياً على العرش ثم ملكاً على صقلية فى ١٢٥٨ . وأصدر البابا إسكندر الرابع والبابا أوربان الرابع قرار الحرمان ضده لاثاماه بالهرطقة ، ولمعارضته أطماع الكنيسة وعرض البابا تاج صقلية على شارل دانجو الفرنسى الذى تقدم إلى إيطاليا . وقعت بينه وبين ما نفريد معركة بنيفنتو فى ١٢٦٦ ، وهزم مانفريد وقتل بعد قتال عنيف . وكانت هذه هزيمة ساحقة لقضية الجبلين فى إيطاليا
- وتوجد صورتان صغيرتان تمثلان التقاء فرسان شارل بفرسان مانفريد وانتصار الأولين فى بنيفنتو وترجعان إلى القرن ١٤ وتوجدان فى مكتبة كيجى فى روما
- (٥٨) يذكر أنه حفيد الأمبراطورة كوستانتزا (Costanza) ويتجنب ذكر أبيه لأنه كان ابناً غير شرعى . وكوستانتزا ابنة رودجير و ملك صقلية وأم فردريك الثانى وهى مدفونة فى كاتدرائية باليرمو ووضعها دانتى فى الفردوس
- (٥٩) أى عند ما يرجع دانتى إلى الدنيا
- (٦٠) هذه هى كوستانتزا ابنة مانفريد التى تزوجت بطرس الثالث ملك أراجونا
- (٦١) أنجبت كوستانتزا هذه فردريك الثانى الذى أصبح ملك صقلية وجا كومو الذى أصبح ملك أراجونا
- (٦٢) يعنى يخبرها بأنه من أهل المطهر
- (٦٣) أى إذا قيل إنه قد صار من الملعونين بسبب قرار الحرمان البابوى ضده ، الذى لم يمنعه من دخول المطهر .
- (٦٤) أصابت مانفريد فى معركة بنيفنتو طعنة فى الوجه وأخرى فى أعلى الصدر
- (٦٥) يعنى أنه أحس بالندم على ما ارتكبه من الآثام
- (٦٦) أى اتجه إلى الله الذى يغفر خطايا البشر
- (٦٧) يعترف مانفريد بآثامه التى كانت الجشع والقتل وحياة الإباحة
- (٦٨) يعنى ينال الآثمون الرحمة بالتوبة والندم
- (٦٩) كوستنزا (Cosenza) مدينة فى كالابريا العليا تقع على فرع لنهر كراتى وعلى مقربة من البحر التيرانى والمقصود براعى كوستنزا الكردينال بارتولوميو بينياتلى (أو خلفه توماسو دانزى) ، الذى سحب جثة مانفريد من موضعها عند جسر بنيفنتو
- (٧٠) هو البابا أكلمنتو الرابع (١٢٦٤ - ١٢٦٨ Clemento IV.) الذى حرض أسقف كوستنزا على إخراج جثة مانفريد من موضعها الأول .

- (٧١) هذه إشارة إلى بيتى ١٢٢ و ١٢٣ ، وهذا المعنى مقتبس من « الكتاب المقدس »
 Giov. VI. 37.
- (٧٢) أى أنه لولا تحريض الكلمنتو لبقيت عظام مانفريد مدفونة تحت الأحجار على مقربة من جسر
 بنيفنتو .
- (٧٣) يثى خارج حدود مملكة نابلى
- (٧٤) مهر فردى (Vrede) يقصد به فى الغالب مهر ليريس (Liris) الذى يعرف الآن باسم
 جاريليانو (Garigliano) .
- (٧٥) هكذا تحمل جثة الذين صدر ضدهم قرار الحرمان البابوى بدون أن تضاء لهم السرج ، كما
 حدث لما نفريد
- (٧٦) أى أن لعنة البابوية لا تفقد الأمل هائياً فى باب الرحمة الإلهية .
- (٧٧) يستطيع النادم التائب أن ينال الخلاص بعد تطهره وقتاً مناسباً
- (٧٨) ويقصر زمن التطهر بالصلوات الطيبة الصادرة من الأحياء فى الأرض . وهذا التعبير مقتبس
 من فرجيليو
 Virg. Æn. VI. 327-330.
- (٧٩) أى كيف رآه فى حال التطهر
- (٨٠) يعنى الزمن الذى عليه أن يقضيه هنا حتى يتم تطهره
- (٨١) أى أن مدة تطهر الأرواح فى المطهر تقصر بصلوات أهل الأرض .
 ويشبه هذا بعض ما ورد فى تراث الإسلام من حيث حاجة الأموات إلى صلوات أهل
 الأرض
- السيوطى ، عبد الرحمن جلال الدين كتاب شرح الصدور بشرح حال الموقى والقبور
 القاهرة ، ١٣٠٩ هـ ص ١٢١
- وقد لحن ثلاثة من الموسيقيين الإيطاليين ثلاث أوبرات تمثل مأساة مانفريدى ، وأولهم هو
 أندريا كازيلي ومثلت أوبراه لأول مرة فى جنوا فى ١٨٧٢ ، وكذلك أخيل مونتوورو ومثلت
 أوبراه لأول مرة فى ميلانو فى ١٨٧٢ وكذلك كارلو سيسا ومثلت أوبراه لأول مرة فى
 ميلانو فى ١٨٨٤ ، ولم أجد هذه الأوبرات مسجلة .

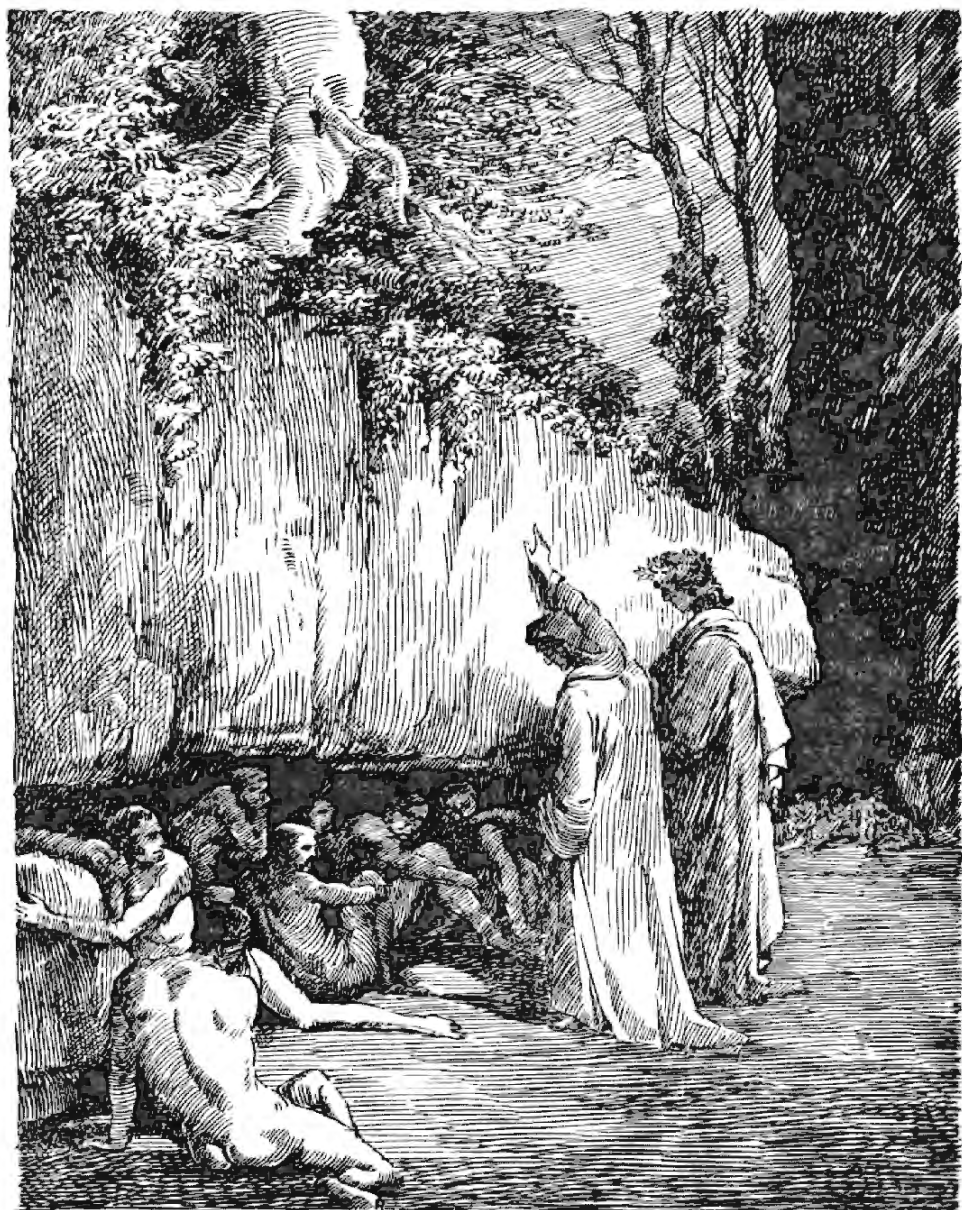
الأنشودة الرابعة ^(١)

ظلّ دانتى مأخوذاً بحديث مانفريد السابق ولم يشعر بمضى الوقت حتى أشارت بعض الأرواح إلى مكان الصعود وقارن دانتى بين وعورة هذا الطريق وبين بعض الطرق الوعرة في الجبال الإيطالية ، ومع ذلك فقد دفعه إلى الصعود أجنحة الشوق والأمل ، واستخدم في ذلك القدمين واليدين وما إن باغ الشاعران منطقة زاد انحدارها عن ٤٥ درجة حتى طلب دانتى التوقف ، ولكن فرجيليو أشار إليه ببذل الجهد حتى يبلغا إفريزاً أعلى قليلاً ، فغالبا دانتى نفسه حتى بلغاه وجلسا معاً وعجب دانتى عند نظره إلى — الطريق — الشاق الذى قطعه ، كما عجب عندما رأى الشمس جهة اليسار ، فأفهمه فرجيليو بأن هذا يرجع إلى وجودها في نصف الكرة الجنوبي ، وكانت عندئذ في برج الحمل لا في برج الثور حينما زالت دهشة دانتى سأل فرجيليو إلى متى ينبغي عليهما المضي في صعود الجبل ، فأجابه بأن الصعود صعب في البداية ، ولكنه سيصبح بالتدريج سهلاً حتى يكون كسير سفينة مع تيار الماء ، وسمع الشاعران صوتاً يعبر عن حاجتهما للراحة قبل بلوغ أعلى الجبل ، وكان هناك أرواح الكسالى الذين تباطأوا في التوبة في الحياة الدنيا ، ورأى دانتى بلاكو الفلورنسى صانع الآلات الموسيقية ، وبدأ أكسل مما لو كان الكسل شقيقاً له ، وقد خفض رأسه بين ركبتيه قال بلاكو إن عليه أن يبقى في موضعه بقدر الزمن الذى تأخر فيه عن التوبة ، إلا إذا عاونته صلاة طيبة تصدر عن قلب يحظى بالنعمة الإلهية ، إذ لا يُستمع لغير هذا في السماء . ودعا فرجيليو دانتى إلى الصعود لأن الزمن كان يتقدم .

- ١ حينما تركزت النفس بكلماتها على واحدة مما لها من القوى ، بما ينالها من الآلام أو المباهج ،
- ٤ تبدو النفس أنها لا تحفل بقوة سواها^(٢) ، وإن هذا ليعارض ذلك الرأى الخاطئ القائل بأن إحدى قوى النفس تعلو فينا على الأخرى^(٣) .
- ٧ ولذا فإنه عندما يُسمع أو يُرى ما يستحوذ على النفس ، ينقضى الوقت بدون أن يشعر الإنسان بذلك^(٤) ،
- ١٠ إذ أن إحدى قوى النفس هي التي تسمع^(٥) ، بينما يستغرق انتباهها قوة أخرى^(٦) . وكأنما هذه مقيدة وتلك حرة^(٧) .
- ١٣ لقد صارت لي بهذا تجربة "حقّة" ، حينما سمعت تلك الروح وأعجبت بها^(٨) ، إذ كانت الشمس قد صعدت
- ١٦ خمسين درجةً كاملة^(٩) ، بغير أن ألحظ ذلك — عندما جئنا حيث صاحت بنا تلك الأرواح بصوت واحد « هنا يوجد ما تبغيانه^(١٠) » .
- ١٩ وحينما تأخذ الكرمة في النضج^(١١) ، كثيراً ما يعمد الفلاح إلى مِدراتٍ من الشوك فيسدّ بها فتحة أكبر^(١٢) .
- ٢٢ مما كانت عليه تلك الفجوة التي صعدنا خلالها وحيدين — دليلي وأنا في إثره — بينما أخذت تباعد عنا تلك الجماعة .
- ٢٥ وإن المرء ليسير في ساندليو^(١٣) ويهبط في نولي^(١٤) ، ويصعد عالياً في بيسمانتوفا^(١٥) وكاكوي^(١٦) — بالقدمين وحدهما ؛ ولكن ليس على المرء هنا سوى الطيران^(١٧) ؛
- ٢٨ أعى كان على أن أمضى بالأجنحة السريعة وبـرياش الشوق العارم^(١٨) ، وراء ذلك الدليل^(١٩) ، الذي منحى الأمل وأثار سبيلي^(٢٠) .
- ٣١ وأخذنا نصعد داخل الصخر المشقوق ، وأطبق الجدار علينا من كل جانب^(٢١) ، واقتضت الأرض تحتنا أن نُعمل أقدامنا وأيدينا^(٢٢) .
- ٣٤ ولما أصبحنا على الحافة العليا من الشاطئ المرتفع^(٢٣) ، عند جانبه المفتوح^(٢٤) ، قلت « أى طريق علينا أن نسلّك الآن يا أستاذي^(٢٥) ؟ »
- ٣٧ فقال لي « لا تُحركن قدماً إلى أسفل^(٢٦) بل عليك باتباع خطواتي صُعداً فوق الجبل ، حتى يظهر لنا دليل^(٢٧) » .

- ٤٠ وكانت قدسته شاهقة حتى تجاوزت حدَّ إبصارى^(٢٨)، وازداد انحدار الشاطئ كثيراً عن الخط الواصل بين منتصف الربع من دائرة وبين مركزها^(٢٩).
- ٤٣ وكنت متعباً حينها بدأتُ «أبتاه الحبيب ، التفتُ إلىّ ، وانظر كيف أظلم وحيداً إذا أنت لم تتوقف^(٣٠)» .
- ٤٦ فقال «أى بىّ، عليك بجرّ رجلك إلى هناك^(٣١)» - وأشار إلى إفريزٍ أعلى منّا قليلاً ، أحاط بالجبل كله في ذلك الجانب
- ٤٩ وهكذا همّزنى كلماته^(٣٢) ، فغالبتُ نفسي زحفاً إليه^(٣٣) ، حتى وطئتُ بقدمي ذلك الإفريز الدائري^(٣٤)
- ٥٢ وهناك عمدنا كلانا إلى الجاوس^(٣٥) ، مُتّجهين صوب المشرق حيث سعدنا من ناحيته^(٣٦) ، لأنّ النظّر إليه كان يُعيننا في العادة^(٣٧)
- ٥٥ وبعيىّ اتجهت أولاً إلى الشيطان الخفيضة ، ثم رفعتها نحو الشمس ، وعجبت إذ جرحتنا بأشعتها من الجهة اليسرى^(٣٨)
- ٥٨ وتبين الشاعر جليلاً أن قد تولاني العجب من عربة النور^(٣٩) ، التي كانت تتقدّم بين موضعنا وبين بلاد الشمال^(٤٠)
- ٦١ فقال لى عندئذ «إذا كان التوأمان - كاستور وپولكس^(٤١) - كائنين في رفقة تلك المرأة التي تبعث نورها إلى أعلى وأسفل^(٤٢) ،
- ٦٤ فإنك سترى الجزء المتوهّج في منطقة البروج - لا يزال يدور في موضعٍ أقرب إلى الدّبين - إن لم يكن قد خرج عن طريقه القديم^(٤٣)
- ٦٧ ولكي تفهم كيف يحدث هذا - عليك أن تتخيّل - لو أوتيت القدرة على التفكير بذهنٍ واع - أن جبل صهيون^(٤٤) وهذا الجبل قائمٍ فوق الأرض ، بحيث أصبح لكلّيهما أفقٌ واحدٌ ونصفا كرتين مختلفتين^(٤٥) ، وبذلك سترى - إذا أحسن عقلك الانتباه^(٤٦) - كيف أن الطريق^(٤٧) -
- ٧٣ الذى أخفق فيه فيتون^(٤٨) في قيادة عربته - لسوء طالعهِ - كان ينبغي أن يسير هنا في جانب^(٤٩) ، حين يتجه إلى هناك في الجانب الآخر^(٥٠) »
- ٧٦ قلت في الحقّ يا أستاذى أنى لم أر أبداً بهذا الوضوح - كما أتبين - حيث بدا عقلى قاصراً عن الإدراك^(٥١) -

- ٧٩ أن الدائرة الوسطى في السماء العليا ، التي تُسمى في بعض الفنون خط الاستواء (٥٢) ، وتظلّ دوماً بين الصيف والشتاء (٥٣) ،
- ٨٢ تبتعد عن هذا الموضع في اتجاه الشمال — بسبب ما تقوله — حينما يراها اليهود متجهة صوب المنطقة الحارة
- ٨٥ ولكن لو راق لك الأمر فإنه يسرني أن أعرف ، كم ينبغي علينا أن نسير ، إذ نعلو الجبل أكثر مما تقوى على متابعته عيناى (٥٤) »
- ٨٨ فقال لى « يتميز هذا الجبل بوعورته دائماً عند بدايته في أسفل ، ولكن كلما ارتقى مَسْنَهُ الإنسان أصبح صعوده أقلّ إرهاقاً (٥٥) »
- ٩١ ولذا فحينما يبدو لك الجبل شيئاً بهيجاً ، حتى يصبح صعودك خفيفاً (٥٦) ، كسفينة تنساب مع تيار الماء (٥٧) —
- ٩٤ ستكون قد بلغت عندئذ هاية المطاف (٥٨) وهناك فلترقب الراحة من عنائك . ولن أحدثك مزيداً (٥٩) ، وإني لعارفٌ أن هذا أمرٌ حقيقى .
- ٩٧ وحينما نطق بهذه الكلمات ، سمعت بقربى صوتاً يقول : « ربما تصبح في حاجة إلى الجلوس قبل أن تبلغ هاية الشوط ! » .
- ١٠٠ وتلفتت كلُّ منا عند سماع هذا الصوت ، ورأينا إلى يسارنا كتلة كبيرة من الصخر ، لم ينتبه أحدنا إليها من قبل (٦٠)
- ١٠٣ فتقدّمنا إليها ، وكان هناك أشخاص (٦١) استقروا في الظل وراء الصخر ، كرجال يستريحون من الكسل (٦٢)
- ١٠٦ وواحدٌ منهم — الذى بدا لى أن قد سادته التعب — كان جالسا محتضناً ركبتيه ، وخفض بيهما وجهه إلى أسفل (٦٣)
- ١٠٩ قلت « يا سيدى الحبيب ، فلتمعن النظر في ذلك الذى يبدو أكسل مما لو كان الكسل له صنواً (٦٤) »
- ١١٢ عندئذ التفت إلينا وأخذ يتأملنا (٦٥) ، وحرك وجهه فوق فخذيه فحسب ، قائلاً « فلستذهب الآن إلى أعلى إذ أنك صنديد (٦٦) » .
- ١١٥ فعرفت حينئذ من كان ، وذلك العناء الذى ظلّ نفّسى يلهث منه قليلاً (٦٧) ، لم يمنعنى من الذهاب إليه ؛ وبعد أن



٤ - دانتى وڤرجيليو ينظران إلى الأمراء المهملين الكسالى

أنشودة ٤ ١٠٣ - ١٠٥

- ١١٨ بلغت موضعه ، رفع رأسه قليلاً (٦٨) وقال لى « أرايت الآن كيف تقود الشمس عربتها إلى جانبك الأيسر (٦٩) ؟ »
- ١٢١ ورسمت حركاته الكسلى وكلماته بسمة خفيفة على شفتي (٧٠) ؛ فبدأت « لست أنا لَمْ الآن من أجلك »
- ١٢٤ يا بِلَاكُوا (٧١) ، ولكن فلتُخبرنى لم أنت جالسٌ فى هذا الموضع بذاته ؟ أنتتظر دليلاً ؟ أم أنك رجعتَ فحسبُ إلى طبعك المؤلف (٧٢) ؟ »
- ١٢٧ فأجاب « وماذا يجدى يا أخى الصعود (٧٣) ؟ إذ أن الطائر الإلهى الذى يجلس على عتبة الباب (٧٤) ، لن يدعى أمضى إلى موئل العذاب (٧٥) »
- ١٣٠ ولأنى أخرتُ حتى النهاية تنهدى الطيب (٧٦) — ينبغى أولاً (٧٧) أن تدور من حولى السماوات — وأنا خارج هذا الباب (٧٨) — بقدر ما دارت فى أثناء حياتى —
- ١٣٣ ما لم تُعَيننى قبل ذلك صلاةٌ تصدر عن قلبٍ يعيش ممتعاً بنعمة الله (٧٩) :
- وماذا يجدى غير ذلك مما لا يُستمع إليه فى رحاب السماء (٨٠) ؟ »
- ١٣٦ وكان الشاعر قد أخذ يصعد أمامى وشرع يقول « تعال الآن وانظر ها قد لامست الشمس أطرافَ الجنوب (٨١) ، وعند الشواطئ
- ١٣٩ يغطى الليل بقدميه مرآكش الآن (٨٢) »

حواشى الأنشودة الرابعة

- (١) هذه أنشودة المهملين الكسالى الذين تأخروا فى التوبة وتسمى أنشودة بلاكوا
- (٢) يعنى أنه حينما تتركز مؤثرات البهجة أو الألم على إحدى قوى النفس البشرية فإن النفس تركز اهتمامها على هذه القوة ذاتها
- (٣) اشتغال إحدى قوى النفس فوق الأخرى يعنى تميزها بالتدرج وهذه إشارة إلى رأى أفلاطون فى التيماوس الذى قال بأن للإنسان نفساً خالدة وأخرى فانية ولم يأخذ دانتي بهذا الرأى بل أخذ برأى أرسطو وتوماس الأكويني القائل بوحدة النفس التى تشمل ثلاث قوى النفس النامية والنفس الحاسة والنفس العاقلة
Plat. Tim. p. 69, C
Arist. Et. X. 5. 3, 4. De An. III.
d'Aq. Sum. Theol. I. LXXVI. 3.
- (٤) هذا تصوير دقيق لمن يكون مأخوذاً بأمر هام فلا يشعر بمرور الوقت
- (٥) أى حاسة السمع
- (٦) يعنى النفس العاقلة أو العقل
- (٧) أى أن العقل يكون معطلا عن العمل بينما تقوم حاسة السمع بعملها والمقصود أن المأخوذ بأمر هام لا يحس بما حوله
- (٨) هذه إشارة إلى الوقت الذى انقضى وكان دانتي ينصت فيه إلى روح مانفريد
- (٩) لما كانت الشمس تقطع أكثر من ١٥ درجة فى الساعة ، وكانت تعلو الآن عن الأفق بخمسين درجة ، وما دامت الشمس تشرق فى الساعة السادسة صباحاً ، فإن هذا يعنى أن الساعة قد أصبحت فى ذلك المكان تسير نحو التاسعة والنصف صباحاً من يوم الأحد الموافق ١٠ أبريل ١٣٠٠
- (١٠) يعنى هنا مكان الصعود إلى جبل المطهر
- (١١) استخدم دانتي تعبير (عند ما يسود أو يدكن لون العنب) ويقصد بداية نضجه
- (١٢) يسد الفلاح الفتحات فى سياج كرمته بمدرة من الشوك لحمايتها من اللصوص .
- (١٣) سانليو (Sanlco) مدينة صغيرة فى دوقية أوربينو الجبلية وهى قرية من جمهورية سان مارينو .
- (١٤) نولي (Noli) مدينة صغيرة فى الريفييرا الإيطالية بين سافونا وفينالى
- (١٥) بيسمانتوا (Bismantova) قرية على منحدر جبل فى جنوب رييدجو ديميليا
- (١٦) كاكوى (Caccume) قمة عالية فى جبال لىبيى على مقربة من فروسينونى فى منطقة روما
- (١٧) أى كان الانحدار هنا أشد من انحدار المناطق الجبلية السالفة الذكر بحيث لا يمكن الصعود بدون أجنحة
- (١٨) يعنى أجنحة الأمل والإيمان الذى يحمل الإنسان إلى مراتب السعادة العلوية .
- (١٩) يقصد فرجيليو
- (٢٠) يشبه هذا المعنى ما ورد فى « الكتاب المقدس »
Matt. VII. ١٤.
- (٢١) أى من اليمين واليسار
- (٢٢) يعنى كان الجبل وعراً شديد الانحدار بحيث اقتضى الصعود السير على أربع .

- (٢٣) ارتفع هذا الجزء من الجبل كأنه جدار عمودى .
- (٢٤) أى أن الشاعرين خرجا من الثغرة فى الصخر الوعر إلى مكان مفتوح .
- (٢٥) يعنى هل سنسير إلى يمين أو يسار .
- (٢٦) أى أن من يسعى إلى مراتب السعادة العلوية لا يجوز له أن يتراجع
- (٢٧) يعنى حتى يظهر دليل خبير يعرف طريق الصمود على وجه التحديد وأستخدم دانتي قول (رفيق عارف أو حكيم)
- (٢٨) كانت قمة جبل المطهر عالية بحيث لا يبلغها البصر . وأستخدم دانتي لفظ (الغلبة أو الظفر) للدلالة على قصده
- (٢٩) لما كانت الدائرة تنقسم إلى ٣٦٠ درجة فربيع الدائرة يساوى ٩٠ درجة وثمانها يساوى ٤٥ درجة ومتتصف ربع الدائرة يعنى ثمنها . والمقصود أن زاوية الانحدار زادت كثيراً عن ٤٥ درجة أى اقتربت من ٦٥ أو ٧٠ ، وهذا يعنى شدة انحدار الجبل الذى تخيله دانتي فى هذه الرحلة
- (٣٠) أصبح دانتي متعباً فلم يستطع متابعة الصمود وراء فرجيليو .
- (٣١) هكذا يعمل فرجيليو على أن يشجذه دانتي إذا تولاه التعب ، إذ ليس سهلاً طريق التطهر والحكمة .
- (٣٢) هكذا فعلت كلمات فرجيليو فى دانتي فعل السحر
- (٣٣) حمل دانتي نفسه على رجله ويديه لمتابعة فرجيليو .
- (٣٤) وصل دانتي إلى الإفريز أشار إليه فرجيليو منذ قليل . وفى الأصل (حتى صار الإفريز الدائرى تحت قدمي)
- (٣٥) هكذا جلس الشاعران الراحة بعد التعب
- (٣٦) نظر إلى الشرق رمز الصلاة والعبادة
- (٣٧) يشعر الإنسان بالراحة إذا نظر إلى طريق صعب قطعه
- (٣٨) كانت الشمس إلى اليسار فى جبل المطهر ، بعكس ما يحدث فى الكفة الشمال بالنسبة لمن ينظر صوب الشرق . ويشبه هذا ما أورده لوكانوس Luc. Phars. III. 247
- (٣٩) أى الشمس .
- (٤٠) ربيع الشمال (Aquilone) ربيع باردة شديدة ، ويقصد دانتي أن يعبر بذلك عن الشمال وفى نصف الكرة الشمالى تخرج الشمس بين الرأى وبين الجنوب أى جهة الجنوب ويشبه هذا قول لوكانوس Luc. Phars. IX. 538...
- (٤١) كاستور وپولكس (Castor & Pollux) توأما زيوس وليدا فى الميتولوجيا اليونانية وحاميا السفن فى البحر ، واشتهرا بالشجاعة ، وقصد دانتي بذكرهما التعبير عن برج التوأمين فى الفلك . وهذا يعنى أنه حينما تكون الشمس فى برج التوأمين - فى مايو ويونيو - فإن المنطقة التى تكون فيها الشمس فى دائرة البروج - الزودياك - تصبح أقرب إلى الدب الأكبر والدب الأصغر ، يعنى يزداد تحركها نحو الشمال .
- (٤٢) المرأة أى الشمس التى تتلقى النور الإلهى من سماء السموات وتعكسها أعلى إلى الله وأسفل إلى الأرض
- (٤٣) يعنى الطريق المألوف الذى تسلكه الشمس فى دائرة البروج
- (٤٤) صهيون (Sion) أحد الجبلين اللذين تقع عليهما أورشليم ، وصار رمزاً لها
- (٤٥) ليس المقصود الأفق المرمى بل الأفق الفلكى الذى هو عبارة عن دائرة كبيرة فى السماء يمر مستواها بمركز الأرض ، ويكون موازياً للأفق المرمى لمكان ما

- (٤٦) أجريت تغييراً في وضع بعض الفقرات في ثلاثيني ٧٠ و ٧٣ مراعاة للأسلوب العربي .
- (٤٧) يعنى طريق الشمس في دائرة البروج
- (٤٨) سبقت الإشارة إلى أسطورة فيتون عند محاولته الصعود بمريته إلى السماء
Inf. XVII. 107.
- (٤٩) أى في جبل المطهر
- (٥٠) يعنى في أورشليم والمقصود أنه إذا حسن انتباه دانتى فسيدرك أن حركة الشمس في شمال مدار السرطان - أى في أورشليم - تبدو من اليسار إلى اليمين ، وفى نفس الوقت تبدو أنها تسير من اليمين إلى اليسار في جنوب مدار الجدى - أى في جبل المطهر
- (٥١) أى بعد أن شرح له فرجيليو المسألة
- (٥٢) يعنى في علم الفلك .
- (٥٣) يفصل خط الاستواء بين الصيف والشتاء في نصي الكرة . واستخدم دانتى لفظ (الشمس) للتعبير عن الصيف
- (٥٤) هكذا يعبر دانتى عن ارتفاع الجبل وشعوره بالإجهاد . ويستخدم دانتى لفظ (الصعود) للتعبير عن ارتفاع الجبل وعن عدم بلوغ عينيه مداه الشاق .
- (٥٥) الصعود صعب في أول الأمر ولكنه يسهل بالتطهر من الخطايا
- (٥٦) يشبه هذا المعنى ما سيأتى بعد
Purg. VIII. 21.
- (٥٧) هذه موازنة مستمدة من المشاهدة . ويشبه هذا التعبير ما سيأتى في الفردوس :
Par. XVII. 42.
- (٥٨) أى نهاية المطهر
- (٥٩) هذه إشارة إلى ما سيأتى بعد حيث سيعرف دانتى كل شيء بواسطة غيره
Purg. XVIII. 48; XXVII. 127-129.
- (٦٠) لم ينتبه الشاعران إلى الصخر لأنهما نظرا صوب الشرق .
- (٦١) هذه نفوس الكسالى الذين أهملوا التوبة حتى آخر لحظة من حياتهم
- (٦٢) كان هؤلاء في وضع جالس أو واقف وهذا تعبير عن تأخيرهم في التوبة
- (٦٣) تشبه هذه الصورة بعض ما ورد في تراث الإسلام إذ رأى أبو دلف العجل (الجندى من عصر المأمون) أباه في الحلم عارياً وقد جلس واضعاً رأسه بين ركبتيه السيوطي كتاب شرح الصدور (السابق الذكر) ص ١١٤
- (٦٤) هكذا بدا هذا المتطهر في غاية الكسل والتراخي .
- (٦٥) نظرت هذه الروح بانتباه إلى الشاعرين
- (٦٦) يصف المتطهر دانتى بالشجاعة وهي عكس صفته هو ، وفى هذا نوع من السخرية الخفيفة
- (٦٧) كان دانتى لا يزال يشعر ببعض التعب
- (٦٨) رفع هذا المتطهر رأسه طفيفاً لأن دانتى كان فوقه بحكم وقوفه ، وكانت هذه الحركة البطيئة تناسب حال الكسل التي كان عليها
- (٦٩) يسخر هذا المتطهر (بلاكو) من دانتى لعدم إدراكه حركة الشمس في نصف الكرة الجنوبي ، ولكن سخريته خفيفة رقيقة
- (٧٠) ابتمم دانتى بسمة خفيفة لسخرية المتطهر الرقيقة

(٧١) بلاكوا (Belaqua) الفلورنسي صانع الآلات الموسيقية عرف بالكلل الشديد وكان من معارف دانتي

(٧٢) يلوم دانتي بلاكوا على كسله وإهماله

(٧٣) لفظ الأخوة تعبير عن الإعزاز بين هذين المواطنين الفلورنسيين .

(٧٤) لا يفتح الملك الحارس باب المطهر إلا لمن يستحق الدخول Purg. IX. 76-78.

(٧٥) يعنى عذاب التطهر

(٧٦) أى أنه تأخر في التوبة إلى آخر لحظة من حياته بسبب الكسل والإهمال

(٧٧) أى قبل أن يدخل من باب المطهر

(٧٨) يعنى خارج باب المطهر يعنى في مقدمة المطهر .

(٧٩) هذا لأن صلاة الأحياء ودعائهم يقصران مدة التطهر ، كما سبق . ويشبه هذا المعنى ما ورد في

Giov. IX. 31; Giob. XXVII. 9; XXXV. 13. « الكتاب المقدس »

(٨٠) لا ينفع هنا شيء سوى الصلاة لتقصير مدة تطهير بلاكوا ولذلك فهو لا يحرك ساكناً ويتنظر

الزمن المقرر عليه ، ويتناسب هذا مع الكسل الذي لازمه في حياته . وفي هذا نوع من الأسى

والرضا بحكم القدر

ويشبه هذا المعنى بعض ما ورد في تراث الإسلام من حيث أن الصلاة هدية وثواب من أهل

الأرض إلى أهل المقابر

السيوطي كتاب شرح الصدر (السابق الذكر) ص ١٢١

(٨١) يشبه هذا ما أورده أوفيدوس Ov. Met. II. 142.

(٨٢) يعنى أن الوقت أصبح ظهراً في المطهر بينما حل الليل في نصف الكرة الشمال من الكنج إلى

مراكش حسب فلك العصر وجغرافيته

الأنشودة الخامسة ^(١)

كان دانتى يسير وراء دليله وأدركت الأرواح أنه إنسان حيّ لأنه ترك ظلاً على الصخر ، فنظروا إليه في عجب ودهشة وسأل فرجيليو دانتى أن يدهم يتهامسون وألا يعبأ بما يُقال وأن يكون كالبرج الشامخ الذى لا تهتز قمته بعصف الرياح أبداً وسارع إلى الشاعرين روحان لمعرفة من القادمين ، فعرفا أن دانتى إنسان من لحم ودم ، فاجتمع حشدٌ من الأرواح حولهما وسألوهما التوقف قليلاً لكى يحمل دانتى عنهم إلى الأرض خبيراً وكان هؤلاء هم من قُتلوا ولم تُتَح لهم فرصة الندم والتوبة عن ذنوبهم إلا في آخر لحظة من حياتهم وأظهر دانتى استعداده لأداء ما يستطيعه من الخير لهم فسأله جاكوبو دل كاستيرو أن يرجو أهل فانو الصلاة من أجل الخلاص من آثامه ، وتكلم عن الجراح المميّنة التى أصابته وهو محاطٌ بأهل يادوا ، وقال إنه لو كان قد هرب إلى ميرا لما قُتل في أورياكو ، حيث مات وسط بحيرةٍ من دمه الغزير ، وقال بوونكونتى دى مونتلانو إن أحداً لا يُعنى به في الأرض ولا حتى ابنته جوفانّا وسأله دانتى كيف ابتعدت جثته عن أرض معركة كامبالدينو حتى لم يعرف له قبر فقصّ عليه كيف تنازع من أجل حيازة روحه كل من ملاك السماء وملاك الجحيم ، وذكر كيف هطل المطر وجرفته المياه المتدفقة حتى ألقت به في هر الأرنو. وسألت پيا دا تولومبي دانتى أن يذكرها عند عودته إلى الأرض ، بعد أن يستريح من عناء رحلته الطويلة ، وقالت إنها ولدت في سيينا وماتت في ماريمّا ، ويعرف ذلك زوجها الذى بى بها بعد أن وضع في أصبعها خاتمته ، ولم تزد عن ذلك حرفاً

- ١ كنت قد رحلت عندئذ عن هذه الأشباح ^(٢) ، وتابعتُ مواطئُ قدمي دليلي ، حينما صاح من ورأى أحدها
- ٤ مشيراً بأصبعه ^(٣) « انظر كيف يبدو أن شعاع الشمس لا يضيء إلى يسار السائر في أسفل ^(٤) ، وكيف تظهر في أفعاله خصائص الإنسان الحي ^(٥) ! »
- ٧ فتلفتُ بعيني على زنين هذه الكلمات ، ورأيتهن ينظرون إلى في عجبٍ — إلى وحدي ^(٦) — وإلى النور الذي احتجب ^(٧)
- ١٠ قال أستاذي « لم يشتدَّ انشغال عقلك حتى تُبطيء مسيرك ^(٨) ؟ وماذا يعينك ما يتهامون به هنا ^(٩) ؟ »
- ١٣ تعال ورأى ، ودع الناس يتكلمون ^(١٠) : وكن كبرجٍ ثابت لا تهتز قمته بعصف الرياح أبداً ^(١١) ؛
- ١٦ فإن من تنبثق لديه فكرة عن فكرة أبداً ، يُباعد نفسه عن هدفه ؛ إذ تُضعف إحداها من قوة الأخرى ^(١٢) »
- ١٩ وماذا كان يسعى أن أجيبه سوى « إني قادمٌ ؟ » قلتها وقد علتني مِسحةٌ من اللون الذي يجعل الإنسان جديراً بالصفح أحياناً ^(١٣)
- ٢٢ وفي الوقت ذاته جاء قومٌ عبر الجبل يتقدموننا قليلاً ^(١٤) ، ويرتلون في لحن متتابع ^(١٥) « إرحمني يا الله » ^(١٦)
- ٢٥ وحينما أدركوا أني لم أدع خلال جسمي سبيلاً لمسرى أشعة الشمس ، أبدلوا تريلهم « بأهه ! » طويلة خرساء ^(١٧) ؛
- ٢٨ وهرولَ نحونا اثنان مهم ^(١٨) كأنهما رسولان ، وصاحا بنا « ألا فلتعرفانا بحالكما ^(١٩) »
- ٣١ فقال أستاذي « يمكنكما الذهاب وإفادة من أرسلوكما أن ما ترونه ليس سوى جسد من دمٍ ولحم
- ٣٤ وإذا كانوا قد توقفوا لرؤية شبحه — كما أعتقد — فسينالون بذلك ما يرضى سؤلهم ^(٢٠) : وعليهم بتمجيده ، فقد يُصبح عزيزاً لديهم ^(٢١) »
- ٣٧ لم أر أبداً أجرة ملتهبة تشقَّ عنان السماء الصافية ، في بداية الليل بسرعة فائقة ^(٢٢) ، ولا سحب أغسطس عند غروب الشمس ،

- ٤٠ كهاتين الروحين الذين رجعتا إلى أعلى في زمن أقلّ من ذلك (٢٣) ؛ ولما وصلتا هناك اتجهتا نحونا مع سائر الأرواح ، كجماعة تجرى بدون عنان (٢٤)
- ٤٣ قال الشاعر « كثير هؤلاء القوم الذين يندفعون نحونا ويأتون لرجائك ، ولكن فلتسير قدماً ولتصغ إليهم في مسيرك (٢٥) .
- ٤٦ وأقبلوا نصائحين « أيها الروح السائر في طلب السعادة (٢٦) ، بتلك الأعضاء التي ولدت بها ، هلاّ توقّف خطأك قليلاً ،
- ٤٩ وانظر إذا كنت قد رأيت أحدنا ، كي تحمل عنه إلى هناك خبراً (٢٧) :
- أواه ، لم تسير ؟ أواه ، لم لا تتوقّف ؟
- ٥٢ كنا جميعاً قد قُتلنا عنوةً ، وظللنا آثمين حتى ساعتنا الأخيرة حيث كشف نور السماء عنا الحجاب (٢٨) ،
- ٥٥ ففارقنا الحياة — بالندم والغفران — في سلامٍ مع الله (٢٩) ، الذي يُلهب قلوبنا بالشوق لرؤياه (٣٠) »
- ٥٨ قلت « إني مع إمعاني النظر في وجوهكم لا أتعرف على أحدكم ؛ ولكن إذا راقكم أمرٌ أقدر على فعله — يا أيّها الأرواح السعيدة الموليد (٣١) —
- ٦١ فلتذكروني (٣٢) وسأؤدّيه لكم من أجل ذلك السلام الذي يحملني بذاته على السعي في طلبه ، من عالَمٍ إلى عالم ، وراء خُطى دليل مثله (٣٣) »
- ٦٤ فبدأ أحدهم « إننا نثق جميعاً في فعلك الخير بدون أن نقسم على ذلك — ما لم يعطل إرادتك العجز (٣٤)
- ٦٧ ولذا أرجوك — أنا الذي أتكلّم وحدي قبل الآخرين (٣٥) — إذا رأيت يوماً تلك البلاد التي تقع بين أرض رومانيا وأملاك شارل (٣٦) —
- ٧٠ أرجوك أن تتلطّف بي فترجوهم في فأنو أن يقيموا من أجلى الصلوات الطيبة ، حتى يمكنني التطهّر من آثامي الخطيرة (٣٧)
- ٧٣ فإني إلى هناك أنتمى ، ولكن الجراح العميقة التي خرج خلالها الدم من الجسم الذي كنت أسكنه (٣٨) ، قد نالت مني وأنا في غمرة أبناء الأنتينوري (٣٩) ،
- ٧٦ هناك حيث ظننت أنّي أكثر أماناً : إن مُدبّرَها هو ذاك المركيز من إسّت (٤٠) ، الذي تجاوز في غضبه على أكثر مما يقتضيه الحق (٤١)

- ٧٩ ولو كنتُ قد هربت صوب ميرا^(٤٢) - حينما أدركوني عند أورياكو^(٤٣) ،
لظلمتُ بعدُ حيثُ تردد الأنفاس^(٤٤) .
- ٨٢ وإلى المستنقع جريتُ ، ولكن عوقى البوص والطين^(٤٥) حتى تردّيتُ ؛
وهناك رأيتُ من عروقي بحيرة تُصنع فوق الأرض^(٤٦) .
- ٨٥ ثم قال آخر « آه - مع رجائي أن تتحقّق تلك الرغبة التي تجتذبك إلى
الجبيل العالي - هلاّ تعينني على بلوغ رغبتي بعطفك الطيّب^(٤٧) !
- ٨٨ لقد كنتُ من مونفيلترو ، وإلى أنا بونكونتي^(٤٨) : ولا تحفل بي
جوفانا^(٤٩) ولا غيرها^(٥٠) ، ولذلك أسير بين هذه الجماعة مطرق الرأس^(٥١) .
- ٩١ فقلت له « آية قوة أو آى قدر نأى بك عن أرض كامبالدينو^(٥٢) ، حتى
لم يُعرف لك قبرٌ أبداً^(٥٣) ؟ »
- ٩٤ فأجاب « آه ، عند سفح كازنيتينو^(٥٤) يجرى جدولٌ يُدعى أركيانو^(٥٥) ،
وينبع في الأبنين فوق ذلك اللدير^(٥٦) .
- ٩٧ وهناك حيث يزول اسمه^(٥٧) ، وصلتُ مجروح الحلق هارباً على القدمين
وقد لوّث السهل بالدم^(٥٨) .
- ١٠٠ وهنا فقدتُ البصر وعجزتُ عن الكلام ؛ ولكنني انتهيت باسم العذراء
ماريا^(٥٩) ؛ وهنا سقطتُ ، وظل جسدى وحده مُلقًى على الأرض
- ١٠٣ وبالصدق سأخبرك ، وستعيد قوله بين الأحياء^(٦٠) لقد أخذنى ملاك
السماء^(٦١) ، فصاح به ملاك الجحيم^(٦٢) "لمَ تحرمى منه يا سناكن
السماء^(٦٣) ؟
- ١٠٦ إنك تحمل منه جزءه الخالد^(٦٤) - بقطرة الدمع التي تنتزعه منى^(٦٥) ،
ولكننى سأجعل لسائرته مصيراً آخر ! " (٦٦)
- ١٠٩ وإنك لتعرف حقّاً كيف يتجمّع في الهواء ذلك البخار الرطب ، الذي يعود
ماءً حينما يعلو حيث يغشاه البرد^(٦٧) .
- ١١٢ ولقد اتحدت. بالعقل تلك الإرادةُ الخبيثة التي لا تطلب سوى الشر^(٦٨) ،
وأنارت الضباب والريح بالقوة التي تصدر عن طبيعتها^(٦٩) .

- ١١٥ ولما أفل النهار غطت الوادى بالضباب^(٧٠) — من پراتومانيو^(٧١) إلى القمة الشاهقة^(٧٢) ، وجعلت السماء في عليائها كثيفة^(٧٣) ،
- ١١٨ حتى تحوّل الهواء المشبّع بالبخار إلى ماء^(٧٤) وهطل المطر ، وانساب منه إلى القنوات ما لم تتشربه الأرض^(٧٥) ؛
- ١٢١ حينما تجمعت المياه في الجداول الكبيرة^(٧٦) ، تدفقت سريعة إلى النهر الملكي^(٧٧) ، حتى لم يقفها دونه شيء
- ١٢٤ وعند المصبّ ، وجد أركيانو الجارف جسد المتجمّد ، فألقى به في مياه الأرزو ، ومن صدرى أزال الصليب ،
- ١٢٧ الذى كنت قد صنعتُه بذراعى^(٧٨) ، حينما غلبى الألم^(٧٩) وجرفنى النهر^(٨٠) نحو ضفتيه وقاعه ، ثم غطانى ولفتنى بأخلاقه^(٨١) »
- ١٣٠ وبعد الثانية قالت الروح الثالثة^(٨٢) : « إيه ، عندما تُصبح إلى الدنيا عائداً^(٨٣) ، وتسريح من عناء رحلتك الطويلة^(٨٤) ،
- ١٣٣ فلّتدكرنى^(٨٥) ، فإنى أنا پيا^(٨٦) ولقد ولدتنى سيينا^(٨٧) ، وقتلتنى ماريمّا ،^(٨٨) ويعرف ذلك^(٨٩) من وضع من قبل خاتمه
- ١٣٦ فى أصبعى ، حينما بنّى بى^(٩٠) »



• - فلتذكرني ، فاني انا پيا

أنشودة • ۱۳۳ - ۱۳۶

حواشى الأنشودة الخامسة

- (١) هذه أنشودة المهملين فى التوبة الذين لقوا موتاً عنيفاً ، وتسمى أنشودة جاكوبو دل كاسيرو أو أنشودة بونكونتي دى مونفيلترو أو أنشودة پيا دا تولومبي .
- (٢) أى ابتعد دانتي عن بلاكوا وجماعته
- (٣) أشار هذا الشيخ بأصبعه لكى يلفت نظر الآخرين إلى دانتي .
- (٤) يعنى أن جسم دانتي قد ترك ظلاً على الأرض .
- (٥) أى أن دانتي كان يسير وهو يأتى بحركة الأحياء وصوبهم .
- (٦) دهشة الأرواح عندما رأوا دانتي إنساناً حياً
- (٧) يعنى نظروا إلى دانتي وحده وإلى ظله البادى على الصخر وفى الأصل (انكسر)
- (٨) تسامد فرجيليو عما انتاب دانتي حتى أبطأ مسيره ، وهو يريد أن يسرع الخطى .
- (٩) أى لا داعى للاهتمام بهماس هذه الأرواح
- (١٠) يدعو فرجيليو دانتي ألا يعأ بكلام الأرواح والناس
- (١١) يطلب فرجيليو إلى دانتي أن يكون كالبرج الشامخ الذى لا يتأثر بالعواصف وينتقل فرجيليو - أو دانتي على لسان فرجيليو - من تهامس الأرواح أو الناس إلى كلامهم ولغوهم ولا يجوز عنده أن يؤدى تهامس الناس وأقاويلهم إلى تعطيل ذوى الإلهام عن بلوغ أهدافهم العليا . وعلى لسان فرجيليو نسمع صوت دانتي الذى يعبر عن انفجار نفس اعتادت الوحدة السامية الرفيعة ، واعتادت كذلك أن تقاوم بعزيمة صلدة لغواكلام وعلى هذا يسأل فرجيليو دانتي أن يأتى وراءه ويدع الناس يتكلمون ، ويطلب إليه أن يقف كالبرج الثابت الذى لا تهتز قمته بعصف الرياح أبداً ، وحينما يريد دانتي التعبير عن قوة الروح المعنوية يأخذ تشبيهه من المعانى المادية والصور المحسوسة التى تفصح عن غرضه تماماً وأماناً القمة التى تمتد فى الفضاء وتعلو على لغو الكلام ، وتناسب مع القوة المعنوية التى يعبر عنها ويدعو إليها وأية كلمات صلدة هذه التى جرت على لسان فرجيليو لكى تحفز الإنسان على الثبات وتشحذ العزيمة وتمنح من يأخذ بها قوة تقف فى وجه العواصف بغير باسم !
- Virg. Æn. X. 693-695. ويشبه هذا المعنى ما أورده فرجيليو :
- (١٢) يعنى أن الإنسان الذى تجتمع لديه فكرة على فكرة ينحرف عن هدفه لاختلاط أفكاره وتعطيل بعضها بعضاً والمقصود أنه ينبغي على دانتي ألا يشغل باله بالأفكار التى تعوق سيره .
- (١٣) أى أنه قد علت وجه دانتي مسحة من الخجل لإبطائه
- (١٤) هؤلاء هم الذين كانوا ينون التوبة ولكنهم لقوا موتاً عنيفاً مفاجئاً فظلوا بذلك خاطئين حتى آخر لحظة من حياتهم ، ولذلك يبقون فى مقدمة المطهر زمناً طويلاً
- (١٥) يعنى أن جماعة من هؤلاء كانوا يرتلون آية وجماعة أخرى ترتل آية ثانية على التوالى .
- (١٦) رتل هؤلاء مزمور « ارحمى يا الله » (Miserere mei) أحد مزامير التوبة السبعة
- Sal. LI.
- (١٧) لما وجئوا أن دانتي جسم له ظل أخذهم العجب وأوقفوا ترتيلهم وصاحوا بآه طويلة خرساء .

Inf. XII. 58 ...

(١٨) يشبه هذا التعبير ما ورد عن القناطس في الجحيم

(١٩) لم يصبر هذان الشبحان على ما شهداه وجرياً للاستفسار عن حال الشاعرين

(٢٠) أى إذا كان وقوفهم لرؤية دانتي ومعرفته على حقيقته فهذا يعنى أنهم أدركوا أنه إنسان حتى

يحجب أشعة الشمس ويترك ظلاً على الصخر

(٢١) يعنى أن دانتي يمكنه أن يحمل ذكراهم الطيبة إلى الأرض ويرجو أهلهم الصلاة من أجلهم

وبذلك يؤدي لهم خدمة جليلة

(٢٢) ربما كان المقصود بالبخار الملتهب الشهب أو البرق الذى يحدث فوق السحب زمن الصيف

وكان يظن أن هذا يرجع إلى تصاعد البخار في الجو . ويشبه هذا ما أورده فرجيليو

Virg. Georg. I. 365

(٢٣) كان رجوع هذين الشبحين من حيث أتيا أسرع من صعود البخار إلى الجو أو أسرع من لمح

البرق صيفاً

(٢٤) هؤلاء الذين قتلوا وتابوا في آخر لحظة ، هم أشد النفوس عذاباً في مدخل المطهر ، ولذلك فإن

حركتهم السريعة تعبر عن تطلعهم الشديد إلى الخلاص .

(٢٥) سأل فرجيليو دانتي أن يتابع سيره حتى لا يضيع الوقت ، ويمكنه الإصغاء إلى حديث الأشباح

في أثناء سيره .

(٢٦) أى نفس دانتي التى تسير في طريق السعادة .

(٢٧) يعنى يحمل عنه خيراً إلى أهل الأرض .

(٢٨) في الأصل (حيث جعلنا نور السماء عارفين)

(٢٩) أى أنهم غفروا لمن قتلوهم وبذلك كفروا عن آثامهم . ويشبه هذا المعنى ما ورد في «الكتاب المقدس» :

Matt. VI. 14.

Inf. IV. 42.

(٣٠) يشبه هذا ما سبق في الجحيم

(٣١) يعنى الأرواح التى ستتطهر وتصعد إلى الفردوس

(٣٢) أى أن دانتي مستعد لأن يفعل كل ما يروقهم ويسعدهم .

(٣٣) السلام في ذاته يدفع دانتي للسعى إليه وبلوغه ، وتربط دانتي هؤلاء المتطهرين برغبة واحدة

(٣٤) يعنى إذا لم تعجز قواه عن القيام بما يرغب فيه ، ولن يكون عليه وزر بذلك

(٣٥) هذا هو جاكوبو دل كاسيرو دا فانو (Jacopo del Cassero da Fano) أحد زعماء الجلف

في فانو الذى حارب مع فلورنسا ضد جيلين أرييتزو في ١٢٨٨ ، وأصبح عمدة بولونيا ثم

ميلانو ، وناهض أنزو الثامن دست مركيز فرارا فقتله بعض رجاله ، وحملت جثته إلى كنيسة

سان دومينكو في فانو .

(٣٦) تقع فانو (Fano) بين رومانيا وأملاك نابلى التى كانت تحت حكم شارل دانجو الفرنسى

وسبق ذكرها في الجحيم (Inf. XXVIII. 76) وفي ترجمتى للجحيم أصبحت (فانو) في الثلاثية

رقم ٣٤ من الأنشودة ٢٨

(٣٧) يرجو دانتي أن يعمل في فانو على إقامة الصلوات من أجله لكي تتطهر روحه من الخطايا

وتوجد صورة لفانو من القرن ١٤ في كاتدرائية فانو .

(٣٨) كانت جراحه يميتة تدفق منها الدم الغزير .

(٣٩) أى أن أهل بادوا - الذين قتل جاكوبو بينهم - هم أبناء أنتينورى الطروادى الخائن الذى سميت باسمه الدائرة الثانية فى منطقة كوتشيتوس فى الجحيم
Inf. XXXII. 88.

(٤٠) يعنى أتزو الثامن دست (Azzo VIII. d'Este) مركيز فرارا

(٤١) أى أنه غضب عليه وكرهه بدون مبرر ، وإن كان ينشئ معارضته مصلحة المركيز .

(٤٢) ميرا (Mira) قرية تقع على قناة تخرج من نهر برنتو بين بادوا وأورياكو .

(٤٣) أورياكو (Oriaco) قرية تقع بين بادوا والبندقية وهى أقرب إلى الأخيرة وهى المكان الذى قتل فيه جاكوبو دل كاسيرو

(٤٤) يعنى لو أنه هرب صوب ميرا لبق على قيد الحياة

(٤٥) كانت هذه المنطقة ملأى بالمستنقعات والبوص .

(٤٦) أى أنه مات وسط بحيرة من دمه ، وهذا كلام رقيق حزين مؤثر

(٤٧) تطلب هذه الروح إلى دانتى أن يؤيد بالصلوات رغبتها فى الخلاص .

(٤٨) بوونكونتى دا مونتفلترو (Buonconte da Montefeltro) بن جويدو دا مونتفلترو (Inf. XXVII. 61-126) الذى حارب جلف أريتزو فى ١٢٨٧ ثم حارب ميينا ، وفى ١٢٨٩ كان على رأس جبلين أريتزو ضد فلورنسا فى موقعة كامبالدينو حيث قتل .

(٤٩) جوفانا (Giovanna) زوجة بوونكونتى .

(٥٠) يعنى أن أحداً لا يعنى بالصلاة من أجله ، ويقصد جالاسيو دى مونتفلترو قريه الذى أصبح عمدة أريتزو فى ١٢٩٠ ، وكذلك يقصد أخاه فيدركو عمدة أريتزو فى ١٣٠٠ ، وكذلك ابنته مانتيسا

(٥١) خفض وجهه حزناً وخجلاً لأن أحداً من أحبهم لا يعنى بمصيره ولا يصل من أجله ، وبذلك سيقضى وقتاً طويلاً فى مقدمة المطهر

(٥٢) كامبالدينو (Campaldino) سهل فى منطقة كازنتينو فى وادى الأرنو الأعلى بين بوبي فى وبيينا ، حيث انتصر جلف فلورنسا على جبلين أريتزو فى ١١ يونيو ١٢٨٩ ، وقد اشترك دانتى وبوونكونتى فى هذه المعركة كل منهما فى جانب وأقيم فى هذا المكان عمود تذكارى للمعركة .

(٥٣) أى أنه لم يعثر أحد على جثة بوونكونتى .

(٥٤) كازنتينو (Casentino) منطقة فى وادى الأرنو الأعلى ، وسبق ذكرها فى الجحيم

Inf. XXX. 65.

(٥٥) أركيانو (Archiano) هر يصب فى الأرنو ويوصل منطقة كازنتينو عن منطقة بيبينا

(٥٦) هذا هو دير كامالدولى (Camaldoli) الذى أنشأه سان روموالدو فى بداية القرن الحادى عشر فى موضع مرتفع ملء بالغابات

(٥٧) يعنى هناك حيث يزول اسم أركيانو بعد كامبالدينو على مقربة من بيبينا لأن مياهه تصب فى هر الأرنو .

(٥٨) هكذا سار وهو مطمون مضرج بالدماء .

(٥٩) مات وهو يذكر العذراء ماريا أى مات قائماً

(٦٠) يقصد بهذا أن الأحياء سيألمون ويصلون من أجله وبذلك تقصر مدة عذابه فى المطهر .

- (٦١) أخذ ملاك السماء روحه فقط
- (٦٢) أى الشيطان
- (٦٣) يعتبره الشيطان من أتباعه ولذلك يحاول أن يأخذ روحه .
- (٦٤) يعنى الروح
- (٦٥) يستصغر الشيطان شأن الدمعة الصغيرة ويرى أنها لا تكفى للتوبة.
- (٦٦) يهدد الشيطان بما سيفعله بجسد بوونكونتى .
- (٦٧) هكذا يصور دانتي سقوط المطر ، واستمد ذلك من حال الجو في يوم معركة كامبالدينو .
Virg. Georg. I. 322...
- (٦٨) ورد معنى مقارب في الجحيم
Inf. XXIII. 16; XXXI. 55-57.
- (٦٩) أى أن الشيطان أثار عاصفة لكي ينتقم ، ويشبه هذا ما أورده توماس الأكويني
d'Aq. Sum. Theol. I. LXIV. 1 ; CXII. 2.
- (٧٠) يعنى غطت إرادة الشيطان الشريرة الوادى بالضباب
- (٧١) جبال پراتومانيو (Pratomagno) تحد منطقة كازنتينو من الغرب وتفصل وادى الأرنو الأعلى عن تسكانا
- (٧٢) أى جبال الأپنين الأساسية
- (٧٣) يشبه هذا التعبير ما أورده فرجيليو
Virg. Æn. IV. 506.
- (٧٤) هذا مستمد من الجو الملبد بالسحب يوم معركة كامبالدينو.
- (٧٥) يعنى أن المطر كان غزيراً
- (٧٦) أى جداول كازنتينو
- (٧٧) النهر الملكي يعنى مهر الأرنو ، وهذا بعض اعتزاز دانتي بنهر فلورنسا
- (٧٨) يعنى أنه عند موته رسم علامة الصليب بيديه على صدره ، وغيّرت حركة المياه العنيفة وضعهما فزال الصليب
- (٧٩) أى ألم الموت وألم الشعور بالإثم
- (٨٠) أضفت لفظ (النهر) للإيضاح
- (٨١) يعنى بمحتويات النهر من طين وحصى وصخور وبذلك لم يعرف أحد مكان جثته
- (٨٢) أى لم يكن هناك توقف بين حديث هاتين الروحين ، وما إن سكنت الروح الثانية حتى تكلمت الثالثة ، وكأنها كانت تتوقف أول فرصة للكلام لكي تعبر بطريقها عما تعانیه من الألم وهذا انتقال مفاجئ بين الموقف السابق موقف الألم العنيف ، وبين الموقف اللاحق موقف الألم الهادئ العذب الرقيق .
- (٨٣) كانت ذكرى الدنيا لا تزال ماثلة أمام هذه الروح الثالثة .
- (٨٤) قدرت هذه الروح - بمكس سائر الأرواح - ما يلاقه دانتي في رحلته من العناء ، ولذلك فهي تؤخر كلامها وتحجز ألماً لحظة ، وتذكر لدانتي أن من حقه أن يستريح من عناء الرحلة ، وتطلب إليه أن يفعل ما تريده بعد أن ينال قسطه من الراحة وهذا كلام عذب رقيق يصدر عن إنسان يقدر مشاعر الآخرين ومتاعبهم قبل أن يذكر آلامه ومتاعبه هو . هذا كلام أم

أو أخت أو حبيبة مخلصه تضحي بآلامها في سبيل من تحب . وهذه نظرة صادقة للمرأة التي تقدر متاعب الرجل وتعمل على إزالتها أو التخفيف منها

(٨٥) ومع ذلك فهي لا تطلب أمراً صعباً ولا تكلفه بما يشق عليه . لا تطلب هذه الروح إلى دانتى سوى أن يذكرها في الدنيا بعد أن يستريح من عناء رحلته ، ولا تحدد له أين ومن ينبغي أن يذكرها عنده ، كما فعل غيرها من قبل . لأنه ليس لها في الدنيا أصدقاء بمعنى الكلمة . ويكفي عندها أن يذكرها دانتى بشخصه لأنه إنسان عطوف رقيق ، أو يذكرها لجماعة ما من الناس الذين إذا عرفوا أمرها وما لقيته من العذاب ، فستأخذهم الشفقة بها ، ويصلون من أجلها ، وبذلك تقصر مدة عذابها وتطهرها

(٨٦) هذه هي بيا دا تولومي (Pia da Tolomei) من سيينا . وهي زوجة نلواو باجانلودى پانوكيسكى (Nello, Paganello dei Pannochieschi) الزعيم الخلفى وصاحب قلعة پيترا (Castello di Pietra) في منطقة ماريما على بعد تسعة أميال شرقى ماسا على البحر التيرانى . وأصبح باجانلودى عمدة لبعض المدن مثل فولتيرا في ١٢٧٧ ولوكا في ١٣١٢ ، وأصبح قائد الخلف الخلفى في تسكانا في ١٢٨٤ وعاش حتى ١٣٢٢ على الأقل . ومن الجائز أن باجانلودى قد شك في أمانة زوجته أو أنه أراد التخلص منها لكي يتزوج من امرأة ثرية هي مارجريتا دى ألدوبراندسكى ، التي طلقت للمرة الثالثة وتزوجت من باجانيلا . ويقال إن باجانلودى قتل زوجته بيا بأن عرضها لبحر ماريما الموبوء بالملاريا . ويقال كذلك إنه أمر بعض أتباعه بقتلها بأن أسك بقدميها من الخلف بينما كانت تطل من نافذة بقلعة پيترا ، وألقى بها في واد عميق في ١٢٩٧ . ويسمى الموضع الذى يقال إنها ألقيت منه بمقفز الكونتيسة (Il Salto della Contessa) وظن بعض الباحثين أن المقصودة هنا بيا جواستلونى (Pia Guastelloni) أرملة بالدو دى تولومي (Baldo dei Tolomei) ، وأنها تزوجت من باجانلودى پانوكيسكى ، ولكن هذا الرأى مستبعد لأنه ثبت أن بيا جواستلونى ظلت على قيد الحياة حتى جاوزت السبعين على الأقل في ١٣١٨ . وتذكر بيا اسمها العذب الرقيق النطق في اللغة الإيطالية ومعناه التقية أو الصالحة أو الرحمة . ولا يزال تعبير (اذكرنى فأنا بيا) يتردد على بعض الألسنة في سيينا - وإيطاليا - عند الفراق بين الأصدقاء والأحباب .

(٨٧) يعنى أنها ولدت في سيينا

(٨٨) أى أنها قتلت في ماريما . وهي تعبر عن ميلادها ومأساتها وموتها في بيت واحد . وهي شديدة الارتباط بالأماكن التي عاشت فيها في سيينا التي تحمل لها ذكريات الطفولة والشباب ، وهي مرتبطة كذلك بالمكان الذى عاشت وماتت فيه في ماريما ، التي تحمل لها ذكري الحب والمساءة والموت . وهي لا تذكر شيئاً عن تفاصيل موتها ، وهذا يعنى أنها غفرت وصفحت عما نالها من موت غادر

(٨٩) يعنى أن زوجها هو الذى يعرف تفاصيل مأساتها ، ولكنها لا تذكرها ولا يساورها بسببها الشعور بالكراهية ولا الرغبة في الانتقام .

(٩٠) لا تذكر بيا زوجها كرجل غادر قاتل بل تذكره كزوج

(٩١) بيا دا تولومي إحدى الشخصيات التي صورها دانتى بفنه الرائع في سبعة أبيات من الشعر ! وهي

تشبه فرنشسكا دا ريمى فى الجحيم فى عاطفتها الخالصة وإحساسها الرقيق، ولكنها لم ترتكب الخطيئة بسبب الحب كما ارتكبتها فرنشسكا. وهى تنسى الغدر والقتل والمأساة، وتعزى بذكريات الزوجية، وتستعيد ذكرى الخطبة ووضع الخاتم فى الأصبع ثم الزواج. ولا يعينها إلا الذكريات الطيبة ثم الرغبة فى أن يصل من أجلها بعض الناس - ولو لم تعرفهم لكى يقصر زمن تطهرها وتصعد إلى الفردوس. وهى غفرت كل شيء لأنها ذات قلب رحيم وهى ذات نفس أبية نبيلة كريمة. وهى تغفر وتطلب الغفران وهى لا تصرخ ولا تولول لأنها تدرك أثقال الناس ويؤسهم وهى لا تفصح عن ألمها لأنها تدرك آلام الآخرين. وهى لا تشكو ولا تبكى لأنها رقيقة الحس ولا تريد أن تزيد فى عذاب الناس وهى تتألم وحدها، وتبكي فى صمت وبدون دموع، بل وتبدو كأنها لا تتألم، وبهذا تسير فى طريق التطهر والغفران وهذه هى بعض صفات دانتي وبعض ما جاش به صدره ودار بين جوانحه. فبيا دا تولومى تفصح عن نواح أخرى فى شخصية دانتي العظيم وتتجاوب فى إحساسها المرهف مع دانتي النبيل الرحيم الرقيق، الذى يقدر آلام الآخرين، ويتألم وحده فى صمت وبدون ضوضاء وضجيج. وهكذا كشف دانتي عن بعض خفايا النفس البشرية التى كانت تحول تقاليد العصور الوسطى دون الإفصاح عنها وقد وضع فى ماركيتسى لحناً موسيقياً غنائياً عن بيا فى ميلانو سنة ١٨٨٠، وهو من الطبقة الأنثوية بين العالية والمنخفضة (mezzo soprano) ولم أجده بعد مسجلاً. وكذلك وضع. أورمىي أوبرا مستوحاة من مأساة بيا ومثلت لأول مرة فى فلورنسا فى ١٨٣٥ وكذلك فعل جايانو دونتيزى ومثلت أوبرا لأول مرة فى نابلى فى ١٨٣٧. ولم أعثر عليهما مسجلتين

(١١) الأنشودة السادسة

كما يحاول الرابع في لعب النرد أن يخرج من وسط رفاقه المجتمعين حوله ، كذلك تخلص دانتى من جماعة الأرواح التي تجمعت من حوله ، وكان بعضهم من أهل كازنتينو أو أريتزو أو من فرنسا . سأل دانتى فرجيليو كيف نفي في الإنيادة أن الصلاة تغير حكم السماء ، فحاول فرجيليو أن يشرح له الأمر ، وقال له إن بياتريتشى سوف تكمل له الشرح لأنها ستكون له نوراً بين الحق والعقل ، وعندئذ تعجل دانتى المسير وقد زابله التعب ورأى الشاعران شبحاً منعزلاً ينظر إليهما في كبرياء وهو بهيئة أسد يأخذ قسطاً من الراحة . وسأل فرجيليو ذلك الشبح عن أفضل مُرتقى لصعود الجبل فسأله هو عن موطنه ، وما إن سمع لفظ « مانتوا » حتى اندفع الشبح - روح سورديلو شاعر التروبادور - إلى فرجيليو ، وتعانق الاثنان ! تأثر دانتى باللقاء الحار الذى جرى بين هذين المواطنين عند ذكر اسم الوطن ، فذكر بلاده التي يمزقها الخلاف الداخلى ، وناداهما بالأمّة الدليمة ونعتها بسفينة بلون ملاح وسط العاصفة الهوجاء ، ودعاها أن تنظر إلى شواطئها وقلبها ، وتساءل هل يعرف جزء منها معنى السلام ، وقال ماذا تنفع القوانين إذا خلا السرج من القائد القدير واستمطر غضب السماء على الأمبراطور الألماني الذى ترك إيطاليا فريسة للفوضى ، ودعاها أن يأتى إلى إيطاليا لكى يلام جراحها الدامية ، وسأل الله هل آدار عينيه العادلتين عن إيطاليا أم أنه يدبر لها خيراً مقبلاً يسمو على مداركه وسخر دانتى من فلورنسا التي تجرى عدالة شعبها على طرف اللسان ، ويتكالب أهلها على الوظائف ، وتدّد بسرعة تغير حكوماتها وقوانينها وعاداتها ، وشبّهها بالمرأة المريضة التي تحاول أن تدرأ ألمها بالتقلب فى فراشها

- ١ حينما تنتهى دورة من لعب النرد ، يظل الخاسر فى موضعه متألاً ، ويستعيد رمياته ، وبخسرانه يتعلم كاسف البال (٢)
- ٤ ومع الرابع مضى كل الجماعة (٣) ، هذا يسير أمامه ، وذاك من خلف يمسك به ، وآخر إلى جانبه يسترعى انتباهه (٤) :
- ٧ ولكنه لا يتوقف ، بل يصغى إلى كل مهم (٥) ، وَمَنْ يمدد يده إليه بشىء لا يلح عليه بعد ؛ وبذلك يتخلص من المتكالبين عليه (٦) .
- ١٠ هكذا كنت فى ذلك الحشد الكثيف ، ولفت وجهى إليهم — هنا وهناك — وبالعود خلّيت نفسى مهم (٧)
- ١٣ هنا كان الأريتروى (٨) ، الذى ذاق الموت من ذراعى جينو دى تاكو (٩) الوحشيتين (١٠) ، وكان الآخر (١١) من غرق وهو فى المطاردة يجرى (١٢) .
- ١٧ وكان هنا فيدرىجو نوفلو (١٣) ، يمد يديه ضارعاً (١٤) ، وذلك الماطن من پيزا — الذى جعل مارتزوكو الطيب يبدو قوياً (١٥) .
- ١٩ ورأيت الكونت أورسو (١٦) ، والروح الذى فارق جسده (١٧) — كقوله — بالكراهية والحسد — لا بإثم اقترفه (١٨) ؛
- ٢٢ أعنى پير دلا ابروتشا (١٩) ؛ وهنا فلتتدبّر السيدة بربانت أمرها (٢٠) ، بينما هى هناك (٢١) ، حتى لا تصبح بهذا (٢٢) فى زمرة أسوأ (٢٣) .
- ٢٥ وحينما تخلّصت من كل تلك الأشباح — التى تضرعت فحسب لى يصلى الآخرون من أجلها ، حتى تصبح سريعاً فى عداد الأطهار (٢٤) ،
- ٢٨ بدأت « يا نور عيى ، يبدو لى فى إحدى فقراتك أنك تنفى صراحة ، أن الصلاة تُغير من أحكام السماء (٢٥) ؛
- ٣١ وأن هؤلاء القوم لا يضرعون إلا لذلك وإذاً فهل يصير أمل هؤلاء إلى البطلان ، أم أن مضمون كلماتك لم يتضح لى تماماً (٢٦) ؟ » .
- ٣٤ فقال لى « إن كتابتى جد واضحة ؛ وليس أمل هؤلاء بالأمل الخادع — إذا نظرت الأمر جلياً بعقل واضح (٢٧) ؛
- ٣٧ إذ لن تطأى العدالة الإلهية من هامتها ، لأن نار المحبة تؤدى فى لحظة ما ينبغى أن يؤدّيه من يستقرون ها هنا (٢٨) ؛

- ٤٠ وهناك حيث قرّرتُ هذا الأمر^(٢٩) ، لم تمح خطيئةٌ بصلاة ، إذ لم تبلغ الصلاة رحابَ الله^(٣٠)
- ٤٣ ومع ذلك فلا تستخلصنَ من هذا الشكّ العميق نتيجةً ، إلا إذا فسّرته لك من ستكون هي النور بين الحقّ والعقل^(٣١) .
- ٤٦ لا أدري إذا كنتَ تفهمي ؛ وإنني أتكلّم عن بياتريثي : وإنك سترها فوقُ ، على قمة هذا الجبل ، ضاحكةً مبتهجةً^(٣٢) .
- ٤٩ قلتُ : « فلنسارع الخطي يا سيدي ، فلستُ الآن متعباً كما كنت من قبل^(٣٣) ؛ وها قد أخذ الجبل يلقى بظله الآن^(٣٤) » .
- ٥٢ فأجابني « إننا ستمضي لتونا قدُماً إلى أقصى ما نستطيع في ضوء هذا النهار ، ولكن للواقع صورة تختلف عما تقدّر^(٣٥) .
- ٥٥ وقبل أن تصعد أعلى — سترها تعود — تلك التي يغطّيها جانب الجبل الآن^(٣٦) ، حتى لم يعد جسمك يحجب أشعتها^(٣٧) .
- ٥٨ ولكن هاك نفساً تتحنى ناحية بمفردها وتتطلع إلينا إنها ستدلّنا على أقصر الطرق^(٣٨) » .
- ٦١ فاتّجهنا إليها أيتها النفس اللومبارديّة ، كم كان مظهرك متعالياً مزدرياً^(٣٩) ، ولكم كانت حركات عينيك هادئة وقورة^(٤٠) !
- ٦٤ ولم تقل لنا شيئاً ، بل تركتنا نسير وهي ترقبنا فحسبُ ، بهيئة الأسد حينما يربض^(٤١)
- ٦٧ واقترّب منها فرجيليو وحده^(٤٢) ، راجياً أن تدلّنا على خير مُرتقى ، ولم تُعجب تلك الروح سؤاله^(٤٣) ،
- ٧٠ ولكنها سألتنا عن بلدنا وعن حياتنا^(٤٤) ، وبدأ الدليل العزيز : « مانتوا . » ، فما كان من الشبح المنطوي على نفسه
- ٧٣ إلا أن اندفع من الموضع الذي كان مستقرّاً فيه من قبل^(٤٥) — وقال « أيها المانتوي^(٤٦) ، إنني سورديلو^(٤٧) — من مدينتك ! » ، وتعانق الاثنان^(٤٨) .
- ٧٦ أوّاه منك يا إيطاليا ، أيتها الأمّة الذليلة^(٤٩) ، يا موئل الآلام ، وباسفينةٍ بغير ملاح^(٥٠) وسط العاصفة الهوجاء^(٥١) ، إنك لستِ أميرة على الأقاليم بل بؤرة للفساد^(٥٢) !

- ٧٩ لقد كانت تلك النفس اللطيفة سريعةً إلى الترحاب بمواطنها هناك، ما إن تردّد في سماعها اسم مدينتها العذب^(٥٣)؛
- ٨٢ وإن الأحياء من أبنائك الذين يشملهم سورٌ واحدٌ ويضمّهم خندقٌ بعينه — لا يكفّون الآن عن القتال ويمزّقون بعضهم إرباً إرباً^(٥٤)
- ٨٥ فتشّى — أيتها البائسة — حول شواطئ بحارك ، ثم انظري إلى صدرك وابحثي أينعم جزءٌ منك بمباهج السلام^(٥٥) !
- ٨٨ وماذا يُجدي أن يُصلح جستنيان منك العِنان^(٥٦) ، إذا ما خلا السرجُ من الفارس^(٥٧) ؟ وبغيا به قد صار خزيك أهون^(٥٨)
- ٩١ أوّاه منكم يا مَنْ كان عليكم أن تلتزموا جانب الطاعة^(٥٩) ، وتدعوا لقيصر حقّ الجلوس على السرج — إذا وعيتم ما كتبه لكم الله^(٦٠)
- ٩٤ انظروا كيف جمع هذا الجواد^(٦١) ، إذ لم يعد يقوّمه المهماز^(٦٢) — منذ أن وضعتم أيديكم في زمامه^(٦٣) .
- ٩٧ ألبرتو — أيها الألماني^(٦٤) — يا مَنْ تهجر مَنْ اكتسبت صفة الوحوش وسدّرت في عصيانها — وكان عليك أن تمتطي صهوبها^(٦٥) —
- ١٠٠ ألا فليسقط على دمك من النجوم قضاءٌ عادلٌ^(٦٦) — وليكن مشهوداً وبلا مثيل^(٦٧) — حتى ينال خلّفتك منه الرعب والفرع^(٦٨) !
- ١٠٣ فلقد شغلك الجشع كما شغل أباك — في ذلك الجانب^(٦٩) — حتى جعلتما حديقة الأمبراطورية خراباً يَسْباباً^(٧٠)
- ١٠٦ تعال أيها الغافل^(٧١) وانظر آل مونتيكّي وآل كاپيتيليّ ، وآل موناالدى وآل فيلييسكى^(٧٢) : أولئك حزّاني وهؤلاء في هلكة
- ١٠٩ تعال — أيها الغليظ القاسي — تعال — وانظر ما يعانیه نبلاؤك من الإرهاق والام جراحهم الدائمة^(٧٣) ؛ وسترى ما ساد سانتافيورا من الإظلام^(٧٤) !
- ١١٢ تعال — وانظر إلى روما مدينتك الباكية — كأرملة وحيدة — والصائحة هاراً وليلاً « يا قيصرى ، لماذا تخليت عن صحبتي^(٧٥) ؟ » .
- ١١٥ تعال^(٧٦) — وانظر كيف يحبّ الناس بعضهم بعضاً^(٧٧) ! وإذا لم تحرّك الرحمة لإغاثتنا — فلتخجلن — إذا من سُمعتك^(٧٨) !

١١٧ وإذا أبيع لى القول ، فإنى أسألك يا جوبيتر الأسمى ^(٧٩) ، يا من صُلبت فى الأرض من أجلنا ^(٨٠) . هل اتجهت عينك العادلان ^(٨١) إلى مواضع أخرى ^(٨٢) ؟

١٢١ أم أن هذا تدبيرٌ تعدّه فى أنوار حكمتك ، فى سبيل خيرٍ يعلو حقاً على مداركنا ^(٨٣) ؟

١٢٤ فإن كلّ مدائن إيطاليا بالطغاة مليئة ^(٨٤) ، ويرتدى ثوب مارتشيلّوس كلّ ربيع يشتغل بسياسة الأحزاب ^(٨٥) .

١٢٧ فيورنزا يابلادى ^(٨٦) ، إن لك أن ترضى بهذا التدهور الذى لا يمسك — بفضل شعبك الذى يرعى مصالحه ^(٨٧) .

١٣٠ وإن عدالة الكثيرين لتتأوى إلى قلوبهم ، وعما تصدر فى تمهل ، حى لا تبلغ قوسها بدون روية ^(٨٨) — ولكن عدالة شعبك ليست إلا على طرف اللسان ^(٨٩) .

١٣٣ وكثيرون هم من يرفضون الوظائف العامة ^(٩٠) ؛ ولكن شعبك الحريص يستجيب إليها بدون دعوة ، ويهتف « هاأنذا متأهب ^(٩١) » .

١٣٦ ولتسعدى الآن ، فقد تهتأت لك الأسباب ^(٩٢) وإنك ثرية ^(٩٣) ، وفى سلام ^(٩٤) ، وذات حكمة ^(٩٥) ! ولن يُخفى الواقع الحقائق التى أذكرها ^(٩٦) .

١٣٩ وإن أثينا ولاشيديمونا ^(٩٧) — اللتين وضعتا القوانين القديمة وأقامتا نظاماً دقيقة — لم تصنعا — بالموازنة بك — إلا مثلاً صغيراً

١٤٢ للحياة الهانئة ^(٩٨) ، يا من تُدبّر فى الأمور بطريقة مُحكمة ، حتى إن ما تنسجينه فى أكتوبر لا يدوم إلى منتصف نوفمبر ^(٩٩) .

١٤٥ وفى الزمان الذى تذكركه — كم مرة بدلت القوانين ، والعملية ، والوظائف والعادات ^(١٠٠) ، وكم من مرات جدّدت أعضائك ^(١٠١) !

١٤٨ وإذا أحسنت التذكر ونظرت بوضوح ، فسترين نفسك شبيهة بتلك العليلة التى لا تجد فوق الريش راحة ،

١٥١ ولكنها تدرأ ألمها بالتقلب ^(١٠٢)

حواشى الأنشودة السادسة

- (١) هذه أنشودة سورديلو .
- (٢) كانت هذه اللعبة من ألعاب القمار الشائعة في عصر دانتي ، وكان يستخدم فيها ثلاثاً من زهر النرد ، ولعبها الناس في البيوت وفي الميادين والشوارع . ويصور دانتي هذا المشهد مأخوذاً من الحياة الواقعة
- ويوجد رسم مصغر لنساء يلعبن النرد في مجموعتين متقابلتين من القرن ١٤ كما أورده كورادو ريتشى في نشره للكوميديا الإلهية
- (٣) قلت (الرابع) يدلاً من الآخر للإيضاح
- (٤) أى أن كلا مهم يريد شيئاً مما كسب .
- (٥) يعنى أن الرابع يعمل على الابتعاد عن هذه الجماعة .
- (٦) هكذا يتخلص الرابع من أحاطوا به
- (٧) كان دانتي وسط هذه الأرواح أشبه بلاعب النرد الرابع الذى يلاحقه المتفرجون . وتخلص دانتي من الأرواح بوعده أن يذكرها في الأرض وبإقامة الصلاة من أجلها
- (٨) يقصد بنينكا دا لاتيرينا (Beninca da Laterina) من وادى الأرنو الأعلى وأصبح قاضياً في أريتزو في أواخر القرن ١٣ وأصدر حكم الموت على بعض أقارب جينو دى تاكو لأنهم انتزعوا من سينيّا قلعة توريتا (Torrita) في ماريما وهبوا العابرين بجوارها . واعتزم جينو الانتقام فترقب القاضى في الطريق عند انتقاله إلى روما، وقتله وقطع رأسه وأخذه معه بدون أن يعترضه أحد . وغفر المقتول ذنب قاتله وبذلك تاب الأول عن آثامه
- (٩) جينو دى تاكو (Ghino di Tacco) من أسرة فراتا (Fratta) من نيلاء سينيّا طرد من وطنه فانتزع من البابا قلعة راديكوفاني (Radico-fani) في ماريما ، وفي أواخر أيامه تصالح مع بونيفاتشو الثامن وحكومة سينيّا ، واشتهر بالفروسية المنحلة وأعمال النهب
- (١٠) يذكر دانتي الذراعين الوحشيتين القاسيتين اللتين ارتكبتا القتل ، وبذلك يرسم الصفة الأساسية لجينو دى تاكو.
- (١١) هو جوتشو دى تارلاقى (Guccio dei Tarlati) من زعماء الجبلين في أريتزو، ومات غرقاً في مهر الأرنو . وهناك من يقول إنه سقط عن ظهر جواده بينما كان يطارد أعداءه من أسرة بوستولى (Bostoli) الخلفية ويقال أيضاً إنه سقط في النهر عندما كان أعداؤه من الجلف يطاردون قوات الجبلين بعد موقعة كامبالدينو.
- (١٢) تحمل كلمة المطاردة (caccia) المعنى المقصود .
- (١٣) فيدريجو دى جويدو نوثلو دى كونتي جويدى دل كازنتينو (Federigo di Guido Novello dei Conti Guidi del Casentino) انقسمت أسرته إلى جلف وجبلين وكان فيدريجو من الجبلين وهض لمساعدة الجبلين في أريتزو ضد بعض الجلف الخارجين من فلورنسا
- وقتل في كازنتينو في ١٢٨٩
- (١٤) تساعد هذه الحركة علماً، إبراز الضماعة وطلب المغفرة .

- (١٥) المواطن من بيزا هو فاريناتا دلى سكورنيدجاني (Farinata degli Scornigiani) وهو ابن مارتزوكو (Marzucco) دلى سكورنيدجاني. وكان الأب دكتوراً فى القانون ، وعندما نجا ذات مرة من أفعى فى ماريما وهب نفسه لنظام الرهبنة الفرنسيسكانى ، ويقال إن ابنه فاريناتا قد قتل بأمر الكونت أوجولينو دلا جيراردسكا (Inf. XXXIII.)، وأظهر مارتزوكو شجاعة كبيرة حينما ذهب إليه بنفسه مع بعض الرهبان ليحمل جثة ابنه ، حيث لم يجرؤ أحد على فعل ذلك خوفاً من بطش أوجولينو ، وخاطبه مؤثراً السلام على البغضاء ، وقبل يد قاتل ابنه ، فقال له أوجولينو إن قوة روحه غلبت قسوته ، وتركه يأخذ جثة ابنه . وعاش مارتزوكو فى أواخر أيامه فى دير سانتا كروتشى فى فلورنسا ومات فى ١٣٠١ ، ومن المحتمل أن يكون دانتي قد عرفه هناك .
- (١٦) الكونت أورسو دلى ألبرى (Orso degli Alberti) ابن الكونت ناپليون دلا تشير بايا (Napoleone della Cerbaia) الذى وضعه دانتي فى الجحيم (Inf. XXXII. 55-60) قتل أورسو ابن أخيه ألبرى فى ١٢٨٦ انتقاماً لموت أبيه إسكندر ، ويدل هذا على مدى الخراصات الأسرية وقتئذ ، وندم أورسو على آثامه وغفر لقاتله - ابن أخيه - وهو يحدو بأنفاسه ، كما أراد دانتي أن يجعله كذلك .
- (١٧) يقصد بيير دلا ابروتشا
- (١٨) يعنى أن قلبه امتلأ بالكراهية والحسد دون أن يتخذ ذلك مظهراً علنياً
- (١٩) بيير دلا ابروتشا (Pierre della Broccia) طبيب وجراح فرنسى أصبح صاحب حظوة لدى ملكى فرنسا لويس التاسع وفيليب الثالث ، وصحب لويس فى حملته إلى الشرق . وعندما مات ولى العهد لويس بن فيليب الثالث فى ١٢٧٦ اتهم بيير الملكة ماريا دى براينت بقتله لكى يحل مكانه ابنها هى فيليب الجميل . ولما قامت الحرب بين فيليب الثالث وألفونسو العاشر ملك قشتالة دبرت الملكة وأعوانها تهمة الخيانة ضد بيير فأعدمه الملك فى باريس فى ١٢٧٨ . ويقال إنها اتهمته أيضاً بمحاولة إغوائها . واعتقد دانتي أنه قتل بدافع من الكراهية والحسد . وهو يشبه بييرو دلا ثينيا فى بلاط فردريك الثانى
- (٢٠) ماريا دى براينت (Maria di Brabante) ابنة هنرى دوق براينت وهى الزوجة الثانية لفيليب الثالث ملك فرنسا وماتت فى ١٣٢١ . ويقصد دانتي أن عليها أن تدبر أمرها للندم والتوبة عن آثامها ومما تسببها فى مقتل بيير ودلا ابروتشا
- (٢١) أى بينا هى فوق الأرض .
- (٢٢) يعنى بما ارتكبته من التحريض على القتل .
- (٢٣) أى أنها إذا لم تندم على ما فعلت فوق الأرض فستلقى مصيراً أسوأ بوضعها فى زمرة من اتهموا الناس ظلماً بما لم يرتكبوه
- (Inf. XXIX., XXX.)
- (٢٤) يعنى أنهم يصبحون قديسين ومن أهل الفردوس بالصلاة من أجلهم فى الأرض التى تقصر مدة تطهرهم
- (٢٥) اعترف فرجيليو فى الإنياذة بأن الصلاة لا تغير أحكام السماء ودعا إلى الكف عن التعلق بهذا الأمل
- (Virg. Æn. VI. 376.)
- (٢٦) إذا فكيف يطلب هؤلاء صلاة الناس فى الدنيا ليتعجلوا الذهاب إلى الفردوس ، وكان معاصرو دانتي يعتقدون أن أحكام السماء لا تغيرها الصلوات ، ولذا تولى دانتي الدهشة والشك .
- (٢٧) يقصد فرجيليو أنه ليس هناك تعارض بين ما كتبه فى الإنياذة والموقف الحالى .

(٢٨) أى أن صلوات إنسان حى محب مخلص فى الأرض تعجل بتطهير المعذبين فى المطهر ، ولا يؤثر هذا فى العدالة الإلهية ولا يغير حكم السماء لأن الله قضى بذلك

(٢٩) يعنى فى الإنيادة

(٣٠) كانت الصلاة فى الإنيادة صادرة عن پالينوروس (Palinurus) الملاح الفارق ، ولم يكن مؤمناً بالمسيحية حتى تقبل الصلاة من أجله لكى يتمكن من عبور نهر استيكس فى الجحيم ، وصلوات الوثنيين - عند دانتي - لا يقبلها الله . والحال هنا مختلفة لأن هؤلاء الآثمين ندموا وتابوا فى آخر لحظة ، ومقدر عليهم التطهر ثم الصعود إلى الفردوس . ولهذا ليس هناك تعارض بين ما قاله فرجيليو فى الإنيادة وبين الموقف الحالى .

(٣١) لا يأخذ فرجيليو على عاتقه إزالة كل شكوك دانتي ، وهذا ما ستقوم به بياتريتشى التى ستثير عقل دانتي حتى يدرك الحقيقة بواسطة العلم الإلهي .

(٣٢) سبرى دانتي بياتريتشى فى أعلى المطهر فى الفردوس الأرضي Purg. XXX. 28-39.

(٣٣) عندما سمع دانتي اسم بياتريتشى زابله التعب واسترد قواه وأصبح قادراً على متابعة الصعود وصارت رغبته فى الوصول إلى بياتريتشى تعدل رغبته فى بلوغ الحقيقة

(٣٤) كان قد مضى وقت طويل فى هذه المنطقة من مقدمة المطهر ، والآن بحركة الشمس أخذ الجبل يلقى ظلاً على الشاعرين ، وكانت الساعة قد بلغت حوالى الثالثة بعد الظهر من يوم الأحد ١٠ أبريل ١٣٠٠ ، وخشى دانتي أن ينقضى النهار وهما فى المقدمة . وهكذا بدأ دانتي يستحث فرجيليو على السير كما استحثه فرجيليو من قبل .

(٣٥) يؤكد فرجيليو لدانتي أنهما سيصعدان اليوم إلى أقصى ما تستطيعه قواهما ، ولكن الطريق طويل صعب ولا بد للصعود من بذل مجهود ووقت فوق ما يقدر عليه دانتي ، ويحاول فرجيليو بذلك أن يهدئ من نفس دانتي ويوضح له الأمر على حقيقته

(٣٦) يقصد أنه سبرى الشمس التى يحجبها الجبل

(٣٧) أى لم تعد الأشعة تصطدم بدانتي فتتكسر وتجعل له ظلاً على الصخر لأنها محتجبة وراء الجبل . وأضفت (بجسمك لإيضاح المعنى .

(٣٨) هذا هو سورديلو المنعزل وهو لا يختلط بسائر النفوس التى تلاحق دانتي وتطلب إليه الصلاة من أجلها فى الأرض . وهنا يبدأ فصل هام من فصول المطهر والكوميديا

(٣٩) يعنى أن سورديلو كان رجلاً يترفع عن الصفائر والدنايا

(٤٠) هكذا يصف دانتي سورديلو بصفات الاحترام والإجلال والوقار ، وعبرت عينا سورديلو عن هذه المعاني . وهذه الألفاظ كأنها لإزميل النحات حينها يصنع تمثالاً

(٤١) بدأ سورديلو هادئاً وقوراً لا يتكلم ولا يتحرك فيه شيء سوى عينيه اللتين تبتعا حركة الشاعرين وظهر على صورة الأسد حينها يريض لكى ينال قسطاً من الراحة . ولحظ دانتي سكوته ووقاره والمعاني التى ارتسمت على وجهه . ويشبه هذا التعبير ما ورد فى « الكتاب المقدس »

Gen. XLIX. 9.

(٤٢) اقترب فرجيليو من سورديلو مع أن مظهره لم يكن يشجع أحداً على الاقتراب منه

(٤٣) لم يحفل سورديلو بأن يدل الشاعرين على أقصر طريق لصعود الجبل لأنه كان معنياً بما هو أهم

(٤٤) المشغول بشيء لا يجيب عن السؤال الذى يلقى عليه ويظهر أن سورديلو لم ينتبه فى أول الأمر إلى أن دانتى إنسان حى

(٤٥) كان ذكر مانتوا كافياً لتغيير الموقف كله ونجد أن هذا الشيخ - سورديلو - المنطوى على نفسه المستغرق فى التفكير ولا يتحرك مع الآخرين طلباً لإقامة الصلاة من أجله فى الأرض ، نجده خرج من عزلته إلى لقاء هذا المواطن - فرجيليو - عند سماعه اسم الوطن الحبيب ويوجد رسم من عمل دومنيكو ميروفي من القرن ١٥ يمثل مانتوا وهو كائن فى قصر الدوق فى مانتوا .

(٤٦) ولد فرجيليو فى أنديس (Andis) فى منطقة مانتوا وولد سورديلو فى جويتو (Goito) فى منطقة مانتوا أيضاً

(٤٧) سورديلو (Sordello) أحد شعراء التروبادور ولد فى ١٢٠٠ وعرف بمغامراته النسائية ويقال إنه كان سبباً فى التفرقة بين الكونت ريتزاردو دى سان بونيفاتشو (Rizzardo di San Bonifaccio) فى فيرونا وبين زوجته كوفيتزا دا رومانو (Cunizza da Romano) ومكانها فى الفردوس (Par. IX. 7-36) وهى أخت أنزيلينو ومكانه فى الجحيم (Inf. XII. 109-110) وغضب أنزيلينو لذلك فهرب سورديلو من إيطاليا وقضى وقتاً طويلاً متنقلاً بين البروفنس وأسبانيا والبرتغال وفرنسا وعاش بعض الوقت فى بلاط كونت البروفنس راييموند بيرينجير (Raymond Berenger) ومكانه فى الفردوس (Par. VI. 133-135) ، وصحبه إلى إيطاليا ، وسجن فى نوافارا فى ١٢٦٦ لأسباب غير معروفة ، وتدخل البابا الكلمنتو الرابع فأطلق سراحه ، وأعطاه شارل دانجو بعض القلاع فى منطقة أبروتزي ولا يعرف مصيره بعد ١٢٦٩ ، ومن الجائز أنه قتل ، ولذلك وضعه دانتى فى مقدمة المطهر باعتبار أنه تاب عن آثامه فى آخر لحظة وبقيت له بعض القصائد التى كتبها باللغة البروفنسية ، وتناول فيها بصراحة بعض المسائل السياسية والمدنية وخاطب أمراء إيطاليا ووجه إليهم اللوم ، ولذلك نال إعجاب دانتى ، فأراد أن يجعل منه هنا رمزاً للوطنية . ولما كان فرجيليو بحكم وثنيته لا يعرف المطهر كما عرف الجحيم فقد جعل دانتى بعض أرواح المطهر تتولى الشرح والإيضاح ، وسورديلو هو الشارح والدليل فى مقدمة المطهر

(٤٨) تعانق الاثنان كمواطنين من بلد واحد يعتز أحدهما بالآخر ولكن هذا العناق كان عناقاً فى الهواء لأن فرجيليو وسورديلو كانا روحين بدون جسد ولا تخلو هذه الحركة من السخرية الخفيفة وسبق أن جرب دانتى موقفاً مشابهاً عندما حاول عناق كازيلا بدون جلوى Purg. II. 76-82.

ولقد لحن كلٌّ من أنتونيو بوتزي وبيetro فانى أوبرا عن سورديلو مثلث أولاهما لأول مرة فى ميلانو فى ١٨٥٦ ، ومثلت ثانيتهما لأول مرة فى فلورنسا فى ١٩٠٠ ، ولم أجدهما مسجلتين وكذلك وضع فونتسكوماترا قطعة موسيقية فى القرن الماضى مستوحاة من فصل سورديلو ولم أعثر عليها مسجلة .

(٤٩) رأى دانتى كيف خرج سورديلو من سكينته وعزلته على أثر سماعه كلمة الوطن دون أن يعرف شخصية فرجيليو قائلاً ، ورأى محاولة سورديلو وفرجيليو التعانق اعتزازاً بوطنهما المشترك مانتوا فأثار هذا المشهد شعوره الوطنى ومر فى خاطره ما تعاناه إيطاليا من الولايات بسبب انقسام الشعب إلى أحزاب سياسية وعصبيات متطاحنة فى سبيل السلطان ، فاقتتل النبلاء وحاربت

- المدن والجمهوريات بعضها بعضاً وتدخل البابوات في الشؤون الدنيوية ، وأهل الأمبراطور ممتلكاته في إيطاليا ، ولذلك اندفع دانتى يلعن بلاده بلغة عنيفة ونادى إيطاليا بالأمة الذليلة ، لأنه استبدت بها الأحزاب السياسية والأطماع الشخصية
- (٥٠) أى أن إيطاليا كانت بغير قائد ويقصد الأمبراطور الذي كان عليه أن يقضى على الفوضى ويقر الأمن والسلام .
- (٥١) يعنى سفينة تعبت بها أهواء السياسة .
- (٥٢) كانت القوانين الصالحة وكان الحكم العادل في عصر جستنيان قد جعل إيطاليا سيدة أو حاكمة أو مملكة على المقاطعات لا بؤرة للمفاسد كما أصبحت في عصر دانتى .
- (٥٣) يبرر دانتى حملته على إيطاليا بذكره كيف أن مجرد سماع اسم الوطن الحبيب - ماتتوا - قد أثار شعور سورديلو الوطنى فلم يسع دانتى إلا أن يلعن إيطاليا لما سببه لها الإيطاليون من من الويلات
- (٥٤) هذا دليل على حدة الصراع الداخلى في إيطاليا في عصر دانتى .
- (٥٥) هكذا يندد دانتى بانقسام بلاده واضطرابها الداخلى حتى لم يعرف جزء منها الأمن والسلام .
- (٥٦) جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥) Justinianus) أمبراطور الدولة الرومانية الشرقية الذى حاول تدعيم الأمبراطورية الرومانية في الشرق والغرب. وهزم قائدها بليزاريوس وفاريسيس الوندال في أفريقيا والقوط في إيطاليا ، واشتهر بتقنين القوانين وله منها مجموعة تسمى باسمه . وهو عند دانتى المثل الأعلى للأمبراطور على العالم الموحد ، ومكانه في الفردوس (Par. V. 121...; VI. 100) والمقصود بالعنان هنا تنظيم القوانين لإقرار الأمن والسلام .
- (٥٧) السرج الخالى يعنى أنه لا يوجد أمبراطور يجعل للقوانين قيمة عملية . وأضفت (من الفارس للإيضاح
- (٥٨) يعنى أن وجود قوانين جستنيان كان كافياً عند دانتى لإقرار السلام ، ولولم توجد هذه القوانين لكان خزي إيطاليا أهون ، أى أنه ما كان ينبغى على إيطاليا أن تعانى الاضطراب الداخلى مع وجود هذه القوانين ، ولذلك فإن خزيها أكبر
- (٥٩) يقصد البابا ورجال الدين الذين خرجوا على روح الكنيسة وانصرفوا إلى شئون الدنيا واغتصبوا السلطة الزمنية من الأمبراطور فعجزوا عن أداء واجبه الدينى وأفسدوا الحياة السياسية في إيطاليا
- (٦٠) هذه إشارة إلى ما ورد في « الكتاب المقدس » Matt. XXII. 21.
- (٦١) الجواد - الدابة - يعنى إيطاليا
- (٦٢) يقصد بالمهامز الأمبراطور وقوانينه
- (٦٣) أى ما دام رجال الدين قد وضعوا يدهم على زمام الجواد بتدخلهم في الشؤون الزمنية .
- (٦٤) ألبرتو الأول (١٢٤٨ - ١٣٠٨) Alberto I.) من أسرة هابسبرج اختير أمبراطورا للدولة الرومانية المقدسة دون أن يتوج ، وأهل شئون إيطاليا وتركها فريسة للفوضى والاضطراب الداخلى .
- (٦٥) يشبه دانتى إيطاليا بالفرس الجاحشة التى لم تجد من يسوسها ويستخدم دانتى لفظ (arcioni) بمعنى قربوسى السرج كناية عن السرج والقربوس هو الجزء المقوس من السرج والمرتفع من قدام المقعد ومن مؤخره وقلت (صهوتها)

(٦٦) يصب دانتى اللعنة على رأس الإمبراطور ألبرتو لأنه أهمل شئون إيطاليا وليس هناك سوى الله الذى يمكنه أن يصب على أسرته القضاء العادل . ومن الجدير بالذكر أن رودولفو الابن الأكبر للإمبراطور مات فى أوائل القرن ١٤ وقتل ألبرتو بعد قليل بتآمر بعض أقاربه عليه

(٦٧) يعنى وليكن الجزء واضحاً معروفاً للجميع وما لم يكن له نظير

(٦٨) يقصد الإمبراطور هنرى السابع أى لعل خليفته يخشى عقاب السماء ويرعى شئون إيطاليا ويحقق لها السلام ووضع دانتى أمه وهو فى المنفى فى هنرى السابع ودعاه إلى توحيد إيطاليا ، ولكن هنرى لم يستطع الاستيلاء على فلورنسا ومرض ومات فى ١٣١٣ ، كما جاء فى مقدمة الترجمة

(٦٩) أى شغل الخشع ألبرتو ورودولفو دى هابسبرج حتى جعلهما يوسمان أملاكهما فى الشمال بدون العناية بإيطاليا

(٧٠) يأسى دانتى لتحويل إيطاليا إلى أرض خربة خاوية .

(٧١) ينعت دانتى الإمبراطور بالرجل الغافل الذى لا يعنى بأداء واجبه .

(٧٢) هناك خلاف حول تحديد هذه الأسر والأغلب أن آل مونتيكى (I Montecchi) وآل كاپيليتى (I Cappelletti) أسرتان من حزب الحليين فى فيرونا ونشب بينهما عداوة بسبب قصة الحب التى نشأت بين روبيو وجولييت ، وقد خلدها شكسبير فى روايته بهذا الاسم وآل مونالدى (I Monaldi) وآل فيليبسكى (I Filippeschi) أسرتان من أورفيتو ، الأولى جلفية والثانية جبلينية وكانتا متعاديتين عند قدوم هنرى السابع إلى إيطاليا

(٧٣) ينعت دانتى الإمبراطور بالرجل القاسى ويسأله القدوم إلى إيطاليا لكى يرى ما يعانىة الأمراء والنبله من الولايات بسبب صراعهم الداخلى ويطلب إليه أن يلازم جراحهم الدامية .

(٧٤) سانتافورا (Santafora) منطقة فى ماريما بقرب سينا وكان يحكمها آل ألدوبراندى (Gli Aldobrandi) ثم نهبها أهل سينا فى ١٣٠٠ وورد لفظ (oscura) بمعنى الحزن أو الاكتئاب أو الإغلام فى نسخة الجمعية الدانتية الإيطالية وفى نسخة توماسو كازيني التى راجعها ميكيل بارى ، وهو ما أخذت به وورد لفظ (secura) أو (sicura) بمعنى الأمان والاطمئنان فى نسخة أكسفورد وفى نسخة ماريو كازيلا ولو قرئ النص كذلك لكان المقصود أن منطقة سانتافورا تعيش فى أمان وسلام ، ولكن ذلك سخرية من دانتى لأن العكس هو الصحيح وجاء فى نسخة الكوميديا المصحوبة بتعليق بيترو فراتيتشى تعبير (si cura) بمعنى أن سانتافورا تعالج أدواءها ومشاكلها ، ولكانت هذه سخرية أيضاً من جانب دانتى لأن العكس هو الصحيح ويلاحظ التقارب فى نطق هذه الألفاظ وكتابتها وإن اختلفت معانيها وهذا مثال على ما تعرضت له بعض مواضع من الكوميديا من اختلاف النسخ وتفاوتهم .

(٧٥) يدعو دانتى الإمبراطور إلى أن يأتى إلى روما مركز الإمبراطورية التى تبكى كأرملة ثكلى . ويقول النص (لماذا لا تصحبنى)

(٧٦) كرر دانتى لفظ (تعال) عدة مرات ، وحرص بهذا على نداء الإمبراطور لكى يحضر إلى إيطاليا ، ويدعوه إلى أن يقيم إمبراطورية عالمية موحدة ، ولا يعنى دانتى شئ من أن يكون الإمبراطور ألمانيا ، ما دام سيمجد الإمبراطورية القديمة كوريث لها

(٧٧) هذه سخرية مريرة من دانتي لأن رعايا الإمبراطور تسودهم - العداوة والبغضاء لا الحب والسلام .

(٧٨) أى يأتى لكى ينجل بما أصاب سمعته فى إيطاليا وبذلك يعمل على إزالة المساوىء التى انصبت عليها .

(٧٩) يقصد الله أو المسيح - كما يؤمن المسيحيون بذلك - ويسميه بهذا الاسم الوثنى . وكان جوبيتر أباً لآلهة الرومان ، وهذا مزج بين الإله الوثنى والإله المسيحى . وسوف يتبع ميكلائى نجلو شيئاً من هذا التأثير حينما يرسم صورة الحكم الأخير بمتحف الفاتيكان ، ويبرز فيها صورة المسيح تشع منها الروح الإغريقية بما فيها من عزم وقوة وشباب . وكان ميكلائى نجلو من أكثر أهل القرن الخامس عشر إعجاباً بدانتي والكوميديا .

(٨٠) هذا كما يؤمن به المسيحيون ، ولا يعنينا هنا سوى أن هذا هو الله عند دانتي فى هذا الموضع

(٨١) تعبر العين عن معنى العدالة ، وهكذا لا يفوت شئ من ملاحظة دانتي والمقصود رعاية الله مصالح إيطاليا

(٨٢) يتساءل دانتي هل أدار الله عينيه عن إيطاليا بسبب مساوئها المشينة

(٨٣) ويتساءل هل تدبر العناية الإلهية - بهذه المساوىء ذاتها - خيراً مقبلاً لا يدركه الناس .

(٨٤) استبد الطغاة بمدن إيطاليا تحقيقاً لمصالحهم الشخصية ولذلك نشب بينهم الكفاح الداخلى العنيف

(٨٥) يعنى أن كل أفاق يشغل بالسياسة الحزبية يظن نفسه قد أصبح بطلاً مثل مارشيلوس ، وهذه سخرية من جانب دانتي . وربما كان المقصود كلاوديوس مارشيلوس (Claudius Marcellus) القنصل الرومانى فى ٥٠ ق . م وكان من أنصار بومبي وعدواً ليووليوس قيصر

(٨٦) هاجم دانتي فلورنسا فى مواضع كثيرة من الجحيم ، وفى هجومه مرارة وسخرية وأسى ودموع وإعزاز ومحبة . وهى وطنه وبلده وأرضه وكأنها ملكه على رغم ما ناله منها من العذاب والحرب وذكوران الجحيم Inf. VI. 49-50, 60-75; XV. 61-78; XVI. 73-75; XXVI. 1-12; ecc.

(٨٧) أى أن شعب فلورنسا يدبر الأمور لكى يحفظ نفسه من التدهور وهذه سخرية من جانب دانتي .

(٨٨) يعنى أن العدالة تستقر عند كثيرين فى أعماق القلب ، ولا يفصحون عنها بدون تفكير وروية ، ويكون الشخص العادل كرامى السهم الذى يتخذ الحذر قبل أن يحرك قوسه لكى يحسن إصابة الهدف

(٨٩) هذا بعكس شعب فلورنسا الذى تجرى كلمة العدالة على شفاهه بدون تطبيقها عملياً

(٩٠) يرفض كثيرون الوظائف العامة لأنهم لا يحفلون بالمظاهر والضمضاء .

(٩١) أى أن شعب فلورنسا تهافت على الوظائف العامة لتحقيق الأطماع الذاتية بدون رعاية المصلحة العامة .

(٩٢) هذه سخرية مريرة بفلورنسا

(٩٣) يشير دانتي إلى الثروة التى تجمع بوسائل غير شريفة .

(٩٤) يقصد العكس لأن فلورنسا كانت فريسة للنزاع الداخلى ، وهذا تهكم وسخرية من جانب دانتي .

- (٩٥) يريد العكس .
- (٩٦) المقصود أن الوقائع تثبت عكس ما يقول . وهكذا يمضى دانتى فى سخريته بفلورنسا
- (٩٧) اشتهرت أثينا (Atene) ولاشيديمونا (Lacedemone) فى تاريخ اليونان القديم بتقدم النظم السياسية التى وضعها سولون وليكورجوس
- (٩٨) يستمر دانتى فى سخريته عند ما يقول إن ما فعلته أثينا ولاشيديمونا فى ميدان النظم السياسية لا يزيد عن مثال صغير بالنسبة لما فعلته فلورنسا فى هذا الصدد !
- (٩٩) يشير دانتى إلى سرعة تغير الهيئة الحكومية العليا فى فلورنسا أى مجلس السنيوريا ، الذى كان من حزب البيض وأخذ يباشر سلطته من منتصف أكتوبر ١٣٠١ ، وكان ينبغي أن يستمر فى الحكم حتى منتصف ديسمبر من تلك السنة طبقاً للدستور الفلورنسى . ولكن تدخل بونيفاتشو الثامن فى شئون فلورنسا الداخلية وإرساله إليها شارل دى فالوا الفرنسى أدى إلى قلب نظام الحكم بها قبل منتصف نوفمبر - أى فى ٨ نوفمبر - وول الحكم حزب السود بدلا من البيض الذى كان دانتى من رجاله ، وكان وقتئذ فى سفارته إلى روما لمحاولة إيجاد التفاهم بين البابا وفلورنسا .
- (١٠٠) يشير دانتى إلى مدى التغير الذى أصاب الحياة الفلورنسية
- (١٠١) يشير بهذا إلى إبعاد أنصار الحزب المهزوم وإحلال أنصار الحزب المنتصر مكانهم ولكن دانتى ينسى فى حزنه وأساه أن هذه الحال السيئة كانت من عوامل ظهور أجيال من العباقرة الإيطاليين كان هو فى طليعتهم .
- (١٠٢) يشبه دانتى فلورنسا بالمرأة المريضة التى لا تجد راحتها فوق وسادتها أو فوق الريش الناعم وتحاول أن تخفف ألمها بالتقلب فوق فراشها وهنا يمزج دانتى السخرية بالألم وسباب دانتى لوطنه ليس كراهية منه بل محبة وإعزازاً ورغبة فى الوصول به إلى حال من الاستقرار والسلام . ويعتبر دانتى فى لعناته هذه رائداً ومبشراً بوحدة الوطن الإيطالى - ولو فى غير نطاق الأمبراطورية العالمية - وظلت صيحته هذه بمثابة إنجيل الوطنية الإيطالية فى القرن التاسع عشر

الأنشودة السابعة^(١)

تكرر العناق بين شبجي سورديلو و فرجيليو ثم تراجع سورديلو إلى الوراء وسأل فرجيليو عن شخصه ، حينما عرفه أخذه العجب وأقبل عليه يقبل قدميه ، وسأله عن المكان الذى جاء منه فأفاده فرجيليو بأنه جاء خلال حلقات الجحيم وأن موضعه — اللبـو — وهى منطقة لا عذاب فيها ولكنها مظلمة، وبها الأطفال الأبرياء الذين ماتوا قبل تعميدهم استفسر فرجيليو عن مكان الصعود إلى بداية المطهر ، فقال سورديلو إنه سيصحبهما كدليل ، وإنه يتعذر الصعود ليلاً وسار الشعراء الثلاثة إلى فجوة فى الجبل انتظاراً لليوم الجديد ، وبلغوا وادى الأمراء الذى فاقت أزهاره ألوان الذهب والفضة واللؤلؤ والنيلج والزمرد كما امتاز بشذا عطره الفائق ورأى دانتى نفوساً ترتل ”السلام لك أيتها الملكة “ سأل سورديلو الشاعرين ألا يطلبها إليه الذهاب بهما إلى هذه النفوس لأن رؤيتها ستكون أفضل حيث كانا واقفين وأشار سورديلو إلى الإمبراطور رودلف دى هابسبرج الذى لم يحرك فيه للترتيل مع سائر الأرواح ، ولقد كان قادراً على شفاء إيطاليا من جراحها ولكنه أهمل واجبه وأشار سورديلو إلى أدواكر ملك بوهيميا الذى استغرق فى الملذات والكسل . وتكلم عن فيليب الثالث ملك فرنسا — ذى الأنف الصغير — وعن هنرى الأول ملك نافار وأشار سورديلو إلى بطرس الثالث الأرجونى — ذى الأعضاء الضخمة — وإلى شارل دانجو — ذى الأنف الكبير — الذى اشتهر بالحزم ، وإلى ألفونسو الثالث الأرجونى ، وإلى جاكومو الثانى وفيدريجو الثانى الأرجونيين ، وإلى هنرى الثالث ملك إنجلترا ، وإلى جوليلمو دى مونتفيراتى

- ١ بعد أن تتابع ذلك الترحاب اللطيف البشوش ثلاث مرات أو أربع^(٢) ،
تراجع سورديلو^(٣) قائلاً « من تكون^(٤) ؟ »
- ٤ « قبل أن تتجه إلى هذا الجبل^(٥) النفوس الجديرة بالصعود إلى الله ،
كان أوكثافيوس قد وارى في التراب عظامي^(٦) »
- ٧ لأنني فوجيلو ؛ ولقد فقدت السماء بغير خطيئة سوى أنني عشت بدون إيمان^(٧) .
هكذا أجاب عندئذ دليلي .
- ١٠ ولكن يرى بغتة أمامه شيئاً يثير في نفسه العجب ، فيصدّق ولا يصدّق
قائلاً " إنه هو . إنه ليس هو " ،^(٨) ،
- ١٣ هكذا بدا الآخر ؛ ثم أطرق رأسه ، ورجع نحوه متضعباً^(٩) ، وقبله حيث
يقبل الأقل من يعلمه قدراً^(١٠) .
- ١٦ ثم قال « يا فخر اللاتين^(١١) ، الذي أبدت لغتنا خلال ثمراته ما كان
في مقدورها^(١٢) ! أيها المجد الخالد لأرض ميلادى^(١٣) !
- ١٩ أية جدارة أو أية نعمة تتيح لي رؤيتك^(١٤) ؟ وإذا كنت جديراً بأن أسمع
كلماتك فخبرني أثنائي من الحميم ومن أى محبّيس^(١٥) ؟ »
- ٢٢ فأجاب « لقد جئت هنا خلال كلّ الحلقات في مملكة العذاب^(١٦) :
ودفعني فضل صدر عن السماء — آتى بعونه ها هنا^(١٧) .
- ٢٥ وليس لأنى فعلت بل لأنى لم أفعل^(١٨) — فقدت رؤية الشمس العالية التي
تتشوّق إليها^(١٩) — والتي لم أعرفها إلا بعد فوات الأوان^(٢٠) .
- ٢٨ هناك مكان في أسفل لا يحزنه عذاب بل ظلمات فحسب^(٢١) ، حيث
لا تتردد فيه أصوات البكاء عويلاً بل تنهداً^(٢٢) .
- ٣١ هناك مأوى مع الرضيع الأبرياء^(٢٣) ، الذين عضهم الموت بأنياه ، قبل أن
يطهروا من خطيئة البشر^(٢٤) ؛
- ٣٤ هناك مقرّى مع من لم يتسربلوا^(٢٥) بالفضائل المقدسة الثلاث^(٢٦) ، وبغير
معصية عرفوا سائر الفضائل — واتبعوها كلها^(٢٧) .
- ٣٧ ولكن إذا كنت تعرف وتقدر^(٢٨) فلتزدنا بإشارة تمكّننا من الوصول سريعاً ،
حيث يبدأ المظهر الحقيقي^(٢٩) »

- ٤٠ فأجاب « ليس لنا من إقامة في مكان محدود (٣٠) ؛ ومباحٌ لي أن أصعد وأدور ، وسأصحبك كدليل بقدر ما يمكنني المسير (٣١) »
- ٤٣ ولكن انظر الآن كيف تُؤذن الشمس بالمغيب (٣٢) ، ولا نقوى في أثناء الليل على الصعود (٣٣) ، ولذا فن الخير أن نبحث عن مأوى مناسب
- ٤٦ هناك نفوسٌ تستقرّ على مسافة منا إلى اليمين (٣٤) : وإذا أتحتَ لي فسأذهب بك إليهم ، ولن يكون بدون متعة أن تتعرّف عليهم (٣٥) »
- ٤٩ فقيل له (٣٦) : « كيف يتأتى هذا ؟ وهل سيمنع أحدٌ من يرغب ليلاً في الصعود ، أم أنه لن يصعد لأنه لن يستطيع (٣٧) ؟ »
- ٥٢ ورسم سورديلو الطيب بأصبعه خطاً على الأرض — وقال « انظر ، إنك ستعجز عن عبور هذا الخطّ بعد غروب الشمس (٣٨) : وما من عائقٍ يحول دون الصعود سوى ظلمة الليل وهي ما تشلّ الإرادة بالعجز
- ٥٨ وفي أثناءها يمكن الهبوط ، والسير على غير هدى حول الجبل (٣٩) ، بينما يحجب الأفقُ ضوءَ النهار (٤٠) »
- ٦١ عندئذ قال سيّدى — كمنّ تولاه العجب (٤١) : سر بنا إذاً إلى هناك — حيث تقول إننا يمكننا أن ننال بالتلبّث شيئاً من السعادة »
- ٦٤ وكنا قد ابتعدنا عن ذلك الموضع قليلاً ، حينما تبيّنتُ أن الجبل محفورٌ ، على النحو الذى تحضر به الأوديةُ الجبال هاهنا (٤٢) .
- ٦٧ وقال ذلك الشبح « إننا إلى هناك سنسير ، حيث يصنع المنحدر من نفسه فجوة ؛ وهناك سرقب طلوع الفجر الجديد (٤٣) »
- ٧٠ وكان هناك طريقٌ منعرجٌ — لا هو بالمنحدر ولا بالسهل — أدّى بنا إلى جانب الوادى (٤٤) ، حيث تنخفض حافته لأكثر من النصف (٤٥) .
- ٧٣ وإن الذهب (٤٦) ، والفضة الخالصة (٤٧) ، والقرمز (٤٨) ، واللؤلؤ (٤٩) ، والنيلج (٥٠) ، والخشب الرائق اللامع (٥١) ، والزمرد البراق لحظة كسره (٥٢) — لتُخسّف ألوانها جميعاً إذا وُضعت بين الأعشاب والأزهار في ذيّاك الوادى (٥٣) — كما يُغلب الأصغر على يدى من يكبره .

- ٧٩ وهناك لم تُسبغ الطبيعة ألوانها فحسبُ ، بل صنعتُ من عبق ألف نفحة شذاً — لا عهد لنا به وليس له اسم^(٥٤)
- ٨٢ ورأيتُ أرواحاً تجلس فوق الأزهار على الحضرة^(٥٥) ، وترتل "السلام لك أيتها الملكة"^(٥٦) ، وحجبها الوادى عن الظهور خارجة^(٥٧)
- ٨٥ وبدأ المانتوى الذى سار بنا إلى هناك « لا تلتطعا إلى أن أقودكما بين هؤلاء ، قبل أن تأوى الشمس الغاربة إلى عشاها الآن^(٥٨) »
- ٨٨ ومن هذا الإفريز ستبتينان حركاتهم وجوههم جميعاً ، خيراً مما لو استقبأتما بيهم فى بطن الوادى^(٥٩) .
- ٩١ وذلك الجالس فى أعلى موضع ، ويبدو أنه أهمل ما كان ينبغى عليه أن يؤديه^(٦٠) ، ولا يحرك فماً مع ترتيل الآخرين^(٦١) —
- ٩٤ كان هو الأمبراطور رودولفو^(٦٢) ، وكان قادراً على شفاء الجراح التى أوردت لإيطاليا موارد التهلكة ، بحيث فات على غيره أوانُ لإحيائها^(٦٣) .
- ٩٧ والآخر الذى يبدو أنه يواسيه^(٦٤) ، حكم بلاداً ينبع فيها الماء الذى يحمله المولداو إلى الإلب ، وينقله الإلب إلى البحر بدوره^(٦٥) .
- ١٠٠ وكان يدعى أدواكر^(٦٦) ، وفى الأقمطة فاق كثيراً ابنه فنتشسلو ذا اللحية^(٦٧) ، الذى به يتغذى الكسل ومنه تطعم ملذات الجسد^(٦٨)
- ١٠٣ وصغير الأنف^(٦٩) ، ذاك الذى يبدو عاكفاً على مشورة ذى الوجه الرقيق^(٧٠) ، مات هارباً فارطاً زهرة الزنبق^(٧١) :
- ١٠٦ انظر إليه هناك كيف يضرب صدره^(٧٢) ! وانظر الآخر الذى جعل — فى نهله — من راحة كفته وسادة لحدته^(٧٣) .
- ١٠٩ لإنهما أبو وحيمو من كان شراً على فرنسا^(٧٤) وإنهما لعالمين بحياته الأثيمة^(٧٥) الفاسدة ، وبذا يتأتى الأسى الذى يطعهما
- ١١٢ ولقد تمنطق بحبل الفضائل كلها^(٧٦) — ذاك الذى يبدو ضخماً الأعضاء^(٧٧) ، ويرتل بنغم متآلف مع ذى الأنف الكبير^(٧٨) ؛
- ١١٥ وإذا كان الفتى الذى يجلس من ورائه^(٧٩) قد صار من بعده ملكاً ، فيكون الفضل قد انتقل حقاً من إناء لآخر^(٨٠) ،

- ١١٨ وهو ما لا يمكن قوله عن سائر الورثة ؛ فإن جاكومو^(٨١) وفيدريجو^(٨٢) يحكمان المملكتين ؛ ولا يملك أحدهما خير ميراث^(٨٣)
- ١٢١ ويندر أن تظهر في الفروع فضائل البشر^(٨٤) ، وهذا ما يريده ذلك الذى يمنحها - حتى يمكن أن نسأله إيتاها^(٨٥) .
- ١٢٤ وكذلك تنطبق كلماتى على كبير الانف^(٨٦) ، كما أنها ليست أقل انطباقاً على الآخر ، أعنى پيترو^(٨٧) الذى يرتل معه ، ولذا تحزن بسببه الآن البروفنس وأبوليا^(٨٨) .
- ١٢٧ وبقدر ما ينحطّ النّبت^(٨٩) عن بذرتة^(٩٠) ، فليكوستانترا^(٩١) أن تفخر بزوجها ، أكثر مما تفعل بياتريتشى ومرجريتا^(٩٢)
- ١٣٠ وانظر إلى الملك الذى عاش حياة البساطة - هنرى ملك لإنجلترا - يجلس هناك وحيداً^(٩٣) إن له فى فروعه سلالة أفضل^(٩٤) .
- ١٣٣ وذلك الجائلس على الأرض بيهم فى أدنى موضع - ناظراً إلى أعلى - هو المركيز جوليلمو^(٩٥) الذى حملت آلساندريا وما أثارته من القتال -
- ١٣٦ أهل مونفيرآتو وكانافيزى على البكاء من أجله^(٩٦) .

حواشى الأنشودة السابعة

- (١) هذه أنشودة الأمراء المهملين الذين عنوا بشئون الدنيا وأهلوا واجباتهم نحو رعاياهم وأنفسهم.
- (٢) استأنف دانتي وصف اللقاء بين سورديلو وفرجيليو الذى قطعه بلعناته وسخريته من إيطاليا وفلورنسا . وقوله ثلاث أو أربع مرات ، لا يقصد به تحديد مرات التعانق بل يقصد به التعانق الكثير واستخدم دانتي لفظ (onesta) بمعنى اللطف أو الكياسة كما جاء فى « الرؤية »
Conv. II. X. 8.
- (٣) تراجع سورديلو إلى الوراء حتى يكون أقدر على رؤية فرجيليو ومخاطبته .
- (٤) كان سورديلو قد سأل الشاعرين عن وطنيهما وشخصيهما ، ولما نطق فرجيليو بكلمة مانتوا هض لكى يمانقه ، ثم عاد يسأله مرة أخرى عن شخصه .
- (٥) لم يحب فرجيليو تورأ عن سؤال سورديلو ربما من باب التواضع أو لكى لا يفاجئه بشخصه .
- (٦) أوكتاڤيوس (Octavius) هو الإمبراطور أغسطس قيصر الذى نقل رفات فرجيليو من برنديزى إلى نابلى ، والمقصود أن فرجيليو مات قبل ظهور المسيح وسبقت الإشارة إلى ذلك
Inf. I. 71. Purg. III. 27.
- (٧) يعنى لم يعرف الإيمان المسيحى كما سبق
- (٨) أى أن اسم فرجيليو بهر سورديلو حتى ساوره الشك فيما يرى ويسمع .
- (٩) يعنى أن سورديلو أحس بالاحترام والإجلال نحو فرجيليو العظيم
- (١٠) كان المعتاد وقتئذ أن يقبل الكبير الصغير عند الرقبة وأن يقبل المتساوون بعضهم بعضاً عند الكتفين أما الصغير فيقبل الكبير عند الركبتين أو القدمين .
- (١١) أى يا فخر الشعب الإيطالى قديماً وحديثاً
- (١٢) يعنى أن فرجيليو أظهر فى مؤلفاته ما تستطيع اللغة اللاتينية أن تعبر عنه .
- (١٣) يقصد مانتوا وطنهما المشترك .
- (١٤) هذه كلمات تدل على الاحترام العظيم . وفى الأصل (تظهر لك لى) أو (تجعلك بادياً لى)
- (١٥) مع أن فرجيليو قال منذ هنية إنه ليس من أهل الفردوس وإنه فقد السماء فإنه لا يكاد يصدق هذا ويعود إلى تساؤله
- (١٦) أى أن فرجيليو عبر حلقات الجحيم كلها حتى وصل إلى المطهر
- (١٧) يعنى بياتريتشى وسبقت الإشارة إليها
Inf. II. 52-75. Purg. 15-69.
- (١٨) أى أن فرجيليو لم يرتكب إثمًا يعاقب عليه ولكنه فقد السماء لأنه لم يعرف المسيحية .
- (١٩) المقصود بالشمس العالية الله . ويتكرر هذا التعبير فى الفردوس
Par. IX. 8; X. 53; XVIII. 105; XXV. 54; XXX. 126.
- (٢٠) يعنى أن فرجيليو لم يعرف الله إلا عند ما هبط المسيح إلى اللبوس :
- (٢١) يحاول فرجيليو أن يبين لسورديلو أن عذابه فى الجحيم أخف من عذاب سائر الملعدين .
- (٢٢) هذا هو اللبوس
- (٢٣) أى الأطفال الذين ماتوا قبل تعميدهم .
- Inf. IV. 25

- (٢٤) المقصود أن التعميد يمحو الخطيئة الأولى للإنسان — عند المسيحيين .
- (٢٥) يعنى عظماء العالم القديم الذين ماتوا قبل المسيحية
- (٢٦) المقصود فضائل الإيمان والأمل والرحمة
- (٢٧) أى عرفوا الفضائل الطبيعية والعقلية
- (٢٨) لا يريد فرجيليو أن يفعل سورديلو ما فوق طاقته فيحادثه برفق ، وهذا حديث طبيعى بين شاعرين .
- (٢٩) هذا لأن دانتي وفرجيليو لا يزالان حتى الآن في مدخل المطهر
- (٣٠) يشبه هذا قول فرجيليو في الإنيade
- (٣١) يعنى أن سورديلو سيبدل جهده لإرضاء فرجيليو
- (٣٢) كان الشاعران قد لقيا سورديلو حوالى الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الأحد الموافق ١٠ أبريل — كما جعل دانتي ذلك — والآن مضى الوقت وإن كان الليل لم يأت بعد .
- (٣٣) يعنى أن النفس التى لا تنعم بالرحمة الإلهية تعيش فى ظلام الليل وبذلك يتعذر عليها صعود جبل المطهر فى أثناء الليل .
- (٣٤) هذه نفوس بعض عظماء الرجال الذين استقروا فى هذا الوادى المسمى بوادى الأمراء وقد هاجم سورديلو فى شعره بعض أمراء عصره
- (٣٥) يبين سورديلو لفرجيليو بعض مزايا الرحلة فى المطهر
- (٣٦) يعنى قال فرجيليو لسورديلو .
- (٣٧) يحاول فرجيليو أن يعرف المانع من الصعود ليلا
- (٣٨) يقترب هذا المعنى مما ورد فى «الكتاب المقدس» :
- (٣٩) يعنى أنه فى أثناء الظلام يمكن العودة إلى أسفل — إلى الخطيئة — أو السير حول الجبل بدون الصعود الذى لا يحدث إلا فى نور التطهر
- (٤٠) يشبه هذا قول فرجيليو :
- (٤١) عجب فرجيليو لأنه لا يعرف قوانين المطهر
- (٤٢) يقصد أن الجبل كان مخفوراً أو مجوّفاً على صورة ما تفعله الأودية بالجبال فوق الأرض
- (٤٣) هذا هو المكان المناسب للانتظار فيه حتى مطلع النهار
- (٤٤) أى طريق منعرج ينحدر فى موضع ويستوى فى آخر ويؤدى بالشاعرين إلى تلك الفجوة .
- (٤٥) يعنى أن أحد حافى الوادى تنخفض إلى المنتصف بالنسبة لارتفاع الحافة الأخرى ، وهذا هو وادى الأمراء الذين تأخروا فى الندم والتوبة عن آثامهم .
- (٤٦) يقصد بالذهب اللون الأصفر
- (٤٧) يقصد بالفضة اللون الأبيض الناصع
- (٤٨) القرمز (coccum) حشرة توجد على بعض النبات ويؤخذ منها صبغ أحمر اللون والمقصود اللون الأحمر
- (٤٩) يقصد باللؤلؤ اللون الأبيض الصافى .
- (٥٠) يقصد بالنيلج (indico) اللون الأزرق الداكن . ويؤخذ النيلج من نبات العظم
- (٥١) بالخشب اللامع الرائق يقصد اللون الأصفر العاجى .

Inf. IV. 34

Inf. IV. 106-114.

Virg. Æn. VI. 673

Giov. XII. 35.

Virg. Æn. I. 374.

- (٥٢) يقصد بالزمرّد اللون الأخضر ، وعندما ينكسر يظهر جمال لونه مباشرة قبل أن يتأثر بالهواء .
- (٥٣) أى أن أعشاب هذا الوادى وأزهاره تفوق ألوانها سائر ما ذكره دانتي .
- (٥٤) هذا وصف لإحدى صور الطبيعة ، ويضيف دانتي الرائحة إلى تنوع الألوان ، ويقول إن الشذا الذى أحس به لم يسبق لأحد معرفته ولا يمكن وصفه أو تسميته
- (٥٥) يعنى رأى جماعة من نفوس الأمراء الذين تأخروا فى التوبة
- (٥٦) هذا دعاء للعداء ترتله أرواح الأمراء فى وادى الدموع أملا فى أن يصبحوا جديرين برؤية الله
- (٥٧) لم تظهر هذه النفوس فى أول الأمر لأنها كانت جالسة فى منخفض الوادى
- (٥٨) أى قبل أن تغرب الشمس
- (٥٩) يعنى أن الرؤية أفضل من هذا الموضع المرتفع ويشبه هذا قول فرجيليو: Virg. Æn. VI. 762...
- (٦٠) أى أنه لم يقدم إلى إيطاليا
- (٦١) يعنى لا يرتل نشيد العذراء ماريّا لحمله من تأخره فى القيام بالواجب وفى الندم والتوبة
- (٦٢) الأميرامور رودولفودى هابسبرج (Rodolfo di Absburg) أبو أبرتو النمساوى (Alberto d'Austria) ولد فى ١٢١٨ وأصبح إمبراطوراً على الدولة الرومانية المقدسة فى ١٢٧٣ ومات فى ١٢٩١
- (٦٣) أى أن هنرى السابع عجز عن إقرار السلام فى إيطاليا
- (٦٤) جعل دانتي أدواكر يجلس مع عدوه رودولفو ويواسى فى كل مهما الآخر ، وبذلك انقطعت العداوة التى كانت بينهما فى الدنيا وتحولت فى المطهر إلى وثام وسلام
- (٦٥) يقصد أرض بوهيميا التى تنبع منها المياه التى يحملها نهر المولدאו (Moldau) إلى نهر الإلب (Elbe) الذى يصب فى بحر الشمال
- (٦٦) أدواكر الثانى ملك بوهيميا (١٢٥٣ - ١٢٧٨ Ottocar II.) حارب رودولفو بعد اختياره إمبراطوراً ، ويقدره دانتي لشجاعته وشهامته
- (٦٧) فنشسلاو الرابع (Venceslao IV.) صار ملكاً على بوهيميا فى ١٢٧٨ وضم إليه عرش بولندا فى ١٣٠٠ ومات فى ١٣٠٥ ، ولم يعرف سوى حياة الفراغ واللذات والمقصود أن أدواكر وهو طفل رضيع كان أفضل من ابنه هذا
- (٦٨) يدل هذا التعبير على مستوى إهماله وانغماسه فى شهوة الجسد ويرى بعض الشراح أن المعنى هنا هو أن هذا الحاكم كان يتغذى ويسمن بالكسل ولذة الجسد
- (٦٩) صغير الأنف هو فيليب الثالث ملك فرنسا (١٢٧٠ - ١٢٨٥ Philippe III.) وهو أبوفيليب الجميل وشارل دى قالوا ويوجد تمثال له فى كنيسة سان دنيّس فى ناربون فى فرنسا ويبين أنفه الذى يجمع بين الصخر والرشاقة وتوجد له صورة فى مقبرة إيزابيلا دارجونة فى كوزيتتزا فى كالابريا
- (٧٠) هو هنرى الأول ملك نافار (١٢٦٠ - ١٢٧٤ Henri I.) وهو أبو جوقانا التى خلفت والدها فى الحكم وتزوجت فيليب الجميل
- (٧١) انهزم فيليب الثالث فى حربه ضد بيتزو الثالث ملك أرجونة وترك قتلونة بعد تحطيم الأسطول الفرنسى فى خليج دى روساس فى ١٢٨٥ ، وبذلك أهين شرف فرنسا الذى كانت تمثله زهرات الزنبق رمز البيت الملكى الفرنسى .

(٧٢) يضرب فيليب الثالث صدره أسى وحسرة .

(٧٣) الآخر هو هنرى الأول ملك نافار

(٧٤) المقصود بهذا القول فليب الثالث والد فيليب الجميل وهنرى الأول النافارى حمو فيليب الجميل .

(٧٥) يعنى حياة فيليب الجميل الآثمة . وكرهه دانتي لأنه نقل مقر البابوية إلى أفنيون ، ولا يذكر دانتي اسمه ولكنه يشير إليه بصفاته السيئة في مواضع متعددة من الكوميديا مثل

Inf. XIX. 87. Purg. XX. 91; XXXII. 148-160. Par. XIX. 120.

(٧٦) الحبل حول الوسط رمز الفضائل والفروسية ، ويشبه هذا ما جاء في «الكتاب المقدس» :

Issia, XI. 5.

(٧٧) هذا هو بيترو الثالث الأرجونى (Pietro III.) الذى ولد فى صقلية وتزوج كونستانزا ابنة مانفريد وأصبح ملكاً على صقلية فى ١٢٨٢ ومات فى ١٢٨٥

(٧٨) هو شارل دانجو (1270 - 1325 Charles d'Anjou) ابن لويس الثامن ملك فرنسا وأخو لويس التاسع ، دعاه اكلمنتو الرابع فى ١٢٦٥ إلى إيطاليا فهزم مانفريد فى موقعة بنيفنتو (Purg. III. 118-120). واستولى على نابلى ، واشتهر بالحزم وشدة البأس .

(٧٩) هو ألفونسو الثالث (1285 - 1291 Alfonso III.) ابن بيترو الأرجونى خلف والده على عرش أراجونة وورث صفات أبيه الطيبة ولكنه لم يعمر حتى يصبح ملكاً على صقلية

(٨٠) أى من وريث إلى آخر

(٨١) هو جاكومو الثانى الأرجونى (Giacomo II.) ويسمى بالعدل وهو الابن الثانى لبيترو الأرجونى توج ملكاً على صقلية فى ١٢٨٦ وخلف أخاه ألفونسو على عرش أراجونة ومات فى ١٣٢٧

(٨٢) فيدرىجو الثانى (Federico II.) الابن الثالث لبيترو الأرجونى وأصبح ملكاً على صقلية فى ١٢٩٦ ومات فى ١٣٣٧

(٨٣) يعنى أن أحداً منهما لم يرث صفات أبيهما الطيبة .

(٨٤) أى أن الصفات الفاضلة لا تورث فى الغالب .

(٨٥) يعنى أن هذه هى إرادة الله الذى يمنح الفضائل للناس ، ومن يريد لها فليطلبها منه لأنها لا تأتى عن طريق الوراثة

(٨٦) صاحب الأنف الكبير هو شارل الأول دانجو .

(٨٧) أى بيترو الثالث ملك أراجونة .

(٨٨) أساء شارل الأول دانجو الحكم فى البروفنس وأبوليا حتى بكى الناس من مساوئه

(٨٩) التبت يعنى شارل الثانى دانجو الذى حكم البروفنس وأبوليا

(٩٠) يعنى شارل الأول دانجو .

(٩١) كوستانزا (Costanza) زوجة بيترو الثالث والمقصود أن زوجها أفضل من زوجى الأخرتين وسبقت الإشارة إلى كوستانزا

(٩٢) بياتريتشى دى راييموندو دى پروفنس (Beatrice di Raymondo di Provenza)

ومرجريتا ابنة دوق بورجونيا (Margherita del Duca di Borgogna) وقد تزوجها

شارل الأول دانجو الواحدة بعد الأخرى .

(٩٣) هنرى الثالث ملك إنجلترا (١٢١٦ - ١٢٧٢ Henry III.) كان حاكماً ضعيفاً، واعتبره سورديلو رجلاً شرملاً جشعاً ، ولكن دافنى يأخذ ضعفه على أنه نوع من بساطة النفس، وربما كان ذنبه أنه أهمل واجبات الملك في سبيل واجبات الدين ، ولعل هذا هو السبب الذى دعا دافنى إلى أن يضعه في مقدمة المطهر وفي عزلة عن الآخرين وهو مدفون في كنيسة وست منستر في لندن

(٩٤) يقصد إدوارد الأول ملك إنجلترا (١٢٧٢ - ١٣٠٧ Edward I.) ابن هنرى الثالث ويسمى بمجستيان إنجلترا لأنه قن القوانين الإنجليزية

(٩٥) المركيز جويلمو السابع دى مونفيراتو (١٢٥٤ - ١٢٩٢ Gulielmo VII. di Monferrato) أحد زعماء الجبلين في شمال إيطاليا ، وحاول الوقوف في وجه شارل دانجو وفي ١٢٩٠ ثارت عليه ألساندرىا (Alessandria) في پيمونى وحاول قمعها ولكنه هزم ووقع أسيراً ووضع في قفص من حديد حتى مات وحاول ابنه (جوفانى) الانتقام لمقتله وهاجم ألساندرىا وألحق خسائر جسيمة بمونفيراتو (Monferrato) الواقعة على شاطئ البحر الأبيض وكانافيزى (Canavese) الواقعة على شاطئه الأيسر وجعله دافنى في أدنى موضع لأنه أعوزته القوة العسكرية ، ولكنه جعله ينظر إلى السماء لأنه كان مخلصاً للأمباطورية

(٩٦) يعنى أنه أصاب مونفيراتو وكانافيزى من الحسائر ما جعلهما تكيان من أجل جويلمو .

الأنشودة الثامنة^(١)

كانت قد حلت ساعة الغروب التي تثير حنين المسافرين في البحر إلى وطنهم ، وسكنت الأرواح فلم يعد دانتى يسمع شيئاً ورأى دانتى روحاً تنهض وتطلب أن يُنصتَ إليها ، وسمع الجميع يرتلون بصوت واحد نشيداً يضرعون فيه إلى الله أن يحمي نفوسهم من شياطين الليل وشهد دانتى ملاكين يهبطان بشياهما الخضراء ، واحتويا بينهما جماعة الأرواح ، وقد قدما لحماية الوادى من الحية رمز الشر والخطيئة أحس دانتى بالخوف فالتصق بفرجيليو ، ودعاها سورديلو إلى النزول إلى وادى الأمراء ورأى دانتى روحاً تتطلع إليه ، وكان هذا هو نينو أوجولينو فيسكونتي قاضى جالورا ، وابتهج دانتى عندما لم يره بين الملعونين ، وتبادلا التحيات الحارة وعندما أدرك نينو وسورديلو أن دانتى إنسان حى ، تراجعا وقد أخذهما العجب ، ونادى نينو كورادو مالا سپينا لكى يرى ما أراده الله بنعمته ، وسأل دانتى أن يطلب — عندما يعود إلى الدنيا — إلى ابنته جوفانا أن تصلى من أجل سلامه ، وذكر زوجته التى لم تثبت على حبها وتزوجت من غيره ، وقال إن مساكنها يوضح كم يدوم الحب الذى لا تذكيه المداعبة أخذ دانتى ينظر نحو السماء وشهد النجوم المتألقة رمز الفضائل الإلهية ، ثم جاءت الحية تتسلل بين الأعشاب والأزهار ، فهبط الملاك كان نحوها بسرعة فولت هاربة ، وطار الملاك عائد إلى موضعهما فى أعلى ودعا كورادو مالا سپينا لدانتى أن يبلغ القمة اللامعة — الفردوس الأرضى — وسأله عن أخبار وادى ماجرا . وقال دانتى إنه لم يذهب إلى بلاده — على غير حقيقة — ولكن شهرتها طبقت الآفاق ، وأقسم له بأن شعبه لم يفقد مجد المال والسيف ، وأن عاداته الطيبة تميزه عن غيره ، وتنبأ كورادو لدانتى بحياة المنفى .

- ١ كانت قد حلت الساعة^(٢) التي تبعث الحنين لدى رواد البحار وتولين قلوبهم ، يوم أن قالوا وداعاً^(٣) لأصدقائهم الأعزاء^(٤) —
- ٤ الساعة التي ترشق بسهم المحبة قلب من يسافر لأول مرة^(٥) — إذا سمع من بعيد زنين ناقوس^(٦) — يبدو أنه يبكي زوال النهار^(٧) —
- ٧ حينما بدأت أوقف أذني عن السمع^(٨) ، وأخذت أتأمل أحد الأرواح الذي هض على قدميه^(٩) ، مشيراً بيده حتى يستمع إليه^(١٠) .
- ١٠ وضمّ هذا كلتا راحتيه ورفعهما إلى أعلى^(١١) ، متجهاً بعينه صوب المشرق^(١٢) كأنه يقول لله "لست أحفل بأحد سواك"^(١٣) ،
- ١٣ وعلى شفثيه تردد في خشوع وبأنغام عذبة نشيد "قبل هاية النهار"^(١٤) ، فلم أعد أشعر بما حولى^(١٥) ؛
- ١٦ ثم صاحبتنه سائر الأرواح بخشوع وعذوبة في سائر النشيد كله ، وهي شاخصة^(١٦) بأبصارها إلى الدوائر العليا^(١٦) .
- ١٩ أمعين النظر — أيها القارئ — فيما هو قائم هاهنا ، إذ أن النقاب الآن جد رقيق ، حتى لتسهل حقاً الرؤية خلاله^(١٧) .
- ٢٢ ورأيت بعدئذ ذلك الجمع النبيل وقد صمت أفراده ونظروا إلى السماء^(١٨) ، وشحب لوهيم^(١٩) وبدوا مستضعين^(٢٠) ، كأنهم يتوقعون أمراً^(٢١) ؛
- ٢٥ وشاهدت ملاكين^(٢٢) يخرجان من سماء السماوات^(٢٣) ، ويهبطان أسفل وقد حملا سيفين متوهجين مكسورين نزع طرفاهما^(٢٤) .
- ٢٨ وارتديا ثياباً مخضرة^(٢٥) كوريات الشجر النابتة تواء^(٢٦) ، ودفعاهما إلى الورا وقد لامستهما وروحتهما أجنحتهما الخضراء^(٢٧) .
- ٣١ وجاء أحدهما واتخذ مكاناً في موضع يعلونا قليلاً^(٢٨) ، ونزل الآخر إلى الشاطئ المقابل ، بحيث احتويا تلك الجماعة فيما بينهما^(٢٩) .
- ٣٤ فتبينتُ جلياً رأسيهما الأشقرين^(٣٠) ؛ ولكنني حين نظرت إلى وجهيهما — زاغ بصري^(٣١) — كملكة بالإفراط تضطرب^(٣٢) .
- ٣٧ قال سورديلو : «إنهما يأتیان كلاهما من حلقة ماريا^(٣٣) ، لحماية الوادي من الأفعى الوشيكة الإتيان »

- ٤٠ وأنا الذى لم أعرف من أى طريق يأتيان - تلفت حوالى عندئذ (٣٤) -
والتصقت بالكتفين الأمينتين (٣٥) ، وقد تجمد سائرى (٣٦) .
- ٤٣ فقال سورديلو بعد : « فلنبط الآن إلى الوادى بين أشباح هؤلاء العظماء (٣٧) ،
وستحدث إليهم وسيبتهجون برؤيتك كثيراً (٣٨) »
- ٤٦ وأظن أنى كنت قد نزلت ثلاث خطوات فحسب (٣٩) حتى أصبحت
فى أسفل ، ورأيت واحداً يتطلع إلى وحدى ، وكأنه يودّ التعرف على (٤٠) .
- ٤٩ وكانت قد حلت الساعة التى يظلم فيها الهواء ، ولكن ليس إلى الحد الذى
يحتجب فيه - بين عيى وعينيه (٤١) - ما كان من قبل خافياً عى (٤٢)
- ٥٢ جاء نحوى ، وذهبت إليه (٤٣) : نينو أيها القاضى النبيل (٤٤) - كيف ابتهج
قلبي حينما لم أرك بين أهل المعصية (٤٥) !
- ٥٥ وما من آيات تحيات طيبة إلا وتبادلناها (٤٦) ؛ ثم سألتى « منذ متى كان
إتيانك إلى سفح الجبل عبّر المياه الشاسعة (٤٧) ؟ »
- ٥٨ فقلت له « آه ، لقد جئت هذا الصباح من حلقات الأسى (٤٨) ،
ولا زلت فى حياتى الأولى (٤٩) - وإن كنت برحلتى هذه أنال الحياة
الآخرة (٥٠) »
- ٦١ وعندما سُمعتُ إجابتي (٥١) ، تراجع إلى الوراء هو وسورديلو ، كجماعة
أخذها عجبٌ مفاجئ (٥٢) .
- ٦٤ وإلى فرجيليو اتجه أحدهما (٥٣) ، وإلى روح كان جالساً هناك اتجه الآخر
صائحاً (٥٤) : « انهض يا كورآدو (٥٥) ؛ وتعال اشهد ما أرادته بنعمته الله .
ثم اتجه إلى قائلاً (٥٦) : « باسم ذلك الفضل الذى أنت مدين به إلى من
يُخفى أولى علل فعاله - بحيث لا يمكننا إدراكها (٥٧) -
- ٧٠ حينما تُصبح فى الجانب الآخر من الموج الحزيم (٥٨) ، قلْ لجوفانا ابنتى (٥٩)
أن تتجه بصلواتها من أجلى - حيث يُستجاب إلى دعاء الأبرياء (٦٠) .
- ٧٣ ولا أعتقد أن أمها ما زالت تُحبنى (٦١) ، منذ أن بدلتْ نُسبها البيضاء (٦٢) ،
والتي ستظل تلك البائسة فى حاجة إليها (٦٣) .

- ٧٦ ومن اليسير أن يتضح بمسلكها كم تدوم لدى المرأة نارُ المحبة ، إذا لم توجَّح النظرات أو اللمسات من أوارها^(٦٤).
- ٧٩ وإن الحية^(٦٥) التي تقود شعب ميلانو إلى ساحة الوغي ، لن تبي لها قبراً جميلاً كما كان ديك جالتورا قادراً على بنائه^(٦٦) .
- ٨٢ هكذا تكلم وقد ارتسم على وجهه ذلك الغضب العادل ، الذي يضطرم في القلب بالقدر المناسب^(٦٧).
- ٨٥ ولغير السماء لم تتَّجه عيناي المتحفَّزتان^(٦٨)، حيث تسير النجوم بأبطأ سرعة^(٦٩)، كمعجلة في أقرب موضع إلى مركزها^(٧٠).
- ٨٨ قال دليلى « ماذا تنظر يا بُنى هناك في أعلى ؟ » فقلت له « لأنني أنظر إلى تلك الشعلات الثلاث ، التي يتوهج بها القطب هنا في كل أرجائه^(٧١) ».
- ٩١ فقال لي « لقد هبطتُ في ذلك الجانب النجوم الأربعة اللامعة التي رأيتهَا هذا الصباح ، وصعدتُ هذه إلى مكانها^(٧٢) ».
- ٩٤ وبينما كان يتكلم جذبه سورديلتو إليه قائلاً^(٧٣) : « فلنَتنظر هناك عدونا^(٧٤) » ؛ وأشار بأصبعه حتى ينظر هناك
- ٩٧ في ذلك الجانب — حيث لا حاجز للوادي الصغير^(٧٥) — رأيت حيةً — ربما كانت هي التي قدَّمت لحواء مريراً الطعام^(٧٦).
- ١٠٠ ومن بين الأعشاب والأزهار جاءت الزاحفة الخبيثة^(٧٧) ، رافعةً رأسها أنا قائناً ، ولحستُ ظهرها^(٧٨) كحيوان يلحس نفسه .
- ١٠٣ لم أر^(٧٩) — ولذا لا يمكنني القول — كيف طار بازيماً السماء^(٨٠) ؛ ولكنني تبيَّنتُ جلياً كلا مهما في طيرانه .
- ١٠٦ وعلى حفيف الأجنحة الحضراء — وهي تشق أجواز الفضاء — لاذت الحية بالفرار^(٨١)، ثم استدار الملاك كان وعادا طائرَين جنباً إلى جنب^(٨٢)، إلى مقرَّهما في أعلى^(٨٣).
- ١٠٩ والشبح الذي كان قد اقترب من القاضي عند ندائه^(٨٤) — لم ينقطع لحظةً عن النظر إلى — خلال هذه الحملة كلَّها^(٨٥).

- ١١٢ وبدأ « ألا فليُجِد - في إرادتك - النورُ الذى يقودك إلى أعلى ^(٨٦) -
شعماً وفيراً يكفي حاجتك لبلوغ القمّة الخضراء ^(٨٧) .
- ١١٥ وإذا كنت تعرف أنباء صحيحةً عن وادى ماجراً ^(٨٨) أو عن المناطق المجاورة
فخبرنى بها - فقد كنت هناك ذات يوم من العظماء .
- ١١٨ وكنت أدعى كورادو مالا سبيناً ^(٨٩) ، وإنى لست كورادو القديم ^(٩٠) ،
ولكنى منحدرٌ من صُلْبِهِ ولقد حملت لأهلى المحبة التى تستكمل صفاءها
هاهنا ^(٩١) »
- ١٢١ فقلت له « آه ، إنى لم أذهب إلى بلادكم أبداً ^(٩٢) ، ولكن أين يقيم - فى
أرجاء أوروبا - من لا يعرفها ^(٩٣) ؟
- ١٢٤ وإن الشهرة التى تمجد بيتكم - تُعلَى من ذكر سادتكم وتُذيع من صيت
أرضكم ^(٩٤) - حتى ليعرفها من لم يذهب إليها بعد ^(٩٥) ؛
- ١٢٧ وأقسم لك - ولعلّى أبلغ القمّة ^(٩٦) - أن شعبك المجيد لا يفقد شيئاً من مجد
المال أو السيف ^(٩٧) .
- ١٣٠ وهو بعاداته وطبيعته يتميز ^(٩٨) ، حتى إنه على رغم فساد الدنيا - بالرأس
الخبث ^(٩٩) - يسير وحده مستقيماً - ولطريق الشرّ مزدرياً ^(١٠٠) .
- ١٣٣ فقال لى « فلنذهب الآن ، إذ لن تأوى الشمس - سبع مرات - إلى
الفراش الذى يغطيه الحمل ويعتليه بكلّ أقدامه الأربع ^(١٠١) ،
- ١٣٦ حتى يثبت هذا الرأى اللطيف فى أمّ رأسك - بمسامير أقوى من كلام
الناس ^(١٠٢) -
- ١٣٩ إذا لم يتوقف الحكم الإلهى عن سيره ^(١٠٥) .»

حواشى الأنشودة الثامنة

- (١) هذه تكملة للسابقة وتسمى أنشودة نينو فيسكونتى وكورادو مالا سپينا
 (٢) المقصود ساعة الغروب أى حوالى السادسة مساء .
 (٣) تبعث ساعة الغروب فى نفس المسافر فى البحر الحنين إلى الوطن
 (٤) حينما يغادر المسافر بلاده يذكرها ويذكر أصدقاءه الذين ودعهم وقت سفره .
 (٥) يستخدم دانتي لفظ الحاج بمعنى المسافر ويقول المسافر الجديد أى الذى يغادر بلاده لأول مرة .
 (٦) يذكر المسافر بلاده على دقائق الناقوس وهذا هو دانتي الذى يشعر بألم الفراق حينما كان
 يرحل من بلد لآخر
 (٧) هذه من أروع الأبيات - فى النص الإيطالى - فى وصف ما يخالج المسافر من المشاعر حينما
 يعتمد عن وطنه وقت المساء ، وفى هذا تمييز دانتي ذاته عن إحساسه بألم الفراق .
 وقد استوحى هذه الأبيات بعض الموسيقيين لوضع ألحان بعنوان « المساء » مثل سالفاتورى
 مانتزوكى وجوليو روبرقى وروبرت شومان وكلهم من القرن ١٩ ولم أعر على هذه الموسيقى
 مسجلة
 (٨) يعنى أن دانتي لم يعد يسمع ترتيل الأرواح ولا صوت سورديلو لأنهم سكتوا جميعاً وهذه
 حال من السكون تناسب دخول الليل وهو إحساس بالكآبة ينال المسافر فى وحدته .
 (٩) نهضت هذه الروح واقفة على حين كانت سائر الأرواح جالسة على الأرض فى الوادى المزدهر
 كما سبق :
 Purg. VII. 83.
 (١٠) يشبه هذا المعنى ما أورده فرجيليو وأوفيدىوس « والكتاب المقدس
 Virg. Æn. XII. 692.
 Ov. Met. I. 205.
 Atti, XIII. 16.
 (١١) يشبه هذا ما جاء فى « الكتاب المقدس » و « الإنياذة »
 Gen. XIV. 22.
 Virg. Æn. X. 84 . . .
 (١٢) اتجهت هذه الروح فى صلاتها إلى المشرق ، وكان ذلك من عادة المسيحيين وقتئذ
 (١٣) هذه صلاة وضراعة إلى الله وأصبحت هذه الروح لا تفكر فى شيء إلا فى الله
 (١٤) هذه أولى كلمات نشيد القديس أمبرودجو (S. Ambrogio) من القرن ٤ م والمقصود
 بهذه الصلاة دعاء الله أن يحمى النفوس من شياطين الليل ، ويحس الإنسان أحياناً بشيء من
 الرهبة عند حلول الليل وهذا النشيد فاتحة دراما إنسانية من حيث الصراع بين الخير والشر
 (١٥) عند ما سمع دانتي الأنغام التى تضرع إلى الله فقد الوعى بنفسه وهذه من سبل الإحساس
 الصوفى
 (١٦) تابعت سائر النفوس الترتيل بمعذوبة وهى تنظر إلى السماوات العليا .

(١٧) يلفت دانتى نظر القارئ إلى سهولة فهم الحقيقة لأن النقاب صار خفيفاً ويقصد بالحقيقة ما هو كائن أمامه الآن .

(١٨) هذه إشارة إلى المعنى الذى ورد فى « الكتاب المقدس » : Sal. CXX. CXXIII.

(١٩) شحوب اللون بسبب الأفعى التى ستظهر بعد .

(٢٠) يعنى التواضع فى طلب العون الإلهى .

(٢١) أى ينتظرون عون السماء .

(٢٢) رأى دانتى ملاكين اثنين ، ويشبه هذا التعبير ما فعله المسيح عندما أرسل أتباعه اثنين اثنين

Marco, VI. 7; Luca, XXIV. 4. Giov. XX. 12; Atti, I. 10;

(٢٣) أى من سماء السماوات حيث العذراء ماريا وفى الأصل (من أعلى)

(٢٤) هذا لأن سلاح الملاكين ليس للانتقام بل للدفاع

(٢٥) اللون الأخضر رمز الأمل .

(٢٦) هذا يعنى أن اللون أخضر فاتح كالأوراق التى تنبت حديثاً على الأشجار

(٢٧) هذا كله تصوير جميل لحركة الملاكين فى طيرانهما

(٢٨) يعنى وقف أحد الملاكين على حافة الوادى التى كان عليها الشعراء الثلاثة ولكن على بعد قليل .

(٢٩) أى أن نفوس هذه الجماعة أصبحت فى موضع وسط بين الملاكين

(٣٠) استطاع دانتى أن يرى شعر الملاكين بلونه الأصفر

(٣١) يعنى أن عينيه لم تقويا على النظر إلى بهائهما

(٣٢) زاغ بصر دانتى ولم يقو على الرؤية كمن يلقى مجهوداً فوق احتماله ويشبه هذا قول أرسطو

Arist. De Anima, II. 12.

(٣٣) يقصد سماء السماوات فى الفردوس .

(٣٤) لم يعرف دانتى من أية ناحية ستأتى الأفعى فنظر حوالبه لكى يتبين ذلك

(٣٥) أى التصق دانتى بكتفى فرجيليو .

(٣٦) أحس دانتى ببرودة شديدة بسبب الخوف كما سبق فى الجحيم Inf. XXXIV. 22.

(٣٧) يعنى أرواح الأمراء فى هذا الوادى .

(٣٨) لم يكن سورديلو يعرف بعد شيئاً عن شخصية دانتى ولم يعرف أنه إنسان حى ، ولذلك فهو

يظن أن وجود روحى فرجيليو ودانتى سيسر أرواح الأمراء هنا

(٣٩) هذا يعنى أن الوادى لم يكن عميقاً

(٤٠) هو نينو أوجولينو فيسكونتى .

(٤١) أى أن الجود قد أصبح مظلماً ولكن ليس إلى الحد الذى تتعذر معه الرؤية فى المسافة القائمة بينهما

(٤٢) هذا بسبب بعد المكان وقيل أن يقترب أحدهما من الآخر

(٤٣) هكذا اندفع الصديقان أحدهما نحو الآخر فى شغف ولهفة ، ولقد عاشا زمناً فى فلورنسا وكانا

معا من حزب الجلف البيض .

- (٤٤) نينو أوجولينو فيسكونتى (Nino Ugolino Visconti) ابن أخت الكونت أوجولينو دلاجيراردسكا وأصبح قاضى جالورا فى سردينيا وبعد هزيمة الجبلين فى پيزا على يد الأسقف رودجيرى دلى أوبالدينى (Inf.XXXIII.) أصبح زعيم الحلف ضد وطنه پيزا ، وقصد إلى سردينيا لى يعاقب الراهب جوميتا على رشوته ويظهر أن دانتي عرفه عند ما ذهب إلى فلورنسا بعد ١٢٨٨ ، وربما كان زميله فى السلاح فى حصار كاپرونا ، ومات فى سردينيا فى ١٢٩٦
- (٤٥) ابتهج دانتي عندما رأى روح نينو قد سامت من عذاب الجحيم
- (٤٦) يعنى تبودلت بينهما أساليب التحية القلبية الحارة التى تعبر عما يمكنه أحد الصديقين للآخر من الود والمحبة
- (٤٨) يسأل نينو دانتي - وهو يظنه شبحاً - متى قطع المسافة الطويلة من مصب نهر التيهر حتى مدخل المظهر
- (٤٨) أى متى جاء من الجحيم
- (٤٩) يعنى أنه لا يزال على قيد الحياة على رغم حضوره إلى هذا المكان .
- (٥٠) أى أن دانتي يسمى برحلته هذه إلى أن يبلغ الفردوس .
- (٥١) يعنى عندما عرف سورديلو ونيو أن دانتي لإنسان حى .
- (٥٢) هذه حركة من أخذهما المصحب لما رأيا وصما
- (٥٣) أى اتجه سورديلو إلى فرجيليو .
- (٥٤) الآخر يعنى نينو فيسكونتى .
- (٥٥) هو كورادو مالا سينا
- (٥٦) هذا هو نينو فيسكونتى .
- (٥٧) يقصد الله
- (٥٨) يعنى حينما يعود دانتي إلى الأرض وهكذا عندما عرف نينو أن دانتي لإنسان حى عاد إلى ذكرى الوطن والأسرة وهذه أبيات رقيقة مليئة بالحب
- (٥٩) جوفانا (Giovanna) ابنة نينو الوحيدة ، وكان عمرها ٩ سنوات فى ١٣٠٠ عند موت أبيها رعاها البابا بونيفاتشو التاسع كابنة أحد زعماء الحلف وتزوجت ريتزاردو داك' مينو النبيل من تريفيزو ، وعاشت فى فلورنسا بعد موت زوجها فى ١٣١٢ ، ومنحت إعانة مالية فى ١٣٢٣ ، ويبدو أنها عاشت حتى ١٣٣٩ ويذكر نينو اسم ابنته جوفانا بحب وحنان وكأنه - وهو فى قبره - يريد أن يضمها إلى صدره .
- (٦٠) يرجو نينو أن تصلى ابنته من أجله ، وهى عنده طفلة بريئة تستجيب إليها السماء .
- (٦١) يقصد زوجته بياتريشى دست (Beatrice d'Este) التى تزوجت بعد وفاته من جالياتزو فيسكونتى من زعماء الجبلين فى ميلانو فى ١٣٠٠ ثم طردت وزوجها من ميلانو ، وعادت إليها حيث ماتت فى ١٣٣٤ ويأسف نينو لعدم وفائها له .
- (٦٢) كانت الأرملة وقتئذ تلبس ثوبا أسود اللون ونقابا أبيض اللون .
- (٦٣) أى أنها سوف تلبس ثوب الأرملة مرة أخرى حينما تصيها الكوارث
- (٦٤) يعنى أن بياتريشى دست توضح بمسلكتها أن الحب لا يدوم طويلا إذا لم يصحبه النظر واللمس والمداعبة وفى هذا بعض الإحساس بالمرارة لبعدها
- (٦٥) المقصود بالأفنى شعار ميلانو الذى يوضع على الدروع وقت الحرب

ويوجد حفر بارز يمثل الأفعى شعار ميلانو ويرجع إلى القرن ١٤ وهو فى متحف القلعة بميلانو .

(٦٦) الديك شعار بيزا على أدوات الحرب والمقصود أنه لو ماتت بياتريتشى دست مخلصه للجلف لوضع على قبرها الديك شعار بيزا الجلفية ، أما وقد ماتت بعد زواجها من أمير جبلى فستوضع على قبرها الأفعى شعار ميلانو الجبلىنية ، وإن كان هذا يخالف الواقع التاريخى لأنه عند موتها وضع على قبرها كلا الشعارين

وتوجد صورة صغيرة من القرن ١٤ تمثل أوجولينو يطرد نينو دى جالورا (نسبة إلى شمال شرق سردينيا) فى مكتبة كيجى فى روما وكذلك يوجد حفر يمثل ديك جالورا فى كنيسة ساننا ماريا من بيت لحم على مقربة من ساسارى .

(٦٧) أى أنه شعر بشى من الغضب والألم ولكن لم يصل إحساسه إلى حد الكراهية

(٦٨) لم يجب دانتى ولم يتكلم بل رفع عينيه إلى السماء متطلعا إلى رؤية شىء جديد

(٦٩) يعنى نظر دانتى صوب القطب الجنوبي

(٧٠) أى أن النجوم القريبة من القطب تدور بسرعة أبداً من النجوم القريبة من خط الاستواء ويقارن دانتى هذه الحركة بحركة العجلة

(٧١) ربما كانت هذه النجوم رمزاً للفضائل الإلهية الإيمان والأمل والرحمة ، ويرى بعض الشراح أن دانتى قصد بها نجوماً حقيقية

(٧٢) ظهرت هذه النجوم عند هبوط الليل وأخذت موضع النجوم الأربعة التى رآها دانتى فى الصباح

Purg. I. 23.

(٧٣) يعنى جذب سورديلو فرجيليو إليه

(٧٤) هذه هى الحية رمز الإغراء والشيطان . و ورد هذا المعنى فى « الكتاب المقدس »

Apocal. XII. 9.

(٧٥) أى فى الجانب المفتوح الذى يمكن الدخول منه إلى الوادى بدون عائق. ويرى بعض الشراح أن هذا رمز لنقطة الضعف التى تحاول الحية الوصول عن طريقها إلى قلب الإنسان .

Gen. III.

(٧٦) ورد مثل هذا المعنى فى « الكتاب المقدس »

(٧٧) هذا رمز إلى أن الشر يأتى إلى الإنسان فى مظهر جميل خلاب

(٧٨) تعلق الأفعى ظهرها كأنها لا تنوى شرّاً بأحد .

(٧٩) لم ير دانتى كيف طار الملاك لأن كان مشغولاً بالنظر إلى الأفعى

(٨٠) البازى طائر من فصيلة الصقر سريع الطيران وعدو الأفعى ، والمقصود بالبازيين ملاكا السماء .

(٨١) هذا رمز لانتصار الخير على الشر

(٨٢) يعنى عاد الملاك طائرين بسرعة واحدة .

(٨٢) ربما كان المقصود بقول (أعلى) مكان البازيين فوق هذا الوادى لحراسته ليلا وربما كان المقصود السماء .

(٨٤) هذا شبح كورادو مالايسينا

(٨٥) ظل الشبح يحملق النظر متعجباً لرؤيته دانتى كإنسان حى .

(٨٦) يقصد الرحمة الإلهية التى ترفع الإنسان إلى أعلى ولا بد من رغبة الإنسان وإرادته الخير حتى تحل به رحمة الله .

- (٨٧) أى الفردوس الأرضى فى أعلى المطهر والذي يؤدى إلى فردوس السماء .
- (٨٨) وادى ماجرى (Val di Magra) حيث توجد قلعة فيلافرانكا (Villafranca) مقر فيدريجو والد كورادو ، حيث كتب كورادو وصيته فى ١٢٩٤ ، وسبقت الإشارة إلى هذا الوادى
- Inf. XXIV. 145.
- (٨٩) كورادو مالاسپينا الثانى (Cunrado Malaspina II.) هو ابن فيدريجو الأول وهو مركز فيلافرانكا فى منطقة لونيديجانا ومات فى ١٢٩٤
- (٩٠) القديم أو المعجوز هنا يعنى كورادو مالاسپينا الأول وهو جد كورادو مالاسپينا الثانى وجد موريلو (Inf. XXIV. 142) وجد فرنشيسكينو الذى زاره دانتي فى لونيديجانا فى ١٣٠٦
- (٩١) يعنى أنه بذل من أجل أسرته كل جهد وحسب حتى لم تبق له فرصة للتدب على خطاياهم إلا فى آخر لحظة
- (٩٢) أى إلى وادى ماجرا
- (٩٣) هكذا يشيد دانتي بشهرة البلاد التى سكنها آل مالاسپينا
- (٩٤) بلغت شهرة آل مالاسپينا أنحاء أوروبا وتغنى بكرمهم وفضلهم شعراء التروبادور
- (٩٥) ربما يريد دانتي أنه لم يذهب إلى هذه البلاد ولكن هذا يخالف الواقع لأن دانتي زار فرنشيسكينو فى ١٣٠٦ كما سبق .
- (٩٦) يقصد دانتي الفردوس الأرضى .
- (٩٧) يعنى أن شعب مالاسپينا لا يزال يتميز بالكرم والشجاعة وهما من صفات الفروسية التى تغنى بها شعراء التروبادور
- (٩٨) يؤكد دانتي صفات مالاسپينا وتقاليده الطيبة الثابتة
- (٩٩) يقصد دانتي بقوله الرأس الخبيث بونيفاتشو الثامن أو الأمبراطور الذى لا يؤدى واجبه .
- (١٠٠) أى أن آل مالاسپينا ظلوا وحدهم سائرين فى الطريق المستقيم على رغم الفساد السائد وهذا دليل على صلابتهم ومثابرة خلقهم .
- (١٠١) يعنى أن الشمس لن ترجع سبع مرات إلى برج الحمل والذى هو فيه الآن والمقصود أنه لن تمضى سبع سنوات (من ربيع ١٣٠٠ - الوقت الذى جعله دانتي لهذا الموضع عن رحلته - حتى أكتوبر ١٣٠٦ حينما زار وادى ماجرا فى إقليم لونيديجانا) حتى يدرك دانتي صفات آل مالاسپينا ، وهكذا يتنبأ كورادو بنى دانتي .
- (١٠٢) استخدم دانتي لفظ (التثبيت أو الدق) ولفظ (المسامير) للتعبير عن تثبيت الفكرة فى الرأس
- (١٠٣) أى إذا لم يغير الله حكمه وقدره على دانتي بالنسبة من فلورنسا

الأنشودة التاسعة^(١)

كانت الشمس قد غربت وتقدّم الليل حتى أخذ برج العقرب يعبر الأفق ، وكان دانتي قد غلبه النعاس وقبيل الصباح — حينما يكاد عقل الإنسان يصبح إلهياً في رؤياه — بدا لدانتي في الحلم أنه رأى نسرّاً يهبّط من السماء كبرق خاطف وانتزعه إلى أعلى حتى منطقة من النيران ، فانقطع نومه وقد ساده الفزع وأخذ فرجيليو يطمثنه وأخبره أنه بلغ الآن المطهر وقال إن لوتشيا جاءت من السماء فحملته إلى أعلى وصعد هو في إثرها ، وأرت فرجيليو باب المطهر ، فاستعاد دانتي ثقته بنفسه وصعد خلف فرجيليو . ويخاطب دانتي القارئ ويذكر كيف أنه يعمل على السموّ بموضوعه وتدعيمه بفن أعظم اقترّب الشاعران من باب المطهر ورأى ثلاث درجات وشهد ملاكاً حارساً شعّ منه نور ساطع حتى لم يقو على النظر إليه وسألها الملاك عن حالهما وحذّرهما من الصعود مزيداً ، ولكن لما أفاده فرجيليو أن لوتشيا هي التي سهّلت لهما سبيل الصعود رحّب بهما ودعاهما إلى المدخل صعد دانتي على درجات السلم التي ترمز أولاً لصفاء النفس وترمز الثانية للاعتراف بالخطايا وترمز الثالثة للحب الذي يطهر القلب وسأل دانتي الملاك أن يفتح لهما الباب فرسم على جبينه سبع (خاءات) رمز الخطايا ، وفتح باب المطهر بمفتاحين أحدهما من الذهب والآخر من الفضة ، وحذّرهما من النظر إلى الخلف حتى لا يعودا إلى الخطايا . وأحدث فتح باب المطهر دوياً هائلاً فاق الموى الذي حدث عند استيلاء قيصر على الخزينة المحفوظة في صحرة تارپيا . وسمع دانتي داخل الباب نشيداً يرتل على أنغام الموسيقى العذبة ، وفهم بعض كلماته بدون أن يفهمه كله .

- ١ كانت حظيَّة^(٢) تيتونوس العتيق^(٣) - قد أصابها شحوب اللون^(٤) - في شُرْفَةِ المشرق^(٥) ، وهي بعيدةٌ عن ذراعى عاشقها الوهان^(٦) ؛
- ٤ وأضاء جيبها بأزاهير^(٧) نُظِّمَتْ بهيئة الحشرة ذات الجسم البارد ، التي تلدغ بذَنبِها الناس^(٨) ؛
- ٧ وفي الموضع الذى كنا فيه ، كان الليل قد سار خطوتين صُعُوداً ، وخفض إلى أسفل جناحيَّ خطوته الثالثة^(٩) ؛ -
- ١٠ حينما انثبْتُ فوق العشب - وقد غلبى النعاس - أنا الذى حملْتُ من آدم بعض طبعه^(١٠) - إذْ كنا جلوساً نحن الخمسة^(١١) .
- ١٣ وفي الساعة التى يبدأ فيها الحَطَّاف شدوه الحزين قبيل الصباح^(١٢) - ربما لذكرى كوارثه القديمة^(١٣) -
- ١٦ وعندما يكاد عقلنا يصبح إلهياً في رؤياه^(١٤) - وقد زاد عن الجسد بعده وقل تقيده بالأفكار^(١٥) -
- ١٩ بدا لى في الحلم أنى أرى نسرأ^(١٦) معلقاً في السماء برياشٍ من ذهب ، وذا جناحين مفتوحتين ويوشك أن يهبط ؛
- ٢٢ وتراءى لى أنى كنتُ حيث^(١٧) تخلى جانيميد عن قومه^(١٨) ، حينما رُفِع إلى المجمع الأعلى^(١٩) .
- ٢٥ وقلت لنفسى « ربما اعتاد الصيد هنا فحسب ، وربما يأنف أن يحمل بمخالبه - من غير هذا المكان - فريسةً إلى أعلى^(٢٠) » .
- ٢٨ ثم بدا لى أنه قد دار قليلاً ثم هبط كالبرق رهيباً^(٢١) ، واختطفنى صاعداً بى حتى منطقة من النار^(٢٢) .
- ٣١ وهناك تراءى لى كأن كلينا قد احترق ، وشوانى الحريق الذى تخيلته ، حتى لم يكن بدٌ من أن ينقطع نوى^(٢٣) .
- ٣٤ على غير هذا النحو لم يفرع أخيل - وقد دار فيما حواليه بعينين يقظانيتين بدون أن يدرى إلى أى موضع صار^(٢٤) -
- ٣٧ حينما حملته أمه بين ذراعيها وهو نائمٌ - من كيرون إلى أسكيروس^(٢٥) - حيث ارتحل به الإغريق بعد^(٢٦) -

- ٤٠ وكما فزعتُ عندما طار النوم من عيبي^(٢٧) ، وصرتُ شاحب اللون ، كالرجل الذى يتجمد من الرعب^(٢٨) .
- ٤٣ وللى جانبي كان أنيسى وحده^(٢٩) ، وبلغ ارتفاع الشمس إذ ذاك أكثر من مسيرة ساعتين^(٣٠) ، واتجهتُ بعينيَّ صوب البحر
- ٤٦ وقال سيدتى « لا يأخذنك الخوف ، ولتكن مطمئن القلب ، إذ أننا موفّقان فى المسير ؛ فلا تتخاذل ، وعليك بشحد كلِّ قواك^(٣١) .
- ٤٩ لقد بلغتُ المطهر الآن وهاك الإفريز الذى يُغلقه فى كل جانب ؛ وانظر المدخل الذى يبدو مشطوراً هناك^(٣٢) .
- ٥٢ منذ وقتٍ غير بعيد ، وفى الفجر الذى يمهد للنهار ، حينما نال الوسنُ من روحك — فوق الأزهار التى يزّين بها ذلك المكان هناك فى أسفل^(٣٣) —
- ٥٥ أقبلتُ سيدةٌ وقالت لى « إننى لوتشيا^(٣٤) : ولتدعى آخذ هذا الوسنان ، وسأيسر له طريق الصعود »
- ٥٨ وتخلّف عنا سورديلو وسائر الأشباح النبيلة ثم حملتك لوتشيا ؛ وحينما وضح النهار مضتُ إلى العليا^(٣٥) ، وسرتُ فى إثرها
- ٦١ وهنا وضعتك ، ولكنها أرتنى أولاً بعينها الجميلتين^(٣٦) ذلك المدخل المفتوح^(٣٧) ، ثم ذهبتُ هى وذهب نومك معها^(٣٨) .
- ٦٤ وكن ينتقل من الشكّ إلى اليقين ، ويتحوّل خوفه إلى طُمأنينة حينما تنكشف له الحقيقة^(٣٩) —
- ٦٧ هكذا بدلتُ حالى ؛ ولما رآنى دليلى مطمئن البال ، تحرك فوقُ عبر الإفريز^(٤٠) ، وسرتُ من ورائه صوب المرتفع .
- ٧٠ وإنك لترى جلياً — أيها القارئ — كيف أعمل على السمو بموضوعى ، ولذا فلا تعجب إذا أنا دعمته بأسمى سبحات الفن^(٤١) .
- ٧٣ ثم اقتربنا^(٤٢) ، وأصبحنا فى الموضع الذى بدا لى من قبل مشطوراً^(٤٣) ، بهيئة فُرجة تشقّ حائطاً ؛
- ٧٦ ورأيتُ باباً^(٤٤) ، ومن تحته ثلاث درجات تؤدّى إليه — ذات ألوانٍ مختلفة — وشهدتُ حارساً^(٤٥) لم ينطق بعدُ بكلمة^(٤٦)



٦ - نسر يحمل دانتى صاعداً به خلال منطقة من النيران

أنشودة ٩ ٢٨ - ٣٠

- ٧٩ وعندما فتحتُ عينيَّ أكثر فأكثر ، رأيته يجلس على الدرجة العليا ، وكان ذا وجه لم أقو على النظر إليه^(٤٧) ؛
- ٨٢ وأمسك بيده سيفاً عارياً^(٤٨) ، عكس بشدة نحونا أشعة أنواره ، حتى كان اتجاه نظراتي إليه مرّات عديدة أمراً غير ذى جدوى^(٤٩) .
- ٨٥ وشرع يقول « خبراني حيث أنما ماذا تبغيان ؟ وأين دليلكما^(٥٠) ؟ خذا حينركما حتى لا يسوء كما المحبىء فوق^(٥١) » .
- ٨٨ فأجابه أستاذي « إن سيّدةً من السماء عليمة بهذه الأشياء^(٥٢) قالت لنا الآن "فلتذهبا هناك فهناك المدخل" »
- ٩١ فاستأنف الحارس اللطيف كلامه « عساها تُسارع بخطاكما إلى طريق الخير^(٥٣) ، ولذا فلتأتيا صُعداً إلى درجتنا^(٥٤) » .
- ٩٤ فذهبنا إلى هناك ، وكانت درجة السلم الأولى مصوغة من مرمر أبيض أملس شديد اللمعان ، حتى انعكست عليه صورتي كما أبدو^(٥٥) .
- ٩٧ وكانت الدرجة الثانية سوداء^(٥٦) أكثر منها داكنة محمرة ومصنوعة من صخرة خشنة ذات حجب ، مشقوقة طولاً وعرضاً^(٥٧) .
- ١٠٠ والدرجة الثالثة التي ارتكزت فوقهما ، بدت لي ذات حُمرّة نارية مشتعلة ، كدم ينبثق من شريان^(٥٨) .
- ١٠٣ وعلى هذه الدرجة وضع ملاك الله كلتا قدميه ، وجلس على العتبة التي بدت لي كصخرة من الماس^(٥٩) .
- ١٠٦ وجذبي دليلي على الدرجات الثلاث ، وأنا جد راغب في ذلك ، وقال لي « سله متضعاً^(٦٠) أن يفتح لنا الباب^(٦١) » .
- ١٠٩ فألقيتُ بنفسى خاشعاً عند قدميه المقدستين وسألته أن يفتح الباب رحمة بي^(٦٢) ، ولكنني ضربتُ صدرى أولاً ثلاث مرات^(٦٣) .
- ١١٢ فرسم على جبيني بطرف حسامه^(٦٤) سبع خاءات^(٦٥) ، وقال « لإحرص على أن تزيل عنك هذه الندوب حينما تصبح بالداخل^(٦٦) » .
- ١١٥ كان لون الرماد أو الأرض التي تحرث وهي جافة في لون ثيابه^(٦٧) ؛ ومن تحتها سحب مفتاحين إلى الخارج^(٦٨) .

- ١١٨ ومن الذهب^(٦٩) كان أحدهما مصوغاً ، ومن الفضة صبيغ الآخر^(٧٠) :
وبالابيض عالج الباب أولاً^(٧١) ، ثم بالأصفر^(٧٢) ، حتى صرت راضياً^(٧٣) ،
١٢١ وقال لنا « كلما يعجز أحد هذين المفتاحين عن الدوران في القفل —
لا ينفتح هذا الطريق^(٧٤) .
١٢٤ إن أحدهما أغلى ثمناً^(٧٥) ؛ ولكن الآخر يقتضى فناً وحذقاً أكثر قبل أن
يُفتح الباب^(٧٦) — لأنه هو الذى يحلّ العقدة
١٢٧ لقد أخذتهما من بطرس^(٧٧) ؛ وأخبرنى أنه أوّلى بى أن أخطىء فى فتحه من
أن أبقيه موصداً^(٧٨) ، حين يرتمى عند قدميّ الناس »
١٣٠ ثم دفع مدخل الباب المقدّس قائلاً « ألا فلست دخلاً ولكنى أعرفكما
بأن من ينظر منكما إلى الخلف يرتدّ إلى الخارج^(٧٩) »
١٣٣ حينما دار على رزأتها مصراعاً الباب المقدّس — المصنوعان من متين
المعدن الرّنان^(٨٠) —
١٣٦ لم تُدوّ صخرة تارپيا هكذا^(٨١) ، ولم تبدُ مستعصية على هذا النحو ،
حينما انتزع منها ميتلوس الطيب^(٨٢) ، تاركاً إياها خاوية من بعده
١٣٩ واتجهتُ مصغياً إلى رنين الصوت الأول^(٨٣) ، وبدأ لى أنى أسمع "اللهم
لك الحمد"^(٨٤) ، فى ثنايا أصوات ممتزجة بلحن عذب^(٨٥) .
١٤٢ ولقد زودنى ما سمعته بصورة صادقة لما اعتاد أن يبلغ الأسماع ، حينما
يقف الناس للإنشاد على أنغام الأرغن^(٨٦) ؛
١٤٥ فتارة تُفهم كلماتهم ، وطوراً لا تُفهم^(٨٧) .

حواشى الأنشودة التاسعة

(١) هذه أنشودة لوتشيا أو أنشودة الملاك الحارس . وتعد أنشودة انتقال من مدخل المطهر إلى المطهر ذاته .

(٢) يقصد بالحظية زوجة تيتونوس .

(٣) تيتونوس (Tithonus) هو ابن لاوميدون وأخو برياموس الذى أحبه أوروبا فاخترته وحملته إلى إثيوبيا ، حيث تزوجته ونالت له الخلود من زيوس ولكنها نسيت أن تطلب له الشباب الدائم ، كما ورد فى الميتولوجيا اليونانية الرومانية . والمقصود بهذا التعبير طلوع الفجر

(٤) يعنى لاحت تبشير الفجر

(٥) يقصد شرق إيطاليا والأفق الشرق .

Virg. Æn. IV. 585; IX. 460.

(٦) وردت هذه الصورة فى « الأنبياء »

(٧) أى أن جبين أوروبا كان مرصعاً بالنجوم التى تصنع برج الحوت ، وتشاهد هذه النجوم فى إيطاليا فى الاعتدال الربيعى قبل ظهور الشمس ناحية الشرق .

(٨) الحيوان أو الحشرة الباردة يعنى العقرب والمقصود برج العقرب . وأورد أوفيدوس وثرجيليو هذا المعنى فيما يخص زباني العقرب وما يخص تحديد الزمن

Ov. Met. XV. 371.

Virg. Georg. I. 34-35.

ويوجد حفر يمثل برج العقرب من القرن ١٤ فى كنيسة سان ماركو فى البندقية

(٩) ويرى بعض الشراح أن دانتى يعنى هذا أن الساعة قد اقتربت من الثالثة صباحاً فى المطهر ، حيث اقتربت من الثالثة بعد الظهر فى أورشليم . وهكذا يمزج دانتى فى هذه الأبيات بين الميتولوجيا والفلك ، مما أثار كثيراً من الجدل . ويشبه هذا التعبير ما أورده فرجيليو :

Virg. Æn. VIII. 369.

(١٠) يعنى أن دانتى كان يحسبه الحى حين شعر بسلطان النوم

(١١) أى جلس دانتى وثرجيليو وسورديلو ونيو وكورادو

(١٢) يعنى قبل ظهور الشمس عند ما ترسل الخطاف ألعافه الحزينة . ويشبه هذا ما أورده فرجيليو :

Virg. Aen. VIII. 456.

(١٣) هذه إشارة إلى أسطورة فيلوميل التى تحولت إلى خطاف بعد أن اعتدى عليها ترويس ملك أثينا زوج أختها پروكنى

Ov. Met. VI 412. 674

(١٤) أى تصبح للعقل قدرة إلهية على رؤية المستقبل .

(١٥) يشير هذا المعنى إلى شيء ما أورده توماس الأكوينى :

d'Aq. Sum. Theol. II. II. XCV. 6.

(١٦) يرمز النسر إلى لوتشيا رمز النعمة الإلهية

(١٧) يعنى فوق جبل إيدا فى فريجيا فى آسيا الصغرى وهو غير جبل إيدا فى جزيرة كريت

(١٨) جانيميد (Ganymede) ابن ملك إل يوم خطفه نسر بأمر زيوس كما ورد في الميثولوجيا اليونانية الرومانية
Hom. Ill. XX. 234-235.

Virg. Æn. V. 252-257.

Ov. Met. X. 155...

(١٩) أى إلى مجمع الملائكة أو مقر الآلهة .

(٢٠) يعنى أن هذا النسر ربما لا يبنى صيدا في غير جبل إيدا المذكور

(٢١) يشبه هذا المعنى ما ورد في « الإنيابة » و « الكتاب المقدس »
Virg. Æn. XII. 247-250.

Luca, X. 18.

(٢٢) يقصد منطقة النار التي تحيط بالأرض وتقع تحت سماء القمر في اعتقاد أهل العصر

Par I. 33..

(٢٣) أفاق دانتي عن نومه حينما أحس في الحلم أن النار قد أحرقتة

(٢٤) هذا تصوير دقيق لمن يستيقظ من النوم وقد أخذه الفزع .

(٢٥) أخذت ثيتيس (Thetis) إبنها أخيل (Achilles) من القنطروس كيرون (Chiron) حتى

لا يشترك في حرب طروادة وحملته إلى جزيرة أسكيروس (Schyros) في بحر إيجه وألبسته ملابس النساء ، كما ورد في الميثولوجيا اليونانية الرومانية وتكرر الإشارة إلى هذه الأسطورة في الكوميديا
Stat. Achill. I. 247-250.

Virg. Æn. I. 30; ecc...

Inf. V. 65-66; XII. 71; XXVI. 61-62; Purg. XXI. 92.

(٢٦) أى أن أوليسيس وديوميدي كشفوا أمر أخيل المتكرر وأخذاه إلى حرب طروادة .

(٢٧) فزع دانتي لأنه أدرك أن شيئا هاما حدث في أثناء نومه

(٢٨) هذا تصوير لمن تبرد أطرافه من الرعب ويشبه ذلك ما أورده فرجيليو وإستاتيوس :

Virg. Æn. III. 259...

Stat. Theb. X. 616...

Purg. III. 22; XX. 40.

(٢٩) يقصد فرجيليو . ويتكرر هذا التعبير

(٣٠) يعنى صارت الساعة حوالى الثامنة صباحاً من يوم ١١ أبريل ١٣٠٠ ويكون دانتي قد نام ما يقرب من ١٢ ساعة .

(٣١) يحفز فرجيليو دانتي على أن يشخذ قواه المعنوية

(٣٢) يبلغ الشاعران باب المطهر .

(٣٣) أى في وادى الأمراء السابق الذكر

(٣٤) لوتشيا (Lucia) رمز النعمة أو الرحمة الإلهية التي بدت نسراً في حلم دانتي . وسبق ذكرها في الجحيم
Inf. II. 97

Purg. VII. 44..

(٣٥) هذا لأنه لا يمكن الصعود في المطهر ليلا كما سبق

(٣٦) أى قبل أن تصعد لوتشيا إلى السماء أشارت بعينها لفرجيليو إلى باب المطهر

(٣٧) يعنى المدخل الذى يمكن فتحه وسيجده الشاعران مغلقاً بعد قليل .

(٣٨) أى ذهبت لوتشيا واستيقظ دانتى . ويشبه هذا التعبير ما أورده فرجيليو

Virg. Æn. VIII. 67.

(٣٩) هذا تصوير لمن تزول مخاوفه عندما يعرف الحقيقة

(٤٠) كانت لوتشيا قد وضعت دانتى على إفريز قريب من مدخل المطهر

(٤١) يخاطب دانتى القارئ فى مناسبات مختلفة - كما رأينا - ليفير من أسلوبه أو ليلفت النظر إلى

ما يتناوله ، وهو يخاطب القارئ هنا لكى ينبهه إلى أنه يسمو بموضوعه وفنه

(٤٢) يعنى اقتربا من باب المطهر

(٤٣) أى لم يكونا قد اقتربا بدرجة تكفى للرؤية تماماً

(٤٤) هناك مقابلة بين باب المطهر وباب الجحيم ، فالأول طريق الخلاص والثانى طريق العذاب .

(٤٥) هذا هو الملاك الحارس لباب المطهر ، ويرى بعض الشراح أنه رمز للقسيس الذى هو - عند

المسيحيين - وسيلة إلى الغفران والتطهر

(٤٦) يعنى أنه كالقسيس لا يتكلم إلا إذا وجه إليه أحد الكلام .

(٤٧) يشير هذا المعنى إلى ما ورد فى « الكتاب المقدس » :
Dan. X. 6.

(٤٨) يرمز السيف فى الغالب إلى العدالة الإلهية

(٤٩) لم يقو دانتى على النظر إلى الملاك لشدة الضياء . وهناك بعض الشبه بين بريق السيف وما ورد

فى « الكتاب المقدس » :
Gen. III. 24.

(٥٠) يستفسر الملاك الحارس عن كيفية قنوم الشاعرين إلى هذا المكان

(٥١) يحرص الملاك على ألا يؤذيهما الصعود إلى المطهر لأنه ليس فى مقدور كل الناس أن يفعلوا

ذلك .

(٥٢) أى لوتشيا

(٥٣) عند ما سمع الملاك اسم لوتشيا تمنى لها الخير

(٥٤) هكذا يرحب الملاك بالشارعين

(٥٥) درجة السلم الأولى ملساء ناصعة ككرة وهى رمز لصفاء القلب ونقاؤه

(٥٦) درجة السلم الثانية سوداء خشنة وهذه رمز للاعتراف بالخطايا

(٥٧) يريد دانتى أن يقول إن الاعتراف بالخطيئة يشق الصخر طولاً وعرضاً

(٥٨) درجة السلم الثالثة الحمراء اللون رمز للحب الذى يطهر قلوب الآثمين بالندم والتوبة

(٥٩) الماس الذى يمتاز بالصلابة رمز لتصميم القسيس على سماع اعتراف الآثم ، ويشبه التعبير

بالماس ما ورد فى « الكتاب المقدس »
Ezech. III. 9.

(٦٠) التواضع من أسس التوبة

(٦١) يعنى يطلب الغفران حتى يدخل المطهر وفى الأصل يفتح (القفل) .

(٦٢) الرحمة هى الوسيلة إلى فتح باب المطهر

(٦٣) أى قبل أن يسأله أن يفتح الباب ضرب صدره ثلاث مرات ، وهذا رمز للتوبة عن الخطايا التى

ارتكبت سواء أكان ذلك بالرغبة أم الكلام أم الفعل .

(٦٤) رسم الملاك على جبين دانتى بحمد السيف سبع خدعات رمز الخطايا السبع .

ويشبه هذا مع ما ورد فى تراث الإسلام ، من خروج أهل التوحيد من النار إلى عين بين

الجنة والصراف يقال ها مهر الحياة^٢، فيرش عليهم من مأثها ويدخلون الجنة فيكتب في جباههم عتقاء الله من النار ، فيطلبون من الله أن يحو من جباههم ذلك الاسم فيبعت الله ملكاً فيمحوه من جباههم:

الشعراني مختصر تذكرة القرطبي (السابق الذكر) ص ٨١

(٦٥) في الأصل سبع باءات وإنهاء أول حرف في لفظ الخطيئة بالإيطالية (peccato)

(٦٦) يعنى لا بد من أن يتطهر دانتى من الخطايا بالتدريج حتى يصبح جديراً بالصعود أعلى ، وورد لفظ الحرج بمعنى الخطيئة في «الكتاب المقدس»

Salm. XXXVIII. Isaia, I. 6.

(٦٧) لون الرماد أو الأرض الجافة رمز للتواضع

(٦٨) مفتاحا السماء رمز لسلطة القساوسة وعلمهم ، وورد هذا التعمير في الكتاب المقدس . وسبقت الإشارة إلى ذلك

Matt. XVI. 19.

Inf. XXVII. 104.

(٦٩) المفتاح المصنوع من الذهب رمز لسلطة القسيس في أداء واجبه الدينى .

(٧٠) المفتاح المصنوع من الفضة رمز لعلم القسيس ومعرفته ، وتكلم توماس الأكويسى عن مفتاحى ملكوت السماوات

(٧١) أى عالج الباب بعلمه أولاً

(٧٢) ثم عالج الباب بسلطته .

(٧٣) يعنى أنه فتح باب المطهر

(٧٤) أى أنه إذا أعوز القسيس السلطة الدينية والعلم فلا يفتح باب المطهر ولا يكون هناك سبيل إلى الغفران

(٧٥) المفتاح الذهبى أعلى ثمناً لأنه رمز للسلطة الدينية التى يمارسها القسيس .

(٧٦) يحتاج المفتاح الفضى - رمز علم القسيس - إلى مهارة وحذق قبل أن يفتح باب المطهر ليتخلص الآثم من آثامه .

(٧٧) أخذ الملاك المفتاحين من القديس بطرس الذى أخذهما بدوره من السيد المسيح ، وورد هذا في «الكتاب المقدس» وسبقت الإشارة إليه في الجحيم

Matt. XVI. 19.

Inf. XIX. 92.

(٧٨) يعنى أنه أجدر به أن يعمل على تخليص الناس من آثامهم ولا بأس بأن يخطئ قبل أن يتم له فتح باب المطهر ، لأنه لا يجوز أن يدع باب الغفران مغلقاً

(٧٩) يحذرهما الملاك من النظر إلى الخلف الذى يمثل العودة إلى الخطايا ، ويشبه هذا المعنى ما ورد في «الكتاب المقدس»

Matt. XII. 43. . . Luca, IX. 62.

(٨٠) أى حينما دار صفقا الباب على محورهما

(٨١) تل تارپيا (Tarpeia) فى الكامبيدوليو وكان يوضع به خزينة روما فى معبد ساتورن .

(٨٢) عهدت روما إلى ميتلوس (Metellus) من أتباع پومپى بحراسة الخزينة ، وقاوم ميتلوس رغبة يوليوس قيصر فى الاستيلاء على الخزينة ، ولكن لم تفلح المقاومة واستولى قيصر عليها والمقصود

أن فتح باب المطهر أحدث دويا هائلا فاق ما حدث عند الاستيلاء على خزينة روما وتكلم
لوكانوس عن ذلك
Luc. Phars. III. 153.

- (٨٣) يعنى الصوت الذى سمعه دانتي عند فتح باب المطهر
(٨٤) سمع دانتي من الداخل هذا النشيد الدينى ، نشيد القديس أمبروز الذى وضعه بمناسبة تنصيب
القديس أوغسطين ، وربما كان المقصود به إعلان الابهتاج بقدوم إحدى الأرواح إلى التطهر
والغفران وسيسمع دانتي هذا النشيد في الفردوس:
Par. XXIV. 113...
(٨٥) سمع دانتي الإنشاد متمزجا بالحن الموسيقى العذب
(٨٦) وازن دانتي بين ما سمعه وبين ما يسمع عند الإصفاء إلى الترتيل المصحوب بعزف الأرغن .
ويوجد رسم للأرغن من عمل أندريا دى بونايوتو المعروف بأندريا دا فيرنزه من القرن
١٤ ، أى الأقرب إلى زمن دانتي ، في كنيسة سانتا ماريا نوڤلا في فلورنسا ،
(٨٧) أى تسمع الألفاظ واضحة أحيانا وتختلط بالألحان فلا تبين أحيانا أخرى وهذا هو دانتي
الفنان الموسيقى الموهب والحنس .

الأنشودة العاشرة^(١)

سمع دانتي صوتاً يصدر عن إغلاق باب المطهر ولكنه لم ينظر خلفه ، وصعد الشاعران خلال طريق ضيق منعرج محفور داخل الصخر ، وكانت الساعة قد تجاوزت التاسعة والنصف صباحاً ، وخرجوا إلى الإفريز الأول لإفريز المتكبرين ، وجال دانتي بعينه يمنة ويسرة فرأى حائطاً من الممرر الأبيض تزينه مشاهد من الحفر البارز ، كان أولها يمثل هبوط جبريل مبشراً ماريا بميلاد السيد المسيح ، وظهرت فيه ماريّا كأنها تقول بتواضع أنها أمة الرب ورأى دانتي مشهداً ثانياً يصور الاحتفال بنقل الثابوت المقدس إلى أورشليم ، ويسبقه داود الملك وهو يرقص ابتهاجاً ، وتُرى ميكال وهي تنظر من نافذة قصرها وقد سادها الازدراء والحزن ، ورأى دانتي المشهد الثالث الذى يصور قصة الأمبراطور تراجان والأرملة التى فقدت ابنها فجاءت تطلب الانتقام لمقتله ، فأراد إرجاء النظر فى أمرها ، ولكنها قالت له ماذا يكون له فى خير يفعل غير إذا أهمل هو ما يخصه ، فتأثر الأمبراطور وقام بواجبه الذى اقتضته العدالة والرحمة ولقت فرجيليو نظر دانتي إلى حشد يسير بخطى قصيرة بطيئة ، فراغ بصر دانتي عند النظر إليهم ، واستفسر عن حالهم ، وكان هؤلاء هم جماعة المتغطرسين النادمين التائبين وندّد دانتي بكبريائهم ولا مهم على التحليق بعقولهم عالياً ، وقال إن البشر كالديدان التى لم يكتمل نموّها . ورأى دانتي هؤلاء يسرون وقد ناءت ظهورهم بما حواه من الأحجار الثقيلة ، بهيئة التماثيل الزخرفية التى تستخدم لتدعيم الشرفات أو الأسقف ، وتبلغ ركبتا التمثال منها موضع صدره ، بحيث يبعث وضعه الأسى فى عيني رائيّه ، وبدا أكثر المتطهرين صبراً يقول إنه لا يستطيع الاحتمال مزيداً

- ١ حينما أصبحنا بداخل عتبة الباب^(٢) الذى لا تأوى إليه المحبة الصادرة عن الأرواح الخبيثة^(٣) - إذْ تجعل طريق الضلال يبدو مستقيماً^(٤) -
- ٤ أدركتُ من صرير الباب أنه قد أعيد إغلاقه ولو كنت قد اتجهت بعينى إليه ، فأى عذر كان من شأنه أن يناسب خطئى^(٥) ؟
- ٧ وأخذنا نصعد خلال صخرة منفرجة كانت تميل بنا من جانب لآخر^(٦) ، كالموجة التى تمتد وتنحسر^(٧)
- ١٠ وبدأ دليلي « علينا أن نستعين هنا بشيء من الحذر فى التزام الجانب الذى يميل هنا تارة وطوراً هناك^(٨) »
- ١٣ وحملنا ذلك على إبطاء مسيرنا^(٩) ، حتى إن القمر الهابط كان قد بلغ مثواه طلباً للراحة^(١٠) ،
- ١٦ قبل أن نخرج من سمّ الخياط^(١١) : ولكن عندما أصبحنا حُرَّين طليقين فوق الجانب الذى ينحسر فيه الجبل إلى الخلف^(١٢) -
- ١٩ وكان قد نالنى التعب وصرنا كلانا غير واثقين من طريقنا - عندئذ وقفنا على سطح أشدّ عزلة من الدروب فى الصحارى^(١٣) .
- ٢٢ ومن طرفه الذى يُشارف الفضاء - إلى سفح الجبل العالى الذى يمضى صُعُوداً - امتدّت مساحةٌ يعادل طولها ثلاثة أضعافٍ من قامة إنسان^(١٤) ؛
- ٢٥ وإلى أبعد ما استطاعتُ عيني أن تبلغ بجناحيها ، إلى اليسار تارة وإلى اليمين طوراً ، بدا لى هذا الإفريز بمثل ذلك الاتساع^(١٥) .
- ٢٨ ولم تكن أقدامنا قد تحرّكتْ بعدُ هناك فى أعلى ، حينما عرفتُ أن ذلك الشاطئ الصخرى الذى أعوزته سبيل الصعود^(١٦) -
- ٣١ كان مصنوعاً من مرمر أبيض ومزّيناً بحفر بديع^(١٧) ، حتى لم يكن ليخجل منه بوليكيكوس وحده^(١٨) ، بل الطبيعة كذلك^(١٩)
- ٣٤ وإن الملاك الذى جاء إلى الأرض بقرار السلام^(٢٠) ، وبكاه الناس سنواتٍ عديدة - والذى فتح السماء بعد إغلاقها الطويل^(٢١) -
- ٣٧ ظهر أمامنا هناك محفوراً ببراعة فائقة وفى وضعٍ لطيف ، حتى لم يبدو لنا صورة خرساء^(٢٢) .

- ٤٠ ويمكننى أن أقسم بأنه قال "السلام لك!" (٣٢)؛ إذ كانت مصورة هناك تلك التي أدارت المفتاح لكي تفتح باب الحبة السامية (٢٤)؛
- ٤٣ وعلى وجهها ارتسمت هذه الكلمات "انظروا أمة الرب" - كما تستطيع الصورة واضحة على صفحة الشمع (٢٥).
- ٤٦ « لا يسترعين انتباهك موضع واحد فحسب (٢٦) » ، هكذا تكلم معلمى الحبيب ، وقد وقفتُ منه إلى الجنب الذى يضمّ قلوب الناس (٢٧).
- ٤٩ وبذلك لفتُ وجهى ورأيتُ - خلف ماريا فى ذلك الجانب الذى وقف فيه منّ كان يحدونى إلى ذلك (٢٨) -
- ٥٢ رأيتُ قصة أخرى محفورة على الصخر ، ولذا تجاوزتُ موضع فرجيليو واقربتُ منها حتى تتضح معالمها لعيى (٢٩).
- ٥٥ وكان محفوراً هناك فى الممر ذاته ، العربة والثيران وهى تجرّ التابوت المقدس (٣٠) ، الذى يُثير فى الإنسان الخوف من مهمة لم يُعهد بها إليه (٣١).
- ٥٨ وإلى الأمام بدا قومٌ ، وقسموا سبع جوقات (٣٢) ، وجعلوا جميعهم إحدى حاستين من حواسى (٣٣) تقول « لا ... » (٣٤) ، والأخرى تقول « نعم ، لهم يرتلون (٣٥) »
- ٦١ فبشأن دخان السنا الذى كان مرسوماً هناك (٣٦) - على ذلك النحو اختلفت العينان والأنف فى قول لا ونعم (٣٧).
- ٦٤ وفى مقدمة التابوت المبارك (٣٨) ، وسار هناك الزبورى المتواضع (٣٩) ، وأخذ يرقص مشمراً (٤٠) ؛ وكان على تلك الحال أكثر وأقلّ من ملك (٤١).
- ٦٧ وقبلته (٤٢) حضرتُ صورة ميكال (٤٣) عند نافذة قصر منيف (٤٤) ، وكانت تتأمل كسيدة سادها الحزن والإزدراء (٤٥).
- ٧٠ وخطوتُ من الموضع الذى كنت فيه واقفاً ، لكن أرى عن كُتب قصة أخرى مرسومة (٤٦) ، شعثُ أماهى ببياضها (٤٧) من وراء ميكال
- ٧٣ فهناك سجلتُ قصة المجد الرفيع للأمير الرومانى (٤٨) ، الذى حملتُ فضائله جريجوريو على إحراز نصره الكبير (٤٩)

- ٧٦ إني أتكلم عن الأمبراطور تراجان^(٥١)، ولقد مَسَّكَتْ عِنْدَ عَيْنَانِ جَوَادَهُ،
أرملَةً مَسْكِينَةً، مَسَّكَهَا الحزن وسكبت الدمع الهتون^(٥١).
- ٧٩ وحواليه ظهر حشدٌ من الفرسان كثيفٌ، وبدت فوق رؤوسهم نسور
الذهب ترفرف مع الريح^(٥٢).
- ٨٢ ومن بين هؤلاء جميعاً^(٥٣) بدت البئسة تقول «لانتقم - يا مولاي - لمقتل
بني الصريع، فقلبي من أجله مطعون^(٥٤)»
- ٨٥ وبدا أنه يجيبها «عليك الآن بالانتظار حتى أعود» فقالت كمن ألهبها
الأم «وإذا لم تُعدْ يا مولاي؟»
- ٨٨ فقال «سيؤدِّي لك ذلك مَنْ يحلّ مكانى» فقالت «وماذا يكون لك
في خيرٍ يفعلُه غيرك، إذا وضعت ما يخصّك منه موضع النسيان^(٥٥)؟»
- ٩١ فقال عندئذ «هدئي الآن من روعك؛ إذ ينبغي عليّ أن أقوم بواجبي
قبل أن أرحل فإن العدالة تتطلبه^(٥٦) والرحمة توقفني^(٥٧)»
- ٩٤ إن ذلك الذي لم يشهد أبداً شيئاً غريباً عليه^(٥٨)، صنع هذا الكلام المنظور^(٥٩)
- الغريب علينا^(٦٠) - إذ ليس له هنا وجود^(٦١).
- ٩٧ وبينما كنت أمتع نفسي بالتأمل فيما بدا لمثل هذا التواضع من الصور^(٦٢)
التي تعتر النفس برؤياها - بفضل كمال صانعها^(٦٣) -
- ١٠٠ همس لي الشاعر «هاك في هذا الجانب^(٦٤) جمعاً كبيراً^(٦٥)، ولكنهم
يسرون بخطى بطاء وسيقودنا هؤلاء إلى ما يتلوم من الدرجات^(٦٦)»
- ١٠٣ وعيناي اللتان رضيتا بالتأمل، لكي تريا ما شغفهما من المشاهد الجديدة^(٦٧) -
لم تتوانيا في الاتجاه إليه^(٦٨).
- ١٠٦ ومع ذلك فلا أريد أيها القارئ أن تنصرف عن قصدك الطيب، بسماعك^(٦٩)
كيف يشاء الله أن يوفى الدين^(٧٠).
- ١٠٩ ولا تحفل بما للعذاب من الصور بل عليك بالتفكير فيما يُسفر عنه^(٧١)؛
وقدّر أنه - على أسوأ حال - لا يمكنه أن يتجاوز يوم الحشر^(٧٢).
- ١١٢ فبدأت «أستاذي، إن الكتلة التي أراها تتقدّم نحونا لا تبدو لي رجالاً
من البشر^(٧٣)، ولا أدري ما هي، إذ يزيج بصرى عندما أنظر إليها^(٧٤)».

- ١١٥ فقال لى « إن طبيعة عذابهم القاسى تنوء بهم إلى الأرض^(٧٥)، حتى تضاربت عيناى بشأنهم منذ هنيهة^(٧٦) .
- ١١٨ ولكن فلستَظنر بانتهاء إلى هناك ، وبعينيك فلتبين^(٧٧) من هؤلاء الذين يأتون تحت عبء هذه الصخور ويمكنك أن ترى الآن كيف يقرع كل^١ منهم صدره^(٧٨) »
- ١٢١ أيها المسيحيون المتغطرسون^(٧٩)، أيها البائسون المكدودون — الذين تضعون ثقتكم فى خطى إلى الخلف^(٨٠) — وقد عميت بصيرتكم^(٨١) —
- ١٢٤ ألا تدركون أننا لسنا سوى ديدان^(٨٢) — ولدنا لنصنع الفراشة بهيئة الملاك^(٨٣) —
التي تطير إلى موئل العدالة بغير عائق^(٨٤) ؟
- ١٢٧ ولم تحلق نفوسكم عالياً^(٨٥)، ما دمتَ لستم سوى حشرات ناقصة ، أشبه بديدان لم تكتمل نموها^(٨٦) ؟
- ١٣٠ وكما فى سبيل تدعيم بشرفة أو سقف — نرى أحياناً زخرفاً بهيئة تمثال تبلغ ركبته عظام صدره^(٨٧) —
- ١٣٣ وفى عيى ناظره يبعث أسى حقيقياً بما هو فيه غير حقيقى —^(٨٨) هكذا رأيت هؤلاء مصنوعين — حيناً أمعنُ النظر فيهم^(٨٩) .
- ١٣٦ وحقاً لقد ازداد أو قل انحناؤهم ، بازدياد أحالمهم أو نقصانها^(٩٠)، ومن بدا منهم أكثر صبراً —
- ١٣٩ بدا يقول باكياً ”لست أقوى على الاحتمال مزيداً“^(٩١)

حواشي الأنشودة العاشرة

- (١) هذه هي الأنشودة الأولى للمتكبرين في المطهر ، وبها يبدأ الإفريز الأول .
- (٢) يعنى باب المطهر
- (٣) أى أن حب الأشياء الدنيوية يجعل استخدام باب المطهر قليلا لقلة النادمين التائبين الواردين عليه .
- (٤) يعنى أن المحبة الخبيثة للأشياء الدنيوية تخدع الإنسان وتصرفه عن سواء السبيل .
- (٥) أى لوأنه نظر إلى الوراخ الخارج من المطهر كما سبق Purg. IX. 132...
- (٦) كان طريق الصعود ضيقاً منزعجاً محفوراً في الصخر وعبر دانتى عن تعرج الطريق والتوائه بلفظ الحركة
- (٧) كان تعرج الطريق يشبه صورة الموج الذى يتقدم على الشاطئ ثم ينحسر عنه
- (٨) يشرح فرجيليو لدانتى طريقة السير في هذه المنطقة يمتة ويسرة حسب انحناء الطريق .
- (٩) يعنى أصبحت خطواتهما بطيئة بسبب ضيق الطريق .
- (١٠) كان القمر بدرًا مساء الخميس - ليلة الجمعة - ٧ أبريل (Inf. XX. 127) وكان قد مضى عليه ثلاثة أيام في الترتيب الثالث والمقصود هنا أن القمر كان قد اختفى وراء الأفق في المطهر حينما صارت الساعة حوالى التاسعة والنصف من صباح الاثنين ١١ أبريل ١٣٠٠
- (١١) يشبه دانتى الطريق الضيق بسم الخياط أو ثقب الإبرة وورد مثل هذا التعبير في « الكتاب المقدس » ، كما سبق أن استخدمه دانتى في الجحيم
- Matt. XIX. 24. Mar. X. 25. Luca, XVIII. 25.
- Inf. XV. 21.
- (١٢) أصبح الشاعران في مكان مفتوح وجد به إفريز بسبب انحصار الجبل .
- (١٣) هذا هو الإفريز الأول في جبل المطهر وهو إفريز المتكبرين .
- (١٤) أى أن عرض الإفريز كان حوالى ٥ أمتار
- (١٥) نظر دانتى إلى الجبل يميناً ويساراً ووجد أن عرض الإفريز يبلغ الرقم السالف الذكر
- (١٦) هناك خلاف بين الدراسين في قراءة البيت رقم ٣٠ ، فلقد ورد في نص أكسفورد للكوميديا لفظ (dritta) مع وضعه بين شولتين ، وهذا يعنى أن المرتقى كان شبه عمودى وبذلك تعذر صعود الجبل ، ولكن أورد نص الجمعية الدانتية الإيطالية - كما أورد أغلب الدراسين في طبعات الكوميديا المختلفة - لفظ (dritto) بدون الشولتين وهذا يجعل المعنى أنه لم يوجد بالجبل الشديد الانحدار طريق ما يمكن الصعود منه . وهناك شيء من التفاوت بين التعبيرين .
- (١٧) هذا حفر بارز يمثل التواضع وسيأتى وصفه بعد
- (١٨) پوليكليتوس (Polycletus) نحات لإثريق عاش في القرن ٥ ق.م. وكانت أعماله معروفة في العصور الوسطى . والمقصود أن الحفر البارز هنا كان يفوق آثار پوليكليتوس .
- (١٩) يعنى فاق الحفر البارز الطبيعة ذاتها ، وهذه كناية عن الإبداع الفنى الفائق .
- (٢٠) المقصود بقرار السلام أن الملاك جبريل بشر العذراء ماريا بميلاد السيد المسيح

ويوجد حفر يمثل البشارة من عمل أندريا دى تشوفى أركانيولو المسمى أوركانيا من القرن ١٤ فى كنيسة أورسان ميشيل فى فلورنسا . ولقد وجدت مئات الآثار الفنية التى تعبر عن هذا المعنى ولكن الذى يعنينا هو أقرب الآثار إلى عصر دانتي بقدر المستطاع

(٢١) أى منذ خطيئة آدم .

(٢٢) يعنى لم يكن التمثال مجرد رخام أخرس بل كان صورة حية ناطقة تعبر عن المعنى المطلوب وهذا هو دانتي الفنان الذى أحس بالحياة تدب فى أوصل المرمر ، وهو فى هذا خارج على تقاليد العصور الوسطى وممهد لعصر النهضة والعصر الحديث

(٢٣) يبدأ الحفر البارز الذى يصور جبريل أنه ينطق بحياً العذراء ماريا

(٢٤) أى العذراء ماريا التى حملت الحب الإلهى على أن يشمل الناس برحمته ونعمته - عند المسيحيين .

(٢٥) يدت ماريا - على الحفر البارز - أنها تتكلم عن آية صنع الله حيناً قالت إنها أمة الرب كما ورد فى « الكتاب المقدس » Luca., I. 38.

(٢٦) دعا فرجيليو دانتي إلى عدم الاقتصار على النظر إلى مشهد بشرى العذراء ماريا لأن عليه أن يرى صوراً أخرى .

(٢٧) يعنى وقف دانتي إلى يسار فرجيليو . وفى الأصل (الذى يحمل الناس فيه قلوبهم)

(٢٨) أى الجانب الأيمن .

(٢٩) أقرب دانتي من الحفر البارز على الصخر لكى يحسن رؤيته . وهذا هو دانتي الفنان

(٣٠) المثال الثانى عن التواضع هو الحفر البارز الذى يصور نقل التابوت المقدس من بيت أبينا داب إلى أورشليم ، وذكر الكتاب المقدس إقامة الملك داود وشعب إسرائيل حفلاً كبيراً فى تلك المناسبة

II. Sam. VI.

I. Cron. XIII; XV; XVI.

(٣١) هذه إشارة إلى عزة الذى رأى التابوت المقدس يهتز فوقه فأراد أن يسند فأماته الله لأنه لا يجوز أن يلمس التابوت المقدس سوى رجال الدين

(٣٢) استخدم دانتي لفظ جوقة (coro) بمعنى مجموعة .

(٣٣) يعنى بالحاستين حاستى النظر والسمع . وأصفت (من حواسى) لكى يستقيم التعبير العربى .

(٣٤) أى لم تسمع أذن دانتي شيئاً

(٣٥) يعنى رأت عين دانتي الحفر البارز يكاد يرتل وهكذا يصور دانتي فى شعره شيئاً عن جوهر فن النحت وخاصة الحفر البارز الذى عبر عنه فى عصره فيقولوا پيزانى وجوفانى پيزانى .

(٣٦) هذه إشارة إلى البخور الذى أطلق أمام التابوت المقدس .

(٣٧) لم يشم دانتي رائحة البخور - لأنه لم يكن موجوداً - ولكنه رأى صورة دخانه محفورة على الصخر وهكذا يجعل دانتي شعره مجسماً .

(٣٨) التابوت المقدس رمز للإتحاد والتحالف .

(٣٩) هذا هو داود الملك صاحب المزامير . وسبقت الإشارة إليه

Inf. IV. 58; XXVIII. 95-96.

وتوجد صورة بالموزايكو تمثل الملك داود والتابوت المقدس من القرن ١٣ وهى بكنيسة سانتا ماريا مادجورى فى روما .

- (٤٠) كان داود يرقص رافعا ثيابه حتى لا تعطله عن الحركة .
- (٤١) كان على تلك الحال أكثر من ملك لأنه ارتدى الثوب الدينى ، وكان أقل من ملك لأنه رقص تواضعا وليس الرقص بما يمارسه الملوك
- II. Sam. VI. 14.
- (٤٢) أى على الجانب الأيمن
- (٤٣) ميكال (Micol) هى ابنة شاول والزوجة الأولى لداود
- (٤٤) يعنى القصر الملكى .
- II. Sam. VI. 12-23.
- (٤٥) عاقب الله ميكال بالمقم لكبريائها
- (٤٦) أى إلى يمين المشهد السابق .
- (٤٧) يعنى أن المشهد كان يشع ببياض المرمز الناصع فى هذا الجزء من الجبل .
- (٤٨) يصور: المشهد الثالث قصة الأمبراطور تراجان والأرملة التى طلبت إليه تحقيق العدالة
- (٤٩) أى أن ما قام به تراجان من عمل مجيد حمل القديس جريجوريو على الهبوط إلى الجحيم وإنقاذ روح تراجان من العذاب وصعد به إلى الفردوس ، وهذا هو المقصود بقوله النصر الكبيره .
- (٥٠) تراجان (Trajanus. ٩٨ - ١١٨) أمبراطور الدولة الرومانية ويمثل العدالة وموضه فى الفردوس
- Par XX. 43...
- (٥١) تقول القصة إن ابن تراجان قتل ابن أرملة من روما فتقدمت إلى الأمبراطور وطلبت إليه أن يحقق العدالة فحرم ابنه القاتل من وراثة العرش .
- ويوجد حفر بارز يمثل القروية التى تخاطب تراجان فى قوس النصر لقسطنطين فى روما وكذلك فى قوس النصر لتراجان فى بنيشينوه وتوجد صورة لهذا المشهد فى قصر الدوج فى البندقية
- لا يعرف مصورها
- ولقد رسم يوجين دلاكروا فى ١٨٤٠ صورة عن عدالة تراجان مستوحاة من أبيات دانتي ، وهى بضراعة ناطقة الأرملة الشكل وبمهابة الأمبراطور وفرسانه ، وفيها يبدو انعطاف الأمبراطور نحو الأم الباكية واتجاهه إلى تحقيق العدالة وهذه الصورة من مفاخر متحف روان فى فرنسا
- (٥٢) تصور دانتي أن شعار الأمبراطورية الرومانية كان على صورة نسر أسود اللون فى منطقة من الذهب ، وأنه كان يرسم على هذا النحو فوق أعلام الأمبراطورية - كما كانت الحال فى زمن دانتي - وفى الواقع كان شعار الأمبراطورية القديمة يتكون من نسور من البرونز .
- (٥٣) يعنى بين الحشد من الجنود والفرسان .
- (٥٤) هكذا طلبت الأرملة الحزينة الانتقام من قاتل ابنها
- (٥٥) هكذا تدعو الأرملة الأمبراطور إلى أداء واجبه فوراً
- (٥٦) يذكر الأمبراطور العدالة التى تقتضى القصاص العاجل .
- (٥٧) ويذكر الرحمة باعتبار أنه إنسان يجدر به أن يعطف على الأم الشكل . وهكذا تأثر الأمبراطور بأسى الأرملة الحزينة ومهضت همته لتحقيق العدالة والقيام بواجبه .
- (٥٨) يعنى الله الذى لا جديده فى الوجود بالنسبة إليه .
- (٥٩) الكلام المنظور أو المرئى يعنى الحفر البارز - الذى جعله دانتي من صنع الله - والذى كان ينطق بالمعاني المختلفة

- (٦٠) أى لا عهد لهما بمثل هذا الحفر البارز الناطق لدقة صنعه ، واستخدم دانتى لفظ (جديد) بمعنى غريب
- (٦١) المقصود الأرض بقوله هنا
- (٦٢) يعنى الحفر البارز الذى يعبر بحركاته عن معنى التواضع
- (٦٣) صانها هو الله .
- (٦٤) أى إلى اليسار بالنسبة للجانب الذى وقف فيه دانتى إلى يمين فرجيليو
- (٦٥) هؤلاء هم المتكبرون الذين يدورون فى هذا الإفريز حول جبل المطهر
- (٦٦) يعنى إلى حيث يكون الانتقال إلى الإفريز الثانى .
- (٦٧) أى أن دانتى كان متطلعا إلى رؤية المشاهد الجديدة أو الغريبة من الحفر البارز
- (٦٨) ومن ذلك فقد توفى دانتى فى النظر إليها واتجه إلى فرجيليو حينما خاطبه على ذلك النحو .
- (٦٩) يعنى بما سيسمعه دانتى الآن
- (٧٠) أداء الدين معناه تطهر الإنسان من خطايا
- (٧١) يدعو دانتى القارئ إلى عدم التفكير فى صورة العذاب وعليه أن يفكر فى السعادة الأبدية المرتقبة التى هى نتيجة أو ثمرة التطهر
- (٧٢) أى أن التطهر من الآثام سيدوم - على أسوأ تقدير - حتى يوم القيامة حيث ينطق المسيح بالحكم الأكبر - عند المسيحيين
- Matt. XXV. 31
- (٧٣) المتكبرون لا يبدون رجالا لأنهم يحسبون أنفسهم فوق مستوى الناس فى أثناء الحياة
- (٧٤) يعنى أنه لم يتبين هؤلاء عند النظر إليهم .
- (٧٥) أى أنهم حملوا فوق ظهورهم وزر الغطرس التى تمثلت فى قطع من الأحجار الثقيلة جعلتهم يسرون فى انحناء نحو الأرض .
- (٧٦) يعنى أن فرجيليو نفسه أخذه الشك والحيرة فتساءل هو أيضاً ، هل هؤلاء أشخاص أم لا وكأن عينيه كانتا فى صراع بشأن المشهد المائل أمامه
- (٧٧) يستخدم دانتى لفظ (disvitichia) بمعنى يحل عقدة من النبات الزاحف المتوى المعقد والمقصود بذل الجهود والنظر بإمعان حتى يتبين الأشخاص أمامه
- (٧٨) يضرب كل مهم صدره علامة الندم وورد مثل هذا التعبير فى « الكتاب المقدس » :
- Luca, XVIII. 13.
- (٧٩) يعنى المتفطرسون بمتاع الدنيا عن الحياة الآخرة
- (٨٠) أى الذين ظنوا أن الاهتمام بشئون الدنيا سيجعلهم فى المقدمة وبالعكس أصبحوا فى المؤخرة
- (٨١) يقول دانتى (عين العقل) ويعنى أنهم مرضى أو غير سليمى النظر العقل أو أنهم عمى البصيرة
- (٨٢) الديدان هنا رمز للبشر والمادة .
- (٨٣) الفراشة هيئة الملاك رمز للروح والحياة الآخرة والمقصود أن الناس مقدر عليهم أن يستعدوا للحياة الآخرة .
- (٨٤) يعنى تذهب الروح لتتلقى حكم الله العادل دون عائق من متاع الدنيا الباطل .
- (٨٥) أى لم هذا التعالى والكبرياء .

(٨٦) يعنى أن الإنسان فى الدنيا كائن ناقص كدودة لم تتحول إلى فراشة وهذه صورة مستمدة من حياة الحيوان

(٨٧) هذه زخارف على هيئة تماثيل لتدعيم الشرفات أو السقوف ويكون شكل التمثال الزخرفى على صورة حرف S وبذلك تكون ركبتا التمثال عند صدره ، وكان ذلك شائعاً فى العصور الوسطى . والصورة هنا مأخوذة من النساء الكاريكاتيات من لاكونيا - فى الجنوب الشرقى من شبه جزيرة الهلپونيز - اللائى وقعن فى أسر الإغريق .

(٨٨) ييمث هذا الوضع الألم فى نفس المشاهد

(٨٩) هكذا رأى دانتى هؤلاء المتكبرين على تلك الحال

(٩٠) كانوا أكثر أو أقل انحناء تبعاً لمدى كبريائهم فى الحياة

(٩١) أى أن أقواهم احتمالاً وصبراً عبر عن عجزه عن المزيد من الاحتمال . ونختم دانتى هذه الأنشودة بهذين البيتين المليئين بالأسى واللذين يستدران الرحمة ويبعثان شعور المشاركة فى الأسى والعذاب .

وتشبه هذه الصورة فى عذاب المتكبرين بحمل الأثقال ما ورد فى التراث الإسلامى عن عذاب البخلاء بسيرهم على الصراط وهم يحملون أثقال ثرواتهم كقول النبى محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ونجد هنا التشابه فى العقوبة مع الاختلاف فى الإثم

الهندي ، علاء الدين بن حسام الدين كتاب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال . حيدر آباد

١٣١٢ هـ ج ٣ ص ٢٥٢ رقم ٤٠١٣

الأنشودة الحادية عشرة^(١)

أخذت أرواح المتكبرين ترتل نشيداً مقتبساً من صلاة الأحد، فجدوا الله وسألوه خبزهم اليوى وطلبوا المغفرة والخلاص من لوتشيفيرو - إبليس - وسارت الأرواح على الإفريز الأول - إفريز المتكبرين - وهى تتطهر من خطيئتها تحت أثقال من الصخر ، وعبر دانتى عن ضرورة التعاون بين أهل الأرض وبين أهل المطهر فى الصلاة من أجل خلاصهم جميعاً سأل دانتى أحد الأرواح عن أقصر الطرق وأقلها ميلاً وانحداراً لبلوغ الإفريز الثانى - إفريز الحاسدين - وسمع دانتى أومبرتو ألدوبراندسكى الزعيم الجبلى يشير إلى الطريق الذى يمكن أن يصعبه إنسان حى ، وتكلم عن دمه العريق وعن غطرسته التى جلبت الكوارث عليه وعلى أقاربه جميعاً ، وقال إنه يحمل الصخر حتى ينال رضا الله وتحدث دانتى إلى أوديريزى دا جوييو مزخرف المخطوطات الذى رغب فى التفوق فى الدنيا ، فكلّم دانتى عن تفوق جوتو على تشيابوى وتفوق كافالكانتى على جويتنزى ، وقال أوديريزى إن الشهرة فى الأرض ليست سوى نفثة ريح تهبّ هنا تارة وهناك طوراً وتغير اسمها بتغيير اتجاهها ، وإنه ليس هناك فرق يُذكر بين الموت فى سن الشيخوخة أو فى سن الطفولة ، وإن ألف سنة أمام الأبدية لا تزيد عن طرفة عين ، وقال إن الشهرة كالعُشب الذى يخضرّ ثم يجفّ سريعاً وقضّ أوديريزى على دانتى ما قام به پروفتزان سالفانى من العمل المتواضع بوقوفه للاستجداء - إبان مجده - فى ميدان سيينا ليجمع المال اللازم لتخليص صديق له وقع فى أسر أعدائه ، وبذلك كفر عن غطرسته وكبريائه

- ١ « أبانا الذى تستوى فى السموات ^(٢) ، لا يكونك محدوداً بشئ هناك ^(٣) ، بل بما تكنه من زائد المحبة لبراياك الأوائل فى علياء السماء ^(٤) —
- ٤ فليقدس كل الورى اسمك وجبّرتوتك ^(٥) ، وجدبر بهم أن يثضفوا على روحك الحبيب آيات الحمد والثناء ^(٦)
- ٧ وكسيزل علينا سلام ملكوتك ^(٧) ؛ وإن لم يأتنا فلا سبيل لنا لبلوغه بأنفسنا ، بكل ما أوتيناه من حذق وفن ^(٨)
- ١٠ وكما يضحى ملائكتك بإرادتهم فى سبيلك وهم يرتلون الهوشعنا ^(٩) ، هكذا فليُضحّ البشر بإرادتهم ^(١٠) .
- ١٣ أعطنا اليوم خبزنا كفافاً ^(١١) ، إذ بدونه يعود القهقرى من يمعن فى لإجهاد نفسه كى يتقدم فى هذه البيداء القفر ^(١٢) .
- ١٦ وكما تغفر للجميع ما عانيناه من إساءاتهم إلينا ^(١٣) ، فكذلك تغفر برحمتك معاصينا ^(١٤) ، بدون النظر إلى ما نحن له أهل ^(١٥) .
- ١٩ ولا تختبر مع عدونا القديم ^(١٦) قوتنا التى يسهل قهرها ^(١٧) ، بل خلصنا مِمَّنْ يهزمها بمثل هذا العنف ^(١٨)
- ٢٢ ربنا ^(١٩) ، إننا لا نؤدئ لك من أجل ذواتنا ختام هذه الصلاة — إذ لا حاجة لنا بذلك ^(٢٠) — بل نؤديها فى سبيل من تخلفوا من بعدنا ^(٢١) »
- ٢٥ هكذا بينما كانت هذه الأشباح تصلى من أجل ذواتها ومن أجلنا ، للقيام برحلة مؤاتبة ^(٢٢) ، سارت تحت ثقل ^(٢٣) يشبه ما يراودنا فى الحلم أحياناً ^(٢٤) .
- ٢٨ وتفاوتت فيما نالته من العذاب ^(٢٥) ، ودارت جميعها مُجهدة على الإفريز الأول ^(٢٦) — وهى تتطهر من ضباب العالم الخبيث ^(٢٧) .
- ٣١ وإذا قيلت فى سبيلنا كلمات طيبة هناك أبداً ^(٢٨) ، فاذا يمكن أن يقوله أوفعله هنا من أجلها ، أولئك الذين غُرسوا فى الخير لإرادتهم ^(٢٩) ؟
- ٣٤ وحقاً ينبغى علينا أن نُعِيها فى غسل الشوائب التى حملتها من هناك ^(٣٠) ، لتقدر على الخروج خفيفة نقية إلى الدوائر ذات النجوم ^(٣١) .
- ٣٧ « آه ، فلتخلصك العدالة والرحمة ^(٣٢) من حملك سريعاً ، حتى يمكنك أن تبسط جناحيك كى يصعدا بك كما ترغب ^(٣٣) ؛ —

- ٤٠ فهلا تُرينا في أيّ جانب يوجد أقصر طريق صوب السّلام^(٣٤) ؛ وإذا وُجد أكثر من طريق فلتدلنا على أقلها انحذاراً ،
- ٤٣ إذ أن هذا الذي يجيء معي بطيءٌ ، على رغم إرادته ، في الصعود أعلى^(٣٥) — بِحِمْلٍ ما يرتديه من جسد آدم^(٣٦) »
- ٤٦ لم يكن واضحاً عن صدرت هذه الكلمات^(٣٧) ، التي أجيبَ بها عما تحدث به ذاك الذي كنت أتابع خطاه^(٣٨) ؛
- ٤٩ ولكنني سمعت^(٣٩) : « تعال يا معنا إلى اليمين فوق الحافة ، وستجدان الطريق الذي يمكن أن يرتقيه إنسانٌ حتى^(٤٠) »
- ٥٢ ولو لم تعوقني الصخرة التي تُخضع رقبتي المتغترسة^(٤١) — إذْ تقتضي أن أظلّ مطأطئ الرأس —
- ٥٥ لنظرتُ إلى منْ لا يزال حياً ولا يذكر اسمه^(٤٢) ، لكي أرى هل أعرفه وأثير بهذا الثقل شفقته على^(٤٣)
- ٥٨ لقد كنت لا تينياً^(٤٤) وابناً لتسكاني عظيم وكان أبي يُدعى جوليلمو ألدوبراندسكي^(٤٥) ؛ ولست أدري إذا كان اسمه قد ذُكر بينكم أبداً^(٤٦) .
- ٦١ وإن دمّ أسلافي ومآثر أسرتي قد جعلتني متغترساً — وبدون أن أفكّر في أمّنا المشتركة^(٤٧) —
- ٦٤ أمعنتُ في ازدراء سائر البشر ، حتى كان في ذلك موتي ، وكما يعرفه^(٤٨) أهل سينا ويعرفه كلّ طفل في كامبانيا تيكو^(٤٩)
- ٦٧ إنني أومبرتو^(٥٠) ؛ ولم تجلب الكبرياء الضرّ عليّ وحدي ، إذْ ساقَت معها إلى الكارثة أقربائي جميعاً^(٥١)
- ٧٠ وبسببها^(٥٢) ينبغي عليّ أن أحمل هذا الثقل ، حتى أؤدّي التكفير لله هنا في عالم الموتى ، مادمت لم أؤدّه وأنا في عداد الأحياء^(٥٣) »
- ٧٣ وبينما كنتُ مصغياً إليه أطرقتُ رأسي إلى الأرض^(٥٤) ، وانحنى أحدهم^(٥٥) تحت العبء الذي يُثقله^(٥٦) — ولم يكن هو ذاك الذي تكلم —
- ٧٦ ورآني ، وعرفني ، وأخذ يُناديني ، وبذل جهداً كبيراً لكي يثبت عينيه عليّ^(٥٧) ، ومضى مع رفاقه سائراً وقد تقوَّس ظهره^(٥٨) .

- ٧٩ فقلت له « آه ، أولست أنت أوديريزى^(٥٩) ، فخر جوبيو ومجد ذلك الفن ، الذى يُسمى فى پاريزى^(٦٠) فنّ زخرفة الكتب^(٦١) ؟ »
- ٨٢ فقال « يا أخى^(٦٢) ، إن الصفحات لتزداد إشراقاً^(٦٣) ، بلمسات من ريشة فرانكو البولونى^(٦٤) : فله الآن كلّ الفخر ، ولى منه جانب^(٦٥) »
- ٨٥ وفى الحقّ ما كان ينبغى أن أكون رجلاً لطيف المعشر ، وأنا فى الحياة الدنيا ، بما تملّك قلبى من الرغبة العارمة فى أن أكسب قصب السبق^(٦٦)
- ٨٨ ولئلا هذه الكبرياء يؤدّى هنا الجزاء^(٦٧) ؛ وما كان لى أن أوجد هنا^(٦٨) ، إذا لم أكن قد اتّجهتُ إلى الله ، وأنا قادرٌ على ارتكاب المعصية^(٦٩) .
- ٩١ أيها المجد الباطل لمنشط البشر^(٧٠) ؛ ما أقصر الوقت الذى تظل فيه هامتك مكلّلة بالخرصة^(٧١) - ما لم تلاحقه عصور الظلام^(٧٢) !
- ٩٤ لقد اعتقد تشابوى^(٧٣) أنه فى فن الرسم راسخ القدم ، ولكن الصيحة الآن لجوتو^(٧٤) ، حتى لقد أظلمت شهرة الأول
- ٩٧ وهكذا انتزع أحد الجويديين مجدّ اللغة من الآخر^(٧٥) ؛ وربما وُلد من سيطردهما من العش معاً^(٧٦)
- ١٠٠ وما الشهرة فى الأرض^(٧٧) إلا كنفثة ريح تهبّ هنا تارةً وطوراً هناك ، وتغيّر اسمها إذْ تغير جانبها^(٧٨) .
- ١٠٣ وإذا ما انتزعت الشيخوخة منك الجسد^(٧٩) ، أو إذا متّ وأنت لا تزال تتفوّه بلفظ « مامه » و « إاش^(٨٠) » - فنى أىّ - الحالين ستكون أعلى صيتاً -
- ١٠٦ قبل أن تنقضى ألف سنة - التى هى أمام الأبدية أقصر من طرفة عين ، بالموازنة بأبطأ دائرة تدور فى رحاب السماء^(٨١) ؟
- ١٠٩ وإن مَنّ يسير أمامى بطيء الخطو^(٨٢) ، جلجلتُ بذكره كلّ أرجاء تُسكّانا ، والآن يندر أن يُهمس باسمه فى سينا^(٨٣) ،
- ١١٢ حيث كان فيها سيداً^(٨٤) ، حينما قضى على الغضب الفلورنسى^(٨٥) ، الذى كان متغطرساً فى ذلك الزمان كما هو الآن داعراً^(٨٦) .
- ١١٥ وما صبتكم إلا كلون العشب الذى ييجى ويروح^(٨٧) ، وتمحوه تلك التى تخرجه من الأرض طرياً^(٨٨) »

- ١١٨ فقلت له « إن قولك الحقّ يملأ قلبي تواضعاً جميلاً ، ويهبط بغير رستي الجوفاء^(٨٩) : ولكن من ذا الذي كنت تتكلم عنه الآن ؟ »
- ١٢١ فأجاب « إنه پروفنتزان سالفاني^(٩٠) ؛ وهو هنا لأنه كان مُدّعياً في محاولته أن يضع بين قبضتيه سبينا بأسرها^(٩١) .
- ١٢٤ لقد سار على هذا المنوال ، ولا يزال يسير منذ موته بدون توقّف^(٩٢) : وهذا هو الثمن الذي يؤدّيه مكفّراً ، من يجترئ هناك على الكثير^(٩٣) »
- ١٢٧ فقلت « إذا كان ذلك الروح الذي ينتظر حتى ختام حياته لكي يندم — يقدر عليه البقاء هناك في أسفل^(٩٤) ولا يصعد هنا في أعلى —
- ١٣٠ إذا لم تُعنه صلاةٌ طيبةٌ — ويظلّ هناك حتى ينقضي زمانٌ يعدل سنوات عمره — فكيف أتيح له الحجى هاهنا^(٩٥) ؟ »
- ١٣٣ فقال لي « حينما كان يعيش في قمّة مجده ، لزم باختياره^(٩٦) ميدان سبينا^(٩٧) ، بدون أن يعرفوا التفاتاً للخجل^(٩٨) ؛
- ١٣٦ ولكي يحرر صديقه من العذاب الذي عاناه في سجن شارل ، وقف هناك وقد ارتجف فيه كل شريان^(٩٩) .
- ١٣٩ ولن أقول مزيداً ، وإني لعارفٌ أنّي أتكلم في غموض ، ولكن لن يمضي وقتٌ قليلٌ حتى يفعل جيرانك^(١٠٠) ما يجعلك قادراً على أن تفقه قولي^(١٠١) .
- ١٤٢ فقد خلصه هذا الفعل الحميد من ذلك المحبس^(١٠٢) »

حواشي الأنشودة الحادية عشرة

- (١) هذه ثاني أنشودة من أناشيد المتكبرين وتسمى أنشودة أومبرتو ألدوبراندسكى وأوديريزى دا جوبيو وپروفتتزان سالفانى
- (٢) اقتبس دانتى هذه الأبيات من صلاة الأحد فى الكنائس ووردت معانيها فى «الكتاب المقدس» :
Matt. VI. 9-13. Luca, XI. 2-4.
- وسبق أن ترجم يوسف صقر اللبنانى الأبيات من ١ إلى ٢٤ إلى الشعر العربى فى سنة ١٩١١
- Bessi, M.: La Fortuna di Dante fuori d'Italia. Firenze, 1912. p. 307.
- وقد تفضل الأستاذ إرنست هاتش ويلكنس الأستاذ الأسبق للغات الرومانسية بجامعة هارفارد والرئيس الأسبق لجمعية دانتى فى الولايات المتحدة الأمريكية - والمعضو حالياً بهذه الجمعيات - تفضل بإرسال صورة بالفوتستات إلى هذه الأبيات العربية - و ١٩٥٥ - ولقد اطلعت عليها فى ذات الكتاب عند زيارتى لجامعة كورنيل فى إيثاكا بولاية نيويورك فى خريف ١٩٦٢
- (٣) يشبه هذا ما أورده توماس الأكوينى
- d'Aq. Sum. Theol. I.II. CII. 4.
- (٤) يقصد السماوات والملائكة وهذا يعنى أن الإنسان ليس أنبل مخلوقات الله .
- (٥) يعنى فلتسجد الكائنات اسم الله من أجل الحب الذى يكتنه لها .
- (٦) يقصد بلفظ (vapore) الروح القدس ويرى بعض العلماء الدانتيين أن دانتى فى أبيات ٤ و ٥ و ٦ عبر عن الآب بلفظ (valore) الذى يعنى القوة أو الجبروت وعبر عن الابن بلفظ (nome) الذى يعنى الإسم . وعبر عن الروح القدس بلفظ (vapore) الذى يعنى البخار أو الهواء .
- (٧) أى السعادة الأبدية .
- (٨) يعتذر على الإنسان أن يبلغ بجهوده وحدها السعادة الأبدية ولا بد لذلك من العون الإلهى .
- (٩) يعنى أن الملائكة فى السماوات يتمجدون باسم الله على الدوام إذ يخضعون لإرادتهم لإرادة الله .
- (١٠) أى ينبغى أن يحذو الناس فى الأرض حذو الملائكة فى السماء .
- (١١) المقصود بالبن - أو الحبز - اليوم النعمة الإلهية التى هى السبيل إلى بلوغ السعادة الأبدية .
- (١٢) يعنى أنه بغير النعمة الإلهية لا يمكن للنفس أن تتقدم فى طريق التطهر بل ترجع القهقرى . ويسمى دانتى المطهر بالصحراء القاسية القفرة لأنه تجربة شاقة على النفس التى ترغب صادقة فى التوبة والتكفير عن الآثام .
- (١٣) غفر هؤلاء ما ارتكب فى حقهم فى الدنيا
- (١٤) هنا العلاقة قائمة بين فكرة الغفران الصادر عن البشر والغفران الصادر عن الله - مع الفارق .
- (١٥) يسألون الله المغفرة بدون أن ينظر إلى فضلهم لأنه ضئيل أمام فضل الله ورحمته .
- (١٦) أى الشيطان - لوتشيفيرو .
- (١٧) هذا تعبير عن النفس البشرية الضعيفة التى تخضع للشر بسهولة .
- (١٨) يسألون الله أن يخلصهم من لوتشيفيرو الذى يدفعهم إلى طريق الشر

- (١٩) يمكن القول (أيها المولى العزيز)
- (٢٠) لا يصدر عنهم هذا الدعاء من أجل أنفسهم لأنهم في المطهر الآن بل يصدر من أجل من لا يزالون في الدنيا
- (٢١) يرى بعض النقاد أن المقصود من هم في وادي الأمراء ولكن الأغلب أن المقصود من هم في الدنيا
- استوحى ج ف بريدج هذه الأبيات لوضع لحن موسيقي بمناسبة مهرجان جلوستر الموسيقي في إنجلترا في سنة ١٨٩٢ ولم أسمع مسجلا وكذلك فعل كل من ألساندرو بياجي وجوسيبي سينيكي الإيطاليين في القرن ١٩ ، ولم أجد لحنهما مسجلين
- (٢٢) أي القيام برحلة إلى عالم السعادة الأبدية
- (٢٣) هذه هي الصخور التي جعل دانتي المتكبرين النادمين يحملوها هنا على ظهورهم .
- (٢٤) يشبه دانتي إحساس المتطهرين بحمل الأثقال بمن يتختم بالطعام فيصاب بالكابوس ولا يكاد يتنفس أو يتكلم
- (٢٥) يعنى تفاوت عذابهم بحسب مدى خطيئتهم
- (٢٦) الإفريز الأول هو إفريز المتكبرين
- (٢٧) هذا هو ضباب أو دخان الكبرياء الذي غطى صفاء النفس وهم يتخلصون من آثاره الآن
- (٢٨) أي إذا صلى أهل الأرض من أجل المتطهرين .
- (٢٩) يعنى ماذا يمكن أن يفعل أهل الأرض لأهل المطهر . والمقصود أن الصلاة والدعاء يجب أن يكونا متبادلين بين أهل المطهر وأهل الأرض .
- (٣٠) أي ينبغي أن يعاون أهل الأرض بصلواتهم أهل المطهر على سرعة تطهرهم ، وهكذا يمزج دانتي دائماً بين عالم الحياة وعالم ما بعد الحياة .
- (٣١) يعنى إلى سماء السماوات
- (٣٢) يرى بعض النقاد أن المقصود عدالة الله ورحمة البشر ودعائهم ، ولكن أغلب النقاد يرون أن المقصود عدالة الله ورحمته
- (٣٣) أي يصعد إلى السماء .
- (٣٤) يعنى صوب السلم الذي يؤدي إلى الإفريز الثاني .
- (٣٥) أي أن جسد دانتي يعوقه عن الصعود بسرعة على رغم رغبته في ذلك
- (٣٦) يعنى الجسد الحى الذي هو من خصائص البشر ويعبر عنه دانتي بلفظ اللحم
- (٣٧) أي لم يتضح مصدر الإجابة عن استفسار فرجيليو لأن المتطهرين كانوا يسرون وقد نأقوا تحت أثقال الصخور
- (٣٨) يقصد فرجيليو .
- (٣٩) يعنى سمع دانتي هذا الكلام وكان المتكلم هو أومبرتو الدوبراندسكى ، وفي الأصل (قبل)
- (٤٠) أي السلم الذي يؤدي بسهولة إلى الإفريز الثاني إفريز الحاسدين

Purg. XII. 106...

(٤١) يشبه هذا المعنى ما ورد في « الكتاب المقدس » وما أورده هوراتيوس

Esodo, XXXII. 9; XXXIII. 3. Isaia, XLVIII. 4.

Hor. Epis. I. III. 34.

- (٤٢) يعى لم يفصح دانتي عن اسمه
- (٤٣) أى لكى يجعله يصل من أجله ويحمل غيره من الأحياء على مثل ذلك عند عودته إلى الأرض .
- (٤٤) يعى أنه كان إيطاليا وسبق هذا التعبير Inf. XXII. 65, ecc.
- (٤٥) جوليلمو ألدوبراندسكى (Giulielmo Aldobrandeschi) لا يعرف عنه الكثير ويبتنى إلى الأسرة الجليلية الشهيرة في ماريما ويعرف أنه حارب سيبينا بتحريض البابوية في النصف الأول من القرن ١٣
- (٤٦) لا بد أن اسم جوليلمو كان معروفاً في تسكانا في عصر دانتي ولكن ابنه يتكلم عنه على هذا النحو من باب التواضع
- (٤٧) جعلته الفطرسية ينسب الأم المشتركة ، وربما كان المقصود حواء أو الأرض التي خرج منها البشر ، وهذا يعنى ضرورة التواضع
- (٤٨) يعى طريقة موته
- (٤٩) قلعة كامبانياتيكو (Campagnatico) في أرض سيبينا
- (٥٠) أومبرتو ألدوبراندسكى (Omberto Aldobrandeschi) كونت سانتافيورى في ماريما السيبينية ومن زعماء الجليلين أثارت كبريائه سائر النبلاء فخاروا عليه وقتلوه ولا تعرف طريقة قتله تماماً يقال إن بعض النبلاء تنكروا في زي رهبان يطلبون المعونة وقتلوه في قلعة كامبانياتيكو ، ويقال إن أعداءه هاجموا القلعة فدافع عنها بشدة حتى قتل جواده وتزاحم عليه المهاجمون وقتلوه في ١٢٥٩
- (٥١) من أقربائه أسرة سوانا (Soana) وأسرته سانتافيورى (Santafiore) اللتان نالهما الكوارث بسبب الكبرياء والفطرسية
- (٥٢) أى بسبب الكبرياء .
- (٥٣) يعى أنه لم يرض الله في أثناء الحياة .
- (٥٤) خفف دانتي رأسه عند سماع هذا الكلام لأنه ساوره بعض ما كان عليه هو نفسه من الكبرياء في أثناء الحياة
- (٥٥) أى انحنت نفس أخرى من نفوس المتكبرين .
- (٥٦) بذل هذا المتطهر جهده لكى يرى دانتي ويتحدث إليه .
- (٥٧) عرف هذا المتطهر دانتي بعد جهد شديد .
- (٥٨) في الأصل (سار في انحناء شديد
- (٥٩) أوديريزى دا جوبيو (Oderisi da Gubbio) مصور الصور الصغيرة الذى عرفه دانتي وعاش في بولونيا في النصف الثاني من القرن ١٣ ومات في روما في سنة ١٢٩٩
- (٦٠) باريزى (Parisi) هى باريس كما كتبها دانتي وتكتب بالإيطالية الحديثة باريدجي (Parigi)
- (٦١) هذا هو فن زخرفة الكتب (illuminazione) بالصور والرسوم والنقوش الصغيرة وكان مركزه في باريس في القرن ١٤
- (٦٢) أوديريزى يخاطب دانتي بلفظ الأخوة كتابة عن الود الشديد
- (٦٣) الأوراق ضاحكة بهيجة المنظر بفضل (الرسوم والزخارف وكأنها بضحكها وبهجتها تشارك في بعض صفات الإنسان .

- (٦٤) فرانكو البولوني (Franco Bolognese) مصور ورسام صور صغيرة عاش في أواخر القرن ١٣ وأوائل القرن ١٤ وعمل بعض الوقت في مكتبة البابا في روما
- (٦٥) هكذا يتواضع أوديريزي دا جوييو ويعترف بتفوق فرانكو الذي احتقره في أثناء الحياة
- (٦٦) يريد أن يقول إنه كان عليه أن يعترف بتفوق فرانكو وقد دفعه إلى إنكار ذلك رغبته في أن يكون صاحب القدح الممل في فن زخرفة الكتب
- (٦٧) ولذلك يلقى هنا الجزء العادل .
- (٦٨) يعنى كان سيذهب إلى مقدمة المطهر مع المهلين لو لم يندم ويكفر عن إثمه في الوقت المناسب
- (٦٩) يذكر الاتجاه إلى الله وهو يراوده الإثم وهذا دليل على صدق عزيمته في التوبة والتكفير
- (٧٠) هكذا يندد أوديريزي بمجد الدنيا الباطل
- (٧١) الخسرة هنا رمز للمجد السريع الزوال .
- (٧٢) يقصد أن عصر التأخر والاضمحلال يساعد على معرفة قيمة من كان له المجد إذ تعرف الأشياء بأضدادها
- (٧٣) تشيى دى بيبى المسى تشيمابوي (Cenni dei Peppi detto Cimabue ١٣٠٢ - ١٢٤٠) مصور فلورنسى يعتبر أبا الفن الحديث ، وهو أول من خرج على تقاليد المصور الوسطى بمحاولته إبراز بعض معاني النفس ، ومن صوره عذراء الثلاث المقدس في متحف أوفيتزى وعذراء قبة روتشلاى في كنيسة سانتا ماريا نوفلا في فلورنسا
- (٧٤) أمبرودجوتو دى بوندونى المعروف بجوتو (Ambrogio di Bondone detto ١٢٦٦ - ١٣٣٧) (Giotto) المصور الفلورنسى تلميذ تشيمابوي وزعيم الفن في عصره وصديق دانتى ، وله صور عن حياة القديس فرنسيسكو في الكنيسة العليا في أسيسى وصورة العذراء في متحف أوفيتزى في فلورنسا وتوجد صورة لدانتى في شبابه موجودة في متحف البارجلو في فلورنسا وهى من رسم جوتو أو مدرسته ، واستكشفها سيمور كيركوب في ١٨٤٠
- وتوجد صورة لجوتو ذاته من رسم بنوتزو جاتزولى في القرن ١٤ في كنيسة سان فرنسيسكو في مونتيالكو كما توجد صورة له يقال إنها من رسم باولو أوتشلو في القرن ١٥ وهى في متحف اللوفر في باريس .
- (٧٥) المقصود أولا جويدو كافالكاتنى (Guido Cavalcanti ١٢٥٥ - ١٣٠٠) الشاعر والسياسى الفلورنسى صديق دانتى وهو من شعراء مدرسة الشعر الحديث في فلورنسا ، واشترك دانتى في قرار نفيه تخفيفاً من حدة النزاع الحزبى في فلورنسا وسبق ذكره في الجحيم (Inferno. X. 63.) . وجويدو الثانى هو جويدو جوينتزل (Guido Guinizelli ١٢٣٣ - ١٢٧٦) الشاعر البولونى الذى يمثل مدرسة الشعر في بولونيا . ويقصد دانتى أن كافالكاتنى فاق جوينتزل في فن الشعر
- (٧٦) يرى بعض النقاد أن دانتى قصد نفسه بالإشارة إلى من سيتفوق على الجويديين . ويرى آخرون أن هذا مستبعد لأن دانتى هنا في صدد تطهير المتكبرين من كبريائهم ويرجحون أنه أراد القول بأنه سوف يأتى شاعر آخر يفوق الجويديين
- يستخدم دانتى لفظ (romore) ويقصد المجد والشهرة في الدنيا التى لا تزيد عنده عن الضوضاء والجلبة الجوفاء . وأورد بويتيس هذا التعبير :
- (٧٧)

- (٧٨) يشبه دانتى مجد الدنيا الزائل بنفثة الريح السريعة التحول والتي تسمى بأسماء الجهات التي تهب فيها ، وأورد فرجيليو هذا المعنى
Virg. Æn. VII. 646.
- (٧٩) يقصد الموت .
- (٨٠) ينطق الطفل الفلورنسى بلفظ (pappo) ويقصد الحبز أو الطعام ويقول (dindi) ويقصد النقود أو أى شيء له رنين ويقابلها (مامه) بمعنى الطعام و (إش) بمعنى النقود في اللهجة العامية المصرية ويقصد دانتى بذلك أنه لا يوجد فرق يذكر بين موت الإنسان في سن الشيخوخة وبين موته في سن الطفولة .
- (٨١) يعنى سماء النجوم الثابتة التي هي أسرع السماوات في حركتها حول نفسها ولكنها أبطأ السماوات في حركتها من الغرب إلى الشرق إذ تتحرك درجة واحدة في كل مائة سنة حسب الفلك في العصور الوسطى
- (٨٢) هو پروفتزان سالفاني ويسير ببطء بسبب الثقل الذي يحمله
- (٨٣) سالفاني كان ذائع الصيت في تسكانا ثم أصبح ولا يكاد أحد يهمس باسمه ، والمقصود أن مجد الدنيا سريع الزوال .
- (٨٤) سيد (sire) تعنى هنا أنه كان مواطناً قوياً ولم يكن أميراً
- (٨٥) هذه إشارة إلى هزيمة الحلف الفلورنسيين في موقعة مونتابرتي في ١٢٦٠
- (٨٦) يقصد أن الخلق الفلورنسى كان كخلق الداعرة التي تباع كل شيء من أجل المال .
- (٨٧) أى أن الشهرة كخضرة العشب سريعة الزوال ، ووردت صورة مقاربة في « الكتاب المقدس »
Isaia, XL. 6...; Sal. XC. 6, ecc.
- (٨٨) يقصد الشمس التي تثبت العشب في بداية نموه ثم تجففه وتذهب بلونه .
- (٨٩) هذا درس بليغ في التواضع يعطيه دانتى لنفسه وللناس
- (٩٠) پروفتزان سالفاني (Provenzan Salvani) زعيم الجليلين في سيينا وكان على رأس القوات التي هزمت الحلف الفلورنسيين في مونتابرتي في ١٢٦٠ وكان هو الذي اقترح هدم فلورنسا في مؤتمر إيمبولي لكن وقف في وجهه فاريناتا دلي أوبري كما سبق في اللحيم (Inf. X. 91)، وبعد معركة التل في وادي إل سا ضد الفلورنسيين في ١٣٦١ وقع في الأسر وحبس وقطع رأسه واشتهر بالعزم والصلاية وشدة المراس والكبرياء .
- (٩١) يعنى أنه يلاقى عذاب التطهير بسبب غطرسته في الدنيا .
- (٩٢) أى هكذا كان يسير في ببطء وقد حمل الصخرة على ظهره .
- (٩٣) يعنى أن هذا هو جزاء الكبرياء في الدنيا
- (٩٤) يعنى كان ينبغي أن يبقى في مدخل المطهر
- (٩٥) يستفسر دانتى عن السبب الذي من أجله صعدت روح سالفاني إلى الإفريز الأول من المطهر
- (٩٦) يفسر بعض الشراح لفظ (liberamente) هنا بمعنى بوجه صريح
- (٩٧) ميدان سيينا (Campo di Siena) هو الميدان الرئيسي في المدينة
- (٩٨) كان فيينا أو مينو دى ميني (Vinea o Mino dei Mini) - صديق سالفاني - قد وقع في أسر شارل دانجو في معركة تالياكوتزو في ١٢٦٨ (Inf. XXVIII. 17.) ، وفرض عليه أن يدفع ١٠,٠٠٠ فلورن من الذهب حتى يطلق سراحه ، ولذلك وقف سالفاني وهو في إبان مجده في ميدان سيينا الرئيسي وأخذ يستجدي الناس كشحاذ بدون أن يرغم أحداً على الدفع ، وعندما

رأى أهل سيينا سالفاني القوي المتغطرس يستجدي من أجل صديقه تقاطروا عليه لدفع المبلغ المطلوب

(٩٩) هذه صورة الشحاذ الذي يسأل الإحسان وهي مأخوذة من الحياة الواقعة

(١٠٠) يقصد شعب فلورنسا.

(١٠١) يعنى أن فلورنسا سوف تنفى دانتى وتجعله يستجدي ويطلب القوت وعندئذ سيفهم الكلام الغامض عليه الآن.

(١٠٢) أى أن ما قام به سالفاني من الاستجداء فى ميدان سيينا وهو فى أوج مجده من أجل صديقه

كان عملاً كفر به عن غطرسته، وبذلك زالت الحدود التى كانت تمنعه من بلوغ المطهر وأى

درس هذا الذى يقدمه دانتى لنفسه وللمتكبرين المتغطرسين! ومن منا يمكنه أن يفيد بهذا الدرس ؟ .

الأنشودة الثانية عشرة^(١)

كان دانتى يسير إلى جانب أوديريزى ولكنه ابتعد عنه حينما دعاه فرجيليو إلى أن يسرع الخطى ورأى دانتى نحتاً دقيق الصنع محفوراً على الأرض يشبه ما يوجد فوق أغطية القبور ، فرأى لوتشيفيرو منحوتاً وهو يهبط من السماء كأنه البرق ، وشهد برياروس ممدداً بثقله على الأرض ، ورأى تيمبريوس وبالاس ومارس مجتمعين حول جوبيتر ، وشهد نمرود عند أسفل برج بابل ، ولانيوبى بين أبنائها وبناتها الموتى ، وشاؤل ميتاً فوق سيفه ، وأراكنا وهى نصف عنكب ، ورجعهم تحمله عربة دون أن يطارده أحد ، وألكمايون وإريفولى ، ورأى أبناء سنخاريب فوق أبيهم فى الهيكل ، وتاميريس التى قتلت قورش ، وأوليفانا الذى قتلته يهوديت ، وشهد طروادة وقد دمرتها النيران وكانت هذه كلها صور لما ناله المتكبرون من العقاب ، وكانت دقيقة الصنع حتى بدت كأنها الواقع الذى حدث فى الماضى وكان دانتى يسير وهو مشغول الخاطر حينما دعاه فرجيليو أن يرفع رأسه ولفظ نظره إلى ملاك السماء الذى جاء متشحاً بالبياض ، وبدا كنجمة الصبح وهى تتلألأ بسط الملاك جناحيه ودعا الشاعرين إلى الصعود أعلى ، وندّد بضلال الناس أمام مجد الدنيا الزائف ، وضرب بجناحيه جبهة دانتى ووجد دانتى الطريق يقلّ انحداً ، كالطريق الذى يؤدّى إلى كنيسة سان مينياتو التى تشرف على فلورنسا ، المدينة التى أحسن قيادها ! وسمع دانتى الملاك يرتل بصوتٍ عذب أبياتاً من الكتاب المقدس ، وأحسّ فى صعوده أنه أصبح أخفّ وزناً ، فاستوضح فرجيليو الأمر ، فأفاده بأن هذا يرجع إلى زوال خطيئة الكبرياء عنه ، فتحسس دانتى جبهته بأصابعه فأدرك أن علامة الكبرياء قد مُحيت ، وابتسم فرجيليو دليل الرضا

- ١ أخذتُ أسير جنباً إلى جنب مع تلك النفس المُثْقَلَة بِحِمْلِهَا^(٢)، كَثُورِينَ يسيران تحت وطأة النير^(٣)، بقدر ما أتاح لي مُرَّ بَيّْ الحبيب^(٤)؛
- ٤ ولكن حينما قال لي «دعهم وشأنهم وامضِ قَدْماً^(٥)»، فن الخير هنا أن يدفع كلُّ منا سفينته^(٦) بالشرع والجُذافين^(٧) - جهد ما يستطيع -؛
- ٧ مددتُ قامتي ثانياً كما تقتضيه طبيعة المسير، ولو أن أفكاري ظَلَّتْ تساورها بؤادر الخور والضعة^(٨)
- ١٠ وتقدمتُ، وتبعْتُ خطي أستاذي عن طيب خاطرٍ، وكان كلُّ منا قد أبدى كيف صرنا خفيفين^(٩)؛
- ١٣ وقال لي «اتجه بعينيك إلى أسفل^(١٠)، وسيكون من الخير لك أن تنظر إلى موطنٍ قدميك لكي تَيْسَّرَ طريقك^(١١)»
- ١٦ وكما تحمل لوحات القبور فوق الراقدين فيها^(١٢) صورة ما كانوا عليه في حياتهم، حتى تُحفظ ذكراهم^(١٣)،
- ١٩ حيث يُبكي عليهم مراراً بونخر الذكرى، التي لا تحرّك إلا ذوى القلوب العطوفة^(١٤)؛ -
- ٢٢ هكذا رأيتُ هناك رسوماً منحوتةً، ولكنها تجلّت بدقة صانعها على صورة أفضل^(١٥)، فوق كلِّ الطريق الذي يبرز من جانب الجبل إلى الخارج^(١٦).
- ٢٥ رأيتُ^(١٧) - في جانب^(١٨) - ذلك الكائن الذي خُلِقَ ذا نُبل يفوق سائر الكائنات - رأيتُه يهبط كالبرق من السماء إلى أسفل^(١٩)
- ٢٨ ورأيتُ - في الجانب الآخر^(٢٠) - برياروس^(٢١) - وقد أصابته صاعقة سماوية^(٢٢)، وتمدّد ببرودة الموت ثقيلًا على الأرض^(٢٣)
- ٣١ ورأيتُ تيمبريوس^(٢٤)، ورأيتُ بالاس^(٢٥) ومارُس^(٢٦) - ما زالوا يحملون سلاحهم، وقد اجتمعوا حول أبيهم^(٢٧) وتطلّعوا إلى أشلاء المردة المتناثرة^(٢٨).
- ٣٤ ورأيتُ نمرود^(٢٩) كالمشدود عند أسفل برجه الشاهق^(٣٠)، ينظر إلى القوم الذين شاركوه غطرسته في شِنعار^(٣١).
- ٣٧ أيا إنيوبي^(٣٢)، بأية عينين والهتين رأيتُ صورتك محفورةً على الطريق، بين سبعة وسبعة من أطفالك الصرعى^(٣٣) !



٧ - المتطهرسون يتطهرون بحمل الأحجار الثقيلة

- ٤٠ أيا شاول (٣٣) ، إنك بدوت هنا ميتاً كما بدوت فوق ذات سيفك في جبل جلبوع (٣٤) ، الذى لم يعرف بعد مطراً ولا طلاً (٣٥) !
- ٤٣ أراكنا يافاقدة العقل (٣٦) ، لقد شهدتك الآن نصف عنكب (٣٧) ، بين ميزقات النسيج الذى صنع لكى ينالك منه الويل (٣٨)
- ٤٦ يا رَحْبُعام (٣٩) ، إن صورتك هنا لا يبدو أنها في تهديدها ماضية (٤٠) ، ولكنها تبدو بالرعب مليئة ، وتجرى بها عربة دون أن يطاردها أحد
- ٤٩ وكذلك أظهر (٤١) الممشى الصلد كيف جعل الكمايون (٤٢) القلادة المشؤومة — تبدو لأمه باهظة الثمن (٤٣)
- ٥٢ وأبدى الممشى كيف ألقى الأبناء بأنفسهم فوق سَنَخاريب (٤٤) داخل الهيكل — وكيف تركوه صريعاً هنالك (٤٥)
- ٥٥ وأظهر الدمار والقتل الوحشى اللذين قامت بهما تاميريس ، حينما قالت لقورش (٤٦) « إنك إلى الدم عَطِشٌ وإننى بالدم أفعمك (٤٧) » .
- ٥٨ وأبدى كيف هرب الآشوريون مهزمين بعد موت أوليفانا (٤٨) ، وأظهر آثار اغتياله كذلك (٤٩)
- ٦١ ورأيت طرودة (٥٠) قد صارت رماداً وخراباً: فيا إله يوم (٥١) — كيف بدوت على حالٍ من المذلة والهوان ، فى الصورة التى تشاهد هناك (٥٢) !
- ٦٤ أىّ فنان حل الفرشاة أو القلم (٥٣) ، استطاع أن يرسم الخطوط والظلال التى كان من شأنها أن تثير العجب ، فى العقل الدهيَّ هناك (٥٤) ؟
- ٦٧ فالموتى بدّوا موتى والأحياء أحياء (٥٥) وإن من شهد الأحداث ، لم ير خيراً مما رأيته عند موطني قديمي ، بينما كنت أسير مُنحني الظهر (٥٦)
- ٧٠ فلتكبروا الآن ولتسيروا شائخين أنوفكم — يا أبناء حواء (٥٧) ، ولا تُخفضوا وجوهكم لكى تتبينوا ما تسلكونه من سبيل الشر (٥٨) !
- ٧٣ كنا قد مضينا فى سيرنا حول الجبل ، وكانت الشمس قد قطعت شوطاً أبعد مما قدره خاطرى المشغول (٥٩) —
- ٧٦ حينما بدأ يقول — من كان يسير أمامى وهو حاضر البديهة دوماً (٦٠) ؛ « لرفع رأسك (٦١) ؛ إذ لم يغد هناك وقت لكى تسير مشغول الخاطر (٦٢) »

- ٧٩ وَلَتَنْظُرَ هُنَاكَ إِلَى مَلَائِكَةٍ (٦٣) يَتَأَهَّبُ لِلْمُجِيءِ نَحُونَا ؛ وَانْظُرْ كَيْفَ تَعُودُ
الوصيفة السادسة من عملها اليومي (٦٤)
- ٨٢ وَلَتُتَزَيَّنَ بِالْوَقَارِ طُلْعَتُكَ وَفِعَالُكَ ، حَتَّى يَرُوقَ لَهُ أَنْ يَبْعَثَنَا إِلَى أَعْلَى ؛
وَلَتَفَكَّرَ فِي أَنْ هَذَا النَّهَارَ لَنْ يَشْرُقَ بَعْدُ أَبَدًا (٦٥) ! »
- ٨٥ وَكُنْتُ قَدْ اعْتَدْتُ تَنْبِيْهَهُ لِي أَلَّا أَضِيعَ الْوَقْتَ أَبَدًا (٦٦) ، حَتَّى لَمْ يَعُدْ يُمْكِنُهُ
أَنْ يَحْدِثَنِي بِطَرِيقَةٍ خَفِيَّةٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ .
- ٨٨ وَإِلَيْنَا جَاءَ الْكَائِنُ الْجَمِيلُ (٦٧) بِالْبَيَاضِ مُتَشَحِّجًا (٦٨) ، وَبَدَأَ بِوُجْهِهِ
كَنَجْمَةِ الصَّبْحِ وَهِيَ تَتَلَأَلَأُ (٦٩)
- ٩١ وَمَدَّ ذِرَاعَيْهِ ثُمَّ بَسَطَ جَنَاحَيْهِ (٧٠) ؛ وَقَالَ « هَيَّا أَقْبِلَا فَالْسَّلَامُ هُنَا
قَرِيبَةٌ (٧١) ، وَمِنْ السَّهْلِ صُعُودُكُمَا عَلَيْهَا الْآنَ (٧٢) »
- ٩٤ وَقَلَّاتِلُ "جَدَا مِنْ" يَلْبِثُونَ هَذَا النَّدَاءَ (٧٣) أَيُّهَا الْجِنْسُ الْبَشَرِيُّ - الَّذِي
وُلِدْتَ لِكِي تَطِيرَ إِلَى الْعِلْيَاءِ (٧٤) - لَمْ تَهْوِ هَكَذَا أَمَامَ قُبْضَةِ مِنَ الرِّيحِ (٧٥) ؟ » .
- ٩٧ وَقَادَنَا إِلَى حَيْثُ تَكْسَرُ الصَّخْرُ (٧٦) : وَهَنَا ضَرَبَنِي عَلَى جَبْهَتِي (٧٧) بِجَنَاحَيْهِ ،
ثُمَّ وَعَدَنِي بِرَحْلَةٍ آمِنَةٍ (٧٨)
- ١٠٠ وَكَمَا إِلَى الْيَمِينِ (عِنْدَ ارْتِقَاءِ الْجَبَلِ (٧٩) ، حَيْثُ تَسْتَوِي الْكَنِيسَةُ (٨٠) الَّتِي
تَسِيطِرُ مِنْ وَرَاءِ جَسَرٍ رُوبَاكُونَتِي (٨١) عَلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي حُسِّنَ قِيَادُهَا (٨٢)) -
- ١٠٣ يَنْكَسِرُ هُنَاكَ الْمُرْتَقِي الشَّدِيدُ الْمُنْحَدِرُ ، بِالدرجاتِ الَّتِي صُنِعَتْ (٨٣) فِي عَصْرِ
أَمِنٍ فِيهِ السَّجَلُ (٨٤) وَالْمَكْيَالُ (٨٥) ؛ -
- ١٠٦ هَكَذَا يَعْتَدِلُ مِيلَ الشَّاطِئِ الَّذِي يَنْحَدِرُ هُنَاكَ بِشِدَّةٍ مِنَ الدَّائِرَةِ الْآخَرَى (٨٦) ؛
وَلَكِنِ الصَّخْرُ الْعَالِي أَحْدَقَ بِكُلِّ الْجَانِبَيْنِ (٨٧)
- ١٠٩ وَفِيمَا كُنَّا نَنْجُو بِخَطَوَاتِنَا هُنَاكَ ، سَمِعْتُ أَصْوَاتًا تَرْتَلُ (٨٨) "طُوبَى لِّلْمَسَاكِينِ
بِالرُّوحِ" (٨٩) - بِعَذُوبَةٍ لَا يُفْصَحُ عَنْهَا بَيَانٌ
- ١١٢ أَوَّاهَ ، كَيْفَ تَخْتَلِفُ هَذِهِ الْمُدَاخِلُ (٩٠) عَنْ أَبْوَابِ الْجَحِيمِ ! إِذْ يَتِمُّ الدَّخُولُ
هُنَا بِمَصْحَابَةِ الْأَنَاشِيدِ ، وَيَتِمُّ هُنَاكَ فِي أَسْفَلِ بِالْعَوِيلِ الْوَحْشِيِّ (٩١) ؛
- ١١٥ وَكُنَّا قَدْ أَخَذْنَا نَصْعَدُ عَلَى الدَّرَجَاتِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَتَرَاءَى لِي أُنَى أَصْبَحَتْ
أَخْفَ كَثِيرًا مِمَّا بَدَتْ مِنْ قَبْلِ فِي رَحَابِ السَّهْلِ (٩٢)

١١٨ قلت عندئذ « خبّرني أستاذي، أي شيءٍ ثقيلٌ أزيح عن كاهلي، حتى لا يكاد ينالني عند المسير عناء^(٩٣)؟ »

١٢١ فأجاب: « حينما تزول تماماً ”الحجاءات“ التي لا تزال باقية على جبينك^(٩٤) — كما زالت عنك إحداها^(٩٥) —

١٢٤ ستسيطر إرادتك الطيبة على قدميك ، بحيث لن يقتصر الأمر على أنهما لن تشعرًا بالتعب ، بل ستكون بهجتكما في أن تُدفعاً صُعداً^(٩٦) »

١٢٧ وعندئذٍ أصبحتُ كمن يسرون وعلى رؤوسهم شيءٌ لا يدركونه^(٩٧) إلا بإشارات من غيرهم ، تُثير بشأنه الشك لديهم^(٩٨) ؛

١٣٠ ولذا تعاوهم أيديهم على أن يستوثقوا^(٩٩) ، وتتحسّس وتجدد، وتؤدي ذلك العمل الذي لا يمكن أن تؤديه أعيهم ؛

١٣٣ وبالأصابع الممتدة من يُمنّاي^(١٠٠) ، لم أجد سوى ستةٍ من الأحرف التي رسمها حامل المفتاحين على جبيني

١٣٦ وابتسم دليلى حينما نظر إلى^(١٠١)

حواشى الأنشودة الثانية عشرة

- (١) هذه هى الأنشودة الثالثة والأخيرة الخاصة بالمتكبرين .
- (٢) أى النفس المثقلة بالصخر وهى نفس أوديريزى دا جوبيو . سار دانتى إلى جانبه متواضعاً ، وهذا درس يقدمه دانتى لنفسه وللناس .
- (٣) فى استخدام دانتى صورة الثورين تحت النير معنى للتواضع فى بيئة المتكبرين . ويوجد حفر بارزيمثل ثورين يسيران تحت النير من القرن ١٤ فى كنيسة سان بيتر و فى سبوليتو .
- (٤) يسمى دانتى فرجيليو بالمربي (pedagogo) ويقصد به وتثنت معلم الأطفال وفى هذا معنى من معانى التواضع .
- (٥) يعنى دع جماعة المتكبرين وامض إلى الأمام .
- (٦) أى على كل نفس أن تسير وتتطهر منفردة .
- (٧) يعنى على كل نفس أن تبذل كل جهد مستطاع فى سبيل التطهر من الخطايا
- (٨) يعنى أن دانتى انتصب بقامته ولكن أفكاره بقيت يساورها الخوف من خطيئته الكبرياء .
- (٩) أى أن دانتى وفرجيليو كانا أسرع فى السير لأنه لم يثقلهما صخر على ظهرهما بعكس المتكبرين هنا
- (١٠) هكذا لكى يرى دانتى ما هو منحوت على الأرض .
- (١١) يعنى أن النظر إلى الأرض سيجعل السير سهلاً على دانتى لرؤيته أمثلة للتواضع
- (١٢) أى القبور الموجودة عادة فى الكنائس والأديرة وتغطيها لوحات من الرخام
- (١٣) يحفر على غطاء القبر صورة المدفون فيه بزيه وشعاره كما كان فى الحياة .
- (١٤) تهمز الذكرى أصحاب القلوب العطوفة الشفيقة وتحملهم على البكاء ، ويستعير دانتى الهمز من مهماز الخيل .
- (١٥) يعنى رأى دانتى نحتاً بارزاً على أغطية القبور وكان دقيق الصنع بحيث يفوق سائر النحت لأنه من صنع الله .
- (١٦) أى على منطقة سهلة فى الجهل يسير عليها المتطهرون وفى الأصل (على كل ما يبرز من الجبل ليصنع طريقاً)
- (١٧) تبدأ الثلاثيات الأربع التالية بكلمة رأيت وتتناول من عاقبهم الله حينما ارتكبوا الخطيئة .
- (١٨) يعنى فى ناحية الطريق كان الشاعران والمتطهرون يسرون فيه
- (١٩) أى لوتشيفيرو - إبليس - الذى عصى الله فأرسل عليه صاعقة وورد هذا المعنى فى « الكتاب المقدس »
- Luca, X. 18.
- (٢٠) يعنى فى الجانب المقابل للجانب الذى رسم فيه لوتشيفيرو على الأرض .
- (٢١) برياروس (Briarus) المارد الذى حاول محاربة الإله فأرسل عليه جوبيتر صاعقة - كما ورد فى الميثولوجيا اليونانية الرومانية ، وسبقت الإشارة إليه فى الجحيم
- Inf. XXXI. 98.
- Virg. Æn. VI. 287. Luc. Phars. IV. 596.
- (٢٢) بدا برياروس ثقيلاً مثبتاً فى الأرض بحجمه الضخم وقد فارق الحياة

(٢٣) تيمبريوس (Thymbraeus) هو أبولو إله الشعر والموسيقى فى الميتولوجيا اليونانية وأخذ دانتى هذا اللفظ عن استاتيوس وقرجيليو:

Stat. Theb. I. 643, 699; III. 215;

Virg. Georg. IV. 323; Æn. III. 85.

(٢٤) پالاس (Pallas) هى مينرفا ربة الحكمة عند الرومان

Virg. Æn. II. 31, 189, 404; ecc.

(٢٥) مارس (Mars) إله الحرب عند الرومان ، وتكرر الإشارة إليه

Virg. Eclog. X. 44.

Inf. XIII. 144, 146-147; Par. IV. 63; VIII. 132; XVI. 47; 145-146.

(٢٦) يعنى جوبيتر (Jupiter) كبير الآلهة الرومان الذى أرسل الصاعقة على المودة عند ثورتهم على الآلهة ، وتكرر الإشارة إليه

Virg. Eclog. III. 60.

Inf. XIV. 52; XXXI. 45, 92; Purg. XXIX. 120; XXXII. 112; Par. IV. 62; XXII.

145-146.

(٢٧) تائرت أعضاء المردة بفعل الصواعق فى وادى فليجرا

(٢٨) نمرود (Nimrod) ملك بابل الأسطورى ، ويتكرر ذكره واقتبس دانتى فكرة كونه من المردة من أوروسيوس والقديس أوغسطين

Inf. XXXI. 77; Par. XXVI. 126.

Oros. Hist. II. 6, 7.

St. Aug. Civ. Dei, XVI. 3, 4, 11.

(٢٩) أى برج بابل الذى بناه نمرود لكى يطاول السماء كما ورد فى الأسطورة . ويوجد رسم بالموزايكو يمثل بناء برج بابل من القرن الثالث عشر فى كنيسة سان ماركو فى البندقية

(٣٠) شرد فكر نمرود وتبلبل خاطره حينما بلبل الله السنة قومه فى سهل شعار (Sennaâr) ، ورد هذا فى «الكتاب المقدس»

(٣١) تبدأ الثلاثيات الأربع التالية بالنداء وتتناول من يعاقبون بالحزن والأسى من أجل الخطيئة التى ارتكبت

ارتكبت وإنويو (Niobe) ابنة تانتالوس وزوجة أمفيون ملك طيبة تفاخرت وازدهت

بجمالها وقوتها وثروتها وبناتها وأبنائها الأربعة عشر ، واعتبرت نفسها أفضل من لاتونا التى

ولدت طفلين من زيوس وهما أبولو وديانا اللذان قتلأ أبناء إنويو وبناتها فأفقدتها الحزن

الصواب وتحولت إلى تمثال وأورد أوفيدوس أسطورتها

Ov. Met. VI. 146-312.

(٣٢) صورت إنويو هنا وهى تبكى على بناتها وأبنائها الموتي

(٣٣) شاول (حوالى ١٠٢٠ - ١٠٠٠ ق. م. Saul) أول ملك من ملوك إسرائيل .

(٣٤) انتصر الفلسطينيون (Filistei) على شاول فى معركة جبل جلبوع (Gelboa) فى فلسطين ،

ولما رأى أبنائه الثلاثة يموتون أسقط نفسه على سيفه فمات . وذكره «الكتاب المقدس»

I. Sam. XXXI. 1-5.

- (٣٥) ورد هذا المعنى في تعبير داود عن حزنه على شاول II. Sam. I. 21.
- (٣٦) أراكنا (Arachna) اللبديّة التي تحدث أثينا (مينرثا) في النسيج فسخطها إلى عنكبوت وسبقت الإشارة إليها Inf. XVII. 18.
- (٣٧) يعنى صورت على الرخام قبل أن يتم تحويلها إلى عنكبوت ، وأورد أوثيديوس أسطورتها Ov. Met. VI. 1-145.
- (٣٨) هكذا عاقبت مينرثا أراكنا لكبرياتها وحولت نسيجها إلى خيوط العنكبوت
- (٣٩) رجبعام (من القرن ١٠ ق. م. Rehoboam) ملك إسرائيل الذي تفاخر بأنه سيكون أشد طفياناً من أبيه سليمان فثار عليه اليهود فهرب إلى أورشليم ، وورد ذكره في « الكتاب المقدس » I. Re, XII.
- (٤٠) أى أنه لا يهدد الشعب هنا بالطغيان كما فعل في الدنيا
- (٤١) تبدأ الثلاثيات الأربع التالية بكلمة أظهر أو أبدى وتتناول من يعاقبهم أعداؤهم أو ضحاياهم
- (٤٢) ألكميون (Alcmeon) بن أمفياروس العراف وإريفيول وكان أمفياروس قد اختبأ حتى لا يشترك في حرب طيبة ، ولكن بولينسس أغرى أمه بقلادة ثمينة فكشفت عن مكان زوجها فذهب إلى حرب طيبة حيث مات ، وقبل موته حرض أمفياروس ابنة ألكميون على قتل أمه إريفيول ففعل ، وأورد أوثيديوس هذه الأسطورة Ov. Met. IX. 407...
- (٤٣) أى أن القلادة كلفت لإريفيول (Eriphyle) حياتها
- (٤٤) سنخاريب (705 - 681 ق. م. Sennacherib) ملك آشور الطاغية المتغترس الذي قتله ولده بعد هزيمته على يد حزقيا
- (٤٥) قتل سنخاريب وهو يصلى في الهيكل كما ورد في « الكتاب المقدس »
- II. Re, XIX. 37. Isaia, XXXVII. 38.
- (٤٦) قتل قورش (560 - 530 ق. م. Cyrus) ملك الفرس ابن تاميريس (Tamiris) ملكة إسكثيا ، فحاربت قورش وهزمته وقتلته وألقت برأسه في إناء ملى بالدم . وتوجد صورة تمثل تاميريس من عمل أندريا دل كاستانيو من القرن ١٤ في دير سانفا أبولونيا (سابقاً) في فلورنسا
- (٤٧) أخذ دانتى هذا عن أورويسوس Oros. Hist. II. 7, 6.
- (٤٨) أوليفانا (Holofernes) يقال إنه شخصية أسطورية وإنه كان قائد نبوكدنصر ملك آشور الذي حارب اليهود في القرن ٦ ق. م. ، ولكن يهوديت رمز الطهارة والجمال والشجاعة أوقعت به وقطعت رأسه ورجع الآشوريون مهزمين . ووردت أخبار يهوديت في بعض طبعات من « الكتاب المقدس » ومكانها في الفردوس Jud. VIII. - XVI. Par. XXXII.
- ويوجد تمثال ليهوديت تحمل رأس أوليفانا من القرن ١٤ في كنيسة جوفاني وپاولو في البندقية وتوجد صورة غير كبيرة من عمل ساندرو بوتشلي من القرن ١٥ لمقتل أوليفانا على يد يهوديت ، وهي بمتحف الأوفيتزى في فلورنسا
- (٤٩) يعنى رأس أوليفانا على أسوار بيتوليا وجسمه الملقى على الأرض .
- (٥٠) طروادة (Troia) رمز الكبرياء وقد دمرها الإغريق ، وتكرر الإشارة إليها ، وعبر فرجيليو عن كبرياء الطرواديين

Inf. I. 74-75; XXX. 89, 114. Par. VI. 6, 67-68;

Virg. Æn. III. 2-3.

Inf. I. 75.

(٥١) إليوم (Illium) إسم لطروادة وسبق ذكرها بهذا الإسم في الجحيم

(٥٢) بدت، طروادة في صورة خربة بعد أن فقدت كبرياءها

(٥٣) ربما قصد دانتي بلفظ (stile) الإزميل الذي يستخدمه النحات في النحت والحفر

(٥٤) هكذا يصف دانتي بعض التفاصيل في فن النحت والحفر الذي يوضح ملامح الإنسان ومعاني

نفسه بصورة تثير الدهشة والعجب في صاحب العقل الذهي الأريب الذي ينفذ إلى كنه الأشياء

(٥٥) أى كان الحفر غاية في الدقة

(٥٦) كان كل ما رآه دانتي آية في الإبداع حتى لم تفضل الصور الوقائع ذاتها. وهكذا يصور

دانتي في شعره بعض الدقائق في فن الحفر، وهذا تمهيد للخروج من فن العصور الوسطى إلى فن عصر النهضة

(٥٧) ربما يقصد دانتي أن حواء هي أول من أظهرت الفطرة من البشر حينما أكلت من الشجرة

المحرمة، وربما يقصد أن البشر وهم جميعاً أبناء أم واحدة لا يجوز أن يتكبر بعضهم على بعض.

(٥٨) هكذا يندد دانتي بكبرياء البشر وغطرسهم. وهذه سخريه من جانب دانتي.

(٥٩) كان دانتي مشغولاً بالتفكير فيما رآه حتى لم يشعر بالمسافة التي قطعها

(٦٠) كان فرجيليو يسير أمام دانتي متتبهاً إلى الطريق بعكس دانتي الذي كان يسير متأملاً متفكراً

(٦١) يشبه هذا التعبير ما ورد في « الكتاب المقدس » Luca, XXI. 28.

(٦٢) يشبه هذا تعبير فرجيليو Virg. Æn. VI. 37.

(٦٣) هو ملاك التواضع وهو أول ملاك من حراس المطهر في أسفل السلم الذي يؤدي إلى الدائرة الثانية، ومهمته أن يسمح من جبين المتطهرين - ومن جبين دانتي - العلامة الخاصة بخطيئة الكبرياء والفطرة

(٦٤) يقصد أن الساعة السادسة منذ بداية الصباح قد انتهت وهذا يعنى أن الساعة قد تجاوزت

الثانية عشرة ظهراً. ويشبه هذا قول أوفيدوس Ov. Met. II. 118...

(٦٥) يعنى أن مثل هذا اليوم لا يتكرر أبداً، ولذلك لا تجوز إضاعة الوقت عبثاً

(٦٦) سبق أن دعا فرجيليو دانتي إلى عدم إضاعة الوقت، ويشبه هذا ماورد في « الإنيابة »

Purg. III. 78; ecc.

Virg. Æn. VI. 538...

(٦٧) أى ملاك التواضع.

(٦٨) اللون الأبيض رمز التواضع والطهارة، وورد هذا المعنى في « الكتاب المقدس »:

Matt. XXVIII. 3; Marco, XVI. 5; Luca, XXIV. 4; ecc.

(٦٩) يشبه هذا المعنى ما أورده هوراتيوس و « الكتاب المقدس »

Horat. Od. III. IX. 21.

Dan. XII. 3.

- (٧٠) يعنى أن الرحمة الإلهية تتلقى دانتي بالترحاب .
- (٧١) هذه هى الدرجات التى تؤدى إلى الحلقة الثانية .
- (٧٢) أى أن من تخلص من الكبرياء يمكنه الصعود بسهولة
- (٧٣) يعنى أن من يتخلصون من الكبرياء والغطرسة قلا ثل جداً
- (٧٤) أى إلى السماء .
- (٧٥) يعنى لماذا يسقط البشر فى مهارى الخطيئة بتأثير الكبرياء .
- (٧٦) كان الصخر مقطوعاً لكى يصنع سلماً يسهل الصعود عليه .
- (٧٧) أى أزال الملاك بجناحيه علامة الكبرياء من جبهة دانتي .
- (٧٨) المقصود أنه لن تصادفه العقبات وهذا يكون الملاك قد أكد لدانتي أن صعوده سيكون أمراً سهلاً
- (٧٩) هذه موازنة بجبل الصلبان على مقربة من فلورنسا خارج باب سان مينيأتو الذى وجدت به مدارج سهلة
- (٨٠) هذه كنيسة سان مينيأتو (San Miniato) التى ترجع إلى القرن ١١ وتشرف على فلورنسا وهى قريبة من ميدان ميكلائنجلو القائم حالياً على التل الجنوبي الشرق عند طرف المدينة .
- (٨١) جسر روباكوتى (Rubaconte) يرجع إلى القرن ١٣ ويعرف الآن بجسر الرحمة فى فلورنسا
- (٨٢) هذه سخرية بفلورنسا من جانب دانتي لأنه يقصد العكس .
- (٨٣) هذه سلام تمتد كل درجة منها حوالى ٦ أقدام فجعلت الصعود سهلاً إلى كنيسة سان مينيأتو .
- (٨٤) يشير دانتي إلى ما حدث فى عهده من أن نيقولا أتشايولى (Niccolò Acciaiuoli) — أحد حكام فلورنسا فى ١٢٩٩ — قطع ورقة من سجل القضايا لإخفاء المعالم من شهادة زور لصالحه وكشف أمره
- (٨٥) هذه إشارة إلى أن دوناتودى كيارامونتيزى (Donato dei Chiaramontesi) مراقب إدارة الملح فى فلورنسا الذى ارتكب الغش فى مكيال الملح لمصلحته وكشف أمره ويقصد دانتي بهذين المثالين الإشارة إلى العصر السابق عليه الذى لم يرتكب فيه مثل ذلك الغش كما يرى .
- (٨٦) يعنى أن الصخر الذى ينحدر شديداً من الدائرة الثانية إلى الدائرة الأولى يصبح معتدل الانحدار فى هذا الموضع ، على غرار الدرجات التى تؤدى إلى كنيسة سان مينيأتو .
- (٨٧) أى أن حوائط الصخر كانت متقاربة بحيث يصعب المرور ، ويشبه هذا المعنى ما أورده فرجيليو
- Virg. Æn. V. 169-171.
- (٨٨) المقصود أن الملاك رتل بتموجات مختلفة من صوته ربما مع غيره من الأرواح
- Matt. V. 3.
- (٨٩) هذا كما ورد فى « الكتاب المقدس »
- (٩٠) يشبه هذا التعبير ما أورده فرجيليو :
- Virg. Æn. VI. 201.
- (٩١) سبق بكاء المعذبين وعويلهم فى الجحيم
- Inf. III. 22; V. 25; VI. 19; VII. 26; IX. 122; XII. 102;
- (٩٢) أصبح دانتي أخف مما كان عليه قبل زوال الكبرياء عنه ويرى بعض الشراح أن المعنى هنا هو أن السلام الذى أصبح فى درجة انحدارها وتركيبها أسهل فى الصعود عليها
- (٩٣) تولى دانتي الدهشة فأخذ يستوضح فرجيليو الأمر
- (٩٤) يعنى حتى تزول عن جبين دانتي علامات سائر الخطايا

- (٩٥) أى العلامة الخاصة بخطيئة الكبرياء والفطوسة
- (٩٦) يعنى عندما تزول عنه الخطايا سيجد لذة قائمة فى الصعود أعلى .
- (٩٧) هكذا يرسم دائتى صورة حية لمن يسير وقد تولاه الشك .
- (٩٨) أى إشارات من الغير بالابتسام أو بغمز العين أو بحركة الرأس أو اليد لمن يسير ولا يشعر بما فوق رأسه
- (٩٩) يشبه هذا التعبير ما أورده أوفيديوس
Ov. Met. XV, 566,
- (١٠٠) يتحسس دائتى جبينه بأصابعه لكى يتبين الأمر
- (١٠١) ابتسم فرجيليو علامة الرضا حينما رأى دائتى يتحسس جبينه وقد زالت عنه العلامة الدالة على خطيئة الكبرياء .

الأنشودة الثالثة عشرة^(١)

صعد الشاعران إلى الإفريز الثانى الذى بدا قفراً وفى لون الصخر الداكن رمز الحقد والحسد واهتدى فرجيليو بحركة الشمس ونورها واستعان بها فى سيره ، وسمع دانتى أرواحاً تنطق بدعوات رقيقة إلى مائدة المحبة — التى تمحو الحسد — وتمثلت بأقوال ماريا وأوريسيتس والمسيح . وأمعن دانتى النظر فرأى أشباحاً بعباءات فى لون الحجر ، وأخذته الإشفاق عليها حتى ذرف الدمع الغزير ، وكانوا كالعميان الذين يقفون أمام الكنائس يطلبون الإحسان وقد مال كل منهم برأسه على الآخر ليستدرّوا الرحمة بكلامهم وهيتهم ، وكانوا عاجزين عن رؤية النور ؛ لأن أعينهم أغلقت بأسلاك من حديد كما يصنع بالباز البرى الذى لا يهدأ بالا . وشعر دانتى أنه يسىء إلى هؤلاء العميان إذ يسير بينهم ويراهم وهم لا يرونه ، فأدرك فرجيليو ما يدور بخاطره وحفزه على الكلام دعا دانتى هؤلاء بأن يبدّد الله زبد ضمائرهم لكي تصفو ذاكرتهم ، وسألهم أيوجد بينهم واحد من اللاتين ورأى دانتى شبحاً رافعاً ذقنه كشخص أعشى ، وكان ذلك شبح ساپيا السمينية التى اعترفت له بأنها لم تكن حكيمة حينما فرحت بمصائب الآخرين أكثر من فرحها بمباهجها هى ، وقالت إنها ابتهمت إلى الله أن يحقق إرادته حتى يخسر مواطنوها معركة كولى ، وحينما رأتهم يولّون الأدبار أخذتها بهجة لا تدانيها بهجة ، ثم اتجهت إلى التوبة فى أخريات أيامها وسألت دانتى عن شخصه بعد أن عرفت أنه إنسان حتى واعترف دانتى بأنه لم يرتكب الحسد إلا قليلا ، وأنه يخاف عذاب المتكبرين فى الإفريز الأول وأبدى استعداده لأن يؤدى لساپيا ما تطلبه ، فسألته أن يُعيها بصلاته وأن يحمل ذكرها الحسنة إلى أهلها المتغطرسين

- ١ كنا قد بلغنا ذروة السلم، حيث ينحسر من جديد^(٢) الجبل الذى يخلص الناس من المعصية بارتقاء درجاته^(٣)
- ٤ وهناك إفريزٌ يدور حول الجبل - كالأفريز الأول^(٤) - ، سوى أن قوسه ينحني بصورة أكبر^(٥)
- ٧ وما من روحٍ يرى به ولا صورة تُنظر^(٦) ؛ ويبدو كلُّ من الجبل والطريق عاريين وفي لون الصخر الداكن^(٧)
- ١٠ قال الشاعر « إذا نحن انتظرنا قوماً لنسألهم ، فأخشى أن يتعطل اختيارنا للطريق طويلاً^(٨) »
- ١٣ ثم ثبتت على الشمس عينيه^(٩) ؛ وجعل من جنبه الأيمن لحركته محوراً ، واستدار بالجنب الأيسر من جسمه^(١٠)
- ١٦ وقال « أيها النور المبارك^(١١) ، الذى أدخل فى رعايته الطريقَ الجديدة ، امض بنا كما يقتضيه السير هنا بالداخل^(١٢) »
- ١٩ إنك تدقُّ الدنيا وتشعُّ عليها بضياك^(١٣) : وينبغى أن تكون أنوارك دلائلنا أبداً^(١٤) ، إذ لم يدعُ سببٌ آخر إلى العكس^(١٥) »
- ٢٢ وإن ما نحسبه هنا بمسافة ميّال^(١٦) ، كنا قد قطعناه هناك فى وقتٍ قصير^(١٧) ، بالرغبة الملحة التى تملكتنا^(١٨) ؛
- ٢٥ وسمعنا حفيفَ أرواح تطير نحونا بدون أن نراها ، وأخذتْ تهتف بنداءاتها الرقيقة إلى مائدة المحبة^(١٩) .
- ٢٨ وقال عالياً أول صوتٍ مرَّ بنا فى طيرانه « ليس لهم خمر^(٢٠) » ، ثم مضى من خلفنا وهو يرددُّ قوله^(٢١) .
- ٣١ وقبل أن ننقطع تماماً عن سماع كلماته ببعده عنا ، مرَّ بنا صوتٌ آخر يصيح قائلاً « إننى أوريستس^(٢٢) » ، ولم يتوقف هو كذلك^(٢٣)
- ٣٤ فقلتُ « أواه ، أيتها أصوات هذه يا أبتاه^(٢٤) ؟ » . وفيما كنت أسأله إذا بصوتٍ ثالثٍ يقول « أحبُّوا من نالكم منهم القصر^(٢٥) »
- ٣٧ فقال معلمى الطيب « بالسوط تُلهب هذه الدائرة خطيئةَ الحسد^(٢٦) ، ولذا فإن أهدا به مستمدةٌ من المحبة^(٢٧) »

- ٤٠ وينبغي أن يكون الرادع من نعمة مغايرة^(٢٨) : وفي رأيي—أنك ستسمعها كما أتصور — قبل أن تبلغ طريق الغفران^(٢٩).
- ٤٣ ولكن فلتثبت بصرك بانتباه عبر الهواء^(٣٠) ، وسترى أمامنا قوماً جلوساً ، وقد ارتكز كل منهم على طول الصخر^(٣١) .
- ٤٦ حينئذ حملتُ بعبيّ أكثر من ذى قبل^(٣٢) ؛ ونظرتُ أمامي ، فرأيتُ أشباحاً تسربلتُ بعباءات لا يختلف لونها عن لون الصخر^(٣٣) .
- ٤٩ وبعد أن مضينا إلى الأمام قليلاً ، سمعتهُم يصيحون ”صَلِّ من أجلنا يا ماريا !“^(٣٤) ؛ وسمعتُ صيحاتٍ تنادى بأسماء ”ميكائيل“^(٣٥) و ”بطرس“^(٣٦) و ”جميع القديسين“
- ٥٢ لا أظن أن إنساناً يسير حتى اليوم فوق الأرض ، تبلغ به القسوة حدّاً لا يطعن عنده الأسى قلبه — بما رأيته حينئذ^(٣٧)
- ٥٥ إذ أني حينما أصبحتُ شديد القرب إليهم ، بحيث تبينتُ أوضاعهم جليّة^(٣٨) ، انهم مرير الأسى من عبيّ هتوناً^(٣٩)
- ٥٨ وبدوا لي أنهم تغطّوا بقمماش صُنع من خشبٍ الشعر^(٤٠) ، وتحامل كل منهم على كتف الآخر^(٤١) ، واحتمل الصخر ثقلهم جميعاً
- ٦١ وكالعميان الذين يُعوزهم القوتُ فيقفون في أيام الغفران^(٤٢) ليسألوا حاجتهم ، وقد مال كل منهم برأسه على الآخر^(٤٣) ،
- ٦٤ لكي يسارع إلى إثارة الشفقة في قلوب الناس ، لا برنين كاحاته وحدها ، بل بنظراته التي هي ليست أقلّ تأثيراً^(٤٤) .
- ٦٧ وكما لا يبلغ نور الشمس أعين العميان ، كذلك يأتي هنا نور السماء أن يبسط ظلّه على الأشباح التي تكلمتُ عنها الآن^(٤٥) ؛
- ٧٠ إذ أن سلكاً من حديد يخرق أجفانهم جميعاً ويحيكها^(٤٦) ، كما يُصنع بالباز البري إذ لا يهدأ بالا^(٤٧) .
- ٧٣ وفي مسيرى بدا لي أني أهيهم ، حينما كنت أراهم بدون قدرتهم على أن يروني^(٤٨) : ولذا اتجهتُ إلى ناصحي الحكيم^(٤٩)

- ٧٦ ولكنه أدرك ما أردت بصمتي^(٥٠) أن أقوله : ولذلك لم ينتظر أن أتجه إليه بسؤالى ، بل قال « تكلم ، وكن موجزاً والزم موضوعك^(٥١) » .
- ٧٩ وجاءنى فريجيليو من ذلك الجانب من الإفريز الذى يسهل فيه تعرض الإنسان للسقوط^(٥٢) ، إذ لا يحيط به سور^(٥٣) ؛
- ٨٢ وفى جانبي الآخر^(٥٤) وقفت أشباح المتضعين^(٥٥) ، الذين بكوا بمرارة خلال حياة أعينهم الرهيبة ، حتى اخضلت خدودهم بالدمع^(٥٦)
- ٨٥ واتجهت إليهم وبدأت « أيها القوم الواقفون من مشاهدة الأنوار العلوية ، التى هى وحدها ما تتشوقون إليها^(٥٧) —
- ٨٨ ألا فلتبدد النعمة الإلهية زبد ضائركم سريعاً^(٥٨) ، حتى يسيل مجرى ذاكرتكم صافياً خلالها^(٥٩) ،
- ٩١ فلتخبرونى — إذ سيكون هذا مقبولا لدى عزيزاً — أتوجد هنا بينكم روح من اللاتين^(٦٠) ؛ فقد يكون من الخير لها أن أعرف ذلك^(٦١) »
- ٩٤ « يا أخى ، إننا هنا جميعاً مواطنون من المدينة الحقة^(٦٢) ؛ ولكنك تعنى بسؤالك من عاش فى إيطاليا غريباً^(٦٣) »
- ٩٧ بدا لى أنى أسمع هذا الجواب من روح تتقدم قليلا عن الموضع الذى كنت واقفاً فيه ، ولذا جعلت صوتى مسموعاً أقرب إليهما^(٦٤) .
- ١٠٠ ومن بين الآخرين رأيت روحاً بدت عليها أمارات الترقب ، ولو رغب أحد أن يسألنى "كيف" ؟ ، لقلت إنها كانت مرفوعة الرأس بهيئة المكفوف^(٦٥) .
- ١٠٣ قلت « أيتها الروح التى تروضين نفسك لكى تصعدى أعلى^(٦٦) ، إذا كنت أنت من توجهت إلى الجواب ، فعرفى بشخصك بذكر اسمك أو بلدك^(٦٧) »
- ١٠٦ فأجابتنى « كنت سيينية^(٦٨) ، وإنى أظهر هنا مع هؤلاء القوم من حياتى الآتية ، وإننا لنذرف الدمع إلى من نأمل أن يُعيرنا نفسه^(٦٩) .
- ١٠٩ ولم أكن حكيمة مع أنى دُعيت باسم سابيا^(٧٠) ، وبأرزاء الآخرين كنت أشد ابتهاجاً مما كنت بحظى السعيد^(٧١) .

١١٢ ولكيلا تظنّ أني أخدعك ، فلتتبيّن - فيما أنا أحدّثك - أكنتُ قد جُنّ جنوني (٧٢) - حينما آذن قوس عمرى بالنزول (٧٣) ،

١١٥ كان أهل موطنى قد خاضوا المعركة مع أعدائهم (٧٤) ، على مقربة من كولى (٧٥) ، فأخذتُ أصلىّ لله من أجل ما تجلت فيه مشيئته (٧٦)

١١٨ وهناك مُنّوا بالهزيمة ورُدّوا إلى خطى الحرب المرير (٧٧) ؛ وبينما كنت أشهد مطاردتهم أخذتني بهجةٌ منقطعة النظير (٧٨) ،

١٢١ حتى اتجهت إلى أعلى بوجهي المجترئ رافعة عقيرتي على الله وقلت "لم أعد أخشى بأسك الآن ! (٧٩) - كما يفعل الشحرور بسنوح بارقة من إشراق السماء (٨٠)

١٢٤ ولما أشرفتُ على ختام حياتي أردتُ أن أعقد السلام مع الله ، ولكن ما كان دَيْئى لينقص بعدُ بالندم (٨١) ،

١٢٧ لو لم يحدث أن تذكرني بطرس المشاط (٨٢) في صلواته المقدّسة (٨٣) ، الذى تأسّى على حالى رحمةً بي

١٣٠ ولكن منّ أنت الذى تسير مستفسراً عن حالنا - بعينين مفتوحتين (٨٤) - أعتقد - وتكلم بينما تردّد أنفاسك (٨٥) ؟ .

١٣٣ فقلت « لئن سَأَحرَمَ هنا من عيى (٨٦) ، ولكن لفترة قصيرة ، إذْ قل ما ارتكبتاه من المعاصى بنظرة الحسد (٨٧)

١٣٦ وإن خوفاً أشدّ منه وطأةً يجعلنى معلق النفس ، ألا وهو الخوف من العذاب فى أسفل (٨٨) ، إذْ لا تزال تُثقلنى أحامهم هناك تحت (٨٩) .

١٣٩ فقلت لى « إذّا مَنَّ الذى جاء بك هنا بيننا فوق ، ما دمت تعتقد أنك ستعود إلى أسفل (٩٠) ؟ » فقلتُ « إنه ذلك الذى هو معى ولا ينطق بكلمة (٩١)

١٤٢ ولئننى لإنسانٌ حىّ ؛ ولذا فلتسألنى أيّها الروح المختارة - إذا كنت تريد أن أحرّك بعدُ فى سبيلك قدميّ الفانيتين - فى عالم الأرض (٩٢) .

١٤٥ فأجابت « آه ، هذا شيءٌ جديدٌ على سمعى ، وإنه لدليلٌ عظيمٌ على أنك حبيب الله (٩٣) ؛ ولذا فلتُعنّنى بصلواتك أحياناً (٩٤)

١٤٨ وإني لأسألك باسم ما أنت شديد الشوق إليه^(٩٥) ، إذا وطئت يوماً أرض
تُسكانا ، أن تُعيد ذكراى الحسنه لدى أقربائى^(٩٦)

١٥١ إنك ستراهم بين أولئك القوم المزهوّين^(٩٧) ، الذين يحدوهم الأمل فى
تالامونى^(٩٨) ، سيفقدون هناك أملا أكبر مما راودهم فى العثور على
ديانا^(٩٩) ؛

١٥٤ ولكن أمراء البحر سيُمنون هناك بأفدح خسارة^(١٠٠)»

حواشى الأنشودة الثالثة عشرة

- (١) هذه أولى أنشودات الحاسدين وتعرف بأنشودة ساپيا
- (٢) يقطع الجبل قطعاً دائرياً لكى يصنع الإفريز الثانى
- (٣) يعنى يطهر نفوس الصاعدين على جبل المطهر
- (٤) أى الإفريز الأول فى الأنشودة العاشرة
- (٥) هذا لأنه كلما صعدا الجبل صغرت دائرة الإفريز ولذلك يزداد انحناء دائرته ، والقوس هنا معناه الدائرة
- (٦) هذا بعكس الإفريز الأول فى الأنشودة الثانية عشرة
- (٧) اللون الداكن أو الأغبر رمز للحسد وهذا مقتبس من أوغديوس
- Ov. Met. II. 760
- (٨) أضفت (للطريق) للإيضاح
- (٩) كانت الساعة قد تجاوزت منتصف النهار ، وكان دانتي وفرجيليو على الجانب الأيسر من الجبل ، وبذلك كانت الشمس على يمينهما
- (١٠) استدار فرجيليو لكى يعرف المكان
- (١١) فرجيليو يخاطب الشمس رمز الله والرحمة الإلهية ، وسبق أن أشار كاتوفى إلى ذلك
- Purg. I. 107.
- (١٢) يعنى أن قاعدة السير فى المطهر هى إلى اليمين
- (١٣) أى أن الشمس مصدر الحياة
- (١٤) يستخدم دانتي لفظ الأنوار ولفظ الدلائل بصيغة الجمع لتقوية المعنى .
- (١٥) يعنى إذا لم يعترضهما عائق يجعلهما يسيران فى طريق مخالف فستكون أشعة الشمس رائدهما فى المسير
- (١٦) يقصد دانتي الدنيا بقوله هنا
- (١٧) يقصد دانتي المطهر بقوله هناك .
- (١٨) هكذا حفزت الرغبة القوية دانتي وفرجيليو على الإسراع فى المسير
- (١٩) أى كانت هذه الأرواح تردد نداءها الرقيق إلى مائدة المحبة التى تطهر النفوس من خطيئة الحسد
- (٢٠) هذا ما قالته العذراء ماريا فى وليمة زواج فى الجليل عندما لم تجد النبيذ ، فحول المسيح الماء إلى نبيذ كما ورد فى « الكتاب القدس » ، والمقصود التعبير عن شعور العطف والمحبة نحو من أعوزهم الطعام والشراب
- Giov. II.
- (٢١) مضى الصوت يكرر هذا القول لكى يثير الحب فى قلوب المتطهرين حتى يتخلصوا من الحسد ، وهذا يناسب الحاسدين الذين لم يحبوا إلا أنفسهم
- (٢٢) أوريستس (Orestes) بن أجامنون وكليمنسرا أنقذته أخته إليكترا من الموت عندما تأمرت أمهما على قتل أجامنون ، ونشأت الصداقة بينه وبين پيلاديس ابن ملك فوسيا وانتقم أوريستس لمقتل أبيه وأصيب بالجنون ، وكان لابد لشغائه من العثور على تمثال آرتميس ،

وتعرض فى ذلك لفتك الجمهور ، فأعلن بيلاديس أنه هو أوريستس لينقذ صاحبه من الهلاك ، ولكن أوريستس أفصح عن حقيقة شخصه ، وأنهى الأمر بنجاتهما معاً والمقصود هنا أن أوريستس وبيلاديس قد تحابا حتى حاول كل منهما أن يموت بدلاً من الآخر وهذا المثال يساعد النفس على التخلص من الحسد وأورد هذه الأسطورة أوڤيديوس وشيشرون فى

Ov. Epis. ex Ponto, III. 2, 69...

Cic. De Am. VIII. 24.

- (٢٣) يعنى لم يعد يسمع الصوت الثانى كذلك
- (٢٤) يخاطب دانتي ثرجيليو بلفظ الأب - كما فعل فى مواضع سابقة ويستفسر عن هذه الأصوات
- (٢٥) يشبه هذا قول المسيح للحواريين
- (٢٦) هذا فى مقابل الإفريز الأول الذى يعذب فيه المتكبرون
- (٢٧) أى أن المحبة تخلص النفوس من الحسد
- (٢٨) يعنى ينبغى أن يكون اللجام العائق عن ارتكاب الحسد عائقاً من نوع يخالف أى غير ما اتبع فى التخلص من خطيئة الكبرياء
- (٢٩) يعنى المكان الذى يبدأ عنده السلم المؤدى إلى الإفريز التالى
- (٣٠) استخدم دانتي لفظ (الوجه) ويقصد العينين
- (٣١) هؤلاء هم الحاسدون وقد جلسوا مستندين إلى الصخر فى الإفريز الثانى .
- (٣٢) فتح دانتي عينيه مزيداً لكى يكون أقدر على الرؤية
- (٣٣) أى كانت داكئة اللون وهذا رمز الحسد
- (٣٤) أنشد الحاسدون نشيد القديسين الذين يسألون ماريا ملكة السماء أن تصلى من أجلهم .
- (٣٥) نادى الحاسدون الملاك ميكائيل
- (٣٦) ونادوا بطرس الرسول والمقصود الاستنجاد بالرحمة الإلهية لكى تساعدكم على التخلص من الحسد
- (٣٧) يعنى أنه لا يظن أنه يوجد إنسان قاسى القلب إلى الدرجة التى لا يتأثر بها عند رؤية هؤلاء المتطهرين من خطيئة الحسد
- (٣٨) يصور دانتي بدقة كيف اقترب منهم حتى رآهم بوضوح
- (٣٩) تأثر دانتي المرهف الحس حتى تدفق الدمع من عينيه
- (٤٠) هو قماش خشن يصنع من شعر الخيل وبه عقد تؤلم الظهر ، وفتحات لا تمنع البرد ، وهذا يناسب الحاسدين الذين لم يحبوا أحداً
- (٤١) كان كل اثنين يستندان إلى بعضهما ، وهذا التساند فى المطهر هو بعكس ما اتصفوا به من الحسد ، إذ لم يتحابوا ولم يتعاونوا فى الحياة الدنيا
- (٤٢) فى الوقت الذى كانت تباع فيه صكوك الغفران وفى أيام الأعياد الدينية كان الفقراء يأتون لنيل بعض الإحسان أمام الكنائس
- (٤٣) سقطت أو مالت رؤوس الشحاذين العميان ثقيلة على أكتاف بعضهم بعض ، وبذلك ظهر جيداً أنهم فقدوا البصر ، وهذه صورة دقيقة مأخوذة من الحياة الواقعية
- ويوجد حفر يمثل العميان بما يقرب من هذه الصورة من صنع تينو دى كاماينو من القرن ١٤ فى متحف البلدية فى پيزا

- (٤٤) أى أن الشحاذ الأعمى يؤثر في الناس بمنظره وكلامه معاً
- (٤٥) ارتكب الحاسدون الخطيئة بعيونهم ولذلك يحرمهم الله من النظر في المطهر.
- (٤٦) أغلقت عيون الحاسدين بأسلاك من حديد حتى تمتنع عليهم الرؤية
- (٤٧) هذه صورة مقتبسة من حياة الصيد في عصر دانتي ، وقد تأثر في ذلك بما كتبه الإمبراطور فردريك الثاني عن البيزرة والذي تأثر بدوره بثقافة العرب في هذا الفن
- Fed. II. De Arte Venardi, trans. by Casey A. Wood and F. Marjorie Fyle,
Oxford, 1955. II. XXXVII. pp. 137-138.
- وعقاب الحاسدين بالعمى في هذه الأنشودة وفي الأنشودتين ١٤ و ١٥ يشبه بعض ما ورد في تراث الإسلام؛ إذ تتلقى جهنم أهلها يوم القيامة وهم مغلولو الأيدي والأرجل والرقاب وفي هذا تشابه في العقوبة مع عدم تحديد المعصية:
- الشعراني، عبد الوهاب مختصر تذكرة القرطبي القاهرة ، ١٣٠٨ هـ ص ٧٣
- (٤٨) هكذا يعبر دانتي المرفف الحس عن احتمال إساءته إلى العميان حينما يراهم بدون أن تكون لهم القدرة على رؤيته ، وهذا إحساس غاية في الدقة لا يدركه إلا دانتي أو من يقترب منه
- (٤٩) اتجه دانتي إلى فرجيليو كأنه يستأذنه في الكلام لكي يشعر العميان بوجوده
- (٥٠) استخدم دانتي لفظ (الأخرس) ويقصد نفسه
- (٥١) هكذا حفز فرجيليو دانتي على أن يتكلم كلاماً موجزاً محدداً واضحاً ويشبه هذا المعنى ما سبق
- (٥٢) كان الشاعران يسيران صوب اليمين وكان إلى يسار دانتي أرواح المتطهرين وإلى يمينه فرجيليو .
- (٥٣) سار فرجيليو إلى يمين دانتي حتى لا يسقط من الإفريز
- (٥٤) يعنى إلى الجانب الأيسر
- (٥٥) كانت الأرواح الخاشعة المتضعة ترتل في تفكيرها نشيد القديسين
- (٥٦) ذرف المتطهرون دموعهم بصعوبة خلال أعينهم المغلقة بأسلاك الحديد .
- (٥٧) الله وحده غاية الطوباويين وعليه يتوكلون ، ويشبه هذا المعنى ما ورد في « الكتاب المقدس »
- Salm. XL. 3.
- (٥٨) يعنى فلتتمح الرحمة الإلهية كل ما في نفوسهم من آثار الحسد .
- (٥٩) أى لكي تتم رؤيتهم لله بعد تخلصهم من شوائب الخطيئة
- (٦٠) يعنى من الإيطاليين ، وسبق هذا التعبير
- Inf. XXII. 85; XXVII. 33; XXIX. 88; Purg. XI. 58.
- (٦١) أى أنه إذا عرفها فسيذكرها في دنيا الأحياء .
- (٦٢) يعنى مدينة الله أو مدينة السماء ، وتسمى أورشليم كذلك ، وورد هذا التعبير في « الكتاب المقدس »
- Apoc. XXI. XXII. 14; ecc...
- (٦٣) في الأصل لفظ حاج (peregrino) والمقصود أنه غريب مرتحل عن مدينة الله ، والإنسان عند دانتي غريب بعيد عن مدينة السماء طالما هو غارق في خطايا الدنيا ، وتنتهى غربته بعودته إلى السماء . وكرر دانتي استخدام لفظ الحاج بهذا المعنى
- Purg. II. 63; VIII. 4;

- (٦٤) نظراً لأن هذه الأرواح كانت عاجزة عن الرؤية جعل دانتى نفسه مسموعاً لديها برفع صوته وبحركة سيره
- (٦٥) فصل دانتى هذه الروح عن سائر المتطهرين وصورتها مأخوذة من الملاحظة الدقيقة للكفيف الذى يرفع رأسه متطلعاً إلى النور
- (٦٦) أى تظهر نفسها حتى تصبح جذيرة بالصعود إلى السماء
- (٦٧) قال دانتى فى الأصل (بالمكان أو بالاسم)
- (٦٨) يعنى من أهل سيينا (Siena) وتبدأ هذه الروح بالاعتراف بخطيئتها وتحلل نفسها بنفسها
- (٦٩) فى الأصل (حتى يعيرنا نفسه) والمقصود أن هذه الأرواح تبكى ضارعة إلى الله أن يتجلى لها
- (٧٠) لم تكن عاقلة حكيمة مع أن اسمها مشتق من الحكمة، وهى بذلك تسخر من نفسها. وهذه هى ساپيا دا سيينا (Sappia da Siena) وهى نبيلة من أسرة بيجوزى (Bigozzi) تزوجت من جينيبالدو دى سارتشيبى (Ghinibaldo dei Sacini) سيد كاستليونتشلو (Castiglioncello) بقرب مونتريدجوني (Montreggioni)، وهى عمه پروفتتزان سالفانى (Provenzano Salvani) السالف الذكر (Purg. XI. 121) ويقال إنها نفيت من فلورنسا فامتلاً قلبها بالحدس والحقد على مواطنيها، وابتهجت عندما انتصر الحلف الفلورنسيون على سيينا الجبلية
- (٧١) بلغ بها الحقد والحدس أنها كانت تفرح بويلات الغير أكثر مما تبتهج بما تناله هى من أسباب السعادة
- (٧٢) تريد ساپيا أن يصدق دانتى إلى أى حد كانت مليئة بالحقد والحدس
- (٧٣) المقصود أنها تجاوزت منتصف العمر أى من ٣٥، وهذا لا يطابق الواقع لأنها كانت عندئذ قد أشرفت على الستين
- (٧٤) الأعداء هنا هم الفلورنسيون
- (٧٥) كولى (Colle) مدينة تقع على تل بقرب سيينا فى وادى إل سا وفى ١٢٦٩ وقعت عندها معركة بين قوات سيينا الجبلية بقيادة سالفانى - تؤيدها قوات ألمانية وأسبانية - وبين قوات فلورنسا الخلفية - تؤيدها قوات فرنسية، وانتهت بانتصار فلورنسا، وكان ذلك بمثابة انتقام لهُزيمتها فى موقعة مونتاپرى.
- وتوجد صورة صغيرة لهُزيمة أهل سيينا فى كولى ولجندي من المشاة يحمل رأس پروفتتزان سالفانى وترجع إلى القرن ١٤، وهى فى مكتبة كيجى فى روما
- (٧٦) صلت ساپيا إلى الله لكى ينفذ حكمه وقضاه بهزيمة سيينا، أى أن صلاتها اتفقت وإرادة الله، وكانت صلاة رهيبة دعت فيها إلى هزيمة قوميها
- (٧٧) تذكر ساپيا بلذة فائقة الهزيمة والارتداد والهرب الميرير الذى لحق بجند سيينا
- (٧٨) ابتهجت ساپيا بهجة منقطعة النظير للهزيمة التى حلت بوطنها وهذا من أشد مراتب الحقد والحدس، وعبر دانتى عن ذلك بقوله إن الهجة التى أحسها ساپيا فاقت سائر أنواع الهجة
- (٧٩) يعنى أنه ما دام الله قد هزم مواطنيها فى المعركة فلم يعد لديها ما تخشى الله من أجله، وليفعل بها ما يشاء طالما أن قومها قد هزموا وهذا منتهى الحقد من جانبها على أهل سيينا
- (٨٠) يخشى الشحرور البرد، وإذا رأى بارقة من الطقس الجميل يخرج مبتهجاً من وكره وقد ظن أن الشتاء قد انتهى، وتسمى الأيام الأخيرة من يناير فى شمال إيطاليا أيام الشحرور.
- (٨١) أى أن مكانها كاد يصبح مع المهملين الكسالى فى مقدمة المطهر لأنها تأخرت فى التوبة والندم، وهى تنجس هنا إلى السلام يعد الحقد العنيف.

(٨٢) پيتر پتيناو (Pier Pettinaio) - بطرس المشاط - هو پيتر و دا كامبي (Pietro da Campi) من كيانتى (Chianti) في شمال شرق سيينا كان يعمل في صناعة أمشاط الشعر وتجارتها واشتهر بأمانته وعفته حتى اعتبره كثيرون واحداً من القديسين ، ومات في ١٢٨٩ ، وأقيم له قبر في سيينا واعتادت ساپيا أن تمدّه بالإحسان الذي كان يوزعه على الفقراء والمحتاجين وتوجد صورة ترجع إلى القرن ١٤ تمثل بطرس المشاط واقفاً وهي بمتحف الفنون في سيينا

(٨٣) يعنى أن صلوات پيتر و پتيناو رفعت ساپيا من مقدمة المطهر إلى الإفريز الثاني
(٨٤) أى أن دانتى يسير بعينين لم يغلقهما السلك ، وعرفت ساپيا ذلك من كلام دانتى وحركة سيره ، وهي هنا تتجه للاستفسار عن تحدّثه بعد أن أفضت بما في نفسها
(٨٥) سمعت ساپيا - التي لا ترى - أنفاس دانتى وهو يتكلم فأدركت أنه على قيد الحياة وأنه لم يأت هنا لكى ينال عذاب التطهير

(٨٦) يعنى ستغلق عيناه هنا بالسلك ، ويحاول دانتى بقوله أن يخفف عما تعانیه ، لأنه ارتكب الحسد قليلاً في أثناء الحياة ، وهذا من جانبه شعور رقيق عطوف يناسب التعاطف بين النفوس في المطهر

(٨٧) يعترف دانتى بأنه لم يشعر كثيراً بالحسد نحو الناس
(٨٨) يخاف دانتى من عذاب آخر في الإفريز الأول في أسفل - أى إفريز المتكبرين
(٨٩) يقصد أنه كان متكبراً في الحياة وأنه لا يزال يشعر بعبء ما ارتكبه بخطيئة الكبرياء ، ولا يزال يحس بثقل الأحجار التي يحملها المتكبرون فوق ظهورهم
(٩٠) يحسن أن يفسر المقصود بأنه الرجوع إلى الأرض - لا إلى الإفريز الأول كما يرى بعض النقاد - لأن ساپيا أدركت أن دانتى على قيد الحياة ، ولذا فلا بد من رجوعه إلى الأرض

(٩١) أى فرجيليو
(٩٢) يريد دانتى أن يؤدى خدمة لساڤيا حينما يعود إلى الأرض
(٩٣) أبدت ساپيا دهشتها عندما علمت أن دانتى لا يزال على قيد الحياة وبذلك عرفت أنه متمتع ضاً الله ويقول النص (إنه دليل عظيم على أن الله يحبك)
(٩٤) أسألت ساپيا دانتى أن يعاومها بالصلاة من أجلها

(٩٥) يعنى السلام الأبدى
(٩٦) أى يخبر أهلها بأنها ليست بين الملعونين في الجحيم بل إنها تتطهر لكى تنال الخلاص ويوضح هذا القول الارتباط الوثيق بين الدنيا والآخرة عند دانتى
(٩٧) لا تزال ساپيا تحمل على أقربائها ولا تقول عنهم كلمة طيبة مع أن هذا لا يناسب المتطهرين الذين يأملون في بلوغ السماء ، وفي هذا مزج بين عواطف الدنيا ومشاعر الآخرة
(٩٨) تالاموني (Talamone) قلعة وميناء اشترتها سيينا في ١٣٠٣ وبذلت مالا كثيراً لتجعلها مركزاً دفاعياً وميناء صالحاً في ساحل ماريمما ، ولم تفلح هذه الجهود في عهد دانتى بسبب انتشار الملايا ، ولكن تالاموني أصبحت فيما بعد ميناء صالحاً والأمل في تالاموني يعنى الأمل في الإفادة بهذا الميناء .

(٩٩) ديانا (Diana) اسم هيرجوني اعتقد أهل سيينا بوجوده وبذلوا كثيراً من المال والجهد في سبيل الكشف عنه لتموين المدينة بالماء . وسمى هذا النهر كذلك لأنه يقال إنه وجد

تمثال قديم لديانا في ميدان سينا. وبعد موت دانتي كشف عن مجرى مائى أفاد منه أهل سينا ، ويوجد الآن بئر ديانا في دير سانتا ماريا دل كارمى في سينا ويرى بعض النقاد أن دانتي ربما قصد ديانا ذاتها لا مجرد مجرى مائى سمي باسمها لأنها ربة الينابيع وترمز للمياه على العموم هناك خلاف بين النقاد على معنى لفظ (ammiragli) ؛ فالقدماء مهم يرون أن المقصود به من اشتغلوا بالبحث عن المياه الجوفية ، والرأى الأغلب أن المقصود به أمراء البحر ويرى بعض النقاد أن هذا البيت يعنى أن كثيراً من أمراء البحر هلكوا بسبب الملاريا ويرى آخرون أن المقصود بالخسارة هنا أن أمل رجال البحرية لم يتحقق من حيث بناء أسطول قوى يدافعون به عن بلادهم .

وسايبا السينية إحدى الشخصيات الحية في الكوميديا التي تعبر عن نفسها بصدق وإخلاص وبساطة ، وهي لا تخفى شيئاً مما ساورها ، وتذكر الحقد والحسد اللذين أحسهما نحو مواطنيها ، وهي في تطهرها لا تزال تحمل على قومها وتنتعهم بالكبرياء والغطرسة وبذلك تنجاذبها خطيئة الحسد والرغبة في التكفير والتطهر منها في وقت واحد وهذا مزيج دقيق من عواطف البشر المتضاربة التي تأخذ في النهاية سيلها نحو التوبة والغفران. وهذا دليل على أنه ليس من السهل على الإنسان أن يتخلص من الحقد والحسد وأن يتحول إلى السماحة ومحبة الناس وهذه إحدى لمسات دانتي بريشته الباهرة ومحاولته الكشف عن بعض خفايا النفس البشرية

الأنشودة الرابعة عشرة^(١)

سمع دانتى روحين تتكلمان عنه إذ جاء إلى المطهر حيّاً ، وكان الأول هو جويدو دل دوكا والثاني رينييري دا كالبولى وسأله جويدو عن شخصه ومن أين جاء ، فأجابه بأنه أتى من ضفتى هر ينساب وسط تسكانا (ويقصد هر الأرنو) ، وتساءل رينييري لم أخفى دانتى اسم النهر ، فتكلم جويدو نيابة عنه وذكر كيف ينحدر النهر ، وكيف يطارد الناس الفضيلة على ضفتيه ، وقال إن النهر يجد على جانبيه خنازير قبيحة (أهل كازنتينو) ، ثم يلقى كلاباً تنبح بما يزيد عن طاقتها (أهل أريتزو) ، ثم تصبح الكلاب ذئاباً (أهل فلورنسا) ، وفى انحداره يجد الثعالب المليئة بالغدر (أهل پيزا) ، ويقول إن من خير هذا الرجل (أى دانتى) أن يذكر بعد ما يكشف عنه الروح الحق. وقال جويدو: إن حفيد رينييري (فواتشيري) سيصيد الذئب على ضفة النهر الوحشى (الأرنو) ، وسيبيع أجساد الفلورنسيين وهم على قيد الحياة ، وسيخرج ملطخاً بالدم من الغابة الحزينة التى لن تستعيد أشجارها المزدهرة بعد ألف سنة ، وفى أثناء ذلك تولى رينييري الحزن والاضطراب . وتأثر دانتى بهذا الموقف فرجاها أن يفصحا له عن اسميهما فأفصح جويدو دل دوكا عن اسمه وقال إن الحق ملأ قلبه ، حتى إنه كان يكفهر لرؤية غيره سعيداً ، وأفصح عن اسم رينييري دا كالبولى الذى كان زيناً لأسرته ، ولكن لم يرته من هو فى شأله . وذكر أن المنطقة الواقعة بين الپو والأپنين والبحر الأدرياتي وهر الرينو مليئة ببراعم سامة فات الألوان لاقتلاعها حتى تزرع الأرض. وتساءل قائلاً أين خيرة الرجال مثل أريجو ماناردى وپير ترافرسارى وبرناردينو دى فوسكو وفيدريجو تينوزو... وسأل التسكانى (أى دانتى) أن يذهب عنه لأن البكاء يلد له أكثر من الكلام وسار دانتى وفرجيليو ، وسمعا أصوات بعض من يتألون العقاب لكى يتطهروا من الحسد وختم فرجيليو الموقف بالتنديد بالبشر الذين يتطلعون إلى الأرض دون السماء فيأخذهم الله بالعذاب الأليم

- ١ منْ ذَا الَّذِي يَطُوفُ حَوْلَ جِبَلِنَا (٢) ، وَيَفْتَحُ عَيْنَيْهِ وَيَخْلُقُهُمَا كَمَا يَشَاءُ (٣) —
 قَبْلَ أَنْ يَهْبَهُ الْمَوْتَ نِعْمَةً الطَّيْرَانِ (٤) ؟ »
- ٤ « لَا أَدْرِي مَنْ يَكُونُ (٥) ، وَلَكِنِّي أَعْرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ وَحِيداً (٦) : سَلَّلَهُ أَنْتَ
 عَنْ ذَلِكَ مَا دَمْتَ أَقْرَبَ إِلَيْهِ ، وَلَتَلْقَهُ بِالْتِرْحَابِ حَتَّى يَتَكَلَّمَ (٧) »
- ٧ هَكَذَا كَانَ يَتَحَدَّثُ عَنِّي رُوحَانِ وَقَدْ اسْتَنْدَ أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخَرِ (٨) ، هُنَاكَ
 إِلَى يَمِينِي (٩) ، ثُمَّ رَفَعَا وَجْهَيْهِمَا لِلْمُخَاطَبَتِي (١٠) ،
- ١٠ وَقَالَ أَحَدُهُمَا (١١) « آيَتُهَا النَّفْسُ الصَّاعِدَةُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَمَا زَلَّتْ فِي جَسَدِكَ
 مَغْمُورَةً (١٢) ، أَلَا فَلَئِنْ وَسَّيْنَا رَحْمَةً بِنَا وَلَتُخْبِرُنَا ،
- ١٣ مِنْ أَيْنَ تَأْتِينَ وَمَنْ تَكُونِينَ (١٣) ؛ إِذْ أَنْ مَا مُنَحْتَمِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ لِيُثِيرَ فِينَا
 الْعَجَبَ ، كَمَا يَتَأَنَّى مِنْ أَمْرٍ لَمْ يَحْدِثْ مِنْ قَبْلِ أَبَدٍ (١٤) »
- ١٦ فَقُلْتُ « فِي وَسْطِ تَسْكُنَانَا يَنْسَابُ جَدُولٌ (١٥) ، يَنْبَعُ فِي فَالْتِيْرُونَا (١٦) ،
 وَلَا يَمْلُؤُهُ مَجْرًى يَبْلُغُ طَوْلُهُ مِائَةَ مِيلٍ (١٧) »
- ١٩ وَمِنْ ضَفَّتَيْهِ (١٨) أَحْمَلُ جَسَدِي وَمِنْ الْعَبْثِ أَنْ أَخْبِرَكَ مَنْ أَكُونُ إِذْ
 مَا زَلْتُ رَجُلًا غَيْرَ ذَائِعِ الصَّيْتِ (١٩) »
- ٢٢ عِنْدَئِذٍ أَجَابَنِي ذَاكَ الَّذِي تَكَلَّمَ أَوَّلًا (٢٠) إِذَا كُنْتُ أُسْبِرُ بِإِدْرَاكِي غُورَ
 كَلَامِكَ ، فَإِنَّكَ تَتَحَدَّثُ عَنْ سَهْرِ الْأَرْزَوِ (٢١) »
- ٢٥ وَقَالَ لَهُ الْآخَرُ (٢٢) « لَمْ أَخْجِ هَذَا الرَّجُلَ اسْمَ ذَلِكَ النَّهْرِ ، كَمَا يَفْعَلُ الْمَرْءُ
 حِينَمَا يَتَنَاوَلُ أُمُوراً رَهِيْبَةً (٢٣) ؟ »
- ٢٨ وَغَيَّرَ الشَّبَحَ الَّذِي سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ « لَسْتُ أَدْرِي (٢٤) ؛ وَلَكِنْ يَجْدُرُ
 حَقًّا أَنْ يَزُولَ اسْمُ مِثْلِ ذَلِكَ الْوَادِي (٢٥) »
- ٣١ لِأَنَّهُ مِنْ مَنبَعِهِ (٢٦) — حَيْثُ يَكُونُ الْجِبَلُ الَّذِي يَنْفَصِلُ عَنْهُ بِيْلُورْسُ (٢٧)
 شَاهِقَ الْإِرْتِفَاعِ (٢٨) ، حَتَّى إِنَّهُ لَا يُسْتَجَاوِزُ إِلَّا فِي مَوَاضِعَ قَلِيلَةٍ (٢٩) —
- ٣٤ لِأَنَّهُ مِنْ مَنبَعِهِ (٣٠) — إِلَى مَصْبِهِ (٣١) حَيْثُ يُسْتَعَاضُ عَمَّا تَجَفَّفَهُ السَّمَاءُ مِنْ مَيَاهِ
 الْبَحْرِ (٣٢) ، وَبِذَا تَسْتَمِدُّ مِنْهَا الْأَنْهَارُ مَا تَحْمِلُهُ فِي مَجَارِيهَا (٣٣) —
- ٣٧ هُنَاكَ يُضْمَعُ الْجَمِيعُ فِي مَطَارِدَةِ الْفَضِيلَةِ (٣٤) عَلَى أَنَّهَا عَدُوٌّ كَالْأَفْعَى ،
 لِأَنَّ لَشَوْمَ الْمَكَانِ (٣٥) أَوْ بِالْعَادَاتِ الْحَبِيبَةِ الَّتِي تَحْمِلُهُمْ عَلَى ذَلِكَ (٣٦)

- ٤٠ وبذلك تغيرت طباع أهل الوادى البئيس^(٣٧)، حتى لَيَبْدُو أن تشير تشى هى التى أطلقتهن إلى الرعى^(٣٨)
- ٤٣ يتجه النهر لأول وهلة بمجره الضئيل^(٣٩)، بين خنازير قبيحة تناسبها ثمار البلوط أكثر من سائر الأطعمة المعدة لغذاء البشر^(٤٠)
- ٤٦ ثم فى انحداره إلى أسفل يجد كلاباً تعوى بما يزيد عن طاقتها^(٤١)، فيشيع عنها بوجهه المزدري^(٤٢)
- ٤٩ ويمضى هابطاً^(٤٣)، وكلما يزداد اتساعاً^(٤٤)، يلتقى الخندق البائس اللعين^(٤٥) مزيداً من الكلاب التى تستحيل ذئاباً^(٤٦)
- ٥٢ وفى نزوله بعدُ خلال مهاوٍ أعمق^(٤٧)، يجد ثعالبَ بالغدر مُفْعمة ، حتى لا تخشى أن تقع هى بذاتها للغدر ضحية^(٤٨)
- ٥٥ ولن أكفّ عن الكلام ولو سمعى غيرك^(٤٩)؛ وسيكون من الخير لهذا الرجل أن يذكر فيما بعد^(٥٠)، ما يكشف لى عنه صادقُ الإلهام^(٥١)
- ٥٨ وإنى لأرى حفيدك^(٥٢) يصبح صائداً لتلك الذئاب^(٥٣) على ضفة النهر العاتى^(٥٤)، ويبعث الرعب فى قلوبها جميعاً^(٥٥)
- ٦١ وأراه يبيع أجسادها وهى لا تزال حية^(٥٦)، ثم يقتلها كما يُقتل الثور العجوز^(٥٧) ومن الحياة يحرم الكثيرين ومن المجد يحرم نفسه^(٥٨)
- ٦٤ ويخرج ملطخاً بالدم من الغابة الحزينة^(٥٩) ويتركها بحيث لن تستعيد أشجارها - خلال ألف سنة - الحال التى كانت عليها من قبل^(٦٠)»
- ٦٧ وكما عند إعلان الأنباء الأليمة ، يضطرب وجهه من يُصغى إليها ، فى أية ناحية يُنشِب الخطر أنيابه فيها^(٦١) ،
- ٧٠ هكذا رأيتُ الروح الآخر^(٦٢) الذى كان قد اتجه لى يُنصت ، رأيتُه يضطرب ويأخذهُ الأسى ، بعد أن تلقى هذه الكلمات^(٦٣)
- ٧٣ حديثُ أحدهما ومرأى الآخر^(٦٤) جعلانى حريصاً على أن أعرف اسميهما ، فوجهتُ إليهما سؤالى مقترباً بالرجاء^(٦٥) ؛
- ٧٦ وعندئذ استأنف الروح الذى حدثنى أولاً^(٦٦) : « إنك تريد أن أحمل نفسى على أن أفعل فى سبيلك ، ما أنت راغبٌ عن فعله فى سبيلى^(٦٧) »

- ٧٩ ولكن لما كان الله يريد أن يُشعّ في شخصك فيضَ نعمائه ، فإن أكون عليك في شيءٍ بخيلاً^(٦٨) ، ولذلك فلتعلم أنى أدعى جويدو دِلْ دوكا
- ٨٢ ولقد كان دى بنار الحقد يستعر ، حتى كنت ترانى مكفهرّ الوجه حينما أشهد إنساناً يفيض بيشراً^(٦٩)
- ٨٥ ومن زرعى أحصد مثل هذا القش^(٧٠) : أيها البشر ، لم تضعون قلوبكم حيث تمتنع المشاركة بالضرورة^(٧١) ؟
- ٨٨ هو ذا رينييرى^(٧٢) ؛ إنه زينٌ وفخرٌ لببيت كالبولى^(٧٣) ، حيث لم يرثه من بعده من هو فى حسن شمائله^(٧٤)
- ٩١ وفيما بين الدو والجلبل وفيما بين شاطئ البحر والرينو^(٧٥) ، ليس دمه وحده هو الذى أعوزه الخير الضرورى للحياة الحقّة وللعيش السعيد^(٧٦) ؛
- ٩٤ إذْ أن ما بداخل هذه الحدود ملىءٌ بالبراعم السامة^(٧٧) ، حتى فات أوان تطهيرها لكى تزرع الآن^(٧٨)
- ٩٧ أين ليتزرو الطيب^(٧٩) وأرتيجو ماناردى^(٨٠) ؟ وأين پير ترافرسارو^(٨١) ، وجويدو دى كارپينيا^(٨٢) ؟ آه منكم يا أهل رومانيا ، يا مَنْ أصبحتم أنذالا^(٨٣) !
- ١٠٠ متى يولد من جديد فى بولونيا رجلٌ مثل فابرو^(٨٤) ؟ ومتى يظهر فى فاينترا رجلٌ كبرناردينو دى فوسكو^(٨٥) — نبتاً نبيلاً من عشب مهين ؟
- ١٠٣ فلا تعجبنّ أيها التسيكافى إذا ما بكيت^(٨٦) ، حينما أذكر جويدو دا پراتا^(٨٧) مقروناً بأوجولينو داتزو^(٨٨) ، الذى عاش بين ظهرانينا ،
- ١٠٦ وحينما أذكر فيدريجو تينوزو^(٨٩) وصّحبه ، وببيت ترافرسارا^(٩٠) وآل أناستاجى^(٩١) (وقد صارت كل من أسرتيهما بدون عقب) ،
- ١٠٩ والنساء والفرسان^(٩٢) ، والمتاعب والمباهج^(٩٣) ، التى أوحّت إلينا بالحبة والنبالة ، حيث باتت القلوب الآن مفعمة بالشر^(٩٤)
- ١١٢ أيا قرية إرتينورو^(٩٥) ، لم لا تهربين بعيداً ، ما دامت أسرتك^(٩٦) قد ولّت وولّى معها كثيرون ، حتى لا ينال الفساد منهم منالا ؟

- ١١٥ وحسناً تصنع بانيا كإفال (٩٧) التي لا تُسجَب من الأبناء مزيداً ، وشرّاً تفعل كاستر وكارو (٩٨) ، وتفعل كونيو أسوأ منها (٩٩) ، إذ لا تزالان حريصتين على إنجاب مثل هؤلاء الكونتات (١٠٠)
- ١١٨ وسيسُحسَن آل پاچانی صُنْعاً (١٠١) ، بعد أن يذهب عنهم شيطانهم (١٠٢) ؛ ولكن لن تبقى لهم أبداً عاطر الذكرى (١٠٣)
- ١٢١ أيا أوجولينو دي فانتولبي ، لقد صرت الآن مأمون السمعة (١٠٤) ، إذ لا يُرتقب مني يمكنه بمفاسده أن يحيلها إلى حُلْمِكة الإظلام
- ١٢٤ ولكن فلترحل عني الآن أيها التسكاني (١٠٥) ؛ إذ يبهجني الآن البكاء أكثر من الكلام ، فلقد أحزن حديثنا قلبي (١٠٦) »
- ١٢٧ وأدركنا أن هذه الأرواح العزيزة (١٠٧) قد سمعت وقع أقدامنا ونحن نسير ؛ ولذا جعلتنا بسكوتهما آمِنَتَيْن في الطريق الذي سلكناه (١٠٨)
- ١٣٠ وبعد أن صرنا وحيدين بتقدمنا في المسير (١٠٩) ، مرّق قُبالتنا دوىٌ بدا كالبرق حينما يشقّ أجواز الفضاء ، وأخذ صوتٌ يقول (١١٠)
- ١٣٣ « كلٌّ مَن وَجدني يقتلني (١١١) » ؛ وانحسر مُدْبِراً كالرعد الذي يندى ، إذ يشقّ فجأة طيّات السحاب (١١٢)
- ١٣٦ وما إن أصبح لسمعنا منه هدنة ، إذا بنا نسمع دويّاً آخر شديد التكسر ، حتى بدا كالرعد الذي يتبع ومضى البرق تَوّاً (١١٣) ، وقال
- ١٣٩ « لئنني أجلاؤروس التي تحولّت إلى حجر (١١٤) » ولكي ألنصق بشاعري خطوتُ عندئذٍ إلى اليمين لا إلى الأمام (١١٥)
- ١٤٢ وكان الهواء قد سكن في كلِّ جانب ، فقال لي عندئذٍ (١١٦) « كان هذا هو الزمام القاسي الذي كان عليه أن يحفظ الناس داخل حدودهم (١١٧)
- ١٤٥ ولكنكم تتناولون الطَّعمَ (١١٨) بحيث يجتذبكم عدوكم القديم إليه بحركة من خطافه (١١٩) ؛ ولذا قلّ أن ينفعكم الآن عِنانٌ (١٢٠) أو نداء (١٢١)
- ١٤٨ وإن السماء لتُناديكم (١٢٢) ، وتدور من حولكم مُبديّةً لكم كائناتها الأبديّة الجميلة (١٢٣) ، ومع ذلك فلا تتطلع أعينكم إلا إلى الأرض (١٢٤) ؛ ولذا يصبّ عليكم عذابَه من هو بكلِّ شيءٍ عليم (١٢٥) .

حواشي الأنشودة الرابعة عشرة

- (١) هذه هي الأنشودة الثانية والأخيرة الخاصة بالحاسدين وتسمى أنشودة جويدو دل دوكا ورينييري دا كالبولي
- (٢) هذا حديث بين روح جويدو دل دوكا وروح رينييري دا كالبولي وهما يحاولان التعرف على الإنسان الحي (دانتى) ، الذى سمعاه يتحدث منذ هنية إلى ساپيا ويدور حول جبل المطهر والمتحدث الأول هو جويدو دل دوكا دى برتينورو (Guido del Duca di Bretinoro) من رومانيا وينتمى إلى أسرة أونستى (Onesti) فى رافنا وكان من الجبلين الذين طردوا الجلف من رافنا من ١٢١٨ ولكن الجلف عادوا وطردوا الجبلين ولم يسمع شئ عن جويدو فى رافنا منذ ١٢٢٩
- وتوجد صورة لآل جويدو ترجع إلى القرن ١٤ فى قلعة پوي .
- (٣) عرف ذلك كما جاء فى الأنشودة السابعة Purg. XIII. 130-132.
- (٤) يعنى أن الموت يخلص الروح من الجسم فتطير إلى العالم الآخر
- (٥) المتحدث الثانى هو رينييري دا كالبولي (Rinieri da Calboli) من الجلف فى فورلى . تولى منصب العمدة فى فايتتزا وپارما ورافنا وفى ١٢٧٦ هاجم الجلف مدينة فورلى ، ولكنهم هزموا وسلم رينييري نفسه إلى جويدو دا مونترفلاترو فعفا عنه ولكنه أحرق قلعة كالبوليتو . وقام رينييري مع الجلف لمحاربة أمراء رومانيا (Inf. XXX. 77) فى فورلى وانتصروا عليهم . ولكن الجلف هزموا ثم انتصروا ثم هزموا أخيراً فى ١٢٩٦ وقتل رينييري فى أثناء القتال الأخير ووضع دانتى هاتين الشخصيتين معاً وقد عاشا فى جيلين متباعدين وانتصيا إلى حزبين سياسيين متعادين كتعبير عن زوال العداء والحسد بينهما فى المطهر
- (٦) عرف ذلك كما سبق Purg. XIII. 141.
- (٧) كان رينييري حريصاً على أن يسمع من دانتى بعض الكلام فدعا جويدو إلى أن يرحب بدانتى وأن يكون رقيقاً معه حتى يحمله على الحديث وقد افتتح دانتى هذه الأنشودة بهذه المحاورة الطريفة
- (٨) هذا كما كانت الحال فى الأنشودة السابقة: Purg. XIII. 59.
- (٩) لما كان دانتى يحدث ساپيا وهو متجه إلى الصخر كان هذان الروحانيون أبعد قليلاً إلى يمينه .
- (١٠) رفعاً وجهيهما على طريقة العميان
- (١١) هو جويدو دل دوكا
- (١٢) يعنى أن دانتى كان لا يزال على قيد الحياة
- (١٣) يتكلم جويدو فى رقة ويسأل دانتى أن يخبره عن شخصه من باب الرحمة
- (١٤) أدرك جويدو أن هذا الإنسان الحي يتمتع بنعمة إلهية تجعله يزور عالم المطهر بجسمه الفانى ويشير ذلك فى نفسه الدهشة البالغة
- (١٥) يقصد هر الأرنو ويسميه بالجدول لأنه كذلك فى جزئه الأول .

- (١٦) فالتيرونا (Falterona) الجبل الذى ينبع منه الأرنو بين تسكانا ورومانيا
- (١٧) يقصد دانتي أن الأرنو لا يكفيه مائة ميل لكى يصبح هرأ عريضاً وهذا نوع من الاعتزاز بالأرنو نهر الأنهار عنده
- (١٨) أى من فلورنسا
- (١٩) كان دانتي فى سنة ١٣٠٠ معروفاً كشاعر غنائى وكواحد من رجال الدولة ، وقوله إن اسمه لا يعلو ذكره يتضمن شيئاً من التواضع ، وإن كان يتوقع أن ينال الشهرة فيما بعد ، ويشبه هذا ما أورده فرجيليو
- Virg. Eclog. IX. 35-36.
- (٢٠) يعنى جوييدو دل دوكا
- (٢١) أدرك جوييدو أن دانتي يتكلم عن مهر الأرنو .
- (٢٢) أى رينييرى دا كالبول
- (٢٣) يتساءل لم تحاشى دانتي أن يفصح عن اسم مهر الأرنو كمن يتجنب أمراً رهيباً .
- (٢٤) يظهر أن جوييدو لا يعنيه أن يعرف لم أخى دانتي اسم الأرنو .
- (٢٥) ويعنيه أن يزول وادى الأرنو من الوجود ، ويشبه هذا المعنى ما جاء فى « الكتاب المقدس »
- Salm. CIX. ١3...
- (٢٦) يعنى من منبع الأرنو فى جبل فالتيرونا
- (٢٧) يختلف الشراح فى تفسير كلمة (pregno) يرى بعض أنها تعنى الضخم الذى يتفرع عنه عدة سلاسل من الجبال ، ويرى آخرون أنها تعنى كثير المياه أو العالى وإن لم يكن هذا الجبل أغزر الجبال ماء ولا أعلاها ، وعلى كل حال فلم يكن من السهل على دانتي فى عصره أن يعرف أى الجبال أغزرها ماء وأعظمها ارتفاعاً
- (٢٨) يقصد أن جبال الأبينين قد انفصل عنها جبل پيلوروس (Pelorus) المسمى برأس الفنار فى صقلية ، وكان متصلاً بالأرض الإيطالية فى زمن الميوسين من العصر الجيولوجى الثالث ويدل هذا على اهتمام دانتي بالجغرافيا والجيولوجيا ، وأورد ذلك فرجيليو ولوكانوس
- Virg. Æn. III. 414-419.
- Luc. Phars. II. 437-438.
- (٢٩) أى قل أن يفوق هذا الجبل جبل آخر فى الارتفاع - أو فى الضخامة أو وفرة المياه - فى نظر دانتي
- (٣٠) كررت تعبير (لأنه من منبعه) الموجود فى بيت ٣١ لإيضاح المعنى
- (٣١) يعنى إلى حيث يصب مهر الأرنو فى البحر التيرانى ، وفى الأصل ورد لفظ (هناك)
- (٣٢) أى أن الشمس تبخر مياه البحر
- (٣٣) يعنى أن المطر يملأ الأنهار بالمياه التى تحملها فى مجاريها ثم تردّها إلى البحر ، وبذلك تعوض ما تبخره الشمس بحرارها من البحر
- (٣٤) يختلف النقاد فى تحديد معنى (si fuga) هنا ، فىرى بعض أنها تعنى الهرب ، ويرى آخرون أنها تعنى المطاردة ، وهناك صلة بين المعنيين
- (٣٥) أى ربما كان المكان لشؤمه أو سوء حظه يحمل الناس على ارتكاب الخطيئة بتأثير النجوم
- (٣٦) يعنى ربما تحمل العادات السيئة الناس على ارتكاب الخطيئة ، وبذلك تطارد الفضيلة - أو تهرب - كأنها عدو والمقصود أن الفضيلة مكروهة من منبع مهر الأرنو إلى مصبه

- (٣٧) أى أن أهل وادى الأرنو قد غيروا من طباعهم الإنسانية .
 (٣٨) تشيرتشي (Circe) الساحرة الأسطورية التى حولت رجال أوليسيس إلى حيوانات ، كما ذكره
 فرجيليو ، وسبقت الإشارة إليها

Virg. Æn. VII...

Inf. XXVI. 91-93.

- والمقصود أن سكان وادى الأرنو أصبحوا كالحوانات .
 (٣٩) يعنى يجرى النهر أولاً بمياه قليلة وانحدار قليل
 (٤٠) يقصد أن أهل الكازنتينو الأعلى بين بورتشانو ورومينا أصبحوا كالخنازير ، وأول بهم أن
 يأكلوا ثمار البلوط لا الطعام المعد لغذاء البشر
 (٤١) عند ما يعبر هر الأرنو سهول پوپي وببيينا وكتيبيانو وسوبيانو يصل إلى منطقة أريتزو ،
 والمقصود بالكلاب الصغيرة التى تنبح فوق طاقتها بدون جدوى المقصود بهم أهل أريتزو
 (٤٢) حينما يسير هر الأرنو بين هؤلاء الكلاب يدير فه - مجراه - كالحوان وينحى إلى الشمال
 الغربي وهو غاضب على أهل أريتزو
 (٤٣) أى يسير هر الأرنو فى منطقة لاتيرينا
 (٤٤) يعنى عندما يتلقى الأرنو مياهاً من مجار أخرى .
 (٤٥) يقصد هر الأرنو .
 (٤٦) أى يجد الذئب التى هى أسوأ من الكلاب ويقصد أهل فلورنسا
 (٤٧) يعنى حينما يتجه الأرنو فى واديه الأدنى فى منطقة إيمبول وپيزا. وهكذا يصف دانتي هر الأرنو
 فى مراحل المختلفة ، وكلما انحدر وجد على ضفتيه قوماً أسوأ ويشبه النظام المائى هنا النظام
 المائى لنهر فليجيتونى فى الجحيم الذى يلقى خطايا أشد كلما ازداد هبوطاً
 (٤٨) أى أهل پيزا الجلف الذين هم كالثعالب وبلغ غدرهم حداً يجعلهم لا يخشون غدر أحد بهم .
 وهكذا يعبر دانتي - على لسان جويدو - عن المرارة التى أحسها نحو سكان هذه الأنحاء .
 (٤٩) يقصد دانتي وربما يقصد رينيرى .
 (٥٠) يعنى أنه يتنبأ بالمصير الذى سيلقاه الجلف البيض وما سينال دانتي من المنفى والتشريد ، ومن
 الخير لدانتي أن يكون على علم بما سيناله لكى يتدبر أمره
 (٥١) أى الإلهام الذى ينزىء بما سيحدث فى المستقبل .
 (٥٢) يقصد فولتشييرى دا كالبولى (Fulcieri da Calboli) الذى شغل وظائف العمدة فى ميلانو وپارما
 ومودينا وأصبح عمدة فلورنسا فى ١٣٠٤ ، وفلك بكثير من الجلف البيض والجلبين
 وتوجد صورة صغيرة لفولتشييرى دا كالبولى وتشديده التكير على البيض فى فلورنسا وترجع إلى
 القرن ١٤ ، وهى بمكتبة كيجي فى روما
 (٥٣) يعنى أهل فلورنسا
 (٥٤) هو هر الأرنو ويسميه بالوحشى - أو العاقى - نظراً لما اقترف على ضفتيه من الجرائم .
 (٥٥) هذه لغة الجحيم تعاود ظهورها فى المطهر وهكذا يخرج دانتي على القواعد العامة لعوالم الكوميديا
 من وقت لآخر
 (٥٦) أى أنه خان الجلف البيض وأسلمهم إلى أعدائهم من أجل المال ، وبذلك طالت مدة بقائه فى
 وظيفة العمدة

- (٥٧) يختلف التقاد في تفسير هذا التعبير ، فيقول بعض إن المقصود (يقتلهم أو يفتك بهم كما يفعل الوحش الضارى بفريسته) ويقول آخرون إن المقصود (يقتلهم كما يقتل ثور عجوز لا خير فيه) وهو ما أخذت به
- (٥٨) أى أنه قتل الناس وحرم نفسه من الشئ وجلب عليها اللوم .
- (٥٩) هى فلورنسا ، ويقترب هذا التعبير مما ورد في الجحيم عن الغابة الموحشة Inf. I.
- (٦٠) يعنى لن تعود فلورنسا إلى ما كانت عليه ولو انقضت ألف سنة .
- (٦١) هذا وصف دقيق مأخوذ من الحياة الواقعة حينما يتلقى الإنسان الأنباء الأليمة فيتولاه الفزع والاضطراب
- (٦٢) أى رينيرى دا كالبولى .
- (٦٣) يشبه هذا التعبير ما أورده فرجيليو Virg. Æn. II. 65-66. ويمكن أن تكون الترجمة هنا (بعده أن عد هذه الكلمات موجهة إليه)
- (٦٤) يعنى كلام جويدو ومرأى رينيرى ، وجويدو هو الذى حمل عبء الكلام على حين لم يتكلم رينيرى إلا قليلا ، وكان بهيته مكملًا لكلام جويدو
- (٦٥) هذا هو دانتى الرقيق الذى يسأل ويرجو في وقت واحد ، وهو يرجو لكى يكون سؤاله خفيفاً مقبولا
- (٦٦) أى جويدو دل دوكا ، وسبقت الإشارة إليه في حاشية ٢
- (٦٧) يعنى يريد دانتى أن يذكر جويدو له اسمه دون أن يفعل دانتى ذلك .
- (٦٨) لا يحس جويدو بالحسد لأن الله منح دانتى كثيراً من نعمه ولذلك فهو لا يبخل عليه بما يطلبه ويفصح عن اسمه
- (٦٩) من علام الحقد والحسد أن يكفهر وجه الإنسان حينما يرى غيره سعيداً
- (٧٠) ورد معنى مقارب في « الكتاب المقدس » Galat. VI. 8.
- (٧١) أى لم يحرص الناس على امتلاك ما يصعب المشاركة فيه ؟ والمقصود ثروات الدنيا ، وأولى بالبشر أن يحرصوا على الخير الروعى الذى يمكن أن يشارك فيه الجميع ، وهذا يعنى أن المتحدث قد تاب عن الحسد . وهناك عودة إلى هذا المعنى بعد
- (٧٢) هو رينيرى دا كالبولى .
- (٧٣) كالبولى (Calboli) منطقة صغيرة في وادى هر مونتوفى - الذى يصب في بحر الأدرياتيك - وبها قلعة هذا الام ، وبها اشتق اسمهم آل كالبولى الجلف الذين عاشوا في قورلى .
- (٧٤) يعنى أن أسرة كالبولى قد أصابها الانحلال
- (٧٥) أى رومانيا (Romagna) التى يحدها هر الهو شمالا وجبال الأبنين جنوباً والبحر الأدرياتي شرقاً وهر الرينو (Reno) غرباً
- (٧٦) يعنى ليس هو وحده الذى أعوزه الخير الضرورى للحياة المسيحية الصالحة وللحياة الدنيوية السعيدة .
- (٧٧) يقصد أهل رومانيا الأشرار
- (٧٨) أى فات الأوان لإصلاح الحال .
- (٧٩) ليتيزودا فالبون (Lizio da Valbona) نبيل من رومانيا عاش في القرن ١٣ ، وهو من أنصار رينيرى دا كالبولى ، ومع أنه من الجلف فقد انضم إلى جبلين فلورنسا بعد موقعة مونتأبرى

وانضم إلى رينيرى فى مهاجمة فورلى فى سنة ١٢٦٧ ، حيث هزمه جويدو دا مونترفلترو ، ومات فى الغالب قبل سنة ١٣٠٠ ، وعرف بالشجاعة والكرم

(٨٠) أريجيو مايناردى (Arrigo Mainardi) مواطن من برتينورو بقرب فورلى ، وأسره أهل فاينترا مع پير ترافرسارو فى ١١٧٠ وعاش حتى ١٢٢٨ تقريباً ، واشتهر بالكرم والشهامة

(٨١) پير ترافرسارو (Pier Traversaro) من أسرة جيلينية فى رافنا وأصبح عمدها ، وكان من أنصار فردريك الثانى ومات فى ١٢٢٥ ، واشتهر بالفخامة والأبهة وانضم ابنه پاولو من بعده إلى الخلف وهبط مستوى الأسرة وطردت من رافنا ، وحل مكانها أسرة دا بولنتا التى رحبت بدانق وأكرمته فى أواخر حياته .

(٨٢) جويدو دا كارپينيا (Guido da Carpigna) نبيل من فرع من أسرة مونترفلترو ، وكان من الخلف وحارب فردريك الثانى وأصبح عمده رافنا فى ١٢٥١ ، ومات حوالى ١٢٨٩ ، واشتهر بالكرم وعزة النفس .

(٨٣) يندد جويدو دل دوکا بما آل إليه أهل رومانيا وكيف تخلوا عن صفات أسلافهم الطيبة (٨٤) فابرو دى لامبرتاتزى (Fabro dei Lambertazzi) من الجبلين فى بولونيا وشغل وظيفة العمدة فى فاينترا ويستويا وفيتربو وپيزا ، وكان على رأس الصليبيين البولونيين فى ديمياط سنة ١٢١٧ ، وحارب مودينا ورافنا ومات سنة ١٢٥٩ . وبهذا بدأ اضمحلال أسرته ، واشتهر بالشجاعة والشهامة

(٨٥) برناردينو دى فوسكو (Bernardino di Fosco) رجل من أصل بسيط ، ولكنه أصبح من أبرز رجال فاينترا لما أبداه من الطيبة والشجاعة فى الدفاع عن مدينته ضد قوات فردريك الثانى فى ١٢٤٠ وأصبح عمده پيزا فى ١٢٤٨ وعمده سينا فى ١٢٤٩ ، ولا يعرف تاريخ وفاته . (٨٦) يسأل دانق - بدون أن يعرف اسمه ويكنى أن يناديه بالتسكانى - يسأله ألا يعجب إذا كان يبكى لتغير الأحوال

(٨٧) جويدو دا پراتا (Guido da Prata) مواطن من أهل رومانيا ، وتقع پراتا بين فورلى وفاينترا ورافنا ، وعاش جويدو فى رافنا وأصبح شخصاً بارزاً فيها بما امتلكه بقربها من الأرض ، ومات بين ١٢٣٥ و ١٢٤٥

(٨٨) أوجولينو داتزو دل أوبالدينى (Ugolino d'Azzo degli Ubaldini) التسكانى ، كان من أصحاب الأملاك ومن ذوى النفوذ فى فاينترا ومات فى ١٢٩٣

(٨٩) فيدريجو تينيوزو (Federigo Tignoso) نبيل من ريمى اشتهر بالثراء والكرم وعاش فى القرن ١٣

(٩٠) هى أسرة ترافرسارو فى رافنا التى ينتمى إليها پيرو السالف الذكر (٩١) آل أناستاجى (Gli Anastagi) أسرة جيلينية فى رافنا أسهمت فى طرد الخلف منها فى ١٢٤٩ ، ثم طردوا بدورهم منها ، ثم اتفقوا مع خصومهم وعادوا إلى رافنا ، ولكن الأسرة تدهورت وانقرضت فى ١٣٠٠

(٩٢) هذه إشارة إلى حياة الحب والفروسية فى العصور الوسطى

(٩٣) هذه إشارة إلى ويلات الحروب ومباهج السلام

(٩٤) يعنى أن الحال قد تبدلت وأصبحت القلوب فى رومانيا مفعمة بالشر

- (٩٥) يخاطب جويدو دل دوكا قريته برتينورو (Brettinoro) ويسألها لم لا تختفى (أو تزول) من وجه الأرض حتى لا يتطرق إليها الفساد
- (٩٦) ربما يقصد آل ماناردى الذين انقرضوا أو آل كافالكافى الذين نفوا أو رحلوا بدون وريث وتركوا أملاكهم لآل جويدو فى نهاية القرن ١٢
- (٩٧) بانيا كافال (Bagnacaval) قرية بقرب رافنا لم يخلف أصحابها آل مالثيتشى أبناء من الذكور فى ١٣٠٠
- (٩٨) كاستروكارو (Castrocaro) قلعة فى وادى هر مونتوفى وكانت ملك آل أورديلافى من فورلى
- (٩٩) كونيو (Conio) قلعة قريبة من إيمولا وكان أصحابها آل دا باربيانو الجلفيون وهدمت هذه القلعة تماماً
- (١٠٠) أى مثل هؤلاء الأمراء بصفاتهم السيئة
- (١٠١) أسرة پاچان (Pagan) هى أسرة الجلبين فى فايتنزا
- (١٠٢) المقصود مانياردو پاچانو (Maniardo Pagano) الذى سبقته الإشارة إليه فى الجحيم (Inf. XXVII. 50.) وكان يغير حزبه السياسى ، وعرف بالغدر والقسوة
- (١٠٣) هذا بسبب ما ارتكبه شيطانهم من السيئات
- (١٠٤) أوجولينو دا فانتولينى (Ugolino da Fantolini) نبيل من فايتنزا اشتهر بالشجاعة والكرم ومات بدون عقب فى ١٢٨٢ ، ولذلك فإنه يأمن أنه لن يأتى أحد بعده يسمى إلى سمعته
- (١٠٥) يطلب جويدو دل دوكا إلى دانتي أن يرحل لأنه لا يستطيع الكلام أكثر مما فعل وكم من الأسى فى هذا الكلمات !
- (١٠٦) يؤثر جويدو البكاء على الكلام لأنه تألم عندما ذكر من ارتكبوا الحسد ، وحينما ذكر من عرفوا بالفضل ، وهو يبكى من أجل نفسه ومن أجل الآخرين وهذه هى دموع التوبة والتطهر ، وهى دموع حية صادقة مؤثرة صدرت عن قلب حاسد حاقد يسلك سبيل الندم والتوبة وهنا يبكى الرجل الحسود بدون أن تجد دموعه مخرجاً سهلاً من عينيه المغلقتين. وشخصية جويدو ودل دوكا من شخصيات الكوميديا الحية التى عبر دانتي خلالها عن معنى الحقد والحسد ثم الندم والتوبة والتكفير ، وهو يفصح عن نفسه بصراحة وصدق. وتكمله شخصية رينيرى دا كالبولى الذى يتكلم قليلاً وينصت وتظهر على وجهه علائم الحزن والأسى ويجعل دانتي مهماً ثنائياً حياً بفنه الصادق كما فعل فى مواضع سابقة ، وبذلك يعبر عن بعض خفايا النفس البشرية ، ويخرج على تقاليد المصور الوسطى ويمهد لبناء العصر الحديث
- (١٠٧) تأثر دانتي بما سمعه وأحس نحو المتطهرين بالأسى والعطف والإعزاز ولذلك ينعمهم بالنفوس العزيزة
- (١٠٨) يعنى عندما عرف المتطهرون الجهة التى قصدها الشاعران برفع أقدامهما لم ينهبهما أحدهم إلى اتباع طريق غير الطريق الذى سارا فيه آمنين .
- (١٠٩) أى أنهما ابتعدا عن هذه الجماعة
- (١١٠) كان الصوت شديد الاندفاع كالبرق
- (١١١) هذه كلمات قابيل نطق بها بعض المتطهرين ، وهذا مثال لعقاب الحاسدين ، ويشبه ذلك بعض الصرخات فى الجحيم . ووردت كلمات قابيل هذه فى « الكتاب المقدس »

- (١١٢) هذه صورة مأخوذة عن ملاحظة الظواهر الجوية
- (١١٣) قلت (ومضى البرق) للإيضاح
- (١١٤) أجلاوروس (Aglauros) إحدى بنات إسيكرويس ملك أثينا ، وعملت على معاونة ميركورى (عطارد) للوصول إلى أختها هيرسى ولكنها أحست بالفيرة فنبته عن ذلك فحوّلها إلى حجر وهذا مثال آخر لعذاب الحاسدين وأورد أوفيدوس هذه الأسطورة
- Ov. Met. II. 707-832.
- (١١٥) أحس دانتى الخوف فالتصق بفرجيليو كما كان يفعل فى الجحيم
- (١١٦) يعنى تكلم فرجيليو
- (١١٧) أى أن أصوات الملعدين المتطهرين كان ينبغى أن تكون اللجام الذى يمنع الإنسان من ارتكاب الحسد . ويشبه التعبير باللجام أو الزمام ما ورد فى « الكتاب المقدس »
- Salm. XXXII. 9.
- (١١٨) يعنى مجد الدنيا وثرواتها
- (١١٩) العدو القديم هو لوتشيفيرو الذى يخدع الإنسان ويحتذبه لارتكاب الحسد
- (١٢٠) أى الأمثلة السالفة للمتطهرين .
- (١٢١) يعنى الأمثلة السابقة لنداء الرحمة
- (١٢٢) أى أن السماء تدعوكم إلى الحياة الفاضلة
- (١٢٣) يعنى النجوم رمز القدرة الإلهية
- (١٢٤) أى تتجه عين الإنسان إلى الأرض وما بها من المفريات
- (١٢٥) يعنى أن الله يعاقب الآثمين على ما ارتكبوه ، ويصيبهم فى الدنيا بما يسعون إليه من المطامع والمنافسات والشقاق والأحقاد والحروب والظلم والاضطهاد وانقراض الأسر وفساد الأخلاق ، فضلا عن العذاب فى الآخرة . وهكذا اختتم دانتى هذه الأنشودة بهذه العظة على لسان فرجيليو . وهذه عودة إلى لغة الجحيم .

الأنشودة الخامسة عشرة^(١)

بلغت الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الاثنين ١١ أبريل سنة ١٣٠٠ ، حينما كان الشاعران يسيران صوب المغرب وواجهتهما أشعة الشمس ، وأحس دانتي بضوء شديد أثقل جبهته فرفع يديه إلى حاجبيه ليخفف من حدة الضوء ، ومع ذلك فقد انعكس النور على وجهه كما ينعكس شعاع من صفحة ماء أو من وجه مرآة ، فسارع نظره إلى الانحراف عنه وأفاده فرجيليو بأن هذا رسول من السماء جاء يدعوها إلى الصعود ، وقد رحب بهما الملاك ، وسمع دانتي ترتيل بعض أبيات من الكتاب المقدس . وتساءل دانتي عن بعض ما خفى عليه من كلام جويدو دل دوكا في الأنشودة السابقة فقال فرجيليو: إن الحرص على شئون الدنيا يولد الحسد ، وبذلك يقل نصيب كل فرد في المشاركة في الخير ، وذلك بعكس الاهتمام بشئون السماء الذى يزيد الخير لكل الناس ، وإن الله يسارع إلى المحبة كما يتجه شعاع إلى جسم لامع ، وبقدر ما تشيع المحبة يزيد الخير الأبدى ، وكلما زاد عدد المتحابين زاد الخير وزادت المحبة ، وقال إن بياتريتشى سوف تشرح فيما بعد ما لم يتضح له الآن . وبلغ الشاعران الإفريز الثالث ، وأخذت دانتي النشوة فرأى ثلاث رؤى ، رأى العذراء ماريا تبحث عن المسيح حينما تخاف عما فى الهيكل ، ورأى زوجة سيسستراتوس طاغية أثينا تسأل زوجها الانتقام من عاتق ابنتهما وقبلها علناً ، ولكنه رفض أن يعاقب من أحب ابنته ، ورأى اليهود يرجون القديس اسطفانوس وهو ينظر إلى السماء ويسأل الله أن يغفر لقتلته وعاد دانتي إلى وعيه فسأله فرجيليو ماذا به وقد سار وهو يترنح كمن يميل به النعاس أو ياعب بلبه الخمر ، وقال له إنه يفهم خفايا نفسه . وإنه حدثه ليحفزه على المسير . وفى سيرهما رأى دانتي دخاناً أسود كالليل حجب عنه الرؤية والهواء النقي

- ١ وبالصورة التي تبدو عليها الدائرة التي تتوثب دوماً كطفل يلهو^(٢) ، فيما بين بداية النهار^(٣) وهاية ثالث ساعة منذ طلوعه^(٤) —
- ٤ هكذا بدا الآن ما كان على الشمس أن تقطعه في سيرها حتى يحلّ المساء^(٥) ؛ وكان هناك قد هبط المساء^(٦) على حين كنا قد بلغنا هنا منتصف الليل^(٧) .
- ٧ وضربتنا أشعة الشمس في منتصف وجهينا^(٨) ، إذ كنا قد قمنا بالطواف حول الجبل ، حتى أخذنا نسير رأساً صوب المغرب ،
- ١٠ حينما أحسستُ أن جهتي قد بهرها بهاءٌ يفوق كثيراً ما واجهني من قبل^(٩) ، وأثار عجبني أشياء لم يكن لي بها عهد^(١٠) ؛
- ١٣ ولذا رفعتُ يديّ إلى طرف حاجبي^(١١) ، وصنعتُ لنفسى مهما ظلاً يخفّف عني من حدة الضوء
- ١٦ وكما عندما ينعكس شعاعٌ من صفحة ماء أو من وجه مرآة إلى الجانب المقابل^(١٢) ، ويصعد أعلى بطريقة تماثل
- ١٩ تلك التي يسقط بها^(١٣) ، ويبعد بزاويةٍ متساوية عن مسقط حجر^(١٤) ، كما يُظْهره العلم والتجربة^(١٥) ؛ —
- ٢٢ هكذا بدا لي أن قد صدمني نورٌ انعكس أمامي هنالك^(١٦) ، ولذا بادرتُ عيناى إلى تجنبه^(١٧) .
- ٢٥ فقلت « أيها الأب الحبيب^(١٨) ، ما ذلك الذي لا أقوى على أن أدرا نظري منه كما أبتغي^(١٩) ، ويبدو أنه يتقدّم إلينا^(٢٠) ؟ » .
- ٢٨ فأجابني « لا تعجب إذا كانت أسرة السماء لا تزال تهرك^(٢١) : فما هو سوى رسول يأتي ليدعونا إلى الصعود^(٢٢) »
- ٣١ وسرعان ما ستكون رؤيتك هذه الكائنات أمراً غير شديد الوطأة عليك^(٢٣) ، بل ستصبح لديك بهيجة ، بقدر ما تهيشُّك طبيعتك للشعور بذلك^(٢٤) »
- ٣٤ وبعد أن صعدنا إلى الملاك المبارك ، قال لنا بصوت سعيد^(٢٥) : « فلتدخلنا هنا على درجات سلم يقلّ انحدارها عن الأخرى كثيراً^(٢٦) » .

- ٣٧ وبعد أن ارتحلنا من هناك (٢٧) مضينا صُعُداً ، وسمعنا خلقنا ترتيلاً يردد (٢٨) ؛
 ” طوبى للرَّحماء “ (٢٩) و ” تَهَلَّلْ أيها الظافر ! “ (٣٠)
- ٤٠ وصعدنا إلى أعلى أستاذى وأنا ، وكنا وحيدَيْن كلانا ؛ وفي صعودنا خطر لى
 أن أجبى بعضَ الثمر من كلماته (٣١) ؛
- ٤٣ فاتجهت إليه متسائلاً « ماذا يقصد ذلك الروح من رومانيا بقوله
 ” الامتناع “ و ” المشاركة ؟ “ (٣٢) »
- ٤٦ وعندئذ قال لى « إنه يعرف ما يجزّه عيبه الأكبر على نفسه من الضرر (٣٣) ؛
 ولذا فلا تعجب إذا عنفنا عليه حتى يقلّ بكأؤنا بسببه (٣٤)
- ٤٩ ولما كانت رغباتكم تتركّز حيث يقلّ نصيب الفرد بالمشاركة (٣٥) ، فإن
 الحسد ينفخ فى كير تنهّدكم (٣٦)
- ٥٢ ولكن إذا اتجهت رغائبكم إلى أعلى بالحبّة الكائنة فى أعلى الدوائر (٣٧) ، فلن
 يستقر فى صدوركم ذلك الخوف (٣٨) ؛
- ٥٥ إذْ كلّما زاد هناك عدد من يقولون ” متاعنا “ ، زاد ما يملكه كل فردٍ
 من الخير (٣٩) ، واشتدّ اضطرام الحبّة فى ذلك الدبر (٤٠) .
- ٥٨ فقلتُ « إننى عن بلوغ مرتبة الرضا لأشدّ بعداً ممّا لو كنتُ قد لزمْتُ
 الصمتَ من قبل (٤١) ، وأجمعُ فى خاطرى شكّاً أعظم (٤٢)
- ٦١ وكيف يمكن أن يوزّع خيرٌ على مالكيين عديدين ، فيصبحون به أغنى
 مما لو امتلكه أناسٌ أقلّ عدداً (٤٣) ؟ »
- ٦٤ فأجابنى « مادمت تركزُ فكرك فى شئون الأرض فحسب (٤٤) ، فإنك
 لا تستمدُّ من نور الحقيقة سوى سراويل الظلمة (٤٥)
- ٦٧ إذْ أن ذلك الخير اللانهائى الذى يجلّ عن الوصف (٤٦) ، ويستقرّ هناك
 فى الأعلى ، يسارع إلى الحبّة (٤٧) ، كما يجرى شعاعٌ من النور إلى الجسم
 اللامع (٤٨)
- ٧٠ ويبدل من نفسه بقدر ما يحس من أوارها (٤٩) ؛ حتى إنه كلّما تشيع
 الحبّة يجد الخيرُ الأبدى سبيله لكى يربو عليها (٥٠)

- ٧٣ وكلما كثر المتجهون بمحبتهم إلى العلياء^(٥١) ، نما الخير موضوع المحبة وزاد المتحابون^(٥٢) ، وكالمراة عكس كل^{٥٣} منهم محبته على الآخر^(٥٣)
- ٧٦ وإذا كان حديثي لا يُغنى من جوعك^(٥٤) ، فإنك سوف ترى بياتريتشى التى ستخلصك من هذه الالهفة ومن كل^{٥٥} لهفة سواها^(٥٥)
- ٧٩ وكما زال منك الآن جرحان ، فلتتحرص على أن تزول عنك سريعاً الجروح الخمسة^(٥٦) ، التى لا تلتئم إلا بالعذاب^(٥٧) »
- ٨٢ وحينما أوشكتُ أن أقول "إنك ترضيى"^(٥٨) ، رأيت أنى قد بلغتُ الدائرة الأخرى^(٥٩) ، فحملتنى عينائى المتطلعتان على السكوت^(٦٠)
- ٨٥ وهناك بدا لى أن قد أخذتنى فجأة رؤيا نشوانة^(٦١) ، وإذا بى أرى أشخاصاً عديدين مجتمعين فى هيكلك^(٦٢) ؛
- ٨٨ وسيدةٌ عند مدخله تقول بهيئة الأم الرؤوم^(٦٣) : « يا بُنى ، لماذا فعلت بنا هكذا ؟ »
- ٩١ هو ذا أبوك وأنا كنا نطلبك ونحن يحدونا العذاب^(٦٤) » وما إن لزمَت الصمت حتى اختفى ما تراءى لى منذ هنية^(٦٥)
- ٩٤ ثم تبدلت لى سيدةٌ غيرها^(٦٦) ، وقد اخضل^{٦٧} خدأها بالدمع^(٦٧) الذى يقطره الأسى ، حين يُبعث فى النفس بشدة الغضب^(٦٨)
- ٩٧ وبدت تقول « إذا كنتَ سيداً من المدينة التى قام على اسمها بين الآلهة خلافٌ شديد^(٦٩) » ، والتى تشعّ منها أنوار كل^{٧٠} علم ،
- ١٠٠ فلتصبّ انتقامك يا پسيستراتوس على هاتين الذراعين الفاجرتين اللتين عانقتا ابنتنا فى العلن^(٧١) . وبدا لى ذلك السيد الرقيق اللطيف
- ١٠٣ يجيبها بوجهه الوديع^(٧١) « إذا نحن عاقبتنا من يضمر لنا المحبة ، فإذا نحن فاعلون بمن يرجو لنا الشر^(٧٢) ؟ »
- ١٠٦ ثم رأيتُ^(٧٣) قوماً استشاطوا غضباً^(٧٤) يقتلون فتى بالحجارة رجلاً^(٧٥) ، ويصبحون فى عنف بعضهم إلى بعض « ألا فلتقتل ! ألا فلتقتل ! »
- ١٠٩ وإلى الأرض رأيت يتهاول بالموت الذى كان قد أنقله^(٧٦) ، ولكنه جعل من عينيه دوماً بابين نحو السماء^(٧٧) ؛

- ١١٢ وفي كلِّ ما انْهال عليه أخذ يضْرع إلى العلىّ القدير أن يغفر لقاتليه^(٧٨) ،
بتلك النظرة التي تفتح بابَ الرحمة الإلهية^(٧٩)
- ١١٥ وحينما ثابتٌ إلىّ رُوحى من نشوتها^(٨٠) ، متجهة إلى ما هو ماثلٌ أمامها في
الواقع^(٨١) ، تبيّنتُ عنصراً الحقيقة في رؤاى^(٨٢)
- ١١٨ وقال دليلى الذى أمكنه أن يرانى كرجل ينضو عنه غشاوة النعاس
« ماذا دهاك حتى لم تعد تملك زمامَ نفسك^(٨٣) »
- ١٢١ إذ أنك سِرتَ أكثر من نصف فرسخ ، وقد حجبتَ عينيك وتمايلتُ
ساقاك^(٨٤) ، كمن يميل به النعاس أو بنت الحان^(٨٥) ؟ »
- ١٢٤ فقلت « إذا أصغيتَ إلىّ يا أبتاه الحبيب فسأحدّثك بما تراءى لى ،
حينما التوتُ ساقاى على هذا النحو^(٨٦) »
- ١٢٧ فقال لى « وإذا أنت حجبتَ وجهك بمائة قناعٍ ، فلن تخفى علىّ أفكارك
مهما كانت صغيرة الشأن^(٨٧) »
- ١٣٠ ولقد تبدّى لك ما رأيته^(٨٨) ، حتى لا تجد لنفسك عذراً فى ألاّ تفتح قلبك
لمياه السلام^(٨٩) ، التى تتدفّق من النبع الأبدى^(٩٠)
- ١٣٣ ولم أسأل " ماذا بك " كما يفعل من لا ينظر سوى بعينه التى تعوزها
الرؤية ، حينما يطرح جسدها بغير روح^(٩١) ؛
- ١٣٦ بل سألتك لكى أستحثّك على المسير ؛ وهكذا ينبغى أن يُحفز الكسالى ،
إذ يترآخون فى استخدام يقظتهم حين تعود إليهم^(٩٢) »
- ١٣٩ وكنا نسير مساءً متطلّعين إلى الأمام بقدر ما أمكن أن تبلغه أعيننا ، فى
مواجهة أشعة الغروب المتألّقة^(٩٣) ؛
- ١٤٢ وها يأتى نحونا رويداً رويداً دخانٌ فى مثل سواد الليل^(٩٤) ؛ ولم يكن لنا
هناك من مأوى هرب منه إليه^(٩٥) :
- ١٤٥ وقد حرّمنا من الرؤية ومن الهواء الخالص^(٩٦)



٨ - رجم القديس إسطفانوس

حواشي الأنشودة الخامسة عشرة

- (١) هذه أنشودة العبور من إفريز الحاسدين إلى إفريز الغاضبين
- (٢) في الأغلب يقصد بالدائرة منطقة البروج التي تتحرك أطرافها ، وبذلك تتحرك نصف الدائرة التي تظهر فوق الأفق إلى الشمال من خط الاستواء وإلى جنوبه وتعبّر من الشمال إلى الجنوب وبالعكس ، وبذلك تبدو كالطفل الذي يتوثب ويلعب ولا يهدأ بالاً وربما يقصد بالدائرة سماء الشمس ذاتها وهذه الثلاثية وما تليها من أصعب المواضع في الكوميديا وكان من مألوف العصر صياغة كافة المعلومات في القالب الشعري .
- (٣) بداية النهار أى الساعة ٦ صباحاً
- (٤) انتهاء الساعة الثالثة منذ بداية النهار يعنى أن الساعة أصبحت ٩ صباحاً ، وقلت (منذ طلوعه) للإيضاح
- (٥) يعنى أنه أمام الشمس الآن مدة ثلاث ساعات - كما بين بداية النهار - الساعة ٦ صباحاً - وانتهاء الساعة الثالثة منذ بداية النهار - الساعة ٩ صباحاً - حتى يحل المساء في الساعة ٦ والمقصود أن الساعة كانت وقتئذ الثالثة بعد الظهر وهذا تعبير فلكي للدلالة على الوقت ، ولا بد من التأنى لفهمه ولعل دانتى لو عاش مزيداً لعاد إلى إيضاح هذه الأبيات !
- (٦) أى أنه كان قد حل المساء هناك في المطهر - يعنى الفترة من الساعة ٣ إلى الساعة ٦ بعد الظهر
- (٧) كانت الساعة ٣ بعد الظهر في المطهر وتقابل الساعة ٣ صباحاً في أورشليم ولما كانت إيطاليا - المقصودة بلفظ (هنا) والتي كتب دانتى فيها الكوميديا - تقع عنده على خط طول ٤٥ درجة غربي أورشليم ، كان الوقت في إيطاليا (هنا) منتصف الليل .
- (٨) كان الشاعران يسيران صوب الغرب ولذا ضربتهما أشعة الشمس على وجهيهما
- (٩) أحس دانتى بشدة الضوء المفاجئ* الذى فاق ضوء الشمس .
- (١٠) دهش دانتى لظهور هذا الضوء الشديد الذى لم يسبق له به عهد ولم يعرف أن مصدره الملاك رسول السماء .
- (١١) يشبه هذا التعبير ما أورده أوفيدوس
- Ov. Met. II. 276.
- (١٢) ينمكس الشعاع متجهماً إلى مصدره وأورد فرجيليو تعبيراً مقارباً
- Virg. Æn. VIII. 22-25.
- (١٣) يعنى أن الضوء ينمكس بنفس الزاوية التي يسقط بها على جسم أملس ، وهذه هى نظرية إقليدس في البصريات
- (١٤) مسقط الحجر - أو خط سقوط الحجر - هو تعبير ألبرتو الكبير فيلسوف العصور الوسطى عن الخط الرأسى أو العمودى ، والمقصود هنا الخط الرأسى الذى يفصل بين خط سقوط الضوء وخط انعكاسه عن السطح الأملس بزواوية متساوية
- (١٥) أى كما تدل عليه التجربة وعلم البصريات .
- (١٦) يعنى أن نور الملاك لم يصل إلى دانتى مباشرة لأنه أخفى عينيه بيديه ، بل جاء النور بطريق غير مباشر بعد انعكاسه على الأرض ويرى بعض الشراح أن هذا هو نور الله أو نور الشمس الذى انعكس على الملاك ثم انعكس بدوره على دانتى .

- (١٧) ومع أن الضوء وصل إلى دانتى بطريق غير مباشر فإن عينيه لم تقويا على مواجهته فسارعتا إلى الانحراف عنه بالاتجاه إلى فرجيليو
- (١٨) ينادى دانتى فرجيليو بأبيه الحبيب كما فعل في مواضع عديدة
- (١٩) هذا دليل على شدة الضوء .
- (٢٠) أى أنه لم يكن واثقاً من حركة الضوء
- (٢١) أسرة السماء تعنى الملائكة
- (٢٢) هذا هو رسول السماء الذى يدعو النفوس للصعود إلى إفريز الغاضبين
- (٢٣) يعنى بمجرد أن يتطهر
- (٢٤) أى سيسعد دانتى بما سيراه بقدر إرهاف حسه
- (٢٥) يشبه هذا معنى مقارباً ورد في « الكتاب المقدس »
- (٢٦) يعنى أقل انحذاراً من الدرجات التي أدت إلى الإفريزين السابقين
- (٢٧) أى من المكان الذى ظهر فيه الملاك .
- (٢٨) فى الغالب كان الملاك هو الذى يرتل
- (٢٩) يتعارض هذا الترتيل مع الحسد ويتفق هذا وما ورد في « الكتاب المقدس »

Luca, XV.

- (٣٠) المقصود الانتصار على الحسد ويشبه هذا التعبير ما جاء في « الكتاب المقدس »
- Matt. V. 12; Luca, VI. 23.
- (٣١) كان الشك يساور دانتى فى معنى بعض الكلمات التي سمعها من جويدو دل دوكا في الأنشودة السابقة فأراد أن يستوضح معناها
- Purg. XIV. 87.
- (٣٢) ورد هذا في الأنشودة السابقة
- (٣٣) يعنى خطيئته الحسد التي مارسها جويدو وجرب نتائجها
- (٣٤) يحذر جويدو دانتى من الحسد حتى يقل بكأوه بسببه في المطهر
- (٣٥) أى تتركز رغبات البشر وأطعامهم في خبرات الأرض ويقل نصيب كل فرد منها بالمشاركة مع غيره
- (٣٦) يعنى أن الحسد يدفع الناس إلى التسابق على ثروات الدنيا وبذلك يبذلون جهداً كبيراً لتحقيق أطعامهم ، والاستعارة مأخوذة من كير الحداد ويمكن القول (فإن الحسد يذكى من أوار مطامعكم) ، والمعنى واحد
- (٣٧) أى سماء السماوات
- (٣٨) يعنى أنه إذا كان حب الأشياء الإلهية يدفع رغباتكم إلى أعلى فلن تخشوا المشاركة التي لن تنقص نصيب كل فرد منها ، وبالتالي لن يكون هناك تسابق أو تنافس دنى
- (٣٩) أى كلما انعدم الحسد وزاد حب الإنسان للجماعة زاد الخير الإلهي الذى يخص كل فرد على حدة
- (٤٠) يؤدي هذا إلى اضطرام المحبة في السماء التي يسميها الدير وسيأتى هذا التعبير بعد

Purg. XXVI. 128.

Par. XXV. 127.

(٤١) لم يقنع دانتي بكلام فرجيليو ولم يفهم المعنى المقصود وقد عبر دانتي عن عدم الرضا بقوله (الصوم أو الجوع)

(٤٢) زاد شك دانتي بكلام فرجيليو

(٤٣) هكذا يحدد دانتي ما لم يفهمه من كلام فرجيليو

(٤٤) في إجابة فرجيليو بمض اللوم لأن دانتي ركز ذهنه في شئون الدنيا فقط

(٤٥) يعنى أنه يستخلص الرأى الخاطئ من الكلام الواضح

(٤٦) أى الله ، ويشبه هذا التعبير ما ورد في «الوليمة»
Conv. IV. XXII. 17.

(٤٧) يعنى يسارع إلى النفوس السعيدة الصافية .

(٤٨) يسارع الله إلى المحبة كما يسارع شعاع الشمس إلى الجسم اللامع فينعكس عليه بسهولة ، ويشبه

Virg. Æn. VII. 526...

هذا التعبير ما أورده فرجيليو

(٤٩) أى يعطى الله من نفسه بقدر ما يجد من المحبة في القلوب ، وعبر دانتي عن هذا المعنى في

«الوليمة» ، ويستكرر في الفردوس

Conv. IV. XX. 7.

Par. XIV. 40...

(٥٠) يعنى بقدر زيادة المحبة يعظم الخير الإلهي بما لا يمكن وصفه

(٥١) أى في السماء . ويرى بعض الشراح أن المقصود بقوله (s'intende) — المأخوذة من لغة البروفنس

المقصود اتجاههم إلى محبة بعضهم بعضاً . وأخذت بالرأى الأول .

(٥٢) هكذا تزداد المحبة على الدوام وورد هذا المعنى في «الوليمة»

Conv. III. XV. 10.

(٥٣) يعنى أن النفوس المتحابة تعكس حبها بعضها على بعض كالمرآة التي تعكس الضوء .

(٥٤) المقصود إذا كان حديث فرجيليو لم يوضح ما استفسر عند دانتي . واستخدم دانتي لفظ

(الجوع)

(٥٥) أى سوف توضح بياتريتشى لدانتي ما لم يستطع فرجيليو إيضاحه .

(٥٦) هذه الجروح هي روز الخطايا السبع التي سبق أن رسمها الملك على جبين دانتي بحد السيف

Purg. IX. 112...

(٥٧) تلتئم الجروح — أى تزول الخطايا — بالألم الذي يبعثه الندم والتوبة

(٥٨) كان دانتي يريد أن يعبر لفرجيليو عن اقتناعه ورضاه بما سمع .

(٥٩) الدائرة الثالثة أو الإفريز الثالث يعنى إفريز الغاضبين .

(٦٠) كان ما رآه دانتي من المتطهرين هنا سبباً في حمله على السكوت .

(٦١) جعل دانتي نفسه يرى هنا ثلاث رؤى لأنه لن توجد أمثلة محفورة على الحجر — كما سبق في

الأشودة ١٠ — بسبب الدخان الكثيف .

(٦٢) يعنى المسيح في هيكل أورشليم وحوله علماء اليهود والناس ، كما جاء في « الكتاب المقدس »

Luca, II. 41-50.

ويوجد رسم من عمل جوتو من القرن ١٤ يمثل مارييا بين معلمى اليهود وهي في كنيسة سان فرنشيسكو العليا في أسيسى .

(٦٣) هي العذراء مارييا .

(٦٤) أى لماذا ابتعد عنها المسيح وجعلها تجزع عليه وتأخذ في البحث عنه

Luca, II. 48.

(٦٥) يعنى انتهت الرؤيا الأولى .

(٦٦) هذه هي الرؤيا الثانية

(٦٧) يعبر دانتي بلفظ (الماء) عن الدموع كناية من غزارتها

(٦٨) هذه زوجة پستراتوس طاغية أثينا وهي تبكى بمرارة واختلف الشراح في معنى (dispetto) -

هنا ، وربما تعنى الكراهة أو الازدراء أو الغضب أو الأسى

(٦٩) يقصد أثينا التى اختلف نيتون ومينرفا (أثينا) على تسميتها وكسبت مينرفا ، كما أورد ذلك

Ov. Met. VI. 71.

أوثيديوس

(٧٠) پستراتوس (٦٠٥ - ٥٢٧ ق م (Pesistratus) طاغية اثينا الذى سأله زوجته أن ينتقم

من شاب عانق ابنتها وقبلها في الطريق علناً ربما يعنى لفظ (ardito) الفاجر أو الخليع أو

الجرىء .

(٧١) وعلى رغم ذلك بدا پستراتوس لطيفاً هادئاً

(٧٢) قدر پستراتوس الحب ، ولا يجوز عنده أن يغضب على من أحب ابنته وقبلها في الطريق ، وإذا

كان عليه أن ينتقم من أحب أبنته فاذا يفعل بمن يكرهها ! ويوضح هذا المثال اللطف والهدوء

عكس الحق والغضب

(٧٣) هذه هي الرؤيا الثالثة

(٧٤) هم اليهود الذين أخذهم الغضب ، وجاء ذكر ذلك في « الكتاب المقدس » : . Atti, VII.54—60

(٧٥) هو القديس ستيفانو - إسطفانوس - (San Stefano) الذى نقد تعاليم اليهود فرجموه

ولا يصوره الكتاب المقدس كشاب ، ولكن هكذا رسمه المصورون والنحاتون في عهد دانتي

وتوجد صورة من عمل أنطونيوفيتي من القرن ١٤ تمثل رجم سان - ستيفانو وهي في كاتدرائية

پراتو . وكذلك يوجد حفر بارز يمثل نفس المعنى في كنيسة فوتردام في باريس من القرن

ذاته

(٧٦) هذا تصوير دقيق لمن يلقى الموت على هذا النحو .

(٧٧) لم يمنع العذاب أو الموت القديس إسطفانوس من أن يديم النظر إلى السماء .

(٧٨) كان يصلى إلى الله أن يغفر لقتلته ، وهذا منتهى الرحمة والمحبة

(٧٩) كانت نظراته مليئة بالرحمة حتى لتفتح لها أبواب السماء .

(٨٠) أى حينما انتهى دانتي من النشوة التى استولت عليه فجعلته يرى الرؤى السابقة . وأجريت بعض

التصرف في هذا البيت في حدود المعنى المقصود

(٨١) يعنى حينما عاد دانتي إلى رؤية الأشياء المادية الملموسة أمامه وجاء في الأصل (الأشياء الحقيقية أو الماثلة خارجها)

(٨٢) أى أنه أدرك أن ما رآه الآن كانت أشياء باطنة في نفسه وليست مجسمة في الواقع ، وإن كانت تتعلق

بحوادث وقعت في الماضي ، ولذلك فهي غير زائفة يعنى حقيقية وترجمت (errori) بقول

(رؤى) لأن هذا هو المقصود

(٨٣) التفت فرجيليو إلى الحال التى كان عليها دانتي حتى بدا كن استيقظ من النوم تواء ، لذلك كان

لا يقوى بعد على الوقوف على قدميه

- (٨٤) هذا لأن دانتى كان مأخوذاً بالرؤى الثلاث التى تراءت له
- (٨٥) هذا وصف دقيق مأخوذ من ملاحظة من يغلبه الناس أو من تلعب بلبه الخمر ، وهذه هى المرة الوحيدة التى يذكر فيها دانتى أثر الخمر على شاربها فى الكوميديا
- (٨٦) يحاول دانتى أن يشرح الأمر لفرجيليو.
- (٨٧) ولكن فرجيليو يعرف أفكار دانتى مهما صغرت واستخدم دانتى كلمة من اللاتينية (parve) وسبق مثل هذا المعنى فى الجمعيم :
Inf. XVI. 118-120.
- (٨٨) يعنى الرؤى التى رآها دانتى آنفاً
- (٨٩) أى لكى يتجنب الغضب الذى يشبه النار وضدها الماء رمز الإيمان والسلام ، وورد هذا المعنى بالنسبة للماء فى « الكتاب المقدس »
Ebrei, X. 122.
- (٩٠) يعنى الله وورد هذا التعبير فى كتابه « الملكية »
Mon. II. V. 5.
- (٩١) أى أن فرجيليو لم يفعل كمن تتجه عينه إلى شيء ما دون القدرة على النظر والإحساس ، كما يفعل من فقد الوعى أو مات
- (٩٢) تكلم فرجيليو كذلك لكى يعاون دانتى على استعادة وعيه بعد أن انتهى من حلمه ، والصورة مأخوذة من ملاحظة الحياة الواقعة
- (٩٣) كان ذلك حوالى الساعة ٥ مساء .
- (٩٤) هذا دخان أسود كثيف ملعون وهو رمز الغضب الذى يحجب عن الإنسان الرؤية الصحيحة وسيأتى وصفه وأثره فى الأنشودة التالية
- (٩٥) هكذا ملأ الدخان الأسود هذا المكان كله . والدخان فى آخر هذه الأنشودة وفى الأنشودتين ١٦ و ١٧ عقاب لسريعى الغضب والحمقى
- ويشبه هذا بعض ما ورد فى التراث الإسلامى من حيث أن الدخان المبين سيكون عذاباً أليماً يغشى الكفرة يوم القيامة . وفى هذا تشابه فى العقوبة مع الاختلاف فى المعصية
- القرآن الدخان ٩ - ١١
- الخازن علاء الدين على البغدادى تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل القاهرة ، ١٣١٢ هـ . ج ٤ ص ١١١ - ١١٢
- النسبى ، أبو البركات عبد الله التفسير المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل على هامش تفسير الخازن السابق الذكر نفس الجزء ونفس الصفحة.
- الشعرانى ، عبد الوهاب مختصر تذكرة القرطوبى (المصدر السابق الذكر) ص ١٢١
- السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن كتاب اللآلى المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة القاهرة ، ١٣١٧ هـ . ج ٢ ص ١٩٦
- يقول إن من قرأ القرآن رياء وسمعة أو يريد به الدنيا ومن قرأه ولم يعمل به حشره الله يوم القيامة أعمى
- (٩٦) ورد معنى مقارب فى « الكتاب المقدس »
Giob. XVII. 7.

الأنشودة السادسة عشرة

سار الشاعران وسط دخان أسود كثيف في ظلمة تشبه ظلمة الجحيم ، ومضى دانتى وراء فرجيليو كما يمضى الرجل الكفيف خلف دليله وسمع دانتى أصوات المتطهرين ترتل طالبة الرحمة من حَمَلَك الله الذى يمحو خطايا البشر ، وصدرت أصواتهم في نغمة واحدة وبتآلف تام سأل دانتى إحدى الأرواح أن تتبعه في المسير ، وسألها الإفصاح عن شخصها واستفسر منها عن طريق السير ، فأعلن ماركو لومباردو عن اسمه ، وقال لهما يسيران في الطريق الصحيح واستوضح دانتى ما ساوره من الشك حينما سمع حديث جويدو دل دوكا - في الأنشودة ١٤ - وكيف أن بعضاً يجعلون سبب فساد الدنيا راجعاً إلى السماء ، على حين يجعله آخرون راجعاً إلى الأرض قال لومباردو إن هذا معناه إلغاء إرادة الإنسان ، وقال إن السماء تبعث الحياة في الإنسان وتمنحه النور الذى يؤدى للخير أو للشر ، وتمنحه الإرادة الحرة التى تحتل المشقة في أولى المعارك مع السماء ، إذا حَسُنَ غذاؤها ، وقال إن سبب الفساد في العالم قائم في الإنسان ذاته والنفس كالطفل الساذج تنخدع وتجرى وراء ثروات الأرض التافهة إذا لم يمنعها دليل أو عِنان ، ولذلك كان من الضروري وضع القانون ووجود الحاكم العادل ، ولا عبرة بالقانون وحده ولكن العبرة بمن يطبقه ، والقوم الذين يرون دليلهم يجرى وراء خيرات الأرض يخذون حذوه ولا يسألون مزيداً وقال إن روما كانت ذات شمسيتين ، البابا الذى ينير طريق الله ، والأمبراطور الذى ينير طريق الدنيا ، ثم أطفالاً البابا نور الأمبراطور ، واتحدت السلطتان في يد البابا فسار العالم في طريق الشر وذكر لومباردو أن أعالي إيطاليا كان يسكنها قوم أفاضل ، ولكنها خلت مهم الآن ، وأنه لا يزال هناك ثلاثة شيوخ فضلاء ، وأن الكنيسة تدنس في الوحل إذا خلطت في ذاتها بين السلطين الدينية والزمنية وتحدث دانتى إلى ماركو لومباردو بالتقدير والإعزاز وأفاده بأنه فهم ما غمض عليه وارتحل لومباردو حينما رأى النور ينبعث وسط الدخان الأسود ، الذى لا يحق له أن يتجاوزه في منطقة تطهره

- ١ ما من ظلمة جحيم^(٢) ولا حُلُكة ليل اختفت فيه كل الكواكب - تحت سماء جرداء^(٣) اشتد بالسحاب اسودادها^(٤) -
- ٤ صنعتُ لوجهي حجاباً كثيفاً ولا غطاء من شعيرِ خشنِ الملمس^(٥) - كما صنع ذلك الدخان الذي غمرنا هنالك ؛
- ٧ إذ لم يدع لأعيننا سبيلاً إلى الرؤية^(٦) ؛ وعندئذ اقرب منى رفيق الحكيم^(٧) الأمين وأعارنى كتفه^(٨)
- ١٠ وكما يسير الأعمى وراء دليله حتى لا يضلّ طريقه ، ولكيلا يصطدم بشئ يؤذيه أو ربما يقتله^(٩) ،
- ١٣ هكذا سَيرت خلال الهواء المرير^(١٠) الخبيث ، مُصغياً إلى دليلي الذي جعل يقول « حذار أن تنفصل عني^(١١) »
- ١٦ وسمعت أصواتاً ، بدا لي أن كلاًّ منها يضرع - باسم السلام والرحمة^(١٢) - سائلاً حمّلَ الله أن يرفع خطاياها^(١٣)
- ١٩ وبدأوا صلاتهم جميعاً بقولهم : ” يا حمّلَ الله “ ؛ وصدر ذلك عن جملتهم من فهم واحد وفي نغمة بذاتها^(١٤) ، حتى بدا بينهم الانسجام الكامل^(١٥)
- ٢٢ فقلتُ « أأرواح تلك التي أسمعها يا أستاذي^(١٦) ؟ » فأجابني « إنك تدرك صواباً^(١٧) ؛ ولأنهم يسرون لكي يخلّوا ما انتابهم من عقدة الغضب^(١٨) .
- ٢٥ « والآن مَنْ أنت الذي تشقّ دخاننا^(١٩) ، ولا تتكلم عنا إلا وكأنك لا تزال تحسب الزمن بفترة الشهر^(٢٠) ؟ » .
- ٢٨ هكذا تحدّث إلينا أحد الأصوات^(٢١) ؛ وعندئذ قال أستاذي « فكلّمتُجب ولتسأله هل الصعود من هنا^(٢٢) ؟ » .
- ٣١ فقلتُ « أيها المخلوق الذي تطهّر نفسك لكي تعود إلى خالقك مُجمّلاً^(٢٣) - إذا أنت تبعثني فستسمع مني أمراً عجباً^(٢٤) » .
- ٣٤ فأجابني « سأتبع خطّاك كما يُباح لي ذلك^(٢٥) ، وإذا منعنا الدخان من الرؤية ، فسيحفظ السمعُ صلتنا بدلا منها^(٢٦) »
- ٣٧ وحينئذ بدأتُ : « بهذا الدثار^(٢٧) الذي يحلّ الموت وثاقه - أذهب صُعُداً^(٢٨) ، ولقد جئتُ هنا خلال أهوال الجحيم^(٢٩)

- ٤٠ وإذا كان الله قد حباني بنعمته حتى صارت مشيئته أن أرى رحابه^(٣٠)، على نحو لا يُدانيه العرفُ المألوف^(٣١)،
- ٤٣ فلا تُخَفِّ عني مَنْ كُنتَ قَبْلَ مَمَاتِكَ، بَلْ قُلْ لِي، وَخَبِّرْنِي أُسِيرَ مُوَفَّقًا إِلَى طَرِيقِ الصُّعُودِ، وَلَتَكُنْ كَلِمَاتُكَ لَنَا دَلِيلًا^(٣٢)
- ٤٦ « لَقَدْ كُنتَ لَوْمِبَارِدِيًّا وَدُعِيتُ بِاسْمِ مَارِكُو^(٣٣) : وَعَرَفْتَ شُؤْنَ الدُّنْيَا^(٣٤)، وَأَحْبَبْتَ تِلْكَ الْفَضِيلَةَ الَّتِي ثَنَى عَنْهَا كُلٌّ فَرْدٌ قَوْسُهُ الْآنَ^(٣٥) »
- ٤٩ وَإِنَّكَ لَتَسِيرُ قَدُمًا فِي طَرِيقِ الصُّعُودِ^(٣٦) » هَكَذَا أَجَابَنِي ، ثُمَّ أَضَافَ « وَإِنِّي لِأَرْجُوكَ أَنْ تَصَلِيَ مِنْ أَجَلِي حِينَمَا تَبْلُغُ الْأَعَالَى^(٣٧) »
- ٥٢ فَقُلْتُ لَهُ « أَقْسَمُ لَكَ بِإِيمَانِي بِأَنْ أَوْدِيَ مَا تَطْلُبُهُ إِلَيَّ ، وَلَكِنِّي سَأَنْفَجِرُ مِنْ شَكِّ يَرَاوَدَنِي ، إِذَا لَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي مِنْهُ مَخْرَجًا^(٣٨) »
- ٥٥ كُنتَ مِنْ قَبْلِ قَلِيلٍ الشَّكَّ^(٣٩) ؛ وَلَكِنْ شَكَّتِي تَضَاعَفَ الْآنَ بِكَلَامِكَ الَّذِي يَجْعَلُهُ لَدَيَّ أَكِيدًا ، هُنَا فِي الْمَوْضِعِ الْآخِرِ الَّذِي أَقْرَنَهُ بِهِ^(٤٠)
- ٥٨ وَإِنَّ الْعَالَمَ لِيَخْلُو تَمَامًا مِنْ كُلِّ فَضِيلَةٍ كَمَا تَنْبَغُنِي بِذَلِكَ ، وَهُوَ فِي الشَّرِّ مَغْمُورٌ وَبِهِ مُفْعَمٌ^(٤١) ؛
- ٦١ وَلَكِنِّي أَرْجُو أَنْ تَوْضَحَ لِي السَّبَبَ حَتَّى أَتَبَيَّنَهُ وَأُطْلِعَ الْآخِرِينَ عَلَيْهِ^(٤٢) ؛ إِذْ يَعْزُوه بَعْضٌ إِلَى السَّمَاءِ ، وَيَجْعَلُ آخَرُونَ سَبَبَهُ هُنَا فِي أَسْفَلِ^(٤٣) »
- ٦٤ فَأَرْسَلَ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ تَهْدَأُ عَمِيقًا^(٤٤)، انْتَرَعَهُ مِنْهُ الْأَسَى آهَةً صَمَاءَ ؛ ثُمَّ بَدَأَ « يَا أَخِي ، إِنَّ الدُّنْيَا لَعَمِيَاءُ^(٤٥) ، وَإِنَّكَ لَأَتِ مَهَا حَقًّا^(٤٦) »
- ٦٧ إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَحْيَاءِ تُرْجِعُونَ سَبَبَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى السَّمَاءِ وَحْدَهَا فِي الْأَعَالَى^(٤٧)، كَأَنَّهَا بِالضَّرُورَةِ تَدْفِعُ مَعَهَا جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ .
- ٧٠ وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، لَمَقُضَى فِيكُمْ عَلَى الْإِرَادَةِ الْحَرَّةِ^(٤٨)، وَلَمَّا صَارَ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ يَبْتَهَجَ الْإِنْسَانُ بِالْخَيْرِ وَيَحْزَنَ بِالشَّرِّ^(٤٩)
- ٧٣ وَإِنَّ السَّمَاءَ لَتَبْدَأُ نَوَابِضَكُمْ^(٥٠)، وَلَا أَقُولُ جَمِيعَهَا ، وَحَتَّى لَوْ عَدَدْتُمْ أَنِّي أَعْنَى ذَلِكَ ، فَقَدْ مُنَحْتَمِ الْاسْتِنَارَةَ لِاتِّبَاعِ الْخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ^(٥١) ؛
- ٧٦ وَوُهِبَتِ الْإِرَادَةُ الْحَرَّةُ ، الَّتِي إِنْ هِيَ احْتَمَلَتْ الْعَنَاءَ فِي أَوَّلَى مَعَارِكِهَا مَعَ السَّمَاءِ^(٥٢) ، وَإِنْ حَسَّنَ غِذَاؤَهَا^(٥٣)، ظَفَرَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ فِي النِّهَايَةِ^(٥٤)

- ٧٩ وإنكم خاضعون في حريتكم لقوة أكبر وطبيعة أفضل^(٥٥)؛ وتخلق فيكم هذه الطبيعة العقل^(٥٦) الذى لا يخضع لسلطان السماء^(٥٧)
- ٨٢ ولذا فإن ضلّ العالم الحاضر طريقه فإن السبب يرجع إليكم، ولتبحثوا عنه في ذواتكم^(٥٨)؛ وسأكون أنا الآن - في هذه السبيل - عينك الأمانة^(٥٩)
- ٨٥ وإن النفس الساذجة لتبعث من يد مَنْ يتأملها من قبل أن توجد^(٦٠)، كأنها طفلة غريرة تلهو بين الضحكات والدموع^(٦١) -
- ٨٨ وهى بسذاجتها لا تدرك^(٦٢) سوى أنها منبعثة من يد خالقها السعيد، وتعود راضية إلى ما يُبهبأ بها^(٦٣)
- ٦١ وفى تذوقها طعم الخير الضئيل لأول وهلة^(٦٤)، تجرى في إثره وهى به مخدوعة^(٦٥)، إذا لم يُشنها عن حبّه دليل أو عنان^(٦٥)
- ٩٤ ولذا لزم وضع قانون يؤدّى مهمة العنان، وكان من الضرورى وجود ملك^(٦٦) يتبين - على الأقل - برج المدينة الحقّة^(٦٧)
- ٩٧ وإن القوانين لقائمة ولكن مَنْ ذا الذى يطبقها^(٦٨)؟ لا أحد؛ إذ يمكن للراعى الذى يقودها^(٦٩) أن يعضج الجرة^(٧٠)، ولكن تعوزه الخوافر المشقوقة^(٧١)؛
- ١٠٠ ولذا فإن القوم الذين يرون دليلهم لا يهدف إلا إلى ما هو مهموم إليه من الخير^(٧٢)، لا يتغذّون بغيره ولا يسألون مزيداً^(٧٣)
- ١٠٣ ويمكنك أن تتبين أن القيادة السيئة هى السبب في فساد العالم^(٧٤)، لا لأن ذلك يرجع إلى فساد طبيعتكم في ذاتها^(٧٥)
- ١٠٦ وروما التى صنعت الدنيا الصالحة، اعتادت أن تكون ذات شمسين^(٧٦) أنارتا كلا الطريقتين طريق الدنيا وطريق الله^(٧٧)
- ١٠٩ ولقد أطفأت إحداها أنوار الأخرى^(٧٨)؛ وارتبط السيف بالعكاز؛ واتحاد الواحدة بالأخرى عنوة يقتضى السير في طريق الشر^(٧٩)؛
- ١١٢ إذ باتحادهما لم تعد إحداها تخشى من الأخرى شيئاً^(٨٠)، وإذا أنت لم تصدقنى فلنتمن نظرك في سنبلة القمح، إذ يُعرف كل نبت بثمره^(٨١).
- ١١٥ وفى البلاد التى يروىها الأديج والدو^(٨٢)، كان من المألوف أن يجد الفضل والنبل مستقرّاً لهما^(٨٣)، قبل أن يلقي فردريك أهوال الكفاح^(٨٤)

١١٨ والآن يمكن أن يعبرها آمناً كل من كان يرغب في تجنبها، خجلاً من التحدث إلى أهلها الصالحين أو الاقتراب إليهم^(٨٥) !

١٢١ وفي الحقيقة لا يزال هناك ثلاثة شيوخ تعذل بهم الأيام الخوالي زماننا الحاضر^(٨٦)، ويبدو لهم أن الوقت يمرّ بطيئاً حتى يدعوهم الله إلى حياة أفضل^(٨٧)

١٢٤ وهم كورادودا بالاتزو^(٨٨) وجيراردو الطيب^(٨٩)، وجويدودا كاستلّو^(٩٠) الذي تفضّل تسميته اللومباردى الأمين بأسلوب الفرنسيين^(٩١)

١٢٧ ولذلك فلتقل إنه حينما تخلط كنيسة روما بين سلطتين في ذاتها^(٩٢)، تتردّى في الوحل وتُدنس نفسها وحملها^(٩٣) .

١٣٠ فقلتُ « لقد أحسنت القول يا ماركو العزيز^(٩٤) ؛ وإني لأتبين الآن لِم حُرّم أبناء لاوٍ من ميراث الأرض^(٩٥)

١٣٣ ولكن من هو جيراردو الذي تقول إنه ظلّ نموذجاً لقوم انقرضوا^(٩٦)، وملامةٌ لعصر همجي^{(٩٧) ؟} .

١٣٦ فأجابني « إنك بكلامك إما تخدعني وإما تُغريي^(٩٨)، إذ على رغم حديثك التسكاني إلىّ، فإنك تبدو كأن لم تسمع شيئاً عن جيراردو الطيب^(٩٩)

١٣٩. ولست أعرفه بلقب غير الذي أستعيّره من ابنته جايا^(١٠٠) وليكن الله في عونك^(١٠١)، إذ لن أتابع سيرى معكما

١٤٢ وانظر ها قد ابيضّ النور الذي يشعّ خلال الدخان^(١٠٢) ؛ ويجدر بي أن أرحل قبل أن يتبينني الملاك — الذي هو ماثلٌ هناك^(١٠٣) »

١٤٥ وهكذا عاد أدراجه ولم يشأ أن يسمع منى مزيداً^(١٠٤)

حواشي الأنشودة السادسة عشرة

- (١) هذه أنشودة الغاضبين وتسمى أنشودة ماركو لومباردو وتمتد مركز المطهر - والكويديا كلها - وتتناول نظرية الإرادة الحرة التي هي أساس الخير والشر في الدنيا والآخرة .
- (٢) يستعيد دانتى هنا ظلام الجحيم ، وهذا مزج بين عالمي الجحيم والمطهر
- (٣) استخدم دانتى لفظ (povero) والمقصود أن السماء كانت خالية من النجوم والقمر بسبب السحب
- (٤) هكذا توافرت كل عوامل الظلام بما في ذلك السحب الكثيفة
- (٥) كان الدخان كالشعر الخشن الذي يضايق الأعين ، ويتفق هذا من فكرة الحجاب الكثيف .
- (٦) لم يقو دانتى على فتح عينيه أمام الدخان الكثيف
- (٧) فرجيليو هو رمز الحكمة والعقل الذي يتعارض مع الغضب .
- (٨) ساعد فرجيليو دانتى على السير مستنداً إلى كتفه وسط الظلام الحالك .
- (٩) هذه صورة مأخوذة من الحياة الواقعية .
- (١٠) الهواء المرير يعنى الذى يصعب استنشاقه بسبب الدخان ، وأورد فرجيليو تعبيراً مشابهاً

Virg. Æn. XII. 588.

- (١١) هكذا يحرص فرجيليو على عدم تعريض دانتى للخطر كما فعل دائماً
- (١٢) هذه أرواح الغاضبين تطلب المغفرة .
- (١٣) حمل الله يعنى السيد المسيح ، وورد هذا المعنى في « الكتاب المقدس »

Giov. I. 29.

ويوجد حفر بارز يمثل حمل الله من القرن ١٤ على قبر الإمبراطور فردريك الثاني في كاتدرائية باليرمو

- (١٤) أى رتلوا جميعاً بنفس الألفاظ والحن . وهذا هو دانتى الموسيقى الفنان وكان الترنم بحمل الله والتضرع إليه برفع الخطايا شيئاً مألوفاً مع غيره من الابتهالات في القداسات الكنسية منذ العصور الوسطى ، ويساعدنا تذوق بعض ألحانها الصوتية (الكورالية) أو التي صار الترنم بها بمصاحبة الموسيقى (بالآلات المنفردة أو الأوركسترا) ، وبعض ما استمد منها في العصور التالية - يساعدنا ذلك على فهم نواح من الجو الشعري في الكويديا ونجد ذلك مسجلاً في بعض الأناشيد الجريجورية وما تأثر بها مثل القداسات والألحان الدينية ، التي وضع بعضها جوسكان دى پريه وجوفاني پيرلويديجي دا پالسترينا وأنتونيو فيثالدى وجورج فردريك هيندل وجان سباستيان باخ ، وذلك في الفترة الواقعة بين القرن ١٠ والقرن ١٨ ، والتي تعبر عن الخشوع والابتهال والضراعة والتكفير والإيمان والأمل والشوق إلى الله

Chant Gregorien Oraisons Solennelles et Vénération de la Croix de la

Liturgie du Vendredi Saint. (Archiv).

Josquin des Prés (1445-1594) : Messe de Beata Virgine. (Discophiles Français)

Giovanni Pierluigi da Palestrina (1523-1594) Missa Papae Marcelli. (West-minister).

Messe Aeterna Christi Munera; Messe Lauda Sion. (Erato).

Antonio Vivaldi (1678 ? 1707) Gloria in D major an in R major. (Vox).

Jean Sebastien Bach (1685-1750) St. John Passion. (Vox).

George Frideric Haendel (1685-1759) Messiah. (Richmond).

- (١٥) هم هنا متاً لفون تماماً تماماً بعكس ما كانوا عليه في الحياة بسبب الغضب .
- (١٦) يتضمن استفسار دانتي شيئاً من عدم التأكد تماماً مما يسمع .
- (١٧) يعنى أن دانتي أصاب بقوله إنهم أرواح
- (١٨) أى يسرون وهم يتطهرون من خطيئة الغضب
- (١٩) المتكلم لا يرى دانتي بسبب الدخان الكثيف ولكنه يشعر بغيره
- (٢٠) كان الرومان يحسبون الزمن بغرة كل شهر (calendae) وكانت هذه الطريقة معروفة في بعض كتابات العصر ، والمقصود أن دانتي كان إنساناً حياً يعرف الزمن بحساب أول كل شهر وترجمت (partissi) - وتعنى التقسيم - بكلمة الحساب
- (٢١) هو ماركو لومباردو
- (٢٢) يعنى الطريق إلى الإفريز الرابع .
- (٢٣) أى المخلوق الذى يتطهر من الغضب حتى يعود جميلاً إلى الله كما خلقه .
- (٢٤) يعنى سيسمع كيف أن إنساناً حياً يزور عالم المطهر إذا صحب دانتي وصار في نفس اتجاهه لا العكس
- (٢٥) أى سيتبع دانتي إلى آخر منطقة للدخان الكثيف
- (٢٦) سيكون الكلام هو الصلة بينهما بدلاً من الرؤية التى تعذرت بسبب الدخان .
- (٢٧) يعنى الجسم الذى يغطى الروح
- (٢٨) أى إلى أعلى جبل المطهر ثم إلى السماء .
- (٢٩) وهذا من دواعي العجب
- (٣٠) في الأصل لفظ (corte) - بلاط - والمقصود السماء .
- (٣١) يعنى بما ليس له مثيل منذ عهد إينياس وبولس - وسبقت الإشارة إليهما في الجحيم
- Inf. II. 13...
- (٣٢) يريد دانتي أن يعرف السلم الذى يؤدى إلى الإفريز الرابع
- (٣٣) ماركو لومباردو (Marco Lombardo) نبيل لومباردى يقال إنه عاش في البندقية في القرن ١٣ ، واشتهر بالكرم وحسن الثمائل وعرف بسرعة الغضب
- (٣٤) أى أنه خبر الدنيا وعرف الفضائل ، ويشبه هذا المعنى كلام أوليسيس في الجحيم
- Inf. XXVI. 97-99.
- (٣٥) يعنى أن الناس لم يعودوا يحفلون بنيل الفضائل ، ويأخذ دانتي الاستعارة من القوس .
- (٣٦) أى أنه يسير في الطريق الذى يؤدى به إلى السلم .
- (٣٧) يرى بعض الشراح أن المقصود فوق جبل المطهر ، ويرى آخرون أن المقصود الدنيا ، ويرى غيرهم أن المقصود السماء ، وربما كان الرأى الأخير هو الأوفق .

- (٣٨) تعهد دانتى أن يفعل ما يطلبه منه لومباردو إذا فسر له الشك الذى يجعله على وشك الانفجار
- (٣٩) يعنى أن كلام جويدو دل دوكا السابق - فى الموضوع الآخر - عن مطاردة الفضيلة أوجد الشك فى نفس دانتى
- Purg. XIV. 39.
- (٤٠) ضاعف الشك فى نفس دانتى كلام لومباردو الآن
- (٤١) دانتى واثق من أن العالم مقعم بالشر والفساد .
- (٤٢) يرجو دانتى أن يعرف سبب الشر فى الدنيا لكى يعرف به الآخرين ، وكان من أهم أغراض كتابته للكوميديا إظهار الناس على أصل البؤس والشقاء ومعرفة الوسائل لإصلاح البشر ، وبذلك تتحقق السعادة فى الدنيا والآخرة
- (٤٣) أى أن هناك من يجعل سبب الشر فى السماء بتأثير النجوم ، وهناك من يجعل سببه سوء تصرف الإنسان
- (٤٤) تنهد ماركو تنهداً عميقاً لإحساسه البؤس الذى يسود العالم
- (٤٥) يعنى أن العالم غارق فى الجهل الذى يعميه عن الخير
- (٤٦) أى أن دانتى جعل نفسه لا يدرك أن من أسباب بؤس الإنسان تصرفه هو ذاته
- (٤٧) أورد هوميروس هذه الفكرة وعرفها دانتى بطريق غير مباشر
- Hom. Od. I. 33...
- (٤٨) لو كان البؤس يرجع إلى السماء لما كان للإنسان إرادة قط ، وأورد بويثيوس هذا المعنى
- Boet. Cons. Phil. V. 2.
- (٤٩) يعنى لما كان هناك خير ولا شر ولا ثواب ولا عقاب
- (٥٠) أى تبعث السماء أولى مظاهر الحياة
- (٥١) يعنى النور أو العقل الذى يميز بين الخير والشر
- (٥٢) أى إذا قاومت الإرادة الحرة الرغبات التى أودعتها السماء فى الإنسان
- (٥٣) يعنى إذا تغذت الإرادة الحرة بالمعرفة والحب والفضيلة.
- (٥٤) تظفر الإرادة الحرة إذا تذرت بوسائل الظفر ، وعبر توماس الأكوينى عن هذا المعنى
- d'Aq. Sum. Theol. I. CXV. 4.
- (٥٥) أى الله .
- (٥٦) العقل أنبل جزء فى النفس ويشمل قوى المعرفة والإدارة ، وعبر دانتى عن ذلك فى « الوهبة »
- Conv. III. II. 10...
- (٥٧) يعنى أن السماء تترك العقل والإرادة يتمتعان بالحرية ، وعبر توماس الأكوينى والقديس أوغسطين عن هذا المعنى
- d'Aq. Sum. Theol. I. LXXV. 6.
- S. Agos. Civ. Dei, V.
- (٥٨) أى يرجع فساد العالم إلى سوء تصرف الإنسان .
- (٥٩) استخدم دانتى لفظ (spia) - الجاسوس - والمقصود هنا أن ماركو لومباردو سيوضح لدانتى كل شيء .
- (٦٠) يعنى الله الذى يخلق نفس الإنسان .
- (٦١) النفس كالطفل تبكى وتضحك وتلهو ببساطة وسذاجة ، وهذه صورة مأخوذة من الحياة الواقعية .

وهذا جسم دانتي المعنى في صورة نابضة بالحياة وأضى عليه مضموناً مشعاً متألقاً وهذا نموذج من خلق الشاعر

- (٦٢) هذا لأن ملكاتها لم تنضج بعد
 (٦٣) تعود النفس مشوقة راضية إلى خالقها
 Conv. IV. XII. 15-16. (٦٤) تكلم دانتي بهذا المعنى في «الوليمة»
 (٦٥) يعنى إذا لم يتحول حب النفس عن ثروات الأرض بما يردعها ردعاً كافياً
 (٦٦) أى أمبراطور عالمي يحقق العدالة والسلام في العالم ، وعبر دانتي عن ذلك في « الملكية الملكية»
 Mon. I. XII...
 (٦٧) البرج يعنى العدالة والمدينة الحقبة يعنى السماء ، ومن يعرف العدالة ويطبقها يفعل كل «
 (٦٨) يعنى ما قيمة القوانين إذا لم يباشرها من يحسن تطبيقها
 (٦٩) يقصد البابا
 (٧٠) أى يمكنه أن يعلم بما في جعبته من العلم وقال دانتي (الاجترار) بمعنى التفكير أو التأمل الذى يمكنه من تعليم غيره
 (٧١) الحافر المشقوق رمز للعمل والسعى الحثيث ، والمقصود أن البابا يقصر في أداء واجبه
 (٧٢) يعنى خيرات الأرض .
 (٧٣) أى أن الناس يحاكون الراعى المتهوم على خيرات الأرض .
 (٧٤) الحكومة السيئة التى تضطرب فيها السلطة الزمنية والسلطة الدينية هى التى تجعل العالم فاسداً
 (٧٥) يعنى أن الإنسان ليس فاسداً بطبيعته ولا بتأثير السموات عليه وهذه إشارة إلى ما سبق في ثلاثيتي ٦٦ و ٦٧
 (٧٦) أى البابا والأمبراطور .
 (٧٧) يعنى أن كلا منهما يؤدي واجبه ، وعبر دانتي عن ذلك في « الملكية الملكية»
 Mon. III. XVI.
 (٧٨) أى غطت البابوية على الأمبراطورية
 (٧٩) اتحاد السلطتين الزمنية والدينية في شخص واحد يعطل مصلحة السلطتين—عند دانتي—ويؤدي إلى الشر
 (٨٠) يعنى باتحاد السيف — رمز الأمبراطور — بالعكاز — رمز البابوية — في يد واحدة ، لا تخشى شمس الأمبراطورية من شمس البابوية شيئاً ، ويؤدي ذلك إلى الشر والفساد .
 (٨١) يعرف الثبت ببذوره التي توجد في ثمرته ، وورد هذا المعنى في الكتاب المقدس «
 Matt. VII. 15...
 (٨٢) يقصد دانتي كل إيطاليا العليا لا البلاد التي يرونها الأديج فحسب
 (٧٣) أى ما يتصف به الفرسان من الشجاعة وحسن الشرائع
 (٨٤) يعنى قبل أن يقع الصراع بين فردريك الثاني والبابوية، وقيل أن تصطرع المناطق الجبلية والمناطق الخلفية في إيطاليا العليا في النصف الأول من القرن ١٣. واستخدم دانتي لفظ (briga) بمعنى متاعب الشقاق وأحوال النضال
 (٨٥) أى أن أهل هذه الجهات قد أصبحوا فاسدين جميعاً وبذلك لا يجد الشرير ما يتحمله من مقابلة الرجل الصالح إذ لا وجود له . وهذه سخرية بالأشرار من جانب دانتي .

- (٨٦) يعنى أن الزمن الماضى يعذل أو يلوم الزمن الحاضر بشأن ثلاثة من الشيوخ الأفاضل الذين وجدوا قبل - وسيأتون بعد . وفى الأصل ورد لفظ (الجديدي) بمعنى الزمن الحالى .
- (٨٧) أى أنهم يرجون ويأملون أن ينقلهم الله سريعاً إلى رحابه .
- (٨٨) كورادو دالالاتزو (Currado da Palazzo) من الحلف فى بريشا، وكان مندوب شارل دانجو فى فلورنسا سنة ١٢٧٦ وأصبح عمدة پياتشتزا سنة ١٢٨٨ ، واشتهر بالكرم والشجاعة والأمانة
- (٨٩) جيراردو دا كامينو دى تريفيديجي (Gherardo da Camino di Trivigi) كان قائداً فى تريفيديجي من سنة ١٢٨٣ حتى موته فى سنة ١٢٨٨ ، واشتهر بالشجاعة والكرم ، وذكره دانتي فى « الوليمة »
- (٩٠) جويلو دا كامتلو (Guido da Castello ١٢٣٣-١٣١٥) من أسرة روبرتى فى تريفييزو ، اشتهر بالمقل والكرم والشهامة ، ونزل أحياناً ضيفاً على كان جراندى دلا سكاللا فى فيرونا ، وربما عرفه دانتي شخصياً ، وذكره فى « الوليمة »
- (٩١) يختلف الشراح فى معنى (francescamente il semplice Lombardo) وكان الفرنسيون يطلقون لفظ اللومبارديين على الإيطاليين عموماً ، وكذلك كانوا يستخدمون هذا اللفظ للتعبير عن البخل المراهين . ولكن تسمية جويدو باللومباردى الأمين - أو المتواضع - ربما تعنى الشخص الذى يقرض الناس قرضاً حسناً بدون ربا ولذلك فهو أمين . ولقد عرف جويدو بالأمانة والأمانة فى معاملته الفرنسيين القادمين عليه . ويلاحظ أن من معانى لفظ (semplice) فى الإيطالية المغفل الذى لا فطنة له ، وهذا ما لم يقصده دانتي .
- (٩٢) يعنى السلطة الدينية والسلطة الزمنية
- (٩٣) أى أن الكنيسة تدنس كذلك السلطة الزمنية التى اغتصبها
- (٩٤) يخاطب دانتي ماركو بالإعزاز والتقدير والاحترام .
- (٩٥) يعنى يرى دانتي بوضوح لماذا حرم اللاويون - رجال الدين اليهود - من الميراث الدنيوى حتى يتفرغوا لشئون الدين ، وورد ذلك فى « الكتاب المقدس »
- Gios. XIII. 14; XXI. 1-12.
- (٩٦) أى القوم القدماء الذين امتازوا بالخصال الطيبة فى أبيات ١١٥ - ١٢٦
- (٩٧) يعنى أصبح القدماء الصالحون مبعث اللوم والزراية بالنسبة لأهل العصر الذى عاش فيه دانتي ، الذين خلوا - فى نظره - من الخير
- (٩٨) أى أن دانتي بكلامه التسكافى إما يخدع ماركو وإما يتكلم لكى يحمله على التحدث أكثر ، وسبق التعبير عن اللغة التسكافية فى الجحيم
- (٩٩) يعنى أن دانتي كان ينبغى أن يعرف ماركو الذى ذاعت أخباره فى تسكانا
- (١٠٠) جايا (Gaia) إبنة جيراردو دا كامينو وزوجة تولبرتو (Tolberto) دا كامينو ، وماتت ودفنت فى تريفييزو فى سنة ١٣١١ وهذا التعبير يعنى أنه يسمى جيراردو بأبى جايا . واختلف النقاد فى قصد دانتي هنا . يرى بعض أن جايا اشتهرت بالجمال والفضيلة ؛ ويرى آخرون أنها اشتهرت بالجمال والرذيلة ، ويقول غيرهم إن دانتي أراد السخرية بهذا القول ، وهذا يتناسب مع فكرة زوال الخير وحلول الشر . ويرى پيتروبونو أن هذا الرأى الأخير لا يتفق مع تقدير دانتي لذكرى جيراردو الطيب . ولا يمكن الوصول إلى رأى قاطع فى هذه المسألة .

- (١٠١) يدعو ماركو لدانتي بأن يرفع الله ، وهذا إحساس رقيق من جانب ماركو
- (١٠٢) هذا هو نور الشمس الذى يشع خلال الدخان الأسود الكثيف
- (١٠٣) هذا لأن ماركو لا يحق له أن يظهر أمام الملاك ، وعليه أن يقضى مدة تطهره فى هذا الدخان المظلم
- (١٠٤) أى ارتحل ماركو قبل أن يسمع رد دانتي على قوله .
- وهناك توافق وتعاطف بين ماركو لومباردو وبين دانتي ، وقد أجرى دانتي على لسان ماركو ما أراد هو التعبير به عما لقيه من الويلات والشروع ، وعما احتمله من الأذى فى سبيل مبادئه وإخلاصه وصدقه وحرصه على تسمية الأشياء بمسمياتها ، ودعوته الناس إلى خيرهم الحقيقى . وحين نسمع ماركو يتكلم بأسى عن الخير الماضى والشر الحاضر ، فكأننا نسمع دانتي ذاته يعبر عن المساوىء والشرور التى عاش خلالها ، ورغب أن يتخلص منها وطنه والعالم .

الأنشودة السابعة عشرة^(١)

أخذ الدخان فى الانقشاع ورأى دانتي أشعة الغروب فى أعلى جبل المطهر ، وكانت قد اختفت عند الشيطان الخفيضة ورأى دانتي فى خياله ثلاث رؤى ، فرأى أولاً بروكنى ابنة ملك أثينا التى تحولت بالغضب على أقاربها إلى عندليب ورأى ثانياً هامان مصلوباً وحوله أحشويروش ملك الفرس وأستير ومُردخاى ، وكان ذلك رمزاً لمن غضبوا على المختارين من الله ورأى ثالثاً لافينيا ابنة ملك الرومانيين تبكى موت أمها أمانا ، وهذا رمز للغضب على الأعداء وأفاق دانتي من خياله حينما سقط عليه وهج شديد ، وسمع صوتاً كصوت الملائكة يقول هنا مكان الصعود ، فقال فرجيليو إن هذا روح إلهى يقدم العون بدون سؤال وبعد صعود أول درجة فى السلم أحس دانتي بجناح الملاك يزيل من جبينه خطيئة الغضب ، وسمعه يبارك صانعى السلام . وقال فرجيليو لدانتي إن الخالق ومخلوقاته تسودهم المحبة الطبيعية (الغريزية) والمحبة العقلية ، وإن المحبة الطبيعية لا تخطئ ، على حين أن المحبة العقلية القائمة على الإرادة الحرة ترتكب الخطأ بارتكابها الشر ، أو بزيادة ميلها لثروات الدنيا ، أو بانحرافها عن محبة الله ، وإذا اتجهت المحبة العقلية إلى الله واعتدلت فى محبة الدنيا ، فإنها لا ترتكب الإثم ، والعكس صحيح ولكن لما كان الإنسان لا يجب أذى نفسه — فهو على الأقل لا يؤذى نفسه عامداً — ولما كانت كراهية الله منزوعة منه ، فإن محبة الشر تتجه إلى الآخرين ، ويتمثل ذلك فى رغبة المتطرسين فى سقوط غيرهم ، وفى كراهية الحاسدين مجد الآخرين وسلطانهم ، وفى حرص الحانقين لما نالهم من المهانة على الانتقام ممن أهانهم ، وتتطهر الغطرسة والحسد والغضب فى الأفاريز الثلاثة السابقة ، بينما يتطهر المتباطئ فى فعل الخير فى هذا الإفريز الرابع ، ويعذب البخل والجشع وشهوة الجسد فى أعلى . وترك فرجيليو لدانتي أشياء يتعلمها بنفسه فيما بعد .

- ١ فلتذكر أيها القارئ^(٢) إذ كنت يوماً في جبال الألب فأحرق بك الضباب^(٣) ،
حتى لم تعد ترى خلاله إلا كما يرى الخلد خلال جلده^(٤) ،
- ٤ وحينما تأخذ الأبخرة الرطبة الكثيفة في التبدد - فلتذكر - كيف تتسلل
أشعة الشمس ضئيلةً خلالها^(٥) ؛
- ٧ وسيسهل عليك أن تدرك كيف أصبحت عندما رأيت من جديد لأول
وهلة أضواء الشمس^(٦) ، التي آذنت عندئذٍ بالمغيب^(٧)
- ١٠ وإذا كنت أقرن خطاي بخطى أستاذي الأمانة ، هكذا خرجت من مثل
ذلك السحاب إلى الأشعة الداوية الآن على الشيطان الحفيضة^(٨)
- ١٣ أيها الخيال الذي تُفقدنا الوعي بأنفسنا أحياناً ، حتى لا يتنبه المرء ولو نُفخ
من حواليه في ألف بوق^(٩) -
- ١٦ مَنْ ذا الذي يؤثر فيك ، إذا لم يبعث فيك الحسّ شيئاً ؟ أبحرَكَ في
السماء نور^(١٠) يتشكل بطبيعته أو بمشيئة تدفعه إلى أسفل^(١١) !
- ١٩ لقد تراءى في خيالي^(١٢) الأثر الخبيث لمن تحولت صورتها إلى الطائر الذي
يبتهج بشدوه كثيراً^(١٣) ؛
- ٢٢ وهنا شغل ذهني بما يعتمل فيه ، حتى لم يعد يأتيه ما يمكن أن يتلقاه
عندئذٍ من الخارج^(١٤)
- ٢٥ ثم طراً^(١٥) على خيالي الرفيع^(١٦) رجلٌ مصلوب^(١٧) ، تعلوه أمارات الازدراء
والعنف ، وعلى تلك الحال أدركته المتون^(١٨)
- ٢٨ ومن حوله وقف أحسّوِيرُوش الكبير^(١٩) ، وزوجته أستير^(٢٠) ، ومُردخاي
العادل^(٢١) ، الذي كان مُكَمَّلاً في قوله وفعله .
- ٣١ وحينما تلاشت هذه الصورة من تلقاء ذاتها ، كفقاعة يعوزها الماء الذي
تكوّنت تحت سطحه^(٢٢) ،
- ٣٤ مثلت في خيالي^(٢٣) صبيةً تبكي بمرارة^(٢٤) ، ومضت تقول « أيتها
الملكة ، لم رغبت أن تصيرى بالغضب عدماً^(٢٥) ؟
- ٣٧ إنك قتلت نفسك حتى لا تفقدى لاثيينا^(٢٦) :وها أنت تفقديني الآن^(٢٧) !
ولاني لبأكية على موتك يا أماء قبل موت غيرك^(٢٨) »

- ٤٠ وكما ينقطع النوم^(٢٩) حين يسطع فجأة نورٌ عجيبٌ على العينين المُسبلتين^(٣٠) ،
وفي انقطاعه يُداعِبُ المرءَ فترةً قبل أن يتمَّ زواله^(٣١) ؛ —
- ٤٣ هكذا تداعى ما تمثّل في خيالي حينما أصاب وجهي نورٌ ، يزيد بهاؤه
كثيراً عما هو في مألوفنا^(٣٢)
- ٤٦ وأخذتُ أتلُفُ حوالى لكى أرى أين أصبحتُ ، عندما سمعتُ صوتاً يقول
« هنا مكان الصعود^(٣٣) » ، فحوّلنى ذلك عن كلّ هدفٍ سواه^(٣٤) ؛
- ٤٩ وبعث في نفسى شديدة الرغبة لكى أرى من ذا الذى كان يتكلم ، تلك
الرغبة التى ما كانت ليرضى سوى برؤيته وجهاً لوجهٍ^(٣٥)
- ٥٢ ولكن كما تنقل الشمس على أعيننا ، وتحجب عنا وجهها بشدةٍ وهجها ،
هكذا أعوزتنى الرؤية ها هنا^(٣٦)
- ٥٥ « هذا روحٌ إلهىٌ يوجهنا إلى طريق الصعود بدون سؤال^(٣٧) ، وبنوره يُنقى
عنا نفسه^(٣٨) »
- ٥٨ وإنه يصنع بنا كما يصنع الإنسان بنفسه^(٣٩) ؛ إذ أن من يلمس حاجة
غيره وينتظر منه الرجاء ، يتجه بروح الشرِّ إلى الرفض^(٤٠)
- ٦١ ولئنوأمُ الآن بين خطونا وبين هذه الدعوة الكريمة ولننحرص على
الصعود قبل حلول الظلام ، إذ لن نقدر على ذلك حتى يعود النهار^(٤١) »
- ٦٤ هكذا قال دليلى ، فاتجهنا معاً سائرين نحو سلّم^(٤٢) ، وحينما أصبحتُ
على أولى درجاته ،
- ٦٧ أحسستُ بقربى شيئاً يُبهف على وجهي كأنه حركة جناح^(٤٣) ، وسمعتُ
« طوبى لصانعى السلام^(٤٤) ، الذين لا يعرفون الغضب الذمّيم^(٤٥) ! »
- ٧٠ وكانت قد علّست فوقنا شاهقةً آخرُ أشعةٍ يأتى في إثرها الليل ، حتى أخذتُ
تبدى لنا النجوم في كلّ جانب^(٤٦)
- ٧٣ فقلتُ في نفسى « لمْ تخدلينى يا قواى^(٤٧) ؟ » ، إذ شعرتُ أن ساقى
قد شدّت وثاقهما^(٤٨)
- ٧٦ وكنتا قد أصبحنا حيث لم يعد السلّم يصعد مزيداً ، ووقفنا دون حراك^(٤٩) ،
كسفينةٍ حطّت على الشاطئ^(٥٠)

- ٧٩ وانتظرتُ قليلاً لكي أرى هل كنت سأسمع شيئاً في الدائرة الجديدة^(٥١) ،
ثم التفتُ إلى أستاذي وقلت
- ٨٢ « خبرني - يا أبتاه الحبيب - آية خطيئة تنطهرُ هنا في هذه الدائرة التي نحن فيها^(٥٢) ؟ وإذا توقفتُ أقدامنا فلا يتوقفنَّ حديثك^(٥٣) »
- ٨٥ فقال لي « إن محبة الخير التي تقصُر عن أداء واجبها ، تتجدّد هاهنا^(٥٤) ؛ وهنا يستأنف ضرباته المجذافُ المُستَواني^(٥٥) »
- ٨٨ ولكن لكي تفهمي بعدُ على نحو أوضح ، فلستُعرفي انتباهك ، وستنال بوقوفنا هنا بعض الثمار الطيبة^(٥٦) »
- ٩١ وبدأ^(٥٧) « لم يوجد - يا بني - أبداً خالقٌ ولا مخلوقٌ دون محبةٍ طبيعيةٍ^(٥٨) أو عقلية^(٥٩) ؛ وإنك لتعرف ذلك^(٦٠) »
- ٩٤ ولا تقع المحبة الطبيعية في الخطأ قط^(٦١) ، ولكن الأخرى تتعرض للخطأ^(٦٢) ،
إما بنحيث مقصدها^(٦٣) وإما بزيادة حرارتها أو نقصانها^(٦٤)
- ٩٧ وببيهما هي تتّجه بكليتها إلى الخير الأول^(٦٥) وتعتدل إزاء الثاني ، لا يمكنها أن تصبح سبباً في طلب المُلذّات الخبيثة^(٦٦) ؛
- ١٠٠ ولكن حينما تنحرف نحو الشر ، وتسارع إلى الخير الدنيويّ بحرصٍ يزيد أو يقلّ عما ينبغي ، فإنها تثير المخلوقَ على الخالق^(٦٧)
- ١٠٣ وبذلك يمكنك أن تدرك أنه ينبغي أن تكون المحبة لديكم بذرة كلّ فضيلةٍ ،
وأصلاً لكلّ فعل يستحق العقاب^(٦٨)
- ١٠٦ والآن ، بما أنه لا يمكن للمحبة أن تشيخ بوجهها أبداً عن خير مَنْ يمارسها ،
فإن الكائنات تصبح في مأمنٍ من كراهة ذواتها^(٦٩) ؛
- ١٠٩ وإذا لا يمكننا أن نتصوّر وجود كائنٍ قائم بذاته منفصل عن الموجود الأول^(٧٠) ، فلا موضع لكراهة الله في قلوب الناس^(٧١)
- ١١٢ وفضلاً عن ذلك - فإذا صحّ تقديرى فيما أصنّفه - فإن محبة الإنسان للشرّ لا تصيب سوى جاره^(٧٢) ؛ وفي جبلتكم تنبع هذه المحبة بثلاث صور^(٧٣)
- ١١٥ فهناك مَنْ يأمل في التفوّق بسقوط جاره^(٧٤) ، ولهذا وحده يتطلّع إلى أن يهوى من عليائه إلى الحضيض^(٧٥)

- ١١٨ وهناك مَنْ يَخْشَى أَنْ يَفْقِدَ السُّلْطَانَ وَالْحِظَّةَ وَالْمَجْدَ وَالشَّهْرَةَ بِارْتِفَاعِ شَأْنٍ غَيْرِهِ ، فَيَحْزَنُ وَيَأْسَى حَتَّى يَتِمَّى لَهُ الْعَكْسُ (٧٦) ؛
- ١٢١ وهناك مَنْ يَبْدُو بِالْإِهَانَةِ غَاضِباً (٧٧) ، حَتَّى يَصْبِحَ إِلَى الْإِنْتِقَامِ مَهْوِماً ، وَلَيْسَ لِمِثْلِهِ سِوَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى مُضَرَّةٍ غَيْرِهِ (٧٨)
- ١٢٤ وَإِنَّهُ لَيَسْبِكِي مِنْ هَذِهِ الصُّورِ الثَّلَاثِ لِلْمَحَبَّةِ — هُنَاكَ فِي أَسْفَلِ (٧٩)
- وَأُرِيدُكَ الْآنَ أَنْ تَدْرِكَ النُّوعَ الْآخَرَ مِنَ الْمَحَبَّةِ ، الَّتِي تُسَارِعُ إِلَى ذَلِكَ الْخَيْرِ بِطَرِيقَةٍ مُنْحَرِفَةٍ (٨٠)
- ١٢٧ فِي ذَهْنٍ كُلِّ أَمْرٍ فِكْرَةٌ شَوْهَاءٌ عَنْ خَيْرٍ أَسْمَى ، يُمْكِنُ أَنْ تَهْدَأَ بِهِ نَفْسُهُ ، فَيُظَلِّ مُشَوِّقاً إِلَيْهِ (٨١) وَبِذَلِكَ يَعْمَلُ عَلَى أَنْ يَبْلُغَ رَحَابَهُ
- ١٣٠ وَلَوْ دَفَعْتُكَ الْمَحَبَّةَ الْمُتَوَانِيَةَ إِلَى رُؤْيَيْهِ أَوْ نَيْلِهِ (٨٢) ، لَعَذَّبَكَ عَلَى ذَلِكَ هَذَا الْإِفْرِيزِ — بَعْدَ تَوْبِتِكَ النُّصُوحِ
- ١٣٣ وَهُنَاكَ خَيْرٌ آخِرٌ لَا يَسْعُدُ بِهِ الْإِنْسَانُ (٨٣) ؛ وَمَا هُوَ بِالسَّعَادَةِ وَلَا بِالْخَيْرِ الْجَوْهَرِيِّ — ثَمَرَةٌ كُلِّ فِعْلٍ حَمِيدٍ وَأَصْلُهُ (٨٤)
- ١٣٦ وَإِنَّهُ لَيَسْبِكِي فَوْقَنَا فِي ثَلَاثِ حَلَقَاتٍ (٨٥) ، عَلَى الْمَحَبَّةِ الَّتِي تَسْخُوفُ بِذَلِكَ نَفْسَهَا لِهَذَا الْخَيْرِ (٨٦) ؛ أَمَّا كَيْفَ قُسِّمَتْ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ —
- ١٣٩ فَهَذَا مَا أَسْكَتْ عَنْهُ — حَتَّى تَعْجِدَهُ بِنَفْسِكَ (٨٧) «

حواشى الأنشودة السابعة عشرة

- (١) هذه أنشودة التنظيم الخلقى للمطهر وتشبه الأنشودة ١١ فى الجحيم .
- (٢) يخاطب دانتي القارئ ليلفت نظره ويشركه فى الموضوع ، وقد فعل ذلك مراراً .
- (٣) المقصود بجبال الألب فى عهد دانتي الجبال التى تفصل تسكانا عن رومانيا ، ويرى بعض الشراح أنه يقصد بها مطلق جبال مرتفعة
- (٤) الخلد (mole) حيوان ثديى صغير يغطى عينه غشاء من الجلد ويرى الحيوان خلال ثقب صغير به . والمقصود أن الرؤية كانت متعذرة بسبب الضباب .
- (٥) هذه صورة دقيقة مأخوذة من الواقع
- (٦) يوازن دانتي بين هذه الصورة وانقشاع الضباب الأسود الكثيف .
- (٧) كانت الساعة حوالى ٦ من مساء الإثنين ١١ أبريل ١٣٠٠
- (٨) يعنى غربت الشمس عند سفح الجبل ولم تعد تضيء إلا القسم الأعلى منه .
- (٩) هذه حال من يستغرق فى الخيال فلا يشعر بما حوله .
- (١٠) أى بتأثير النجوم
- (١١) يعنى بإرادة الله الذى يبعث ملكة الخيال فى الإنسان .
- (١٢) هذه هى الرؤية الأولى فى خيال دانتي وترمز إلى الغضب على الأقارب والأصدقاء .
- (١٣) هذه هى پروكنى (Procne) إمينة پانديون ملك أثينا ، اعتدى زوجها تيروس على عفاف أختها فيلومينا وقطع لسانها حتى لا تخبر أحداً بما فعله بها ولكنها شرحت الأمر لپروكنى بوسيلة غير الكلام ، فأخذها الغضب الشديد وانتقمت لذلك بأن قتلت ابنها إيتيس وقدمته كطعام لأبيه الذى الذى عرف حقيقة الأمر وأراد قتل الأختين معاً ، فحولت الآلهة ثلاثهم إلى طيور ، وصارت پروكنى عندليبا ، وأورد أوفيدوس هذه الأسطورة
- Ov. Met. VI. 424-676.
- (١٤) أى تأثر دانتي بهذه الرؤية الخيالية وانحصر ذهنه فيها حتى لم يعد يدرك شيئاً مما حوله .
- (١٥) استخدم دانتي لفظ (piovve) من الإمطار ، ويقصد أنه قد انصبت أو طرأت فى خياله هذه الرؤيا الثانية التى ترمز للغضب على المختارين من الله .
- (١٦) هكذا يعتز دانتي بخياله الرفيع ، وستكرر هذا المعنى
- (١٧) هامان (Haman) وزير آششوروش ملك الفرس الذى رفض مردخاى السجود له فغضب هامان على اليهود وأمر باستئصال شأفتهم من فارس ، فتدخلت أستير لدى الملك وأنقذت شعبها وقتل هامان ، كما ورد فى « الكتاب المقدس » :
- Est. III. VII.
- (١٨) مات هامان وعلى وجهه علامات الازدراء والغضب والعنف وتحفظ وجوه الموق بالطابع الذى يموتون عليه .
- (١٩) آششوروش (Ahasuerus) الاسم الذى أطلقتته التوراة على ملك الفرس ، وقد يقصد به دارا الأول (٥٢١ - ٤٨٦ ق.م) أو لجزرسييس (٤٨٥ - ٤٦٥ ق.م) أو أرتكزرسييس (٤٦٥ - ٤٢٥ ق.م) .

- (٢٠) أستير (Esther) اليهودية زوجة أحشويروش ، التى أنقذت شعباً من الهلاك .
وتوجد صورة لأستير من عمل أندريا دل كاستانيو من القرن ١٥ وهى فى دير سانتا أبولونيا
(سابقاً) فى فلورنسا .
- (٢١) مردخاى (Mardocco) عم أستير ومربها واشتهر بالعدل والحكمة .
- (٢٢) هذه صورة مأخوذة من الملاحظة الدقيقة
- (٢٣) هذه هى الرؤيا الثالثة وترمز للغضب على الأعداء .
- (٢٤) الصبية هى لافينيا (Lavinia) ابنة لاتينوس ملك الرومانيين فى إيطاليا وأمها أماتا (Amata)
التي ظنت خطأ أن تورنوس زوج ابنتها قد قتل، فحنقت وغضبت وقتلت نفسها حزناً وبأساً، وفيما
بعد قتل إينياس تورنوس وتزوج لافينيا ، سبق ذكرها فى الجحيم وستذكر فى الفردوس ،
وأورد فرجيليو هذه الأسطورة

Inf. IV. 126; Par. VI. 3.

Virg. Æn. XII. 593

- (٢٥) يعنى لم قتلت نفسك بالغضب
- (٢٦) أى حينما كانت لافينيا ستزوج من إينياس الأجنبي
- (٢٧) يعنى فقدت أماتا ابنتها لافينيا بانتحارها هى .
- (٢٨) أى أن لافينيا تبكى موت أمها قبل أن تبكى موت زوجها تورنوس .
- (٢٩) فى الأصل لفظ (frange) بمعنى يحطم ، وسبق أن عبر دانتي عن تحطيم النوم فى الرأس
بلفظ مقارب
- (٣٠) فى الأصل (الوجه المفلق)
- (٣١) هذه صورة من يستيقظ من النوم على الوجه الشديد .
- (٣٢) يعنى كان نور ملاك السلام أقوى من الشمس .
- (٣٣) يدعو الملاك دانتي للصعود إلى الإفريز الرابع
- (٣٤) أى اجتذبه صوت الملاك ونوره حتى لم يعد يفكر فى شيء سواه .
- (٣٥) هكذا تولدت فى دانتي الرغبة الشديدة فى رؤية مصدر هذا الصوت وهذا النور .
- (٣٦) يقول النص (ثقل) الشمس ، والمقصود إعاقه الرؤية .
- (٣٧) من واجب ملاك السلام أن يوجه الشعارين فى طريقهما بلون سؤال ، والرحمة الحقيقية هى فعل
الخير دون طلب أو رجا .
- (٣٨) يتفق هذا التعبير مع ما ورد فى بيت ٥٣
- (٣٩) يعنى أن الملاك حريص على فعل الخير حرص الإنسان على خير نفسه وورد فى « الكتاب
المقدس » تعبير عن هذا المعنى
- (٤٠) أى أن من يرى حاجة المحتاج ويتنظر منه الرجاء فكأنه يستمد لرفض معونته . وذكر دانتي
لفظ (uopo) ويعنى هنا الحاجة
- (٤١) يعنى أنهما لن يمكنهما الصعود بعد الغروب ولا بد إذاً من الانتظار حتى الصباح التالى ، وهذا
هو قانون السير فى المطهر :
- (٤٢) أى السلم الذى يؤدى إلى الإفريز الرابع .
- (٤٣) هههه الملاك بجناحيه على وجه دانتي حتى يزيل عن جبينه خطيئة الغضب .

Marco, XII. 31.

Purg. VII. 43-60.

- (٤٤) ورد هذا القول في « الكتاب المقدس »
 Matt. V. 9.
- (٤٥) عبر توماس الأكويني عن الغضب الطيب والغضب الخبيث
 d'Aq. Sum. Theol. II. II. CLVIII. 1-3.
- (٤٦) هذه آخر أشعة ترسلها الشمس عند الغروب وظهرت فوق جبل المطهر بينما أحاط الليل بأسفل الجبل
- (٤٧) أحس دانتي بحلول الظلام أنه لا يقوى على متابعة الصعود ، وسبق هذا التعبير
 Purg. VII. 52
- (٤٨) هذا هو تعبير دانتي عن توقفه عن السير وهناك من يرى أن تكون ترجمة هذا البيت (إن قوى ساقى قد صارتا في هدنة)
- (٤٩) في الأصل (صرنا مثبتين) يعنى توقفنا عن المسير .
- (٥٠) هذا تعبير مأخوذ من الحياة الواقعة حينما تحط سفينة على رمال الشاطئ* فتقف عن الحركة
- (٥١) هذه هي الدائرة أو الإفريز الرابع حيث يتطهر الغاضبون
- (٥٢) يشبه هذا التوقف ما سبق في الجحيم
 Inf. XI. 10-15.
- (٥٣) يطلب دانتي أن يستمر فرجيليو في حديثه
- (٥٤) يستعيد الروح محبة الخير - أو تجدد هذه المحبة - نفسها بالتطهر
- (٥٥) أى تعود محبة الخير - ويرمز لها بالمجداف - إلى أداء واجبها وتعوض عما فاتها
- (٥٦) يعنى سينال دانتي النفع بتوقفه ، وسبق مثل هذا التعبير
 Inf. XI. 13-15.
- (٥٧) يبدأ فرجيليو في شرح النظرة العامة للمحبة التى هى أساس التنظيم الخلقى للمطهر
- (٥٨) المحبة الطبيعية أو الفرغيزية تجذب الأجسام والنباتات والحيوانات والإنسان بعضه إلى بعض ، وليس الإنسان مسؤولاً عن ذلك
- (٥٩) المحبة العقلية قائمة على الإرادة الحرة والرغبة والاختيار ، وذكرها دانتي في « الوليمة » وكذلك
 d'onv. IV. XXII. 10.
- توماس الأكويني
- CAq. Sum. Theol. I. II. XXVIII. 6.
- Conv. III. III.
- (٦٠) تكلم دانتي في « الوليمة » عن المحبة الطبيعية والمحبة العقلية
- (٦١) لا تخطئ* المحبة الطبيعية لأن الإنسان غير مسؤول عنها ، وعبر دانتي عن ذلك في « الملكية »
- Mon. III. 14.
- (٦٢) أى أن المحبة العقلية المبنية على الإرادة والرغبة قد تخطئ* أولاً باتجاهها إلى الشرور كالكبرياء والحسد والغضب
- (٦٣) وتخطئ* المحبة العقلية ثانياً بزيادة حرارتها أو حماسها أو ميلها للأشياء الدنيوية المحدودة ، وهذا يعنى اتجاهها إلى البخل والجشع وشهوة الجسد
- (٦٤) وتخطئ* المحبة العقلية ثالثاً بنقص حرارتها أو نقص ميلها للخير اللامتناهى أى الله .
- (٦٥) يقصد المحبة العقلية القائمة على الإرادة والرغبة
- (٦٦) يعنى إذا اتجهت المحبة العقلية إلى الله وإذا اعتدلت في محبة الثروات الدنيوية فإنها لا ترتكب الخطايا
- (٦٧) ولكن إذا اتجهت المحبة العقلية إلى الشر وزاد اهتمامها بخيرات الأرض ونقصت عنايتها بالخير الأول ، فإن الإنسان يعصى الخالق ويرتكب الخطايا

- (٦٨) أى أن المحبة العقلية أصل للخير والشر ، وعبر توماس الأكويني عن ذلك
d'Aq. Sum. Theol. I. II. XXVIII. 6.
- (٦٩) يعنى أن محبة الإنسان لنفسه تجعله حريصاً على عدم إيذاء نفسه
- (٧٠) يعنى أن الكائنات كلها متصلة بالله ، وعبر دانتي عن ذلك فى « الوليمة » وكذلك « الكتاب المقدس »
Conv. III. II. 7.
- Atti, XVII. 28.
- (٧١) ورد لفظ (decidere) بمعنى يقطع ، أى أن كراهة الله منزوعة من البشر كافة
- (٧٢) أى إذا كان الإنسان لا يمكنه أن يحب الشر لنفسه أو لله فإنه يجب الشر بخاره ويشبه هذا التقسيم ما سبق فى الجحيم :
Inf. XI. 31
- (٧٣) يعنى فى طبيعة الإنسان وأصله
- (٧٤) أى أنه هناك من لا يتفوق إلا يسقط الآخرين ولذلك يعنى إلى سقوطهم ، وهؤلاء هم المتفطرسون .
- (٧٥) وفى هذا منتهى الحسة والدناءة
- (٧٦) يعنى هناك من يخشى فقدان ما ناله من السلطة والمجد والشهرة إذا ارتفع شأن غيره ، فيجب أن ينال الآخرين عكس ما هو عليه من رفعة الشأن ، وهؤلاء هم الحاسدون وقد عبر توماس الأكويني عن هذا المعنى
d'Aq. Sum. Theol. II. II. XXXVI. 1-3.
- (٧٧) وهناك من يفضب لما يلحق به من الإهانة فيصبح مهووماً إلى الانتقام لما أصابه ، وهؤلاء هم الغاضبون
- (٧٨) يرى بعض الشراح أن لفظ (improntare) يعنى الإسراع فى العمل ، ويرى آخرون أنه يعنى مجرد العمل أو السعى إليه .
- (٧٩) أى يتطهر من ارتكبوا الفطرية والحسد والغضب ثم تابوا فى ثلاث دوائر سابقة
Purg. X. 121; XIII. 38; XVI. 24.
- (٨٠) هذه هى المحبة الخاطئة التى سبقت الإشارة إليها فى بيت ٩٦ وتوجد صورة للحب المنحرف. الأعمى وهى من عمل جوتو من القرن ١٤ وهى فى كنيسة القديس فرنسيسكو فى أسيسى
- (٨١) يعنى يفهم كل إنسان صورة غير واضحة عن خير عام يسمى إليه ، وأورد بويتيتوس هذا المعنى
Boet. Cons. Phil. III. II. 2.
- (٨٢) أى إذا كان الإنسان متباطئاً فى محبة الخير وتاب عن ذلك فهذا الإفريز هو مكان تطهره
- (٨٣) يعنى الخير الدنيوى .
- (٨٤) أى أنه لا يتأتى من محبة الدنيا خير أو سعادة حقيقية والله هو الخير الجوهرى وثمره وأصل لكل الأفعال الصالحة ، وعبر توماس الأكويني عن هذا المعنى
d'Aq. Sum. Theol. I. VI. 3, 4.
- (٨٥) أى يتطهر فى أعلى مرتكبو خطايا البخل والإسراف والجشع وشهوة الجسد الذين تابوا عن خطاياهم فى الأفاريز ٥ و ٦ و ٧ من الأنشودة ٢٠ حتى ٢٧
- (٨٦) يعنى المحبة التى تبذل من نفسها للخير الدنيوى ، وأصفت (الخير) للإيضاح
- (٨٧) على هذا النحو تكلم فرجيليو هذا الكلام الفلسفى الخلق ولم يذكر كل شيء لدانتي بل ترك له أشياء يتعلمها بنفسه

الأنشودة الثامنة عشرة^(١)

انتهى فرجيليو من حديثه السابق ، فاستفسر دانتي عن المحبة مصدر كل فعل طيب وعكسه فقال فرجيليو إن النفس تخلق مهية للمحبة الغريزية في الإنسان ، والتي لا تهدأ إلا إذا أبهجها موضوع المحبة ، وليست كل محبة حميدة بذاتها وساور دانتي الشك في المحبة الغريزية التي تأتي من الخارج ، وكيف يُثاب عليها الإنسان أو يُلام وقال فرجيليو: إنه سيشرح له الأمر في حدود العقل وسيترك ناحية الإيمان لتتولى بياتريتشى شرحها ، وذكر أن الروح منفصلة عن المادة ومتحدة بها في وقت واحد ، وإن المعارف الأولى والرغبات الأولية غريزية في الإنسان كغريزة النحل في صنع العسل ، وهي لا تستحق مدحاً ولا لوماً ، ولكن الإنسان مزود بالعقل الذي عليه أن يحرس عتبة الرضا ، وبذلك يكون الجزاء تبعاً لقبول المحبة الطيبة أو الخبيثة أو رفضهما وقال فرجيليو إن الفلاسفة أدركوا هذه الحرية الفطرية ، وأورثوا العالم علم الأخلاق ، وإن بياتريتشى تعنى بالقوة النبيلة الإرادة الحرة ، كما سيأتى في الفردوس وبذلك زالت شكوك دانتي ، وبدأ يساوره النعاس ، ولكنه زال من عينيه بظهور حشد من الكسالى اللامبالين الذين جاؤوا مسرعين خلف الشاعرين ، وصاح اثنان مهمم بذكر مثالين عن السرعة من أخبار العذراء ماريا وقبصر في أسبانيا ، واستفسر فرجيليو عن أقرب الطرق إلى الصعود وسأله الراهب من دير سان إتزينو السير وراء هذا الحشد لأنه لا يمكنهم الوقوف ، وتكلم عن ألبرتو دلا سكالا الذى سوف يجزن لأنه حابى ابنه المشوه الحسد الناقص العقل وجعله رئيساً لذلك الدير وفي مؤخرة الحشد صاح اثنان بمثال عن تباطؤ اليهود حين خروجهم من مصر وعن تخلف رفاق إينياس عنه عند بلوغه صقلية ، فعاش أولئك وهؤلاء بدون مجد وتواردت على دانتي الأفكار حتى أخذته النعاس

- ١ كان معلّمى العظم (٢) قد ختم حديثه (٣) ، وأخذ يُمعن النظر فى 'عيسى' كى يرى هل أصبحت راضى النفس (٤) ؛
- ٤ وأنا الذى كان لا يزال يثيرنى عطشٌ "جديد" (٥) ، ثمّ ظاهرى عن السكوت ، وقلتُ لنفسى « ربما تثقل عليه أسئلتى الكثيرة (٦) »
- ٧ ولكن ذلك الأب الصدوق ، الذى أدرك رغبتى الحائرة التى لم تُفصح عن ذاتها (٧) ، منعنى بحديثه الشجاعة حتى أتكلم
- ١٠ فقلت « إن بصرى ليزداد حدة (٨) بين طيّات أنوارك (٩) يا أستاذى ، حتى لا تبيّن بجلاء كلّ ما يعرضه أو يشرحه لى حديثك .
- ١٣ ولذا فإننى أرجوك أيها الأب العزيز الحبيب (١٠) ، أن تحدّثنى عن المحبة التى تعزو إليها كل فعل حميد ونقيضه (١١) »
- ١٦ فقال لى « وجهه لى أنوار عقلك الثاقبة (١٢) ، وسيتّضح لك خطأ العميان (١٣) الذين يجعلون من أنفسهم لشعوبهم زعماء (١٤) »
- ١٩ وإلى كلّ ملذّة (١٥) تميل نفسكم الشهوية المهيأة للمحبة (١٦) ، حينما تنهض بدافع من ملذّتها لى مباشرة الفعل (١٧)
- ٢٢ وإن نفسكم العاقلة (١٨) لتستخلص من الموضوع الواقعى معنى تفسره فى باطنكم (١٩) ، بحيث توجه نفسكم الشهوية لىه ؛
- ٢٥ وإذا كانت باتجاهها تميل لىه ، فما هذا الميل سوى المحبة (٢٠) ، وهذه هى المحبة الطبيعية (٢١) ، التى يتجدّد ارتباطها بكم بتأثير ملذّاتكم (٢٢)
- ٢٨ ثمّ كما تتّجه النار لى أعلى — إذْ هى بطبيعتها مهيأةٌ للصعود (٢٣) ، حيث تبقى فى عنصرها زمناً أطول (٢٤) ،
- ٣١ هكذا نجد النفس المُحيّة ينالها الشوق ، الذى هو هزّةٌ "روحية" تعرفوها (٢٥) ، ولا تهدأ أبداً حتى تسعد باتحادها بالمحبوب (٢٦)
- ٣٤ والآن يمكنك أن ترى كيف تتوارى الحقيقة ، عن القوم الذين يؤكّدون أن كل محبة هى فى ذاتها شىءٌ "حميد" (٢٧) ،
- ٣٧ إذْ ربما يبدو عنصرها (٢٨) طيباً أبداً (٢٩) ؛ ولكن ليس كلّ ختمٍ جيّداً ولو كان شمعُه من النوع الجيد (٣٠) .

- ٤٠ فأجبتة « لقد أدركتُ أسرار المحبة بفضل كلماتك وبذهنى الذى تابعها ، وإن كان ذلك قد أفعمى بمزيد من الشك » (٣١) ؛
- ٤٣ لأنه إذا وافقتنا المحبة من الخارج (٣٢) ، ولم يكن للنفس من سبيل سوى هذه الخطوة ، فلا فضل لها إذا سارت مستقيمة أو منحرفة (٣٣) »
- ٤٦ فقال لى « إننى مستطيعٌ أن أحدثك بقدر ما يتيبينه العقل هاهنا (٣٤) ؛ ولكن لا تنتظر تفسير ما يتجاوز ذلك إلا من بياتريتشى — إذ أن هذه مسألة إيمان (٣٥) »
- ٤٩ وإنّ كل صورةٍ جوهرية — والى هى منفصلةٌ عن المادة (٣٦) وبها متحدة (٣٧) — تجمع فى ذاتها قوةً نوعية (٣٨) ،
- ٥٢ لا تدرك سوى بالعمل ، ولا تبدى أبداً إلا بأثرها (٣٩) ، كما تبدو علائم الحياة فى النبات بأوراقه المخضرة (٤٠)
- ٥٥ ومع ذلك فلا يدرك الإنسان من أين يتأتى له إدراك الأفكار الأولى (٤١) ، ولا ميله إلى الرغبات الأولية (٤٢) ،
- ٥٨ التى ما هى فيكم إلا كدأب النحل فى صنع العسل ؛ ولا تستحق هذه الإرادة الأولية ثناءً ولا لوماً (٤٣)
- ٦١ والآن لكى يتواعم معها كل ما سواها ، تولدت فيكم الملكة المرشدة (٤٤) ، وعليها أن تحرس عتبة الرضا (٤٥)
- ٦٤ وهذا هو الأصل الذى ينبثق منه ما هو جديرٌ بكم ، تبعاً لقبول المحبة الطيبة أو الخبيثة أو رفضهما (٤٦)
- ٦٧ وإن من بلغوا بالاستدلال العقلى أغوار الخليقة — أدركوا هذه الحرية الفطرية (٤٧) ، وبذلك أورشوا العالم عليم الأخلاق (٤٨)
- ٧٠ وبهذا لوسلّمنا بأن كل محبة تستعر فى باطنكم (٤٩) ، ما هى إلا نابعةٌ فيكم بالضرورة ، فإن فيكم القوة على كبح جماحها (٥٠)
- ٧٣ وإن بياتريتشى لتنتع هذه القوة النبيلة بالإرادة الحرة (٥١) ، ولذلك فلتحرص على أن تعيها فى ذهنك ، حين تأخذ فى التحدث عنها إليك (٥٢) .

- ٧٦ والقمرُ الذى تأخَّرَ طلوعه إلى مايقرب من منتصف الليل^(٥٣)، جعل النجوم تبدو لنا أكثر ندرة وتشكّل بهيئة دلوٍ يشتعل كله بالنار^(٥٤)؛
- ٧٩ وانطلق قبالة السماء^(٥٥) فى تلك المسالك التى تُشعلها الشمس، حينما يراها ساكن روما تغرب بين أهل سردينيا وأهل كورسيكا^(٥٦)
- ٨١ وذلك الطيّف اللطيف^(٥٧) الذى نالت پييتولا من الشهرة بسببه ما لم تنله مدينة مانتوا^(٥٨) — أزال عنه ما أثقلته به من العبء^(٥٩)؛
- ٨٥ ولذلك أصبحتُ — أنا الذى نلتُ عن أسئلتى إجابةً صريحة واضحة — أصبحتُ كمن يشرد بفكره حينما يأخذه النعاس^(٦٠)
- ٨٨ ولكن أطار من عيى هذا النعاس فجأة — جماعةٌ كانت قد اتجهت نحونا من وراء ظهرينا^(٦١).
- ٩١ وكما شهد هرا إسمينوس وأسوپوس فى العصر القديم هياجاً وحشداً لإزاء ضفاتها فى أثناء الليل — حينما استنجد أهل طيبة بالإله باخوس^(٦٢) —
- ٩٤ هكذا اندفع القادمون، حسبما تبين لى فى مجيئهم، حول تلك الدائرة، وقد تقوّست خطواتهم^(٦٣)، واستحثّتهم الإرادة الطيّبة والمحبة العادلة^(٦٤)
- ٩٧ وسرعان ما صاروا فوقنا، إذ تقدّم عدواً كلّ ذلك الحشد الكبير، وفى طليعته صاح اثنان مهم وهما يذرغان الدمع^(٦٥)
- ١٠٠ «جرتُ ماريا بسرعة إلى الجبل^(٦٦)؛ ولكى يخضع قيصر مدينة إيلرّدا^(٦٧) ضرب مارسيليا ثم سارع إلى أسبانيا^(٦٨)»
- ١٠٣ ومن بعدهما صاح الآخرون^(٦٩): «سارعوا، سارعوا، حتى لا يضيع الوقت بالحبّة القليلة^(٧٠)، إذ تروا النعمة الإلهية بالسعى فى فعل الخير^(٧١)»
- ١٠٦ «أيها القوم^(٧٢) — يا من ربما تعوّض الآن حماسكم الشديدة عن الإهمال والتوانى اللذّين بدرا منكم بفتوركم فى صنع الخير
- ١٠٩ إن هذا الرجل الحى — وأست أكذبكم يقيناً^(٧٣) — يرغب فى الصعود أعلى حينما تعود الشمس للإشراق علينا^(٧٤)؛ ولذا فلتخبرونا أين نجد المخرج قريباً إلينا».

- ١١٢ كانت هذه كلمات دليلي إليهم ؛ فقال واحدٌ من بين تلك الأرواح « ألا فَلَئِنَّا فِي إِثْرِنَا (٧٥) ، وستجد الثغرةَ هنالك (٧٦) »
- ١١٥ ولقد تسلَّطت علينا الرغبة في المسير حتى لا نستطيع إزاءها وقوفاً (٧٧) ؛ ولذا فَلَئِنَّا إِذَا رَأَيْتَ فِي طَرِيقَةِ عَذَابِنَا شَيْئاً غَلِيظاً (٧٨)
- ١١٨ وكنت في فيرونا راهب سان إترينو ، في عهد باروسا الطيّب (٧٩) ، الذي لا تزال ميلانو تتكلَّم عنه وهي تأسى وتتألَّم (٨٠)
- ١٢١ وهناك منْ له الآن في القبر قدمٌ (٨١) ، والذي سيذرف دمه عاجلاً على ذلك الدير (٨٢) ، ويحزن بما كان له من السلطان (٨٣) ؛
- ١٢٤ إذْ وضع ابنه المشوَّه الجسد ، الناقص العقل ، والمولود في العار — مكانَ راعيه العدل (٨٤) .
- ١٢٧ ولست أدري أقال مزيداً أم سكت ، وكان عندئذٍ قد تجاوزَ موضعنا كثيراً (٨٥) ؛ ولكني سمعت منه ذلك وسرّني أننى وعيته .
- ١٣٠ وقال منْ كان لى في كلِّ حاجة سنداً (٨٦) : « فَلَئِنَّا هُنَا وَلَتَنْظُرَ إِلَى اثْنَيْنِ مِنْ بِيهِمْ — يَأْتِيَانِ نَادِمَيْنِ عَلَى الْكَسْلِ » .
- ١٣٣ وفي مؤخِّرتهم جميعاً أخذ الاثنان يقولان : « القوم الذين انشَقَّ لهم البحر (٨٧) — كانوا قد هلكوا قبل أن تشهد مياه الأردن ورثتهم (٨٨) ؛
- ١٣٦ ومنْ لم يحتملوا مع ابن أنكيسيس العبء حتى نهاية رحلته ، وهبوا أنفسهم لحياة خالية من المجد (٨٩) »
- ١٣٩ ولما ابتعدتُ عنّا هذه الأشباح ، حتى لم نعد نقوى على رؤيتها (٩٠) ، بدأتُ في خاطري فكرةً جديدةً ،
- ١٤٢ نبعثُ منها أفكاراً أخرى كثيرةً مُنَوَّعةً (٩١) ، فأخذتُ أسرَحُ خاطري من فكرةٍ لأخرى ، حتى أغمضتُ عيني وأنا مأخوذ اللب (٩٢) ،
- ١٤٥ وتحولتُ تأملاتي إلى حلم (٩٣)

حواشي الأنشودة الثامنة عشرة

(١) هذه أنشودة الكسالى اللامبالين المتباطئين في فعل الخير

(٢) هكذا ينمت دانتي فرجيليو .

Purg. XVII. 85-139.

(٣) يعنى ما قاله فرجيليو في الأنشودة السابقة

(٤) أخذ فرجيليو بعد نهاية حديثه يرقب وجه دانتي ليقرأ ما به ، ونظر فرجيليو إلى العينين لأنهما

Conv. III. VIII. 9-10.

مرآة النفس . وعبر دانتي عن هذا المعنى في « الوليمة »

(٥) أى كان دانتي متعطشاً إلى المعرفة .

(٦) خشي دانتي أن يثقل على فرجيليو بكثرة أسئلته ، وسبق مثل هذا المعنى في الجحيم

Inf. III. 80; X. 20-21;

(٧) فهم فرجيليو ما جال بنفس دانتي على رغم خجله

(٨) يعنى يزيد إدراك دانتي .

(٩) أى نور الحقيقة التي يشرحها فرجيليو .

(١٠) هذا إعزاز آخر لفرجيليو .

Purg. XVII. 103

(١١) هذا ما سبق قوله

(١٢) يسأل فرجيليو دانتي أن يتبته إليه بكل مشاعره .

(١٣) في الغالب يقصد بالعميان من لا يدركون حقيقة أنفسهم ولا يفهمون ظروف الحياة ، ومع ذلك

يسعون إلى الزعامة وهم لا يرضون في ذلك سوى غرورهم وأهوائهم الذاتية ، وإذا بلقوها طفوا

ويغوا وأفسدوا ويرى بعض الشراح أن دانتي قصد بالعميان الأبيقوريين الذين يجعلون اللذة

أساس الحياة .

(١٤) ليس من السهل على كل إنسان أن يصبح معلماً أو دليلاً أو قائداً لغيره وأضفت (لشعوبه)

Conv. I. XI. 4.

وورد معنى مشابه في « الوليمة » وفي « الكتاب المقدس »

Matt. XV. 14.

(١٥) تميل النفس بطبيعتها إلى ما يبهجها ويلذ لها

(١٦) ورد لفظ (animo) بمعنى النفس ' الشهوية ' ورد لفظ (presto) بمعنى الإعداد أو

الاستعداد أو التهيؤ .

(١٧) وتدفع اللذة النفس إلى عمل ما يلذ لها

(١٨) لفظ (apprensiva) يعنى الحاسة العاقلة العارفة عند المدرسين

(١٩) أى يأخذ العقل من الشيء الواقعى صورة أو معنى يفسره حسب تقديره وذكر دانتي هذا المعنى

Conv. III. IX. 7.

في « الوليمة »

(٢٠) يعنى إذا مالت النفس إلى مصدر هذه اللذة فتكون هذه هي المحبة . ويتكرر هذا المعنى

Purg. XVII. 100; XIX. 56.

(٢١) وهذه هي الغريزة الطبيعية الجوهرية في نفس الإنسان .

(٢٢) يرى كثير من الشراح والمترجمين أنه يقصد بقول (di nuovo) هنا من جديد أو ثانياً ،

ولكن سكارتاتزى يرى أنه يعنى المعنى القديم (primieramente) أى من قبل أو أولاً

ويعنى التفسير الأول أن المحبة تجدد ارتباط الحب بمصدر اللذة ، ويعنى التفسير الثانى اللذة التى حدثت عند ما أحس الحب بها نحو موضوع المحبة فى زمن سابق .

(٢٣) تصعد النار بطبيعتها إلى أعلى ، ولم يعرف القدماء أن ذلك مرجعه إلى خفة الأوكسجين . وعبر دانتى عن المحبة بهذا المعنى فى « الوليمة »

Conv. III. III. 2.

(٢٤) أى تصعد إلى سماء النار بين جو الأرض وسماء القمر ، وسيأتى ذكرها فى الفردوس

Par. I. 76-81.

(٢٥) هذه هى المحبة القائمة على الإرادة والاختيار

(٢٦) المقصود أن النفس تنعم باتحادها بالمحبوب ، وقلت (حتى تسعد باتحادها بالمحبوب) للإيضاح وعبر دانتى عن هذا المعنى فى « الوليمة »

Conv. III. II. 3.

(٢٧) هذه إشارة إلى مذهب الأبيقوريين فى لذة الحب والتمتع به مهما كانت بواعثه

(٢٨) يقصد بلفظ (matera) الشئ المحبوب

(٢٩) يعنى أن موضوع المحبة لا يكون دائماً موضوعاً طيباً

(٣٠) ربما كان الشمع جيداً ومع ذلك تكون الصورة التى يطبعها الخاتم عليه صورة رديئة والمقصود أن المحبة قد تكون آثمة

(٣١) أى أدرك دانتى طبيعة المحبة ولكن تولدت فى نفسه شكوك أخرى وورد فى الأصل لفظ الكشف

(٣٢) يعنى إذا كانت المحبة تأتى من أشياء خارجة عن العقل

(٣٣) وإذا كانت المحبة تأتى من الخارج فما فضل الإنسان إذا اتجهت نفسه اتجاه مستقيماً أو منحرفاً

(٣٤) أى يمكن لفرجيليو أن يتكلم فى المسائل التى تتعلق بالعقل . وهذه إشارة إلى ما سبق

Purg. XV. 76-78.

(٣٥) ولكن مسائل الإيمان والعقيدة من اختصاص بياتريتشى وعبر دانتى عن هذا المعنى فى « الوليمة »

Conv. II. III. 2.

(٣٦) لا يعنى لفظ (sustanzial) فى المعنى المدرسى شيئاً مادياً صلباً ذا سمك كالحديد أو الخشب وأخرى بنا أن نكتبه (su-stanzial) ويعنى الجوهر الأساسى الذى هو ماهية الكائن أو الشئ مضافاً إلى مادته وتعبير (forma su-stanzial) يعنى الصورة التى تتحدد بجوهرها وشكلها وحركتها وخصائصها الكائنات والموجودات فالصورة الجوهرية للإنسان تشمل مادته وكل ما يصدر عنه فى أثناء الحياة ، وكذلك بالنسبة للجواد أو العصفور وإذا انتهى هذا الجوهر الأساسى فمضى ذلك الموت وبالنسبة لوثيقة مثلاً لا يقصد بتطبيق هذا التعبير عليها الورق ولا الحبر ولا الخط المكتوب ، بل يقصد به المضمون القائم وراء السطور ، والذى يحدد أنها وثيقة زواج أو هبة أو تملك أو وراثة أو رخصة حائوت وهذا الجوهر الأساسى فى كل الحالات قائم بذاته لأنه روح فى حالة الكائنات الحية بل وفى المادة كذلك

(٣٧) أى أن الروح متحدة فى الوقت نفسه بالمادة - الهوى - بحلوها فى الجسم واستخدم دانتى لفظى (setta) و (colletta) من اللاتينية

(٣٨) الفضيلة أو القوة أو القدرة النوعية فى الإنسان هى اتجاهه الطبيعى إلى المعرفة والمحبة ويشبه هذا المعنى ما أورده توماس الأكوينى

d'Aq. Sum. Theol. I. LXXVI. 4.

- (٣٩) يعنى لا يظهر أثر الروح ولا يدرك إلا بالعمل والنتائج
- (٤٠) هذا تشبيه دقيق مأخوذ من ملاحظة حياة النبات .
- (٤١) أى الاتجاه الطبيعى فى الإنسان إلى المعارف أو الأفكار الأولى ، وهى إدراك وجود الله ووجود الخلق والخلقة
- (٤٢) يعنى اتجاه الإنسان إلى رغباته الأولية مثل محبة الحقيقة والجمال والخير وحسب الاستطلاع والسعى إلى السعادة
- (٤٣) أى ما دام الإنسان يتجه إلى ما يلذ له فلا لوم عليه ولا ثناء ، لأنه يفعل ذلك بدافع طبيعى يشبه غريزة النحل فى صنع العسل
- (٤٤) يعنى وجد العقل فى الإنسان لإيجاد التناسق بين رغباته واتجاهاته المختلفة
- (٤٥) أى يجب على العقل أن يحصى الإنسان من نزواته فيقبل الخير ويرفض الشر وعبر دانتى عن هذا المعنى فى « الوليمة »
- Conv. IV. XXVI. 5
- (٤٦) وبذلك يصبح الإنسان مسؤولاً عن عمله
- (٤٧) يعنى الفلاسفة - مثل أرسطو وأفلاطون - الذين وصلوا بالعقل إلى جوهر الأشياء وأدركوا مسؤولية الإنسان
- (٤٨) أى أورث الفلاسفة علم الأخلاق لكى يسير الناس بمقتضاه فى طريق الخير
- (٤٩) يعنى محبة الخير ومحبة الشر
- (٥٠) أى أنه إذا اتجهت المحبة إلى الشر فى الإنسان العقل والإرادة التى تكبح جماح نزواته .
- (٥١) الإرادة الحرة (liberum arbitrium) من اللاتينية بمعنى الاختيار أو الحكم الحر على الأشياء والمعانى والتصرف فى حدود ذلك ، وإذا لم يكن الاختيار حراً تعطلت إرادة الإنسان والمفروض أنها إرادة رشيدة تقود الإنسان إلى ما يعود عليه بالخير
- Par. V. 19
- (٥٢) ستحدث بياتريتشى دانتى فى هذا الشأن فى الفردوس :
- (٥٣) يعنى تأخر ظهور القمر ، وكان الشاعران وقتئذ يتكلمان فى منتصف الليل فى ليلة ١١ - ١٢ أبريل ١٣٠٠
- (٥٤) كان القمر منيراً من جانب واحد وبدأ على صورة دلو كبير وغطى نوره على نور النجوم .
- (٥٥) أى طلع القمر من الغرب إلى الشرق ضد حركة السماوات اليومية
- (٥٦) يعنى كان القمر صاعداً فى الوقت الذى كان فيه أهل روما يرون الشمس تغرب بين جزيرتي سردينيا وكورسيكا وهذا يعنى فى الفلك الحديث أن القمر كان عندئذ فى برج الميزان ، ولكن القمر كان فى الليلة السابقة فى حساب دانتى فى برج العقرب (Purg. IX. 4-6) ، أى أن دانتى أخطأ فى حساب خط الطول لساردينيا الذى لم يكن معروفاً على وجه الدقة فى عصره (وخط طول سردينيا هو ٨ شرق جرينتش) والواقع أن القمر كان الآن فى آخر المراحل فى برج العقرب أو أوائل المراحل فى برج القوس
- (٥٧) أى فرجيليو
- (٥٨) بيتولا (Pietola) وعرفت قديماً باسم أنديس (Andes) وهى مسقط رأس فرجيليو وتقع على نهر ميتشو بقرب مانتوا ، وسميت كذلك من أجل فرجيليو ، وفاقت شهرتها شهرة مانتوا ذاتها ، ويمكن أن تكون الترجمة فى نظري بعض الدانتيين كالألقاب (وذلك الشيخ الرقيق الذى نالت بسببه بيتولا من الشهرة ما لم تنله سائر قرى مانتوا)

- (٥٩) يعنى أن فرجيليو أزال شكوك دانتي بشرحه الواضح والتي كانت عبثاً على فرجيليو ذاته . وربما يقرأ النص على أن فرجيليو قد أزال العبء الذى ثقل على كاهل دانتي .
- (٦٠) شعر دانتي بالتعب فأخذ النعاس .
- (٦١) طار النعاس من عيني دانتي بقدم هذه الجماعة المصرة ، وهؤلاء هم الكسالى اللامبالون المتباطئون في فعل الخير ، وكانوا خلف الشعراء ثم استداروا وجاءوا أمامهما
- (٦٢) إسمينوس (Ismenus) وأسوپوس (Asopus) نهران في بويتيزيا جرى على ضفتاهما ليلاً أهل طيبة وبأيديهم المشاعل ، وهم يضرعون إلى باخوس إله الخمر وحامى المدينة أن يرسل عليهم المطر لكى ينمو الكرم ، كما أورده استاتيوس Stat. Theb. IX. 434 . . .
- (٦٣) التشبيه مأخوذ من حركة المنجل الدائرية السريعة عندما يقطع العشب والمقصود أنهم جروا بسرعة في ذلك الإفريز
- (٦٤) استخدم دانتي لفظ (cavalcare) يعنى يعتلى ظهر الجواد ، والمقصود أنه كانت تدفعهم أو تسوقهم إلى السير الإرادة الطيبة والحجة العادلة وهكذا بدا المتباطئون في فعل الخير بعكس ما كانوا عليه في الدنيا ، وهذه هى طريقة تطهرهم .
- (٦٥) هذان اثنان غير معروفين .
- (٦٦) هذه إشارة إلى زيارة العذراء ماريا مسرعة إلى إلبصابات الحامل ، وورد ذلك في « الكتاب المقدس » : Luca, I. 39-41.
- (٦٧) إيلردا (Ilerda) هى ليريدا الحالية في قطلونة بشمال غرب أسبانيا حيث قضى يوليوس قيصر بقرىها على أتباع بومبي في سنة ٤٩ ق. م.
- (٦٨) أى ترك قيصر مارسيليا (Marsiglia) محاصرة بقيادة بروتس وأسرع هو إلى أسبانيا كما أورده لوكانوس Luc. Phars. III. 453.
- ويذكر الكسالى المتباطئون في فعل الخير مثالى العذراء وقيصر كقدوة لهم
- (٦٩) على نداء هذين الإثنين صاح الجميع كله .
- (٧٠) صاح الكسالى اللامبالون جميعاً يحضون بعضهم بعضاً على الإسراع إلى التطهر
- (٧١) يعنى أن المسارعة إلى فعل الخير تبعث من جديد النعمة الإلهية ، ويأخذ دانتي تشبيهه من اخضرار النبات . ويرى بعض مترجمي الكوميديا أن تترجم الفقرة الأخيرة كما يلي : (إذ أن النعمة الإلهية تذكى الحماسة في فعل الخير)
- (٧٢) هذا هو فرجيليو الذى يحادث هؤلاء الكسالى
- (٧٣) يؤكد فرجيليو لهؤلاء أن دانتي على قيد الحياة
- (٧٤) سبق هذا التعبير : Purg. VII. 43
- (٧٥) سألت هذه الروح فرجيليو أن يسير هو ودانتي وراء المتطهرين أى من جهة اليسار صوب اليمين .
- (٧٦) يعنى ثغرة أو عمر في الصخر وسيأتى بعد
- (٧٧) عذاب هؤلاء الجحري على الدوام حول الجبل ، ولذلك لا يمكنهم التوقف أبداً وسبق الجحري الدائم — تحت وابل النيران — في الجحيم Inf. XV.

(٧٨) يسأل هذا الروح دانتى الصفح والمغفرة إذا بدا له جريه الدائم المفروض عليه أمراً فظاً غليظاً مخالفاً للكماسة وحسن الذوق .

(٧٩) ربما كان هذا هو جيراردو الثاني (Gherardo II.) رئيس دير سان إترينو (San Zeno) في فيرونا الذى أحسن استقبال الإمبراطور فردريك بارباروسا (Federico Barbarossa) فتمحه السلطة على مناطق كثيرة .

وتوجد صورة من عمل سپينلو أريتينو من القرن ١٤ تمثل فردريك بارباروسا والبابا إسكندر الثالث ، وهى بالقصر الحكوى فى سينا . وكذلك يوجد حفر بارز من القرن ١٢ يمثل فردريك بارباروسا فى كل من متحف قلعة ميلانو وكاتدرائية فولينيو .

(٨٠) هذا لأن بارباروسا أمر بهدم ميلانو فى ١١٦٢ .
ويوجد حفر يمثل الكفاح بين فردريك بارباروسا وأهل ميلانو ويرجع إلى القرن ١٢ وهو بمتحف قلعة ميلانو .

(٨١) المقصود به ألبرتو دلا سكاللا (Alberto della Scala) أمير فيرونا الذى مات فى ١٣٠١ ، وترك ثلاثة أبناء شرعيين وابناً غير شرعى .

(٨٢) أى أن ألبرتو سيحزن سريعاً على ما فعله بدير سان إترينو

(٨٣) وضع ألبرتو ابنه جوسى (Giuseppe) الأعرج المشوه الناقص العقل والغير الشرعى على رأس دير سان إترينو فى ١٢٨٦

(٨٤) يعنى مكان الراعى الكفء التقدير . وفى بعض الأحيان يوجد الارتباط بين تشوه الجسد وضعف القوى العقلية

(٨٥) كان هذا الروح يتكلم وهو يجرى ، ولذلك لم يعرف دانتى أقوال مزيداً أم لا

(٨٦) هذا هو فرجيليو .

(٨٧) يقصد اليهود الذين هربوا من فرعون مصر الذى انشق أمامه البحر الأحمر وما يقال إن ذلك قد حدث فى زمن رمسيس الثانى فى القرن ١٤ ق. م. وورد ذكرهم فى « الكتاب المقدس » : Esodo, XIV. 10-20.

(٨٨) أى هلك اليهود الذين خالفوا تعاليم موسى ، ولم يبق إلا يشوع وكاليب ، وبذلك لم يشهد هرب الأردن ورتبهم ، وورد ذلك فى « الكتاب المقدس » Deut. I 62...

(٨٩) يقصد رفاق إينياس الذين تمبوا من السفر وآثروا البقاء فى صقلية ولم يصحبوه فى رحلته بعد ذلك ، وأورد فرجيليو هذه الأسطورة : Virg. Æn. V. 700

والمقصود أن اليهود وفاق إينياس الذين تباطأوا فى العمل النافع عاشوا دون مجد .

(٩٠) لم يعد دانتى يرى هؤلاء لأنهم ابتعدوا عنه بجرهم .

(٩١) يشبه هذا ما أورده فرجيليو Virg. Æn. VIII. 20.

(٩٢) شرد دانتى بفكره حيناً لم يعد هناك ما يراه .

(٩٣) يعنى انتقل دانتى من اليقظة إلى النوم .

الأنشودة التاسعة عشرة^(١)

فى ساعات الصباح الأولى من يوم الثلاثاء ١٢ أبريل ١٣٠٠ رأى دانتى فى الحلم امرأة شوهاء تتلعم فى كلامها ، ولكنها تخالفت مما كانت عليه بنظرة من دانتى ، وأخذت تغنى قائلة إنها عروس البحر التى تضلّ الملاحين وتجذبهم إليها ، وهى رمز البخل والجشع وشهوة الجسد ثم ظهرت قديسة أبدت غضبها لما أوشك أن يتعرض له دانتى من الإغراء ، فكشف فرجيليو عن بطن عروس البحر ، فاستيقظ دانتى بما فاح منها من الرائحة الحبيثة . وكان النهار قد طاع ، ودعا ملاك الخلاص الشعارين إلى الصعود ، وأزال بجناحه من جبين دانتى خطيئة اللامبالاة والتكاسل فى فعل الخير وحفز فرجيليو دانتى إلى المسير ، فتقدم مسرعاً كالباذى الذى يسارع إلى غذائه ووصل الشعاران إلى الإفريز الخامس ، ورأى البخلاء والمسرفين يبكون وقد استلقوا وانقلبوا على وجوههم ، وقالوا إن نفوسهم لاصقة بالتراب واستفسر فرجيليو عن الطريق إلى الإفريز السادس ، فأشار أحد الأرواح على الشعارين بالسير بحيث يكون يمينهما إلى فضاء الجبل وتقدم دانتى إلى مصدر الصوت وطلب إليه أن يتوقف قليلا عن التطهر لكى يحادثه ، وسأله عن شخصه وعن حال المتطهرين هنا ، وهل يريد أن يؤدى له خدمة فى الأرض وكان ذلك هو البابا أدريانو الخامس الذى عرف فى مدة بابويته انقصيرة أعباء منصبه الخطير ، وقال إنه تاب عن البخل حينما ولى البابوية وأدرك أن الحياة الدنيا كاذبة وكان عقاب هؤلاء أن ينكفئوا على وجوههم فوق الأرض ، لأنهم لم ينظروا فى أثناء الحياة إلى أعلى وركع دانتى إلى جواره ، ولكن أدريانو سأله الوقوف على قدميه لأن الجميع ما هم إلا خدام لله ، وسأله أن يتابع سيره حتى لا يعطل تطهره ، وذكر ابنة أخيه ألدجا الطيبة الشماثل — اللهم إذا لم تكن قد فسدت بمثالب أسرتها — وهى الوحيدة التى تذكره فى الدنيا بالخير

- ١ في الساعة التي لا تقوى فيها شمس النهار^(٢) على أن تلطّف من برودة القمر^(٣) حين تشتدّ برودة الأرض^(٤) أو زحل أحياناً^(٥) ،
- ٤ وحينما يرى الرّمّالون^(٦) نجوم " الحظّة الأكبر " ^(٧) طالعة قبيل الفجر في قبة المشرق^(٨) — في مسرى لا تسوده الظّلّمة إلا قليلاً^(٩) ؛ —
- ٧ تراءت لي في الحلم امرأة^(١٠) متلعثمّة اللسان^(١١) حواء العينين^(١٢) ، وتبدّت ملتبّوة على قدميها^(١٣) ، مبتورة اليدين^(١٤) ، شاحبة اللون^(١٥) فأخذت أنظر إليها ؛ وكما تبعث الشمس الدفء في الأطراف الباردة التي يثقل عليها الليل^(١٦) ، هكذا انطلق بنظري
- ١٣ لسانها ، ثم انتصبت قامتها في برهة^(١٧) ، واكتسى وجهها الشاحب باللون الذي تتطلّبه المحبّة^(١٨)
- ١٦ وحينما حلّت عقدة لسانها على ذلك النحو شرعت تغنى ، حتى كان من العسير على أن أحول انتباهي عنها^(١٩)
- ١٩ وغنّت قائلة : « إنني عروس البحر الفاتنة التي أضلّ الملاحين في عرض البحر^(٢٠) ، وإني لمفعمّة باللذة التي أبعثها فيمن يُصغى إلى^(٢١) ! »
- ٢٢ ولقد اجتذبتُ بغنائى أوليسيس الهائم في رحلته^(٢٢) ؛ وإن منّ يألف مُعاشتي ينذر عني ارتحاله^(٢٣) ، إذ أُرضى كافّة رغائبه ! »
- ٢٥ ولم تكن قد أغلقت بعدُ فاهها^(٢٤) ، عندما مثّلتُ إلى جانبي سيّدة مباركة^(٢٥) ، متحفزة لكي تُدخل الاضطراب في روعها
- ٢٨ وقالت وقد علاها الازدراء^(٢٦) « فرجيليو يا فرجيليو ، هذه المرأة — من تكون ؟ — فأقبل هو بعينين مُشبّهتين على تلك الأميّة فحسب^(٢٧) »
- ٣١ وأمّسك بالأخرى ، وعراها من الأمام بشقّ ملابسها ، وكشف لي عن بطنها^(٢٨) فأيقظتني كريحه الروائح التي فاحت منها^(٢٩)
- ٣٤ وأخذتُ أتلفّت بعيني^(٣٠) ؛ وقال أستاذي الطيب « لقد ناديتك ثلاث مرات على الأقل^(٣١) ، ألا فلتنهض ولتقبل ولتنبعث عن الثغرة التي استدخل خلالها . »

- ٣٧ فنهضت واقفاً ، وكان نور النهار المكتمل قد غمر حلقات الجبل المقدس كلها ، وسيرنا وأشعة الشمس المشرقة وراء ظهرينا (٣٢)
- ٤٠ وبينما كنت أتابعه حملتُ جبيني كمن ثقل عليه وطأة الأفكار ، فيسير مُنحني الظهر (٣٣) ؛
- ٤٣ إذْ بي أسمع : « هيتاً أقبل - فها هنا المعبر (٣٤) » - تُقال بصوت لطيف ، وبما لا يُسمع نظيره في هذه الحدود الفانية (٣٥)
- ٤٦ وبجناحين مفتوحتين - بدتا كجناحي بجعة (٣٦) - وبين حائطين من الصخر الصلد (٣٧) - اتجه بنا أعلى - من تحدث هكذا إلينا
- ٤٩ ثم خفق بأرياشه مهفهفاً علينا (٣٨) ، قائلاً لنا إن الخزان سينعمون بالطوباوية ، إذْ تملك نفوسهم زمام العزاء (٣٩)
- ٥٢ « ماذا دهالك حتى لم تعد تُحملك إلا في الأرض (٤٠) ؟ » - بدأ دليلى يقول لي ذلك - حينما تجاوزنا كلانا في صعودنا حدّ الملاك قليلاً
- ٥٥ فقلت « إن رؤيا جديدةً تتملكني وتدفعني إلى المسير في ظلالٍ من الشك ، حتى لا يمكنني أن أكفّ عن التفكير فيها (٤١) »
- ٥٨ فقال لي (٤٢) « لقد شهدت تلك الساحرة العتيقة التي تحمل وحدها المتطهرين على البكاء فوقنا الآن (٤٣) ؛ ورأيت كيف يتخلص المرء منها .
- ٦١ ألا فلأيكفلك هذا ، ولأضرب الأرض بعقبك (٤٤) » ولتتجه بعينيك إلى النداء الذي يُشيعه المليك الأبدي في أرجاء الدوائر الكبرى (٤٥)
- ٦٤ وكالبازي الذي ينظر إلى قدميه أولاً ، ثم يتجه إلى مصدر النداء ويبسط جناحيه بالرغبة في الغذاء الذي يجتذبه إليه (٤٦) ؛
- ٦٧ هكذا فعلتُ (٤٧) ؛ وبقدر ما كان الصخر مشقوقاً ليفسح طريقاً لمن يمضي صعداً - كذلك سرتُ إلى حيث يبدأ الدوران (٤٨)
- ٧٠ وحينما أصبحت طليقاً (٤٩) في الدائرة الخامسة (٥٠) ، رأيت فيها قوماً يذرفون دموعهم ، وقد استلقوا جميعاً منكفئين على الأرض (٥١)
- ٧٣ وسمعتهم يقولون في تهديد عميق (٥٢) " لصقت نفسي بالتراب " (٥٣) ، حتى لم تكد كلماتهم تُفهم

- ٧٦ « أيها المختارون من الله ، يا من تخفف العدالة والأمل قسوة عذابهم ألا فلتوجهونا إلى الدرجات التالية^(٥٤) »
- ٧٩ « إذا جئنا آمنين من الاطّراح هاهنا^(٥٥) ، وكنّا راغبين في العثور على أقصر الطرق ، فلتكن يُمى أيديكما دائماً إلى الخارج^(٥٦) »
- ٨٢ هكذا سأل شاعري وهكذا تلقى الجواب من موضع يتجاوزنا قليلاً ؛ وبذلك تبينتُ من كان مُختفياً وراء هذه الكلمات^(٥٧) ؛
- ٨٥ فاتجهتُ بعيني إلى عيني سيدي^(٥٨) : حينئذٍ أباح لي بلباقةٍ بشوشة^(٥٩) — ما سألتُه عيني الراغبة^(٦٠)
- ٨٨ وعندما أمكنني التصرف وفقاً لتقديرى ، تقدّمتُ فوق ذلك الكائن الذى استرعت كلماته انتباهى من قبل^(٦١) ،
- ٩١ وقلتُ « أيها الروح الذى يُنضج فيه البكاء ما لا يمكن العودة بدونه إلى رحاب الله^(٦٢) ، فلتكفّ من أجلى برهةً عن مشغلتك الكبرى^(٦٣) »
- ٩٤ ولتخبرنى مَنْ كنت ، ولِمَ تتجه ظهوركم أعلى ، وهل تريد أن أنال لك شيئاً فى الدنيا — التى جئتُ منها وما زلت على قيد الحياة^(٦٤) ؟ »
- ٩٧ فقال لى : « إنك ستعرف لِمَ توجه السماء ظهورنا إليها^(٦٥) ؛ ولكن عليك أن تعلم أولاً أننى كنت خليفة القدّيس بطرس^(٦٦) »
- ١٠٠ وهناك بين مدينتى سيسترى وكيا فيرى^(٦٧) ينساب جدولٌ جميلٌ^(٦٨) ، ومن اسمه يتخذ لقبُ أسرقى ذروة مجده^(٦٩)
- ١٠٣ لقد خبرتُ — فترةً تتجاوز الشهر قليلاً^(٧٠) — كيف يثقل الثوب الأعظم على مَنْ يحفظه من الوحل نقيّاً ، حتى لتبدو من الريش — إلى جانبه — سائر الأعباء^(٧١)
- ١٠٦ وتأخرتُ فى توبّتى وأسفاه ! ولكن حينما أصبحت راعياً رومانياً اكتشفتُ عندئذٍ بطلان الحياة الدنيا^(٧٢)
- ١٠٩ ووجدتُ أن قلبي لم يهدأ هناك ولم يستطع أحدٌ أن يزداد علوّاً فى تلك الحياة ، ولذا اشتعل قلبي بحبّة هذه الحياة^(٧٣)

- ١١٢ وإلى تلك اللحظة^(٧٤) كنت نفساً بائسةً يَتمَلِكُها البخل ونائيةً عن الله وكما ترى فإنني أتعذب بذلك في هذا الموضع الآن
- ١١٥ وإن ما يفعله البخل ليتضح هنا في تطهّر النفوس الثابتة^(٧٥)، وما من عذاب في الجبل أشدّ مرارةً من ذلك^(٧٦)
- ١١٨ وكما لم تتجه أعيننا إلى العلياء — بتركّزها على شئون الدنيا — هكذا تُلقي بها العدالة الإلهية ها هنا إلى الأرض^(٧٨)
- ١٢١ وكما قضى البخل فينا على محبة كل خير، وبذلك فقدنا القدرة على الفعل الطيّب^(٧٩)، هكذا تُطبق العدالة الإلهية علينا ها هنا،
- ١٢٤ وقد قيّدتْ أقدامنا وأيدينا وشلّتْ من حركاتنا^(٨٠)؛ وسنظلّ مُمدّدين دون حراك طالما يروق ذلك للسيّد العادل^(٨١)»
- ١٢٧ وكنت قد جثوتُ على ركبتيّ وأنا راغبٌ في الكلام؛ ولكن حينما بدأتُ — وتبين هو — بسمعه فحسب — مدى توقيري إياه^(٨٢) —
- ١٣٠ قال « ما الذى يدعوك إلى أن تنثنى هكذا إلى أسفل » ؟ فقالت له « في سبيل كرامتك — أنبى ضميرى — لوقوفى في حضرتك^(٨٣) »
- ١٣٣ فأجابى « أقمّ ساقيك يا أخى ، وانهض ! ولا ترتكب معى هذا الخطأ فما أنا وأنت والآخرين جميعاً سوى خُدّام لقوة واحدة^(٨٤)»
- ١٣٦ وإذا كنت قد فهمتَ أبداً كلمة الكتاب المقدّس التى تقول ”لأنهم لا يزوّجون ولا يتزوّنون“^(٨٥)، فيمكنك أن تدرك جيداً لمَ أتكلّم هكذا^(٨٦).
- ١٣٩ ولتذهب عى الآن فلست أرغب أن تظلّ هنا مزيداً ، إذّ يعطّل تليّثك بكائى — الذى أنضج به ما ذكرته بنفسك^(٨٧)
- ١٤٢ وإن لى هناك ابنة أخ تُدعى ألدّجا^(٨٨)، وهى بطبعها حلوة الشمائل ، ما لم يُفسدها بيتنا بمثاله السيّئ^(٨٩)؛
- ١٤٥ وهى الوحيدة التى بقيت لى فى ذلك الجانب^(٩٠) .



٩ - داني وفرجيليو يأتیان علی البخلاء والمبذرين

حواشي الأنشودة التاسعة عشرة

- (١) هذه هي الأنشودة الأولى من أنشودات البخلاء والمسرفين وتسمى أنشودة أدريانوا الخامس
- (٢) أى بعد منتصف الليل حينما يزول تماماً أثر أشعة الشمس والمقصود الوقت الذى يحل فيه الإنسان بالصدق
Inf. XXVI. 7; Purg. IX. 16
- (٣) اعتقد الأقدمون أن القمر بارد لأنه يعكس أشعة الشمس وإن لم يعدوه بارداً فى حد ذاته .
والمقصود برودة الليل التى لا تقوى أشعة الشمس على التخفيف من حدة
- (٤) يعنى حين تغلب برودة الليل أثر أشعة الشمس
- (٥) اعتقد القدماء أن زحل بارد وتؤثر برودته على الأرض ، وعبر ثرجيليوس عن ذلك
Virg. Georg. I. 336.
- (٦) يرى الرمالون الطالع بخطوط وعلامات يرسمونها على الرمل
- (٧) يطلق الحظ الأكبر (Fortuna Major) على مجموعة من النجوم فى مؤخرة برج الدلو ومقدمة
برج الحوت ، ويستخدمها الرمالون فى الرسم على الأرض بالصورة الآتية * * *
- (٨) أى أن الساعة كانت حوالى الرابعة من صباح يوم الثلاثاء ١٢ أبريل ١٣٠٠
- (٩) يعنى أن القجر سيطر قريباً
- (١٠) ترمز هذه المرأة للبخل والجشع وشهوة الجسد ، ويشبه هذا ما ورد فى « الكتاب المقدس »
Prov. VII. 10-12.
- (١١) تتلثم المرأة لأن البخل يجعلها تتكلم كلاماً مبهماً ، والجشع يجعلها تنطق بالحروف بدون وضوح ،
وشهوة الجسد تجعلها تتكلم بالإشارة .
- (١٢) كانت حواء العينين لأن البخل يمنع الإنسان من الرؤية الصحيحة والجشع يظلم البصر ،
والشهوة تميل بالرؤية المادية والعقلية عن جادة الصواب
- (١٣) وكانت المرأة عرجاء لأن البخل يحول دون استقامة الحكم على الأمور ، والجشع يفقد الساقين
قوتها ، وشهوة الجسد تضعف الجسم كله .
- (١٤) بتر اليدين - أو عجزهما - رمز على أن البخل لا يعطى شيئاً والجشع لا يرغب فى فعل شيء
نافع ، ومثله صاحب شهوة الجسد .
- (١٥) وكانت شاحبة اللون لأن من تسيطر عليه إحدى الخطايا الثلاث المذكورة يصبح كذلك .
- (١٦) هذه صورة مأخوذة من الحياة الواقعية حينما تدق أشعة الشمس الأطراف التى قست عليها برودة
الليل
- (١٧) فعل نظر دانتى إلى هذه المرأة ما تفعله أشعة الشمس بالأطراف الباردة فنصب قامتها وأزال
تلثمها
- (١٨) أى أصبح لون وجهها مزيجاً من اللون الوردى الأحمر ومن اللون الشاحب ، وهذا هو لون
الحيين ، ويشبه هذا ما ورد عن إيزوتا فى « قصص المائدة المستديرة » ، وعبر دانتى عن
لون الحيين فى « الحياة الحديدة »
Tav. Rot. XXXII.
- V.N. XIX. XXXVI.

- (١٩) كان غناء المرأة شجياً حتى ظل دانتى متنبهاً إليها منتبهاً إليها
- (٢٠) عروس البحر (sirena) كائن خرافى نصفه الأعلى امرأة ونصفه الأسفل سمكة وكانت تجذب الملاحين بصوتها الساحر وتهلكهم
- ويوجد حفر بارز من القرن ١٢ يمثل عروس البحر وهو فى معمدان مدينة پارما
- (٢١) ويشبه هذا المعنى ما ورد فى بعض « الأشعار العامية القديمة »
- Antiche Rime Volgari CLXXIX.
- (٢٢) لم تكن عروس البحر هى التى اجتذبت أوليسيس ولكنها كانت الساحرة تشيرتشى فى الجحيم (Inf. XXVI. 91) كما أورد هوميروس ذلك (Od. XII.) ، ولم يعرف دانتى الأوديسية مباشرة ، ولكنه عرف بعض مضمونها محرفاً فى تراث العصور الوسطى وربما ظن دانتى أن تشيرتشى كانت عروس بحر ، وربط بينها وبين المرأة التى رآها فى حلمه الآن والتى ترمز للملذات الدنيا التى تفسد الإنسان وربما استخدم تعبير عروس البحر كاستعارة ورمز للمرأة التى تفسد الإنسان
- (٢٣) يعنى أن من يتأثر بالدينيويات السالفة الذكر يصعب عليه العدول عنها
- (٢٤) يمكن أن تكون الترجمة (لم تكن قد امتنعت بعد عن الكلام)
- (٢٥) ربما ترمز هذه السيدة للعقل أو الخدس الذى يثخذ الإنسان من الخطر ويرى بعض الشراح أنها ترمز للعذراء ماريا أو بياتريتشى أو لوتشيا
- (٢٦) يمكن أن نقول (وقد علاها الغضب) ولقد ساد هذه السيدة الازدراء - أو الغضب - بالخطر الذى تعرض له دانتى ، وربما أرادت أن تلفت نظر فرجيليو إلى أنه لم يرع دانتى ولم يحرس كما ينبغى .
- (٢٧) تركزت عينا فرجيليو على هذه السيدة وحدها
- (٢٨) أدرك فرجيليو ما تقصده هذه السيدة فكشف عن بطن الساحرة أى أظهر حقيقتها
- (٢٩) أى أن النتن كان يكمن وراء الإغراء ، فاستيقظ دانتى على الرائحة الكريهة المنبعثة من بطن الساحرة
- (٣٠) لم تكن الرؤية قد أصبحت بعد سهلة على دانتى ، ولذلك حرك عينيه ورأسه حتى يرى بوضوح
- (٣١) كان فرجيليو قد حاول إيقاظ دانتى من نومه عدة مرات
- (٣٢) كانت الشمس قد اكتمل طلوعها وسار الشاعران صوب الجنوب والشمس على ظهرهما وفى الأصل (كليتنا)
- (٣٣) يعنى سار دانتى على هيئة جسر منحن ، وقد كان يسير بانحناء قليل حينما تقدمت به السن ، ويقول النص (يجعل من نفسه نصف قوس لجسر)
- (٣٤) هذا هو ملاك الخلاص وحارس الإفريز الرابع يدعو الشاعرين للصعود .
- (٣٥) تكلم الملاك بصوت رقيق لا مثيل له فى الدنيا الفانية
- (٣٦) يظهر الملاك بجناحيه الهائلين ولونهما فى بياض البجع
- (٣٧) هذا مر مفتوح فى الصخر
- (٣٨) أزال الملاك بجناحه خطيئة اللامبالاة والكسل من جبين دانتى .
- (٣٩) يمكن القول (إذ ستفعم نفوسهم بالعزاء) وهذا المعنى مأخوذ من « الكتاب المقدس »

- (٤٠) كان دانتى يسير منحنيًا مطرقًا إلى الأرض ولذلك سأله فرجيليو ماذا به .
- (٤١) لم يكن دانتى قد شرح لفرجيليو ما رآه آنفًا لأنه حينما استيقظ رأى الملك مباشرة .
- (٤٢) يعرف فرجيليو كل ما يحول بخاطر دانتى ولذلك يشرح له الأمر فوراً .
- (٤٣) أى أن خطايا البخل والجشع وشهوة الجسد التى ترمز لها الساحرة القديمة تتطهر فى الأفاريز التالية وأضفت (المتطهرين) للإيضاح
- (٤٤) يعنى يسأله الإسراع .
- (٤٥) أى أنه نظر إلى السماوات وما فيها من إبداع وجمال ، وهذا بمناسبة النداء الذى يوجهه الله لدعوة الطوباويين إلى رحابه
- (٤٦) يأخذ دانتى هذه الصورة من ملاحظة البازى فى الصيد .
- (٤٧) يعنى نصب دانتى قامته وأسرع الخطى .
- (٤٨) أى حيث يبدأ السير فى دوائر أخرى حول الجبل .
- (٤٩) يعنى حينما خرج من الممر الصخري إلى الخارج
- (٥٠) فى الإفريز الخامس يعذب البخلاء والمسرِفون
- (٥١) هذا هو عقاب البخلاء والمسرِفين
- وفى بعض ما ورد فى تراث الإسلام نجد الانكفاء والسحب على الوجه من بين عقوبات شارب الخمر ، وهنا تشابه فى العقاب مع اختلاف فى المصيبة
- السمرقندى ، ابن الليث ؛ كتاب قرة العيون ومفرج القلب المحزون . مطبوع على حاشية مختصر تذكرة القرطبي للشعراني . القاهرة ، ١٣٠٨ هـ . ص ١٩
- (٥٢) هكذا يتألم هؤلاء ويتطهرون من البخل والإسراف
- (٥٣) هذا مأخوذ من « الكتاب المقدس »
- (٥٤) يسأل فرجيليو عن الطريق إلى الإفريز السادس . وفى نسخة أكسفورد نقراً (الدرجات العليا)
- (٥٥) هذا هو البابا أدريانو الخامس
- (٥٦) أى إذا لم يكن دانتى و فرجيليو من الآثمين بسبب البخل أو الإسراف فإن أقصر طريق إلى الإفريز السادس يكون بالسير مع مراعاة أن يكون قضاء الجبل إلى يمين الشاعرين دائماً
- (٥٧) يعنى أن كلام أدريانو — وقد كان محتفياً بوجهه المتجه إلى الأرض — جعل دانتى يتبينه .
- (٥٨) سأل دانتى فرجيليو بعينه — وبدون كلام — أن يتحدث قليلاً إلى هذا الروح
- (٥٩) أباح له فرجيليو ذلك بدون كلام أيضاً
- (٦٠) أى ظهرت رغبة دانتى فى عينيه ، وهذا موقف رقيق بين شاعرين يفهم أحدهما الآخر بدون كلام .
- (٦١) تقدم دانتى حتى أصبح فوق أدريانو الخامس المنبسط على الأرض .
- (٦٢) يعنى أن البكاء ينضج تطهره ولا سبيل غير ذلك للوصول إلى الله .
- (٦٣) يسأل دانتى أدريانو أن يتوقف لحظة عن البكاء فى سبيل التطهر حتى يمكنه التحدث إليه .
- (٦٤) هكذا يستفسر دانتى عن شخصيته وعن طريقة عذايبه وهل يريد أن يؤدي له خدمة ما فى الدنيا .
- (٦٥) أى ما سبب انكفائهم على وجوههم هكذا

(٦٦) هذا هو البابا أدريانو الخامس (Adriano V.) وهو من أسرة لافانيا الجنوية ، وكان مندوباً للبابا في إنجلترا في ١٢٦٨ ، وانتخب بابا في ١٥ يوليو ١٢٧٦ ومات في ١٨ أغسطس من نفس السنة . وأنطق دانتى أدريانو باللاتينية اللغة الرسمية للبابوات . ويقال إنه كان حريصاً على جمع المال .

(٦٧) سستري (Sestri) وكيافيرى (Chiaveri) مدينتان صغيرتان في الريفييرا الليجورية الشرقية (٦٨) ينحدر مهر لافانيا (Lavagna) من جبال الأبين إلى البحر التيرانى (٦٩) أعطى مهر لافانيا اسمه لمدينة كانت موطن أسرة أدريانو الخامس ، وكان هذا هو الاسم الذى تمجدت به

(٧٠) شغل أدريانو الخامس الكرسي البابوى مدة ٣٩ يوماً وتوجد صورة للثوب البابوى وهى مطبوعة ومأخوذة عن رسم قديم من القرن ١٣ ، وكانت في كنيسة يوحنا اللايتيرانى في روما

(٧١) يعنى أنه عرف في هذه المدة القصيرة أعباء المنصب البابوى (٧٢) أى أنه حيناً إلى الكرسي البابوى عرف أن الحياة الدنيا حياة كاذبة خادعة لأنها لا تمنح السعادة لمن يحصر أمله فيها

(٧٣) يعنى أنه وجد أن الإنسان مهما بلغ في الحياة الدنيا فإنه لا يبلغ في الحقيقة مرتبة عالية سامية ، ولذلك فقد أحب الحياة الآخرة الباقية .

(٧٤) أى حتى أصبح بابا

(٧٥) يمكن أن يعنى لفظ (converse) النفوس المقلوبة الوضع على الأرض .

(٧٦) يعنى أنه ليس في جبل المطهر من عذاب أشد وضوحاً من عذاب البخلاء

(٧٧) أى أن العين التى تنظر دائماً إلى شئون الدنيا لا تتجه إلى الله أبداً

(٧٨) يناسب هذا العذاب حرص البخلاء على شئون الدنيا

(٧٩) يمنع البخل الإنسان من محبة الخير الحقيقي ومن القدرة على ممارسته .

(٨٠) هذا رمز لثروات الأرض التى تمتع الإنسان عن الخير الحقيقي . ويشبه هذا ما ورد في « الكتاب

I. Epis. Tim. VI. 9-10. المقدس »

(٨١) يعنى الله

(٨٢) عرف أدريانو الخامس أن دانتى ركع على قدميه من صوت حركته بدون أن يراه

(٨٣) أى أن احترام دانتى لأدريانو الخامس اقتضى منه الركوع ، ويخالف ذلك معاملة دانتى

لنقولا الثالث في الجحيم (Inf. XIX. 90 ...). ويقرأ بعض الدانتين مثل كامبي وفرايتيشلى لفظ

(dritta) بدلاً من (dritto) وفي هذه الحال يعود اللفظ الأول على كلمة الضمير (coscienza) ،

وبذلك يمكن أن تكون الترجمة (وخزنى ضميرى السوى - المستقيم - من أجل كرامتك)

(٨٤) يعنى لا يجوز لدانتى أن يركع من أجل البابا ، لأن الناس جميعاً متساوون وهم خدام وعبيد لله

وهذا هو التواضع التام . ويشبه هذا المعنى ما ورد في « الكتاب المقدس »

Apocal. XIX.

(٨٥) أى أن الناس لا يتزوجون في الآخرة كقول السيد المسيح

Matt. XXII. 23-30; Marc. XII. 18-25; Luca, XX. 27-36.

(٨٦) ولن يكون للبابا ميزة في هذا الصدد ولن يسمى زوج الكنيسة كما في الحياة الدنيا والمقصود أن الناس متساوون أمام الله

(٨٧) يسأل أدريانو الخامس دانتى الذهاب عنه لأن وجوده يعطل بكاءه ويؤخر تطهره وسبقت مواقف مشابهة مع شخصيات أخرى

Purg. XI. 139; XIV. 124-126; XVI. 142-145.

(٨٨) هذه هي ألدجا دى فيسكى (Alagia dei Fieschi) ابنة نيقولا شقيق أدريانو الخامس وزوجة موريلو مالاسبيننا (سبقت الإشارة إليه في الجحيم. Inf. XXIV. 145-150)، وعرفت بالتدين وحسن الثمائل، وتولمت في ١٣١٥ وعاشت بعد موت زوجها حتى ١٣٤٣ على الأقل ومن المرجح أن دانتى عرفها في أثناء إقامته في منطقة لونيديجانا في ١٣٠٦ ويعتقد بعض شراح دانتى القدماء أن ألدجا هي جيتوكا السيدة التي ستذكر بعد (Purg. XXIV. 37 ...)، ولكن هذا الرأي مستبعد

(٨٩) يستدرك أدريانو الخامس كلامه بهذا القول، وهو يخشى أن تكون ألدجا الزهرة الطيبة قد فسدت بمثالب أسرتها، لأن القدوة السيئة سرعان ما تبت سميومها فتحيده بكثير من الناس عن جادة الصواب وأدريانو هنا بمثابة الأب الذي يرجو الفلاح والصلاح لأسرته، ويشفق على ابنة أخيه أن يمتد إليها الفساد، وقد عرفت بالفضل والصلاح والتقوى

(٩٠) يعنى أن ألدجا هي الوحيدة التي بقيت تذكر أدريانو وتصل من أجله، وهو يعتز بهذه الوحيدة التي تذكره، ويظهر حنينه إلى وطنه وإلى الزهرة الطيبة في أسرته، التي كان يتمنى أن يصبح جميع أفرادها على مثالها، لا العكس. وهذه هي بعض مشاعر دانتى ذاته نحو عشيرته وقومه ورغبته في خيرهم وحنينه وأساه على مفاسدهم. ويرسم دانتى في هذه الأبيات الأربعة صورة للتوبة والأسى والحنين والرغبة في الخير والصلاح. وتبدأ هذه الأنشودة بالكلام عن المرأة الفاجرة الساحرة، وتنتهى بهذه الصورة التي تسودها المرارة والمحبة والحنين إلى الوطن والرغبة في صلاح الناس.

الأنشودة العشرون^(١)

تقدم الشاعران إلى الأمام بناء على رغبة أدريانو الخامس ، وسارا في موضع مزدحم بالمتطهرين الذين اطرحوأ أرضاً ، ولعن دانتي الذئبة القديمة رمز البخل والجلشع . وسمع دانتي الأرواح تتغنى بأمثلة عن الفقر والأريحية تتناول ميلاد المسيح في المذود ، وفابريسيوس الرومانى الذى آثر الفقر مع الفضيلة على الثروة فى ظلال الإثم ، والقديس نيقولا البيزنطى حامى العذارى . قال روحٌ لدانتي إنه كان أصلاً لأسرة خبيثة أظلمت العالم المسيحى كله ، وأعلن أنه هيج كاپيه ابن القصاب — كما يشاع — وقال إن مقاليد الحكم قد آلت إليه فى فرنسا وإن قومه كانوا يعرفون معنى الخجل ثم أخذوا فى النهب والطفغان بعد استيلائهم على البروفنس وقال إن شارل دانجو قدم إلى إيطاليا وهزم كررادينو دى هوهنشتاوفن ، وتنبأ بقدم شارل دى قالوا الذى سيقرب بطن فلورنسا برمح يهوذا ، وينال بذلك الإثم والعار ، وذكر شارل الثانى دانجو الذى باع ابنته بيع الإماء فى سبيل المال ، وتنبأ بتآمر فيليب الحميل على قتل بونيفاتشو الثامن — عدو دانتي — الذى سيصبح بذلك كالمسيح الذى صلب وقتل — عند المسيحيين — وسأل الله متى يحل انتقامه ! وقال هيج كاپيه إن أصوات المتطهرين ستذكر فى أثناء الليل أمثلةً عن البخل والجلشع ، مثل پيجماليون ملك صور ، وميداس ملك فريجيا ، وعسخان اليهودى ، وسفيرة وزوجها حنانيا ، وهليودوروس وزير سلتوفقس ملك سوريا ، وپوليمنستور ملك تراقيا ، وكراستوس الرومانى . ومضى الشاعران فى طريقهما ، وشعر دانتي بزلزلة جبل المطهر زلزلةً عنيفةً حتى أحس قشعريرة الموت ، وسمع الأرواح ترتل : ” المجد لله فى الأعلى “ . وكان دانتي راغباً فى الاستفسار عن ذلك ، ولكن لإسراع فرجيليو فى السير جعله يعضى وجلاً متفكراً .

- ١ ما من رغبة تقوى على مُغالبة رغبة تفضلها^(٢) ؛ وعلى هذا فليكني أبعث في نفسه المسرة - على غير مسرتي^(٣) - سحبتُ من الماء إسفنجتي التي لم تُفعم^(٤)
- ٤ وسرتُ قدماً ؛ وتقدّم دليلي في المواضع الخالية على طول الصخر^(٥) ، كمن يسير إزاء سورٍ وهو بشرّاته ملتصق^(٦)
- ٧ إذ أن القوم الذين يذرفون من أعينهم قطرةً فقطرةً الشرّ الذي يملأ العالم كله^(٧) ، أقبلوا في الجانب الآخر وهم شديداً القرب من حافته الخارجية^(٨) .
- ١٠ ألا لعنة الله عليك أيّها الذئبة العتيقة^(٩) التي تزيد فرائسك عن سائر الوحوش جميعاً^(١٠) ، بجوعك المسعور دون قرار^(١١) !
- ١٣ أيّها السماء التي يبدو أن الإنسان يعزو إلى دورانها تغير الأحوال هنا في العالم الأسفل^(١٢) - متى سيأتي مَنْ بفضله سيُطرد هذا الوحش^(١٣) ؟
- ١٦ وأخذنا نسير بخطى بطيئة قصيرة^(١٤) ، وظللتُ منتبهاً إلى الأشباح التي سمعتُ بكاءها الحار وأنيها الأليم^(١٥)
- ١٩ وطراً على سمعي "ماريا الحبيبة" - تنادى أماننا خلال صراخ^(١٦) أشبه بما يصدر عن امرأة أخذها الطلّق^(١٧) ؛
- ٢٢ وسمعتُ بعدُ « لقد كنت شديدة الفقر ، كما يمكن أن يتبين في ذلك المذود ، حيث وضعت حملك المبارك^(١٨) »
- ٢٥ وفي إثر ذلك سمعت « يا فابروسيوس الطيب^(١٩) ، إنك قد آثرت الفقر مع الفضيلة على المعصية مع الثراء الواسع^(٢٠) »
- ٢٨ فراقّت لي هذه الكلمات حتى اندفعت إلى الأمام ، لكي أتعرف على ذلك الروح الذي بدا أنها صادرة عنه^(٢١)
- ٣١ وتابع كلامه متحدّثاً عن الأريحية التي بدرت من القديس نيقولا نحو العذارى الفقيرات ، لكي يسير بشبابهنّ إلى الحياة الشريفة^(٢٢)
- ٣٤ فقلتُ « أيها الروح الذي يتكلّم عن مثل هذا الخير العظيم - خبرني من كنت - ولم تجدد وحدك ذكر هذه المدائح النبيلة^(٢٣) ؟

- ٣٧ ولن يكون كلامك دون جزاء^(٢٤)، إذا عدتُ لكى أكمل الرحلة القصيرة من هذه الحياة التى تمضى كالطير إلى ختامها^(٢٥) »
- ٤٠ فقال لى « سأخبرك - لالعون أتوقع أن أناله هناك^(٢٦) - بل لأن نعمة عظيمة تشعّ فيك أنوارها من قبل أن تدركك المذنون^(٢٧) »
- ٤٣ لقد كنتُ أصلاً للنبت الحبيث^(٢٨) الذى يُشيع الظلمة فى أرجاء العالم المسيحى ، حتى ندرّ أن تُجى منه ثمرة طيبة^(٢٩) »
- ٤٦ ولكن إذا قوى شأن دوديه وجانده وبروجس^(٣٠)، فسيم الانتقام لذلك سريعاً ؛ وإنى لأسأل هذا من قاضى الوجود^(٣١) »
- ٤٩ وفى ذلك الجانب كنت أدعى هيچ كاييه^(٣٢) : ومن صُلبي وُلد كلُّ مَنْ حملوا اسم فيليب ولويس ، والذين يحكمون الآن فرنسا^(٣٣) »
- ٥٢ وكنت ابناً لقصابٍ من باريس^(٣٤) : وحينما انقرض كلُّ الملوك القدامى^(٣٥) سوى راهب يتسرّبل برمادى الثياب^(٣٦) ،
- ٥٥ وجدتُ نفسى قابضاً على زمام الحكم فى أنحاء المملكة ، وأصبحت بممتلكاتى الجديدة ذا صولة وصرتُ بالأصدقاء معزراً ،
- ٥٨ حتى سما رأسُ ابى إلى التاج المترمل^(٣٧)، الذى نبتت منه لأولئك الملوك أعظم مدشّنات^(٣٨) »
- ٦١ وطالما لم ينزع الصداق البروقنسى الكبير شعورَ الخجل من سلاتى^(٣٩) ، لم يكونوا ذوى شأن كبير ، ولكنهم على الأقل لم يكونوا قد ارتكبوا الشرور^(٤٠) .
- ٦٤ وعندئذ^(٤١) بدأوا أعمال النهب بارتكاب العنف والكذب^(٤٢) ؛ وللتعويض عن ذلك^(٤٣) استولوا على پونتيو ونورمانديا وجاسقونيا^(٤٤) »
- ٦٧ وإلى إيطاليا قدّم شارل^(٤٥)، وبدوره جعل من كونرادينو فريسة له^(٤٦) ؛ ثم لكى يعوّض عن ذلك^(٤٧) بعث إلى السماء بالقديس توماس^(٤٨) »
- ٧٠ وإنى لأرى يوماً - وما هو عنّا ببعيد - يخرج فيه من فرنسا سَميُّ لهذا الأمير شارل^(٤٩) ، لكى يزيد من تعريف العالم بنفسه وأتباعه
- ٧٣ ومهما يخرج دون سلاح^(٥٠)، سوى الرمح الذى تبارز به يهوذا^(٥١)، وسيسدّده بحذقٍ حتى يقرّ به بطن فيورنتزا^(٥٢) »

- ٧٦ ولن يكسب بذلك أرضاً ، بل معصيةً وخزياً يزيد ثقلهما عليه ، بقدر ما يحسب مثل هاتيك الشرور قليلة الشأن (٥٣)
- ٧٩ والآخر الذى غادر ذات يوم سفينته أسيراً (٥٤) ، أراه يبيع ابنته ويساوم عليها (٥٥) ، كما يفعل القراصنة بسائر الإماء (٥٦)
- ٨٢ أيها البخل — ماذا يمكنك أن تفعل بنا مزيداً ، ما دمت قد أغريت ذريتي حتى لم تتعُدْ تحفل بفلذة أكبادها (٥٧) ؟
- ٨٥ ولكي تبدو المفسد المقلبة (٥٨) والسالفة أقلّ خطراً — أرى زهرة الزنبق (٥٩) تدخل كنيسة ألانيا ، والمسيح يصير سجيناً فى شخص نائبه (٦٠)
- ٨٨ وأنظره وقد سُخر به مرةً أخرى (٦١) ؛ وأرى أن قد تجددت تجربة الخلل والعفص (٦٢) ، وقتل هو بين لصين كانا على قيد الحياة (٦٣)
- ٩١ وأشهد بيلاطس الحديد (٦٤) شديد القسوة حتى لا يرضى بهذا كله ، ولكنه يحمل إلى الهيكل — بلا شريعة — أشعرته الجشعة (٦٥)
- ٩٤ متى أسعد يا إلهي برؤية نِقمتك — المتوارية فى سر مشيئك (٦٦) — تلتطف من حدة غضبك (٦٧) ؟
- ٩٧ إن ما كنت أقوله عن تلك العروس الوحيدة للروح القدس (٦٨) ، والذى جعلك تتجه نحوى لكى تمدّنى ببعض إيضاح —
- ١٠٠ يتجاوب مع كل صلواتنا طالما يدوم النهار (٦٩) ولكن حينما يُقبل الليل علينا سردّ بدلا منه نغماً مغايراً (٧٠)
- ١٠٣ وعندئذ نعود إلى ذكر پيجماليون ، الذى أصبح بشديد همه إلى الذهب خائناً سارقاً قاتلاً لأقاربه (٧١) ؛
- ١٠٦ ونذكر ما أصاب ميداس البخيل من البؤس ثمرة رغبته الجشعة ، التى ينبغى أن نضحك منها أبداً (٧٢)
- ١٠٩ ثم يذكر كلُّ منا عَمَّانَ المخنون وكيف سرق الغنائم ، حتى ليبدو أن غضب يشوع لا يزال يهشه ها هنا (٧٣)
- ١١٢ وبعدئذ نوجه الاتهام إلى سفيرة وبعلها (٧٤) ؛ ونثنى على الرّكّلات التى سُدَّتْ إلى هيلسودوروس (٧٥) ؛ وفى كل أرجاء الجبل يدور اسم پوليمستور

- ١١٥ بالعار مُلَطَّخًا لقتله پوليدوروس^(٧٦) وفي النهاية نصيح : " ألا فلستُ خبرنا يا كراسُوس ما طعم الذهب - إذ أنك به خيرٌ ؟ " ^(٧٧)
- ١١٨ وأحياناً يرفع أحدنا عقيرته في الكلام بينما يتكلم آخر خافت الصوت ، حسباً تهمزنا مشاعرنا للكلام بِجَهْـوَرٍ الصوت تارةً وطوراً بخفيضه ^(٧٨)
- ١٢١ وبهذا لم أكن وحدي منذ هنية في ذكر الخير الذي نُشيد به هنا إبان النهار ^(٧٩) ، ولكن لم يعلُ بصوته أحدٌ سواي بالقرب من هذا الموضع ^(٨٠) .
- ١٢٤ وكنا قد ابتعدنا عنه وبذلنا جهدنا لكي نقطع من طريق صعودنا شوطاً ، بقدر ما أتاحت لنا قوانا ^(٨١) ،
- ١٢٧ حينما أحسستُ ارتجاف الجبل كأنه شيءٌ "أخذ" في السقوط ^(٨٢) ؛ فتولتني عندئذ قشعريرةٌ كالتى تُصيب منٌ يسير إلى حتفه ^(٨٣)
- ١٣٠ ولا شك أن ديلوس لم تهتز بهذا العنف قبل أن تشيّد لاتونا بها عشاءً ^(٨٤) ، لكي تُنجب فيه عيى السماء ^(٨٥)
- ١٣٣ ثم بدأ ترتيلٌ عال في كل جانب ، حتى اتجه إلى أستاذي قائلاً « لا تأخذتك مخافةٌ بينما أقوم بإرشادك ^(٨٦) »
- ١٣٦ وقالوا جميعهم " المجد لله في الأعلى " ^(٨٧) ، حسبما أدركت ممن كانوا يقربى ، والذين ^(٨٨) أمكننى أن أتبين مضمون ترتيلهم ^(٨٩)
- ١٣٩ وكالرعاة الذين كانوا أول من سمعوا تلك الأنشودة ^(٩٠) ، وقفنا بلا حراكٍ مترددين ^(٩١) ، حتى توقف الزلزال وانتهى الترتيل ^(٩٢)
- ١٤٢ ثم تابعنا المسير في طريقنا المقدس ، ناظرين إلى الأشباح التى اطرحت أرضاً ، مستأنفةً بكاءها المألوف ^(٩٣)
- ١٤٥ وما من جهلٍ جعانى في المعرفة رغباً بهذه الالهة الشديدة أبداً - إذا لم تحننى ذاكرتى - في هذا الشأن -
- ١٤٨ كما بدا لى عندئذ أنى حائزه بينما كنت ماضياً فى التأمل ^(٩٤) ؛ وبإسراعنا لم أكن على السؤال مجترئاً ^(٩٥) ، وبنفسى لم أستطع أن أتبين هناك شيئاً وهكذا أخذتُ أسير وأنا متفكّرٌ وجلٌ ^(٩٦)

حواشي الأنشودة العشرين

- (١) هذه هي الأنشودة الثانية الخاصة بالبخل والمصرفين وتسمى أنشودة هيج كاپيه
 (٢) يعنى أن إرادة أدريانو الخامس ورغبته أن يذهب دانتي حتى يتفرغ للتطهر كانت أقوى من
 رغبة دانتي في الوقوف للمزيد من الكلام .
 (٣) أثر دانتي رغبة أدريانو ومسرته على رغبته ومسرته هو .
 (٤) أى انسحب دانتي ولم يكن قد أشبع رغبته في المعرفة بعد ، والاستعارة مأخوذة من الإسفنج الذى
 لم يمتلئ بالماء .
 (٥) كانت الأماكن الخالية من المتطهرين المطرحين أرضاً ضيقة وملاصقة لصخر الجبل ولم يكن
 هناك مكان آخر يمكن السير فيه
 (٦) يعنى أنهما سارا في تودة وحذر كن يسير على أسوار قلعة في العصور الوسطى وهو ملتصق بشرفاتها
 حتى لا يسقط .
 (٧) الشر هنا هو البخل والمقصود أنهم سيكون لكى يتطهروا
 (٨) أى أن المتطهرين قرييون من حافة الإفريز بحيث يصعب على الشاعرين السير هناك .
 (٩) أعاد منظر المتطهرين هنا ذكرى الذئبة التى ظهرت في أول الجحيم وهى رمز للجشع (Inf. I. 49-50)
 وتسمى القديمة لأنها ظهرت بظهور الإنسان ودفعها لوتشيفيرو بحسده إلى ارتكاب الشر
 (١٠) يعنى أن البخل والجشع يسيطران على الآثمين أكثر من سائر الخطايا
 (١١) يتصور دانتي البخل والجشع كهوة عميقة لا قرار لها ولا تمتلئ أبداً
 (١٢) هذا هو الاعتقاد العام ، وسبق التعبير عن ذلك وكما ورد في « التوبة »

Purg. XVI. 67

Conv. II. XIII. XIV.

- (١٣) استخدم دانتي لفظ (discede) من اللاتينية بمعنى الرحيل أو النزوح ، ويقصد السلوك الذى
 سيخلص إيطاليا من ويلاتها ، وسبق ذكره في الجحيم
 (١٤) هذا بسبب ضيق المكان .
 (١٥) المقصود أن الأشباح تبكى وتئن بما يثير الإشفاق والأسى ، وليس في المطهر منطقة أخرى يبكى
 فيها المتطهرون بمثل هذه الشدة
 (١٦) سمع دانتي المتطهرين يذكرون أمثلة على الفقر والأريحية
 (١٧) هذه صورة مأخوذة من الحياة الواقعية ، وتتألم المرأة عندما تلد ولكنها تسعد بمولودها ، وتستعين
 بنساء العذراء ماريا للتغلب على آلامها ، وهذا المعنى مقتبس من « الكتاب المقدس »
 Isaia, XXVI. 17.
 (١٨) ولدت ماريا السيد المسيح في المذود في بيت لحم ، كما ورد في « الكتاب المقدس »
 Luca, II. 7.
 (١٩) هو كايس فابريسيوس (Caius Fabricius) القنصل الرومانى في ٢٨٢ ق. م. الذى رفض

الرشوة حينما كان يقاوض بيروس ملك أفيروس وقت إغارته على إيطاليا وذكره دانتى فى « الملكية » و « الوليمة » وذكره فرجيليو ولوكانوس

Mon. II. V. 90. Conv. IV. V. 13.

Virg. Æn. VI. 844.

Luc. Phars. X. 151.

(٢٠) اشتهر فابريسيوس برفض كل الهدايا والأموال

(٢١) دانتى الذى جاء من الدنيا المليئة بالخشع والحرص على الثروة أعجبه هذا الكلام وحاول أن يعرف من الذى قاله

(٢٢) سان نيقولا (St. Niccolo) أسقف ميرا فى لىسيا عاش فى القرن ٤ ، فى عهد قسطنطين ، وتقده الكنيسة الرومانية واليونانية ويمد حامى العذارى والبحارة والرحالة والتجار ، وهو سان كلوزو عند الأطفال ، ونقلت بقاياه إلى بارى فى إيطاليا ويروى أن أحد معارفه وقع فى ضائقة مالية فأراد أن يحمل بناته الثلاث على البغاء حتى لا يمتن جوعا ، ولكن سان نيقولا قدم لأبيه المال سراً حتى يتزوجن

ويوجد رسم للقديس نيقولا وهو يلتقى بالذهب إلى العذارى وهى من عمل أمبرودجو لورنتزى الذى عاش فى القرنين ١٣ و ١٤ والرسم فى متحف الأوفيتزى فى فلورنسا

(٢٣) أصبح دانتى شديد الرغبة فى معرفة من تكلم عن هذه الأمثلة الطيبة

(٢٤) هكذا يحاول دانتى أن يحمل هذا الروح على الكلام .

Purg. XXXIII. 54.

(٢٥) أى أن الحياة سريعة الزوال وسيرد بعد تعبير مقارب

(٢٦) ربما كان المقصود أن كل أفراد أسرته كانوا أشراراً بحيث لا يأمل أن يصل أحدهم من أجله ، وربما كان المقصود أنه أوشك على مهاية التطهر فلم تعد هناك حاجة إلى الصلاة من أجله

(٢٧) يتكلم هذا الروح - هيج كايه - لأن دانتى يتمتع بنعمة إلهية إذ يزور عالم الموتى وهو على قيد الحياة ، وسبق مثل هذا المعنى

Purg. XIV. 80.

(٢٨) يعنى أنه مؤسس أسرة كايه التى حكمت فرنسا عدة قرون (٩٨٧-١٣٢٨) ، وبالتحالف والزواج والميراث والغزو استطاع ملوكها السيطرة على مضاير أوروبا ، وكره دانتى هذه الأسرة لما ناله على يديها

(٢٩) هذه كناية عن شرورهم

(٣٠) مدن دوويه (Douai) و ليل (Lille) وجاند (Gand) وبروجس (Bruges)

فى بلاد الفلاندر التى حاربها فيليب الجميل وشارل دى قالوا الذى حمل جاند على التسليم فى ١٢٩٩ ولكنه غدر بأهلها . وحدث الانتقام لذلك الطغيان الفرنسى حينما انتصر الفلمنكيون على الفرنسيين فى معركة كورتارى فى ١٣٠٢

(٣١) أى يسأل الله الانتقام لذلك الطغيان

(٣٢) هذا هو هيج كايه (Hugues Capet) الكبير دوق فرنسا وبرجنديا وأكوييتانيا وكونت باريس وأورليان ومات فى ٩٥٦ ، وهو والد هيج كايه ملك فرنسا ويظهر أن دانتى اتخذ من الدوق الأب رمزاً للملك الابن ، وربما خلط بين الابن وأبيه

(٣٣) كان أغلب ملوك فرنسا من أسرة كايه يسمون فيليب أو لويس - وهاك قائمة بأسماء ملوك هذه الأسرة منذ نشأتها فى القرن العاشر حتى مهايها فى القرن الرابع عشر بعد وفاة دانتى بقليل

- (١) هيج كاييه (٩٨٧ - ٩٩٦)
 (٢) روبير الثانى - الحكيم (٩٩٦ - ١٠٣١) .
 (٣) هنرى الأول (١٠٣١ - ١٠٦٠)
 (٤) فيليب الأول (١٠٦٠ - ١١٠٨)
 (٥) لويس السادس (١١٠٨ - ١١٣٧)
 (٦) لويس السابع (١١٣٧ - ١١٨٠)
 (٧) فيليب الثانى (١١٨٠ - ١٢٢٣)
 (٨) لويس الثامن (١٢٢٣ - ١٢٢٦)
 (٩) لويس التاسع - القديس (١٢٢٦ - ١٢٧٠)
 (١٠) فيليب الثالث - الجسور (١٢٧٠ - ١٢٨٥)
 (١١) فيليب الرابع - الجميل (١٢٨٥ - ١٣١٤)
 (١٢) لويس العاشر (١٣١٤ - ١٣١٦)
 (١٣) حنا الأول (١٣١٦)
 (١٤) فيليب الخامس (١٣١٦ - ١٣٢٢)
 (١٥) شارل الرابع (١٣٢٢ - ١٣٢٨)
 (٣٤) كان هيج كاييه الأب من أسرة كونتات باريس ، ولكن شاعت عنه قصة فى عصر دانتي - ولم يكن هو واضعها - بأنه كان ابن تاجر ثيران (وليس ابن قصاب) ، وتزوج ابنة لويس الخامس آخر ملوك الكارولنجيين وبذلك أصبح ملكاً على فرنسا ووردت بعض أخباره فى الشعر الفرنسى المعاصر وعلى الأخص شعر فيون (Villon)
 (٣٥) يعنى ملوك الكارولنجيين (٧٥١ - ٩٨٦)
 (٣٦) لم يترهب آخر ملوك الكارولنجيين ، وربما خلط دانتي بينه وبين كلدريك الثالث آخر ملوك الميروفنجيين الذى ترهب فى ٧٥٢ ، وربما أخذ دانتي بالأسطورة التى شاعت فى أواخر القرن ١٢ والتى تقول بأن هيج كاييه ألبس آخر ملوك الكارولنجيين رداء الرهبان وحجسه فى دير
 (٣٧) فى الواقع صار هيج كاييه ملكاً فى ٩٨٧ وتوج روبير فى السنة التالية لكى يضمن خلافته على العرش .
 (٣٨) يعنى سلالة الملوك من أسرة كاييه الذين كانوا يتوجون فى كاتدرائية ريمس وأضيفت كلمة (الملوك) لإيضاح المعنى .
 (٣٩) الصداق البروفنسى هو مقاطعة البروفنس التى ضمت إلى أملاك آل كاييه ، بواسطة زواج لويس التاسع وشارل دانجو بمرجريت وبياتريتش ابنتى راييموند بيرنجير كونت البروفنس فى ١٢٤٦ وتوجد صورة للويس التاسع من عمل جوتو من القرن ١٤ وهى فى كنيسة سانتا كروتشى فى فلورنسا
 (٤٠) المقصود أنه قبل أن ينال آل كاييه إقليم البروفنس لم يكن قد زال عنهم الشعور بالهجل ، يعنى أنهم لم يرتكبوا شراً يهجلون منه
 (٤١) أى عند ما حصل آل كاييه على البروفنس بدأت أطعامهم تنمو وتزايد
 (٤٢) عندئذ بدأوا النهب بالخداع والقوة ، وربما كان فى هذا إشارة إلى زواج شارل دانجو من مرجريت التى كانت ستزوج راييموند دى تولوز ، وحدث هذا التحول بالعنف والخداع

(٤٣) التعويض أو التكفير هنا سخرية من دانتى ، والمقصود أن آل كاپيه عوضوا عن النهب بالنهب !

(٤٤) أخذ فيليب الجميل پونتيو (Ponthieu) وجاسقونيا (Gascogne) من إدوارد الأول الإنجليزى فى ١٢٩٥ ، وأخذ لويس السابع نورمانديا (Normandie) من جون الإنجليزى فى ١٢٠٢ يعنى قبل ضم البروفنس إلى أملاك آل كاپيه ، ولكن ادعاءات الإنجليز فيها لم تنته إلا فى عهد فيليب الجميل . وتعرضت معلومات دانتى هنا لبعض الاضطراب

(٤٥) هذا هو شارل دانجو الذى حارب مانفريد وهزمه فى بنيفنتو فى ١٢٦٦

Purg. III. 128.

وهناك تمثال لشارل دانجو من القرن ١٤ وهى فى كنيسة سان ديس فى فرنسا

(٤٦) وهزم شارل دانجو كونرادينو آخر أسرة هوهنشتاوفن فى تالياكوتزو فى ١٢٦٨

Inf. XXVIII. 17

وتوجد صورة صغيرة من القرن ١٤ تمثل مقتل كونرادينو وهى فى مكتبة كيجى فى روما

(٤٧) يكرر دانتى لفظ التعويض أو التكفير ، والمقصود تعويض الشر بالشر وهذه سخرية لازعة من جانب دانتى

(٤٨) كان الاعتقاد سائداً فى عهد دانتى بأن شارل دانجو أمر بدس السم لتوماس الأكوينى وهو فى طريقه إلى مجمع ليون فى ١٢٧٤ ، وإن كان هذا غير صحيح

(٤٩) يقصد شارل دى قالوا الذى جاء إلى إيطاليا بدعوة من البابا بونيفاتشو الثامن ، وهزم الخلف البيس فى فلورنسا ووضع السود مكانهم فى ١٣٠١ ، ونفى دانتى وقتئذ

وتوجد صورة صغيرة ترجع إلى القرن ١٤ تمثل دخول شارل دى قالوا إلى فلورنسا ، وهى فى مكتبة كيجى فى روما وربما يكون جوتو أو تلاميذه قد رسموا هذا الأمير إلى جانب كورسو دوناتى وبرنتولاتينى ودانتى فى متحف البرجلو فى فلورنسا

(٥٠) خرج شارل دى قالوا يصحبه عدد من النبلاء وحوالى ٥٠٠ فارس ولم يكن ذلك جيشاً

(٥١) يعنى حمل معه سلاح الخيانة الذى استخدمه يهوذا ضد المسيح

(٥٢) أى أنه سيطرن فلورنسا طعنة نجلاء ويشيع فيها القتل والنفى ومصادرة الأموال .

(٥٣) يعنى أنه سيكسب بذلك عاراً يزيد كثيراً عما يقدره هو

(٥٤) هو شارل الثانى دانجو بن شارل الأول الذى أسره الأميرال رودجيرى دى لاوريا ، الذى كان

يحارب باسم ملك أروجونة فى معركة نابل فى ١٢٨٤

(٥٥) أى أنه دفع ابنته الصغيرة بياتريتشى لتتزوج أترزو الثامن (Purg. V. 77) مركزى إست من أجل المال

(٥٦) يعنى باع ابنته كما يبيع القراصنة الجوارى

(٥٧) هكذا يعبر هيج كاپيه عن أساء وألمه لما آلت إليه أحوال سلالة .

(٥٨) يشير بهذا إلى شر خطير سوف يقع

(٥٩) زهرة الزنبق رمز للأسرة الملكية فى فرنسا

(٦٠) استخدم دانتى لفظ (catto) من اللاتينية بمعنى السجين ، ولقد تعارضت المصالح بين فيليب

الجميل ملك فرنسا والبابا بونيفاتشو الثامن ، فطلب فيليب عقد مجمع ديبى عام للنظر فى اتهام

البابا بالهرطقة وحياة الإباحة ، فأصدر البابا قرار الحرمان ضد فيليب ومع أنه قد أوقف العمل بهذا القرار في ٨ سبتمبر ١٣٠٣ إلا أن فيليب الجميل حرص شارا دى كولونا ومندوبه جيوم دى نوجاريه على قتل بونيفاتشو ، في مساء اليوم نفسه ، في كنيسة ألانيا (Alagna) وتعرف بأناني (Anagni) الواقعة جنوبي شرق روما وهوجم البابا واعتدى عليه وهب قصره وحبس ثلاثة أيام ، ولكن أهل أناني هضوا لتخليص البابا من أيدي أعدائه واضطروهم إلى الفرار ، وذهب بونيفاتشو الثامن إلى روما حيث أخذ يعد وسائل الانتقام ، ولكنه مات في روما في ١١ أكتوبر ١٣٠٣ متأثراً بالصدمة التي أصابته والمقصود بتعبير دانتي أن بونيفاتشو هو نائب المسيح ، ومحاولة اغتيال بونيفاتشو أسوأ - عند دانتي - من سائر شرور آل كاپيه . وقد عامل دانتي بونيفاتشو في هذا الموقف معاملة نبيلة وصحيح أن دانتي كره بونيفاتشو كمدوه الشخصى والسياسى ، وهو عنده البابا الآثم المرتضى الخائن القاتل ، وهو ناهب الكنيسة وهادم الأمبراطورية ، وهو عنده وصمة في جبين البشرية ، ومع ذلك فالبابا هو البابا ونائب المسيح هو نائبه ، ومحاولة الاعتداء على نائب المسيح هي محاولة جديدة لصلب المسيح - عند المسيحيين . وهذا من جانب دانتي نصر عظيم على كل العوامل الشخصية وعلى البابا ، وهذا احترام وإجلال للكرسى البابوى مهما كانت عيوب البابا . وقل أن يوجد نظير في الأدب الإنسانى لهذا المعنى العظيم ولا ريب فنحن أمام دانتي العملاق ، الذى يفرق بين أخطاء الرجل ومقامه وكم يحتاج الناس في أحكامهم وسلوكهم إلى التفرقة بين أخطاء الإنسان ومقامه في البيئة التي يعيش فيها ! وتوجد صورة صغيرة تمثل بونيفاتشو الثامن أسيراً في أناني وهي من القرن ١٤ وموجودة في مكتبة كيجي في روما

(٦١) أى ما تعرض له المسيح من السخرية والعذاب - عند المسيحيين - وكما ورد في « الكتاب المقدس »
Matt. XXVII. 39-44; Giov. XIX.

(٦٢) شرب المسيح الخل والعفص - المر - وهو على الصليب - عند المسيحيين - وكما ورد في « الكتاب المقدس »
Matt. XXVII. 48; Giov. XIX. 29.

(٦٣) صلب المسيح - عند المسيحيين - وصلب معه اثنان من اللصوص كما ورد في « الكتاب المقدس »
Matt. XXVI. 38; Marco, XV. 27.

(٦٤) يعنى فيليب الجميل الذى ترك بونيفاتشو الثامن في رعاية آل كولونا أعدائه الألداء كما ترك بيلاطس - الحاكم الرومانى للأرض المقدسة - المسيح في رعاية أعدائه من اليهود ، وهو الذى حاكمه وحكم عليه بالصلب ! ووردت أخبار ذلك في « الكتاب المقدس »

Luca, XXIII.

(٦٥) يتنبأ هيج كاپيه بما سيطلبه فيليب من البابا اكلمنتو الخامس من حيث إلغاء فرسان الهيكل (I Templari) في ١٣١٢ بدعوى الهرطقة ، على غير أساس

(٦٦) ينوه دانتي بالانتقام الإلهى ، الذى سيدخل عليه البهجة والمسرة ، وأورد توماس الأكويني هذا المعنى
d'Aq. Sum. Theol. III. Supp. XCIV. 3.

(٦٧) أى أن غضب الله الوثيد الخفى الخالى من المראה ستقص حداثه بمقاب الآثمين

(٦٨) يعنى عن العذراء ماريا وورد هذا المعنى في « الكتاب المقدس »
Luca, I. 35.

(٦٩) أى يذكرون في النهار أمثلة عن الكرم والفضيلة .

- (٧٠) يعنى يذكرون فى الليل أمثلة عن البخل والشر
- (٧١) پيجماليون (Pygmalion) ملك صور وأخو ديدو قتل پيجماليون سيكيو زوج ديدو للحصول على كثره ، وحينما عرفت ديدو حقيقة الأمر بظهور سيكيو لها فى الحلم ، أقلمت سراً ومعها الكنز ، واتجهت إلى أفريقيا حيث أسست قرطاجنة . وأورد ثرجيليو هذه الأسطورة
- Virg. Æn. I. 340
- (٧٢) ميداس (Midas) ملك فريجيا فى آسيا الصغرى الذى حقق له باخوس رغبته الجشعة فى تحويل كل ما يلمسه إلى ذهب فتعذر عليه تناول الطعام ، ويتهكم عليه دانتي على لسان هيچ كايه ، وأورد أوفيدوس أسطورة
- Ov. Met. XI. 100...
- (٧٣) عند الاستيلاء على أريحا أمر يشوع (Joshua) - خليفة موسى وفتح أرض كنعان - بمصادرة أموال المدينة باسم الرب ، ولكن عخان (Acan) احتجز لنفسه بعض الغنائم طمعاً وجشعاً ، فأمر يشوع برجمه هو وأفراده أسرته وأحرقت جثثهم . ورد ذلك فى « الكتاب المقدس »
- Gios. VII. 1-26.
- (٧٤) سفيرة (Sapphira) وزوجها حنانيا (Ananias) باعا بعض ممتلكاتها لمصلحة الجماعة المسيحية فى اورشليم ، ولكنهما لم يسلمتا كل الثمن إلى الحواريين ، فوبختهما القديس بطرس كلا بدوره ، فوقعا ميتين عند قدميه الواحدة بعد الآخر ، كما ورد فى « الكتاب المقدس »
- Atti, V. 1-11.
- (٧٥) هليودوروس (Heliodorus) هو أبوكريفا (Apocrypha) وزير سَلَوَقس الرابع ملك سوريا (١٨٧ - ١٧٥ ق. م.) ، الذى أراد أن يسرق كنوز هيكل اورشليم ، ولكن ظهر له ملك الأرواح على صهوة جواده وقتله ، كما ورد فى « الكتاب المقدس »
- II. Macc. III. 1-40.
- (٧٦) پوليمنستور (Polymnestor) ملك تراقيا أرسل إليه پريام ملك طروادة كية كبيرة من الذهب بواسطة ابنه پوليدوروس (Polydorus) وعندما سقطت طروادة قتل پوليمنستور پوليدوروس واستولى على الذهب . وأورد ثرجيليو وأوفيدوس هذه الأسطورة
- Virg. Æn. III. 49-57.
- Ov. Met. XIII. 429-438.
- (٧٧) ماركوس ليكينيوس كراسوس (Marcus Licinius Crassus) المسمى بالثرى أحد أعضاء الحكومة الثلاثية مع قيصر وبومبي فى ٦٠ ق. م. واشتهر بالجشع وحب المال وقتل فى معركة ضد البارثيين ، وصهر ملكهم هيروديس الذهب وصبه فى فمه ورأسه مقطوع وهذه سخريه لأذعة من جانب دانتي - على لسان هيچ كايه - وقد كان دانتي لا يحرص على جمع المال واكتنازه
- (٧٨) أى يقول بعض المتطهرين أمثلة بصوت مرتفع ويذكر آخرون أمثلة أخرى بصوت خافت تبعاً لإحساس كل منهم وتأثره بما يقوله .
- (٧٩) يعنى لم يذكر هيچ كايه وحده هذه الأمثلة هاراً
- (٨٠) ولكن لم يرفع سواه صوته ليلاً
- (٨١) هذا بسبب ضيق الطريق .
- (٨٢) بدا الجبل أنه سيسقط بشدة الزلزلة ، والمقصود أن الجبل بارتجافه أو زلزلته يعبر عن ابتهاجه حينما يكتمل تظهر إحدى النفوس من خطيئتها وتتأهب للصعود إلى الفردوس .

(٨٣) أخذت دانتي قشعريرة الخوف والفرع التى كاذت أشبه بقشعريرة الموت .

(٨٤) أى لم تهتز ديلوس (Delos) الجزيرة الأسطورية المتحركة فى بحر الأرنجيل كما اهتز جبل المطهر ، وقد جعلها جوبيتر ثابتة بعد أن بلأأت إليها لاتونا (Latona) التى هربت من غضب يونون (... Inf. XXX.) وأورد فرجيليو وأوفيدوس أسطورتها

Virg. Æn. III. 69...

Ov. Met. VI. 189...

(٨٥) ولدت لاتونا أبولو (رمز الشمس) وديانا (رمز القمر) وسامها أوفيدىوس بعبى السماء وذكرها فرجيليو

Ov. Met. IV. 228; VI. 189...

Virg. Æn. III. 69...

(٨٦) لفظ يشك (dubbiare) يعنى هنا الخوف ، كما سبق

(٨٧) هذا هو النشيد الذى أنشده الملائكة عند ميلاد المسيح كما ورد فى « الكتاب المقدس »

Luca, II. 14.

ونلاحظ أن تذوق الألحان الدينية التى وضمها كثير من الموسيقيين للتعبير عما ورد فى الكتاب المقدس بأن « المجد لله فى الأعلى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » ، يساعدنا على فهم شيء من روح الكوميديا ، مثل بعض ألحان جوسكان دى پريه وجوفانى پيرلويديجى دا پالسرپنا وأنتونيو فيفالدى وجورج فردريك هيندل ، التى سبق ذكرها فى الأنشودة ١٦ فى حاشية ١٤

(٨٨) لفظ (ondc) يعنى هنا (الذى منه) ويستخدمه دانتي للجميع كذلك ، ويعود على الأرواح

(٨٩) يعنى من النفوس القرية إلى دانتي فى الإفريز الخامس

(٩٠) يعنى وقف دانتي وفرجيليو كالرعاة الذين سمعوا بشرى ميلاد المسيح لأول مرة ، كما جاء فى « الكتاب المقدس »

وتوجد صورة من عمل تاديو جادى من القرنين ١٤ و ١٥ تمثل الرعاة وهم يسمعون هذه البشرى وهى بكيسة سانتا كروتشى فى فلورنسا

(٩١) أى سيطر الخوف على نفسيهما ووقف جسداهما عن الحركة

(٩٢) أى توقفت الزلزلة وتوقف الترتيل فى وقت واحد

(٩٣) استأنفت الأشباح بكاءها بعد انتهاء الأنشودة

(٩٤) يعنى أنه ليس هناك من جهل — بسبب ما أحسه دانتي وما سمعه — جعله متشوقاً إلى المعرفة كما أصبح عندما شعر بالزلازل العنيف وسمع الترتيل العلوى

(٩٥) كان فرجيليو يسير مسرعاً ، ولذلك لم يتسع الوقت لدانتي لمحاولة الاستفسار عن ذلك

(٩٦) أى سار دانتي وهو متفكر خائف أن يسأل عما لم يفهمه من سبب الزلزلة ومعنى الترتيل

الأنشودة الحادية والعشرون^(١)

سارع الشاعران خطوهما حينما بدا لهما شبح جاء من خلفهما وتمنى لهما السلام فبادله فرجيليو أمنيته واستفسر الشبح عن طريقة مجيئهما إلى هذا الموضع ، فقال فرجيليو إن دانتى إنسان حى ، وقد جاء هومعه لكى يقوده بقدر ما يستطيع . وسأل فرجيليو عن السبب فى رجفة الجبل وصياح المتطهرين ، فقال الشبح إن الجبل المقدس يتبع نظاماً دقيقاً ، وإنه يتأثر بالسما وحدها فى جزئه الأعلى ، حيث لا يسقط به مطر ولا بَرَد ولا صقيع ، ولا يتأثر أبداً بعوامل الطبيعة ، ولكنه يتزلزل حينما تتطهر إحدى النفوس فتصعد إلى أعلى يصاحبها ذلك التهليل وقال الشبح إن إرادة الإنسان تتجه إلى الخير ، ولكن تعوقها الشهوات فترتكب الخطيئة وتنال العذاب ، وذكر أنه استلقى فى هذا العذاب أكثر من خمسة قرون ، وحينما تطهرت نفسه ارتجف الجبل وُسمع ذلك الترتيل وسأله فرجيليو أن يفصح عن شخصه ، فقال إنه تمتع بشهرة كبيرة فى عصر تيتوس ، وعاش فى روما وتَوَّج جبينه بالريحان ، وقال إن اسمه استاتىوس ، وإنه قد تغنى بطيبة وأخيل ، واستمد وحيه الشعرى من إنيادة فرجيليو ، وتمنى لو أنه عاش فى عصره ولو أدى ذلك إلى بقائه فى المطهر سنة أخرى وأشار فرجيليو إلى دانتى أن يلزم الصمت ، ولكنه لم يستطع أن يُخفى ابتسامته فتساءل استاتىوس عن سبب الابتسام ، فأباح فرجيليو لدانتى الكلام قال دانتى إن فرجيليو ماثل أمامه الآن ، فانحنى استاتىوس لكى يقبل قدمي فرجيليو ، ولكن تعذر عليه ذلك لأنهما كانا مجرد شبحين ، وهضى استاتىوس وهو يعبر عن إعزازه وتقديره لفرجيليو

- ١ لقد أضنانى الظمأ الطبيعى الذى لا يرتوى أبداً^(٢) سوى بالماء الذى سألتِ
السامريّة المسكينّة أن تنال به النعمة^(٣) ،
- ٤ وحَفَرتُنِي العجلة إلى اقتفاء أثر دليلي^(٤) فى الطريق المتعثر^(٥) ، وأحسستُ
الأسى لما نالته الأرواح من العذاب العادل^(٦)
- ٧ وكما يكتب لنا لوقا أن المسيح قد هَلَّ على الاثنين اللذين كانا سائرين فى
الطريق ، حينما خرج من فتحة قبره^(٧) ،
- ١٠ فها قد تبدّى لنا شبح^(٨) ، وأخذ يسير من ورائنا بينما كنّا نحذر ألا نمس
بأقدامنا الجمع المستلقى على الأرض^(٩) — ولم ننبينه إلا بعد أن تحدّث
هو إلينا^(١٠) —
- ١٣ وشرع يقول : « فَلَسَيَمْنَحُكُمَا اللهُ السَّلامَ يا أخوَيَّ^(١١) » فاستدرونا تَوًّا ،
وأجابهُ ثرجيليو بالإيماء التى تناسب ذلك^(١٢)
- ١٦ ثم بدأ^(١٣) « فَلَسَيَمْنَحُكَ السَّلامَ — فى مجمع الطوباويين — دار القضاء
الحقّة^(١٤) ، التى تقيدنى فى هذا المنفى الأبديّ^(١٥) »
- ١٩ وبينما كنّا نغذّ السير قال لنا « يا لَلْعَجَب ! إذا كنّا عند الله شبحين
غير جديرين بالذهاب صُعُداً ، فن ذا الذى جاء بكما حتى هذا الموضع
من سُلّمه^(١٦) ؟ »
- ٢٢ فقال معلّمى « إذا نظرتَ إلى العلامات التى يحملها هذا الرجل^(١٧) ،
والتي رسمها الملاك عليه^(١٨) ، فستبيّن أن مقرّه ينبغي أن يكون فى زمرة
الأبرار^(١٩) »
- ٢٥ ولكن بما أن مَنْ نغزل سهاراً وليلاً ، لم تنته بعدُ من الخيط الذى يخصّه ،
والذى تحمل كلوتو لكل فردٍ مثيله وتلقّه على المِغزل^(٢٠) —
- ٢٨ فإن نفسه التى هى لك ولى شقيقة^(٢١) ، لم تستطع أن تأتى فى صعودها
وحيدة^(٢٢) ، إذ أنّها بطريقتنا لا تُبصر^(٢٣)
- ٣١ ولذا فقد أُخْرِجتُ من فوهة الجحيم الواسعة^(٢٤) ، لكى أُطلعه على الطريق ،
وسأريه منه مزيداً ، بقدر ما تستطيع تعاليمى أن تقوده^(٢٥)

- ٣٤ ولكن فكلّشخبرنى إذا كنت تعرف - لِمَ اهتزّ الجبل هكذا منذ هنيهة ، ولمَ بدتِ الأرواح تصيح جميعها بصوتٍ واحدٍ ، حتى أدنى صخرة بلبّتها البحر (٢٦) ؟ »
- ٣٧ هكذا أصاب بسؤاله صميم رغبتي ، حتى كان الأمل العذب وحده كفيلاً بأن يُلطف من حدة ظمئي (٢٧)
- ٤٠ وبدأ الآخر (٢٨) « لا ينال الجبل المبارك شئٌ يحدث دون نظام أو يقع خارجاً عن مألوفه (٢٩) »
- ٤٣ وإن هذه الأرجاء من كلّ الثقلبات خالصة (٣٠) : ولا يمكن أن تتأتى هنا عِلّةٌ إلا مما تتلقاه السماء من ذاتها ولذاتها ، ولا مؤثر سوى ذلك (٣١)
- ٤٦ ولذا فلا يسقط مطرٌ ، ولا برَدٌ ، ولا ثلجٌ ، ولا طلٌ ، ولا صقيعٌ (٣٢) - أعلى من السلم الصغير القصير ذى الدرجات الثلاث (٣٣)
- ٤٩ ولا تظهر به سحبٌ كثيفةٌ ولا خفيفةٌ ولا برقٌ ، ولا تبدو به ابنة تاوماس (٣٤) ، التى تغير مكانها كثيراً فى ذلك الجانب (٣٥)
- ٥٢ ولا يعلو بخارٌ جافٌ (٣٦) فوق ذروة الدرجات الثلاث التى كلّمْتَكَ عنها (٣٧) ، حيث يضع قدميه نائب القديس بطرس (٣٨)
- ٥٥ وربما تقلّ أو تكثر رجفة الجبل فى أسفله (٣٩) ، على أنه بالريح الكامنة فى الأرض - لا يتزلزل هنا فى أعلاه أبداً - ولا أدرى كيف (٤٠)
- ٥٨ وإن الجبل ليرتجف هنا حينما تشعر إحدى النفوس بتطهّرها ، حتى تنهض وتمضى صاعدةً إلى الأعلى (٤١) ؛ ثم يُسمع بعدئذٍ ذلك الصياح (٤٢)
- ٦١ وما من دليل على التطهّر سوى الإرادة ذاتها ، التى تفاجئ النفس حين تكتمل حرّيتها ، وتبعث فيها الرغبة البهيجّة فى تغيير مُقامها (٤٣)
- ٦٤ وإن النفس لترغب فى ذلك لأول وهلة ، ولكنّ تعوقها شهواتها التى تقودها العدالة الإلهية - على رغمها - إلى طريق العذاب ، لاتجاهها إلى طريق المعصية (٤٤)
- ٦٧ وأنا الذى اطّرحْتُ فى هذا العذاب أكثر من خمسمائة عام (٤٥) ، أحسستُ الآن فحسب أن إرادتى قد صارت حرةً لكى تُيسمَّ شطر عتبةٍ أفضل (٤٦) :

- ٧٠ ولذا فإنك قد سمعت الآن دوىَّ الرجفة وصوتَ الأرواح الخاشعة فوق الجبل تسبَّحَ بِمُحَمَّدٍ المولى ، حتى يرسلها سريعاً^(٤٧) إلى العلياء »
- ٧٣ هكذا تحدّث إلينا ؛ ولا كانت متعة الإنسان بالرّىّ تزداد بقدر زيادة عطشه — فلم أستطع التعبير عما أدّاه لى من فائق المتعة^(٤٨)
- ٧٦ فقال دليلي الحكيم « الآن أتبيّن الشبكةَ التى تعوقكم ها هنا^(٤٩) ، وكيف تُحلّ عقدتها^(٥٠) ، ولِمَ يرتجف الجبل هنا ولمَ تتشاركون جميعاً فى الشعور بالبهجة
- ٧٩ ولعلّه يُرضيك الآن أن أعرف شخصك ، وعساى أفهم من كلماتك لِمَ اطرحتَ هنا طوال هذه القرون العديدة^(٥١) »
- ٨٢ فأجاب ذلك الروح « فى الوقت الذى انتقم فيه تيتوس الطيب^(٥٢) بعون المليك الأعلى^(٥٣) — للجروح التى انبثق منها
- ٨٥ الدمُ الذى باعه يهوذا^(٥٤) ، بالاسم الذى سيدوم طويلاً ويُسجّد كثيراً — كنتُ هناك رجلاً عريض الشّهرة — ولكن الإيمان كان لا يزال يُعوزنى^(٥٥) .
- ٨٨ وكنتُ رخيّم الإنشاد ، حتى إننى على رغم كونى من أهل تولوز^(٥٦) ، فقد اجتذبتنى روما إليها^(٥٧) ، حيث صار جبينى جديراً بأن يتوّج بالرّيحان^(٥٨) .
- ٩١ ولا يزال القوم يدعوننى باسم استاتيوس فى ذلك الجانب^(٥٩) ؛ ولقد تغنيت بطيبة ثم بأخيل العظيم^(٦٠) ؛ ولكننى هويتُ فى الطريق بحملى الثانى^(٦١)
- ٩٤ وإن شِعرى ليستمدّ حرارته من شرارات الشّعلة الإلهمة التى ألهمت قريحتى ، ومنها اشتعل أكثر من ألف لهيب^(٦٢) ؛
- ٩٧ وإننى لأتكلم عن الإنيادة ، التى كانت لى فى قول الشعر أما كما كانت حاضنةً لى^(٦٣) : وبدوها لما عادلُ وزن درهم
- ١٠٠ ولو أنى عِشتُ حينما كان فرجيليو على قيد الحياة^(٦٤) ، لَرَضِيتُ أن أظلّ سنةً تزيد عما ينبغى على^(٦٥) — قبل أن أخرج من عذاب المنفى^(٦٦) »
- ١٠٣ وبسماع هذه الكلمات اتجه إلى فرجيليو ، وبوجهه الصامت سألتى أن ألزم الصمت^(٦٧) ، ولكن إرادتنا لا تقوى على فعل كلِّ شىءٍ^(٦٨) ؛

١٠٦ إذْ أن الضحك والبكاء للعاطفة خاضعان ، وكلاهما عنها يصدران ، حتى لَيَقِلَّ انصياعهما للإرادة لدى أصدق الناس (٦٩)

١٠٩ وابتسمتُ فحسبُ كمن يغمز بعينه (٧٠) ؛ وعندئذ سكت الشبح ، ونظرني في العينين ، إذْ فيهما تبدو صورة النفس على حقيقتها (٧١) ؛

١١٢ وقال لي : « لعلَّ هذا الجهد الكبير يؤدّي بك إلى الخير (٧٢) ، ولكن لم بدا لي وميض ابتسامة على محيّاك في هذه الآونة (٧٣) ؟ »

١١٥ فأخذ يتجاذبي عندئذ كلا الجانبين أحدهما يحملني على الصمت ، والآخر يناشدني أن أتكلّم (٧٤) ؛ ولذلك تهنّدتُ (٧٥) ، وأدرك معلّمي

١١٨ ما يدور بخاطري ، فقال لي (٧٦) : « لا تخشينَ من كلامك شيئاً ؛ بل تكلّم وحدّثه بما يسأل عند بهذا الحرص الشديد (٧٧) »

١٢١ فقلت عندئذ « ربما تعجب — أيها الروح العتيق — من البسمة التي بدرتُ مي (٧٨) ؛ ولكنني أرجو أن ينالك عجبٌ أشدّ

١٢٤ إن هذا الذي يُرشدني في الذهاب إلى أعلى (٧٩) — هو فرجيليو ذلك الذي استوحيتَ منه القدرة على التغنى بالرجال والآلهة (٨٠)

١٢٧ وإذا اعتقدتَ أنّ لابتسامتي علّةٌ أخرى ، فدعك منها ، لأن هذا غير صحيح ، ولتثق بأن كلماتك التي قلتها عنه كانت هي السبب (٨١) »

١٣٠ وكان قد انحنى عندئذ ليقبّل قدمي معلّمي (٨٢) ، ولكنه قال له « لا تفعل ذلك يا أخي (٨٣) — فما أنت سوى شبحٍ تنظر شبحاً »

١٣٣ فقال وهو يهض « يمكنك أن تدرك الآن مدى المحبّة المستعرة في نفسي نحوك ، حيناً أنسى فراغنا ،

١٣٦ وأعامل الأشباحَ على أنها أشياءٌ صلبة (٨٤) »

حواشي الأنشودة الحادية والعشرين

(١) هذه هي الأنشودة الثالثة من أنشودات البغلاء والمبذرين وتسمى أنشودة استاتيوس .

(٢) أى الرغبة فى المعرفة وورد هذا المعنى فى « الونية » وعند أرسطو

Conv.I.I.1.

Arist.Met.I.1.

(٣) الماء رمز المعرفة وأورد « الكتاب المقدس » ما دار بين المرأة السامرية والمسيح بشأن الماء الحى

Giov;IV:6...

عند بئر يعقوب

وتوجد صورة من الموزايكو تمثل السامرية عند البئر وترجع إلى القرن ١٣ وهى فى كنيسة سان ماركو فى البندقية

(٤) يعنى أن رغبة دانتي فى معرفة حقيقة الزلزال والترتيل جعلته يحس العذاب فصار مسرعاً وراء دليله

(٥) الطريق متعثر ومزدحم بسبب المتطهرين الذين اطرحوا أرضاً

(٦) أى أن دانتي أحس الألم لما يلقاه المتطهرون من الجزاء العادل . وأضفت (ما نالته الأرواح) لإيضاح المعنى .

(٧) ظهر المسيح بعد قيامه من القبر لاثنتين كانا يسيران فى طريق عمواس ، كما ورد فى « الكتاب المقدس »

Luca, XXIV. ١٣...

(٨) على هذا النحو ظهر شبح استاتيوس .

(٩) يرى بعض الدارسين أن المعنى هنا يمكن أن يكون على هذا النحو : (بينما كنا ننظر إلى الجمع المستلق عند أقدامنا)

(١٠) لم يشعر الشعاران بوجود استاتيوس إلا بعد أن تكلم لأنهما كانا مشغولين بالنظر إلى الأرض خشية الاصطدام بالمطهرين

(١١) يشبه هذا التعبير قول المسيح لأتباعه بعد قيامه من القبر ، كما ورد فى « الكتاب المقدس »

Giov. XX. 21, 26.

(١٢) يعنى حياه بإيماءة من رأسه

(١٣) هذا هو فرجيليو الذى يوجه الكلام إلى استاتيوس ومع ذلك فلم يتعرف عليه .

(١٤) أى القضاء الإلهى

Inf. II.

(١٥) يعنى اللبو فى مقدمة الجحيم

(١٦) يستفسر استاتيوس عن الطريقة التى وصل بها الشعاران إلى هذا الموضع من جبل المطهر

(١٧) أى علامات الخطيئة التى رسمها الملاك على جبين دانتي (Purg. IX. ١١٢.) وكان لا يزال منها ثلاث

(١٨) يعنى العلامات التى يرسمها الملاك على كل من يصعد إلى جبل المطهر

(١٩) أى أن مقره مع السعداء فى الفردوس

(٢٠) كلوتو (Clotho) إحدى ربّات القدر التى تغزل خيطاً على مغزل لا كيسيّس (Lachesis)
بقدر العمر المكتوب لكل إنسان ، والمقصود أن عمر دانتي لم ينته بعد وأورد أوفيدىوس
أسطورة كلوتو
Ov. Met. VIII. 452

(٢١) يعنى أن نفوس الناس جميعاً إخوة لأن خالقها واحد .

(٢٢) أى أن دانتي ما كان يستطيع أن يأتى إلى هذا المكان بدون دليل

(٢٣) يعنى أن الإنسان الحى يعوقه جسده عن الرؤية الكاملة

(٢٤) أى اللهب
Inf. II. 52...

(٢٥) يعنى طبقاً لتعاليم الفلسفة والعقل وقد عبر فرجيليو عن ذلك بلفظ (مدرسة)

(٢٦) يستفسر فرجيليو عن السبب فى زلزلة الجبل وعن ترتيب الأرواح بصوت واحد

(٢٧) أى أن سؤال فرجيليو عبر تماماً عن رغبة دانتي فى المعرفة وبذلك خفت حدة عطشه إليها

وعبر دانتي عن صميم الرغبة بقوله (سم خياط الرغبة)

(٢٨) بدأ استاتيرس يتكلم ولم يهتم بكون دانتي على قيد الحياة ، بل مضى يجيب عن أسئلة فرجيليو
سواء أكان ذلك لحرصه على المبادرة إلى الرد أم لأنه لم يكن له ما يطلبه إلى أحد الأحياء وأصبح
فى حال وسط ، إذ لم تعد له تلك الصلة السابقة بالإنسان ولم يصبح إلهياً بعد

(٢٩) يشبه هذا ما أورده فرجيليو عن قدسية الجبل
Virg. Æn. VIII. 349-350.

(٣٠) يعنى أنه غير خاضع للمؤثرات التى تخضع لها الأرض

(٣١) أى أن المطهر خاضع لمؤثرات السماء فقط

(٣٢) يعنى لا يتأثر جبل المطهر بالمؤثرات الطبيعية

(٣٣) ربما تكون الترجمة هنا كما يلى (السلم الصغير ذو الدرجات القصيرة الثلاث) والمعنى واحد

Purg. IX. 76 والمقصود باب المطهر

(٣٤) ابنة تاوماس (Thaumas) أو إيريس (Iris) تعنى قوس قزح ، واعتقد القدماء أنها رسالة
من السماء وذكرها فرجيليو وأوفيدىوس
Virg. Æn. IX. 5.
Ov. Met. XIV. 845.

(٣٥) أى فى الأرض

(٣٦) اعتبر أرسطو أن البخار الجاف سبب الرياح والبرق والرعد والزلازل

Arist. Meteorol. II. IX.

Purg. IX. 103.

(٣٧) يعنى عند عتبة باب المطهر

Purg. IX. 127.

(٣٨) نائب القديس بطرس يعنى هنا الملاك حارس باب المطهر

(٣٩) أى فى مقدمة جبل المطهر

(٤٠) لا يهتز الجزء الأعلى من جبل المطهر لأنه غير خاضع لمؤثرات الأرض

(٤١) يتزلزل الجبل حيناً تنظهر النفس من الخطيئة فينهض المتطهرون لكى يصعدوا إلى الفردوس
الأرضى ثم إلى الفردوس

Purg. XX. 196.

(٤٢) يصحب زلزلة الجبل صياح الأرواح ، كما سبق

(٤٣) يعنى أن رغبة النفس وإرادتها الصعود إلى أعلى هى الدليل على تطهرها ، ولا تظهر هذه الرغبة

إلا إذا تم التطهر ويجعل نص الجمعية الدانتية الإيطالية ونص أكسفورد (التحرر الكامل) منصّباً على الإرادة ، بينما يجعله نص ماريوكازيلا ونص توماسوكازيني على الروح أو النفس ، مما يوجد فارقاً قليلاً فى المعنى ، وقد أخذت بالنص الأول

(٤٤) تتجه الإرادة المطلقة إلى السماء قبل تطهر النفس ، ولكن الإرادة النسبية المشروطة بالتطهر تحول دون ذلك كما يحدث فى الحياة عندما تتجه النفس إلى الخطيئة وتقودها الإرادة إلى العذاب والتكفير والتطهر

(٤٥) مات استاتيوس حوالى سنة ٩٦ ، وهذا يعنى أنه قضى أكثر من ٥ قرون فى إفريز البخله والمبذرين وأكثر من ٤ قرون فى إفريز الكسالى و ٣ قرون أدنى من ذلك حتى فصل إلى سنة ١٣٠٠

(٤٦) أى أنه بتطهره سيتجه إلى السماء

(٤٧) يعنى سبحت الأرواح بحمد الله لكى يرسلها إلى السماء سريعاً

(٤٨) هكذا ارتوى عطش دانتي إلى المعرفة بهذا الحديث الممتع

(٤٩) المقصود بالشبكة الرغبة فى الصعود إلى السماء المشروطة بالتطهر كما سبق فى بيت ٦٤ وما بعده

(٥٠) يشبه هذا المعنى ما ورد فى « الكتاب المقدس » Ezech. XII. 13, ecc.

(٥١) يريد فرجيليو أن يعرف شخص استاتيوس من ذات حديثه

(٥٢) تيتوس فلافيوس (Titus Flavius, ٧٩ - ٨١) إمبراطور الدولة الرومانية حاصر أورشلیم فى عهد أبيه فسپاسيانوس فى سنة ٧٠ وانتقم من اليهود لمقتل السيد المسيح - عند المسيحيين - واشتهر بالكرم والرحمة

(٥٣) أى الله

(٥٤) المقصود خيانة يهوذا الإسخريوطى للمسيح كما ورد فى « الكتاب المقدس »

Matt. XXVI. 14-15.

(٥٥) يعنى كان استاتيوس مشهوراً فى الدنيا باسمه كشاعر وليس بالإيمان المسيحى ، ويقال إنه اعتنق وربما يكون دانتي هو الذى قال بهذا رأى

(٥٦) اعتبر دانتي استاتيوس من تولوز (Toulouse) فى فرنسا ، وهذا خطأ شاع فى عصر دانتي ، وهو يخلط بين استاتيوس وبين لوسيوس استاتيوس أوسولوس الذى ولد فى عهد نيرون حوالى سنة ٥٨

(٥٧) يتكلم استاتيوس عن عذوبة شعره التى جعلت روما تجتذبه إليها تقديراً له

(٥٨) استحق استاتيوس هذا التقدير غير مرة كما ورد فى كتاب « الغابات » الذى لم يكن معروفاً فى عهد دانتي ، وربما عرفه بطريق غير مباشر : Stat. Silvae, III. 5.

(٥٩) پوبليسوس پاپينيوس استاتيوس (Publius Papinius Statius ٩٦ - ٤٥) أهم شعراء الرومان فى العصر الفضى ، ولد فى نابلى وعاش أغلب حياته فى روما واتصل بالإمبراطور دوميتيانوس . وأهم شعره « أنشودة طيبة » (Thebaid) وهى ملحمة تتناول الحرب ضد طيبة ، وكتب « أنشودة أخيل » (Achillaid) عن حياة أخيل وحرب طروادة ، ولكنه كتب الكتاب الأول منها ولم يكمل الكتاب الثانى وله كتاب « الغابات » (Silvae) وهو مجموعة من الشعر المتنوع .

وكان شعره معروفاً في العصور الوسطى ، وامتاز بحسن الصياغة وقوة التعبير ، وتأثر به دانتي . ويرافق استاتيوس دانتي وثرجيليو من هذا الموضع من المطهر وبعد انسحاب ثرجيليو يسير مع دانتي في الفردوس الأرضي ، ويمثل عند دانتي مرحلة وسطى بين العقل والإلهام و بين ثرجيليو وبياتريتشى

(٦٠) أى « أنشودة طيبة » و « أنشودة أخيل »

(٦١) يعنى مات قبل أن يكمل « أنشودة أخيل »

Stat. Theb. XII. 806

(٦٢) يشبه هذا تعبير استاتيوس

(٦٣) يشيد استاتيوس بإنفاذ ثرجيليو وفضلها عليه في قول الشعر

(٦٤) مات ثرجيليو سنة ١٩ ق. م. أى قبل ميلاد استاتيوس بحوالى ٦٠ سنة

(٦٥) أى كان يتنى أن يعيش في عصر ثرجيليو مع استعداده للبقاء سنة أخرى في المطهر وعبر دانتي عن السنة بذكره لفظ (الشمس) ويقصد دورتها

(٦٦) المطهر منى بالنسبة للفردوس واستعداد استاتيوس للتأخر سنة في المطهر في سبيل رؤيته ثرجيليو في الدنيا دليل على الإعزاز والتقدير

(٦٧) عبر ثرجيليو لدانتي بوجهه عن رغبته في الصمت لأنه لم يشأ أن يظهر نفسه لمن غمره بالمدح والتقدير

(٦٨) يعنى لا يقوى الإنسان على كبح نفسه دائماً لأن إرادته لا تقوى على كل شئ .

(٦٩) أى أن الإنسان الصادق لا يستطيع أن يخفى مشاعره .

(٧٠) لم يستطع دانتي أن يمنع ابتسامته ، فابتسم كمن يشير إلى شئ بدون أن يفصح عنه . وفي الأصل (الغمز بالعينين) والمقصود التلميح إلى شئ .

(٧١) نظر استاتيوس إلى عيى دانتي لأنهما تعبران عن النفس أصدق التعبير ، وذكر دانتي هذا المعنى في « الوليمة »

(٧٢) يتمى استاتيوس لدانتي أن يبلغ السماء بعد هذا الجهد الذى بذله

(٧٣) يعنى ابتسم دانتي ابتسامة خاطفة . وهكذا يعبر دانتي بدقة عن معاني النفس وما يرتسم منها على الوجه

(٧٤) أخذت دانتي الحيرة بين ما يطلبه إليه ثرجيليو وما يطلبه استاتيوس

(٧٥) يتهدد دانتي إزاء ذلك ويستخدم الفعل المضارع بين فعلين ماضيين للتنويع في طريقة التعبير وللتأثير في القارئ

(٧٦) أدرك ثرجيليو ما يساور دانتي فحمله على الكلام .

(٧٧) هذا هو ما أظهره استاتيوس منذ قليل في أبيات ١١٢ - ١١٤

(٧٨) لم يفصح دانتي فوراً عن شخص ثرجيليو بل تريث قليلاً حتى يزيد من دهشة استاتيوس .

(٧٩) أى إلى قمة جبل المطهر

(٨٠) يعنى هذا هو ثرجيليو الذى استوحى استاتيوس شعره في كتابة أشعاره حيث تناول الرجال والآلهة

(٨١) أى ليس من سبب لابتسام دانتي سوى أسف استاتيوس على أنه لم يعيش في عصر ثرجيليو بعد أن أعرب عن تقديره له ، بينما شبح ثرجيليو قريب منه الآن .

(٨٢) هذا دليل على مدى إعزاز استاتيوس لفرجيليو

(٨٣) يشبه هذا القول ما ورد في « الكتاب المقدس »

Apocal. XIX. 10.

(٨٤) سبقت مواقف مشابهة من حيث محاولة المناق أو الركوع تعبيراً عن المحبة والتقدير ، حينما حاول

كل من دانتي وكازيلا عناق الآخر في الأنشودة الثانية من المطهر (... Purg. II. 76) ، أو حينما ركع دانتي احتراماً وتقيراً للبابا أدريانو الخامس في الأنشودة التاسعة عشرة من المطهر (... Purg. XIX. 127). ولقد كانت كلمات فرجيليو هنا هي التي أوضحت الحقيقة بشأن استحالة المناق في حالة الأشباح كما فعلت ذلك كلمات أدريانو الخامس ، وكما أوضحت نفس الحقيقة حركة ذراعي دانتي في الفراغ - إزاء كازيلا - ولقد انتهى الوهم في كل من الحالات الثلاث بطريقة مغايرة ، وبدا فن دانتي في كل منها متميزاً واضحاً في صورته الخاصة . وقد شارك في خلق هذا الموقف كل من دانتي واستاتيوس وفرجيليو ، وكونوا معاً ثلاثياً فريداً قوامه ثلاثة من الشعراء يسود بينهم الفن والمحبة والتوافق والإعزاز والتقدير ومع ذلك فإن شخصية فرجيليو هنا هي البارزة المسيطرة ويتضح هذا من رأي استاتيوس في فرجيليو ، الذي كان يحرك الموقف بنظراته وكلامه وهذا مشهد ملء بالإحساس والعاطفة ويعد من المواقف البارزة في الكوميديا

(١١) الأنشودة الثانية والعشرون

صعد دانتى الجبل بدون عناء فى لآثر فرجيليو واستاتيوس ، وسعهما يتحدثان
قال فرجيليو إن المحبة التى تشعلها الفضيلة تشعل غيرها دوماً إذا ظهرت شعلتها
فى الخارج ، وإنه قد أحبه منذ أن هبط جوفيناالس إلى اللابو ، وعرفه بقدره ،
وسأله كيف يجد البخل موضعاً فى صدره على رغم حكيمته فضحك استاتيوس
قليلاً وأخبره أن البخل قد زايله منذ أمد بعيد ، وإنه ابتلى بالإسراف الذى عوقب
من أجله قروناً عديدة ، وقال إنه فهم قوله فى الإنيادة عن الجوع المقدس إلى
الذهب الذى ينبغى أن يضبط شهوة الإنسان إلى ثروات الدنيا ، وإن الخطايا
المتعارضة تلتقى جزاءها معاً ، وإنه كبذر يتطهر مع البخلاء وقال فرجيليو
لاستاتيوس إنه يبدو له أنه لم يكن قد اهتمدى بعد إلى الإيمان الصحيح حينما تناول
مأساة جوكاستا ، وسأله كيف تحرر من ظلام الوثنية فقال استاتيوس لفرجيليو
إنه هو الذى ألهمه قول الشعر وهداه إلى الإيمان وأضاء له الطريق بدون أن يضئته
لنفسه ، عندما قال فى أناشيد الرعاة إن العصر يتجدد وإنه سيهبط من السماء جنس
جديد وقال إنه أخذ يختلط بالمسيحيين ، وشاركهم فى البكاء على ما نالهم من المحن ،
ثم نال التعميد ولكنه أخفى ذلك طويلاً ، ولذا فقد دار فى الإفريز الرابع من المطهر
أكثر من أربعة قرون ، وسأل فرجيليو عن مكان بعض شعراء اللاتين ، فأجابه
بأن أمثال تيرنسيوس وپلاوتوس وأوربيدس وأجاتون وأنتيجون موجودون فى اللابو
وبلغ الشعراء الثلاثة الإفريز السادس ، وكانت الساعة قد جاوزت الحادية عشرة
من صباح الثلاثاء ١٢ أبريل ١٣٠٠ وأخذ دانتى فى متابعة السير وراء الشعاعين ،
واستلهم من حديثهما فنه الشعرى واعترضت طريقهم شجرة مقلوقة الوضع
— شجرة الحياة — لكيلا يصعد عليها أحد من المهومين وسمع دانتى صوتاً يردد
أمثلة عن القناعة مقتبسة من أفعال العذراء ماريا ودانيال ويوحنا المعمدان

- ١ كان قد ظلّ من ورائنا الملاك الذي اتّجه بنا إلى الدائرة السادسة (٢) ،
بعد أن أزال من وجهي جرحاً (٣) ؛
- ٤ ونطق بالآية القائلة عمّن تتّجه رغبتهم إلى البرّ لأنهم طوبوا ويَتون، ولكنه ختم
كلماته عند "العطاش" (٤) — ولم يقل مزيداً
- ٧ وإني وقد أصبحتُ أخفّ مما كنتُ عند المداخل الأخرى (٥) ، أخذتُ أسير
في إثر الروحين السريعين (٦) ، بدون أن أبذل جهداً ؛
- ١٠ حينما بدأ فرجيليو « إن المحبّة التي يُشعلها الفضل لتُلهب غيرها دوماً ،
إذا ما تبدّت شعلتها في الخارج (٧) ؛
- ١٣ وليذا فنذ اللحظة التي هبط فيها جوفاينالس بين ظهرانينا في ليمبو الجحيم (٨)
— والذي جعلني أتبيّن محبتك لي (٩) —
- ١٦ أحسستُ نحوك بمحبّة عارمة ، لم يشعر بمثلها أحد نحو مَنْ لم يُرَ من
قبل أبداً (١٠) ، وبهذا ستبدو لي هذه السلام قصيرة الآن (١١)
- ١٩ ولكن فلنُخبّرني ، ولنُتغفر لي كصديق ، إذا ما أرُخيتُ لي طمأنينتي
البالغة سبيل العنان — ولنُحدّثني الآن حديث الصديق إلى الصديق (١٢)
- ٢٢ كيف استطاع البخل أن يجد لنفسه في قلبك موضعاً (١٣) ، بين كلِّ
ما تحلّيت به من الحكمة التي أفعممت بها — بفضل اجتهادك ودرسك (١٤) ؟ »
- ٢٥ وبسماع هذه الكلمات ابتسم استاتيوس لأول وهلة (١٥) ، ثم أجاب « إن
كلّ ما تقوله تعبيرٌ غالٍ عن محبتك لي
- ٢٨ ومع ذلك فكثيراً ما تبدو أشياءٌ تثير بزيّفا مواطن الشكّ ، نخفاء أسبابها
الحقيقية (١٦) .
- ٣١ ويؤكد لي سؤالك أنك تعتقد أنني كنت في الحياة الأخرى رجلاً بخيلاً ،
وربما يرجع ذلك إلى تلك الدائرة التي صيرتُ إليها (١٧)
- ٣٤ ولتُعلم الآن أن البخل كان قد زال عني منذ أمدٍ بعيد (١٨) ، وأن إفراطِي قد
عاقبته آلاف من دورات القمر (١٩)
- ٣٧ ولو لم أكن قد قومت رغائبي — حينما أدركت مغزى قولك — حيث
تصبح (٢٠) — وكأني بك على طبيعة البشر غاضبٌ —

- ٤٠ "أيها الجوع المقدس إلى الذهب - لم لا تقوم شهوة البشر الفاني؟" (٢١)
 - لولا ذلك - لكنت أشعر الآن بوطأة المصادمات البئيسة لبّان دوراني (٢٢).
- ٤٣ وعندئذ تبيّنت ما يمكن أن تقوى عليه يداى فى بسط أجنتهما فى الإنفاق (٢٣) - وهكذا ندمت على هذه المعصية كما ندمت على غيرها من المعاصى (٢٤)
- ٤٦ وكم من الناس سيعثون وهم حليقو الرؤوس (٢٥)، بالجهل الذى يحول دون ندمهم على هذه المعصية ، فى أثناء حياتهم وعند ختامها !
- ٤٩ واعلم أن الخطأ الذى يُقابل خطيئةً ما بصورة مباشرة ، يجفّف معها هنا أوراقه الخضراء (٢٦)
- ٥٢ فإذا كنت قد اتخذت مقرّى فى التطهر بين منّ يكون لبخلهم ، فقد نال مى عذاب الخطيئة التى تعارض ذلك (٢٧) -
- ٥٥ فقال الصادح بأناشيد الرعاة (٢٨) : « ولكنك حينما تغنيت بالصراع القاسى ، الذى سبّب لجوكاستا حزناً مزدوجاً (٢٩) ؛
- ٥٨ وبما قصصته وقصته أكليو معك (٣٠) - لا يبدو أنك كنت قد صرت بعدُ بالعقيدة مؤمناً ، ولا يكفىك أن تفعل الخير بدون اعتناقها (٣١).
- ٦١ وإذا كان الأمر كذلك (٣٢) ، فأية شمس (٣٣) أو شموع (٣٤) قد أنارتْ ظلّمتك (٣٥) ، حتى نشرتْ أشرعتك بعدئذ خلف صائد السماء (٣٦) ؟ »
- ٦٤ فقال له « إنك أوّل منّ بعث بى صوب جبل پارناسوس لكى أنهل من بين صحخراته (٣٧) ، وإنك أوّل من أنار لى الطريق إلى الله (٣٨)
- ٦٧ وقد فعلت كمن يسير فى جُح الدجى ، ويحمل من ورائه مصباحاً ، لا يبدّد به ظلّمته ، ولكنه ينير السبيل - من بعده - لساثر الناس (٣٩) ؛
- ٧٠ وذلك حينما قلت " إن العصر يتجدّد (٤٠) ؛ وتستعيد العدالة مجراها ويعود للبشرية زمانها الأوّل (٤١) ، ومن السماء تهبط سلالة جديدة " -
- ٧٣ فبفضلك أصبحتُ شاعراً وبفضلك صرت مسيحياً ولكن لكى ترى بصورة أفضل - ما أنا بسبيل رسمه - فسأبسط راحتى فى تلويته (٤٢)

- ٧٦ لقد كانت كل أرجاء العالم مُفعمَةً وقتئذٍ بالعقيدة الصحيحة^(٤٣)،
التي نشر بذورها رسل الملكوت الأزلي^(٤٤)،
- ٧٩ وتجاوبتُ كلمتك التي ذكرتها آنفاً مع المعلمين الجدد^(٤٥)؛ ولِذَا تَخَذْتُ
زيارتهم عادةً لي^(٤٦).
- ٨٢ ثم بدؤوا لي أبراراً صالحين^(٤٧)، حتى لم يكن بكأوهم بغير بكائي^(٤٨)،
حينما فتك بهم دوميتيانوس^(٤٩)؛
- ٨٥ وبذلتُ لهم العون بينما كنت أقيم في ذلك الجانب^(٥٠)، وحلني مسلّكهم
القيوم على أن أزدري سائر المعتقدات^(٥١).
- ٨٨ ولقد عمّدوني قبل أن أقود الإغريق - في شِعْرى - إلى سهري طيبة^(٥٢)؛
ولكنني أخفيتُ مسيحيّتي لما تولّاني من الخوف،
- ٩١ وتظاهرتُ بالوثنية زماناً طويلاً^(٥٣)؛ وجعلني هذا التواني أدور في الدائرة
الرابعة أكثر من أربعة قرون^(٥٤)
- ٩٤ وإذا أنت يا مَنْ رَفَعْتَ الحجاب الذي أخفى عني - ما أتحدّث عنه من
الخير العميم^(٥٥) - فمَلَسْتُخبرني - إذا كنتَ تدري - بينما لا يزال لدينا
من الوقت
- ٩٧ فُسْحَةٌ في سبيل الصعود^(٥٦) - «أين تيرنسيوس شاعرنا القديم^(٥٧)،
وأين كيكيديوس^(٥٨) وإپلاوتوس^(٥٩) وفاريوس^(٦٠) : وقُلْ لي إذا كانوا
ملعونين، وفي أية حلقة»
- ١٠٠ فأجابه دليلى «إنهم وپرسیوس^(٦١) وأنا وكثيرون غيرنا مستقرّون مع ذلك
الإغريق، الذي أرضعته ربّات الشعر أكثر من غيره أبداً^(٦٢) -
- ١٠٣ في الحلقة الأولى من المحبّس الأعمى^(٦٣)؛ وإننا لتحدّث كثيراً عن الجبل
الذي يحتفظ لديه بحاضناتنا دوماً^(٦٤).
- ١٠٦ وهناك يستقرّ معنا أوربيدس^(٦٥) وأنثيفون^(٦٦)، وسيمونيدس^(٦٧)، وأجاتون^(٦٨)،
وكثيرون غيرهم من الإغريق، الذين زينوا جباههم قديماً بأكاليل الغار^(٦٩)
- ١٠٩ ومن جماعتك تُرى هناك^(٧٠) أنثيجون^(٧١)، وديفيلي^(٧٢)، وأرجيا^(٧٣) وتُرى
لإسمين حزينَةً واهةً، كما كانت من قبل على تلك الحال^(٧٤).

- ١١٢ وهناك تبدو منْ° أبانتْ عن الطريق إلى لانجا (٧٥): وهناك إبنة تيريسياس (٧٦)، وتيتيس (٧٧)، وديداميا وشقيقاتها (٧٨) «
- ١١٥ وكان قد سكت الآن كلا الشاعرين ، وانتبها من جديد للتطلع إلى ما حوالهما ، محرّرين من الصعود والحوائط (٧٩)؛
- ١١٨ وإلى الورا كانت قد تخلّفت أربع من حوريات النهار (٨٠)، وصارت خامسهن عند عريش العربة ، وإلى أعلى ظلت توجهّ القرن المشتعل (٨١)،
- ١٢١ حينما قال دليلى « أعتقد أنه ينبغي علينا أن نتجه بيّسمى كتفينا إلى الحافة (٨٢)، في دوراننا حول الجبل ، كما اعتدنا أن نفعل ذلك (٨٣) »
- ١٢٤ وهكذا كانت العادة هناك دليلا ، وسرنا في طريقنا وقد قلّت وساوسنا ، بتأييد من تلك النفس النبيلة ورضاها (٨٤)
- ١٢٧ ومضياً كلاهما أمامى ، وسرتْ من خلفهما وحيداً، وأصغيتْ إلى أحاديثهما التي ألهمتنى من الشعر فنونا (٨٥)
- ١٣٠ ولكن سرعان ما توقّف حديثهما العذب ، حين لقينا في عرض الطريق شجرةً محمّلةً بفاكهة ذكيّة الرائحة أرجة العطر (٨٦)؛
- ١٣٣ وكما تستدقّ شجرة الصنوبر من فرعٍ لآخر صوب قمّتها، هكذا استدقتْ تلك الشجرة في أسفلها — وأعتقد لكيلاً يتسلقها أحد (٨٧).
- ١٣٦ وفي الجانب الذى كان فيه طريقنا مغلقاً (٨٨)، انسابتْ من الصخرة العالية مياهٌ صافيةٌ ، وأخذتْ تنتثر على أوراق الشجرة (٨٩).
- ١٣٩ واقترب الشاعران من الشجرة ، ومن بين أوراقها صاح صوتٌ قائلاً (٩٠): « إنكما لن تنالا من هذا الغذاء شيئاً (٩١) »
- ١٤٢ ثم قال « لقد فكّرتْ ماريا — التى تستجيب لكم الآن (٩٢) — كيف يُصبح ذلك العرس مُشرّفاً مستكملاً ، أكثر من تفكيرها فى حاجة فيها (٩٣).
- ١٤٥ ونساء روما القديمات كن يشرب الماء قانعات (٩٤) ؛ وازدرى دانيال الطعام ولكنّه اكتسب الحكمة (٩٥)
- ١٤٨ والعصر الأول — الذى كان جميلاً كالذهب (٩٦) — بالجويع سوى ثمار البلوط شهية الطعم ، وبالظمأ صنع من مياه كلّ جدولٍ كوثرأ (٩٧)

- ١٥١ وكان الجراد والعسل هما ما تغذّى بهما يوحنا المعمدان في فيافي الصحراء^(٩٨)؛
ولذا فهو عظيمٌ وممجّدٌ ،
- ١٥٤ كما يتضح لكم في الكتاب المقدّس^(٩٩) .

حواشى الأنشودة الثانية والعشرين

- (١) هذه الأنشودة تكملة لسابقتها ، ثم يبدأ بها تطهر النهمين
 (٢) هو ملاك العدالة
 (٣) هذا الجرح هو علامة خطيئتي البخل والإسراف
 (٤) يعنى ذكر الملاك بعض ما ورد فى « الكتاب المقدس »
 (٥) يشعر دانتي أنه أخف وزناً كلما زال من جبينه إحدى علامات الخطايا.
 (٦) أى فرجيليو واستاتيوس .
 (٧) يعنى أن المحبة تولد المحبة ، ويشبه هذا المعنى ما سبق فى الجحيم
 (٨) دوكيوس جونيوس جوفينالس (٤٧ - ١٣٠) (Ducius Junius Juvenalis) الشاعر الرومانى
 المعاصر لاستاتيوس فى العصر الفضى ، وامتاز بشعره التهكمى ، وكان معجباً بأنشودة طيبة
 (٩) عرف فرجيليو أن استاتيوس يحبه ويقدره عن طريق جوفينالس .
 (١٠) أى أن فرجيليو بادل استاتيوس المحبة بدون أن يراه
 (١١) هذا دليل المحبة
 (١٢) يعنى يسأله أن يحدثه حديث الصديق إلى الصديق ويطلب إليه المغفرة إذا حادثه بصراحة
 (١٣) يبدو أن فرجيليو كان متبهاً أن يسأل استاتيوس هذا السؤال
 (١٤) لا يتفق البخل مع الحكمة التى نالها استاتيوس بالدرس والاجتهاد
 (١٥) ابتسم استاتيوس ابتسامة الرجل الحكيم الذى يعبر عن نفسه باعتدال
 (١٦) هذا شيء مألوف فى الحياة الواقعية
 (١٧) أى طبقاً لما استخلصه من كلام أدريانو الخامس فى الإفريز الخامس
 Purg. XIX. 121-123.
 (١٨) يعنى أنه كان قد تخلص من البخل منذ زمن بعيد
 (١٩) هذا لأنه قضى هنا ٥٠٠ سنة أو ٦ آلاف شهر :
 Purg. XXI. 68.
 (٢٠) أى أن استاتيوس كان سيستمر على بخله وحبه للمال ولكنه أدرك خطأه بقراءة فرجيليو
 (٢١) وهناك خلاف بين العلماء الدانتينيين فى قراءة بيتى ٤٠ و ٤١ وتفسيرهما والأصل هو أن فرجيليو
 فى « الإنشادة » كان قد جعل إينياس يندد بمقتل پوليدوروس على يد پولنستروس لكى يحصل
 على ثروته ، فقال بأى دافع (خبيث) لا تقود شهوة البشر - أيها الجوع اللعين إلى الذهب !
 ويرجع اختلاف الشراح إلى قراءتهم (quid) اللاتينية بمعنى (per che) يعنى بأى
 (دافع) أو قراءتهم لها بمعنى (perché) أى لماذا ، ويمكن للفظ اللاتينى الدلالة على
 المعنيين ؛ ويرجع إلى تفسيرهم (cogis) اللاتينية بمعنى (governi) أى يقود أو بمعنى
 (freni) أى يكبح ويدل اللفظ اللاتينى على المعنيين ؛ ويرجع الاختلاف أيضاً إلى
 تفسيرهم (sacra) اللاتينية والمأخوذة من (sacer) وتدل على معنى اللعين (esercabile)
 كما تدل فى الوقت نفسه على معنى المقدس (sacro) وهو المدلول الوحيد لهذه الكلمة فى
 الإيطالية. وعلى هذا فقد ساعد ازدواج المعنى فى بعض الألفاظ اللاتينية إلى اختلاف الشراح

في فهم هذين البيتين ويرى بعضهم أن دانتى ربما لم يفهم نص فرجيليو على حقيقته ، وإن كان هذا أمراً مستبعداً ، أو ربما وسع معنى البخل أو الحرص الذي أراده فرجيليو على لسان إينياس ، وجعله يشمل كذلك معنى الإسراف أو التبذير المتهم به أهل هذه المنطقة ومن الآراء التي يأخذ بها بعض الدارسين قولهم في معنى هذين البيتين (بأى دافع - خيبت - لا تقود - أو لا تحكم - شهوة الناس - أيها الجوع اللعين - أو الخبيث - إلى الذهب !) على أنه من الأفضل الأخذ بالمعنى الحسن بالنسبة للفظ (sacro) - كما يرى بعض العلماء الدانتين من القدماء والمحدثين - بالنسبة لطلب المال باعتدال لقضاء الحاجات - وبدون جشع أو حرص أو إسراف - فيصبح طلب المال بذلك شيئاً عادلاً أو مقدساً . ويتفق هذا بصورة عامة مع ما أورده أرسطو وتيماس الأكويبي ومع رأى دانتى ذاته في « الويمة » . وسواء أكان الجوع إلى الذهب شيئاً لعيناً أم كان أمراً مقدساً فإن قصد دانتى في كل من الحالين هو الخفض على الاعتدال في طلب المال ، كما كان هو نفسه في الحياة الواقعة ، إذ كان عزوفاً عن جمعه واكتنازه ، ويلجأ به الأمر إلى حد كرهه في بعض الأحيان ، كما رأينا في مقدمة ترجمتى للبحيم

Virg. Æn. III. 56-57.

Arist. Et. IV. 1.

d'Aq. Sum. Theol. II. II. CXVII. 4.

Conv. IV. XIII. 15.

(٢٢) يعنى لو أن استاتيرس لم يندم على إسرافه لأصبح الآن من المذنبين في الجحيم مع البخلاء والمسرفين الذين يدفعون الأحجار الثقيلة ويتقابلون وجهاً لوجه ثم يدورون لكى يتقابلوا من جديد

Inf. VII. 22-48.

(٢٣) هذا هو تعبير دانتى ببسط أجنحة الديدن كناية عن كثرة الإنفاق .

(٢٤) ندم استاتيرس على إسرافه وعلى غير ذلك من الآثام .

(٢٥) أى من ارتكبوا خطيئة الإسراف بدون أن يندموا ، والذين سيبعثون - في نظر دانتى - وهم حليقو الرأس لكى يلقوا عذابهم في الجحيم

Inf. VII. 56.

(٢٦) المقصود أن التكفير عن الخطيئة يكون في المطهر بنيل العقاب الخاص بالخطيئة المعارضة ، كتعارض البخل والتبذير في هذه الحالة . ويأخذ دانتى الاستعارة من ذبول النباتات وزوال خضرته ، يعنى محو الخطيئة بالتكفير والتطهر

(٢٧) يعنى أن استاتيرس ينال عقاب البخلاء من أجل خطيئة الإسراف

(٢٨) فرجيليو هو مؤلف « أناشيد الرعاة »

(٢٩) أى حينما تكلم استاتيرس في أنشودة طيبة عما أصاب جوكاستا (Jocasta) أرملة لايبوس

(Laius) ملك طيبة ، التى تزوجت ابنها أوديبوس (Oedipus) - بدون علمه - وأنجبت منه

التوأمين إتيوكليس (Eteocles) وپولينيس (Polynices)

Stat. Theb. XII. 429

(٣٠) اكليو (Clio) ربة التاريخ عند اليونان والرومان التى استنجد بها استاتيرس في « أنشودة طيبة »

Stat. Theb. I. 41.

لكى تلهمه القول

(٣١) يعنى بالعقيدة الدين المسيحى الذى لا سبيل إلى اكتمال الخير بدونه - عند المسيحيين - وأضفت

(اعتناقه) لإيضاح المعنى .

(٣٢) أى ما دام أنه كان وثنياً

(٣٣) يعنى النور الإلهي .

(٣٤) أى التوجيه الإنساني .

(٣٥) يعنى أخرجه من الوثنية إلى المسيحية

(٣٦) صائد السمك هو القديس بطرس كما ورد في « الكتاب المقدس »

Matt. IV. 12; Marco, I. 17.

(٣٧) جبل پارناسوس (Parnassus) على مقربة من دلف مقر أبولو وربات الشعر والفن وبه نبع كاستاليا (Castalia) التي تجعل مياهه من يشربها شاعراً كما ورد في الميثولوجيا اليونانية

Virg. Eclog. X. II. Georg. III. 290-294.

الرومانية

(٣٨) أرشد فرجيليو استاتيوس إلى طريق الإيمان

(٣٩) أى كن يسير ليلاً وهو يحمل مصباحاً وراء ظهره فينير الطريق لمن يتبعه ولكنه يمشي هو في

الظلام ، وهذه هي مهمة الشاعر

(٤٠) اعتبر هذا القول كأنه تنبؤ بظهور المسيح ، وعبر دانتى عن هذا المعنى في « الملكية »

Virg. Eclog. IV. 5-7.

Mon. I. XI.

(٤١) كان هذا عند فرجيليو هو العصر الذهبي أو عصر الملك ساتورن ، وعند دانتى هي البشرية قبل خطيئة آدم

(٤٢) يقصد أنه سيوضح كيف اعتنق المسيحية ، ويأخذ الاستعارة من الرسم والتلوين يعنى تكلمة الصورة وإيضاحها

(٤٣) يعنى أن تعاليم المسيحية كانت قد انتشرت سراً في العالم الروماني .

(٤٤) الحواريون هم رسل الملكوت الإلهي

(٤٥) أى اتفق ما قاله فرجيليو في « أناشيد الرعاة » آنفاً مع أقوال الحواريين

(٤٦) يعنى أخذ استاتيوس يمارس الطقوس المسيحية

(٤٧) باختلاط استاتيوس بالمسيحيين عرف أنهم أطهار أبرار

(٤٨) شارك استاتيوس المسيحيين بكاءهم وآلامهم ، وهذا التعبير مقتبس من « الكتاب المقدس »

Rom. XII. 15.

(٤٩) تيتوس أفلاطيوس دوميتيانوس (Titus Flavius Domitianus ٨١ - ٩٦) الأباطور الروماني

وكان استاتيوس من المقربين إليه ، ويقال إنه أمر بقتل المسيحيين وإن كان قد بلغ في هذا

(٥٠) ساعد استاتيوس المسيحيين بكل الوسائل في أثناء حياته .

(٥١) أى أنه ازدرى كل العقائد الدينية والمذاهب الفلسفية الأخرى التي كانت سائدة في زمنه .

(٥٢) يعنى أنه اعتنق المسيحية قبل أن يذكر في « أنشودة أخيل » أن أدراسطوس جاء بقواته الإغريقية

لمعونة پولينسيس ، وبلغ بها نهر إسمينوس (Ismenus) ونهر أسوپوس (Asopos)

Stat. Theb. IX.

Purg. XVIII. 91.

(٥٣) أخى استاتيوس مسيحيته خوفاً من الاضطهاد .

- (٥٤) أى أن استاتيوس قضى بالدائرة الرابعة - إفريز اللامبالين المتباطئين الكسالى - أكثر من أربعة قرون لكي يتطهر من تأخره في إعلان مسيحيتة
- (٥٥) يعنى بالخير العميم فرجيليو الذى هدى استاتيوس إلى الإيمان المسيحى .
- (٥٦) منذ بداية الأنشودة يصعد الشعراء الثلاثة على السلم الذى يؤدي إلى الإفريز السادس ، والمقصود أنه بينما لا يزال لديهم الوقت الكافى للصعود .
- (٥٧) پوبليوس تيرنسيوس أفير (١٩٥ - ١٥٩ ق . م . Publius Terentius Afer) شاعر لاتينى ولد في قرطاجنة ومات في اليونان ، وكان عبداً أعتق ، وله عدة روايات منها « هيكيرا » و « الخصى » و « أدلى » ، ويمتاز أسلوبه بالبساطة والوضوح وحسن الصياغة ، وكانت مؤلفاته معروفة في العصور الوسطى
- (٥٨) كيكيلىوس استاتيوس (٢١٩ - ١٦٦ ق م Caecilius Statius) شاعر لاتينى ولد في ميلانو وعاش في روما ، وكان عبداً أعتق ، وهو من كتاب الكوميديا والدراما
- (٥٩) تيتوس ماكىوس إيلاتونوس (٢٥٤ - ١٨٤ ق . م Titus Maccius Plautus) شاعر لاتينى ومن كتاب الكوميديا ومن رواياته أمفترىو والأسرى .
- (٦٠) لوكيوس فارىوس روفوس (Lucius Varius Rufus) صديق فرجيليو وهوراس ، وكتب تراجيدى تيتس التى مثلت في عهد أغسطس .
- (٦١) أولوس پرسىوس فلاكوس (٣٤ - ٦٢ Aulus Persius Flaccus) شاعر لاتينى كتب شعراً تهكمياً ونقد الروائين وكتب في الأخلاق وتكلم عن ندرة الحرية الحقيقية ، وقال إن الناس عبيد أهوائهم وخزعبلاتهم
- (٦٢) هذه إشارة إلى هوميرس أمير الشعراء ، وموضعه في اللببو Inf. IV. 86.
- (٦٣) سبق هذا التعبير في الجحيم Inf. X. 58.
- (٦٤) أى يتكلمان عن جبل پارناسوس مأوى ربات الشعر ، والمقصود أنهما يتكلمان عن الفن .
- (٦٥) أوريبىدس (٤٨٠ - ٤٠٦ ق . م Euripides) ولد في سلاميس وأحسن وفادته أركلاوس ملك مقدونيا ، وهو من أعظم شعراء التراجيديا الإغريق ، ومن رواياته ألتس وهيكوبا وإليكترا وأوريسستس ويمتاز شعره بالبساطة والسخرية والتعبير عن العواطف العنيفة ، وخلق كثيراً من الشخصيات الحية ، وعرفه دانتى عن طريق سينيكا
- (٦٦) أنتيفون (٤٣٠ - ٣٦٧ ق . م Antiphon) شاعر تراجيدى إغريق عاش في بلاط ديونسيوس الأول ملك سيراكوزا ، وربما كان المقصود أنتيفون الشاعر اليونانى الذى عاش في أثينا (٤٧٩ - ٤١١ ق . م)
- (٦٧) سيمونيدس (٥٥٦ - ٤٦٨ ق م Simonides) شاعر غنائى إغريق عاش في تساليا وأثينا ومات في سيراكوزا
- (٦٨) أجاثون (٤٤٨ - ٤٠٠ ق م Agathon) شاعر تراجيدى يونانى عاش في مقدونيا وهو أول من خلق شخصيات خيالية
- (٦٩) يعنى كثيرين من الإغريق الذين توجهت رؤوسهم بإكليل الغار لأنهم كانوا شعراء مجيدين .
- (٧٠) يقصد الشخصيات التى تناوها استاتيوس في شعره .
- (٧١) أنتيجون (Antigone) ابنة أوديب ملك طيبة الذى تزوج أمه بدون أن يعلم ، وصحبت

أباها بعد أن اقتلع عينيه ولازمته حتى موته، وعادت إلى طيبة وحسبها كريون الملك فى قبرو
حيث ماتت
Stat. Theb. XII. 349

(٧٢) ديفيلى (Deiphyle) ابنة أدرستوس ملك أرجوس وزوجة تيديوس أحد الملوك السبعة الذين
حاربوا طيبة ، وهى أم ديوميد

(٧٣) أرجيا (Argeia) أخت ديفيلى وزوجة پولونيسيس :
Stat. Theb. XII.

(٧٤) إيسمين (Ismene) ابنة أوديب وأخت أنتيجون شهدت مصرع أهلها وخطيها وحكم عليها
كريون بالموت مع نتيجون .

(٧٥) لانجا (Langia) نبع ماء فى نيميا فى الپلوپونيز وكانت هيسبيل هى التى أظهرت موضعه
لمهاجمى طيبة وأصفت لفظ (الطريق) للإيضاح

(٧٦) ابنة تيريسياس (Teresias) هى مانتو (Manto) العرافة (... Inf. XX. 52) ، وهى ليست
فى اللبؤ ، وربما كتب دانتى اسماً آخر وحرفه النساخ ، وربما أخطأ دانتى التقدير ، وربما
قصد بقوله اللبؤ الحجم على وجه العموم .

(٧٧) تيتيس (Tetis) إلهة البحر وأم أخيل
Stat. Achill. I. 25

(٧٨) ديداميا (Deidemia) ابنة ليكوميد ملك إسكيروس التى أحبها أخيل ، وسبق ذكرها فى

Stat. A chill. I. 285-296.

البحر
Inf. XXVI. 62.

(٧٩) هذا لأن استاتيس و فرجيليو كانا قد بلغا الإفريز السادس .

(٨٠) هذا هو تعبير دانتى لتحديد الزمن ، واعتقد القدماء أن الساعات حوريات أو صفيات
للشمس يقدن عربتها ، وهذا يعنى أن أربع ساعات كانت قد انقضت منذ الساعة السادسة إلى
الساعة العاشرة صباحاً وسبق أن ذكر دانتى وصفيات الشمس أو حورياتها

Purg. XII. 81.

Ov. Met. II. 118

(٨١) أى أن الحورية - الساعة - الخامسة كانت تقود النهار إلى الأمام وهى توجه القرن المشتعل -
الشمس - إلى أعلى ، وهذا بسبب حركة الشمس الظاهرة التى تصعد إلى سمت الرأس عند
الظهر والمقصود أن الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة صباحاً .

(٨٢) يعنى عليهما أن يسيرا فى اتجاه اليمين .

Purg. XI. 49; XIII. 14; XIX. 81.

(٨٣) أى كما سبق

(٨٤) يعنى استاتيس .

(٨٥) سار فرجيليو واستاتيس إلى الأمام وهما يتحدثان ، وسار دانتى وراءهما كتلميذ متواضع يصغى
إلى حديثهما ، وكان ذلك بمثابة تعليم وتوجيه له فى فن الشعر

(٨٦) هذه هى شجرة الحياة ، وفى آخر الإفريز توجد شجرة الخير والشر (Purg. XXIV. 103...) ،

Gen. II. 9.

ويشبه هذا ما ورد فى « الكتاب المقدس »

ويشبه الكلام عن هذه الشجرة بعض ما ورد فى تراث الإسلام عن شجرة طوبى فى جنة عدن

ابن عربى ، محيى الدين الفتوحات المكية . القاهرة ، ١٢٩٣ هـ . ج ٣ ص ٥٦٧

Cerulli, E. Il Libro della Scala e la Questione delle Fonti Arabo-Spagnole
della Divina Commedia. Roma, 1949. pp. 122-125; 539-541.

(٨٧) هذا لكى لا يصعد على الشجرة الشرهون النهمون إلى الأكل .

(٨٨) أى من ناحية الجبل إلى الداخل .

(٨٩) انتشر الماء على أوراق الشجرة بدون أن يسقط منه شيء على الأرض .

(٩٠) ربما كان هذا صوت ملاك غير معروف أو صوت بعض المتطهرين ، وسيذكر أمثلة عن القناعة والاعتدال

(٩١) يعنى لن يأكلا شيئاً من شجرة الحياة وورد لفظ (caro) بمعنى العوز في كتابة ماركو پولو (M. Polo II Millione, XXXV.) وهنا يبدأ تطهر النهمين ويستمر في الأنشودتين ٢٣ و ٢٤

وعقابهم بالجوع . والعطش يشبه بعض ما ورد في تراث الإسلام في عقاب شارب الخمر السمرقندى قرة العيون (المصدر السابق الذكر) ص ٢١ - ٢٣

(٩٢) أى أن ماريا تدعو الله أن يفقر هؤلاء .

(٩٣) عملت العذراء ماريا على استيفاء المطلبه في عرس قانا الجليل حتى ينال الجميع حاجتهم من الطعام والشراب ، كما ورد في « الكتاب المقدس »

Giov. II. 3

Purg. XIII. 28

وتوجد صورة تمثل عرس قانا من عمل جوتو من القرن ١٤ في كنيسة الإسكروفي في بادوا

(٩٤) اكتفى نساء روما قديماً بالماء دون النبيذ

(٩٥) رفض النبي دانيال (Daniel) أطعمة نبوخذ نصر ملك بابل واكتفى بالقطاني والماء ، كما ورد في « الكتاب المقدس »

Dan. I. 3-20.

ويوجد حفر بارز يمثل دانيال بين أسدين ويرجع إلى القرن ٤ وهو في متحف رافنا ، وهو مستمد من قصة دانيال مع داريوس ملك الفرس وإلقائه في جب الأسود لتضرعه إلى إلهه دون ملك الفرس ، ونجاته بفضل إيمانه كما ورد في الكتاب المقدس (دانيال ٥ و ٦)

وتوجد تمثيلية دينية من وضع تلاميذ بوثيه في شمال فرنسا في القرن ١٢ ، وهي مستمدة من القصة السالفة الذكر وفيها عنصر ديني ودرامي واجتماعي ، إذ تحتوى ألحانها الموسيقية على نماذج من الأناشيد الجريجورية وعلى الحوار الدرامي والتعبير الإنساني وعلى ألحان متأثرة بموسيقى التروبادور ويساعدنا تذوق هذه الألحان على فهم شيء من روح دانيال ومن روح العصر ومن الكوميديا

The Beauvais "Play of Daniel", 12th. century. (Deutsche).

(٩٦) يعنى عصر الإنسان الذهبي قديماً

(٩٧) أى أن الجوع والعطش يجعلان كل طعام وشراب شيئاً ثميناً ، وأورد أوفيدوس هذا المعنى

Ov. Met. I. 103

(٩٨) أكل يوحنا المعمدان الجراد والعسل البرى في الصحراء ، كما ورد في « الكتاب المقدس »

Matt. III. 4; Marco, I. 6.

Luca, VII. 28; Matt. XI.

(٩٩) ورد هذا المعنى في « الكتاب المقدس »

الأنشودة الثالثة والعشرون^(١)

أخذ دانتى ينظر إلى الشجرة الخضراء — رمز الحياة — فاستحثه فرجيليو على المسير ، فضى فى سيره وهو يصغى إلى بكاء النهمين وترتيلهم ، وأحس بجمع من الأشباح يسرون فى صمت وخشوع ، وجاءوا من وراء الشعراء الثلاثة وسبقوهم ونظروا إليهم فى دهشة وعجب ، وكانوا شديدي الهزال حتى بدت محاجر عيويهم كخواتم خلت من جواهرها ورأى دانتى شبحاً مشوهاً نطق ببعض الكلمات فعرفه من صوته ، وكان هو صديقه فوريزى دوناتى الفلورنسى سأل فوريزى دانتى عن شخصه وعن الشبهين اللذين كانا معه ، فلم يجب دانتى توّاً بل استفسر عن حاله هو ، فقال فوريزى إن عذاب من اتبعوا شهوة حلوقهم هو أن يصيبهم الهزال ويتطهروا هنا بالجوع والعطش اللذين تثيرهما الفاكهة ورذاذ الماء المتساقط على الشجرة ، ويتجدد عذابهم كلما مروا أمامها فى دورانهم سأل دانتى فوريزى كيف صعد إلى هذا الإفريز السادس ، وكان ينبغي عليه أن يبقى زمناً أطول مع الكسالى فى مدخل المطهر ، فأجابه فوريزى بأن زوجته نيلاً قد حملته بدموعها على التوبة فى الدنيا ، وأخرجته بصلواتها من شاطئ الكسالى فى المطهر ، وهى محبوبة من الله ولا نظير لها فى فعل الخير . وخطب دانتى بإعزاز قائلاً إنه يتنبأ بالقوانين التى ستمنع الفلورنسيات الصفيقات الوجوه من السير وهن عاريات الصدور والئدى ، وإنهن لو عرفن ما تعدّه لهن السماء لفغنن أفواههن باكيات ناديات على آثامهن وذكره دانتى بحياتهما معاً فى عهد الشباب ، وقال إن فرجيليو قد أخرجه من الحياة الدنيا منذ قليل ، وقاده بجسمه الحى خلال عالم الجحيم ، وصعد به إلى جبل المطهر ، وسيصعبه حتى يلتقى بياتريتشى ، وقال إن الآخر— أى استاتىوس — هو من ارتجف من أجله الجبل عند تطهره من قبل

- ١ بينما كنت أمعن النظر في الأفرع الخضراء^(٢) ، كما اعتاد أن يفعل من^{*} يُنفق حياته في مطاردة صغار الطير^(٣) ،
- ٤ قال لي — من^{*} هو لدى أكثر من أبي^(٤) : « فلتأت هنا يا بى الآن ، إذ ينبغي أن نقضى الوقت المحدد لنا على نحو أنفع^(٥) »
- ٧ فلفت وجهي إليه^(٦) ، ولم يكن خطوى أقل سرعة وراء الحكيمين اللذين كانا يتحدثان بطريقة ، جعلت مسيرى بدون عناء قطعاً
- ١٠ وإذ بي أسمع^(٧) في ثنايا البكاء والترتيل^(٨) ”يا رب افتح شفتي“^(٩) ، تقال بطريقة بعثت فينا البهجة والألم معاً^(١٠)
- ١٣ فبدأت : « ما هذا الذى أسمع يا أبتاه الحبيب^(١١) ؟ » فقال لي « إنها أشباح ربما تسير لكى تُوفى ما عليها من الدين^(١٢) »
- ١٦ وكما يفعل الحجّاج المتفكّرون^(١٣) ، حينما يبلغون فى طريقهم قوماً غير معروفين لديهم ، فيلتفتون إليهم بلا توقّف^(١٤) —
- ١٩ هكذا تقدّم من خلفنا بسرعة^(١٥) جمعٌ من النفوس الصامتة الخاشعة ، وأقبلوا نحونا ، وتجاوزونا ، وهم ينظرون إلينا فى عَجَب^(١٦) .
- ٢٢ كان كلُّ منهم أغبر العينين أجوفهما^(١٧) وشاحب الوجه شديد الهُزال ، حتى تشكّلت جلودهم بصورة عظامهم^(١٨)
- ٢٥ ولا أعتقد أن إريسكتون كان قد هزّل بالصوم حتى جِلده وعظمه^(١٩) ، حينما اشتدّ خوفه من ذلك^(٢٠)
- ٢٨ وقلت فى نفسى متفكراً « هاهم القوم الذين فقدوا أورشلِيم^(٢١) ، عندما أنشبت ماريا إلبازار أسنانها فى ابها^(٢٢) ! »
- ٣١ ولقد بدت محاجر عيوبهم خواتم بلا دُرَرٍ^(٢٣) وإن من يقرأ فى وجه الرجال كلمة (OMO) يتبين هنا فى وضوح حرف (M)^(٢٤)
- ٣٤ من ذا يعتقد — بغير أن يدرى السبب — أن شذا ماء أو أريج تفاحة ، يمكنهما إغراء الإنسان بإثارة شهيته هكذا^(٢٥) ؟
- ٣٧ كان قد تولاّنى العجب لما يُجمعهم على ذلك النحو ، إذ لم يكن قد اتضح لي بعدُ مبعث هُزالهم ولا تغصّن جلودهم البشعة^(٢٦)

- ٤٠ حينما التفتَ إلىَّ شبحٌ بعينه من غور رأسه (٢٧) ، وحلق فيَّ النظر ؛ ثم صاح عالياً « يا لها من نعمة مُنحت لي (٢٨) ! » .
- ٤٣ وما كنت لأتبينه أبداً برؤية وجهه ، ولكنَّ اتَّضح لي من صوته ما أخفاه التشويه من معالم وجهه (٢٩)
- ٤٦ وأشعلت هذه الشرارة أوار معرفتي بملاحم المتغيرة (٣٠) ، فتبينتُ فيها وجهَ دوناتي فوريزي (٣١)
- ٤٩ فتوسَّلتُ إلىَّ قائلاً : « آه ، لا تحيفلنَّ بالقشور الجافة التي تجعل جلدي شاحب اللون ، ولا بما نالني من هزال الجسد (٣٢) ؛
- ٥٢ ولكن أصدقني القول عن نفسك ، وقُلْ لي مَنْ هاتان النفسان اللتان تلزمان هناك رفقتك (٣٣) ولا تظل هكذا صامتاً بدون أن تحدَّثني (٣٤) ! »
- ٥٥ فأجبتَه « إن وجهك الذي بكيته حين موتك ، يسبب لي من الألم ما لا يقلُّ عن ذي قبل ، و يُسبِّكني حينما أراه مشوّهاً على هذه الحال (٣٥)
- ٥٨ ولكن بالله خبرني ، ما الذي يُجرِّدك هكذا من أوراقك ولا تحملني على الكلام بينما يأخذني العجب (٣٦) ، إذْ لا يحسن القول من هو برغبةٍ أخرى مُفعم (٣٧) »
- ٦١ فقال لي : « من الحكمة الأزلية يهبط في الماء فضلٌ (٣٨) ، كما على الشجرة التي خلَّقناها (٣٩) ، وبذا ينالني منه هذا النحول (٤٠)
- ٦٤ فإن كلَّ هؤلاء القوم الذين يرتلون في بكائهم ، لأنهم اتَّبَعُوا شهوة حلو قههم فوق كلِّ حساب — يستعيدون هنا طهارة نفوسهم بالجوع والظما (٤١)
- ٦٧ ويذكى شهيتنا إلى الشراب والمأكَل الأريجُ المنبعثُ من الفاكهة ومن رذاذ الماء الذي ينتثر فوقُّ على الأوراق الخضراء (٤٢)
- ٧٠ وفي دوراننا خلال هذه الدائرة (٤٣) ، لا يتجدَّد عذابنا مرة واحدة فحسبُ ، وأقول عذابنا ، وكان يجدر بي أن أقول بهجتنا (٤٤) ،
- ٧٣ إذْ تقودنا إلى الشجرتين (٤٥) ، ذاتُ الرغبة التي حملتُ المسيح على أن يقول " إلهي " مبتهجاً ، حينما خلَّصنا بدمه المراق (٤٦) »

- ٧٦ فقلتُ له « يا فوريزى — منذ ذلك اليوم الذى استبدلتَ فيه بالحياة الدنيا حياةً أفضل ، لم تنقض بعدُ حتى هذه اللحظة خمس سنوات ^(٤٧) .
- ٧٩ وإذا كانت قد امتنعتُ قدرتك على ارتكاب المزيد من المعاصى ، قبل أن تحلّ ساعة التكفير العذب الذى يُعيد ارتباطنا بالله ^(٤٨) ،
- ٨٢ فكيف جئتَ سريعاً هنا فوقُ ؟ لقد ظننتُ أنى واجِدُك هناك تحتُ فى أسفل ^(٤٩) ، حيث يُعوّض عن الزمن بالزمن ^(٥٠) .
- ٨٥ فقال لى « إنها عزيزتى نيلا ^(٥١) ، التى حملتنى سريعاً بفيض دموعها ، على أن أشرب للعذاب شيحاً حلو المذاق ^(٥٢) .
- ٨٨ وبصلواتها الخاشعة وتنهّدها العميق — أخرجتنى من الشاطئ، حيث تقف مرتقبةً أرواحُ المتطهرين ^(٥٣) ، وخلّصتنى من الدوائر الأخرى ^(٥٤) .
- ٩١ إن أرملى العزيزة التى شَغِفْتُ بها حباً ^(٥٥) ، تلقى لدى الله شديدَ الإعزاز وفائقَ المحبّة ^(٥٦) ، بقدر ما هى فريدةٌ فى فعل الخير ^(٥٧) ؛
- ٩٤ إذْ أن باربادُجا السردينية ^(٥٨) تبدو بنسائها أكثرَ حشمةً ، مما تبدو عليه باربادُجا ^(٥٩) التى تركتها فيها ^(٦٠) .
- ٩٧ وماذا تريدنى أن أقول يا أخى العزيز ^(٦١) ؟ فى باصرى الآن زمانٌ مقبلٌ ، لن تكون هذه الساعة بالنسبة إليه بعيدة القِدم ^(٦٢) ،
- ١٠٠ وفيه ستُمنع — من فوق المنبر — نساء فلورنسا الصفيقات الوجوه من السير مُظهوراتٍ صدورهن وثديّهن ^(٦٤) .
- ١٠٣ وأية بربرياتٍ عِشْن أبداً ، وأيّة وثنيّاتٍ كنّ فى حاجةٍ إلى تعاليم روحيةٍ أو غيرها من النظم ، لحملهنّ على السير محتشمات ^(٦٥) ؟
- ١٠٦ ولكن لو أن عادات الحياء كنّ عارفات بما تُعدّه لهنّ السماء السريعة الدوران — لتكنّ قد فغرّغن أفواههنّ للعواء الآن ^(٦٦) ؛
- ١٠٩ لأنه إذا لم يكن ما أتنبأ به هنا أمراً خادعاً ^(٦٧) ، فسينال مهنّ الأسى قبل أن ينبت الشعر على خدّتى منّ يُهدده فى المهد الآن ^(٦٨) .

١١٢ إليه يا أخى - فَلتعمل الآن على ألا تُخفى عني شيئاً^(٦٩) ! وإنك ترى أنى
لست وحدى - بل إن هؤلاء القوم يتطلعون جميعاً - إلى حيث تحجب
الشمس^(٧٠) .

١١٥ ولذا أجبتَه « لو أنك استعدتَ إلى ذاكرتك كيف كنا وكيف عاش
كلُّ منّا فى رفقة صاحبه، لَظَلَّتْ ذكريات حياتنا ثِقيلةَ الوقع علينا
فى هذه الآونة^(٧١) »

١١٨ وإن مَنْ يسير أمامى هو الذى أخرجنى من تلك الحياة منذ بضع ليالٍ^(٧٢) ،
حينما بان لك مستديراً ، شقيقٌ مَنْ هى فى تلك الناحية^(٧٣) ،

١٢١ وأشرت إلى الشمس^(٧٤) « وفى ظلمة الليل البهيم لِمَنْ ذاقوا حقاً طعم
المنون^(٧٥) ، اقتادنى ذلك الشبح بهذا الجسد الحى الذى يتابعه^(٧٦) .

١٢٤ وبتشجيعه اجتذبى من هناك إلى أعلى^(٧٧) ، وهو يصعد دائراً حول الجبل
الذى يُقوِّمكم ، يا مَنْ انحرفتْ بكم شهوات الدنيا^(٧٨)

١٢٧ ويقول إنه سيبقى فى صُحْبى حتى أبلغ موضع بياتريتشى^(٧٩) ، ولولاه لكان
من الحتم على أن أظلّ هنالك^(٨٠)

١٣٠ إنه فرجيليو هو الذى يحدّثنى على هذا المنوال ، وأشرت إليه ؛ « والآخر^(٨١)
هو الشبح الذى ارتجفتْ مملكتك من أجله فى كل منحدراتها

١٣٣ منذ هنيةٍ ، إذ تحرّر منه نفسها^(٨٢) »

حواشي الأنشودة الثالثة والعشرين

(١) هذه هي الأنشودة الأولى الخاصة بالشريين النهمين وهي تكمل الجزء الأخير من الأنشودة السابقة ، وتسمى أنشودة فوريزى دوناقى .

(٢) أخذ دانتى ينظر إلى أغصان الشجرة عسى أن يرى صاحب الصوت الذى سبق أن سمعه

Purg. XXII. 140

(٣) التشبيه مأخوذ من تصرف صائد العصافير الصغيرة الذى ينفق كل وقته فى صيدها وتوجد صورة صغيرة تمثل صيد صغار الطير وترجع إلى النصف الأول من القرن ١٤ وهي فى مكتبة جامعة هيدلبرج

(٤) يكرر دانتى نداء فرجيليو بلفظ الأبوة فى مواضع كثيرة من الكوميديا مثل

Inf. VIII. 110; Purg. XIII. 34; XIV. 44; XV. 25, 124; XVII. 82;

(٥) يخرج فرجيليو دانتى من تفكيره فيما سمعه ويدعوه إلى المسير

(٦) يعنى أدار دانتى وجهه عن الشجرة

(٧) سمع دانتى صوت المنهومين الشريين

(٨) امتزج بكاء المنهومين بترتيلهم .

(٩) هذا مأخوذ من « الكتاب المقدس » والمقصود أن المنهومين سيحملون الله عند فتح أفواههم ، أى أن القم ليس مخلوقاً للطعام والشراب فحسب ، بل لحمد الله وتمجيده كذلك Salm. LI. 15.

(١٠) شعر دانتى بلذة الترتيل وأحس الألم لبكاء المتطهرين فى وقت واحد .

(١١) يستفسر دانتى عما سمعه ولم يكن قد رأى شيئاً بعد

(١٢) يعنى لكى يتطهروا وقال دانتى فى الأصل (لكى تحل عقدة ديها)

(١٣) أى يفكرون فى الحج المقدس

(١٤) يعنى يتابعون المسير لأنهم يحرصون على أداء الحج . والصورة مأخوذة من حياة الحجاج المخلصين .

(١٥) هؤلاء هم الشريون الذين ماروا أسرع من الشعراء الثلاثة حتى سبقوهم

(١٦) وصف دانتى لسير هذه الجماعة مأخوذ من ملاحظته الدقيقة فى الحياة الواقعة ويرى بعض

النقاد أن المنهومين سيكون ويرتلون عند الشجرتين فى أول الدائرة وآخرها ، ويرى آخرون أنهم يفعلون ذلك فى كل أنحائها

(١٧) أى فقدت عيون الشريين حيويتهما وبريقهما

(١٨) هذا وصف دقيق للهزال والتحول مستمد من ملاحظة دانتى الدقيقة للجسم الإنسانى ، وهذا هو عذاب الشريين ، ويشبه هذا ما أورده أوغيدىوس

(١٩) إريسكتون (Erysichon) ابن أحد ملوك تساليا الذى قطع شجرة لبخ فى غابة الإلهة سيريس ، فعاقبته بأن جعلته يشعر بجوع مسعور فأكل كل شيء ، وباع ابنته لكى يأكل ، ثم أكل

نفسه ! واورد أوغيدىوس أسطوريته

(٢٠) يعنى حينما ناله من الجوع - الذى كان عنده كالصوم - خوف أشد لأنه لم يبق له سوى أن يأكل

نفسه !

- (٢١) أعاد منظر المنهومين إلى ذاكرة دانتى ما عاناه اليهود من الجوع في أثناء حصار الرومان لأورشليم في سنة ٧٠
- (٢٢) في ذلك الوقت أكلت سيدة من النبلاء اسمها ماريّا إليعازار (Maria di Eleazaro) أكلت ابها من الجوع
- (٢٣) أى بدت الأعين غائرة كخواتم خلّت من الأحجار الكريمة
- (٢٤) قرأ معلّم العصور الوسطى في وجه الإنسان تعبير : (OMO DEI) يعنى الإنسان من صنع الله ، وتصنع العينان حرفى (OO) وتصنع الأنف وخطوط الحاجبين والخدين بطريقة منحنية حرف (M) ، وتصنع الأذنان وفتحتا الأنف والفم كلمة (DEI) وبوضع أحرف الكلمتين اللاتينيتين المذكورتين معاً ، يصبح وجه الإنسان بالصورة الآتية



- والمقصود بقول دانتى هو أن حرف (M) الذى يصنع خطوط الأنف والحاجبين والخدين كان واضحاً وحده على وجوه هؤلاء ، حينما لم تظهر أعينهم الغائرة بسبب الجوع والهزال الشديدين .
- (٢٥) يعنى أن من لا يعرف السبب يعتقد أن هزال هؤلاء كان بسبب رغبتهم في الأكل والشرب واستخدم دانتى هنا فعل (التحكم) أو السيطرة
- (٢٦) استولى على دانتى العجب بدون أن يعرف سبب هزالهم ، وقد أصبح جلداهم جافاً كقشر الحرب
- (٢٧) أى نظر إلى دانتى شبح بعينه الغائرتين
- (٢٨) عرف هذا الشبح في دانتى شخص أحد أصدقائه ولذلك يتساءل عن النعمة التى نالها بوصول صديق إليه .
- (٢٩) لم يعرف دانتى هذا الشبح من وجهه بسبب التشويه الشديد ولكنه عرفه من صوته
- (٣٠) كان الصوت بمثابة شرارة أعادت إلى دانتى ذكرى صديقه فعرّفه فوراً
- (٣١) فوريزى دوناتى (Forese Donati) من أسرة دوناتى من نبلاء فلورنسا ومن حزب السود ، وهو أخو كورسو وبيكاردا ، وكان من رفقاء دانتى في شبابه ومن أقرباء زوجته جيما ومات في ١٢٩٦
- وحدث بينهما صدام فتبادلا السباب والتراشق في بعض القصائد ، فاتهم دانتى فوريزى بأنه أكل وزوج سىء ولصده وربما ارتكب الفاحشة مع زوجة أخيه . واتهم دوناتى دانتى بأنه ابن رجل لا سلام له في قبره وأنه يعيش على أموال غيره - لاشتغال أبيه بالربا - وأنه يصادق من يضربه ! وقد يكون في هذه التهم المتبادلة بعض الحقيقة ولكنها ليست كلها حقيقية ، ويتفق هذا السباب والتراشق مع طبيعة الشعب الفلورنسى الحارة العنيفة ، فأحياناً تحدث مشادة بين اثنين ، وتبدأ بكلمة أو حركة تتلوها كلمات وحركات وضربات . وبعد ساعات أو أيام أو أسابيع أو شهور - على الأكثر - يلتقى المعتركان متصافيين متحابين . وسيحترم دانتى دوناتى في المطهر الآن وسيبدي نحوه الإعزاز وفوريزى من أصدقاء دانتى الصادقين على قلة أصدقائه الحقيقيين . وأضفت هنا لفظ (دوناتى) مراعاة للأسلوب العربى .

- (٣٢) يسأل فوريزي دانتى ألا يحفل بالحال التى كان عليها
- (٣٣) ويسأله عن شخصه وعن الشبحين اللذين كانا معه
- (٣٤) هكذا يسأله ببساطة وحرارة ويحفزه على الكلام وهذه هى لغة الأصدقاء الخالصين .
- (٣٥) بكى دانتى عند موت فوريزي كما يحزن الآن حتى البكاء حينما يراء على هذه الحال من التشويه . وأضفت (عن ذى قبل) لإيضاح المعنى .
- (٣٦) كان كل من دانتى وفوريزي مثلهما على معرفة حال الآخر ولم يجب دانتى عن سؤال فوريزي بل استفسر أولاً عن حاله
- (٣٧) المقصود أن من تسيطر عليه رغبة ما لا يتكلم بما يناسب لأنه يكون غير متنبه لما يقوله
- (٣٨) يعنى يهبط فضل (أو قوة خاصة) من الحكمة الإلهية إلى الماء المنحدر من الصخرة العالية
- Purg. XXII. 137.
- Purg. XXII. 131.
- (٣٩) وكذلك يهبط الفضل الإلهي على الشجرة
- (٤٠) أى أصبح فوريزي هزئلاً نحيلاً بالقدر الإلهية
- (٤١) هؤلاء هم الشهرون النهمون الذين لم يشبعوا من الأكل أبداً وإنهم يتطهرون هنا بالجوع والعطش .
- (٤٢) يعنى أن رائحة الفاكهة والماء الذى يتثر على أوراق الشجرة ولا يسقط منه شيء على الأرض تثير شهية هؤلاء إلى المأكول والمشرب ، ويشبه هذا قول أوفيدوس
- Ov. Met. IV. 458
- (٤٣) أى يحسون هذا العذاب فى أثناء دورانهم فى هذه الدائرة أو كلما مروا أمام الشجرة
- (٤٤) هذا لأن العذاب فى المطهر سبيل إلى الفردوس .
- (٤٥) يعنى شجرة الحياة عند مدخل الإفرز السادس (Purg. XXII. 131) وشجرة المعرفة عند مخرج ذلك الإفرز (Purg. XXIV. 103)
- (٤٦) أى أن الذى يقود هؤلاء إلى الشجرتين المذكورتين ويجعلهم يحتملون آلام الجوع والعطش هو ذات الرغبة التى حملت المسيح على احتمال الموت - عند المسيحيين - واستنجاهه بالله ، كما ورد فى « الكتاب المقدس »
- Matt. XXVII. 46; Marco, XV. 34.
- وإن تفوق بعض الألحان الدينية التى تعبر عن آلام المسيح وعذابه واستنجاهه بالله قائلا « إلهي ، إلهي لماذا تركتني » يساعدنا على فهم شيء من الكوميديا وذلك مثل اللحن العظيم الذى وضعه جان سباستيان باخ فى القرن ١٨ عن آلام المسيح كما وردت على لسان القديس متى
- Bach, Jean - Sebastien St. Matthew Passion (Nixa).
- (٤٧) مات فوريزي فى يوليو ١٢٩٦ وبذلك لم تكن قد انقضت بعد ٤ سنوات على موته - وجعلها دانتى ٥ سنوات - ولذلك يظهر دانتى دهشته لأن هذه المدة لا تكفى للتطهر
- (٤٨) ساعة الأسى العذب هى ساعة الندم والتوبة وهذا هو ما يعيد الارتباط بين الله والإنسان .
- (٤٩) ظن دانتى أن مكان فوريزي هو مدخل المطهر بين المهملين لأنه تأخر فى الندم والتوبة .
- (٥٠) يبقى المهملون فى مدخل المطهر زمناً يساوى زمن تأخيرهم فى التوبة إذا لم تعاونهم صلوات أهل الأرض ، كما سبق
- Purg. IV. 130
- (٥١) نيلا هى جوفانيللا (Giovannella) أرملة فوريزي دوناتى ، لا يعرف عنها شيء كثير ، وذكرها دانتى فى بعض قصائده ووصف ما كانت تعانيه من السعال وغير ذلك من المتاعب .

- (٥٢) الشيخ مر الطعم ولكنه حلو لأن فيه الشفاء. والمقصود أن دموع نيلا حملت فوريزى على الندم والتوبة في أثناء الحياة ، وهذا يستعذب الأسى والعذاب الذى يلاقه في سبيل التطهر
- (٥٣) عجلت نيلا بصلواتها الخاشعة خروج فوريزى من مدخل المطهر وأصفت لفظ (المتطهرين) للإيضاح
- (٥٤) وكذلك أخرجه نيلا بصلواتها من العذاب في الدوائر الخاصة بخطايا أخرى .
- (٥٥) هكذا يعبر فوريزى عن حبه لنيلا وبذلك يعوض عما سببه لها من المتاعب في أثناء الحياة
- (٥٦) هكذا هي محبوبة عزيزة لدى الله .
- (٥٧) يعترف فوريزى بأن زوجته كانت منقطعة النظر في فعل الخير
- (٥٨) باربادجا (Barbadgia) منطقة جبلية في وسط ساردينيا ، ويقال إن أهلها عاشوا في القرن الثالث الميلادى كالوحوش وإن نساءها كن يسرن عاريات ، وظلت أخبارهن تتوارد حتى عصر دانتي
- (٥٩) باربادجا هذه كناية عن فلورنسا والمقصود أن نساء فلورنسا الفاجرات كن أشد وحشية وأكثر إباحة من نساء باربادجا في وسط ساردينيا
- (٦٠) يعنى فلورنسا التى ترك فيها أرملة العزيرة ولقد رسم دانتي على لسان فوريزى في هذه الأبيات القليلة (٨٥ - ٩٦) شخصية جوفانيلا التى لقيت الإهمال وسوء المعاملة من زوجها في أثناء الحياة ، ومع ذلك فهي سيدة رقيقة وديعة مخلصنة لزوجها تحمله بدموعها على الندم والتوبة في الدنيا ، وتخلصه بصلواتها من بعض مراحل التطهر ، وهي محبوبة من الله وفريدة في صنع الخير ، وعبر فوريزى عن حبه لزوجته وبذلك عوض عما نالها منه في الحياة وجوفانيلا من أرق الشخصيات في الكوميديا، وهي تشبه من بعض الوجوه بيا دا تولومي التى أخلصت لزوجها على رغم ما نالها منه (Purg. V. 140-136). وخلال جوفانيلا يظهر دانتي الرقيق الذى يعبر عن المحبة وفعل الخير والصفح والتكفير. وهكذا يصور دانتي بريشته الباردة ظلالة من خفايا النفس البشرية التى كانت تقاليد المصور الوسطى تحول دون ظهورها
- (٦١) يقطع فوريزى كلامه القاسى عن فلورنسا والفلورنسيات بهذا البيت الرقيق يوجهه إلى دانتي .
- (٦٢) أى لن يكون بعيداً الزمن الذى سيحرم فيه على الفلورنسيات إبراز صدورهن وثديهن .
- (٦٣) قاومت الكنيسة تبهرج النساء وعدم احتشامهن ، ووعظ القساوسة في هذا الشأن ، ولكن لا يعرف أنه صدرت قرارات دينية خاصة بذلك وقتئذ ، وستصدر حكومة فلورنسا قوانين ضد بهرجة النساء بعد وفاة دانتي في ١٣٢٤ ، ووجد الاتجاه إلى مقاومة ذلك المسلك قبل صدور القوانين وتنفيذها
- (٦٤) هكذا يهاجم دانتي - على لسان فوريزى - نساء فلورنسا الصفيقات الوجوه الفاجرات .
- وتوجد صورتان تمثلان نساء فلورنسا وترجعان إلى القرن ١٤ واحدة من عمل أوركانيا والأخرى من عمل أندريا دى بنقنوتو وهما موجودتان في كنيسة سانتا ماريا نوڤلا في فلورنسا وكذلك توجد صورة ثالثة من ذات القرن ولنفس الموضوع وهي من عمل جوفاني دا ميلانو وموجودة في كنيسة سانتا كروتشي في فلورنسا
- (٦٥) نساء البربر أو النساء (barbare) ربما يقصد بهن نساء شمالي أفريقيا وربما يقصد بهن مطلق النساء غير المتحضرات غير المسيحيات . وكان لفظ (saracini) يطلق في العصور

الوسطى على كل الشعوب غير المسيحية، بما فيهم من العرب والمسلمين (وإن كان هؤلاء هم الأصل في التسمية)، وفيما عدا اليهود، وكان يستخدم أحياناً كرادف للوثنيين. ويقصد دانتى أن النساء غير المسيحيات، على وجه العموم، لم يكن في المستوى الحضارى الذى يجعلهن فى حاجة إلى القوانين الدينية والمدنية للكف عن حياة الخلاعة والتبرج. ويظلم دانتى النساء غير المسيحيات باعتبارهن نموذجاً للخلاعة، وبالمقارنة بينهن وبين نساء فلورنسا الفاجرات، فالفجور والخلاعة موجودان لدى كل الشعوب، وتعمل على تقويم الناس الأديان السماوية وتعاليم الأخلاق ولقد أخطأ دانتى فى مجاراته الرأى العام فى التفرقة بين المسيحيات وغير المسيحيات من حيث السلوك.

(٦٦) يعنى إذا تأكدت نساء فلورنسا بما سيلاهن من العذاب الوشيك الوقوع لفقرن أفواههن باكيات ناديات مستغفرات لما ارتكبنه من الفجور والخلاعة

(٦٧) هذا لأن الموقى يمتازون بالقدرة على رؤية المستقبل Inf. X. 97 ...; XXVIII. 78.

(٦٨) أى سيصبح هؤلاء حزاني قبل أن يبلغ الأطفال الرضع مبلغ الرجال. والمقصود أنه حتى سنة ١٣١٥ سيتعرض الفلورنسيون لمصائب وويلات متعددة مثل الخلاف بين السود والبيض فى ١٣٠٠، وقدم هنرى السابع إلى إيطاليا ومحاصرتة فلورنسا فى ١٣١٢، وهزيمة قوات فلورنسا أمام قوات لوكا وبيزا بقيادة أوجوتشوفى دلا فادجولا فى معركة مونتكاتيني فى ١٣١٥

(٦٩) يعنى بعد أن أفصح استاتيوس لدانتى عما أرادوه يرجوه ألا يخفى عنه شيئاً
(٧٠) أى طلب الأشباح الآخرون إلى دانتى نفس الشيء ونظروا إلى جسده الذى يحجب أشعة الشمس.

(٧١) يعنى إذا ذكر فوريزى أيام الشباب التى قضياها معا فتكون ذكراها ثقيلة لأنها مليئة بالآثام. وهذه كلمات قليلة موجوة مقعة بالشجن.

(٧٢) أى أن فرجيليو أخرج دانتى من حياة الخطيئة - فى هذه الرحلة الخيالية - فى ٨ أبريل ١٣٠٠، منذ بضعة أيام Inf. I. 1

(٧٣) كان القمر - شقيق الشمس - مكتملاً فى ٨ أبريل ١٣٠٠

(٧٤) يجيب دانتى الآن عن سؤال فوريزى فى بيتى ٥٢ و ٥٣

(٧٥) يعنى قادة فرجيليو خلال عالم الجحيم

(٧٦) سبق هذا المعنى Purg. I. 44.

(٧٧) أخرج فرجيليو دانتى بإرشاده ونصائحه من عالم الجحيم إلى عالم المطهر

(٧٨) أى أن جبل المطهر يطهر النفوس التى أفسدتها الدنيا. وأضفت لفظ (شموات)

(٧٩) سبق مثل هذا المعنى Inf. I. 131; Purg. VI. 45.

(٨٠) سيأتى هذا بعد Purg. XXX. 43-54.

(٨١) الآخر هو استاتيوس.

(٨٢) تزلزل جبل المطهر حينما تطهرت روح استاتيوس وأصبحت جدية بالصعود إلى السماء

الأنشودة الرابعة والعشرون^(١)

سار الشعراء الثلاثة ومعهم فوريزى دوناتى ، ولم يتأخر مسيرهم بالكلام كما لم يتعطل كلامهم بالمسير وعرف دانتي أن بيكارداد دوناتى موجودة فى الفردوس ، وأشار فوريزى إلى الشاعر بونادجونا والبابا مارتينو الرابع ، ورأى دانتي أوبالدينو دلا بيللا يعضغ على فراغ بسبب الجوع ، ورأى مركيز دلى أرجوليووزى وسمع بونادجونا يهيمهم باسم جنتوكا قال بونادجونا إن جنتوكا التى لا تغطى رأسها بعُصابة بعدُ ستجعل لوكا بهيجة حينما يزورها دانتي وتساءل بونادجونا هل يرى الشاعر الذى قال : «أيّها النساء اللاتى تدركن جوهر الحب » فقال دانتي إنه رجل يتمعنّ حينما يلهمه الحب ويعبر عنه بوحى عاطفته ، وبذلك أدرك بونادجونا الفارق بين دانتي وغيره من الشعراء السابقين الذين كان شعرهم تقليدياً وتعجل هؤلاء القوم المسير كما تفعل الكراكي حينما تزعم الانتقال لقضاء الشتاء فى بلاد النيل ، وتخلف فوريزى عنهم وسأل دانتي متى يراه ثانياً ، فقال إنه لن يرجع سريعاً ، ولن يسرع بناء على رغبته فى العودة إلى شاطئ المطهر ، وتنبأ بما سينال فلورنسا من الويلات قال فوريزى : إنه يرى أخاه كورسو مسحوباً عند ذنب دابة تعذبه فى الجحيم وانطلق فوريزى سريعاً كما يخرج فارس من بين جماعته لكى ينال شرف الالتحام بالعدو أولاً ، وبقي دانتي مع فرجيليو وإستاتبوس وبعد سير طويل رأى دانتي شجرة أخرى محملة بالثمر ورأى تحتها قوماً يصيحون ويرفعون أيديهم كالأطفال الذين يطلبون الفاكهة بدون أن ينالوها وسمع دانتي أمثلة تقال عن خطايا النهم ، مثل القناطس الذين قاتلهم تيزيوس وهم سُكّارى واليهود الذين شربوا الماء كالكلاب ، ومضى الثالثة فى سيرهم وهم يتفكرون بدون كلام . وسمع دانتي ملاك الاعتدال يسألهم لم يسبّروا على هذه الحال من التفكير ؟ وخطف بريقه نظر دانتي ، وأحس بجناحي الملاك تزيلان من جبهته خطيئة النهم .

- ١ لم يهدأ كلامنا بالمسير كما لم يُبْطِئْء مسيرنا بالكلام ^(٢) ، ولكننا سارعنا الخُطى خِلال حديثنا ^(٣) ، كسفينة تدفعها رياحٌ مؤاتية ^(٤) ؛
- ٤ والأشباح التي بدت ككائناتٍ ذاقت مرتين كأسَ الحُمام ^(٥) ، ظهرت بشأنى فى أوقاب عيوبها أمارات العجب - حينما تبَيَّنْتُ أنى على قيد الحياة ^(٦) ،
- ٧ وقلت متابعاً حديثي ^(٧) « ربما تسير هذه الروح ^(٨) إلى أعلى ببطءٍ أشدَّ مما كان ينبغي لها - بسبب شخص آخر ^(٩) »
- ١٠ ولكن خبرنى إذا كنت تعرف أين بيكارداد ^(١٠) ، وقل لى إذا كنت أرى شخصاً جديراً بالاعتبار ، بين هؤلاء القوم الذين يَمُنُّون أنظارهم فى ^(١١) «
- ١٣ « إن شقيقتى - التى لا أدرى أتفوّقت فى جمالها أم فى حسن شمائلها ^(١٢) - تظفر الآن مبهجةً بتاجها فوق أولمپس العالى ^(١٣) »
- ١٦ هكذا تكلم لأول وهلة ، ثم تابع كلامه : « ليس هنا ما يمنع من تسمية كلّ شبحٍ باسمه ، ما دام الصوم قد اعتصر ملاحنا إلى هذه الحدّة ^(١٤) » .
- ١٩ ثم أشار بأصبعه قائلاً : « هو ذا بونادُجونتا ، بونادُجونتا دا لوكّا ^(١٥) ؛ وذلك الوجه من بعده - الذى اشتدَّ هُزاله عن سائر رفاقه -
- ٢٢ كان قد احتضن بين ذراعيه ^(١٦) الكنيسة المقدّسة وأصله من مدينة تور ، وهو بالصوم يتطهّر من ثعابين بحيرة بولسينا ومن نبيذ قريناتشا ^(١٧) »
- ٢٥ وروى لى أسماء كثيرين غيرهما واحداً فواحداً ؛ وبدواً جميعاً أنهم راضون بتسميتهم ، إذ لم أرَ بينهم وجهاً كدراً ^(١٨) »
- ٢٨ ورأيت أوبالدينو دلاًّ بيلّا ^(١٩) ، يمتضغ بأسنانه على فراغٍ من أثر الجوع ^(٢٠) ، ونظرت بونيفاتزىو ^(٢١) الذى رعى خلقاً كثيراً بعصاه ذات (الطابية) ^(٢٢) »
- ٣١ ورأيت السيّد المركيز الذى أتيح له يوماً أن يشرب فى فورلى ، بدون أن يستشعر شديداً العطش ، غير أنه كان إلى الخمر ظمآنّاً بدون أن يرتوى منها أبداً ^(٢٣) »
- ٣٤ ولكن كما يفعل من ينظر ثم يقدر شخصاً أكثر من غيره ، هكذا فعلت مع ذلك المواطن اللوكى ، الذى بدا أشدَّ حرصاً على التعرف إلى ^(٢٤) »

- ٣٧ وكان يُهمهم ؛ وسمعت شفتيه تردّدان اسماً بدا كأنه "جنتوكّا" (٢٥) ،
إذ أحسّ جرحَ العدالة (٢٦) التي تجرّده على ذلك النحو (٢٧)
- ٤٠ فقلت « أيها الروح الذي يبدو مشوقاً للتحدّث إلىّ ، فلتحرص على أن
أفهم طويّتك ، ولتدع حديثك يرضينا كلينا (٢٨) »
- ٤٣ فبدأ « لقد ولدتُ صبيّةً — لا تضع بعدُ على شعرها عُصابةً (٢٩) —
وستجعل مدينتي لديك بهيجة (٣٠) ، على الرغم من لوم الناس لإيّاها (٣١) .
- ٤٦ وإنك بهذه النبوءة (٣٢) لذهابُ إليها : وإذا كنت قد استخلصتَ من هممتي
خطأً ، فستوضحه لك بعدُ الوقائع الصحيحة (٣٣)
- ٤٩ ولكن خبرني إذا كنتُ سأرى هنا مَنْ أبتدع القوافي الجديدة (٣٤) التي مطلعها :
"أيّها النساء اللاتي تُدركن جوهر الحب" (٣٥) »
- ٥٢ فقلت له : « إنني رجلٌ أفطن إلى الحبّ حينما يُلهمني ، وأمضي مُتغنياً به
كما تمّليه عليّ نوايض قلبي (٣٦) »
- ٥٥ فقال « يا أخى ، إنني أتبين الآن العقدة التي أبقت الموثّق (٣٧) ،
وجويتوني (٣٨) ، وإيّاى (٣٩) ، بعيدين عن الأسلوب العذب الحديد الذي
يبلغ سمعى (٤٠)
- ٥٨ وإنني لأرى بوضوح كيف تتبع أقلامكم عن كثبٍ ، الصوتَ الذي يُملئ
عليها (٤١) ، وهو ما لم يحدث لأقلامنا قطّ (٤٢) ؛
- ٦١ وإن مَنْ يبتغى من الإدراك مزيداً ، لا يرى سوى ذلك من فارقٍ بين
كلا الأسلوبين (٤٣) » ؛ وصمت كأنه قد اقتنع بذلك (٤٤)
- ٦٤ وكالكراتكي التي تقضى فصلَ الشتاء على ضفاف النيل ، فتصنع من
نفسها سرباً في الهواء أحياناً ، ثم تجمع جِماع سرعتها وتطير منطلقةً في
صفٍّ واحدٍ (٤٥) ؛
- ٦٧ هكذا جعل خطاهم كلُّ القوم الذين كانوا هنالك ، لافتين عنا وجوههم (٤٦) ،
خفافاً بهزاهم وبالشوق الذي يحدهم إلى الجرى (٤٧)
- ٧٠ وكالرجل الذي يرهبه العدو ، فيدع رفاقه يتجاوزونه ، ويسير وثيداً حتى
يهداً لَهَتْ صدره (٤٨) ،

- ٧٣ هكذا ترك فوريزى الجمع المبارك يتجاوزهُ^(٤٩) ، وسار معى إلى الحلف قائلاً « متى أعود إلى رؤيتك^(٥٠) ؟ »
- ٧٦ فأجبتهُ « لست أدري كم أمكث حياً ، ولكنّ عودتى لن تكون سريعةً ، غير أنى سأكون بقلبي مسراعاً على الشاطئ^(٥١) ،
- ٧٩ إذْ أن المكان الذى جعلُ لكى أعيش فيه^(٥٢) ، يزداد تجرّده من الخير يوماً فيوماً ، ويبدو مُقدّراً عليه دمارٌ تاعس^(٥٣) »
- ٨٢ فقال لى : « فلتذهب عى الآن ، لأنّ مَنْ يناله من ذلك ملامةٌ أعظم^(٥٤) ، أراه مسحوباً عند ذنب دابةٍ^(٥٥) ، صوب الوادى الذى لا تتطهر فيه المعصية أبداً^(٥٦) »
- ٨٥ وفى كلّ خطوةٍ تزيد سرعة الدابة ، ويشتدّ عدوها أبداً حتى تركله ، تاركةً جسده مشوّهاً فى أبشع صورةٍ^(٥٧) .
- ٨٨ وإلى السماء رفع عينيه قائلاً « ولن تدور هذه الدوائر كثيراً^(٥٨) ، حتى تستبين ما لا يقوى كلامى على زيادة إيضاحه^(٥٩) .
- ٩١ ولانى لتاركك الآن^(٦٠) ؛ إذْ أن وقتنا فى هذه المملكة ثمينٌ ، وسأضيق منه قدراً كبيراً إذا ما سرتُ معاك وثيداً جنباً إلى جنب^(٦١) .
- ٩٤ وكما يندفع عدوّاً ذات مرةٍ فارسٌ من فصيلةٍ تمتطى صهوات الجياد ، وينطلق لكى ينال شرف الالتحام الأوّل^(٦٢) ،
- ٩٧ هكذا ابتعد عنا بخُطّى سِرّاعٍ ؛ وبقيتُ فى الطريق مع هذين الاثنين ، اللذين كانا فى الدنيا معلّمين جليلى القدر^(٦٣) .
- ١٠٠ وحينما ازداد بُعدُه عنا ، وأخذتُ عيناى تتابعان حركة عدوه ، كما تابع عقلى مضمون كلماته^(٦٤) ،
- ١٠٣ بدتُ لى أفرعُ مُحَمَّلَةً يانعةً من شجرة تفاحٍ أخرى^(٦٥) ، ولم تكن كثيرة البعد عنا ، إذْ كنت قد اتجهت نحوها عندئذٍ فحسبُ^(٦٦) .
- ١٠٦ ورأيت تحتها قوماً يرفعون أيديهم ويصيحون نحو أفرعها^(٦٧) ، لا أدري بماذا ، كأطفالٍ نهّمين لا يقوون على شيء ،

- ١٠٩ ويرجون ، والمرجو لا يستجيب لإيهم ، ولكي يُذكى من أوار شهيتهم ،
يرفع عالياً ما يرغبون فيه بدون أن يُخفيه عنهم (٦٨)
- ١١٢ ثم ارتحلوا كأن لم تُساورهم في طلبتهم خديعة (٦٩) ، وسارعنا الخطى (٧٠) إلى
الشجرة العظيمة التي لا تستجيب للضراعة ولا للدموع الغزيرة .
- ١١٥ « فلتمضوا في سبيلكم قدماً بدون أن تقربوها فهناك شجرة تعلوها (٧١) ،
وسبق أن أكلت منها حواء ، وما هذه الشجرة سوى نبتة منها (٧٢) » .
- ١١٨ هكذا كان يتكلم - من بين أفرع الشجرة - مَنْ لست أعرفه (٧٣) ؛ ولذا
سيرنا إلى الأمام متلاصقين فرجيليو واستاتيوس وأنا ، في الجانب الذي
يذهب صُعداً (٧٤)
- ١٢١ وقال « فلتذكروا أبناء السحاب الملعونين ، الذين قاتلوا تيزيوس - وهم
سُكاري (٧٥) - بصدورهم المزدوجة (٧٦) ؛
- ١٢٤ ولتذكروا اليهود الذين بدواً مستسلمين إلى الشرب ، ولذا لم يرغب جيدعون
أن يتخذهم له رفاقاً ، حينما هبط التلال صوب ميدان (٧٧) »
- ١٢٧ هكذا سيرنا متلاصقين لإحدى الحافتين ، ونحن نصغي إلى خطايا النهم
التي تلتها الثمرات الوخيمة (٧٨)
- ١٣٠ ثم تباعدنا (٧٩) ، ومضينا إلى الأمام أكثر من ألف خطوة في عرض الطريق
الخالى (٨٠) ، وكان كلُّ منا يتفكر بدون أن ينطق أحداً بكلمة (٨١) .
- ١٣٣ وقال صوتٌ مفاجئٌ (٨٢) « لم تذهبون ثلاثكم منفردين وأنتم تقدحون
زناد الفكر ؟ » ؛ ولذا ارتجفتُ كما تفعل صغار الحيوانات حينما تفرع (٨٣)
- ١٣٦ فرفعتُ رأسي لكي أرى مَنْ كان ذلك الذي تكلم ؛ ولم يُرَ في أتونٍ أبداً
زجاجٌ أو معادن متوهجةٌ شديدة الحمرة (٨٤) ،
- ١٣٩ كما رأيت مَنْ يقول (٨٥) « إذا راق لكم السير صُعداً فينبغي عليكم أن
تولّوا شطر هذه الناحية ؛ فهنا الطريق لِمَنْ يذهب سعياً في طلب
السلام » .
- ١٤٢ ففقدت برؤيته لبصاري (٨٦) ؛ ولذا تراجعتُ إلى ما وراء أستاذي ،
كَمَنْ يسير مسترشداً بما يبلغ سمعه (٨٧)

- ١٤٥ وكما تهب أنسام الربيع - بشيرةُ الفجر - باعثةٌ ذكيَّ الشذا ، وهي مُفعمةٌ بأريج العُشب والأزهار^(٨٨) ،
- ١٤٨ هكذا أحسستُ نسمةً تلمس منتصف جببى ، وشعرتُ بهفهة أجنحة^(٨٩) ، بعثتُ فى الأنسام شذاً عطِيراً
- ١٥١ وسمعت مَنْ يقول « طوبى لمن تغمرهم بنورها نعمةُ الله ، حتى لن تثير شهوةُ الطعام فى نفوسهم شديدةَ اللهفةِ إليه^(٩٠) ،
- ١٥٤ إذ يجوعون جوعاً عادلاً أبداً^(٩١) ! »

حواشي الأنشودة الرابعة والعشرين

- (١) هذه هي الأنشودة الثانية والأخيرة الخاصة بالشهرين وتسمى أنشودة بونادجوتنا أوربيتشاني .
- (٢) يعنى كان دانتي وفوريزي يتكلمان في سيرهما
- (٣) كان دانتي يبذل مجهوداً في سيره بحسبه الحى ، أما فرجيلو واستاتيوس فلم يبذلا جهداً لأنهما روحان
- (٤) سار الشعراء الثلاثة كسفينة تدفعها ريح مؤاتية تحدوهم الإرادة الصالحة وتقودهم النعمة الإلهية
- (٥) بدا الأشباح أنهم ماتوا مرتين لفرط ما أصابهم من الهزال
- (٦) تولى الأشباح الدهشة عند ما رأوا أن دانتي إنسان حى .
- (٧) كان حديث دانتي قد بدأ في الأنشودة السابقة
- (٨) أى روح استاتيوس
- (٩) يعنى روح فرجيلو والمقصود أن استاتيوس ربما سار متباطئاً ، وهو متجه إلى السماء ، لكنى يبقى مع فرجيلو زمناً أطول ، ولم يكن فرجيلو مستطیعاً أن يسير بأسرع مما فعل لأنه يقود دانتي الإنسان الحى .
- (١٠) پيكاردا (Piccarda) أخت فوريزي دوناتي ، كانت راهبة وأرغمها أخوها كورسو على ترك الدير والزواج ، ومكانها في الفردوس
- (١١) يريد دانتي أن يعرف شخصاً ذا أهمية في هذا المكان
- (١٢) هذا تعبير لطيف عن پيكاردا ، ولا يدري فوريزي أفاق جمالها طيبها أم العكس .
- (١٣) أوليمپس (Olympus) سلسلة من الجبال تفصل مقدونيا عن تساليا ، واعتبرت مقر آلهة اليونان ، واستخدم الاسم مرادفاً للسماء ، وهذا ما يقصده دانتي هنا
- (١٤) أى ما دام الأشباح قد شوهوا بهزاهم الشديد فلا بد من تسميتهم حتى يمكن التعرف عليهم
- (١٥) بونادجوتنا أوربيتشاني دلى أوفيراردى (Bonagiunta Orbicciani degli Overardi) عاش في لوكا في النصف الثاني من القرن ١٣ ، ونظم الشعر على طريقة شعر البروفنس ، ونظمه غير جيد واشتهر بالشره والإسراف في شرب الخمر
- (١٦) هو البابا مارتينو الرابع (١٢٨١-١٢٨٥ Martino IV) ، الذى عمل مدة طويلة خازناً لأموال كاتدرائية تور (Tours) في جنوب فرنسا ويعده دانتي مواطناً من تور وإن كان يرجع أصله إلى موبنسيه وليس إلى تور .
- (١٧) مات مارتينو الرابع متخماً بأكل ثعابين السمك المأخوذة من بحيرة بولسينا (Bolsena) في وسط إيطاليا والمغموسة في نبيذ ثرناتاشا (Vernaccia) المستخرج من الكروم التى تنبت في الجبال القريبة من جنوا
- (١٨) بدوا جميعاً أنهم راضون بذكر أسمائهم لاحتمال معاونه دانتي لهم بإقامة الصلوات من أجلهم في الدنيا ، ولذلك لم يردانتي على أحدهم نظرة الكدر أو الاكفهرار

- (١٩) أوبالدنودلا بيللا (Ubalдини dalla Pila) نبيل فلورنسى عاش في النصف الثاني من القرن ١٣ ، وهو أخو الكاردينال أوتافيانو دى أوبالدينى (Inf. X. 120) وأبو رودجيري دى أوبالدينى أسقف پيزا (Inf. XXXIII. 13) ، واشتهر بالشره والنهم .
- (٢٠) كان يمتنع على فراغ وهو جائع ، ويشبه هذا ما أورده أوفيدىوس

Ov. Met. VIII. 824-827.

- (٢١) بونيفاتزيو دى فيسكى (Bonifazio dei Fieschi) أصله من جنوا وأصبح أسقف رافنا ومات في ١٢٩٤ ، وكان رجل سياسة أكثر منه رجل دين واشتهر بجمع المال ، ولا يعرف عنه النهم في الأكل .

- (٢٢) المقصود أن أسقف رافنا قد وفر الغذاء لكثيرين ممن هم في دائرة اختصاصه في رومانيا وجزء من إميليا ، والعصا ذات الطابية (tocco) هى عصا أسقف رافنا التى كان مقبضها على صورة (طابية) الشطرنج

- (٢٣) مركيز دى أرجوليويزى (Marchese degli Argogliosi) نبيل من فورلى وصار عمدة فايتزا في ٢٩٦ ، وكان مسرفاً في شرب الخمر وما يروى أنه سأل أتباعه مرة عن رأى الناس فيه ، فقالوا إنهم يقولون إنه يشرب الخمر على الدوام ، فقال ضاحكاً ولم لا يقولون إنى ظمان أبداً !

- (٢٤) جال دانتي ينظره بين المتطهرين ورأى بونادجوتتا دا لوكا الذى كان حريصاً على التعرف إليه

- (٢٥) هناك خلاف بين العلماء الدانتين حول شخصية جنتوكا (Gentucca) والأغلب أنها سيدة من لوكا ولقبها مورلا (Morla) وتزوجت بوناكورسى فوندورا (Bonaccorse Fondora) وعرفها دانتي في أثناء وجوده في لوكا ، ونشأت بينهما علاقة تعاطف ومحبة رقيقة هادئة . ويرى بعض شراح دانتي القدامى أن المقصود بجنتوكا ألدجا ابنة شقيق البابا أدريانو الخامس ، الذى سبقت الإشارة إليه

- (٢٦) جرح العدالة هو الجزاء العادل الذى يلقيه للتطهر من النهم والجشع .

- (٢٧) استخدم دانتي لفظ (piluccia) من اللاتينية بمعنى ينتزع أو يجرد .

- (٢٨) أراد دانتي أن يوضح له بونادجوتتا ما قاله همساً وبذلك يرضى دانتي وبونادجوتتا معا

- (٢٩) أى كانت جنتوكا عذراء صغيرة فلم تضع بعد عصابة تغطي شعرها كمعادة أهل العصر ممناً من الفتنة

- (٣٠) يعنى أن جنتوكا العذراء الصغيرة الخذاية ستجعل لوكا مدينة هيجة لدى دانتي بما ستبدية نحوه من العطف والمودة

- (٣١) هذه إشارة إلى حرص أهل لوكا على المحافظة على استقلالهم ضد أطماع فلورنسا وپيزا ، وربما كانت هذه إشارة إلى شهرتهم وتسمية دانتي لهم بمقتضاها بالمرتشين (Inf. XXI. 41) ، وفي الحالين وجه بعض الناس اللوم إلى لوكا

- (٣٢) أى بناء على هذه النبوة سيذهب دانتي إلى لوكا (فيما بين ١٣٠٧ و ١٣٠٩)

- (٣٣) يعنى أن ما سيراه دانتي في لوكا سيوضح له ما يكون قد غرض عليه الآن

- (٣٤) أى فتح دانتي بفته الشعرى صفحة جديدة في نشأة الأدب الإيطالى جاءت في إثر المراحل الشعرية السابقة عليه في الشعر الدينى وشعر المدرسة الصقلية وشعر مدرسة بولونيا ثم شعر مدرسة تسكانا (أو مدرسة فلورنسا مدرسة الشعر العذب الحديث) ، التى كان دانتي نفسه من شعرائها .

(٣٥) هذه هي بداية القصيدة الأولى في «الحياة الجديدة» ، فحينما أحس دانتي بالحب وجه كلامه إلى النساء العاشقات اللائي يدركن معنى الحب ، ويتكلم فيها عن بياتريتشى التى تجعل من يراها نبيلًا وتكسبه النعمة الإلهية ، ويذكر أن جسدها فى لون اللؤلؤ وأن عينيها تجرحان من ينظر إليها ، ويقول إنه يتناول فى قصيدته مادة جديدة تفوق ما سبق

V.N. XIX. 1-70.

(٣٦) يعنى أن دانتي عند ما يشعر بالحب يلاحظ أو يتأمل ويمعن النظر فيما يحسه ويسجله بحسب شعوره ، وتأتى ألفاظه صادقة مطابقة لعاطفته ، وهذا هو سر الفن الجديد وجوهره

V.N. XXIV. 3-4.

(٣٧) هو جاكومو دا لنتىنى (Giacomo da Lentini) أحد موثقى الإمبراطور فردريك الثانى ، الذى وضع مجموعة من القصائد على طريقة شعر البروفنس ، ومات حوالى سنة ١٢٥٠ وادّعى دانتي بعض شعره فى كتابه عن «اللهجة العامية»

De Vulg. Eloa I. XII. 8.

(٣٨) جويتوفى داريتزو (Guittone d'Arezzo ١٢٣٠ - ١٢٩٤) من الرهبان الممتعين وعاش فى فلورنسا ، وهو من شعراء مدرسة بولونيا ، التى كانت مرحلة بين شعر المدرسة الصقلية وشعر المدرسة السكانية فى القرن ١٣

(٣٩) أى بونادجوتا الشاعر

(٤٠) يعنى العقبة التى باعدت بين هؤلاء الشعراء وشعر دانتي .

(٤١) يكرر بونادجوتا الفكرة التى عبر عنها دانتي آنفاً بأن دانتي وأضرابه يكتبون الشعر بوحى من الحب الذى يملئ عليهم ما يقولونه

(٤٢) لم يفعل السابقون ذلك فى الغالب لأنهم اتبعوا الشعر التقليدى

(٤٣) أى أن من يحاول معرفة الفارق بين أسلوب الشعر التقليدى والشعر العذب الحديث سيدرك تأثر الشعر الحديث بوحى الحب

(٤٤) أقنع بونادجوتا بإدراك الفارق بين أسلوب الشعر ، ولا يريد أن يعرف أكثر من ذلك .

(٤٥) هذه صورة مأخوذة من ملاحظة الكراكى التى تهجر شتاء من شمال أوروبا إلى ضفاف النيل الدافئة ، وتكرر إشارة دانتي إلى الكراكى ، كما ذكرها لوكانوس

Inf. V. 46-47; Purg. XXVI. 43-45; Par. XVIII. 73-75. Luc. Phars. V. 711

(٤٦) يعنى نظروا إلى المئين فى اتجاه سيرهم وقد كانوا ينظرون إلى دانتي من قبل .

(٤٧) أى أن هزائهم ورغبتهم فى التكفير والتطهر جعلتهم يندفعون بسرعة وخفة

(٤٨) هذه صورة مأخوذة من ملاحظة الرجل الذى يعدو فتلهت أنفاسه فيبطل من سرعته ويسير وثيداً حتى يهدأ لث نفسه

(٤٩) يعنى ترك فوريزى جماعة الشريين يتقدمون وتخلف هو لمحادثة دانتي على حدة

(٥٠) يسأل فوريزى دانتي بلطف ورقة متى يراه ثانياً وهذا هو إحساس الصديق نحو الصديق الذى يوشك على فراقه ورؤية دانتي ثانياً يعنى بعد موته ، وهذا لأن دانتي جعل نفسه من السعداء الذين سيأتون إلى المطهر ثم الفردوس .

- (٥١) لا يعرف دانتي كم سيعيش ولكنه يعتقد أنه لن يموت سريعاً ، ولن تكفى مجرد رغبته للعودة سريعاً إلى المطهر ، وهذا يعنى أنه يرغب بقلبه في سرعة عودته إليه .
- (٥٢) يعنى فلورنسا وإن كان سينفى مها مدة العشرين سنة الأخيرة من حياته
- (٥٣) يتنبأ دانتي بما سينال فلورنسا من الولايات
- (٥٤) يتكلم فوريزى عن أخيه كورسو دوناتى (Corso Donati) زعيم الجلف السود في فلورنسا ، وهو من المسئولين عن هزيمة الجلف البيض في فلورنسا في ١٣٠١ ، وقد نفى دانتي عقب ذلك ، ثم وقع خلاف بين فريق من السود بزعامة كورسو وفريق آخر مهم بزعامة روسو دلا توزا وهرب كورسو من فلورنسا ولكن خصومه تعقبوه وقتلوه .
- وتوجد صورة صغيرة لمقتل كورسو دوناتى وترجع إلى القرن ١٤ وهى في مكتبة كيجي في روما
- (٥٥) يقال إن كورسو أصابته طعنة في حلقه وأخرى في جنبه وسقط عن جواده ، وجعل دانتي عقابه أن تعجره دابة في الجحيم
- (٥٦) الودى هنا يعنى الجحيم
- (٥٧) ظلت جثة كورسو مشوهة ملقاة في العراء حتى وجدها رهبان دير سان سالتى خارج فلورنسا .
- (٥٨) الدوائر تعنى السماوات
- (٥٩) أى لن تمر سنوات طويلة حتى يتضح المقصود بهذا الكلام وهذا يعنى أن كورسو سيلقى حتفه في ١٣٠٨
- (٦٠) في الأصل (فلتبقى أنت الآن) والمعنى واحد .
- (٦١) يعنى فليظل دانتي مع فرجيليو واستاتيوس لأن الوقت ثمين في المطهر وكان دانتي رجلاً يعرف قيمة الوقت - وإذا سار فوريزى على خطاه فإنه يضيع كثيراً من الوقت المخصص لتطهره .
- (٦٢) هذه صورة مأخوذة من حياة الحرب في عصر دانتي ، حينما كان يخرج أحد الفرسان الشجعان من من قصيلته لكى يبادئ العدو القتال
- (٦٣) أى فرجيليو واستاتيوس ، واستخدم دانتي لفظ مارشال (marescalcho) الألماني الأصل ويعنى معلم فن السلاح والفروسية .
- (٦٤) كان دانتي قد تابع في ذهنه نبوءة فوريزى بشأن كورسو وأحداث فلورنسا ولم تكن الصورة واضحة لديه ، وكذلك أخذ ينظر إلى فوريزى الذى سبقه إلى الأمام ولم تكن الرؤية واضحة له بسبب بعد المسافة .
- (٦٥) الشجرة الأولى هى شجرة الحياة في بداية الإفريز السادس (Purg. XXII. 130-141) ، وهذه الشجرة الثانية عند نهاية الإفريز السادس هى شجرة معرفة الخير والشر
- (٦٦) اتجه دانتي نحو الشجرة عند ما انتهت ثنية الجبل فظهرت الشجرة أمامه فجأة .
- (٦٧) هؤلاء هم الشهبون النهمون يحاولون قطف التفاح
- (٦٨) جعل دانتي النهمين كالأطفال الذين يطلبون شيئاً والكبار يداعبونهم ويعدون بما يطلبونه عن متناوئهم ، وهذه صورة حية مأخوذة من الحياة الواقعية . وتوجد صورة مقاربة عند هوميروس عن تانتالوس الذى سرق طعام الآلهة ، وكانت شائعة في أثناء العصور الوسطى

- (٦٩) ارتحل المهيمون بعد أن يشسوا من الحصول على الفاكهة ، واقتنعوا بأنه لا سبيل إلى ذلك . وقلت (كأن لم تساورهم في طلبتهم خديعة) للإيضاح
- (٧٠) استخدم دانتى لفظ (adesso) بمعنى سريع في اللغة القديمة
- (٧١) توجد شجرة المعرفة في الفردوس الأرضي في أعلى جبل المطهر ، وورد هذا المعنى في « الكتاب المقدس »
- Purg. XXXII. 37
Gen. III. 6.
- (٧٢) يعنى أن الشجرة الحالية مأخوذة من الشجرة الموجودة في أعلى جبل المطهر
- (٧٣) ربما كان هذا أحد الملائكة وسيذكر مثالين عن خطيئة النهم .
- (٧٤) أى سار استاتيووس وفرجيليو ودانتى في الناحية التى يرتفع فيها صخر الجبل لأن الشجرة اعترضت طريقهم .
- (٧٥) هذا مثال عن القناتس (الكائنات الخرافية التى تتكون من نصف إنسان ونصف حصان) وقد ولدوا في السحاب ، وحضروا عرس بيريتوس ملك لايتى وهيوداميا وأسرفوا في شرب الخمر حتى ثملوا فأرادوا اغتصاب العروس وغيرها من الفتيات فقاتلهم تيزيوس وهزمهم وسبق ذكرهم وأورد أوفيدوبس أسطورتهم
- Inf. XII. 56.
Ov. Met. XII. 210-535.
- (٧٦) صدورهم مزدوجة لأنها جمعت بين طبيعة الإنسان وطبيعة الحصان
- (٧٧) هذا مثال مأخوذ من التوراة ويتناول جدعون (Gideon) الذى أراد الهبوط من جبل جلعاد (Gilead) لمهاجمة الميديانيين (Midianites) ، فجعل رجاله يشربون الماء فرأى أغلبهم يفعلون كالكلاب النهم إلا ٣٠٠ رجل شربوا الماء بأيديهم ، فأخذ جدعون معه الأخيرين وترك الأغلبية ، وورد ذلك في « الكتاب المقدس »
- Giud. VI., VII.
- (٧٨) يعنى ارتكبوا خطيئة النهم ثم نالوا العذاب والألم
- (٧٩) ساروا أولاً متلاصقين في حيز ضيق بسبب اعتراض الشجرة طريقهم ثم ساروا بعدئذ متباعدين نوعاً في حيز أوسع .
- (٨٠) الطريق قفر خال لأن المتطهرين سارعوا إلى الأمام .
- (٨١) سار استاتيووس وفرجيليو ودانتى وكل منهم يفكر فيما رآه وسمعه
- (٨٢) هذا هو صوت ملاك الاعتدال حارس الإفريز السادس .
- (٨٣) ويرى بعض الشراح أن لفظ (poltre) مأخوذ من الفرنسية القديمة (poutre) بمعنى الصغيرة . ويرى آخرون أنه يعنى الحيوانات الهائلة أو المستكنة أو المسترخية
- (٨٤) هذه صورة صورة مأخوذة من صناعة الزجاج والمعادن
- (٨٥) دعا الملاك الشعراء الثلاثة إلى الصعود عند هذا الموضع .
- (٨٦) عاق بهاء الملاك دانتى عن النظر
- (٨٧) تراجع دانتى حتى أصبح وراء أستاذه وأخذ يسير مهتدياً بما يسمعه حيناً تعذرت عليه الرؤية
- (٨٨) هذه صورة رقيقة رسمها دانتى مستوحياً ملاحظته للطبيعة وتأثره بهبوب نسائم الربيع قبيل الفجر وشعوره بأريج الأزهار العطرة التى تملأ الجو . وأورد فرجيليو معنى مقارناً

(٨٩) هكذا يزيل الملاك خطيئة النهم من جبين دائق .

(٩٠) يعنى طوبى لمن يتمتعون بنعمة الله فلا تشور لديهم شهوة جامحة إلى الطعام والشراب . ويقتررب
هذا المعنى مما ورد فى « الكتاب المقدس »
Matt. V. 6.

(٩١) أى سيكون جوعهم إلى ما هو ضرورى فمحسب . ويقتررب هذا المعنى مما سبق عن الجوع العادل
إلى الذهب
Purg. XXII. 40.

الأنشودة الخامسة والعشرون^(١)

صعد الشعراء الثلاثة السلم الذى يؤدى إلى الإفريز السابع — إفريز شهوة الجسد — وهمّ دانتى بالكلام ولكنه لم يستطع ، وكان فى ذلك كفرخ الطير الذى يحاول الطيران بدون جدوى ، فشجعه فرجيليو على الكلام ، فتساءل كيف ينحف الشبح وهو غير محتاج إلى الغذاء ، فحاول فرجيليو إيضاح الأمر له بمثال عن ميلياجرو وبمثال عن تحرك صورة الإنسان داخل المرأة ثم قال استاتيروس إن الدم النقى عند الرجل — النطفة — ينال فى القاب القدرة التى تُشكّل أعضاء الإنسان وتمنحها خصائصها ، وقال إن دم الرجل يمتزج بدم المرأة ، ويتجمد الأخير وتُبعث فيه الحياة ، ويتحول المخلوق من حيوان إلى إنسان بطريقة يعجز عن إدراكها الفلاسفة ، وينفث الله فى الجنين روحاً ويصنع نفساً كاملة وقال إنه حينما ينتهى عمر الإنسان تخرس القوى البشرية ولكن النفس العاقلة لا تموت ، بل تصبح أشد مضاء فى فعلها ، وتهبط عند شاطئ أكيرونى أو عند مصب التيبر ، وتشتع من حولها القوة المُشكّلة بذات صورتها كما كانت فى الحياة ، وبذلك تصبح شبحاً — أوطيفاً — مرثياً ، ولذا تتكلم الأشباح والأطياف وتضحك وتبكي وتتنهد . وبلغ الشعراء الثلاثة منطقة يطلق فيها الجبل ناراً عبر الطريق ، وفى مقابلها هب ريح تزيح النار فتفسح طريقاً للعبور . وسمع دانتى ترتيل المتطهرين من خطايا الجسد ، ورأى أرواحاً تسير وسط النار ، ثم سمع نشيداً عن العذراء ماريا ونشيداً عن ديانا وهيليس ، وعلى هذا النحو كانت تلك الأرواح تتطهر من آثامها

- ١ كانت قد حلت الساعة التي لا يحتمل فيها الصعود وقوفاً^(٢) ؛ إذ خالفت الشمس دائرة الزوال لبرج الثور^(٣) ، وخلّفتها الليل لبرج العقرب^(٤) ؛
- ٤ ولذا فإنه كما يفعل الرجل الذي لا يتوقف ، بل يمضي في طريقه مهما اعترضه من العقبات — إذا حفزه إلى ذلك دافع من الحاجة^(٥) —
- ٧ هكذا دخلنا خلال الشجرة^(٦) ، وتقدّمنا واحداً فواحداً ونحن نرتقي السلم ، الذي يُفرّق بين الصاعدين عليه لضيق درجاته^(٧)
- ١٠ وكما يرفع جناحيه فرخ اللقلق وهو في الطيران راغبٌ ، ولكنه لا يجرؤ على مبارحة عشّه ، فيرخي جناحيه إلى أسفل^(٨) ؛
- ١٣ هكذا أصبحت بالارغبة في السؤال التي اشتعلت في صدري ثم خبّبت ، بعد أن تحرّكت شفتاي كمن يهمّ بالكلام^(٩)
- ١٦ وعن الكلام لم يسكت أبى الحبيب على رغم سرعة سيره^(١٠) ، بل قال « فلنُطلق قوس كلماتك ، الذي سحبتّه حتى طرف سهمك^(١١) » .
- ١٩ عندئذ فتحت فاهي مطمئناً للكلام ؛ وبدأت « كيف يتأتّى للأرواح أن تنحف إذ لا حاجة بها لأن تطعم^(١٢) ؟ »
- ٢٢ فقال « إذا أنت ذكرت كيف ذوى ميلياجرو بذوى جمرة ، لما صعب عليك إدراك ذلك^(١٣) ؛
- ٢٥ ولو فكّرت كيف أن صورتك في المرأة تتبع في حركتها السريعة ذات حركاتك ، لأدركت في يسر ما يبدو لك أمراً صعب الفهم^(١٤) .
- ٢٨ ولكن لكي تجد نفسك الراحة فيما تتطلع إليه ، فلتنظر إلى استاتايوس^(١٥) ، وإلى لأدعوه وأرجوه أن يكون مُبرئ جراحك الآن^(١٦) »
- ٣١ فأجاب استاتايوس « إذا كشفت له هنا في حضورك^(١٧) عن الحقائق الأبدية ، فليكن عذري أني لا أستطيع أن أرفض لك طلباً^(١٨) »
- ٣٤ ثم بدأ^(١٩) « إذا تلمّست عقلك يا بى كلماتي ووعاها^(٢٠) ، فستلقي ضوءاً على ما ألقيتّه على من سؤال^(٢١) »
- ٣٧ إن الدم النقي^(٢٢) الذي لا تشربه الشرايين العطاش أبداً^(٢٣) ، ويبقى كغذاء شأنه أن يُرفع عن المائدة^(٢٤) —

- ٤٠ ينال في القلب قوةً تمنح الخصائص لكل أعضاء الإنسان (٢٥) ، كما ينساب سائر الدم في الشرايين لكي يبي تلك الأعضاء (٢٦)
- ٤٣ وحينما يزداد نقاؤه ، ينزل حيث السكوت أجل من الكلام (٢٧) ؛ ثم يقطر على دم الغير في الوعاء المعد لذلك (٢٨)
- ٤٦ وهناك يمتزجان معاً الواحد بالآخر ، أحدهما سلبى بطبعه ، والآخر إيجابى (٢٩) بكمال الموضع الذى ينبثق منه (٣٠) ؛
- ٤٩ وعندما يتحد هذا بذلك (٣١) — يشرع في عمله متخيراً بادىء ذى بدء ، ثم يمنح الحياة لما تكوّن من تجمّد الدم (٣٢)
- ٥٢ ولما تُصبح تلك القوة الفعالة نفساً كنفس النبات (٣٣) — وتختلف عنها إذ لا يزال عليها أن تشق طريقها ، على حين تكون الأخيرة قد بلغت مرساها (٣٤) —
- ٥٥ تواصل عندئذ نموّها ، وإذ بها تتحرك وتحسّ كما يفعل فطر البحر (٣٥) ؛ ثم تأخذ في صنع أعضاء للقوى التى هى بذرة لها (٣٦) .
- ٥٨ والآن — يا بُنى — تنمو وتمتدّ القوة المنبثقة من قلب الإنسان ، حيث تزوّد الطبيعة بها كلّ أعضائه (٣٧)
- ٦١ ولكنك لا تزال غير مُدرّك كيف يُصبح الحيوان كائناً عاقلاً (٣٨) وإنها لمسألةٌ أضلت مَنْ هو أكثر منك علماً (٣٩) ،
- ٦٤ حتى إنه قد ميز في شرحه بين النفس والعقل الفعّال ، إذ لم ير أنه قد اتخذ له عضواً (٤٠)
- ٦٧ ولتفتح صدرك للحقيقة الآتية (٤١) ؛ ولتعلم أنه حينما يُصبح بناء المخ في الجنين مُكتملاً ،
- ٧٠ يتجه إليه المحرك الأول (٤٢) ، مبتهجاً بمثل هذه الآية التى صنعتها الطبيعة (٤٣) ، وينفث فيه روحاً جديدة (٤٤) مُفعمّةً بقوة (٤٥) ،
- ٧٣ تجذب إلى جوهره (٤٦) ما يجده فعّالاً هنالك ، ويصنع نفساً واحدة (٤٧) ، تحيا وتحس وتدور بنفسها على نفسها (٤٨)

- ٧٦ ولكي يقلّ عجبك من كلامي، فلنَتنظر إلى حرارة الشمس التي تستحيل نبیذاً ، حين تتمزج بالعصير الذي يفيض من الكرّم^(٤٩)
- ٧٩ وعندما لا يصبح لدى لاخيسيس مزيداً من الكتّان ، تتحرّر النفس من جسدها^(٥٠) ، وتحمل معها كلتا القوتين البشرية^(٥١) والإلهية^(٥٢)
- ٨٢ وتتعطل سائر القوى الحاسة جميعاً^(٥٣) ، وإكن الذاكرة والإدراك والإرادة تُصبح في فعلها أكل مما كانت عليه من قبل^(٥٤) .
- ٨٥ ومن تلقاء ذاتها ودون تلبّث تسقط بأعجوبة عند ضفة أحد النهرين^(٥٥) : وهناك تعرف لأول وهلة مسالكها^(٥٦) .
- ٨٨ وحينما يحتويها هناك مكانها الملائم^(٥٧) ، تشعّ من حولها القوة المُشكّلة بذات صورتها وحجمها اللذين كانا لها في أعضائها الحيّة^(٥٨) :
- ٩١ وكما حينما يتشبع الهواء بالأبخرة ، يأخذ في التزيّن بألوان مختلفة ، بالأشعة المنعكسة عليه من غيره^(٥٩) ،
- ٩٤ هكذا نجد الهواء القريب إلينا ، يتخذ تلك الهيئة التي تدمغه بها النفس ، بما لها من القوة الكامنة حين تستقرّ هنالك^(٦٠) ؛
- ٩٧ ثم تتبع الصورةُ الجديدة روحها^(٦١) ، على نحو ما تتبع الشعلة نارها في كل مكان تنتقل إليه^(٦٢) .
- ١٠٠ ولما كانت بذلك تُصبح مرثيّةً ، فقد سُمّيت شبحاً^(٦٣) ، ثم تصنع بعدئذ أعضاءً لكل حواسّها حتى حاسة النظر^(٦٤)
- ١٠٣ وبذلك تتكلّم وبذلك نضحك ؛ وبذلك نُذرف الدموع ، ونطلق التهديد الذي كان في ميسورك أن تسمعه في مدارج الجبل^(٦٥)
- ١٠٦ ويتشكّل الشبح تبعاً لما تحفرنا إليه رغائبنا وسائر مشاعرنا^(٦٦) ، وإلى هذا يرجع ما يتملكك من أمارات العجب^(٦٧) .
- ١٠٩ وكنا قد بلغنا عندئذ آخر دوائر العذاب^(٦٨) ، والتفتنا إلى اليمين ، واسترعى انتباهنا شأن آخر^(٦٩)
- ١١٢ فهنا تندلع من جانب الجبل إلى خارجه نارٌ مستعرة^(٧٠) ، وإلى أعلى يزفر الإفريز بعصفه ریح^(٧١) ، تميل بالنار وتُنحّيها عنه^(٧٢) ؛

- ١١٥ ولذا كان علينا أن نسير على الجانب المفتوح واحداً فواحداً (٧٣) ؛ فقد خشيت النار في جانب ، وفي الجانب الآخر خفتُ السقوط إلى أسفل (٧٤)
- ١١٨ فقال مرشدى « ينبغى ألا نطلق العنان لأبصارنا في هذا الموضع ، إذ ما أيسر أن نزل بنا الأقدام (٧٥) »
- ١٢١ وعندئذ سمعتُ في قلب النار المستعرة ترتيلاً يقول : ”إلهى يا عظيم الرحمة“ (٧٦) ، حتى أصبحتُ بذلك أشدَّ حرصاً على الاتجاه إليه (٧٧) ؛
- ١٢٤ ورأيت أرواحاً تسير وسط اللهب ، فأخذتُ أنظر إليها وإلى خطواتى ، مُنْقَلَبَةً بصرى من لحظة لأخرى (٧٨) .
- ١٢٧ وحينما بلغوا ختام ترتيلهم صاحوا عالياً ”لست أعرف رجلاً“ (٧٩) ؛ ثم استأنفوا إنشادهم خفيضى الصوت (٨٠) .
- ١٣٠ ولما اختتموا ما أنشدوه عادوا إلى صياحهم قائلين « لقد ظلمت ديانا في الغابة ، وطردت منها هيليس التى أحست سم فينوس الزعاف (٨١) »
- ١٣٣ وعندئذ عادوا ترتيلهم ، ثم ردّوا أسماء سيدات وأزواج عاشوا أطهاراً ، كما تقتضيه الفضيلة ويفرضه الزواج (٨٢)
- ١٣٦ وأعتقد أنهم يواصلون هذا الأسلوب (٨٣) ، طوال الوقت الذى يحترقون فيه بالنار وبمثل هذا العلاج (٨٤) وهذا الغذاء (٨٥) ،
- ١٣٩ ينبغى أن يلتئم جرحهم أخيراً (٨٦) .



١٠ - داتق وثرجيليو واستاتيوس ينظرون إلى المتطهرين في النار من شهوة الجسد
أنشودة ٢٥ ١٢١

حواشى الأنشودة الخامسة والعشرين

- (١) هذه هى الأنشودة الأولى من أنشودات شهوة الجسد وتسمى أنشودة تولد الجنس البشرى .
- (٢) كان الشعراء الثلاثة صاعدين إلى الإفريز السابع دون إبطاء بسبب حرارة الشمس وضيق الوقت
- (٣) كانت الشمس فى برج الحمل - بالنسبة للمظهر - عند الظهر أى وقت الزوال ، ثم سارت إلى أسفل حسب الحركة الظاهرة - وحل برج الثور فى سمت الرأس بدلا من الشمس .
- (٤) وفى نفس الوقت بالنسبة لنصف الكرة الشمالى كان برج الميزان - منتصف الليل - قد انتقل وحل مكانه برج العقرب ولما كانت كل مرحلة فى حركة الأبراج الإثنى عشرة تم كل ساعتين ، فإن هذا يعنى أن الساعة كانت حوالى الثانية بعد الظهر فى المظهر وحوالى الثانية صباحاً فى أورشليم
- (٥) هذه صورة واقعية للرجل الذى تحمزه الضرورة لمتابعة السير - إلى رغم ما يعترضه من العقبات .
- (٦) يعنى الطريق الضيق الذى يؤدى إلى الإفريز السابع ويرى بعض الشراح أن لفظ (callaia) يعنى الممر أو المدبر الضيق .
- (٧) كان السلم ضيقاً بحيث لم يتح للشعراء الثلاثة أن يصعدوا جنباً إلى جنب فصعدوا متفرقين الواحد منهم بعد الآخر
- (٨) هذه صورة دقيقة مأخوذة من حياة صغار اللقلق ، وبذلك يلون دانتى هذا الموقف تلويحاً حياً وتشبه هذه الصورة ما أورده استاتيوس
- (٩) رغب دانتى فى الكلام وحرك شفتيه لكن ينطق ولكنه لم يفعل ذلك لأنه خشى أن يضايق فرجيليو ، وهذا تصوير دقيق لبعض مشاعر الإنسان
- (١٠) هذا لأن فرجيليو أدرك ما يساور دانتى من الفكر .
- (١١) سأل فرجيليو دانتى أن يتكلم ووازن بين حال دانتى حينما هم بالكلام دون أن يطلق حال ومن يجذب القوس حتى رأس السهم المصنوع من الحديد دون أن يطلقه نحو هدفه وكان فرجيليو أراد أن يقول (ألا قلتلنى عقدة لسانك ، ولتعب عما يدور فى رأسك)
- (١٢) أى كيف تنحف الأرواح ما دامت فى غير حاجة إلى الطعام والشراب وهذه إشارة إلى ما سبق
- (١٣) ميليا جرو (Melcagro) بن أونيس ملك كاليديونيا الذى اختطفته أمه أثينا قطعة خشب من نار متأججة ، لأن حياته كانت مرتبطة بالإبقاء عليها - كما قالت إلهة القدر . وكبر ميلياجرو وأحب أتانائنا وأعطاها فراء الدب الكاليدونى بعد أن قتله ، وأحسن أخواله الفيرة منه فحفظوا الفراء ، فقتلهم ميلياجرو ، فغضبت عليه أمه وألقت بقطعة الخشب فى النار ، فمات باحتراقها وأورد أوفيدوس هذه الأسطورة والمقصود أنه كما ذوى ميلياجرو ومات باحتراق قطعة الخشب المذكورة ، على هذا النحو أصاب الهزال الشديد هؤلاء الأشباح عند رؤية الفاكهة :
- Ov. Met. VIII. 445
- (١٤) يعنى كما تنعكس حركات الإنسان فى المرأة - بدون اتصال مادى - تتأثر الروح بالإحساس والانفعال .

- (١٥) أى أن استاتيوس الذى اعتنق المسيحية سكون أقدر على إيضاح كل ما يسأل دانتى عنه .
- (١٦) الجراح هى الشكوك التى تشفيها المعرفة
- (١٧) يعنى حيث فرجيليو موجود فى هذا الموضع وقبل الذهاب إلى منطقة أخرى .
- (١٨) يبدى استاتيوس عذره لإقحامه هنا على الشرح لأنه لا يستطيع أن يرفض لفرجيليو مطلباً . وهذا تعبير عن احترامه وإعزازه لفرجيليو .
- (١٩) يوجه استاتيوس كلامه الآن إلى دانتى .
- (٢٠) هناك بعض الشبه بين هذا التعبير وما ورد فى « الكتب المقدس » Prov. II.
- (٢١) تناول الكلام عن الجسم والروح أرسطو وتوماس الأكويني
- Arist. De Gener. Animal. I. 18-19; II. 1-4.
- d'Aq. Sum. Theol. I. CXVIII., CXIX.
- (٢٢) الدم النقى أو الكامل يعنى المنى . وأشار دانتى إلى التوالد البشرى فى « الوثيمة »
- Conv. IV. XXI. 4-5.
- (٢٣) يعد المنى دماً نقياً لأنه خال مما يلونه باللون الأحمر ، ولا تشرب الشرايين هذا الدم النقى ، والشرايين ظمأى أو جائعة لأنها تمد أعضاء الجسم بالغذاء ، ولذا فهى فى حاجة إلى التعويض - كما عند أهل العصر
- (٢٤) يبقى الدم النقى كالغذاء الذى لم يمسه الآكلون فيرفع عن المائدة ، والمقصود أنه يذهب إلى المكان المخصص له .
- (٢٥) أى أن الدم النقى ينال من القلب القوة القادرة على أن تشكل أعضاء الجسم وتمنحها خصائصها المميزة
- (٢٦) يجرى سائر الدم فى الشرايين ليبنى أعضاء الإنسان .
- (٢٧) بعد المزيد من التنقية - يعنى بعد عمليات الهضم والتمثيل والتحول والدفع فى المعدة والكبد والقلب يهبط الدم النقى إلى الخصيتين ، ويذكرها دانتى بالتلميح دون التصريح - بحسب معرفة أهل العصر
- (٢٨) يعنى يدخل المنى فى المهبل أو فى الرحم .
- (٢٩) كانت الفكرة السائدة منذ القرن ٣ ق. م. هى أن دور المرأة فى الإنجاب دور سلبي محض بتلقيها منى الرجل فى الرحم واختلاطه بدمها الحيض . وتغيرت هذه الفكرة حينما أثبت العلم الحديث تلقيح حيوان الذكر المنوى لبويضة الأنثى التى يفرزها المبيضان إلى الرحم
- (٣٠) يعنى قلب الرجل الذى ينبثق منه الدم النقى - أو الذى سيصنع منه المنى
- (٣١) المقصود حينما يتحد دم المرأة بدم الرجل .
- (٣٢) عندئذ يتجمد السائل ثم تبعث فيه الحياة وأفاد دانتى فى هذا بما كتبه توماس الأكويني
- d'Aq. Sum. Theol. III. XXXIII.
- (٣٣) يعنى حينما تنشأ النفس فى ذلك المزيج من دم الرجل ودم المرأة - بحسب معرفة أهل العصر . وهذه هى النفس النامية
- (٣٤) أى أن نفس الإنسان تكون فى بداية تكوينها على حين تكون نفس النبات قد اكتملت تكوينها
- (٣٥) لفطر البحر حركة وإحساس ولكن فى أدنى صورهما .

- (٣٦) يعنى تتكون أعضاء الحس فى الخارج والباطن ، يعنى تنشأ النفس الحاسة .
- (٣٧) أى يستمر تكوين أعضاء الجسم بإمدادها بما هو ضرورى لها .
- (٣٨) يعنى لا يعرف كيف يتحول هذا الكائن فى بطن أمه من حيوان إلى إنسان ، يعنى كيف تنشأ النفس العاقلة
- (٣٩) يقصد ابن رشد الذى أخذ برأى أرسطو ، ومكانه فى اللبوس Inf. IV. 144.
- (٤٠) يرى ابن رشد فى شرحه لكتاب النفس لأرسطو (كتاب ٣) أن المخ فى الحيوان والإنسان عضو النفس الحاسة وأن العقل الفعال ليس له عضو خاص به فى الإنسان لأنه إذا كان كذلك فإنه يكون عرضه للفساد والعقل الفعال عنده هو قوة إلهية علوية شاملة وليست خاصة بالأفراد كل منهم على حدة . وقد عارض توماس الأكويني هذا الرأى
- ابن رشد ، أبو الوليد تلخيص كتاب النفس . نشره أحمد فؤاد الأهوانى . القاهرة ، ١٩٥٠ ص ٦٦ - ٩٥
- d'Aq. Sum. Theol. I. LXXVI. 2; LXXIX. 5; CXVII. 1; CXVIII. 2.
- (٤١) يلفت استاسيوس نظر دانتى لكى يتبته إلى ما سيقوله . وميأتى فى الفردوس ما يشبه هذا التعبير
- Par. V. 40.
- Par. I.
- (٤٢) أى الله كما سيأتى فى الفردوس
- (٤٣) يعنى أن الله ينظر بابتهاج إلى عملية الخلق والتكوين .
- (٤٤) هذه هى النفس العاقلة
- (٤٥) استخدم دانتى لفظ (repleto) من اللاتينية بمعنى ممتلئ*
- (٤٦) أى مادة المخ بخصائصه التى لا تفسر تماماً حتى الآن
- (٤٧) يعنى يصنع الله نفساً تشتمل عناصر النفس النامية (vegetativa) النفس الحاسة (sensitiva) والنفس العاقلة (intelletuale)
- (٤٨) أى يتكون الإنسان من وحدة مكتملة من جسم ونفس نامية حاسة عاقلة
- (٤٩) يستعين استاسيوس فى شرحه بمثال عن صنع النبيذ الذى يحدث باتحاد أشعة الشمس الغير المادية بمادة عصير الكروم . والمقصود أن عناصر النفس النامية الحاسة العاقلة تكون باتحادها النفس المكتملة فى الإنسان
- (٥٠) يعنى أن الإنسان يموت حينما ينتهى خيط الكتان الذى تغزله له لاخسيس إلهة القدر ، وسبقت الإشارة إليها
- Purg. XXI. 25.
- (٥١) القوة البشرية هى القوة النامية والقوة الحاسة
- (٥٢) القوة الإلهية يقصد بها القوة العاقلة
- (٥٣) أى أنه بالموت تنتهى القوى الحاسة التى تعتمد على أعضاء الجسم
- (٥٤) يعنى أنه بالموت لا يتوقف عمل القوى أو الملكات التى تعتمد على النفس العاقلة ، بل تصبح أقوى مما كانت عليه فى أثناء الحياة وفى هذا إشارة إلى ما سبق
- Purg. IX. 16-18.
- (٥٥) أى تسقط النفس الآثمة على شاطئ* أكبر ونقى وتسقط النفس الصالحة عند مصب التيار
- Inf. III. 70-122.
- Purg. II. 100-105.

- (٥٦) يعنى تعرف النفس مصيرها وهل فرض لها الله الخلاص أو اللعنة والعذاب
 (٥٧) أى حينما تذهب النفس إلى المكان الملائم لها عند شاطئ أكير وثنى أو مصب النهر
 (٥٨) يعنى أن القوة المشكلة (virtu informativa) - ويقصد بها مجموع النفوس النامية والحاسة
 والعاقلة - تشع بالصورة التى كان عليها الإنسان فى أثناء حياته
 (٥٩) هذه صورة مستمدة من بعض مظاهر الطبيعة ، حينما تنعكس أشعة الشمس على الجو المشبع بالبخار
 فيظهر قوس قزح والغير هنا يعنى الشمس .
 (٦٠) أى أن النفس التى تبقى هناك - أى التى لا تموت أبداً - تتخذ صورة الجسم الذى كان يحتويها
 فى أثناء الحياة والمقصود أن أثر القوة المشكلة على النفس أو الروح هو كآثر الشمس فى
 تلوين الهواء بقوس قزح عندما يكون مشبعاً بالبخار
 (٦١) يعنى أن الصورة الجديدة فى العالم الآخر تتبع روحها إلى كل مكان تنتجه إليه
 (٦٢) هذه صورة مأخوذة من ملاحظة حركة النار . وفى الفردوس إشارة إلى حركة النار الدائمة

Par. I. 141.

- (٦٣) الشيخ هو الصورة الجديدة المرئية
 (٦٤) يتخذ الشيخ صورة الإنسان بكل أعضائه حتى العينين وحاسة النظر هى أشرف الحواس عند
 توماس الأكويني d'Aq. Sum. Theol. I. LXXXVIII. 3.
 (٦٥) هكذا تتكلم الأشباح وتضحك وتبكي وتتنهد كما رأى دانتي وسمع من قبل ويقرب هذا من قول
 فرجيليو Virg. Æn. VI. 733.
 (٦٦) أى يأخذ الشيخ الشكل الذى يناسب الرغبات والمشاعر التى تساوره ، وتتخذ النفس فى حركاتها
 من الهواء ما كانت تتخذه من مادة الجسد فى أثناء حياتها ولفظ (affetti) يعنى هنا
 المشاعر بصورة عامة
 (٦٧) سبق أن أبدى دانتي دهشته فى بيتى ٢٠ و ٢١
 (٦٨) يعنى تعبير (ultima tortura) آخر دائرة للعذاب ويرى بعض الشراح أن دانتي يعنى آخر
 طريق منحرف أو منعطف والمقصود الإفريز السابع آخر حلقة للتطهر
 (٦٩) سار الشعراء الثلاثة وقد استرعى انتباههم النار المتأججة أمامهم وفكروا كيف يتجنبونها
 (٧٠) اندلعت النار من جانب الجبل ، واستخدم دانتي فعل (balestrare) بمعنى يطلق الصهم من
 القوس والنار هنا رمز لشهوة الجسد
 (٧١) هبت ريح من طرف الإفريز الذى سار عليه الشعراء الثلاثة وسبق أن استخدم دانتي لفظ
 Inf. V. 42. (fiato) الذى عبر به عن عصفه الريح
 Purg. XI. 100.
 (٧٢) أبعدت الريح النار الصادرة عن جانب الجبل وبذلك أفسحت طريقاً لمرور الشعراء . وهذه هى
 المرة الوحيدة التى يستخدم فيها فعل (sequestrare) بمعنى يبعد .
 (٧٣) أى كان عليهم أن يسيروا على حافة الإفريز فى ناحية الجبل المفتوحة التى تطل على الهاوية
 وسبق أن عبر دانتي عن هذا المعنى بطريقة أخرى
 Purg. XIII. 81.
 (٧٤) هكذا تصور دانتي الخطر الجسيم الذى يهدده فى الجانبين ، وإن كانت النار لن تصيبه بأذى .

- (٧٥) حذر ثرجيليو دانتي من السقوط لأن أقل خطأ كان من شأنه أن يعرضه للهلاك ، وكان دانتي كأنه جواد يسير ويعرضه للسقوط أصغر خطوة في غير موضعها
- (٧٦) هذا نشيد كنسى يرتل في صلاة السبت ، وهو دعاء يتلوه مرتكبو خطايا الجسد وهذا مثال عن الدعوة إلى التطهر
- (٧٧) ورد في الأصل تعبير معناه أن دانتي يسمعه ذلك النشيد لم يكن أقل حرصاً على الإلتجاء إلى قلب النار كما كان عليه من الحرص على تجنب الخطر في سيره ، حينما كان يخشى النار في جانب والسقوط في الجانب الآخر كما سبق في بيتي ١١٦ و ١١٧ وبدلاً من التعبير بنفى النفي أوردت تعبير الإثبات
- (٧٨) أخذ دانتي ينظر تارة إلى الأرواح التي تمشى وسط اللهب وينظر طورا إلى الطريق الضيق وهو يخشى السقوط في الهاوية معرضاً نفسه للهلاك
- وعذاب شهوة الجسد بالنار في آخر هذه الأنشودة وفي الأنشودتين ٢٦ و ٢٧ يشبه بعض ما ورد في تراث الإسلام من أن عذاب النار عقاب عام للكفار . والتشابه قائم في العقوبة وإن اختلف في تطبيقها على مرتكبي المعصية
- المهندس كنز العمال (المصدر السابق الذكر) ص ٢٤٦ أرقام ٢٨١٠ و ٢٨١٤ و ٢٨١٥ و ٢٨١٦
- السمرقندى قرة العيون (المصدر السابق الذكر) . ص ٥ - ٨ .
- (٧٩) هذا مثال آخر عن العفة والطهارة ذكره المتطهرون بعد ختام النشيد المشار إليه ، وهو مأخوذ من قول العذراء ماريّا كما ورد في « الكتاب المقدس Luca, I. 34.
- (٨٠) ترقل الأرواح النشيد بصوت خفيض كأنهم يختمون الصلاة .
- (٨١) ديانا (Diana) ربة الصيد عند الرومان طردت هيليس (Helice) - إحدى حورياتها - من الغابة المقدسة لأنها خرجت على حياة العفة والطهر وأنجبت ولداً من جوبيتر كبير الآلهة وسم فينوس (Venus) إلهة الحب هو السم الخاص بالحلب الغير الشرعى وهذا مثال آخر للدعوة إلى حياة العفة والطهر . وأورد أوفيد يوم هذه الأسطورة Ov. Met. II. 401-530.
- (٨٢) تابعت الأشباح ترتيبها وذكرت أسماء عدد من النساء والرجال الأعفاء الأطهار . وهذا تقابل بين الرذيلة والفضيلة
- (٨٣) المقصود أنهم استمروا يذكرون على التوالي شيئاً من الترتيل ثم شيئاً من أمثلة العفة والطهارة ويمكن أن تكون الترجمة هنا (وأعتقد أن هذا الأسلوب يكفيهم طوال الوقت الذي يحترقون فيه بالنار)
- (٨٤) يعنى بالإحترق بالنار .
- (٨٥) أى بما تبعهم الإنشاد والترتيل وذكر أمثلة من حياة الطهر والعفة
- (٨٦) يعنى تنطهر أرواحهم من خطايا الجسد ويرى بعض الشراح أن تعبير (da sezzo) صفة للجرح وبذلك يمكن أن يعنى الأخير وعلى هذا فقد تكون الترجمة كالآتي (ينبغي أن يلتئم جرحهم الأخير - أو آخر جروحهم)

الأنشودة السادسة والعشرون^(١)

سار الشعراء الثلاثة الواحد أمام الآخر ، وظهر ظلّ دانتى على النار المشتعلة فازدادت توهجاً ، فالتفت الأشباح إلى هذه الظاهرة الغريبة ، واتجهوا إلى دانتى وهم حريصون على البقاء فى نطاق النار قال له جويدو جوينتزلى إنه وجماعته متعطشون إلى معرفة السبب فى انعكاس ظله على النار ، وعاق دانتى عن الإجابة رؤيته جماعة أخرى تسير داخل النار فى اتجاه مضاد ، وأخذ أفراد الجماعتين يقبلون بعضهم بعضاً قبيلات خاطفة كالتلحى حينما يلمس بعضه بعضاً عند تقابله .

وصاحت الجماعة الثانية — الملوطن — باسم سدوم وعمورة ، وصاحت الجماعة الأولى — مرتكبو الزنا — بما فعلته پاسيقى مع الثور ، وانفصلت الجماعتان وأخذتا فى الإنشاد والبكاء والصياح قال دانتى إنه جاء إلى المطهر بحسبه الحى بفضل النعمة الإلهية واستفسر دانتى عن شخص من كان يتحدث إليه ، فأوضح المتكلم خطيئة الجماعة الأولى فالثانية ، ثم أفصح عن شخصه بأنه جويدو جوينتزلى . فاتجه دانتى إليه واعتبره كأب له ولسائر الشعراء فى المدرسة الفلورنسية الحديثة الذين نظموا الشعر العذب الرقيق ، وظل دانتى ينظر إليه متفكراً بدون أن يلمس النار ، ثم أعرب عن استعداده لخدمته ، وقال إنه حرص على الكلام معه لشعره العذب الذى سيجعل الخبر المدون به عزيزاً بقدر بقاء اللغة الحديثة وأشار جوينتزلى إلى أرنو دانييل شاعر التروبادور البروفنسى ، وقال إنه فاق الجميع فى شعر الحب ، وسأل دانتى أن يصلى من أجله أمام السيد المسيح ، واختفى جوينتزلى فى النار كاختفاء السمكة فى الماء وقال أرنو لدانتى إنه يبكى من أجل الخطيئة ، وإنه يتطلع إلى السعادة المقبلة ويرجو دانتى أن يصلى من أجله ، ثم اختفى فى النار التى تطهره

- ١ بينما كنا نسير على حافة الإفريز ، أهدنا أمام الآخر (٢) ، وردّد أستاذى الطيب قوله لى « خُذ الحذر ، وعسى أن تُفيد بتنبئى إياك (٣) » ؛ -
- ٣ أصابت الشمس يمى كَتَفِيَّ (٤) ، وبإشعاعها أحالت أرجاء المغرب من لونه اللازوردى إلى اللون الأبيض (٥) ؛
- ٧ وبظلى جعلتُ شعلة النار تبدو أشدّ حمرة (٦) ، ورأيتُ أشباحاً كثيرةً تتطلع في مسيرها إلى هذه الظاهرة فحسب (٧)
- ١٠ وكان ذلك هو ما حملها على أن تأخذ في الحديث عني (٨) ، فشرعت تقول « لا يبدوّن هذا الآتى ذا جسد وهى (٩) ». .
- ١٣ ثم دنا بعضها منى قدر استطاعتها ، وهى حريصة دوماً على أن تظل حيث تحرقها شعلة اللهب (١٠)
- ١٦ « أيها السائر فى إثر الآخرَيْن (١١) ، لا بُطاً بل ربما احتراماً لهما - هلاًّ تعجيبى - أنا الذى أحترق بالنار والعطش (١٢) ؛
- ١٩ ولست الوحيدة التى أرغب فى أن أنال منك جواباً (١٣) ؛ إذ أن هؤلاء جميعاً أشدّ ظمأً إليه من الهندى أو الإثيوبيّ إلى الماء البارد (١٤) .
- ٢٢ ولتُخبرنا كيف يحدث أن تصنع من نفسك جداراً قبالة الشمس (١٥) ، كأنك لم تخطُ بعدُ إلى شباك الموت .
- ٢٥ هكذا شرع أحدها يخاطبى ؛ وكنت سأفصح عن شخصى ، لو لم أكن قد انتهت لشيء آخر عجيب بدا لى عندئذ (١٦) ؛
- ٢٨ إذ جاء فى وسط الطريق الملتهب قومٌ ، اتجهتُ إلى هؤلاء وجوهمهم ، فجعلوني معلقاً بالتطلع إليهم (١٧) .
- ٣١ وهناك أرى فى كلا الجانبين كلَّ شَيْخٍ يُسارع بدون تَكَلُّبٍ إلى لثم الآخر (١٨) ، راضياً بهذا الترحاب الخاطف (١٩)
- ٣٤ وهكذا يفعل النمل فى صفوفه الدّكّاء (٢٠) ، حينما تلتقى أفواه بعضها ببعض ، ربما لكى تتلمّس طريقها أو لتعرف طالعها (٢١)
- ٣٧ وحينما ينتهى أولئك من ترحابهم الصدوق ، وقبل أن يتقدّموا بأولى خطّاهم ، يجهد كلٌّ منهم نفسه فى الصباح بأعلى صوته (٢٢)

- ٤٠ وتقول الجماعة التي جاءت أخيراً « سدوم وعموره (٢٣) » ، وتقول الجماعة الأخرى (٢٤) : « تدخل بإسبى فى جوف البقرة ، لكى يهرع الثور اليافع لإطفاء شهوتها (٢٥) »
- ٤٣ وكالكراكى (٢٦) ، التى يطير جزءٌ منها صوب جبال ريفان (٢٧) وجزءٌ نحو رمال الصحراء (٢٨) ، فيتحاشى هؤلاء بردَ الصقيع وأولئك حرارةَ الشمس (٢٩) ،
- ٤٦ هكذا تذهب جماعةٌ وتأتى أخرى (٣٠) ، ثم يعودون باكين إلى ترديد أناشيدهم السابقة ، وإلى الصياح بما هو أخلق بهم وأجدر (٣١) ؛
- ٤٩ وكما حدث من قبل ، اقرب متى أولئك الذين كانوا قد اتجهوا نحو متسائلين (٣٢) ، وبدا فى أعينهم حرصهم على أن يستمعوا إلى (٣٣)
- ٥٢ وأنا الذى كنت قد تبينتُ رغبتهم البهيجة هاتيك المراتين (٣٤) ، بدأتُ قائلاً « أيتها النفوس الواثقة من نيل السلام — متى يحين أوانه (٣٥) —
- ٥٥ إن أعضاء جسدى لم تبقَ ناقصة النمو ولا مكتملةً فى ذياك الجانب ، ولكنها معى هنا بدمها ومفاصلها (٣٦) .
- ٥٨ وإنى لصاعدٌ فى هذه الطريق لكى أزيل الغشاوةَ عن بصيرتى (٣٧) : وفى الأعلى سيدةٌ تنال لى النعمة (٣٨) ، التى أحمل بها إلى عالمكم جسدى القانى
- ٦١ ولكن قل لى — وعسى أن ترتوى عاجلاً أشدَّ رغباتكم إلحاحاً — حتى تأويكم السماء المفعمة بالحبّة والممتدة إلى أطراف الفضاء (٣٩) —
- ٦٤ قل لى من أنت — لكى أدوّنه بعدُ فى صفحتى (٤٠) — ومن هذه الجماعة التى تمضى من وراء ظهوركم فى سبيلها نائية عنكم (٤١) ؟ »
- ٦٧ ولا يختلف ما يمتلك ساكن الجبل من الاضطراب إذْ يأخذه العجب ، وينعقد لسانه إذْ يتطلع ، حين يرد المدينة بطبعه الخشن الشرس (٤٢) —
- ٧٠ لا يختلف هذا عما بدا على وجه كلّ شبح مهم ؛ ولكن عندما تخلصوا من عجبهم — وسرعان ما يحدث ذلك لذوى القلوب الكبيرة (٤٣) —
- ٧٣ استأنف كلامه من سألنى من قبل (٤٤) : « طوبى لك يا من توسّق سفينتك بثمرّة الخبيرة من شواطئنا — حتى تموت على أفضل حال (٤٥) !

- ٧٦ لقد زلّ القوم الذين لا يسبرون في طريقنا^(٤٦) ، بما سمع به قيصر وهو ظافر ، لفظ " مَلِكِيَّة " يتردّد عالياً على الألسنة في مواجهته^(٤٧)
- ٧٩ ولذلك فإنهم يرتحلون لأتّمين أنفسهم صائحين " سدوم " - كما طرق سمعك - وبخجلهم يُنذكون ضرام اللهب^(٤٨)
- ٨٢ كانت زلتنا هي زلة هروما فروديتوس^(٤٩) ؛ ولأننا لم نتبع شريعة البشر^(٥٠) - باتباعنا - كالبهاثم - شهوة الجسد^(٥١) -
- ٨٥ فإننا - حين نفترق - نصيح لِعَارِنا باسم مَنْ جعلت من نفسها مطيّةً - في بطن البقرة المصنوعة من الخشب^(٥٢)
- ٨٨ وإنك لتعرف الآن فعالنا وما أوردنا موارد المعصية ؛ وإذا اتفق أنك في معرفتنا بأسمائنا راغبٌ ، فلا مجال الآن لذكرها^(٥٣) ، ولستُ بها خبيراً^(٥٤) .
- ٩١ ولكنني سأرضى رغبتك فيما يخصّتي إنني جويبدو جوينتتلى^(٥٥) : ولقد بادرتُ إلى التطهر لأنّى بلغتُ غايةَ الندم ، قبل حلول ساعتى الأخيرة^(٥٦) »
- ٩٤ وكما عاد الابنان لرؤية أمهما ، حينما استولى الحزن على ليكورجوس^(٥٧) ، هكذا فعلتُ - وإن كنت لا أبلغ مبلّغهما^(٥٨) -
- ٩٧ عندما أسمع أبى يُذكر اسمه^(٥٩) - والذي هو أبٌ لسائر مَنْ يفضّلونى^(٦٠) - بنظمهم أشعار المحبّة العذبة الرقيقة^(٦١) ؛
- ١٠٠ وسرتُ طويلاً وأنا أفكر وأتطلع إليه ، بدون أن أصغى لصوت أو أنطق بكلمة^(٦٢) ، وعاقنتى النار عن أن أزداد اقتراباً إليه^(٦٣)
- ١٠٣ وبعد أن أشبعتُ عيى من النظر إليه^(٦٤) ، أفصحتُ عن أهبتى للتفانى في خدمته ، بالقسم الذى يبعث الثقة في قلوب الناس^(٦٥)
- ١٠٦ فقال لى « إنك تترك في نفسى - بما أسمعك منك^(٦٦) - أثراً بالغ العمق شديد الوضوح - حتى لتعجز مياه لى عن محوه أو طمسه^(٦٧) »
- ١٠٩ ولكن إذا كانت كلماتك الآن بالصدق قد أقسمتُ ، فلتخبرنى بما يجعلك تُبدى لى محبتك فى كلامك ونظرتك^(٦٨) »
- ١١٢ فقلت له : « إنها أشعارك العذبة ، التى ستحفظ مِدادَها عزيزاً غالباً^(٦٩) طالما تحيا لغتنا الحديثة^(٧٠) »

- ١١٥ قال « إن هذا الذى أمّيزه لك بسبابتى يا أخى » - وأشار إلى روح تقدّمنا إلى الأمام - « كان أبرع منى نظماً فى لغته الأم »^(٧١)
- ١١٨ ولقد فاق الجميع فى شعر المحبة وفى نثر قصصه^(٧٢) ؛ ودعّ الحمقى يهرفون ، الذين يعتقدون أن شاعر ليموجس أعلى منه شأواً^(٧٣)
- ١٢١ وللشائعات يستجيب الناس أكثر من استجابتهم للحقيقة^(٧٤) ، وبذا يبنون لهم رأياً قبل أن يستمعوا لصوت العقل أو الفن^(٧٥)
- ١٢٤ وهكذا تأثّر بجويّتونى^(٧٦) كثير من القُدامى ، فأثروه وحده بآيات المديح من لسانٍ إلى آخر ، حتى غلبته فى عقول الكثيرين حقيقةٌ غيره^(٧٧)
- ١٢٧ وإذا كنت الآن مُنعماً بتلك الميزة العظيمة ، التى تُبّيح لك الصعود إلى ذلك الدير^(٧٨) ، حيث يستقرّ السيد المسيح رئيساً للمجمع^(٧٩) ،
- ١٣٠ فلستُستلّ أمامه من أجلى " أبانا الذى . ، بقدر ما نحتاج إليه نحن سكّان هذا العالم^(٨٠) ، حيث لم نعد نقوى بعدُ على ارتكاب الخطيئة^(٨١) »
- ١٣٣ ثم اختفى فى النار كسمكة تغوص فى أعماق الماء - ربما لكى يُفسح مجالاً لمنظّهٍ غيره كان يتبعه عن كثبٍ^(٨٢) .
- ١٣٦ فلدنوتٌ قليلاً إلى مَنْ أشير به إلى^(٨٣) ، وعبرتُ عمّا خالجنى من الرغبة فى أن أهيب لاسمه حَقِيقَةَ الترحاب^(٨٤)
- ١٣٩ فبدأ يقول عن طيب خاطر « إن طلبك الرقيق ليعث فى قاي المسرة حتى أجدنى غير مستطيعٍ ولا راغبٍ فى أن أخفى نفسى عنك^(٨٥) »
- ١٤٢ لأننى " أرزو " الذى أبكى وأسير مُنشدّاً^(٨٦) ؛ وإننى أتأمل فى جنون الماضى حزناً ، وأتطلع سعيداً إلى البهجة التى آمل أن أنالها فى غدٍ^(٨٧)
- ١٤٥ وباسم ذلك الفضل الذى يقودك إلى ذروة السّلم^(٨٨) - أرجوك الآن أن تذكر ألى فى الوقت المناسب^(٨٩) ! »
- ١٤٨ ثم توارى فى النار التى تطهرهم^(٩٠)

حواشي الأنشودة السادسة والعشرين

- (١) هذه أنشودة مرتكبي خطايا الجسد وهي مكملة للسابقة وتسمى أنشودة جويدو جوينتزل
- (٢) صار الشعراء الثلاثة واحداً أمام الآخر لضيق المسافة الخالية من النار . ويشبه هذا ما سبق
Inf. XXIII. 2-3.
- (٣) حرص فرجيليو على أن يحذر دانتي من خطر السقوط في الهاوية ، كما فعل دائماً في المواقف المماثلة .
- (٤) يعنى أن الشمس كانت تهبط - بحسب الحركة الظاهرة - في طريق الغروب ولذا ضربت أشعتها
الكثف اليمى لدانتي ، حسب سيره
- (٥) أى أن الساعة كانت بين الرابعة والخامسة بعد الظهر من يوم الثلاثاء ١٢ أبريل ١٣٠٠ ، ولهذا
تغير لون السماء
- (٦) حجب دانتي بحجسه أشعة الشمس على الجزء المقابل له من النار المشتعلة ، ولذلك ظهر هذا الجزء
أشد توهجاً من سائر أجزاء النار
- (٧) التفت الأشباح السائرون داخل النار إلى ما أحدثه ظل دانتي من الأثر في ذلك الجزء من النار ،
وهو ما لم يعهدوه من قبل
- (٨) أخذ الأشباح يتحدثون عن دانتي ، وهؤلاء هم من ارتكبوا خطيئة الجسد
- (٩) يعنى أدرك الأشباح أن دانتي إنسان حى . وهذه إشارة إلى ما ورد في الأنشودة السابقة
Purg. XXV. 94.
- (١٠) حاول بعض الأشباح الاقتراب من دانتي بدون الخروج من نطاق النار لأنهم حريصون على إتمام
تطهرهم في أقصر وقت ممكن . وسبق مثل هذا الموقف
- Purg. XIV. 124; XVI. 142 ; XVIII. 115; XIX. 139;
- (١١) المتكلم هو الشاعر جويدو جوينتزل .
- (١٢) المقصود بالمطش الرغبة في معرفة شخص دانتي وكيف جاء إلى هذا المكان وهو على قيد الحياة
Inf. XXVII. 24.
- ويشبه الكلام داخل النار ما سبق
- (١٣) يتكلم جوينتزل نيابة عن رفاقه المتعطشين إلى معرفة شخص دانتي
- (١٤) يقارن هذا الروح العطش إلى المعرفة هنا بمطش الهندى أو الإثيوبي الذى يعيش في البلاد الحارة
إلى الماء العذب المنعش . ولقد اعتبر جغرافيو العصر أن إثيوبيا هي أقصى حدود أفريقيا الجنوبية
في المنطقة الاستوائية
- (١٥) أى كيف ينعكس على النار المشتعلة ظل دانتي بحجسه الذى حجب أشعة الشمس
- (١٦) كان دانتي سيفصح عن شخصه لولا ظهور ما أثار دهشته . وهذا موقف اعتراضى مفاجئ قصد
به دانتي إلى إثارة انتباه القارئ وجعل الموقف يبدو حيا واقعيا . وسبقت مواقف مشابهة مثل
Inf. X. 52
- (١٧) هذه جماعة أخرى من مرتكبي خطيئة الجسد سارت في اتجاه مقابل للجماعة الأولى
- (١٨) قبل أفراد الجماعة الأولى أفراد الجماعة الثانية على وجه السرعة .

- (١٩) كان هذا التقبيل بمثابة عيد انقضى في لمح البصر واستخدم دانتي لفظ (festa)
- (٢٠) تصنع حشود النمل في سيرها خطأ داكن اللون
- (٢١) الحظ أو الطالع يقصد به ما سيجده النمل من القوت . وهذه صورة دقيقة مأخوذة من حياة النمل .
Virg. Æn. IV. 404
Ov. Met. VII. 624-626.
- (٢٢) حاول كل منهم الصياح بأعلى صوته ونطقوا بأمثلة عن خطايا الجسد
- (٢٣) الجماعة الثانية جماعة الملوثين ويذكرون مثال سدوم وعمورة . وورد ذكرهم في « الكتاب المقدس »
Gen. XVIII. 20; XIX. 1-25.
وفي الجحيم
Inf. XI. 50; XV. 16
- (٢٤) الجماعة الأولى هم من ارتكبوا خطيئة الزنا
- (٢٥) تذكر الجماعة الأولى (المقصود بالأخرى) مثال پاسينى زوجة مينوس التي ارتكبت الإثم مع الثور داخل البقرة المصنوعة من الخشب وسبق ذكرها وأورد أسطورتها فرجيليو وأوفيدويوس
Inf. XII. 13.
Virg. Æn. VI. 24-25.
Ov. Heroid. IV. 57.
Inf. V. 46-49; Purg. XXIV. 64-67.
- (٢٦) تكرر ذكر الكراكي
- (٢٧) جبال ريفان (Riphaean) سلسلة من الجبال الشاهقة عرفت بهذا الاسم في العصور القديمة في منطقة هيرالدون واتخذت في العصور الوسطى رمزاً للمناطق الشمالية الشديدة البرودة في أوروبا وآسيا وذكروها أوردوسيوس وفرجيليو وبروتيتو لاتيني
Oros. Hist. I. 2.
Virg. Georg. I. 240.
Lat. Trésor, I. 124.
- (٢٨) المقصود بالصحراء صحراء ليبيا في شمال أفريقيا
- (٢٩) لا يحدث طيران جزء من الكراكي شمالاً وجزء آخر منها جنوباً في وقت واحد ، إذ أن الطيور تهاجر في الربيع نحو الشمال لتجنب حرارة الصيف المقبل ، وتهاجر في الخريف نحو الجنوب هرباً من برودة الشتاء المقبل ، ولكن دانتي استخدم بخياله هذه الصورة على هذا النحو .
- (٣٠) يعنى يسير الملوثون في اتجاه يخالف اتجاه الشعراء الثلاثة على حين يسير مرتكبوا الزنا في اتجاههم .
- (٣١) أى ينشدون ويصيحون كما فعلوا من قبل
- (٣٢) هذا هو ما سبق حدوثه في بيت ١٤
- (٣٣) دلت أعينهم على رغبتهم في الاستماع إلى دانتي ، وهكذا يعبر دانتي بالحركة والمظهر عن بعض خبايا النفس ، وبذلك خرج على بعض تقاليد العصور الوسطى
- (٣٤) ترجع بهجتهم إلى ما ينتظرون سماعه من دانتي ويقصد بالمرتين الآن وقبل قدوم الملوثين كما في بيت ١٣ وما يليه
- (٣٥) يعنى بعد التطهر من الخطيئة .
- (٣٦) أى أن دانتي لم يمض بعد صغيراً ولا كبيراً بل جاء بحجمه وأعضائه الحية إلى المطهر .

(٣٧) فى الأصل (لكيلا أظل أعمى مزيداً) ، والمقصود أن دانتي جاء هنا لكي يتطهر ويكف عن العيش فى عالم الخطيئة

(٣٨) يرى أغلب النقاد أن المقصود بالسيدة هنا بياتريتشى ويرى بعضهم أنها العذراء ماريـا

(٣٩) يعنى سماء السماوات Par. XXX. 38

(٤٠) يحرضه دانتي على الكلام بذكره فى أشعاره

(٤١) هؤلاء هم الملوطنون والمقصود أنهم يسرون وراء ظهور الجماعة الأخرى (جماعة مرتكبى الزنا) وفى اتجاه مخالف لها وأضفت (فى سبيلها) لإيضاح المعنى

(٤٢) هذه صورة صادقة مأخوذة من ملاحظة سكان الجبال حينما يأتون إلى المدينة لأول مرة ، فتبدو على وجوههم علامـة الدهشة مثل رفع الحاجبين وفتح الفـم وقال دانتي (inurba) وهذا من صنعه

(٤٣) تزول سريعاً دهشة أصحاب القلوب الكبيرة ، وأشار دانتي فى « الويلة » إلى هذا المعنى Conv. IV. XXV. 5.

(٤٤) هو جويدو جوينتلى الذى تحدث إلى دانتي أولاً كما سبق فى بيت ١٦

(٤٥) جوينتلى يبارك دانتي الذى جاء لكي ينال التجربة والخبرة فيؤدى به ذلك إلى أن يعيش حياة صالحة ويموت على حال أفضل

(٤٦) أى الذين يسرون فى اتجاه مخالف لسير الشعراء الثلاثة هؤلاء هم الملوطنون

(٤٧) يظهر أن دانتي قد مزج هنا بين روايتين، أوردهما سيتونيوس أصلاً عن تلقيب قيصر بالملكة . فى المرة الأولى بمناسبة حياة الإباحة التى عاشها بعض الوقت فى شبابه فى بلاط نيقوميديوس ملك بيشنيا ، وفى المرة الثانية حينما أقيم احتفال فى روما بمناسبة انتصار قيصر فى بلاد الغال ، وكان من المعتاد أن يعربد الجند فى مثل تلك المناسبة وتطلق لهم الحرية للتعبير عما يحالـجهم من نشوة الظفر ، ولكيلا يدخل الغرور على قلب القائد المنتصر ، فتنموا باسم قيصر على أنه ملكة بيشنيا ولم يأخذ دانتي معلوماته عن سيتونيوس مباشرة ، بل أخذها عن طريق أوجوتشوف دايزا فى كتابه عن «الاشتقاقـات الكبيرة». وليس معنى ذلك أن دانتي اعتقد بقيام علاقة جنسية شاذة بين نيقوميديوس وقيصر ، لانه وضع قيصر فى اللبـو فى مقدمة الجحيم ، مع بعض عظماء العالمين القديم والوسيط ، ولا بأس بأن يتكلم دانتي هنا بهذه الطريقة الخيالية

(٤٨) يعنى أنهم بئسهم وصياحهم يجعلون بتطهرهم

(٤٩) فى الأساطير الرومانية اليونانية أن هرمافروديتوس (Hermaphroditus) ابن هرمس (عطارد) وأفروديت (فينوس) ورث عن أبويه الجمال الفائق ، فعشقته الحورية سالماثشى فى ينبوع سلاميس يقرب هاليكارناسوس ، وحاولت إغراءه بدون جدوى ، وأدى بها عشقها له إلى أن تحتضنه وهو يسبح عارياً فى ينبوع وتضرعت إلى الآلهة أن يتحد جسمها بجسمه أبداً ، فاستجابت لها الآلهة وصارا جسداً واحداً يجمع بين خصائص الذكر والأنثى . واتخذ دانتي من هذه الأسطورة رمزاً لشهوة الجسد وارتكاب الخطيئة مع الجنس الآخر لا مع الجنس ذاته والمقصود بهذا أن جوينتلى ينتمى إلى هذه الجماعة من مرتكبى الزنا وأورد أوفيدوس أسطورة هرمافروديتوس

Ov. Met. IV. 288-388.

(٥٠) ولكن هؤلاء ارتكبوا الزنا ضاربين صفحاً عن القوانين والشرائع .

- (٥١) عبر دانتى عن هذا المعنى فى « الوليمة »
 Conv. II. VII. 4.
- (٥٢) يقصد پاسيى التى ارتكبت الخطيئة كالبهيمه داخل البقرة الخشبية ، كما سبق فى بيتى ٤١ و ٤٢
- (٥٣) هذا لأن الشمس كانت تميل إلى الغروب والوقت ضيق
- (٥٤) لا يعرف جوينتزل أسماء رفاقه العديدين
- (٥٥) جويدو جوينتزل (١٢٣٠-١٢٧٦ ؟ Guido Guinizelli) من أسرة اپرنشيبي (Principi) فى بولونيا ، طرد من وطنه مع غيره من الجبلين فى ١٢٧٤ ومات فى المنفى ، وهو من أهم شعراء إيطاليا قبل دانتى ، ومن شعراء مدرسة بولونيا ، كما أنه يعد مؤسس مدرسة الشعر الفلورنسى الحديث ، ويمتاز بشعره العاطفى الرقيق .
- (٥٦) يتطهر جوينتزل من خطيئة الزنا وقلت (ساعتى الأخيرة) مراعاة للأسلوب العربى .
- (٥٧) هذه أسطورة هيبسبل (Hypsipile) ملكة لمنوس التى أسرها القراصنة وباعوها إلى ليكورجوس (Lycurgus) ملك نيميا الذى عهد إليها بالعتاة بطفله فأت بلدغة أفعى فحكم عليها بالموت ، وفيما هى تسير لتنفيذ حكم الإعدام فيها عرفها ابنها التوأمان من جاسون ، واندفعا إليها يعانقانها وأنقذاها واستصدرا أمر العفو عنها من ليكورجوس . وسبقت الإشارة إلى هذه الأسطورة وأوردها استاتيوس :
 Inf. XVIII. 91-95.
- Stat. Theb. V. 720
- (٥٨) أى هم دانتى أن يفعل كما فعل الابنان مع أمهما ولكن ليس إلى الحد الذى يجعله يدخل النار لعناق جوينتزل لأنه كان يخشى الاحتراق
- (٥٩) يقدر دانتى جوينتزل ويعزه كأب وأستاذ له
- (٦٠) ويده كأب ومعلم لسائر شعراء مدرسة بولونيا ومدرسة الشعر الفلورنسى الحديث الذين يفضلهم دانتى على نفسه ، مثل جويتوفى داريتزو وتشينو دا پستويا وجويدو كافالكاتى .
- (٦١) هكذا يحدد دانتى خصائص الشعر فى مدرسة فلورنسا
- (٦٢) هذا التفكير والتأمل والإستغراق دليل على الاحترام والإعزاز
- (٦٣) كان دانتى راغباً فى عناق جوينتزل ولكن حالت النيران دون ذلك
- (٦٤) كان دانتى يتغذى بالنظر إلى جوينتزل وهذا دليل على الاحترام والاجلال والمحبة .
- (٦٥) يعنى أقسم دانتى لجوينتزل باستعداده لخدمته وفى الأصل ورد لفظ (affermare) ويعنى التوكيد أو التوثيق .
- (٦٦) أى بما قاله له دانتى فى أبيات ٥٥ - ٦٠
- (٦٧) يعنى أن أثر القسم أو العهد لا تزيله مياه مهر ليتى - نهر النسيان
- Purg. XXVIII. 130; XXXI. 91 XXXIII. 91
- (٦٨) أى ما فات فى أبيات ١٠ - ١٠٥
- (٦٩) يعنى أن شعره الرقيق سيجعل المداد الذى دون به مداداً عزيزاً ثميناً .
- (٧٠) أى لهجة فلورنسا أو تسكانا التى أصبحت هى اللغة الإيطالية .
- (٧١) يشير إلى أرنو دانييل الشاعر الپروئنسى - وسباق ذكره بعد - واللغة الأم هنا هى لغة الپروئنس .
- (٧٢) لم يكتسب أرنو قصصاً فى الحب ولكن ربما أراد دانتى أن يقول إنه فاق غيره من الشعراء والنثرين .

- (٧٣) شاعر ليموجس (Limoges) هو جيرودى بورنى (Girault de Borneil) الشاعر البروفنسى الذى عاش فى أواخر القرن ١٢ وأوائل القرن ١٣
- (٧٤) فى الأصل (يتجه الناس بوجوههم) والمعنى واحد
- (٧٥) هكذا يعبر دانتى عن ميل الناس إلى الأخذ بالشائعات بدون التثبت من الحقيقة ويقرب هذا من قول بويتوس Boet. Cons. Phil. III. 6.
- (٧٦) جويتونى داريتزو (Guittone d'Arezzo) أحد شعراء مدرسة بولونيا الواقعة بين مدرسة صقلية ومدرسة فلورنسا وسبقت الإشارة إليه Purg. XXIV. 56.
- (٧٧) يعنى عرف الناس الحقيقة وفاقه غير فيما بعد
- (٧٨) الدير يقصد به الفردوس . وسبق مثل هذا التعبير Purg. XV. 57.
- (٧٩) المسيح هنا كرئيس الرهبان وأب للجماعة الطوباويين فى الفردوس
- (٨٠) المقصود بسكان هذا العالم أهل المطهر
- (٨١) يرجو جويتونى دانتى بأن يذكر الجزء المناسب من صلاة الأحد أمام السيد المسيح كما وردت فى الكتاب المقدس (متى ٦: ٩ .) ، يعنى أنه ليس فى حاجة إلى تلاوة الفقرة القائلة (لا تدخلنا فى تجربة) لأن الأرواح لا يمكنها أن تخضع لتأثير الشيطان ولا تستطيع ارتكاب الخطية ، وذلك لكى ينال النعمة الإلهية . وسبقت صلاة الأحد Purg. XI. 1-25.
- (٨٢) هذا تشبيه دقيق مأخوذ من ملاحظة حركة السلمك فى الماء .
- (٨٣) هذا ما فعله جويتونى من قبل فى بيت ١١٦
- (٨٤) هذا تعبير رقيق يدل على الترحاب والخفاوة بشخص عزيز
- (٨٥) يرد أرنو رداً رقيقاً ويقول إنه لا يستطيع إخفاء شخصه عن دانتى ، ويتكلم بلغة البروتنس ، وتبدو هذه الأبيات بهجة رقيقة بحركاتها الخفيفة
- (٨٦) أرنو دانييل (Arnault Daniel) أحد شعراء التروبادير البروفنسيين ظهر شعره فى الفترة الواقعة بين ١١٨٠ و ١٢٠٠ وينتمى إلى أسرة ريبيرك النبيلة من منطقة بيريجورد - فى مقاطعة دوردوني الحالية - قضى بعض الوقت فى بلاط ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا وكان يسميه ملك دوفر . وزار باريس حيث حضر تنويع فيليب أغسطس ، وقصد إلى أسبانيا وربما زار إيطاليا . وبقيت بعض أشعاره التى كتبها بأسلوب تقليدى يسوده الغموض . ولا يتفق المحدثون مع دانتى فى تقييم شعره ، ربما لضياح أغلبه ، وقد أيد پتراركا دانتى فى تقديره لشعر أرنو : De Vulg. Eloq. II. 2, 6, 10, 12.
- Pet. Trionfo d'Amore, IV. 38-42.
- (٨٧) لا يذكر أرنو سوى خطيئته وأمله فى بلوغ مراتب السعادة الطوباوية
- (٨٨) أى القوة الإلهية التى تقوده إلى أعلى المطهر .
- (٨٩) يعنى يسأل دانتى أن يصل من أجله فى الدنيا لكى يقص زمن تطهره .
- (٩٠) هكذا كان أرنو حريصاً على التطهر فى النار المحرقة .

الأنشودة السابعة والعشرون^(١)

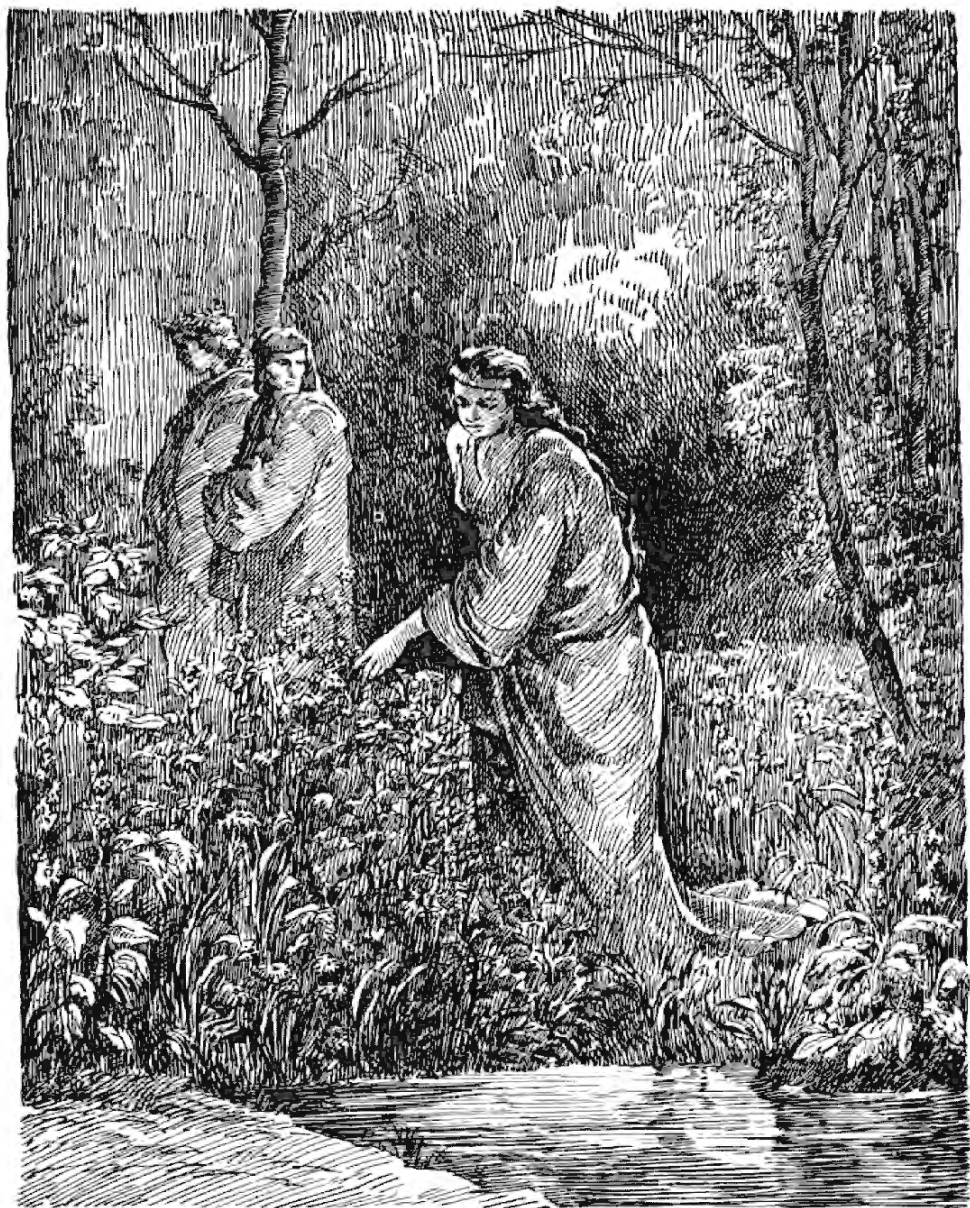
كانت الشمس آخذة في الغروب حينما سمع دانتى ملاك العفة والطهارة حارس الإفريز السابع يتغنى بمباركة الأنقياء القلب ، وأفاد الشعراء الثلاثة بضرورة عبورهم منطقة من النار ، فتولّى دانتى الخوف ، فقال له فرجيليو إن هذه النار قد تعذبه ولكنها لن تقتله ، وذكره ببعض المخاطر التي أنقذه منها من قبل ، وقال إن النار لن تنزع منه شعرة واحدة ، ودعا لأن يطرح مخاوفه ويدخل النار آمناً ولكن دانتى ظلّ واقفاً مضطرباً ، فقال له فرجيليو إنه لم يعد بينه وبين بياتريتشى سوى هذه النار ، فزال عن دانتى الخوف وتقدم فرجيليو يتبعه دانتى ومن ورائهما سار استاتيوس ، وأحس دانتى بشدة النار ، ولكن فرجيليو أخذ يحدثه عن بياتريتشى لكي يشجعه ويساعده على الاحتمال وسمع الشعراء الثلاثة الملاك حارس السلم الذي يؤدي إلى الفردوس الأرضي يرتل بعض الآيات ، فخرجوا بسماع صوته من النار وصعد الثلاثة على بعض درجات السلم حينما غربت الشمس فنام كل منهم على إحدى درجاته ، وفي الليل صار دانتى كالعنزة في حراسة راعيين ، وأخذ النوم بينما كان يفكر وينظر إلى النجوم وقبيل فجر الأربعاء (١٣ أبريل ١٣٠٠) رأى في الحلم لَيْسَةَ (لِيَا) تغنى قائلة إنها تصنع لنفسها إكليلاً من الأزهار ، وإن أختها راحيل حريصة على النظر في مرآتها إلى عينيها الجميلتين وبطلوع النهار استيقظ الشعراء الثلاثة ، وسارع دانتى إلى متابعة الصعود ، وحدته فرجيليو حديث الوداع — دون أن يشعر بذلك — قائلاً إنه قاده حتى هنا وإنه أصبح الآن بغير حاجة إليه بعد أن تطهرت نفسه ، وسوف تأتى إليه بياتريتشى ، وإن إرادته قد أصبحت حرة نقية ، وبذلك جعله سيد نفسه .

- ١ وكما عندما تُرسل الشمس أولى أشعتها (٢) ، حيث (٣) أراق دمه صانعُها (٤) ،
بينما يقع سحر الإبرو تحت برج الميزان وهو في أعلى سمته (٥) ،
- ٤ وحين تغلى أمواج الكنج عند الظّهيرة (٦) — هكذا كانت الشمس في
مستقرّها ، وعندئذ أخذ النهار يولّ (٧) ، حينما تبدّى لنا ملاك الله بوجهه
البشوش (٨)
- ٧ ووقف على الشاطئ خارج اللهب ، وأخذ يرتّل ” طوبى للأتقياء القلب ! “ (٩)
بصوت فاقت أنغامه كلّ ما يصدر عن البشر (١٠)
- ١٠ ولما اقتربنا إليه قال لنا « لا يمكنكم السير قُدماً أيّها النفوس المباركة ،
بدون أن تحترقوا بالنار (١١) ؛ فلتدخلوها ،
- ١٣ ولا تصمّوا آذانكم عمّا يُرتّل في الجانب الآخر (١٢) » ؛ ولذا أصبحتُ
— حينما سمعته — كمن يُلقي به في القبر وهو على قيد الحياة (١٣)
- ١٦ فانحنيتُ إلى الأمام بيدّين مضمومتين إلى صدرى (١٤) ، ونظرت إلى اللهب (١٥) ،
وتمثّلتُ في صور مجسّمة أجساد بشرية ، كنت قد رأيتهن من قبل يحترقون
في النار (١٦) .
- ١٩ واتّجه نحوى دليلاى الأميّنان (١٧) ؛ وقال لى فرجيليو « ربما ينال منك
العذاب ها هنا يا بُنى ، ولكنه لن يبلغ بك حدّ الموت (١٨)
- ٢٢ ألا فلتذكّر ، ألا فلتذكّر ! (١٩) إذا كنت قد قدتلك على ظهر جيرونى
في سلام (٢٠) ، فهاذا أنا صانعُك الآن ونحن أقرب إلى رحاب الله (٢١) ؟
- ٢٥ فلتنكّ وأثاقاً كلّ الثقة بأنك إذا بقيتَ في بطن هذه النار (٢٢) ألف سنة
كاملة ، فلن يمكنها أن تنزع إحدى شعراتك (٢٣)
- ٢٨ وإذا كنت تعتقد أنى ربما أخدعك — فلتقترب منها ولتعمل على التثبيت
من صحة قولى — واضعاً يديك على طرف ثوبك (٢٤)
- ٣١ والآن فلتندع عنك — فلتندع عنك كلّ مخافة ولتتّجه هنا ؛
ولتأت ، ولتدخل مطمئناً ! « ولكنى ظللتُ واقفاً على الرغم مما حفزنى
إليه ضميرى (٢٥)

- ٣٤ ولما رآني ما زلتُ واقفاً صلباً بدون حراك وقد تولّاني بعض الاضطراب ، قال لي « فلستعلم الآن يا بني أنه لم يعد بينك وبين بياتريتشى سوى هذا الجدار (٢٦) »
- ٣٧ وكما على اسم ثيسبي فتح بيراموس عينيه ونظر إليها ، وهو يوجد بآخر أنفاسه ، حينما اصطبغت ثمار التوت بحُمْرة الدم (٢٧) ؛ —
- ٤٠ هكذا تحوّلت صلابتي إلى اللين (٢٨) ، واتجهتُ إلى دليلي الحكيم ، وأنا أسمع رنين ذلك الاسم الذى لا يغيب عن ذاكرتي أبداً (٢٩)
- ٤٣ وعندئذٍ هزّ رأسه قائلاً « ما هذا ! أنبغى البقاء فى هذا الجانب (٣٠) ؟ » ؛ ثم ابتسم ، كما يفعل مَنْ يسترضى طفلاً بتفاحة (٣١)
- ٤٦ ثم سبقني إلى ورود النار ، ودعا استاتايوس أن يأتى فى إثرنا (٣٢) ، وكان قد باعد بيننا من قبل فى الطريق الطويل (٣٣)
- ٤٩ وحينما صرْتُ داخل النار ، تمنّيت لو كنتُ قد أُلقيتُ بنفسى فى زجاجٍ يغلى حتى أبترد ، إذْ كان الحريق هناك فوق كلِّ قياس (٣٤)
- ٥٢ ولكي يسرّنى عنى أبى الحبيب ، ظلّ فى مسيره لا يحدّثنى إلا عن بياتريتشى ، وقال لي « يبدو لي أنى أرى عينها ماثلتين الآن (٣٥) » .
- ٥٥ وسرنا على هدْمى صوتٍ كان يرتل فى الجانب الآخر (٣٦) ؛ ونحن الذين لم ننتبه لغير نبراته — خرجنا هناك حيث تبدأ مدارج الصعود (٣٧)
- ٥٨ « تعالوا يا مُباركى أبى (٣٨) » ، رنّت هذه الكلمات داخل نورٍ كان يتألق هناك ، فبهرنى حتى عجزتُ عيناى عن النظر إليه (٣٩)
- ٦١ وأضاف « إن الشمس آخذةٌ فى المغيب ، وها هو الليل مقبلٌ فلا تتوقفوا ، بل سارعوا الخطى قبل أن يُخيم الظلام على المغرب (٤٠) »
- ٦٤ واستقام الطريق مُصعّداً خلال الصخر فى اتجاه ناحية (٤١) ، حجبتُ عندها — قبّالتي — أشعةَ الشمس التى كانت قد آذانت بالزوال (٤٢)
- ٦٧ وما إن عالجنا الصعود على درجاتٍ قليلةٍ (٤٣) ، حتى أحسنا — أنا وحكماي (٤٤) — أن الشمس من ورائنا قد غربت ، بظلّتى الذى توارى عن الأنظار (٤٥)

- ٧٠ وقبل أن يتخذ الأفق لوناً واحداً في جميع أنحائه المترامية ، ويرى الليل سدوله على كل أرجائه^(٤٦) —
- ٧٣ جعل كل منا لنفسه فراشاً من إحدى درجات السلم^(٤٧) ؛ إذ حرمتنا طبيعة الجبل من قدرتنا ولذتنا في أن نغمض صُعداً^(٤٨)
- ٧٦ وكما تقف العنزات هادئة وهي تجتر العشب ، وقد كانت سريعة الجرى نشيطة على الرّوابي قبل أن تطعم^(٤٩) ،
- ٧٩ وتربض في الظل ساكنة حين تنهّج الشمس ، ويحرسها راعيها مرتكراً على عصاه ، ويرعاها وهو إليها مستند^(٥٠) ؛
- ٨٢ وكراعى البقر الذى يبيت في العراء ، ويقضى الليل هادئاً بإزاء قطيعه ، ويرقبه حتى لا يشتت شمله وحش مفترس^(٥١) ؛ —
- ٨٥ هكذا أصبحنا عندئذ ثلاثتنا جميعاً أنا كالعنزة^(٥٢) ، وهما كالراعيين^(٥٣) ، وقد أطبقت علينا في كلا الجانبين شاحق الصخرات^(٥٤)
- ٨٨ واستطعنا أن نتبين هناك قليلاً مما كان حوالينا بالخارج^(٥٥) ؛ ولكنى بذلك القليل رأيت النجوم أوضح وأكبر مما اعتادت أن تكون عليه^(٥٦)
- ٩١ وبينما كنت أتأملها وأمعن النظر فيها — غلبنى النوم^(٥٧) ؛ النوم الذى يتواتر إنباؤه عن الحوادث قبل وقوعها^(٥٨) .
- ٩٤ وأعتقد أنه ساعة أن أرسلت كثيرى أشعثها لأول وهلة من المشرق إلى الجبل^(٥٩) — كثيرى التى تبدو مستعرة بنار المحبة أبداً^(٦٠) —
- ٩٧ تراءى لى فى الحلم أنى أنظر صبية فى مستقبل العمر جميلة ، تسير فى روضة وتقطف من أزهارها^(٦١) ، وأخذت تترنم قائلة
- ١٠٠ « فليعلم كل من يسأل عن اسمى أنى لَيْسَتْ^(٦٢) ، وأننى أسير جائلة بيديّ الجميلتين فيما حوالى ، لكى أصنع لنفسى لكليلاً من الزهر^(٦٣) »
- ١٠٣ ولكى أبتهج أمام مرآتى^(٦٤) ، فإننى هاهنا أزين^(٦٥) ؛ ولكن راحيل شقيقتي لا تفارق مرآتها أبداً ، حيث تجلس قبالتها طيلة النهار^(٦٦) .
- ١٠٦ وإنما بالنظر إلى عينيها الجميلتين ولوعة^(٦٧) ، كولعى بأن أزين نفسى بيديّ ؛ وهى ترضى بالنظر أما أنا فبالعمل^(٦٨) »

- ١٠٩ وبظهور الضوء الذى يبزغ على المسافرين قبيل الفجر^(٦٩) ، فتبهج نفوسهم كلما اقتربوا من ديارهم ، وهم فى طريق عودتهم إليها^(٧٠) —
- ١١٢ انحسر الآن الظلام فى كل جانب ، وبذهابه زال عى الكرى ؛ وعندئذ هضتُ فرأيتُ أستاذى العظيمين قد سبقانى إلى النهوض^(٧١)
- ١١٥ « ستغنى اليوم من جوعيك — تلك الفاكهة الشهية ، التى يبذل البشر القانى عنايتهم فى البحث عنها ، بين الكثير من أفرع الأشجار^(٧٢) »
- ١١٨ وجهته إلى فرجيليو هذه الكلمات ؛ وما من جزاء عاد لها أبداً فيما بعثته فى نفسى من أمارات السعادة والبهجة^(٧٣)
- ١٢١ هكذا تواردتُ على رغبة فوق رغبة دفعتنى كلها إلى الصعود^(٧٤) ، حتى أحسستُ عند كل خطوة نموَّ أرياشى إلى الطيران^(٧٥)
- ١٢٤ وحينما اجتزنا من تحتنا كل مراحل السلم ، وأصبحنا فوق أعلى درجاته^(٧٦) ، حدّجى بعينه فرجيليو^(٧٧) ،
- ١٢٧ وقال « لقد رأيتَ يا بى النار الزمنية^(٧٨) والنار الأزلية^(٧٩) ؛ وجئتُ إلى موضع لا أتبين فيه بنفسى بعد شيئاً^(٨٠) »
- ١٣٠ لقد أتيتُ بك إلى هنا بحذق وفنى ، ولتتخذن الآن من بهجتك دليلاً لك^(٨١) : فإنك الآن خارج الطرق المنحدرة وبعيدٌ عن المسالك الضيقة^(٨٢) .
- ١٣٣ ولتتنظر إلى الشمس التى تشع على جبينك^(٨٣) ؛ ولتشهد الأعشاب الصغيرة والأزاهير والشجيرات ، التى تُنبئها بذاتها هذه الأرض^(٨٤)
- ١٣٦ ويمكنك الجلوس أو السير بين الأزهار^(٨٥) ، إلى أن تأتيك العينان الحميلتان — وهما مُشرقتان بالنعيم — واللتان حَمَلَتَانِ ببكائهما على الحىء إليك^(٨٦) ،
- ١٣٩ ولا تنتظرن متى مزيداً من الكلام أو الإشارة^(٨٧) ؛ فإن إرادتك الآن حرة مستقيمة خالصة^(٨٨) ؛ وستقع فى الخطأ إذا علمتَ بغير إلهامها^(٨٩)
- ١٤٢ ولذا فإنى أتوَجِّع على نفسك وأُكَلِّمُكَ^(٩٠) »



١١ - لينة تقطف الأزهار في الفردوس الأرضي
أنشودة ٢٧ ٩٧ - ٩٩

حواشي الأنشودة السابعة والعشرين

- (١) هذه تابعة لسابقتها وتسمى أنشودة ليئة (ليا)
- (٢) أضفت (الشمس) للإيضاح
- (٣) يعنى فى أورشليم . والمقصود أن الساعة كانت هناك السادسة صباحاً
- (٤) الصانع وهو الله الذى أريق دمه فى شخص السيد المسيح - كما فى عقيدة المسيحيين .
- (٥) نهر الإبرو (Ebro) فى أسبانيا رمز لحدود العالم المسكون فى المغرب عند أهل العصر ، ويقع على مسافة ٩٠ درجة غربى أورشليم فى اتجاه برج الميزان . والمقصود أنه حينما تكون الساعة فى أورشليم السادسة صباحاً يكون نصف الليل فى أسبانيا ، فى أبريل . ١٣٠٠
- (٦) أى أن الشمس كانت فى سمت الرأس فى نفس الوقت عند هر الكنج (Gange) فى الهند ولذلك تغلى أمواجه بفعل الحرارة الشديدة والكنج هو الحد الشرقى للعالم المسكون عند أهل العصر ويقع على مسافة ٩٠ درجة شرقى أورشليم . والمقصود أنه حينما تكون الساعة فى أورشليم السادسة صباحاً يكون الظهر قائماً فى الهند
- (٧) المقصود أنه حينما تكون الساعة السادسة صباحاً فى أورشليم فى نصف الكرة الشمالى تصبح السادسة مساءً فى المظهر فى نصف الكرة الجنوبى . وهذه هى الطريقة التى يحدد بها داتنى الوقت
- (٨) هذا هو ملاك العفة والطهارة حارس الإفريز السابع .
- (٩) هذا مقتبس من « الكتاب المقدس »
- Matt. V. 8.
- (١٠) كان الملاك يرتل بصوت عذب لا يحاربه فيه لإنسان من حيث الأوضوح والحرارة والقوة والحياة .
- (١١) يعنى لا بد من عبور هذه النار للتطهر من الخطايا ولتابعة الصعود بعد ذلك
- (١٢) دعا الملاك الشمرأ الثلاثة إلى دخول النار وكان هناك ملاك آخر يرتل كما سيأتى بعد فى أبيات ٥٥ - ٦٠ . وقد أجريت بعض التقديم والتأخير فى هاتين الثلاثيتين مراعاة للأسلوب العربى .
- (١٣) المقصود أن داتنى قد تولاها رعب شديد . وأضفت (على قيد الحياة) للإيضاح
- (١٤) أى أن داتنى انحنى صوب النار بيدين مضموستين
- (١٥) كان داتنى ينظر إلى النار فنظر الخائف المرتعد من الخطر المحدق ، ويحاول أن يسترجع شجاعته .
- (١٦) يعنى تصور داتنى الأشخاص الذين حكم عليهم بالموت حرقاً فى الدنيا
- Inf. XXIX. 110, 136...; XXX. 75.
- ويجمع داتنى فى هذه الأبيات الثلاثة بين الحركة المادية والخيال للتعبير عن الخوف . وهى فى الأصل من أجمل أبيات الكوميديا
- (١٧) الدليلان أو الرفيقان هما استاتيس وفرجيليو
- (١٨) يحاول فرجيليو أن يزيل مخاوف داتنى . وهذه نار تطهر ولا تقتل
- (١٩) يعنى يذكره بالمرات الكثيرة التى خلصه فيها من الأخطار فى أثناء زيارة الجحيم
- (٢٠) سبق أن حمل فرجيليو داتنى على ظهر جبريوفى
- Inf. XVII. 79 . .
- (٢١) أى سيكون أسهل عليه لأن تخليصه من الخطر وهو اقرب إلى الله

- (٢٢) يقصد بقوله بطن النار الموضع الذى تشتعل فيه على أشدها وتوجد صورة للمعذبين فى النار من عمل أندريا دا بولونيا من النصف الثانى للقرن ١٤ وهى فى كنيسة سان فرنشيسكو فى أسيسى
- (٢٣) يبين فرجيليو لدانتى أن لا خوف عليه من هذه النار ويشبه ما ورد عن عدم نزع الشعر ما جاء فى « الكتاب المقدس » Luca, XXI. 18; Atti, XXVII. 34.
- ويشبه هذا بعض ما ورد فى تراث الإسلام من حيث النجاة من أثر النيران القرآن الأنبياء ٦٨ و ٦٩
- (٢٤) يحمل فرجيليو لدانتى على أن يتأكد بنفسه بوضع يديه على طرف ثوبه وإدخالهما فى النار وسيرى أنه لا يحترق .
- (٢٥) على رغم محاولة فرجيليو إزالة مخاوف دانتى بكلامه العطوف وإرشاده وتذكيره بالمواقف السابقة التى أنقذه فيها من الأخطار فإنه ظل متردداً خائفاً أمام النار ، وإن حفزه عقله على طاعة ما طلبه إليه فرجيليو
- (٢٦) استعان فرجيليو بذكر بياتريتشى للتغلب على مخاوف دانتى وسبق مثل هذا الموقف Purg. VI. 49
- (٢٧) پيراموس (Pyramus) وثسبي (Thisbe) عاشقان بابليان تحابا على رغم اعتراض أسرتهما واتفقا على الحرب معاً وتواعدا على اللقاء عند شجرة توت ، وجاءت ثسبي أولاً واضطرت للاختباء عند ظهور ليوة ، ووصل پيراموس ووجد وشاحها ملطخاً بالدم فظن أنها ماتت فظعن نفسه ، وعادت ثسبي فوجدته يجود بأنفاسه الأخيرة ، فصاحت به ذاكرة اسمها ففتح عينيه ثم أغلقهما إلى الأبد فقتلت ثسبي نفسها ، وتحولت ثمار التوت بدمهما من اللون الأبيض إلى اللون الأحمر وأورد أوثيديوس أسطورتهم Ov. Met. IV. 55-166.
- (٢٨) عند ذكر بياتريتشى أطلع دانتى ما طلبه إليه فرجيليو
- (٢٩) استخدم دانتى فعل (rampollare) بمعنى ظهور النبات وانبثاقه والمقصود حضور اسم بياتريتشى فى ذهنه أبداً
- (٣٠) هز فرجيليو رأسه بعد أن تغلب على خوف دانتى بذكر اسم بياتريتشى
- (٣١) أى كان دانتى كالطفل الذى تحمله أمه على فعل ما تريده بتقديم تفاحة إليه
- (٣٢) دخل فرجيليو النار أولاً وطلب إلى استاسيوس أن يكون وراء دانتى ، للزيادة فى طمأنينته ولكى يمنعه من التراجع إذا حاول ذلك
- (٣٣) كان استاسيوس يسير قبل الآن وراء فرجيليو وأمام دانتى وبذلك فصل بينهما Purg. XXII. 127; XXIII. 7-8; XXIV. 119; XXV. 8-9, 115-116; XXVI. 1-2.
- (٣٤) يعنى كانت النار شديدة الاحتراق حتى بدا بالنسبة لها الدخول فى زجاج يغلى شيئاً منعشاً
- (٣٥) ظل فرجيليو يذكر بياتريتشى لدانتى لكى يشجعه على احتمال نيران المطهر ويذكر له عينها لكى يحى صورتها فى ذهنه
- (٣٦) هذا صوت الملاك حارس السلم المؤدى إلى الفردوس الأرضى ، وبسماعه اتجه الشعراء الثلاثة للخروج من النار ، ولقد سقت الإشارة إلى ذلك فى بيت ١٢
- (٣٧) أى الصعود إلى الفردوس الأرضى .

- (٣٨) يدعو الملاك الشعراء الثلاثة إلى الصعود بكلمات وردت على لسان السيد المسيح
Matt. XXV. 34.
- (٣٩) أشع هذا الملاك نوراً لم يقوداني على النظر إليه . ولم يقل داني إن هذا ملاك بل اكتفى بالتمبير عنه
بهذا النور الباهر ، ولم يمح منه هذا الملاك علامة آخر المعاصي بل محتها النار المتأججة
- (٤٠) استحثهم الملاك على الإسراع في الصعود قبل حلول الظلام
- (٤١) كان الطريق مخفوراً في الصخر ومتجها من الغرب إلى الشرق
- (٤٢) يعنى سار داني وظهه إلى أشعة الشمس التي أوشكت على المغيب
- (٤٣) أى صعدوا درجات قليلة من السلم .
- (٤٤) يعنى فرجيليو واستاتيوس .
- (٤٥) أى اختفى ظل داني على الصخر وهذا معناه اختفاء الشمس وراء الأفق .
- (٤٦) يعنى قبل أن يحل ظلام الليل تماماً ويحمل المكان كله في مظهر أو لون واحد ويرى بعض الشراح
أن بيت ٧٢ ربما يكون (وقبل أن يعمل الليل حسباً يمليه عليه طبعه أو هواه)
- (٤٧) اتخذ كل منهم موضعاً لنومه على إحدى درجات السلم ، والصورة مأخوذة من الحياة الواقعة .
- (٤٨) يقضى قانون المطهر بعدم السير ليلاً ، كما سبق
Purg. VII. 44, 55-57.
- (٤٩) هذه صورة أخرى مأخوذة من الحياة الواقعة . ويشبه هذا ما أورده فرجيليو :
Virg. Georg. IV. 10.
- (٥٠) لا تغفل عين الراعى عن ملاحظة قطيعه وهو مستند إلى عصاه
ويوجد حفر بارز للماشية والرعاة في كاتدرائية أريترزو ويرجع إلى القرن ١٤
- (٥١) هذه تفصيلات أخرى مأخوذة من حياة الرعاة
- (٥٢) جعل داني نفسه هنا كالعنزة التي تأكل وتنام .
- (٥٣) الراعيان هما فرجيليو واستاتيوس
- (٥٤) هذا لأن الطريق — كما أراده داني — كان متدا داخل الصخر
- (٥٥) هذا بسبب ارتفاع الصخر الذى جعل الرؤية غير سهلة
- (٥٦) ذلك بسبب نقاء الهواء في هذا الموضع المرتفع ، وهذا مستمد من خبرة داني بالمناطق الجبلية في
بعض أنحاء إيطاليا وعلى هذا فقد انتهى النهار الثالث لداني في المطهر ، وأصبح الشعراء الثلاثة
عند نهاية المطهر الحقيقي
- (٥٧) تعب داني من المجهود فنام وهو يفكر وينظر إلى النجوم
- (٥٨) أى النوم الذى يحلم فيه الإنسان قبيل النهار بما سيحدث ، وسبق هذا المعنى
Inf. XXVI. 7.
Purg. IX. 16-18.
- (٥٩) كيتريا (Cytheraea) اسم يروى لكوكب الزهرة (Venus) وهو اسم لجزيرة واقعة على مقربة
من رأس لاكونيا جنوبي اليونان وتقول الأسطورة إن الكوكب خرج من موضع قريب منها إلى
السماء ، وكانت الزهرة عندئذ في برج الحوت ومن بعدها الشمس في برج الحمل . والمقصود أن الزمن
كان قبيل الفجر حينما تصدق الأحلام وتكلم حيث فرجيليو عن كيتريا في أكثر من موضع
Virg. Æn. I. 257, 657; IV. 128; V. 800; ecc.
- (٦٠) وتكرر الإشارة إلى الزهرة بهذا المعنى
Purg. I. 19.
Par. II. 143-144.

- (٦١) هذه هي ليثة (ليا)
- (٦٢) ليثة (Leah) ابنة لابان الكبرى وزوجة يعقوب الأولى ، وكانت ضعيفة البصر ، وهي رمز للحياة الفعالة وورد ذكرها في « الكتاب المقدس »
Gen. XXIX. 16
- (٦٣) تجمع ليثة إكليل الزهر وهي جديرة به بفضل أعمالها الصالحة
- (٦٤) المرأة هنا رمز لله .
- (٦٥) تزين ليثة نفسها بالعمل الصالح لكي تصبح سعيدة في حضرة الله ، وهي رمز للحياة الفعالة
- (٦٦) راحيل (Rachel) أخت ليثة وزوجة يعقوب الثانية وأمتازت ببجالتها ، وهي تفكر في الله دائماً وهي رمز لحياة التأمل وسبق ذكرها في الجحيم ومكانها في الفردوس
Inf. II. 102; IV. 60. Par. XXXII. 7-9.
- وقد صنع ميكلائنجلو تمثالاً لليثة رمز حياة العمل وتمثالاً لراحيل رمز حياة التأمل إلى جانبي تمثال موسى الغاضب على شعبه ، في الضريح الذي أقامه للبابا يوليوس الثاني (١٥١٣ - ١٥١٦ وهو كائن في كنيسة سان بيتر وإن فنكولي في روما
- (٦٧) يعنى أنها حريصة على أن ترى نفسها منعكسة على الله خلال عينيها الجميلتين ومع أن دانتى يرمز بليثة وراحيل إلى الحياة الفعالة وحياة التأمل إلا أنه يضعهما في الصورة والحركة وضع الإنسان الحى المجسم
- (٦٨) عبر توماس الأكويني عن هذا المعنى
d'Aq. Sum. Theol. II. II. CLXXIX. 2; CLXXXII. 2, 4.
- (٦٩) هذا هو فجر الأربعاء ١٣ أبريل ١٣٠٠
- (٧٠) هذا تعبير عن حنين المسافر أو الحاج إلى وطنه وسبق أن عبر دانتى عن حنين المسافر بطريقة أخرى
Purg. VIII. 1-6.
- (٧١) استيقظ الشعراء الثلاثة بعد قضائهم الليل على درجات السلم
- (٧٢) أى أن دانتى سينعم اليوم بالسعادة الدنيوية ببلوغه الفردوس الأرضى والمقصود ببحث البشر بين أفرع الأشجار الكثيرة هو حرصهم على سلوك السبل المختلفة ، بالدراسة والعقل والتوبة والتطهر ، التى تؤدى بهم إلى السعادة والسلام ، ويرمز دانتى لذلك بالفاكهة أو التفاح
- (٧٣) هكذا أحس دانتى بالسعادة التى يوشك أن يبلغها
- (٧٤) يعنى أعلى جبل المطهر
- (٧٥) أصبح دانتى بتخلصه من الخطايا خفيفاً كأنه على وشك الطيران
- (٧٦) أى بلغوا مدخل الفردوس الأرضى.
- (٧٧) هذه هي نظرات الوداع بين الأستاذ والمريد وبين الشاعر والشاعر وبين روحين متحابين قطعاً معاً طريقتاً طويلاً مفعماً بالمشاهد المختلفة ، ومحاطاً بالمواقف المتنوعة ومليئاً بالصور والألوان والحركات الصادقة ، ويسوده عذاب الآثمين الأبدى في الجحيم وعذاب الآثمين التائبين المكفرين في المطهر الذين يأملون يوماً أن يصبحوا في زمرة السعداء وأى عالم هذا كله الذى عبره الشعراء معاً وقد سادهما الإنسجام والمحبة والرغبة في المعرفة تارة والغلب على المصاعب والأخطار تارة أخرى !
- (٧٨) يعنى بالنار الزمنية نار المطهر التى هي عذاب مؤقت .
- (٧٩) أى نار الجحيم

(٨٠) المقصود أن فرجيليو قاد دانتي في هذا الجزء من رحلته حيث يصلح العقل هادياً ومرشداً ، وسبق أن وعده بذلك
Inf. I. 112-123.

(٨١) يعنى ستكون الهبة التي يشعر بها دانتي الآن دليلاً له لكي يتابع سيره .

(٨٢) أى سيكون سهلاً خالياً من الأخطار بعد تطهر دانتي من الخطايا

(٨٣) كان الصبح قد أقبل وظهرت الشمس ، رمز الله ، وأصبح دانتي جديراً برؤيته بعد أن زالت علامات الخطايا من جبينه

(٨٤) يعنى التي تثبت بدون بذور وبدون عمل الإنسان . ويشبه هذا ما أورده أوغديوس و«الكتاب المقدس» :

Ov. Met. I.

Gen. II. 9.

(٨٥) أى إلى أن تأتى بياتريتشى يستطيع دانتي أن يجلس بين الأزهار لكي يفكر أو يسير فيها متأملاً

(٨٦) يعنى بياتريتشى التي سبق أن حملت فرجيليو وهي تبكى على الذهاب لإنقاذ دانتي من الوحوش

Inf. II. 116-117.

الثلاثة

(٨٧) سيظل فرجيليو مع دانتي حتى تظهر بياتريتشى في الأنشودة الثلاثين ، ولكنه سبق صامتاً ويكف

عن أن يكون دليلاً بعد أداء مهمته

(٨٨) يعنى أن إرادة دانتي تحررت من الرغبات الآثمة وتطهرت من أدران الخطايا وفى هذا إشارة إلى

Purg. I. 71.

ما سبق

(٨٩) أى من الصواب أن يعمل بوحى إرادته الطاهرة الخالصة من الآثام

(٩٠) يعنى كان فرجيليو قد جعل دانتي سيد نفسه بمعاونته في التخلص من الخطايا . والتتويج رمز السلطة

الزمنية والتكليل رمز السلطة الروحية . ويطبق فرجيليو الناحيتين معا على دانتي كفرد - وكروم

للشجر - وفى هذا إشارة إلى أثرهما معا في صلاح الفرد والمجتمع الإنسانى وعلى هذا النحو يهـى

فرجيليو حديثه كأستاذ ومعلم وأب ومرشد لدانتي بعد أن قاده خلال المصاعب والأخطار ،

وبعد أن علمه وشرح له ما غمض عليه وأزال عنه المخاوف ورفع روحه المعنوية ، وحرره من

المعاصى . وكلام فرجيليو موجز دقيق مؤثر . وهذه هى الحرية التي يسمي دانتي إلى أن ينالها البشر .

Inf. I. II. Theol. IV. 4.

وفى هذا إشارة إلى ما أورده توماس الأكويني

الأنشودة الثامنة والعشرون^(١)

سار دانتى وثيداً في الفردوس الأرضي ، وأحس فوق جبينه بالنسيم العليل الذي كان يميل بأفرع الأشجار بدون أن يزعج صغار الطير على أغصانها ، وكان صوت الهواء ترجيعاً لشدو الأطيوار ، وكانت تلك الصورة شبيهة بغابة الصنوبر الواقعة على شاطئ كياسى بقرب راقتا وتوغّل دانتى في الغابة المقدسة ورأى جدول لىّى وقد مالت مياهه الصافية بالأعشاب النابتة على ضفتيه وشهد دانتى في الناحية الأخرى من الجدول أرضاً نضرة مزدهرة ، في وسطها سيدة جميلة تغنى وتقطف شيئاً من الأزهار التى زينت كل طريقها ، فسألها أن تقترب منه في الناحية المقابلة من الجدول ، لكى يتمكن من سماع ترتيلها فسارت السيدة الجميلة — ماتيلدا — كأنها ترقص فوق الأزهار ، وأسبلت عينها الخفرتين ، فسمع دانتى شذوها العذب ، ثم جعلت من رفع عينها هبةً له ، وأخذت تبتسم وهي تجمع مزيداً من الأزهار وقالت ماتيلدا للشعراء الثلاثة إنهم جدد في هذا المكان ، وإنها مستعدة لإيضاح كل ما غمض عليهم قالت إن الله منح هذا المكان لإقامة الإنسان ، ولكنه بالخطيئة حوّل سعادته إلى بكاء وعذاب وقالت إن جبل المطهر — بعد باب المطهر الحقيقى — يزداد علواً صوب السماء حتى يصبح غير خاضع لمؤثرات الأبحر في الدنيا ، ولكن دوران السماء يحدث مثل هذا الهواء في أعلى المطهر ، وبذلك توزع في أرجائه بذور النبات ، فتمتلئ بفاكهة لا نظير لها في الأرض وقالت ماتيلدا إن الماء ينبع هنا بإرادة الله ويصب في هر لىّى الذى يمحو الخطايا ، وفي هر لينوى الذى يذكر الإنسان بأفعال الخير ، وتفوق ماؤه كل مذاق ، وإن الشعراء القدامى قد تغنوا بهذا الموضع وهم في جبل پارناسوس ، وإن الفردوس الأرضى هو الربيع الدائم واتجه دانتى إلى فرجيليو واستاتيدوس ووجد أنهما يبتسمان علامة الرضا ، ثم التفت إلى ماتيلدا

- ١ حينما تاقَتْ نفسى^(٢) لأن أستكشف عما بداخل الغابة الإلهية الكثيفة
البانعة^(٣) ، وما حولها ، والتي لَطَفَتْ لِعَيْبَى أنوارَ النهار الحديد^(٤) —
- ٤ غادرتُ الشاطئ^(٥) بدون أن أنتظر مزيداً^(٦) ، وسرتُ في المرج وئيداً
وئيداً^(٧) ، على الأرض التي بعثتْ شذاها في كلِّ جانب^(٨)
- ٧ هواءٌ عليلٌ لا تبدّل طبيعته أبداً^(٩) — أخذ يلمس جيبى بما لا يزيد
عن لمسة الأنسام الرقيقة ؛
- ١٠ وبه مالتْ كلُّ الأفرع المهترزة المستجيبة^(١٠) ، شطرَ الناحية التي يُلْقَى
فيها الجبلُ المبارك بأولى ظلاله^(١١) ؛
- ١٣ ولكنها لم تَحِدْ عن وضعها المستقيم ، بما يجعل صغار الطير فوق أطرافها تكفّ
عن ممارسة كلِّ فنونها^(١٢) ؛
- ١٦ بل رحبتْ مُغرّدةً بأولى أنسام الصباح ، وقد علتها البهجة بين أوراق الأشجار ،
التي كان حفيفها ترجيعاً لأغانيتها^(١٣) ؛
- ١٩ وكان ذلك أشبه بالحفيف الذى يتجاوب من غصنٍ لآخر في أحراج
الصنوبر^(١٤) عند شاطئ كياسى^(١٥) ، حينما يطلق ليولوس رياح السير وكَو
من محبسها^(١٦)
- ٢٢ وعذتْ كانت خطواتى البطيئة قد حملتنى بعيداً إلى أعماق الغابة العتيقة^(١٧) ،
حتى لم أعد أتبين موضع ورودى إليها ؛
- ٢٥ وانظر ، ها قد حال جدولٌ دون متابعتى المسير^(١٨) ، وأمال إلى اليسار
بأمواجه الخفيفة ما نَبَتَ على ضفتيه من الأعشاب
- ٢٨ وإن كل ما فى هذا الجانب من المياه الصافية الرائقة^(١٩) ، لتبدو محتويةً
على بعض الرواسب ، بجانب تلك التى لا تخفى بين طياتها شيئاً^(٢٠) ،
- ٣١ على رغم أنها تجرى سوداء اللون داكنة تحت الظلال الأبدية ، التى
لا تدع شمساً تضيء ولا قمراً ينير هناك أبداً^(٢١)
- ٣٤ وبقدمى وقفْتُ ، وبعينى تجاوزتُ الجدول ، لكى أتطلع إلى الألوان الزاخرة
من أغصان الربيع المزدهرة النضرة^(٢٢)

- ٣٧ وكما يظهر شيءٌ بغتةً ، ويصرف الرأى عن التفكير فى كلِّ ما سواه — بما يثيره فى النفس من أمارات العجب (٢٣) —
- ٤٠ هكذا بدتْ لى هناك سيدةٌ (٢٤) ، أخذتْ تسير وحيدةً ، ومضتْ تترنم ، وتقطف زهراً من بين الأزاهير التى زينت طريقها كله (٢٥)
- ٤٣ فقلت لها « آه ، أيتها السيدة الجميلة — التى تصطلين بأشعة المحبة (٢٦) — إذا كان لى أن أصدق ملامح الوجه التى هى فى العادة خير شاهد على ما يستقرّ فى شغاف القلب (٢٧) — فلعلّه يروقك أن تنقدى نحو هذا الجدول ، حتى يمكننى أن أتبين شدوك العذب (٢٨)
- ٤٩ وإنك لتجعلينى أذكر أين وكيف كانت پروسرينا (٢٩) ، حين فقدتها أمها وفقدتْ هى أزهارَ الربيع (٣٠) »
- ٥٢ وكما تستدير سيدةٌ ترقص ، وقد لصقتْ بالأرض عقبها وضمتها بعضهما إلى بعض ، وهى لا تكاد تضع قدماً أمام الأخرى (٣١) —
- ٥٥ هكذا اتجهتْ نحوى فوق الأزاهير الحمراء وفوق الصفراء (٣٢) ، وكانت فى ذلك أشبه بعذراء تُسبِّل عينيها اللتين سادهما الحفَر (٣٣) ؛
- ٥٨ واستجابتْ لرجائى باقترابها منى ، حتى بلغ سمعى لحنها العذب وما احتواه من المعانى السامية (٣٤)
- ٦١ وحينما أصبحتْ حيث كانت الأعشاب قد ابتلتْ بأمواج النهر الجميل — جعلتْ من رفع عينيها هبةً لى (٣٥)
- ٦٤ ولا أعتقد أن نوراً تألق بمثل هذا الوهج تحت حاجبى فينوس ، عندما جرحها ابها على غير ما اعتاد أن يفعل (٣٦) .
- ٦٧ وأخذتْ تبتسم وهى واقفةٌ على الضفة الأخرى (٣٧) ، وببيديها تناولتْ عديدًا من الألوان (٣٨) التى تُسبِّها الأرض الشاهقة (٣٩) ، بدون أن تُغرس بذورها (٤٠) .
- ٧٠ وبثلاث خطواتٍ باعدتْ بيننا النهر (٤١) ؛ ولكن الدردنيل — هناك حيث عبره إكزسيس (٤٢) — والذى لا يزال عقبةً أمام كبرياء البشر جميعاً —
- ٧٣ لم ينلْ من لياندر (٤٣) — بموجه المضطرب بين سيسْتوس وأبيدوس — كرهاً أشدَّ مما ناله منى هذا النهر — إذ لم تنشق مياهه عندئذ (٤٤)

- ٧٦ وبدأت « إنكم هنا غرباء^(٤٥) » ، وربما لأنى أبتسم — فى هذا المكان الذى اختير عشاً للبشر^(٤٦) ،
- ٧٩ فإن بعض الشك يثير فى نفوسكم أمارات العجب^(٤٧) ؛ ولكن مزموّر "إنك فرحتنى"^(٤٨) يبعث النور الذى من شأنه أن يقشع عنكم ضباب العقل^(٤٩)
- ٨٢ وأنت أيها السائر إلى الأمام^(٥٠) ، ويامن وجهت إلى سؤالك ، تكلم إذا شئت أن تسمع منى مزيداً ؛ إذ أننى أتيت مستعدة لإجابة كل سؤال لك حتى ترضى^(٥١) .
- ٨٥ فقلت لها « إن المياه^(٥٢) وصوت الغابة^(٥٣) ، يدحضان فى نفسى ما بلغته أخيراً من الاعتقاد فى شأن مسألة سمعتها معارضة لهذا القول^(٥٤) »
- ٨٨ عندئذ أجابت « سأخبرك كيف يتأتى ما يحملك على العجب ، وسأبدد الضباب الذى يغشى بصر^(٥٥)ك
- ٩١ إن الخير الأسمى^(٥٦) الذى يبهج بذاته فحسب^(٥٧) ، قد خلق الإنسان مُهيَّئاً لفعل الخير^(٥٨) ، ومنحه هذا المكان كضمان للسلام الأبدى^(٥٩)
- ٩٤ وبارتكابه الخطيئة لم يلبث هنا إلا قليلاً^(٦٠) ، وبخطيئته استحالت البسمة البريئة واللهم البرهيج بكاءً وعذاباً
- ٩٧ ولكيلا ينال الإنسان الضرَّ أبداً^(٦١) ، بالعواصف التى تُثيرها فى أسفل أبخرة الماء واليابس ،
- ١٠٠ الصاعدة فى إثر الحرارة بقدر استطاعتها^(٦٢) — إزداد هذا الجبل ارتفاعاً صوب السماء ، خالصاً من الأبخرة ، من الموضع الذى يوصد فيه بابه^(٦٣)
- ١٠٣ والآن — لما كان الهواء جميعه يدور مع الحرك الأول فى دائرة ، إذا لم يُقطع محيطها فى أحد جوانبها^(٦٤) ،
- ١٠٦ فإن مثل هذه الريح هبّ على هذه الذروة الطليقة فى الهواء الحى^(٦٥) ، وتحدث الحفيف فى الغابة بكثافة أشجارها ؛
- ١٠٩ وإن الأشجار المهتزة قادرة على فعل الكثير ، إذ تفعم الهواء بميزاتها ، فينثرها حواله بعد فى دورانه^(٦٦)

- ١١٢ وتُخصَب الأرض الأخرى^(٦٧) ، وتُنبت من الخواص المختلفة نباتاً مزوّجاً ، بفضل ما هي مؤهّلة له أو بفضل جوّها^(٦٨)
- ١١٥ وإذا فهمنا هذا فلا مدعاة للعجب عندئذ في ذلك الجانب^(٦٩) ، حينما يتخذ بعض النبات جذوره بغير بذرة ظاهرة
- ١١٨ وعليك أن تعلم أن الأرض المباركة^(٧٠) - التي أنت فيها - مليئةٌ بكلّ أنواع البذور - وبها فاكهةٌ لا يُجى هناك مثلها^(٧١)
- ١٢١ والمياه التي تراها هنا - لا تنبت من نبع يتغذّى بما يُكشّفه البرد من الأبحر^(٧٢) - كالمياه التي تُكسب الأنهار قوتها وتُفقيدها^(٧٣) ؛
- ١٢٤ ولكنها تنساب من ينبوع دائم دافق ، ينال بمشيئة الله كلّ ما يصبّه في النهرين اللذين ينبثقان من جانبيه^(٧٤)
- ١٢٧ ففي هذا الجانب تهبط المياه ذات فضل يمحو من الناس ذكرى معاصيهم^(٧٥) وفي الجانب الآخر تُعيد إليهم ذكرى كلّ أفعالهم الحميدة^(٧٦) .
- ١٣٠ وتُسمّى هنا هر ليتي^(٧٧) ، كما تُسمّى في ذلك الجانب هر لينووي^(٧٨) ؛ ولا أثر لمضغوطها قبل أن يُذاق منها في كلا الجانبين^(٧٩)
- ١٣٣ وإن مذاقها ليعلو على كلّ مذاق^(٨٠) ومع أن ظمأك يمكن أن يعد الآن مكتمل الرىّ - بدون أن أكشف لك عن الأمر مزيداً^(٨١) -
- ١٣٦ فسأزيدك إيضاحاً فضلاً ومكرمةً^(٨٢) ؛ ولا إخال قولى يُصبح لديك أقلّ إعزازاً ، إذا تجاوز ما وعدتك به من قبل^(٨٣) .
- ١٣٩ فإن من تغنّوا قديماً بالعصر الذهبيّ وزمانه السعيد^(٨٤) ، ربما تراعى لهم هذا المكان في أحلامهم ، وهم يعتلون ظهر پارناسوس^(٨٥)
- ١٤٢ وقد كان أصل البشر هنا بريئاً^(٨٦) ؛ وهاهنا الربيع الدائم ، وكلّ ألوان الفاكهة^(٨٧) ؛ وهاك الرحيق الذى يجرى ذكره على لسان الجميع «
- ١٤٥ عندئذ استدرتُ إلى وراء صوب شاعرى^(٨٨) ، ورأيتُ أنهما قد أصغيا إلى كلمائى الأخيرة ، وقد علّهما البسمة الرقيقة^(٨٩) ؛
- ١٤٨ وإذْ بى أعاود النظر إلى السيدة الجميلة^(٩٠)

حواشي الأنشودة الثامنة والعشرون

- (١) هذه أنشودة الفردوس الأرضى وماتيلدا وتسمى أنشودة الطبيعة السعيدة
- (٢) يرجع هذا التوق إلى كلام فرجيليو السابق Purg. XXVII. 115
- (٣) الغابة الإلهية هنا تقابل الغابة المظلمة الموحشة في أول الحميم . وورد هذا المعنى في « الكتاب المقدس » Gen. II. 8.
- (٤) يعنى خففت أشجار الغابة ضوء النهار الجديد من يوم الأربعاء ١٣ أبريل ١٣٠٠
- (٥) أى عتية الفردوس الأرضى
- (٦) يعنى دون أن ينتظر مزيدا من الكلام أو الإشارة من جانب فرجيليو .
- (٧) سار دانتى وثيدا وهو مأخوذ بجمال الطبيعة الساحرة وما ورد في هذه الأنشودة وحتى الأنشودة ٣٣ يشبه نوعا بعض ما جاء في تراث الإسلام من حيث وجود المرج الأخضر والخور العين
- القرآن الواقعة ٢١ - ٤٠
- Cerulli, op. cit. pp. 112-117.
- (٨) هكذا انبعث شذا الأزهار العطرية في الغابة المقدسة ، ويستخدم دانتى فنه الدقيق في تصويرها
- (٩) أى لا يخضع للتغيرات الجوية التى تقع في الأرض .
- (١٠) يعنى أن الأشجار لم تقاوم حركة هذا النسيم العليل الرقيق
- (١١) أى جهة الغرب حيث ألقى الجبل ظله في هذه الساعة من الصباح
- (١٢) يعنى مالت الأغصان واهتزت برفق بحيث ظلت الطيور فوقها تغنى وتقفز وتداعب بعضها بعضا
- (١٣) أى أن حفيف الأشجار كان متسقا مع شمو الطيور ، وكأنه الترديد أو الترجيع الذى يصاحب أغانيها وهذا هو تصوير دانتى لبعض روائع الطبيعة
- (١٤) وجه الشبه هنا قائم في تكوين الحفيف العام في كل من مسرى النسيم العليل وهبوب رياح السبروكو من مجموع الأصوات المنفردة - على رغم تفاوتها - التى تصدر من كل غصن على حدة في كل من الحالتين . وكأن دانتى يريد أن يقول إنه استطاع أن يميز كل صوت منفرد صادر عن الأغصان والأوراق ، قبل أن يتكون من مجموعها صوت الحفيف مكتملا وهذا هو دانتى الموسيقى الفنان الموهب الحس .
- وما يساعد على تذوق هذا الجوا الإصغاء إلى لحن الربيع الذى ضمنه فيثالدى في لحنه عن الفصول الأربعة ، الذى يصور فيه بالآلات الوترية ازدهار الربيع وحفيف الأشجار وشمو الطيور Vivaldi, Antonio The Four Seasons The Spring (Vox).
- (١٥) يقصد بشاطىء كياسى (Chiassi) شاطىء الأديرياتيك عند رافنا وكياسى هى كلايس (Classis) ميناء رافنا القديمة في عهد أغسطس قيصر والتي هدمها اللومبارد في سنة ٧٢٨
- ويعرف موضعها الآن باسم كلاسى (Classe) . ويقصد دانتى أن يحدد غابة الصنوبر التاريخية التى امتدت في مساحة واسعة إلى الشمال وإلى الجنوب من رافنا وهذه هى الغابة التى اعتاد دانتى

أن يسير في ظلها طويلا حينما بلغا إلى جويدو نوفلو ولقد ظلت هذه الغابة محتفظة بجمالها وروعها حتى عهد حديث ، ولكن الحربين العالميتين الأخيرتين (١٩١٤ - ١٩١٨ و ١٩٣٩ - ١٩٤٥) قد نالتا منها شيئا كثيرا ويمكن تصور هذه الغابة في عهد دانتي بالصور القديمة الباقية لهاو بالتردد على ما بقى منها ، واستيحاح بعض أثرها في دانتي ويوجد رسم بالموزايكو لكياسى من القرن ٦ وهو في كنيسة سان أبولينارى نوفو في رافنا.

(١٦) إيولس (Acolus) هو إله الرياح الذى يطلق ريح السير وكو (Sirocco) الآتية من الساحل الشمالى الشرقى لأفريقيا ، وتهب على إيطاليا خاصة وقت الصيف . واعتقد الأقدمون أن هذه الرياح كانت تحبس في مغارة في الجزر الأيولية باليونان وأورد ثرجيليو أسطورتها

Virg. Æn. I. 52

Virg. Æn. VI. 179

(١٧) أورد ثرجيليو مثل هذا التعبير

(١٨) هذا هو مهر لىي - وسأبقى بعد - ويمجرى على يسار دانتي

ويشبه هذا - مع الفارق - بعض ما ورد في تراث الإسلام من حيث وجود عينين على باب الجنة فإذا شرب الواردون من إحديهما فلا تشعث شعورهم ولا تغير جلودهم ، فإذا شربوا من الأخرى طهرت أجوافهم وغسلت من كل قذر ودرن الشمرافى مختصر تذكرة القرطبي (المصدر السابق الذكر) ص ٩٩ وأشار القرآن الكريم إلى نزع ما في الصدور من غل القرآن الأعراف ٤٣

وكذلك يوجد بعض الشبه بين ما ورد هنا وما أورده ابن عربى عند كلامه عن الأعراف من حيث وجود حوض لزيق بالسور ، ومنه تخرج أنبويان يشرب منهما المؤمنون ابن عربى الفتوحات المكية (المصدر السابق الذكر) ج ٣ ص ٥٧٣

(١٩) يعنى في الدنيا

(٢٠) أى كانت مياه مهر لىي أصبى أنقى من كل مياه الدنيا وما أعظم الأثر الذى تركه المياه الرقراقه الصافية في النفس المرفهة الصافية !

(٢١) عاقت ظلال الأشجار أشعة الشمس وضوء القمر عن بلوغ صفحة المياه السارية وهذا وصف لبعض مظاهر الطبيعة وهذا كله مستمد من مشاهدات دانتي وإحساسه في غابة رافنا وهو في الأصل الإيطالى من أجل ما جرى على لسان شاعر

(٢٢) رأى دانتي عبر مهر لىي بدائع الأشجار والأزهار في شهر أبريل ، فأخذ يتأمل جمال الطبيعة الرائع

(٢٣) أبعدت الروعة والدهشة اللتان استولتا على دانتي كل ما يساوره من الأفكار والصور الأخرى

Purg. VII. 10-12.

وسبق تعبير مقارب

(٢٤) هذه هى ماتيلدا (Matelda) وهى من الشخصيات التى اختلف النقاد بشأنها اختلافاً كبيراً

ولا يذكرها دانتي على لسانه بالاسم بل يعبر عنها بذكر بعض صفاتها أو بالضمير وحينما يذكر اسمها على لسان بياتريتشى فيما بعد (Purg. XXXIII. 119) لا يسترعى ذلك انتباه دانتي ولا يعلق عليه بشئ يرى بعض النقاد أنها من الناحية التاريخية قد تكون الكونتيسة ماتيلدا دى تسكانا (١٠٤٦ - ١١١٥) (Matilda di Toscana) ، التى كانت من أنصار البابوية في عهد جريجوريو السابع ولكن يعترض على هذا الرأى بعض النقاد الذين يستبعدون على دانتي ذهابه هذا

المذهب لأنه كره السياسة البابوية في زمنه ، ثم لأن ماتيلدا هذه قد ماتت في سن متقدمة ، ونعرف عن دانتي أنه يجعل شخصياته في الكوميديا بالصورة التي ماتوا عليها أو التي تخيل أنهم ماتوا عليها ، في بعض المواقف الفنية أو التي لم يعرف حقيقتها ، بحيث لا يكون الفارق كبيراً بين الصورتين ، وهذا بعكس الصورة التي أبرز فيها دانتي ماتيلدا في هذه الأنشودة وما يليها . ويرى آخرون أن دانتي استمد شخصيتها من ماتيلدا دى هاجبورن (Matilda di Hackeborn) أو من ماتيلدا دى ماجدبورج (Matilda di Magdeburg) الراهبتان المعاصرتان له ، ولهما كتابات عن الرؤيا الإلهية كما سبق ذكره في مقدمة ترجمتي للجحيم ولكن هاتين الراهبتين ماتتا في سن الكهولة والشيخوخة ، مما يخالف الطريقة التي صور بها ماتيلدا هنا ، وكما أشرنا إليه آنفاً ويرى غيرهم — ويظهر أن هذا هو الرأي الأقرب إلى الصواب — أنها ربما تكون إحدى الفتيات اللاتي ورد ذكرهن في «الحياة الجديدة» كواحدة من صديقات بياتريشي ، لأنها تكل عملها في هذه المرحلة من الكوميديا ، ولأن أوصافها تناسب أوصاف رفيقاتها (V. N. VIII.) ومع ذلك فلم يكده يعرف أحد شخصية ماتيلدا على وجه التحديد فربما كانت هي السيدة الشابة اللطيفة التي ذكرها دانتي في «الحياة الجديدة» (V.N.XXXV.XXXVI.) ، أو ربما كانت جوفانا حبيبة كافالكانتي كما ورد في «الحياة الجديدة» (V.N. XXIV 20-23) وربما كانت السيدة الرقيقة الجميلة التي سيطرت على قلب دانتي ، والتي جعلها رمزا للفلسفة في «الوليمة» (Conv. III., IV) ويرى بعض النقاد أن هناك ميدات وفتيات أخريات كن وحيا لدانتي في خلق شخصية ماتيلدا ، مما يتفق ذلك مع طريقة أهل الفن في خلقهم وإبداعهم . ولقد اختلف النقاد كذلك في تحديد دور ماتيلدا من الناحية الرمزية . فقال بعض إنها رمز للحياة الفعالة لأنها تشبه ليبة في الأنشودة السابقة (Purg. XXVII. 98) ولأنها تقود دانتي منذ اللحظة التي أصبح فيها سيد نفسه (Purg. XXVII. 142) إلى الوقت الذي يشعر فيه أنه أصبح نقياً طاهراً جديراً بالصعود إلى معارج السماء (Purg. XXXIII. 145) ، ولأنها تعاون دانتي على النقاء والتطهر قبل صعوده إلى السماء بغمرة في مياه هرى لبي وإينووي (XXXIII. 127.0 XXXI. 19) . ويرى غير هؤلاء من النقاد أن ماتيلدا رمز لمعان متعددة رمز للنعمة الإلهية أو للطبيعة البشرية المكتملة أو الحكمة أو الفن . ولا يعرف أحد ماذا جال بذهن دانتي ومشاعره على وجه التحديد

(٢٥) هذا تصوير رائع لغادة جميلة تنفي وتجمع الأزهار في روضة مزدهرة وهكذا يبرز دانتي بعض ملامح الإنسان في إطار الطبيعة الجميل ، ويخرج على تقاليد العصور الوسطى ويمهد لعصر النهضة فالعصر الحديث

(٢٦) يعنى الحب الإلهي

(٢٧) تعبر ملامح الوجه عما يستقر في قلب الإنسان في الغالب وذكر دانتي هذا المعنى في «الحياة الجديدة» و «الوليمة»

V.N.V. 5; XV. 5.

Conv. III. VIII. 9

(٢٨) يدعو دانتي ماتيلدا إلى الاقتراب قبالة على الضفة الأخرى من هر لبي لكي يقدر على سماعها

(٢٩) پروسرپينا (Proserpina) الفتاة الجميلة التي كانت تجمع الأزهار في صقلية فاختطفها بلوتوني ملك العالم السفلي فبحث عنها أمها سيريري بدون جدوى ، وهبط بها بلوتوني إلى العالم السفلي

حيث صارت ملكة له ولكن جوبيتر أعادها إلى أمها ، وكان عليها أن تقضى ثلث كل عام في عالم الجحيم . وسبق ذكرها ، وأورد أوفيدوس أسطورتها

Inf. IX. 44.
Ov. Met. V. 385

- (٣٠) أى فقدت پروسرپينا أزهار الربيع التى كانت تجمعها قبل اختطافها
(٣١) هذه حركة نوع من الرقص الشائع في عهد دانتي حيث كانت الأقدام تتحرك منزقة ملتصقة بالأرض دون أن ترفع عنها ويمكن ترجمة البيت الأخير بقولنا : (ولا تكاد تحرك أو تقدم قدما على الأخرى)
(٣٢) على هذا النحو سارت ماتيلدا على الأعشاب والأزهار بدون أن ترفع قدميها عن الأرض أوحث هذه الأبيات إلى ساندرو بوتشلى في القرن ١٥ برسم صورة الربيع الموجودة في متحف الأوفيتزى في فلورنسا ، والتي تصور رشاقة الأجسام وخفة الحركات وخطو الحوريات على أطراف أصابعهن في إطار الربيع المزدهر . وهى من روائع التصوير في عهد لورنتزو العظيم .
(٣٣) كانت ماتيلدا تسير كعذراء تسبل عينيها حياء وخفرا حينما تشعر أنها محبوبة . والحب هنا هو الحب الإلهي ومع ذلك فقد استمد دانتي صورة ماتيلدا من بعض ما استوحاه من الحياة الواقعة
(٣٤) استجابت ماتيلدا لرجاء دانتي فاقتربت قبالة على ضفة النهر الأخرى وبذلك بلغ سمعها ألفاظ غنائها ومعانيه

(٣٥) حينما واجهت ماتيلدا دانتي رفعت عينيها الخفيضتين وكان ذلك له بمثابة الهبة أو المكربة وهذه كلها حركات ومشاعر مستمدة من الملاحظة والإحساس الدقيقين في الحياة الواقعة وهكذا يمزج دانتي بين العالم الإلهي والعالم الواقعي .

- (٣٦) جرح كيوبيد (Cupid) أمه فينوس (Venus) بهمهم الحب من غير قصد فأجبت أدونيس فشح من عينيها نور شديد . وأورد أوفيدوس هذه الأسطورة
Ov. Met. X. 525
(٣٧) بعد أن اقتربت ماتيلدا قبالة دانتي زال حيائها وأخذت تضحك سعيدة بدون أن تخفض رأسها
(٣٨) يعنى جمعت مزيدا من الأزهار المتنوعة الألوان
(٣٩) أى في أعلى جبل المطهر
(٤٠) سبق مثل هذا التعبير

Purg. XXVII. 135.

- (٤١) تعبر هذه الكلمات عن معنى الأسف الذى ساور دانتي لبعده هذه المسافة القصيرة عن ماتيلدا
(٤٢) يفصل مضيق الدردنيل (Hellespont) بين الشاطئين الآسيوي والأوربي وطوله حوالى ٤٠ ميلا ويتأرجح عرضه بين ميل وأربعة أميال . وفي سنة ٤٨٠ ق م أقام إكزرسيس (Xerxes) ملك الفرس جسرا من القوارب على أضيق موضع فيه من أبيدوس (Abydos) على الشاطئ الآسيوي إلى سستوس (Sestos) على الشاطئ الأوروبي لعبور جيشه لحرب الإغريق ومع أنه انتصر في البر إلا أن الحرب انتهت بهزيمة الفرس في البحر عند فاليروم بقرب سلاميس .

- (٤٣) لياندر (Leander) شاب من أبيدوس أحب هيرو (Hero) من سستوس ، وكان يعبر الدردنيل سباحة لزيارتها كل ليلة ، ولكنه غرق في إحدى سباحاته فانتحرت هيرو في البحر حزنا على عاشقها . وأورد أوفيدوس هذه الأسطورة
Ov. Heroid. XVIII. 173-174.

ولقد عبر روبرت شومان عن مضمون قصة لياندر وهيرو في لحن صغير ضمنه مؤلفه المسمى بالكرنفال ، ويساعدنا تذوقه على الاقتراب من شعر دانتي

Schumenn, Robert (1810-1865) Carnaval. (Columbia).

- (٤٤) هكذا كره دانتي هذا النهر الذى باعد بينه وبين ماتيلدا
- (٤٥) يعنى أن فرجيليو واستاتيوس ودانتي وصلوا الآن إلى هذا المكان وهم مجهلون طبيعته
- (٤٦) المقصود أن الله قد اختار جنة عدن - الفردوس الأرضى - مقراً لآدم وحواء .
- (٤٧) أى إنهم يعجبون لاتبسامة ماتيلدا بدون أن يدركوا سببها
- (٤٨) يرجع هذا إلى « الكتاب المقدس »
- Saln. XCII. 4
- (٤٩) يعنى أن ماتيلدا ضاحكة سعيدة لأنها مبتهجة ببدايع صنع الله فى الفردوس الأرضى ، وبذلك أدرك الشعراء الثلاثة ما فاتهم إدراكه لأول وهلة
- (٥٠) أى دانتي الذى يسير أمام فرجيليو واستاتيوس
- (٥١) تسأل ماتيلدا دانتي أن يتكلم بحرية ويستفسر عن كل ما يريد معرفته لأنها مستعدة لإيضاح كل شئ حتى يصبح راضى النفس ، وحتى لا يظل بلا دليل حين لا يكون فرجيليو قادراً على معاونته وحتى تأتى بياتريتشى
- (٥٢) يعنى مياه مهر لىتى
- (٥٣) أى حركة الهواء داخل الفردوس الأرضى .
- (٥٤) كان دانتي قد سمع من استاتيوس أن ما يعد باب المطهر لا يتأثر بحركة المياه والرياح الأرضية ، ولذا أخذته الدهشة عند ما سمع صوت المياه والرياح هنا
- Purg. XXI. 43
- (٥٥) تكرر ماتيلدا قولها لدانتي بأنها ستفسر له كل شئ لتبذل ما تولاه من العجب
- (٥٦) يعنى الله
- Par. XXXIII. 105.
- (٥٧) هذا لأن الله هو الكمال بذاته
- (٥٨) يشبه هذا المعنى ما ورد فى « الكتاب المقدس »
- Gen. I. 31.
- (٥٩) أى منح الله للإنسان الفردوس الأرضى ، كما ورد فى « الكتاب المقدس »
- Gen. II. 8-5.
- (٦٠) يعنى بارتكاب الخطيئة الأولى ، كما جاء فى « الكتاب المقدس »
- Gen. III.
- (٦١) رفعت بيت ١٠٠ إلى هذا المكان مراعاة للأسلوب العربى
- (٦٢) يتحرك الهواء وبخار الماء إلى أعلى فى إثر حرارة الشمس حتى المنطقة الثانية من مناطق الهواء الثلاث التى تحيط بالأرض ، بحسب نظرية أرسطو
- Arist. Meteor. II. 4.
- (٦٣) المقصود أن جبل المطهر يصعد عالياً ولا يتأثر بمؤثرات الأرض الهوائية من باب المطهر حتى قمته ويتفق هذا مع قول استاتيوس السابق
- Purg. XXI. 43-54.
- (٦٤) هذا تبعاً لنظرية الفلك البطلمى القائلة بشبوت الأرض ودوران الشمس حولها التى يدور معها الهواء من الشرق إلى الغرب ويقصد بالمحرك الأول هنا السماء البلورية وربما قصد بذلك السماء عامة التى تجذب معها العالم كله
- Par. XXVIII. 70.
- (٦٥) أى بأعلى جبل المطهر الذى لا يتأثر بهواء الأرض وحيث الهواء الخالص النقى .
- (٦٦) يعنى أن الشجر المهتز هنا له المقدرة على أن يملأ الحوابعوته النامية التى ينشرها الهواء فى دوائه حول أرجاء الأرض جميعاً
- (٦٧) أى الأرض المسكونة

- (٦٨) يعنى تخرج الأرض النباتات المنوعة طبقاً لطبيعة التربة والجو الذى تتأثر به واستخدم دانتى لفظ (legna) من اللاتينية بمعنى النباتات أو الأشجار
- (٦٩) أى فى الدنيا
- (٧٠) يعنى فى الفردوس الأرضى
- (٧١) أى فى الدنيا ويشبه هذا ما ورد فى « الكتاب المقدس »
- Gen. II. 9.
- (٧٢) يأخذ دانتى تشبيهه من ملاحظة حركة الأنهار والمجارى المائية
- (٧٣) يعنى أن الماء هنا ليس كنهز آخر يقوى ويضعف جريانه بناء على ما يتلقاه من مياه المطر أو الينابيع أو ما يفقده منها . ويتفق هذا مع قول أرسطو
- Arist. Meteor. I. 13.
- (٧٤) أى أن هذا الماء يخرج بإرادة الله ويتدفق دوما بقوة واحدة ويصب فى جانبيه المفتوحين هرى لى
- وإينوى
- (٧٥) هذا هو هر لى
- (٧٦) هذا هو نهر إينوى
- (٧٧) هر لى (Lethe) من اليونانية بمعنى النسيان وهو عند اليونان يخرج من بحيرة أفرنوس العميقة بقرب بوتولى ويؤدى إلى العالم السفلى ، وهو عند اللاتين هرى الجحيم ، وجعله دانتى فى الفردوس الأرضى . وهو يتجه إلى الجنوب وإلى يسار دانتى وتكرر الإشارة إليه فى الكوميديا بصور مختلفة كالنهر والنهر الجميل والينبوع
- Strabo, Geog. V. 244.
- Virg. Æn. VI. 703
- Inf. XIV. 130 ... XXXIV 130 Purg. I. 40; XXVI. 108; XXXIII. 96, 123.
- (٧٨) نهر إينوى (Eunoe) من اليونانية بمعنى ذكرى الخير ، ومن ذلك صاغ دانتى هذا الاسم . وهو يجرى فى مقابل نهر لى أى صوب الشمال . ولا نظير له فى الأدبين اليونانى واللاتى ، ولكن فكرته تشبه نوعاً ما بعض ما ورد فى تراث الإسلام ، وكما سبق فى حاشية ١٨
- (٧٩) يعنى أنه لا بد من شرب ماء الأنهرين حتى تزول الخطيئة وتستعيد الذاكرة الأفعال الحميدة
- (٨٠) أى أن مياه إينوى تفوق سائر المياه لأنها تؤهل الإنسان للصعود إلى السماء
- Purg. XXXIII. 142-145.
- (٨١) على الرغم من أن عطش دانتى إلى المعرفة يمكن أن يرتوى بدون المزيد من الإيضاح فإن ماتيلدا حاولت أن تزيد إيضاحاً . ويشبه معنى الرى بعد الظمأ ما ورد فى « الكتاب المقدس »
- Apocal. XXI. 6.
- (٨٢) المكرومة هنا مكرومة علوية
- (٨٣) كانت ماتيلدا قد وعدت دانتى بأن تشرح له أصل الهواء والماء فى الفردوس الأرضى ، وتريد أن تضيف له شيئاً جديداً وتعتقد - على حق - أن هذا لن يجعل كلامها أقل إعزازاً لديه . وهذه إشارة إلى ما سبق فى أبيات ٨٨ - ٩٠
- (٨٤) يشير دانتى بهذا إلى الشعراء الأقدمين وعلى الأخص أوڤيديوس
- Ov. Met. I. 89-112.

(٨٥) بمعنى ربما رأى الشعراء الأقدمون هذا المكان في الحلم حين قالوا شعرهم ، وجبل پارناسوس هو موئل أبولو وربات الشعر ويتكرر ذكر Purg. XXII. 65; XXXI. 141; Par. I. 16.

(٨٦) أى كان آدم وحواء بريثين في الفردوس الأرضي .

(٨٧) تخيل الشعراء الأقدمون الربيع الدائم في عصر الإنسانية الذهبى ، وأورد أوفيدوس ذلك Ov. Met. I. 107, 109, 111.

(٨٨) نظر دانتى إلى الوراء لكى يرى أثر هذا الكلام على فرجيليو وأستاتيوس .

(٨٩) رأى دانتى أن الشاعرين قد سمعا كلام ماتيلدا بالقبول والترحاب ولذلك عليهما البسمة الرقيقة

(٩٠) عاد دانتى إلى النظر إلى ماتيلدا وهو راغب في المزيد من المعرفة

ولقد قرأت في بعض المراجع في أثناء وجودى في إيطاليا في صيف ١٩٦٢ إشارة إلى أن بعض الموسيقيين قد وضعوا ألحانا مستوحاة من بعض أبيات هذه الأنشودة ولكن ضيق الوقت الذى مُنحته عاقتى عن تحرى ذلك والوصول فيه إلى معرفة أكثر تحديدا

الأنشودة التاسعة والعشرون^(١)

مضت ماتيلدا فى ترنمها وسارت بعكس اتجاه لىتى ، وتابع دانتي خطاها ،
وانحى النهر حتى سارا فى اتجاه واحد صوب المشرق . ولفتت ماتيلدا نظر دانتي
إلى نور ساطع انبثق فجأة فى أرجاء الغابة ، فلم يعرف كنهه لأول وهلة . وسمع دانتي
أنغاماً عذبة جعلته يلوم حواء على تهورها وحرمانه بالخطيئة من العيش فى الفردوس
الأرضى . وبعد هنية رأى ناراً تشتعل تحت الأغصان ، وسمع أصواتاً ترتل ،
فاستنجد برباب الشعر حتى يمكنه التعبير عما رآه وسمعه . وعرف رويداً أن الشعلات
ترجع إلى عدد من السرج — أو المناير — ، وتبين أصواتاً ترتل قائلة « هوشعنا »
وتوهج الموكب الجميل أشد من توهج البدر فى منتصف ليلة صافية وحملت
ماتيلدا دانتي على أن ينظر إلى ما وراء هذه الأنوار ، فرأى قوماً يأتون مرتدين
ببيض الثياب ، وحينما أصبح الموكب قبائله توقف دانتي لكى يرى بطريقة أفضل
وعندئذ شهد الهواء ملوناً بنيران السرج على صورة قوس قزح ، ونظر إلى جماعة من
أربعة وعشرين شيخاً — رمز لإصحاحات العهد القديم — أخذوا يرتلون بعض آيات
من الكتاب المقدس ثم رأى أربعة حيوانات لكل منها ستة أجنحة وامتلأ ريشها
بالأعين ، وهى رمز للأناجيل الأربعة أو لواضعيها . وشهد دانتي عربة نصر — رمز
الكنيسة الظاهرة — يجرها الجريفون — رمز السيد المسيح — الذى يجمع بين أعضاء
النسر والأسد ثم جاءت سبع سيدات وأخذن فى الرقص ، وكانت ثلاث مهن
ترمز للمحبة والأمل والإيمان ، والأربعة ترمزن للفضائل الأساسية . ورأى دانتي
القديسين لوقا وبولس ، وتبين واضحى الرسائل الكنسية الأربع ، ونظر يوحنا
صاحب الرؤيا يأتى وحيداً وقد دهمه النوم ، وتكلمات رؤوس القديسين السبعة
بأكاليل من الورود والأزهار الحمراء ، وسمع دانتي قصف الرعد ، وعندئذ توقف
هذا الموكب عن المسير

- ١ ومضت ما تليدا تترنم ^(٢) ، كامرأة تيمها الهوى ، وختمت كلماتها بقولها ^(٣) :
 ” طوبى لمن غفرت خطاياهم ! “ ^(٤)
- ٤ وكالحوريات اللاتي كن يخطرن وحيدات في الغابات الظلميلة ، وبعضهن
 راغبات في رؤية الشمس ، بينما الأخريات راغبات في تجنبها ^(٥) —
- ٧ سارت هي الآن على ضفة النهر وبعكس تياره ^(٦) ، فتابعته مسيرها جاعلا
 خطواتي صغيرة وفق خطاها ^(٧)
- ١٠ ولم تكن خيطانا نحن الاثنين قد بلغنا المائة عدداً ، حتى انحرفت كلنا
 الضفتين من النهر ^(٨) ، فوجدت نفسي متجهاً صوب المشرق ^(٩)
- ١٣ ولم يكن طريقنا قد امتدّ بعد طويلاً ^(١٠) ، حينما اتجهت السيدة نحوي
 قائلة ” ألا فلستغفر يا أخى ولتنتصت ^(١١) “
- ١٦ ولإذ بي أرى نوراً ^(١٢) سرى بغتة في كل أرجاء الغابة العظيمة ، على نحو
 جعلني أظن أن هذا ربما كان هو البرق ^(١٣)
- ١٩ ولكن لما كان البرق ينقطع لحظة ظهوره ^(١٤) ، على حين ازداد هذا النور
 ببقائه ضياءً ^(١٥) — قلت في نفسي ” ما عسى هذا أن يكون ؟ “
- ٢٢ وفي الهواء المتألق انطلقت نغمة رخيمة ، فحملتني غضبي العادلة على أن
 ألوم حواء على تهورها ^(١٦) ،
- ٢٥ حواء التي لم تحتل البقاء مستترة بالحجاب ^(١٧) ، ساعة أن خلقت
 كأنتي وحيدة ، هناك حيث رضخت الأرض والسماء لمشيئة الله ^(١٨) ؛
- ٢٨ وأو أنها ظلمت تحت الحجاب خاشعة ، لتذوقت من قبل — ولزمانٍ طويل —
 تلك المباهج التي تجلّ عن الوصف ^(١٩)
- ٣١ وفيما كنت أسير وقد تولاني العجب ^(٢٠) ، بين أولى الثمرات من هذه البهجة
 الأزلية — وما زال يحدوني الشوق إلى المزيد من تلك المباهج ^(٢١) —
- ٣٤ صار الهواء أمامنا ^(٢٢) كأنه قد اشتعل بالنار ^(٢٣) ، تحت الأغصان الخضراء ،
 وفي ثنايا الأنغام الرخيمة تبينت عذب الشدو ^(٢٤)
- ٣٧ أيتها العذارى المباركات ^(٢٥) ، إذا كنت قد احتملت في سبيلكن الجوع
 والبرد وسهر الليالي أبداً ، فإن دافعاً قوياً يهمنني لكى أسألكن العون ^(٢٦)

- ٤٠ والآن ينبغي أن يمدّني نبع هيليكون بسلسبيله^(٢٧)، وتُعيني أورانبا بجوقها^(٢٨)، لكي أنظم القوافي في أمور يصعب على ذهني تناولها^(٢٩).
- ٤٣ وعلى بُعدةٍ قليلةٍ منها، بدا لي أني أرى سبع أشجار مصوغة من الذهب^(٣٠) - على غير حقيقة - بالمسافة الطويلة التي كانت قائمة بيننا وبينها^(٣١)
- ٤٦ ولكن حينما ازددت قريباً إليها - حتى لم تفقد صورتها العامة - التي تخدع الحواس - شيئاً من خصائصها^(٣٢) -
- ٤٩ أدركتُ المَلَكَكةُ التي تمدّ العقل بالكلام^(٣٣) أنها سُرُجٌ - بالحال التي كانت عليها ، وتبينت بين الأصوات ترتيلهم كلمة " هوشعنا " ^(٣٤)
- ٥٢ وازداد الموكب الجميل في أعلاه توهجاً^(٣٥)، حتى فاق القمر حين يصير بدرًا ، في منتصف ليلة صافية^(٣٦)
- ٥٥ فاتجهتُ إلى فرجيليو الطيب وأنا بالعجب مُفعمٌ ، فأجابني بوجهٍ ليس أقلّ امتلاء بالعجب^(٣٧).
- ٥٨ عندئذٍ أُلقيتُ ببصري إلى الكائنات السامية^(٣٨) ، التي جاءت نحونا بخطى بطيئةٍ ، حتى لتفوقها في السير العرائس الجدد^(٣٩).
- ٦١ وصاحت بي تلك السيدة قائلة^(٤٠) « لم تتحرّق شوقاً إلى مرأى الأنوار المتألقة ، ولا ترنو بعينيك إلى ما يأتي من ورائها^(٤١) ؟ »
- ٦٤ وعندئذٍ رأيت قوماً مُتسرّلين يبيض الثياب آتين من بعدها ، كأنهم يتبعون أدلاءهم^(٤٢) ، ولم نرَ هنا أبداً لهذا البهاء مثيلاً^(٤٣).
- ٦٧ وإلى يسارنا تألقت صفحةُ الماء ، وحين أخذتُ في النظر إليها عكستُ إلى - كمرأةٍ - جازبي الأيسر^(٤٤)
- ٧٠ ولما اتخذتُ على نصفتي لنفسى موضعاً - حتى لم يعد يُبعلني عنهم سوى مجرى النهر - أوقفتُ خُطاي لكي أراهم بطريقة أفضل^(٤٥)
- ٧٣ فشهدتُ شُعيلات النار إلى الأمام ماضيةً ، وقد خلّفت الهواء من ورائها ملوّناً^(٤٦) ، وكان لها بذلك صورة اللمسات من ريشة الرسم^(٤٧) ؛

- ٧٦ ومن فوقها ظلّ الهواء مميّزاً بسبعة أشرطة ، كانت كلّها بتلك الألوان التي تصنع منها الشمس قوس قزحها ^(٤٨) ، ومنها تصنع دلياً هالتها ^(٤٩)
- ٧٩ وإلى الوراء امتدّت هذه الأعلام أبعد من ناظري ^(٥٠) ، وبتقديري باعدت عشر خطوات بين ما كان منها في الجنّابين ^(٥١) .
- ٨٢ وتحت هذه السماء الفاتقة الجمال كما أقوم بوصفها ، تقدّم أربعة وعشرون شيخاً ^(٥٢) سائرين اثنين اثنين ، وقد تكللت هاماتهم بأزهار الزنبق ^(٥٣)
- ٨٥ ورّتلوا جميعاً « مباركة أنت بين بنات آدم ومباركة صور جمالك إلى الأبد ^(٥٤) ! » .
- ٨٨ وحين تخلّصت الأزهار وسائر العُشبيات الطرية ، من خطي أولئك المختارين - قبالي على الضفة الأخرى ^(٥٥) -
- ٩١ وكما يتبع نوراً في السماء نوراً غيره ^(٥٦) - جاء في إثرهم حيوانات أربعة ^(٥٧) ، وقد تكللت هامة كلّ منها بغصن أخضر ^(٥٨)
- ٩٤ وبسته أجنحة تَرِيّش كلّ واحد منها ^(٥٩) ؛ وكان ريشها مليئاً بالأعين ^(٦٠) : ولو أن أعين الأرجوس قد ظلت في الحياة طليقة ، لغدت في مثل صورتها ^(٦١) .
- ٩٧ ولستُ بناظم - أيها القارىء - مزيداً من القوافي لوصف شكوها ؛ إذ يستحقني واجب آخر ، حتى ليتعذّر على الإطّباب في هذا الصدد ^(٦٢)
- ١٠٠ ولكن فلنقرأ حزقيال الذي يرسمها كما رآها آتية من البلاد الباردة ، طيّ الرياح وعبر السحاب وبين السنة اللهب ^(٦٣) ؛
- ١٠٣ وكما أنت واجدها في صفحاته ، هكذا أصبحت هاهنا ، سوى ما يتعلق بريشها فيوحنا يتفق معي ويختلف عنه في ذلك ^(٦٤)
- ١٠٦ والمسافة الكائنة بين أربعتها احتوت عربة نصر ^(٦٥) ذات عجلتين ^(٦٦) ، جاءت يسحبها الجريفون بعنقه ^(٦٧) .
- ١٠٩ وإلى أعلى مدّت كلا جناحيه ^(٦٨) ، بين الجماعة الوسطى وبين كلّ من الجماعةين الثلاثيتين ، حتى لم يزعم بحركته إحداها ^(٦٩)

١١٢ وعلا ارتفاع جناحيه حتى لم يُرَ لهما آخر^(٧٠) ؛ ومن الذهب صيغت أعضاؤه بقدر ما كان له من صفات الطير^(٧١) ، وكان سائره أبيض اللون مشوباً بالحمرة^(٧٢)

١١٥ ولا يقتصر الأمر على أن روما لم تُسجّد الأفريقي^(٧٣) ولا أغسطس^(٧٤) ، بعربة جميلة مماثلة ، بل إن عربة الشمس تبدو هزيلةً بجانبها^(٧٥) .

١١٨ ولما حادت عربة الشمس عن طريقها ، احترقت بصلاة الأرض المبتهلة ، حينما كان جوبيتر عادلاً في حكمه المبهم^(٧٦)

١٢١ وثلاث سيدات جئن راقصات في حاقّة إلى جانب العجلة اليُمى^(٧٧) ، وكان لون إحداهنّ شديد الحمرة ، حتى لم تكد تُرى بين ألْسنة اللهب^(٧٨) ؛

١٢٤ وكانت الثانية كأن لحمها وعظامها قد صُنعت من الزمرد^(٧٩) ؛ وبدأت الثالثة ثلجاً تساقط تَوّاً^(٨٠) ؛

١٢٧ وبدَوْنَ الآن تقودهنّ البيضاء تارة والحمراء طوراً ؛ وعلى ترنم هذه نظمت الأخيرتان خطواتهما ببطء وبسرعة^(٨١)

١٣٠ وفي ثياب أرجوانية اللون^(٨٢) ، رقصت إلى اليسار سيدات أربع^(٨٣) ، مُتابعاتٍ خُطى إحداهن ، التي كان لها برأسها ثلاث أعين^(٨٤)

١٣٣ وخلف كلّ هذه الجماعة التي تناولتها آنفاً^(٨٥) ، رأيت شيخين^(٨٦) ، تباينا في ملبسهما^(٨٧) ، ولكنهما تشابها في هيئتهما المتضعة الوقورة^(٨٨) .

١٣٦ وأبان أحدهما عن نفسه أنه من رفاق ذلك العفّاليم هيدوقراطيس^(٨٩) ، الذي خلّفته الطبيعة ذُخراً لكائناتها التي تعتزّ بها كثيراً^(٩٠) ؛

١٣٩ وبدا الآخر أنه ذو مهنة مغايرة — بسيفه اللامع القاطع — حتى بعث الرعدة في أوصالي على هذا الجانب من النهر^(٩١)

١٤٢ ثم رأيت أربعة رجال تعلوهم أمارات التواضع^(٩٢) ؛ وخلفهم جميعاً نظرتُ عجوزاً يأتى وحيداً وقد داعبه النوم ، وتميّز بوجهٍ حادّ الملامح^(٩٣) .

١٤٥ وعلى غرار ما ارتدته الجماعة الأولى ، تسربل هؤلاء السبعة بالثياب^(٩٤) ، ولكن لم يكن لهم حول رؤوسهم أكاليل من الزنبق ،



١٢ - ثلاث حوريات ترقصن في الفردوس الأرضي

أنشودة ٢٩ ١٢١ - ١٢٦

- ١٤٨ بل من الورود ومن غيرها من الزهور الحمراء^(٩٥) : وإن من يراهم من مسافة قليلة ليقسم أن النار قد اشتعلت فوق حواجزهم جميعاً^(٩٦)
- ١٥١ وحينما أصبحت العربية قُبَّالتي ، سمعتُ الرعد يقصف^(٩٧) ، وبدأ أن مواصلة السير قد امتنعتُ على هذه الجماعة الوقورة ،
- ١٥٤ وهناك توقفوا مع أعلام المقدمة^(٩٨) .

حراشي الأنشودة التاسعة والعشرون

- (١) هذه هي الأنشودة الثانية من الفردوس الأرضي وتسمى أنشودة الكنيسة الظافرة
Cav. Ball. IX.
- (٢) أضفت (ماتيلدا) للإيضاح ويشبه هذا قول جويدو كأفا الكانتي
(٣) يعنى أن ماتيلدا تابعت ترتيلها في الأنشودة السالفة.
- (٤) تنطق ماتيلدا بهذه الكلمات قبل أن تغمر دانتي في مياه هيرليتي لكي تزول آثامه وهذا مقتبس من
Salm. XXXII.
- (٥) يشبه الكلام عن الحوريات ما أورده أوغديوس
Ov. Met. V. 858
- (٦) سارت ماتيلدا بعكس اتجاه النهر على ضفته اليمنى صوب الجنوب
(٧) سار دانتي على الضفة اليسرى متابعا خطوات ماتيلدا الصغيرة
(٨) أى اتجه النهر صوب اليسار
- (٩) سار دانتي وماتيلدا صوب المشرق كما فعلا من قبل
Purg. XXVII. 133.
- (١٠) يعنى في الاتجاه الحديد للنهر
(١١) لفتت ماتيلدا نظر دانتي إلى ما سيحدث
(١٢) هذا النور رمز لانحصار الكنيسة
(١٣) ملأ النور الشديد الغابة بالضياء حتى ظن دانتي أن هذا هو البرق والصورة مأخوذة من ملاحظة
بعض مظاهر الطبيعة
- (١٤) أى أن البرق كما يأتى فجأة يختفى فجأة
(١٥) زاد هذا النور ببقائه ضياء ولم ينقطع كنور البرق
(١٦) ولدت هذه النعمة الرخيمة النشوة والحماسة في دانتي فوجه اللوم إلى حواء لتهورها في عصيان الله
واستخدم دانتي لفظ (zelo) بمعنى الغضب
(١٧) لم تحتل حواء أن تخضع لإرادة الله وتدع شيئا خافيا عنها وورد هذا في « الكتاب المقدس »
Gen. III. 5.
- (١٨) يعنى في الفردوس الأرضي حيث سادت طاعة الله ، وأضفت (مشيئة الله) لإيضاح المعنى
(١٩) أى لو أطاعت حواء إرادة الله لتنوق دانتي منذ ولادته وطول حياته مباحج الفردوس الأرضي
(٢٠) استولى العجب والدهشة على دانتي في هذا الجو الغريب عليه وسبق مثل هذا التعبير
Purg. XX. 139.
- (٢١) كان دانتي يتطلع بذلك إلى رؤية بياتريتشي القادمة إليه
(٢٢) يعنى جهة الشرق
(٢٣) كانت هذه النار عبارة عن السرج السبعة القادمة
(٢٤) تبين دانتي الترتيل في الأنغام التي سمعها من قبل في بيت ٢٢
(٢٥) يستبعد دانتي بربات الشعر ، وسبقت تعبيرات مقاربة
Inf. II. 7; XXXII. Purg. I. 8.

(٢٦) هذه هى حال الشاعر حينما يأخذ الإلهام وعبر دانتى عن هذا المعنى « فى الوليمة »

Conv. III. III. 13.

(٢٧) هيليكون (Helicon) الجبل المقدس فى بويشيا وموئل ربات الشعر ويوجد به نبعا أجنبي وهيبوكريى وذكره فرجيليو

Virg. Æn. VII. 641.

(٢٨) أورانيا (Urania) ربة الفلك وهى عارفة بأمور السماء والترتيل المقدس والمقصود بالجوقة سائر ربات الشعر وذكر أوفيدوس أورانيا

Ov. Met. V. 260.

(٢٩) كان دانتى أمام أمور يصعب التفكير فيها وبالتالي يصعب وصفها

(٣٠) يقصد البعد القليل عن المنطقة المضيفة وهذه هى السرج - أو المناير أو المشاعل - المشتعلة التى ترمز لأرواح الله السبعة الحكمة والعقل والمشورة والقوة والعلم والرحمة وخافة الله

Conv. IV. XXI. 12.

Esod. XXV. 37; Num. VIII. 2; Apocal. I. 12, 20.

(٣١) أى أن بعد المسافة جعل هذه السرج تبدو لدانتى أنها أشجار مصنوعة من الذهب

(٣٢) لكل حاسة موضوع تختص به كالضوء للنظر والصوت للسمع ، ولا تخطئ الحاسة إذا كانت سليمة ولم يعقها عن أداء وظيفتها عائق ولكن هناك مسائل أخرى كالحركة والعدد والحجم والشكل لا تختص بها حاسة واحدة بل تشترك فى إدراكها أكثر من حاسة ، ولذلك يتعرض الإنسان للخطأ ، ولا بد له من ملكة الحكم والتقدير للوصول إلى الصواب وتعبر (obietto comune) يعنى المحسوس العام أو الصورة العامة للشيء والمقصود هنا أن دانتى خدع بشأن الصورة العامة لما رآه . وتناول أرسطو هذا المعنى كما أنه ورد فى « الوليمة »

Arist. De Anima, II. 6. 1-4.

Conv. IV. VIII. 6.

(٣٣) يعنى ملكة التقدير كما سيأتى فى الفردوس

(٣٤) هوشعنا أو (أوصنا) كلمة عبرية يعنى التسبيح والتمجيد والتبريد

Matt. XXI. 9;

(٣٥) أى أن مجموعة السرج صنعت موكبا شديدا التوهج

(٣٦) يعطى دانتى صورة دقيقة للبدر المكتمل فى الليلة الصافية

(٣٧) بدا فى عيني دانتى أنه يطلب تفسيراً لما يراه من العجائب ، ولكن فرجيليو الذى امتنع عن الكلام (Purg. XXVII. 129) أجابه بنظرة لاتقل عجباً عما أخذ بنفسه من العجب وما أقوى تعبير دانتى بسؤاله الصامت وجواب فرجيليو عنه بدون كلام ! إننا نجد فى نظرة دانتى الاحترام والمحبة ورغبة التلميذ فى المعرفة ونقرأ فى نظرة فرجيليو عجب الأب والأستاذ الذى فاته أن يدرك ما هو بسبيله الآن فلا يخفى عجبه ولقد تحول فرجيليو بذلك إلى شبح من الأسمى والشجن وكانت تلك آخر نظرة يلقياها دانتى على فرجيليو وأى تعبير فى هذا كله ! وهذا هو دانتى الذى يعبر بالحركة والنظرة عما تعجز عنه الكلمات

(٣٨) يعنى لفظ (alte) العالية أو المرتفعة ويرى بعض الشراح أن المقصود بهذا ألسنة اللهب المنبثقة من السرج والتى صمدت أعلى ويكنى هذا اللفظ عن العظيم أو الرائع أو الفريد ، وهو ما أخذت به ولا أفضلية لأى من التفسيرين بالنسبة لمسياق العام

- (٣٩) كانت حركة موكب السرج أبطأ من سير العرائس الجدد اللاتي تخرجن متباطآت من بيوت آبائهن إلى بيوت أزواجهن وقد علاهن الخجل
- (٤٠) صاحبت ماتيلدا موجهة اللوم إلى دانتى
- (٤١) تلوم ماتيلدا دانتى لأنه اقتصر على النظر إلى الأنوار دون ما يأتي من ورائها وستفعل بياتريتشى ما يقرب من هذا فيما بعد
Par. XXIII.70-72.
- (٤٢) رأى دانتى جماعة تسير وراء السرج كن يسرون وراء أدلائهم وقد ارتدوا الثياب البيضاء ، ويشبه هذا ما ورد في « الكتاب المقدس »
Apocal. IV. 4.
- (٤٣) كانت ملابسهم ناصعة البياض بما ليس له مثيل هنا ، يعنى فى الأرض
- (٤٤) يتضح جمال هذا التعبير لمن يقرأ الأصل وهذا هو دانتى الذى يتراوح شعره ويتفاوت لكى يناسب كل المواقف
- (٤٥) أى حينما أصبح مهر لىتى وحده فاصلا بين دانتى وهذه الجماعة صار الطرفان متقابلين على صفتى النهر فتوقف دانتى عن السير لكى يحسن الرؤية
- (٤٦) يرجع هذا التلوين إلى أثر شعلات السرج
- (٤٧) يرى أغلب الشراح أن لفظ (pennelli) يعنى هنا لمسات ريشة الرسم ويناسب هذا المعنى التلوين والألوان فى هذه الثلاثية والتي تليها ولا يتعارض هذا التفسير مع استخدام دانتى لفظ الأعلام بعد قليل ، فى بيتى ٧٩ و ١٥٤ ، وهو من معانى الكلمة الإيطالية ذاتها ويرى بعض الشراح أن دانتى أراد أن يقول الأعلام - ويقصد صورتها - فى هذا الموضع ويرى آخرون أن المقصود هو (الأعلام المرسومة بريشة الرسم) ولا أحد يدري ما دار بذهن دانتى على وجه التحديد
- (٤٨) أحدثت شعلات السرج ألوانا تشبه قوس قزح ويشبه هذا المعنى ما ورد فى « الكتاب المقدس » :
Ezech. I. 27-28.
- (٤٩) دليا (Delia) هى ديانا (Diana) ربة الصيدالتي ولدت فى ديلو ، ويطلق اسمها على القمر والمقصود أن نيران السرج أحدثت لونا يشبه هالة القمر
Ov. Met. V. 636.
- (٥٠) امتدت هذه الأعلام - أو الأشرطة - من النار إلى الوراء بعيدا حتى لم يعد دانتى يراها وهذا يعنى أنه لا حد للهبات الإلهية
- (٥١) يعنى أن الحدين الخارجيين للنيران ابتعد الواحد منها عن الآخر بمدار عشر خطوات وسارت بينهما سائر السرج ورقم عشرة يعنى الكمال فى العصور الوسطى - وقلت (فى الجنيين) لإيضاح المعنى
- (٥٢) هؤلاء هم الشيوخ الذين يحيطون بعرش الله ، ويمثلون إصحاحات العهد القديم
Apocal. IV. 4.
- (٥٣) زهرة الزنبق هنا رمز لنقاء العقيدة فى التوراة ورمز الإيمان بالمرسح .
- (٥٤) هذه تحية جبريل لإليصابات وماريا يقوها الشيوخ هنا لماريا أو لبياتريتشى
Luca, I. 28; 42.
- (٥٥) أى بعد أن مضى موكب السرج وخلت منه الأرض قبالة دانتى .

(٥٦) يعنى كما تتحرك النجوم فى السماء ويحل نجم مكان آخر
(٥٧) يرى بعض الشراح أن الحيوانات الأربعة رمز للأناجيل الأربعة ، ويرى آخرون أنها رمز لواضعى هذه الأناجيل والحيوان الأول يشبه الأسد والثانى يشبه العجل والثالث له وجه إنسان والرابع يشبه النسر
Ezech. 1.4-14; Apoccal. IV,6-8.

(٥٨) الأغصان الخضراء - أى أوراق الفار - رمز للحياة الدائمة والأمل والكتاب المقدس .
(٥٩) ترمز هذه الأجنحة إلى الحكمة الإلهية فى رؤيا حزقيال ورؤيا يوحنا ويرى بعض النقاد أنها ترمز عند دانتى إلى سرعة انتشار الكتاب المقدس فى العالم

(٦٠) الأعين الكثيرة رمز لرؤية الماضى والحاضر
(٦١) المقصود أن هذه الأعين كانت حادة البصر ولو ظل الأرجوس حيا لشابهت أعينه هذه الأعين .
والأرجوس (Argus) حيوان خرافى له ١٠٠ عين ، جعلته يونون يراقب إيوائى أحبا زوجها جوبيتر وحولها إلى بقرة فأمر جوبيتر عطاردا بأن يقتل الأرجوس ففعل ، فنقلت يونون عيونه إلى ذيل الطاووس طائرهما المفضل وأورد أوفيدىوس هذه الأسطورة
Ov. Met. I. 568-747.

(٦٢) يقول دانتى للقارئ إنه لا يمكنه إطالة الكلام عن الحيوانات الأربعة لضيق المقام .
(٦٣) يحيل دانتى القارئ على « الكتاب المقدس »
Ezech. I. 4-14.

(٦٤) اتفق يوحنا ودانتى فى جعل الأجنحة ستة على حين جعلها حزقيال أربعة
(٦٥) العربة رمز للكنيسة الظاهرة
Ezech. I. 15-21.

(٦٦) العجلتان رمز للتوراة والإنجيل اللذين تعتمد عليهما الكنيسة
(٦٧) الجريفون (Griphon) حيوان خرافى له رأس نسر وجناحاه وجسم أسد ويرى النقاد أنه رمز للمسيح الإله الإنسان - عند المسيحيين - ممثلا فى جزئيه الأعلى والأسفل على التوالي ويشبه هذا قول إيزودور الأشيبلى فى القرن ١٣ إف المسيح أسد لقدرته وقوته وإنه نسر لصعوده إلى السماء وتكلم ماركو بولو فى القرن ١٤ عن سماعه بالجريفون فى جزيرة مدغشقر على أنه نسر ضخم وعرفت صورة الجريفون المزدوجة فى العصور الوسطى وقد سجله فن النحت خلالها ، ومن ذلك أن بيير ودجا اتخذت الجريفون بهذه الصورة رمزا لها

Isodoro di Siviglia, Orig. VII. 2. (Bignami, Par. p. 256)

Marco Polo, Milione, CLXVIII.

(٦٨) الجناحان رمز للمحبة والعدالة الإلهية
(٦٩) رفع الجريفون جناحيه فى المسافة الحالية بين مجموعة السرج التى فى الوسط وبين المجموعتين الثلاثيتين منها فى الجانبين ، وبذلك لم تؤثر حركة الجناحين على نيران السرج
(٧٠) علا ارتفاع الجناحين إلى السماء حتى لم ير دانتى هاتهما ، والجريفون رمز للمسيح الإنسان - الإله (عند المسيحيين كائن فى الأرض والسماء فى وقت واحد ، ولذا لا تراه عين الإنسان فى السماء ،
(٧١) أى كان الرأس والجناحان من الذهب ، رمز الطبيعة الإلهية فى الجريفون
(٧٢) كانت سائر أعضائه ذات لون أبيض مشوب بالحمرة ، وهذا رمز الطبيعة الإنسانية فى الجريفون

Cant. Cantic. V. 10-11.

(٧٣) شيبونى الأفريقى (Scipione Africanus) القائد الرومانى الذى هزم هانيبال فى زاما فى ١٨٥ ق.م.
Inf. XXXI. 116; Par. VI. 53; XXVII. 61-62.
وتتكرر الإشارة إليه

- (٧٤) أغسطس قيصر (Augustus) الإمبراطور الروماني ويتكرر ذكره والإشارة إليه
Inf. I. 71; Purg. VII. 6; Par. VI. 73-81.
- (٧٥) يعنى أن هذه العربية كانت أجمل من عربات شيبوني وأغسطس وفيتون
- (٧٦) خرجت عربية فيتون (Phetone) عن طريقها وهي تصعد إلى الشمس وأمام ضراعة الأرض قتله
جوبيتر بصاعقة ويتكرر ذكر فيتون في الكوميديا وأورد أوغديوس أسطوره
Inf. XVII. 107; Purg. IV. 72; Par. XXXI. 125.
Ov. Met. II. 278-300.
- (٧٧) السيدات الثلاث ترمزن للفضائل اللاهوتية
- (٧٨) ذات اللون الأحمر رمز للمحبة
- (٧٩) خضراء اللون رمز للأمل
- (٨٠) البيضاء اللون رمز للإيمان ويختار دانتي في تعبيره عن الألوان هنا النار للأحمر والزمرد للأخضر
والثلج للابيض ، وبذلك يعطى التلوين الدقيق للصورة التي يرسمها
- (٨١) يرسم دانتي بكلمات قليلة رقص السيدات الثلاث ويعبر عن الحركة بتناوب البيضاء والخمراء قيادة
الرقص وبالتفاوت بين البطء والسرعة
- وإن تنلق بعض الألحان الموسيقية في الإنشاد أو الحوار أو الرقص من ألحان التروبادور
أو بلاط النبلاء من القرن ١٣ إلى القرن ١٥ ليساعدنا على فهم هذا الجو ، وذلك كما جاء في
Troubadours, Trouveres et Minnesanger,
Le Jeu de Robin et Marion,
Rondeaux et Danses du 13e. et 14e. siècle. (Archiv).
Divertissements Courtois. (Discophiles Français).
- (٨٢) اللون الأرجواني رمز للمحبة
- (٨٣) هؤلاء رمز للفضائل الرئيسية وهي العدالة والقوة والاعتدال والتبصر
وقد رسم جوتو في القرن ١٤ صور نساء يمثلن هذه المعاني في كنيسة آل اسكروثيني في بادوا
- (٨٤) ترمز هذه للتبصر وهي تقود الأخريات ولها ثلاث أعين لكي ترى أكثر من غيرها
- (٨٥) أي وراء السرج والعربة والجريفون والسيدات السبع
- (٨٦) هما لوقا الذي كتب أعمال الرسل وبولس وأضع الرسائل
- (٨٧) ارتدى لوقا ملابس طبيب وبولس ملابس جندي ، واعتادا الإرتحال معا وذكر «الكتاب المقدس»
اشتغال لوقا بالطب
Epist. Colos. IV. 14.
- (٨٨) تشابه لوقا وبولس في الروح التي سيطرت عليهما ولذلك بدا لهما التواضع والوقار
- (٨٩) هيپوقراطيس أو أبوقراط (Hippocrates) أبو الطب وسبق ذكره
Inf. IV. 143.
- (٩٠) يعنى أوجدته الطبيعة ليفيد الإنسان بطبه
- (٩١) هذه إشارة إلى اشتغال بولس بالجندي قبل تحوله للمسيحية، على أن السيف هنا هو سيف الروح
الذي هو كلمة الرب ، كما ورد في « الكتاب المقدس »
Epist. Efesi, VI. 17.
- (٩٢) عند أغلب النقاد هم يواقيم وبطرس ويوحنا ويهوذا وأضعوا الرسائل الكنسية الأربع .

- (٩٣) هويوحنا صاحب الرؤيا
 (٩٤) ارتدى السبعة الأخيرون اللون الأبيض كالأربعة والعشرين شيخا كما في بيت ٦٥
 (٩٥) الورود والزهور الحمراء رمز لاشتعال نار المحبة
 (٩٦) بدت الورود والزهور الحمراء كأنها نار تشتعل على جباههم وهذا تصوير دقيق استعان فيه
 دانتى ببعض ثمرات الطبيعة
 (٩٧) الرعد القاصف دليل على توقع شيء غير مأنوف ، ويعنى هنا توقف الموكب عن المسير .
 (٩٨) أى توقف الموكب بتوقف الأعلام - السرج المشتعلة - التي كانت في المقدمة

الأنشودة الثلاثون^(١)

حينما توقفت السرج السبعة نظرت إلى العربية المقدسة جماعةُ الشيوخ الذين ساروا بين الجريفون والسرج — أو المشاعل أو المناير — ورتل سليمان الحكيم وسائر الشيوخ داعين بياتريتشى إلى القدوم وعندئذ صعد كثير من الملائكة فوق العربية وباركوا تلك الآتية ، ونثروا الأزهار إلى أعلى وفيما حولهم ثم ظهرت بين سحابة كثيفة من الأزهار سيدةٌ مكلّلة بغصن الزيتون ، وكانت ذات نقاب أبيض وارتدت ثوباً أحمر اللون تحت عباءة خضراء ، فأحس دانتي بدون أن يتبينها بالسلطان العارم لحبه القديم ، واتجه يخاطب فرجيليو قائلاً إنه يعرف علائم الشعلة القديمة ، ولكن فرجيليو كان قد اختفى فبكى دانتي لرحيله المفاجئ ونادت بياتريتشى دانتي باسمه وسألته ألا يبكى لأنه بحاجة للبكاء بسبب آخر وبدت بياتريتشى كأمرير البحر الذى يرقب سفنه ، وأفصحت عن شخصها ، وسألت دانتي كيف جرؤ على الصعود إلى جبل المطهر ، فأحس الحجل الشديد وترنم الملائكة بثقتهم بالله ، وحينما أحس دانتي عطف الملائكة عليه ذاب الثلج الذى أطبق على قلبه وخرج الأسى من صدره إلى فمه وعينه وقالت بياتريتشى للملائكة إن دانتي كان له بفضل النعمة الإلهية ملكات طيبة وقالت إنها ساندته فى الحياة وقادته إلى الطريق المستقيم ، ولكنها عندما انتقلت إلى عالم الروح انساق وراء غيرها من النساء واتجه إلى مسالك الزلل ، ولم ينفعه أن نادته باسم الإلهام الإلهى فهوى إلى الحضيض ، ولم يُجَدِّ فى خلاصه سوى إظهاره على القوم الهالكين ، ولذلك نزلت إلى الجحيم ، وحملت فرجيليو بضراعتها وبكائها على أن يخلصه من الأخطار . وقالت إن شريعة الله لتنقض إذا شرب من مهر لتي بدون أن يندم ويكفر عن خطاياها

- ١ حينما ظلّ الدّب الأكبر في السماء الأولى واقفاً بدون حراك^(٢) ، والذي لم يعرف أبداً شروقاً ولا غروباً ولا ضباباً^(٣)
- ٤ سوى غشاوة المعصية ، والذي حمل جميع من هم هنالك على أن ينتهبوا لواجبهم^(٤) ، كما يفعل الدّب الأدنى^(٥) لمن يدير سكتان سفينته ،
- ٧ حتى يبلغ بها الميناء - عندئذ اتجهت إلى العربية الجماعةُ الصدوقةُ التي جاء أفرادها من قبل بين الجريفون وبين السرج السبعة^(٦) ، سعيّاً وراء السلام ؛
- ١٠ ومن بينهم بدا واحدٌ أنه رسولٌ آت من السماء^(٧) ، وصاح عالياً مرتلاً ثلاث مراتٍ " تعال يا عروسي من لبنان "^(٨) ، ومن بعده رتل الآخرون جميعاً^(٩)
- ١٣ وكما سيُسارع جميع الطوباويين إلى النهوض من قبورهم ، حين ينفخ في الصور الأخير ، وباستعادة أجسادهم سيرتلون "هَلِّوْا"^(١٠) ،
- ١٦ هكذا ظهر فوق العربية الإلهية مائةٌ من خُدّام الحياة الأزليّة ورسلاها^(١١) ، عند سماع صوت ذلك الشيخ العظيم^(١٢)
- ١٩ وقالوا جميعاً: « مبارك الآتى . . . ! » ؛ ونثروا الأزهار فوقهم وفيما حولهم قائلين « آه ، ألا فليكتنثروا مِلء أيديكم أزهار الزنبق^(١٤) ! » .
- ٢٢ وكنت قد رأيت من قبل عند بزوغ النهار أرجاءَ المشرق تسودها حُمْرة الورد ، وتترّين سائر أنحاء السماء بلونها الأزرق الصافي^(١٥) ؛
- ٢٥ ونظرتُ وجهَ الشمس يُشرق من وراء حجاب ، فاحتملتُه عيني فترةً أطول ، بالسحب التي خففت من حدة وهجه^(١٦)
- ٢٨ هكذا بدت لي - بين سحابةٍ من الأزهار التي تصاعدت من أيدي الملائكة ، وهَوّت لي باطن العربية ولِلى خارجها^(١٧) -
- ٣١ هكذا بدت لي سيدة^(١٨) - تكلمت بغصن الزيتون^(١٩) فوق نقابها الأبيض^(٢٠) ، وارتدت ثوباً في لون الشعلة المستعرة^(٢١) ، تحت عباءة خضراء^(٢٢)
- ٣٤ وروحي التي لم يك قدناتها منذ أمد بعيدٍ ما أَلِفَتْهُ من العجَب والرَّعدة^(٢٣) ، حين كانت تمثّل في حضرتها^(٢٤) ،

- ٣٧ أحسستُ — بدون أن أتبين بعينى — منها مزيداً (٢٥) — الساطانَ العارمَ لحبى القديم ، بالسحر الخفى الذى انبعث منها (٢٦)
- ٤٠ وما إن أصابت ناظرى قوتها الساحقة ، التى كانت قد جرحتنى بسهامها ، من قبل أن أتجاوز عهد طفولتى (٢٧) —
- ٤٣ حتى اتجهتُ إلى يسارى بالثقة التى يجرى به الطفل الصغير نحو أمّه ، عندما يخاف أو يتألم (٢٨) —
- ٤٦ لكى أقول لفرجيليو « لم تتعدُ فى أوصالى قطرة دمٍ لا ترتجف : وإني لأعرف علامَ الشعلة القديمة (٢٩) » ؛
- ٤٩ ولكن فرجيليو كان قد تخلى عنا (٣٠) ، فرجيليو أبى الأعز ، فرجيليو الذى استسلمتُ له لكى أنال الخلاص بعونه (٣١) ؛
- ٥٢ وإن كل ما فقدته أمنا العتيقة (٣٢) ، لم يمنع وجنتى اللتين طهرهما الطل (٣٣) ، من أن يستعيدا ببكائى لوهما الأغبر (٣٤)
- ٥٥ « لا تسترسلن فى البكاء يا دانتى (٣٥) ، لذهاب فرجيليو عنك ، ولا تمضين فى إرسال دموعك مزيداً ، إذ أنك فى حاجة لأن تذرف دموعك بجرحٍ غيره (٣٦) . »
- ٥٨ وكأمر البحر الذى يذرع سفينته من مقدمها حتى مؤخرها ، لكى يرقب رجاله الذين يعملون فى سائرسفنه ، ويستحثهم على أن يحسنوا صنعا (٣٧) ؛ —
- ٦١ هكذا رأيتُ — على الجانب الأيسر من العربى — حينما التفتُ بسماع من تنادى باسمى ، الذى وجب على أن أسجله ها هنا (٣٨) — هكذا رأيتُ
- ٦٤ السيدة التى تبدت لى من قبل ، وراء نقاب من أزهار الملائكة (٣٩) — تتجه بعينها نحوى على هذا الجانب من النهر (٤٠)
- ٦٧ ومع أن النقاب الذى تدلى من رأسها مكلّلاً بأوراق ميرفا (٤١) ، لم يدعها تبدو لى جليّة الملامح ،
- ٧٠ فقد تابعتُ قولها ، وهى لا تزال تعلوها أمارات الجلال (٤٢) ، كمن يتكلم ولكنه يؤخر إلى ختام حديثه كلماته المؤثرة الحارة (٤٣) ؛

- ٧٣ « ألا فلتنظرني جيداً^(٤٤) ! فإنني في الحقيقة ، إنني في الحقيقة بياتريتشى وكيف وجدت نفسك جديراً بارتقاء الجبل^(٤٥) ؟ ألا تدري أن هذا هو موئل السعداء^(٤٦) ؟ » .
- ٧٦ فأرخيتُ عيى إلى الجدول الصافى^(٤٧) ؛ ولكنى لمّا رأيتُ فيه ذاتَ صورتي وجهتُهما إلى العشب ، وقد أثقل جيبى خجلٌ شديد^(٤٨)
- ٧٩ وكما تبدو الأمّ لابها قاسيةً — هكذا بدتُ لى — إذْ أن الإشفاقَ المشوب بالقسوة ذو غصّةٍ مريرة الطعم^(٤٩)
- ٨٢ ولزمتُ هى الصمت^(٥٠) ؛ ورتل الملائكة بغتةً "عليك يا ربّ توكلتُ" ؛ ولكنهم لم يتجاوزوا قولهم "رجلى"^(٥١)
- ٨٥ وكما يتجمّد الثلج بين الأشجار المخضرة^(٥٢) — على ظهر إيطاليا^(٥٣) — عندما تهبّ عليه وترهقه رياح اسلافونيا^(٥٤) ،
- ٨٨ وبذوّبه يقطر خلال نفسه^(٥٥) ، إذا بعثتْ أنفاسها الأرضُ التى لا تعرف الظل^(٥٦) ، ويبدو كشمعة تُبذّبها حرارة النار^(٥٧) —
- ٩١ هكذا أصبحتُ بلا دمعٍ وبلا تنهّد^(٥٨) ، قبل ترتيل مَنْ يضبطون أنغامهم أبداً على ألحان الحلقات الأزلية^(٥٩) ؛
- ٩٤ ولكن حينما سمعتُ فى ألحانهم العذبة إشفاقهم على أكثر ممّا لو أنهم قالوا لم ترهقينه هكذا أيتها السيدة ؟^(٦٠) —
- ٩٧ صار الثلج الذى أطبق على قلبي نَفَساً وماءً^(٦١) ، وخرج مع الأسى من صدرى ، من فى ومن عيى^(٦٢)
- ١٠٠ وبينما هى لا تزال واقفةً على ذات الجانب من العربة^(٦٣) ، إذْ بها توجه إلى الجواهر الرحيمة هذه الكلمات^(٦٤)
- ١٠٣ « إنكم تظلمون أبقاظاً فى اليوم الأخير ، بحيث لا يُسحق عنكم الليل ولا النوم خطوةً واحدةً^(٦٥) يسير بها البشر فى مسالكهم^(٦٦) ،
- ١٠٦ ولذا فإن القصد من إجابتي هو أن يفهمى بخاصةٍ مَنْ يبكى فى ذلك الجانب^(٦٧) ، حتى يدرك أن لكل خطيئة عذابها المناسب^(٦٨)

١٠٩ ولا تتَّجِه كلٌّ بذرةٍ إلى غايةٍ بعِيسِها^(٦٩)، بفعل الدوائر الكبرى وحدها^(٧٠)،
حسبها يكون في صُحْبَتِها من النجوم^(٧١)،

١١٢ ولكن بوفرة النعم الإلهية، التي يرجع وابلها إلى أبخرةٍ شاهقة الارتفاع^(٧٢)،
حتى إن أبصارنا لا تدركها هنالك^(٧٣) —

١١٥ وبذلك صار لهذا البشر في حياته الجديدة من الفضل، ما كان قميئاً
بتوجيه مَلَكَاتِهِ الطيِّبَةِ إلى أن تأتي بأروع الثمرات^(٧٤)

١١٨ ولكن كلما ازداد خصب الأرض ازداد فسادها وبوارها، بالبذور الخبيثة
وبالتوقف عن حرثها^(٧٥)

١٢١ ولقد ساندَتْهُ بوجهي فترةٌ من الزمن^(٧٦) : وبإظهارى له عيىّ الفتيّتين
اتَّجَهِتُ به إلى الطريق القويم^(٧٧)

١٢٤ وما إن بلغتُ العتبة الثانية من مراحل عمري^(٧٨) وبدلتُ ثوبَ حياتي^(٧٩)،
حتى انصرف عيى هذا الرجل وانساق وراء غيرى من النساء^(٨٠)

١٢٧ ولمّا سموتُ من حياة الجسد إلى حياة الروح^(٨١)، وزاد الفضل والجمال في
أعطافي^(٨٢)، أصبحتُ لديه أدنى قبولاً وأقلّ إعزازاً^(٨٣)؛

١٣٠ واتَّجِه بخطوه إلى طريق الزلل، في إثر ما للخير من الصور الزائفة^(٨٤)، التي
لا تفي بوعودها حقّ الوفاء^(٨٥)

١٣٣ ولم يُجِدْنِي نفعاً أن أنال له أنوار الإلهام، التي ناديتُ بها في حلمه وفي
يقظته^(٨٦)؛ إذ كانت اديه قليلة الشأن !

١٣٦ فهوّى إلى الحضيض^(٨٧)، حتى قَصُرَتْ الآن عن خلاصه كلّ الوسائل،
سوى إظهاره على القوم الهالكين^(٨٨)

١٣٩ ولذا زرتُ بابَ الموتى^(٨٩)، وحملتُ ضراعتي وميدمعي الباكي إلى مَنْ جاءه
صُعْدٌ إلى هذا المكان العالى^(٩٠)

١٤٢ وإن الشريعة الإلهية العليا لتستنقص، إذا كان له أن يعبر هر ليتي،
ويتذوق من مثل هذه الغداء، بغير أن يؤدّى أتاوةً

١٤٥ من التكفير الذى يهمهم من عينيهِ دموعاً^(٩١) .

حواشى الأنشودة الثلاثين

- (١) هذه أنشودة اختفاء فرجيليو وظهور بياتريشى
- (٢) استخدم دانتى تعبير الدب الأكبر (Settentrione) - المكون من ٧ نجوم - كرمز للسر السبعة التى جاءت من السماء الأولى ، مكان الله والملائكة ، إلى الفردوس الأرضى لكى تعاون الأرواح على التطهر والصعود إلى الله . ولقد رفعت تعبير (وقف دون حراك) من بيت ٧ إلى مطلع هذه الأنشودة ، ونقلت إلى مكانه جزءاً من بيت ٦ ، وذلك مراعاة للأسلوب العربى
- (٣) أى أن هذا الدب الأكبر - السرج السبعة - لا يعرف ظاهرياً الظهور والاختفاء كما بالنسبة لسكان الأرض .
- (٤) يعنى أن السرج السبعة ترشد الناس إلى طريق الخلاص
- (٥) أى كما يفعل الدب الأدنى - الدب الأصفر - فى سماء النجوم الأقرب إلى الأرض والذى يعاون الملاحين فى أسفارهم
- (٦) اتجهت جماعة الشيوخ الأربعة والعشرين - رمز إصحاحات العهد القديم - إلى العربة المقدسة - رمز الكنيسة - والذين ساروا فى هذا الموكب بين الجريفيون - رمز المسيح - وبين الدب الأكبر الذى يعنى هنا السرج السبعة
- (٧) هذا هو سليمان (Salomon) الحكيم ملك إسرائيل (٩٧٤ - ٩٣٧ ق.م.) الذى يمثل نشيد الإنشاد ، ويتكرر ذكره أو الإشارة إليه
- Par. X. 109-114; XIII. 48, 92-96; XIV. 34-45.
- (٨) دعا سليمان بإنشاده بياتريشى إلى القدوم . وهذا التعبير مقتبس من « الكتاب المقدس »
- Cant. Cantic. IV. 8.
- (٩) يعنى بقية الشيوخ
- (١٠) أى كما سيحدث يوم القيامة أن يهض المباركون من قبورهم ويسارعون إلى التسبيح بمجد الله بقولهم هلوليا . وفى نص أكسفورد ورد لفظ (voce) بدلا من لفظ (carne) الوارد فى نص الجمعية الدانتية الإيطالية . وإذا أخذنا بنص أكسفورد كانت الترجمة (وباستعادة أصولهم) بدلا من (أجسادهم) . وفى الأبيات السابقة والتالية يمدح دانتى لظهور بياتريشى بالتدريج ، وما كان يستطيع أن يجعلها تظهر أمامه مباشرة ، وهو الذى يتطلع إلى لقاءها منذ بعيد ويشبه هذا تمهيد بعض الألحان الموسيقية لظهور الأبطال ، وعلى الأخص كما فى موسيقى فاجنر
- (١١) يعنى صعد فوق العربة المقدسة عدد كبير من الملائكة
- (١٢) أى ما قاله سليمان فى بيت ١٢
- (١٣) بياتريشى تلقى التحية من الملائكة كما لقياها المسيح فى أورشليم
- Matt. XXI. 9; Marco, XI. 9; Luca, XIX. 38.
- (١٤) ملا الملائكة العربة المقدسة وما حولها بالأزهار . واقتبس دانتى قول فرجيليو فى هذا المعنى
- Virg. Æn. VI. 883.
- (١٥) هذا وصف رائع لشرق الشمس مستمد من ملاحظة دانتى للقيقة .

- (١٦) يخفف الضباب من أثر الشمس في الصباح فتقوى العين على النظر إليها ، ويشبه التعبير عن اعتدال أشعة الشمس ما سبق
Inf. XXIV. 2.
- (١٧) كانت الأزهار التي ألقي بها الملائكة إلى أعلى وأسفل بمثابة الضباب الذي يخفف من أثر الشمس أي من أثر بياتريثي التي توشك على الظهور وهكذا يصور دانتي بياتريثي في إطار الطبيعة الرائعة ، وبذلك يمزج بين الإنسان والطبيعة وفي هذا خروج على تقاليد العصور الوسطى وتمهيد لعصر النهضة فالعصر الحديث .
- (١٨) هذه هي بياتريثي ، ولم يكن دانتي قد تبيها بعد ، ولكنه أحس بها ومهد لظهورها على هذا النحو
- (١٩) غصن الزينون رمز للسلام والحكمة .
- (٢٠) في « الحياة الجديدة » ارتدت رفيقات بياتريثي - لا بياتريثي ذاتها - النقاب الأبيض ، وإن كان اللون الأبيض من ألوان ثياب بياتريثي
V.N. III.
- (٢١) اعتادت بياتريثي أن ترتدى اللون الأحمر
V.N. II. 3.
- (٢٢) لم يذكر دانتي في الحياة الجديدة أن بياتريثي ارتدت اللون الأخضر . وألوان الأبيض والأحمر والأخضر رمز للفضائل اللاهوتية الإيمان والمحبة والأمل .
- (٢٣) يعني منذ ١٠ سنوات لأن بياتريثي ماتت في ١٢٩٠
- (٢٤) كان دانتي يحس في شبابه بالردة في حضور بياتريثي
- V.N. XIV. 4-6; XXIV.
- (٢٥) أي بدون أن يتبين دانتي شخص بياتريثي لأن النقاب الأبيض والأزهار جعلت رؤيتها غير واضحة
- (٢٦) هكذا أحس دانتي بسلطان الحب القديم عليه . وهذا هو دانتي الذي تظل بواعث إحساسه وانفعاله في كهولته كما كانت وقت شبابه ، وهو الشاعر الفنان الذي لا تشيخ عواطفه ولا تهرم أبداً
- (٢٧) عبر دانتي عن هذا المعنى في « الحياة الجديدة »
V.N. II. 4.
- (٢٨) هذه صورة دقيقة للطفل الذي يجري نحو أمه وقد سادته الخوف والألم .
- (٢٩) يشبه هذا ما أورده فرجيليو على لسان ديدو
Virg. Æn. IV. 23.
- (٣٠) يعني ترك فرجيليو دانتي واستاتايوس ويمكن القول بأن فرجيليو (قد تركنا محرومين منه أو أنه قد حرمانا من رفقته) وسبق أن استخدم دانتي لفظ (scemo) بمعنى التناقص أو الانخفاض
Inf. IV. 148.
- (٣١) هكذا يذكر دانتي اسم فرجيليو أربع مرات في ثلاثيتين متتاليتين (أبيات ٤٦ - ٥١) ، وهذا تعبير عن محبته الشديدة له وألمه البالغ لفراقه . ويعبر دانتي - كدأبه دائماً - بصدق وبساطة عما يخالجه من الشعور
- (٣٢) أي كل ما فقدته حواء بارتكاب الخطيئة وحرمان البشر من الفردوس الأرضي .
- (٣٣) سبق أن غسل الطل وجه دانتي
Purg. I. 95 ...; 124 ...
- (٣٤) يعني أن مباحث الفردوس الأرضي التي رآها دانتي الآن لم تمنعه من البكاء عند اختفاء فرجيليو .
- (٣٥) جعل دانتي بياتريثي شخصية تحس وتتحرك وتعمل على إنقاذه من الأخطار وسبق أن سعت إلى خلاصه في بداية الجحيم عن طريق فرجيليو وهي تقوده في الفردوس الأرضي ، وتناديه

باسمه - وهى المرة الوحيدة التى يذكر فيها اسم دانتي فى الكوميديا - وهو ما كان يرجو حدوثه فى الحياة الواقعة وما أعذب أن يسمع صدى اسمه على شفيتها !

(٣٦) تدعو بياتريتشى دانتي إلى أن يكف عن البكاء لرحيل فرجيليو ، فهناك موقف آخر سوف يضطر فيه إلى البكاء ، وتعى بذلك الموقف الذى ستوجه فيه إليه اللوم والعتاب

(٣٧) بدت على بياتريتشى أمارات السلطان ، وكانت كأمير البحر الذى يشرف من سفينة القيادة على سائر سفنه حتى يحسن رجاله القيا بواجبهم .

(٣٨) اعتبر دانتي فى - هذا الخلق الأدبى - أن ذكر اسمه كان أمراً ضرورياً ، وفى هذا شئ من الاعتداد بالنفس ، الذى كان دانتي يتراوح بينه وبين التواضع ولقد اعترف فى

« الوليمة » بأنه ليس من المناسب أن يتكلم الإنسان عن نفسه Conv. I. II. 2-3.

(٣٩) سبق ذلك فى بيت ٢٨ وما بعده . ويستخدم دانتي لفظ (festa) ويقصد الأزهار التى نثرها الملائكة للترحاب بقلوم بياتريتشى .

(٤٠) أى على الجانب من نهر ليبي الذى وقف عنده دانتي .

(٤١) يعنى أغصان الزيتون المقدسة عند ميرفا إلهة الحكمة عند الرومان

(٤٢) عبر دانتي عن هذا المعنى فى « الوليمة »

(٤٣) عبر دانتي عن هذا المعنى فى « الوليمة »

(٤٤) لم يستطع دانتي أن ينظر جيداً إلى بياتريتشى ووقف كالشده الذى بهر نور مفاجئ ، ولذا سألته أن يحمى النظر إليها وأكدت له أنها هى بذاتها

ويشبه ظهور بياتريتشى على هذا النحو - مع الفارق - بعض ما ورد فى تراث الإسلام ، من حيث ظهور الحوراء التى لا تشبه نساء الدنيا للمؤمن فى المنام ، وتطلب مهرها بحبس النفس عن آفاتهما ، أو من حيث أن لكل ولى عروس فى الجنة تتشوق إليه ، فإن وجدته فى ظلام الليل يصل تفرح وإذا وجدته غافلاً عن الصلاة تحزن

الزبىدى ، محمد بن محمد الحسى الشهير بمرتضى كتاب إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين . القاهرة ، ١٣١١ هـ . ج ١٠ ص ٤٣٤

الشعرانى مختصر تذكرة القرطبي (المصدر السابق الذكر) . ص ١٢١ - ١٢٣

(٤٥) يرى كثير من الشراح أن لفظ (degnare) يقصد به كيف أصبح دانتي جديراً بالصعود إلى جبل المطهر . ويرى بعض أن اللفظ مأخوذ من (denkar) من اللغة البروثسية بمعنى يستطيع ويمكن القول (كيف جرئت) وهذان التفسيران متقاربان ولا يمكننا أن نعرف ماذا دار بذهن دانتي على وجه التحديد .

(٤٦) فى «كلام بياتريتشى سخرية وخشونة لم يكن يتوقمها دانتي بعد صبره وانتظاره الطويل وتطلعه إلى لقاءها ، وهى تذكر له أن هذا المكان مخصص للسعداء لا للآثمين .

(٤٧) أحس دانتي المראה فى كلام بياتريتشى فخفض عينيه إلى مياه ليبي .

(٤٨) رأى دانتي على صفحة الماء الصافية ما اعتراه من الخجل الشديد ، وهذا يعنى أنه عرف نفسه وأدرك ما ارتكبه من الخطايا ، فحول نظره من الماء إلى العشب دون أن يرفعه إلى بياتريتشى .

(٤٩) بدت بياتريتشى لدانتي كالأم القاسية حين تلوم أبنا وتوبخه ، ولا يدرك الا بن أن خشونة أمه

مصدرها الحية وهدفها المصلحة ، ولا يشعر سوى بمرارة اللوم والتقريع وهذا تصوير دقيق مستمد من الحياة الواقعة

- (٥٠) بعد هذا اللوم الذى وجهته بياتريتشى إلى دانتى سكنت عن الكلام ، وسكت دانتى كذلك .
 (٥١) قطع الصمت فجأة ترتيل الملائكة الذين أشفقوا على دانتى فدافعوا عنه بترتيل كلمات من « الكتاب المقدس » ، حتى قوله « ولم تحبسى فى يد عدو بل أقمت فى الرحب رجلى »
 وأجابوا عن سؤالى بياتريتشى فى بيتى ٧٤ و ٧٥
 Salm. XXXI. 1-8.
 (٥٢) قال دانتى (الخشب الحى أو المثمر) ويقصد أشجار الصنوبر فى جبال الأبينين ، ويشبه هذا التعبير ما أورده ثرجيليو وأوفيدوس
 Virg. Æn. VI. 181.
 Ov. Met. VIII. 329; X. 372

- (٥٣) أى جبال الأبينين
 (٥٤) هذه هى الرياح الباردة التى تأتى من الشمال الشرقى من اسلافونيا (Slavonia) أو اسكيافونيا (Schiavonia) ، وفى القرن ١٤ كان يطلق هذا الاسم على المنطقة الواقعة بين دلماشيا ونهر الدراف . وربما يقصد باسلافونيا روسيا وأرض الشمال
 (٥٥) تذوب الطبقة العليا من الثلج بحرارة الجو ثم تنساب إلى أسفل .
 (٥٦) الأرض التى تفقد الظل هى أفريقيا وفى مناطقها الاستوائية تصبح الشمس عمودية على خط الاستواء مرتين فى السنة (زمن الاعتدالين) فلا تدع للأشياء ظلا والمقصود أن الثلج يذوب إذا بعثت أفريقيا برياحها الساخنة إلى إيطاليا
 (٥٧) المقصود أن رياح أفريقيا الحارة تشبه النار التى تذيب الشمع ويمكن أن يترجم بيت ٩٠ كالآتى (فتبدو - رياح أفريقيا - كالنار التى تذيب الشمع)
 (٥٨) يعنى أن كلام بياتريتشى القاسى كان كالريح الباردة فتجمد دانتى وتحجر أمامها ، ولكن ترتيل الملائكة سيكون كالريح الحار التى تذيب الثلج
 (٥٩) هذا تعبير موسيقى يفصح عن التوافق والانسجام بين ألحان السماوت وأنغام الملائكة وهذا هو دانتى الموسيقى الفنان
 (٦٠) أحس دانتى فى ترتيل الملائكة بالعطف والإشفاق عليه وكان ذلك أفضل فى نفسه مما لو لاموا بياتريتشى على طريقة معاملتها إياه
 (٦١) هذا هو دانتى الرقيق المرهف الحس الذى يتألم حتى يصعد الزفرات ويهمر دمه .
 (٦٢) هذا تعبير رائع عن الألم وقد ذكر دانتى أثر المشاركة والإشفاق على المتألم فى « الحياة الجديدة »
 V.N. XXXV. 3.
 (٦٣) لم تلتن بياتريتشى أمام ترتيل الملائكة وإشفاقهم على دانتى ، وظلت على موقفها فوق العربة المقدسة ، وخاطبت الملائكة شارحة لهم السبب فى المسلك الذى اتخذته نحو دانتى .
 (٦٤) يقصد دانتى الملائكة بقوله الجواهر أو الكائنات الرحيمة وقد عبر فى « الويلمة » عن الملائكة بأنهم كائنات مجردة من المادة
 Conv. II. IV. 2.
 (٦٥) يرقب الملائكة فى النور الأبدى أعمال الإنسان وبذلك يعرفون كل شئ عنه واستخدم دانتى فى بيت ١٠٤ فعل (furare) بمعنى يسرق ويدل هنا على الإخفاء والحيلولة دون المعرفة .
 (٦٦) يذكر دانتى فى « الحياة الجديدة » أن لفظ (secolo) يعنى الدنيا أو الإنسانية ومن معانيه

V.N. XXXI.

في العربية القرون والبشر وأهل الزمان الواحد

(٦٧) يفهم الملائكة كل شيء بدون إيضاح ، والمقصود بالفهم هنا هو دانتي ويشبه هذا ما أورده توماس الأكويني

d'Aq. Sum. Theol. I. LVII. 1-2.

(٦٨) تقصد بياتريتشى أن دانتي ينبغي عليه أن يتألم بقدر خطيئته لأنه لا توبة ولا تكفير بدون ذلك .

(٦٩) تعنى بياتريتشى الإنسان بقولها اليدرة

Par. II. 112

(٧٠) يعنى في السماوات ، وسيأتى شرح ذلك في الفردوس

(٧١) أى أن الإنسان لا يعمل متأثراً بالنجوم وحدها والمقصود بالنجوم الأبراج التى يولد الإنسان فى دائرتها

(٧٢) يعنى أن الرحمة الإلهية ترجع إلى أسباب سامية لا يدركها الإنسان ويأخذ دانتي تشبيهه من ملاحظة الأبنجرة والمطر

(٧٣) أى أن السعداء فى السماء لا يدركون كذلك هذه الأسباب .

(٧٤) يعنى تحلى دانتي فى شبابه بفضائل كان من المستطاع أن تظهر آثارها فيه بصورة رائعة لو أنه سار فى الطريق القويم

(٧٥) هذا مستمد من ملاحظة دانتي للزرع والنبت لأنواع التربة المختلفة

(٧٦) يعنى أنه حينما كان دانتي يحب بياتريتشى فى أثناء حياتها جعله هذا الحب إنساناً فاضلاً رحيماً متواضعاً ويتضح فى كلام بياتريتشى اعتزازها بذكرى الشباب وبآثارها الحسن على دانتي

وسبق أن شرح دانتي هذا الأثر فى نفسه فى « الحياة الجديدة »

V.N. XI. XXI. 2; XXVI. 3.

(٧٧) فظرت بياتريتشى إلى دانتي - فى الدنيا - بعينها الفتيتين فانجذب إليها وسار معها فى الطريق القويم

(٧٨) أى حينما تجاوزت بياتريتشى سن الخامسة والعشرين وقسم دانتي عمر الإنسان أربيع فترات ، كما ورد فى « الوليمة »

Conv. IV. XXIV. 1-2.

(٧٩) يعنى حينما تركت بياتريتشى حياة الأرض إلى حياة السماء .

(٨٠) بعد موت بياتريتشى اتجه دانتي إلى نساء أخريات ، وذكر فى « الحياة الجديدة » أنه أحب السيدة الرقيقة ، ويرى بعض الشراح أنها ترمز للفلسفة التى انهمك دانتي فى دراستها بعد موت بياتريتشى . ويرى آخرون أن المقصود بها هنا هى ليزيتا التى ذكرها فى بعض قصائده ومهما اختلف الدارسون فى تفسير المعنى الرمضى الذى أرادته دانتي فإنه يرسم صورة لامرأة تنبض بالحياة وتتحرك وتتكلم وكأنها تشعر بالمرارة والغيرة من سلوك دانتي مع النساء

V.N. XXXV. - XXXVII. Rime, CXVII.

(٨١) قالت بياتريتشى (ولما صعدت من الجسد إلى الروح)

(٨٢) عبر دانتي فى « الحياة الجديدة » عن جمال بياتريتشى الروحي حينما صعدت إلى السماء

V.N. XXXIII.

(٨٣) يتضح من قول بياتريتشى أن دانتي لم يتحول عن حبها تماماً بل تناقص حبه لها ، وهذا يعنى أنها كانت حريصة - هكذا جعلها دانتي - على أن يظل يحمل لها بعض الحب .

- (٨٤) أى اتبع ملذات الحياة الدنيا التى هى صورة زائفة للخير الحقيقى . ويشبه هذا قول بوييتوس
Boet. Cons. Phil. III. 8-9.
- (٨٥) يعنى أن ملذات الحياة لا تحقق للإنسان الخير الحقيقى .
- (٨٦) لم يجد بياتريتشى نفعاً أن نادت دانتي بالإلهام الإلهى فى الحلم، أو اليقظة لكى يعود إلى الطريق القويم، وأضفت لفظ (أنوار) فى بيت ١٣٣ مراعاة للأسلوب العربى وأشار دانتي إلى المعنى الوارد هنا فى « الحياة الجديدة » وفى « الوليمة » V.N. XXXIX.; XLII. Conv. II. VII. 6.
- (٨٧) أى ارتكب دانتي الآثام وانحدر إلى الغابة المظلمة فى مقدمة الجحيم Inf. I.
- (٨٨) يعنى لم ينفع شئ لخلاص دانتي سوى أن يرى عذاب الآثمين فى الجحيم لكى يتعظ ويندم ويكفر ويصيح جديراً بالصعود إلى السماء .
- (٨٩) نزلت بياتريتشى من السماء إلى الجحيم لكى تنقذ دانتي من الأخطار كما سبق Inf. II. 52
- (٩٠) سبق أن تضرعت بياتريتشى إلى فرجيليو وهى تذرف الدمع لكى يسارع إلى إنقاذ دانتي من الوحوش وبذلك تبدد قسوة بياتريتشى ، وتظهر أنها هى عين الرحمة ويتضح حبها لدانتي وحرصها على خلاصه .
- (٩١) يعنى أن شريعة الله تقضى على من يعبر مهر لى ويذوق من مائه أن يدفع ثمن ذلك بدموع الندم والتكفير والتوبة .

الأنشودة الحادية والثلاثون^(١)

مضت بياتريتشى فى تعنيف دانتي وسألته أن يعترف بما ارتكبه من الخطيئة ، فتولاه الاضطراب والخوف وانفجر باكياً وأرسل تنهده تحت العبء الذى أحسه وسكت عن الكلام . وسألته بياتريتشى عن العقبات والمغريات التى أضلته فى الدنيا ، فقال إنها الملذات الزائفة التى انحرفت بخطاه حينما اختفى وجهها من الدنيا فسألته أن يدع عنه أصل البكاء ، وقالت إن الطبيعة أو الفن لم يقدماً له لذة تفوق لذة الأعضاء الجميلة التى كانت لها فى أثناء الحياة ، وما كان ينبغي للملذات الباطلة أن تثقل رياشه لأنه من العبث أن تنشر الشباك أو تطلق السهام أمام الطائر الذى اكتمل نموه . وعندئذ وقف دانتي خجلاً صامتاً مطرق الرأس ، فطلبت إليه بياتريتشى أن يرفع وجهه لكى يزيد من ألمه بالنظر إليها . فرأى دانتي الملائكة قد كفوا عن نثر الأزهار ، وشهد بياتريتشى تنظر إلى الجحيفون ذى الطبيعة المزدوجة - رمز المسيح - وبدأت أنها فاقت ما كانت عليه من الجمال فى الأرض ، فأحس دانتي بالندم وهوى إلى الأرض فاقدأً وعيه . ولما أفاق وجد ماتيلدا تسأله أن يمسك بها ، وغمرته فى مياه هر ليتى حتى عنقه ، وشرب من النهر ، ثم أخرجته إلى الضفة الأخرى ودفعته بين الحوريات الأربع اللاتى كن يرقصن . ونظر دانتي إلى عيى بياتريتشى المثبتتين على الجحيفون، الذى بدا فيهما بطبيعته الإلهية والبشرية . وتقدمت السيدات الثلاث الأخريات وسألن بياتريتشى فى ترتيلهن أن تنظر إلى المخلص لها الذى قطع هذه المسافة الطويلة لكى يراها ، وطلبن إليها أن تكشف له عن ثغرها الذى هو موضع جمالها الثانى ، وأخذ دانتي يتمجد بما رآه من جمالها الفائق الذى يعجز عن وصفه هو وسائر الشعراء .

- ١ « أيها الواقف على الجانب المقابل من النهر المبارك » ، هكذا وجّهت إلى سينان كلامها^(٢) ، الذى بدا لى ذا حدٍّ مرير الطعم^(٣) ،
- ٤ ثم تابعت حديثها دون تمهل « تكلم واذكر إذا كان ما أقوله هو الحق^(٤) » إذ ينبغى عليك أن تقرن اعترافك بما وجهته إليك من الاتهام الخطير^(٥) »
- ٧ وكان قد تولّاني الاضطراب الشديد ، حتى احتبس صوتى — وأنا أهمّ بالكلام — قبل أن ينطلق من أعضائه^(٦)
- ١٠ فتمهلّت هنيهة^(٧) ؛ ثم قالت « فيم تفكّر ؟ أجيبى ؛ إذ لم تمحّ بعد هذه المياه ما فى نفسك من الذكريات الأليمة^(٨) »
- ١٣ مزيجٌ من الاضطراب والخوف معاً إنترزع من فى لفظ « نعم » ، على نحوٍ اقتضى منى أن أحرك عيى لكى يفهم^(٩)
- ١٦ وكما يقطع القوس وتره ومشدّه ، حينما يسحب بعنفٍ وشدةٍ ، فتفتر إصابعه السهم لهدفه^(١٠) ،
- ١٩ هكذا انفجرت تحت هذا العبء الثقيل^(١١) ، فذرفت دمعى وأطلقتُ تهديتى وتوقّف الصوت فى حلقى^(١٢)
- ٢٢ وعندئذ قالت لى^(١٣) « خلال ما أوحيتُ به إليك من المشاعر التى أدّت بك إلى محبة الخير الإلهى ، وليس للإنسان أن يأمل بعده فى شيء سواه^(١٤) ،
- ٢٥ آية مهاوٍ اعترضتك أو آية سلاسل لقيت ، حتى اضطرتت هكذا إلى أن تطرح عنك الأمل فى متابعة مسيرك^(١٥) ؟
- ٢٨ وآية مغريات وآية منافع تبدّت لك على جباه الآخرين ، حتى التزمت أن تشرع فى التودّد إليهم^(١٦) ؟ »
- ٣١ وبعد أن أرسلتُ مرير تهديتى ، استعدتُ بجهدٍ صوتى الذى تولّى عنى الجواب ، وبعباءٍ شكّلتُ منه شفتاى كلماتى^(١٧)
- ٣٤ وقلت وأنا أسكب دمعى « لقد انحرفت بخطواتى الأشياء الماثلة أمامى بزائف لذتها ، حينما توارى وجهك عني^(١٨) » .

- ٣٧ فقالت (١٩) « لو كنتَ قد سكتَ أو نفيتَ ما أنتَ به معترفٌ ، لما كان لائمك أقلّ بياناً وإن هذا ليعرفه مثل ذلك الديان (٢٠) !
- ٤٠ ولكن حينما يتفجّر الإتهام بالإثم من فم الآثم (٢١) ، يتجه المِشْحَذُ في قضائنا بعكس حدّ السيف القاطع (٢٢)
- ٤٣ ومع ذلك فلكى تشعر الآن بالحجل من خطئك ، ولكى تزداد نفسك منعةً — لو سمعتَ عرائس البحر مرة أخرى (٢٣) —
- ٤٦ فلتدع عنك الآن سبب بكائك (٢٤) ولتُصْغِ إلى — وهكذا ستسمع كيف كان ينبغي أن يقودك جسدك وهو في قبره إلى طريقٍ مغايرٍ (٢٥)
- ٤٩ وأبدأ لم تمنحك الطبيعة أو الفن من البهجة ، ما منحته لك الأعضاء الجميلة التي احتوتني (٢٦) ، وانتثرتُ الآن على الأرض تراباً (٢٧)
- ٥٢ وإذا كانت قد أعوزتلك بموتى هذه البهجة القصوى (٢٨) ، فأى شيءٍ فانٍ اقتضى أن يجتذبك عندئذٍ بإثارة شوقك إليه (٢٩) ؟
- ٥٥ وفي الحق كان عليك أن تملو في إثري سبوحاً ، حينما أصابك أول سهمٍ من سهام الأمور الخادعة (٣٠) ، التي لم أعد أنتمي إليها (٣١)
- ٥٨ وما كان ينبغي لعذراء صغيرة (٣٢) أو لباطلٍ آخر قصير المتعة (٣٣) — أن يُخَفِّض إلى الأرض رياشك ، انتظاراً للمزيد من الضربات (٣٤)
- ٦١ وإن صغار الطير لتظلّ مُتَمَهِّلَةً عند رمية سهمين أو ثلاثة (٣٥) ، ولكن عبثاً تُنْصَبُ الشباك أو ترمى السهام على مرأى من الطيور المكتملة الأرياش (٣٦) .
- ٦٤ وكما يقف الأطفال وقد تولّاهم الحجل ، فسكتوا ، وخفضوا إلى الأرض أعيهم ، وأصغَوْا ، آخذين في الاعتراف بذنوبهم والندم عليها (٣٧) ،
- ٦٧ هكذا وقفتُ ؛ فقالت « ما دمتَ تأسى بسماع كلماتي ، فلترفع لي حيثك ، وسينالك مزيدٌ من الأسى بالنظر إلى (٣٨) »
- ٧٠ وإن شجرة اللبخ الضخمة لتُخْلَع — إما بريح (٣٩) بلادنا أو بتلك الريح الآتية من بلاد ياربنا (٤٠) — بمقاومة تقلّ عما بذلته
- ٧٣ حين رفعتُ ذقني استجابةً لأمرها (٤١) ؛ وحينما دعتُ وجهي — بالحية — تبينّت جلياً في حديثها مرارة اللوم (٤٢)

- ٧٦ ولما رفعتُ وجهي ، أدركتُ عيني أن تلك الكائنات الأولى قد كفت عن نثر أزهارها (٤٣) ؛
- ٧٩ وعيناي اللتان ظلنا يُراودهما الشك (٤٤) ، رأتا بياتريتشي تتجه نحو الوحش ، الذي جمع في طبيعته أقنوماً واحداً (٤٥)
- ٨٢ ووراء نقابها وعبرَ الجدول ، بدتُ لي أنها قد فاقتُ جمالها القديم أكثر من تفوقها على سائر النساء هاهنا (٤٦) ، حينما كانت تعيش بين ظهرانينا (٤٧)
- ٨٥ وعندئذٍ لسعتني وخزةُ الندم (٤٨) ، حتى اشتدت كراهي لـكل ما ازددتُ ميلاً إلى محبته من سائر الأشياء (٤٩)
- ٨٨ ولقد مزق قلبي مثلُ هذا الإدراك حتى هويتُ إلى الأرض فاقدَ الوعي (٥٠) ؛ وكيف أصبحتُ عندئذٍ — تعرف هذا مَنْ كانت هي السبب (٥١)
- ٩١ ولما ردتُ لي قلبي إحساساً بما حولي (٥٢) ، رأيتُ فوق تلك السيدة التي كنتُ قد لقيتها وحيدة (٥٣) ، فقالت لي أمسكِ بي (٥٤) ، أمسكِ بي ! .
- ٩٤ وسحبني مغموراً حتى عنتي في مياه الجدول (٥٥) ، وفيما كانت تجذبني من ورائها أخذتُ تسير على صفحة الماء خفيفةً كأنها الزورق (٥٦)
- ٩٧ وحينما أصبحتُ قريباً من الضفة المباركة (٥٧) ، سمعتُ ” طهرني “ (٥٨) تُرتل بنغمة رقيقة ، أعجزتني عذوبتها عن التعبير عنها أو تذكرها (٥٩)
- ١٠٠ وبسطتُ السيدة الجميلة ذراعيها لي (٦٠) ؛ واحتضنتُ رأسي وغمرتني إلى حيث لم يكن هناك لي سوى أن أبتلع شيئاً من مياه الجدول (٦١)
- ١٠٣ وعندئذٍ أخرجتني ، واقتادتنِي — وأنا مبَلَّلٌ — إلى حلبة الرقص ، بين الجميلات الأربع (٦٢) ، فأحطنتني جميعهنّ بالأذرع (٦٣) .
- ١٠٦ « نحن هنا حوريات ولكننا في السماء نجوم ” (٦٤) : وقبل أن تهبط إلى الدنيا بياتريتشي ، كنا قد أضحينا وصيفاتها (٦٥)
- ١٠٩ وسنقودك حتى عينيها ؛ ولكن الثلاث الأخريات اللائي يمتزن في ذلك الجانب بأعمق النظرات ، سيُزِدُن من حدة بصرِك إلى النور البهيج في مُقلتيها (٦٦) .
- ١١٢ هكذا بدأن مُترنّمات ؛ وبعد أن سِرْنَ بي إلى صدر الجريفون ، حيث كانت بياتريتشي واقفةً متجهةً إلينا (٦٧) ،

- ١١٥ قُلْنَ « لِمَ عَمِلَ عَلَى أَلَا تَدَّخِرُ وَسْعاً فِي النَّظَرِ بَعِينِيكَ ^(٦٨) : فَهِيَ قَدْ وَضَعْنَاكَ أَمَامَ الزَّبْرِ جَدَّتَيْنِ ^(٦٩) ، اللَّتَيْنِ رَشَقْتُكُ مَهْمَا الْحُبُّ - ذَاتَ يَوْمٍ - بِسَهَامِهِ ^(٧٠) » .
- ١١٨ إِنْ أَلْفًا مِنَ الْأَشْوَاقِ الَّتِي تَفُوقُ حَرَارَتَهَا النَّارَ الْمَشْتَعِلَةَ ، قَدْ رُبِطَتْ عَيْناً بِالْعَيْنَيْنِ الْمُتَأَلِّقَتَيْنِ ^(٧١) ، اللَّتَيْنِ ظَلَمْنَا مَشِيتَتَيْنِ عَلَى الْجَرِيفُونَ وَحْدَهُ ^(٧٢) .
- ١٢١ وَكَمَا تَنْعَكُسُ الشَّمْسُ فِي الْمِرْآةِ ^(٧٣) ، انْعَكَسَ بِدَاخِلِهِمَا الْوَحْشُ الْمَزْدُوجُ بِإِحْدَى طَبِيعَتَيْهِ تَارَةً وَبِالْآخَرَى طَوْرًا ^(٧٤) .
- ١٢٤ فَلَمَّا تَفَكَّرَ فِي هَذَا أَيُّهَا الْقَارِئُ ^(٧٥) ، إِذَا كُنْتُ قَدْ تَوَلَّيْتُ الْعَجَبَ ، حِينَمَا رَأَيْتُ الشَّيْءَ فِي ذَاتِهِ يَظَلُّ سَاكِنًا وَفِي صَوْرَتِهِ يَتَحَوَّلُ ^(٧٦) .
- ١٢٧ وَبَيْنَمَا كَانَتْ نَفْسِي النَّشْوَى الْمُفْغَمَةَ بِالْعَجَبِ ، تَذُوقُ مِنْ ذَلِكَ الْغِذَاءِ الَّذِي إِلَيْهِ يَجُوعُ مَنْ بِهِ يَمْتَلِئُ ^(٧٧) -
- ١٣٠ تَقَدَّمَتِ الْحَوْرِيَّاتُ الثَّلَاثُ الْآخِرِيَّاتُ ^(٧٨) ، رَاقِصَاتٌ عَلَى وَقْعِ أَنْغَامِهِنَّ الَّتِي حَاكَتْ أَنْغَامَ الْمَلَائِكَةِ ، وَقَدْ بَدَوْنَ أَنَّهُنَّ مَخْلُوقَاتٌ مِنْ أَسْمَى عَنَصَرٍ ^(٧٩) ،
- ١٣٣ وَكَانَ تَرَنَّمُهُنَّ : « فَلَمَّا تَجَهَّيْ يَا بِيَا تَرِيثُنِي ، فَلَمَّا تَجَهَّيْ بَعِينِيكَ الْمُبَارَكَتَيْنِ إِلَى الْمَخْلُصِ لَكَ ^(٨٠) ، الَّذِي قَطَعَ لِرُؤْيَيْكَ كُلَّ هَذَا الشَّوْطِ ^(٨١) !
- ١٣٦ وَأَفِيضِي عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِكَ ، وَاكْشِفِي لِي عَنْ ثَغْرِكَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لِإِشْرَاقِ جَمَالِكَ الثَّانِي ، الَّذِي تَجْعَلِيْنَهُ خَافِيًا عَلَيْهِ ^(٨٢) »
- ١٣٩ أَيُّهَا الْجَلَالُ الْمُتَأَلِّقُ لِلنُّورِ الْأَزَلِيِّ السَّاطِعِ ^(٨٣) مِنْ ذَا الَّذِي شَحَبَ لَوْنَهُ فِي ظِلَالِ پارَنَاسُوسَ ^(٨٤) ، أَوْ مِنْ ذَا الَّذِي ارْتَوَى مِنْ نَبْعِهِ ^(٨٥) ،
- ١٤٢ مِنْ دُونَ أَنْ يَبْدُو أَنْ قَدْ تَوَلَّتْهُ غَاشِيَةٌ ، إِذْ يَسْعَى إِلَى رَسْمِكَ كَمَا تَرَاءَتْ لِي ^(٨٦) ، حَيْثُ تَرَسَّمْتَ السَّمَاوَاتِ مَكَلَّلَةً بِنَفْحَاتِهَا الْمُتَأَلِّفَةِ ^(٨٧) ،
- ١٤٥ حِينَمَا كَشَفْتَ عَنْكَ النِّقَابَ فِي النُّورِ السَّاطِعِ ^(٨٨) ؟

حواشى الأنشودة الحادية والثلاثون

- (١) هذه أنشودة اعتراف دانتي بالخطيئة
- (٢) إستخدم دانتي لفظ (punta) من اللاتينية والمقصود أن كلام بياتريتشى كان كطرف السيف أو سنان الرمح
- (٣) المقصود بهذا كلام بياتريتشى القاسى فى الأنشودة السابقة
- (٤) يعنى إذا كان اتهام بياتريتشى لدانتي اتهاماً صحيحاً
- (٥) أى ينبغى أن يتبع دانتي الاتهام الموجه إليه باعترافه الكامل بما ارتكبه
- (٦) أراد دانتي الكلام ولكن اضطرابه منع انطلاق صوته من حلقه ولسانه وشفثيه .
- (٧) انتظرت بياتريتشى قليلاً لعل دانتي يتكلم .
- (٨) كانت بياتريتشى حريصة على أن تعرف لماذا يتوقف دانتي عن الكلام فقالت له إن مياه نهر لى لم تغسل بعد ذكريات آثامه وهكذا بدت ماضية فى لوم دانتي وتعنيفه
- (٩) أصاب دانتي الخوف والاضطراب فقال نعم بصوت خافت بحيث كان لا بد له من أن يحرك عينيه حتى تدرك بياتريتشى ما نطق به .
- (١٠) هذا التشبيه مأخوذ من حياة الرماية والصيد
- (١١) يعنى انفجر دانتي باكياً أمام عتاب بياتريتشى ولومها إياه وكان فى ذلك كالقوس الذى ينكسر بشدة سحبه
- (١٢) عبر دانتي عن هذا المعنى بلفظ (varco) أى المعبر أو الممر ويقصد أن صوته قد توقف فى حنجرتة أو فم فلم يقو على النطق .
- (١٣) هنا تميل بياتريتشى إلى الاعتدال فى محادثة دانتي حتى لا تزيد من اضطرابه
- (١٤) أى أن بياتريتشى قد بعثت فى نفس دانتي محبة الخير الأعلى أى الله الذى ليس بعده مطمع لطامع ويشبه هذا ما أورده بويتوس Boet. Cons. Phil. III. 10.
- (١٥) الحفر أو المهاوى أو الهوى العميقة تعرقل السير والسلاسل تغلق الطريق ، يعنى العقبات السلبية والإيجابية التى يخلقها الضعف الإنسانى والمقصود بالأولى تناقص حب دانتي لبياتريتشى ويقصد بالثانية الملذات الجسدية ورفقاء السوء وما إلى ذلك ، مما عاق دانتي عن السير فى الطريق القويم
- (١٦) يعنى ما الإغراء الذى بدر من الآخرين حتى اضطرب دانتي إلى السير أمامهم لمغازلتهم والتودد إليهم وتعبير دانتي — عند أغلب الشراح — مأخوذ من عادة العشاق السير أمام منازل معشوقاتهم (passeggiare anzi) وإن كان شتير يرى أن هذا التعبير يساوى (ambulare) فى اللاتينية وأنه يعنى ماورد فى «الكتاب المقدس» عن سيرا الصالحين أمام الرب بكل قلوبهم بدل سيرهم أمام الخير الدنيوى :
1. Re, VIII. 23, 25; IX. 4.
- وهناك تقارب بين التفسيرين لأن كلاهما يتضمن فكرة السير أمام المرغوب فيه
- (١٧) عندئذ تهذ دانتي وتكلم بصعوبة ، وهذا دليل على ما عاناه من الاضطراب والألم

- (١٨) أى أن أمور الدنيا الزائفة بهرت دانتى واجتذبتة عند موت بياتريتشى ، وكان جديراً به أن يظل على محبه لها
- (١٩) عادت بياتريتشى إلى لوم دانتى وعتابه
- (٢٠) يعنى لو سكت دانتى عن آثامه لما غنى شيء على الله .
- ويشبه ظهور بياتريتشى ، مع الفارق - ظهور الحورية للمؤمن في تراث الإسلام
- الزبيدي كتاب إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين (السابق الذكر)
- ج ١٠ ص ٤٣٤ - ٤٣٥
- (٢١) أى حينما يعترف الآثم بإثمه
- (٢٢) حين يعترف الآثم بإثمه يخف ذنبه ويدور المشخذ أو المسن - المصنوع على هيئة دائرة - في اتجاه يقابل اتجاه حد السيف لكي يبطل عمله فلا يقتل المذنب المعترف
- (٢٣) يعنى لكي يقوى دانتى على مقاومة الملذات الدنيوية حينما تغريه عروس البحر بغنائها الساحر ، وسبق ذكرها
- (٢٤) سبب البكاء هو الاضطراب والخوف
- (٢٥) أى كان ينبغي أن تدفعه بياتريتشى من قبرها إلى طريق الفضيلة
- (٢٦) تتكلم بياتريتشى كامرأة عاشقة تشعر بالغيرة لا نصراف عاشقها عنها وتشيد بأعضائها الجميلة في أثناء الحياة ، التى كان ينبغي أن تبقيه متعلقاً بذكرها . ولقد تكلم دانتى أحياناً عن صفات بياتريتشى الجسمانية في «الحياة الجديدة» ، وفي هذا خروج على تقاليد العصور الوسطى : V.N, XIX. 11.
- (٢٧) يعنى تحول جسدها تراباً ، وهذا المعنى مقتبس من الكتاب المقدس Gen. III. 19.
- (٢٨) أى التمتع بمحاسن بياتريتشى ، وهذا كلام امرأة تنبض بالحياة
- (٢٩) يعنى إذا كانت اللذة الكبرى المستمدة من بياتريتشى قد بطلت بموتها فأية لذة أخرى كان دانتى سيجدها في من هي أقل منها جمالاً
- (٣٠) أى عندما تلقى دانتى أول سهم بموت بياتريتشى
- (٣١) يعنى كان عليه أن يرتفع وراء بياتريتشى التى أصبحت روحاً نقية خالصة من الخداع والزيف السائدين في الحياة الدنيا
- (٣٢) أى السعى وراء النساء على العموم
- (٣٣) يعنى ملذات الدنيا الباطلة
- (٣٤) أى ما كان ينبغي لمتاع الدنيا أن يزيد من اتجاه دانتى إلى ملذات الأرض لا رتكاب خطايا أكثر وبذلك يستحق مزيداً من العذاب
- (٣٥) لا يسارع الطائر الصغير إلى الهرب من الخطر لأنه لا يقوى بعد على الحركة .
- (٣٦) الطير النائم - كدانتى - لا يناله الأذى من الصائدين ، ويشبه هذا ما ورد في « الكتاب المقدس »
- Prov. I. 17.
- (٣٧) هذه صورة دقيقة للطفل الصامت الحجل المعترف بذنبه ، وورد هذا المعنى في « الوليمة »
- Conv. IV. XIX. 10.
- (٣٨) يعنى ما دام دانتى يحزن ويأسى بسباع اللوم وهو مطرق الرأس فإن أساه سيزيد إذا رفع وجهه إلى بياتريتشى . وتكنى بياتريتشى عن الرأس أو الوجه بقولها (الحية)

- (٣٩) أى ريح الشمال الباردة .
- (٤٠) ريح يارببا (Jarba) هى ريح أفريقيا الحارة نسبة إلى ملك ليبيا الذى كان من عشاق ديدون ملكة قرطاجنة ، كما أورده فرجيليو
Virg. Æn. IV. 196-197.
- (٤١) هذا دليل على العناية الشديد الذى بذله دانتي في رفع رأسه المطرق .
- (٤٢) حينما ذكرت بياتريتشى لفظ (اللحية) أدرك دانتي أنها تريد أن تقول إنه لم يعد طفلاً صغيراً بل أصبح رجلاً ناضجاً ولا عذر له في ارتكاب الخطيئة ، ولذلك قال إنه قد تبين السم في حديثها يعي اللذع والتقرع وقلت (مرارة اللوم)
- (٤٣) يعي رأى دانتي أن الملائكة قد كفوا عن نثر الأزهار كما فعلوا في الأنشودة السابقة .
- (٤٤) كان دانتي غير واثق مما يراه أمامه من أثر الخجل الذى استول عليه
- (٤٥) هذا هو الحريفون المزيج من النسر والأسد ، رمز الطبيعتين الإلهية والبشرية في السيد المسيح
Purg. XXIX. 108. — عند المسيحيين — كما سبق
- (٤٦) في الأصل فاقت بياتريتشى (نفسها) والمقصود حملها الذى كانت عليه في الدنيا وورد في طبعة الكوميديا المصحوبة بشرح بيترو فراتشيلي لفظ (verde) وكصفة للجدول بدلا من (vincere) في بيت ٨٣ — ولكن القراءة الأولى — التي أخذت بها — هي الأغلب
- (٤٧) أى في الحياة الدنيا
- (٤٨) كان وخز الندم شديداً على دانتي كلسع نبات النار أو الحريق (ortica)
- (٤٩) يعي أنه كلما زادت محبة دانتي لساثر الأشياء — يعي فيما عدا بياتريتشى — زادت كراهته أو عداؤه لها حينما تبين الأمور على حقيقتها
- (٥٠) عندما أحس دانتي بالندم سقط فاقداً وعيه .
- (٥١) أصبح دانتي على حال تدركها بياتريتشى التي كانت هي سببها ويتكرر هذا المعنى في الكوميديا بشيء من التفاوت ومع الفارق . وفي ترجمتي للجحيم اتخذ بيت ١٢٦ رقم ٨٤
Inf. XXVIII. 126.
- Purg. V. 135.
- Par. III. 108.
- (٥٢) يعي حينما استرد دانتي وعيه . والمقصود أن قلب دانتي قد أعاد إليه إدراكه للفضائل .
- (٥٣) هي ماتيلدا التي سبق أن رآها دانتي وحيد
- (٥٤) كانت ماتيلدا تسحب دانتي في النهر وهي تملوه وسأته أن يمسك بها حتى لا يغمر كله في الماء .
- (٥٥) في الأصل حتى (الخنجرة) . وغمرت ماتيلدا دانتي في النهر لكي تمحو الخطايا من ذاكرته .
- (٥٦) سارت ماتيلدا على الماء في خفة الجندول أو الزورق وهذا تعبير غاية في الرقة وكان يطلق على الجندول في البندقية في زمن سابق لفظ (scaula)
- (٥٧) أى في الضفة التي كان في ناحيتها بياتريتشى والموكب
- (٥٨) رتل الملائكة بعض ما ورد في أحد المزامير
- (٥٩) جل هذا الترتيل العلوي عن الوصف واختلف عن غناء كازيلا الإنسانى
Purg. II. 112- 114.
- (٦٠) يعي ماتيلدا .

(٦١) غمرت ماتيلدا دانتي حتى فقه لكي يتم محو خطاياه ، وهو ما لا يتأتى إلا بالاغترسال والشرب من مياه نهر ليقي ، كما سبق ذكره
Purg. XXVIII. 127-132.

(٦٢) هؤلاء الجحيلات الأربع رمز الفضائل الأساسية
Purg. XXIX. 130-132.

(٦٣) جعلت هذه الأذرع دانتي محمياً بالعدالة والتبصر والقوة والاعتدال

(٦٤) تتخذ الفضائل الأساسية صورة الحوريات في الفردوس الأرضي وتتخذ في السماء صورة النجوم وهي تنير السبيل للناس في الدنيا . وقد أضاءت من قبل وجه كاتون
Purg. I. 23, 37.

(٦٥) أي أن بياتريتشى هي ربة الفضائل الأساسية
Inf. II. 76.

V.N. X. 2.

(٦٦) هؤلاء السيدات الثلاث - على عيين العربية المقدسة - رمز للفضائل اللاهوتية (أبيات ١٢٧ -

١٣٨) وسيجملن دانتي قادراً على النظر إلى عيى بياتريتشى وجاء في الأصل (النور البهيج الذي هو بالداخل) والمقصود بداخل عيى بياتريتشى وقلت (في مقلتها) لإيضاح المعنى .

وتوجد ثلاث صور من عمل جوتو من القرن ١٤ ، تمثل الفضائل اللاهوتية أي الإيمان والأمل والرخة وهي في كنيسة الإسكروفيينى في بادوا

(٦٧) كانت بياتريتشى تنظر إلى الجريفون وعندما جاء دانتي والسيدات الأربع إلى صدر الجريفون أصبح دانتي أمام بياتريتشى مباشرة .

(٦٨) يعنى على دانتي أن ينظر بكل ما لديه من قوة على الإبصار

(٦٩) أي أن عيى بياتريتشى كانتا تتلألآن كالزبرجد .

(٧٠) يعنى أن عيى بياتريتشى أطلقتا عليه ذات يوم سهام الحب وعبر دانتي عن هذا المعنى في

V.N. XXI. « الحياة الجديدة » وفي بعض قصائده

Rime, LXV.

(٧١) تركزت عينا دانتي على عيى بياتريتشى لشوقه الشديد إلى رؤيتها

(٧٢) هكذا تحولت بياتريتشى من امرأة تلوم دانتي وتعنفه إلى امرأة عابدة صامته مستغرقة في التأمل

في عيى الجريفون - رمز المسيح - عند المسيحيين

(٧٣) أي شع الجريفون بطبيعته الإلهية والبشرية في عيى بياتريتشى كما تشع الشمس في المرأة بألوان وأضواء مختلفة

(٧٤) يشبه هذا التعبير ما أورده أوفيدوس
Ov. Met. IV. 347

(٧٥) يوجه دانتي الكلام إلى القارئ لكي يثير انتباهه ، كما فعل في مرات عديدة .

(٧٦) يعنى كان الجريفون في ذاته ساكناً هادئاً على حين كان يتحرك ويتحول في صورته التي انطبعت

في عيى بياتريتشى على نحو إلهي تارة وبشرى تارة أخرى

(٧٧) أي أن من يتأمل في عيى بياتريتشى يتغنى بغذاء لا يشبع منه أبداً

(٧٨) هؤلاء هن رمز الفضائل اللاهوتية

(٧٩) يعنى أنهم يفقن النساء أربع رمز الفضائل الأساسية . هؤلاء كن يرقصن وينشدن في وقت واحد .

وكان الغناء مع الرقص أمراً شائعاً في زمن دانتي .

ويساعدنا تذوق بعض ألحان التروبادور وبلاط النبلاء في القرن ١٣ و ١٤ و ١٥ على فهم هذا الجو ، كما سبقت الإشارة إليه في أنشودة ٢٩ حاشية ٨١

(٨٠) طلبت السيدات الثلاث أن تدير بياتريثي وجهها نحو دائتي المخلص لها ، وسبق أن طلبت إليها العذراء ماريّا أن تعني بأمر دائتي الذي أخلص لها الحب
Inf. II. 97-99.

(٨١) أي أن دائتي قام برحلته لكي يتعلم ويتطهر ويرى بياتريثي ويصبح جديراً بالصعود إلى السماء .

(٨٢) يقول دائتي في « الوليمة » إن أثر النفس يظهر في موضعين من الوجه في العينين وفم
(Conv. III. VIII. 8.) ولقد قادت دائتي السيدات الأربع - رمز الفضائل الأساسية - إلى عبي

بياتريثي ، موضع الجمال الأول فيها (في ثلاثي ١٠٩ و ١١٥) وتعمل الآن السيدات الثلاث - رمز الفضائل اللاهوتية - على أن تكشف له بياتريثي عن ثغرها ، أي ابتسامتها ، موضع الجمال الثاني الذي كان خافياً تحت النقاب .

(٨٣) يدل هذا التعبير على أن بياتريثي قد ابتسمت أخيراً دون أن يذكر دائتي ذلك بصريح العبارة ولم يكن قادراً على أن يفعل ذلك لأن أثر البسمة قد بهره حتى عجز عن وصفها وهذه هي الابتسامة التي كان دائتي ينتظرها من بياتريثي منذ أمد بعيد ، منذ أن انصرفت عنه في الحياة ومنذ موتها . وقد جعل دائتي هذه الابتسامة المرتقبة تتحقق على هذه الصورة - وسواء أنظرنا إلى هذه الابتسامة بالمعنى العلوي الذي يقرب الإنسان إلى الله ، أم نظرنا إليها بالمعنى البشري الذي يقرب الإنسان إلى الإنسان ، أم بمزيج من المعنيين معاً ، فإنها ابتسامة علوية إنسانية لا يمكن للغة أن تعبر عنها . ولقد عبر دائتي عن أثرها في نفسه بتمجيد النور الإلهي الخالد

(٨٤) يعنى أين هو الشاعر الذي شحب لونه بإرهاق حسه في هذا الجو في ظلال جبل پارناسوس (Parnassus) موئل ربات الشعر في اليونان ، الذي يتكرر ذكره

Purg. XXII. 64-65; 104-105; XXVIII. 141; ecc.

(٨٥) أي من نبع كامتاليا (Castalia) ، الذي سبقت الإشارة إليه

(٨٦) المقصود أنه ما من شاعر يحاول أن يصف جمال بياتريثي الرائع إلا ويمعجز عن ذلك

(٨٧) هذا من الأبيات غير الواضحة في الكوميديا ولقد استخدم دائتي لفظ (adombrare) ومن معانيه

التظليل أو إظهار الظل أو رسم الصورة أو المحاكاة أو الإتياع ومن معاني هذا البيت حيث تصبح السماء صورة من الجمال الإلهي باتساقها مع الفردوس الأرضي ، الذي كان آدم فيه معيلاً قبل ارتكاب الخطيئة ولعل المقصود أن الملائكة بنثرهم الأزهار حول بياتريثي ويترتلهم العلوي ، في جو من الإتساق والتوافق بين السماء والفردوس الأرضي ، جعلوا بياتريثي تبدو أمام دائتي على نحو من الجمال الإلهي الرائع .

(٨٨) يعنى أن بياتريثي قد أزاحت النقاب عن وجهها فظهر جمالها الرائع .

(٨٩) في الأصل (في الهواء الطلق) ، والمقصود في وضوح النهار أو في النور الساطع . ولم يستطع دائتي

أن يصف مباشرة الجمال الذي بدت عليه بياتريثي وهي تبسم ، فعبّر عن ذلك بطريقة الاستفهام وكان هذا من جانبه تعبيراً رائعاً

الأنشودة الثانية والثلاثون^(١)

استغرق دانتى فى النظر إلى بياتريتشى لىروى عطشه إليها ، حتى لم يعد يشعر بشيء مما حوله ، وبهره مرآها حتى عجز عن الرؤية بعض الوقت . ولكنه استطاع أن يتبين بالتدريج الموكب المقدس يسير صوب المشرق ، وسارت ماتيلدا واستاتيروس ودانتى فى إثر العربى المقدسة ثم نزلت بياتريتشى عن العربى وهمس الجميع باسم آدم الذى حرم البشر من الفردوس الأرضى ، وأحاط الجميع بشجرة معرفة الخير والشر . وبارك الشيوخ الجريفون — رمز المسيح — الذى سحب العربى المقدسة — رمز الكنيسة — وربطها إلى الجذع المترمل — رمز الأمباطورية — وباتحادهما أينعت الشجرة واتخذت لوناً أقل احمراراً من الورد وأشد زرقاً من البنفسج وأخذت دانتى سنة من النوم ثم استيقظ على نداء ماتيلدا التى دعتة إلى رؤية المشهد الجديد ، وكانت يقظته كيقظة بطرس ويوحنا ويعقوب بعد أن راحوا فى غيبوبتهم حينما تجلى السيد المسيح وتساءل دانتى عن مكان بياتريتشى فراها جالسة عند أسفل الشجرة المباركة طلبت بياتريتشى إلى دانتى أن ينظر إلى العربى ، فرأى نسرأ — رمز الأباطرة مضطهدى الكنيسة — ينقض على الشجرة ويضرب العربى ، وشهد ثعلبة — رمز الهرطقة — تهاجم العربى كذلك ، ورأى تنيناً — رمز الشيطان أو جشع الإنسان — يقتلع جزءاً من العربى وشهد ما تبقى من العربى يتغطى بالريش — رمز منحة قسطنطين — ثم تحولت العربى إلى وحش ذى رؤوس يبرز من بعضها قرنان ومن بعضها الآخر يبرز قرن واحد — رمز الخطايا — ورأى امرأة داعرة — رمز الكنيسة المنحلة — تجلس فوق الوحش وبجوارها مارد — رمز الملك فرنسا المؤيد للبابوية — الذى انهال عليها بسوطه حينما نظرت إلى دانتى بعينها المليئتين بالشهوة . وأطلق المارد قيد الوحش — العربى فى الأصل — وسحبته إلى داخل الغابة حتى لم يعد دانتى يراه — وهذا رمز للأسر البابوى فى أفنيون .

- ١ ظَلَّتْ عَيْنَايَ مُحَدَّقَتَيْنِ مُثَبَّتَتَيْنِ عَلَيْهَا^(٢) ، لِإِرَواءِ ظَمْئِهِمَا الَّذِي دَامَ عَشْرَةَ أَعوامٍ^(٣) ، حَتَّى غَابَتْ سَائِرُ حَواسِّي عَنِ الوَعْيِ^(٤)
- ٤ وَفِي كَلالِ الْجَانِبَيْنِ صَارَ لهُمَا مِنَ اللَّامِبَالَةِ جِدَارٌ^(٥) ، وَهَكَذَا اجْتَذَبَتْهُمَا إِلَيْهَا الْبِسْمَةُ الْمُبَارَكَةُ بِمَا لَهَا مِنْ عَتِيقِ الشِّبَاكِ^(٦) ! —
- ٧ حِينَ أُرْغِمْتَنِي عَلَى الْإِتِّجَاهِ صَوْبَ الْيَسَارِ هَاتِيكَ الْإِلَهَاتِ^(٧) ، إِذْ سَمِعْتَهُنَّ يَقُلْنَ: « أَلَا فَلَمْ تَمْعَنَّ فِي تَثْبِيتِ عَيْنِيكَ عَلَيْهَا^(٨) ! »
- ١٠ وَلَقَدْ حَرَمْتَنِي مِنَ النَّظَرِ بِرَهَةٍ ، الْحَالِ الَّتِي يُؤُولُ إِلَيْهَا الْبَصَرُ ، حِينَما تُصِيبُ أَشْعَةُ الشَّمْسِ الْعَيْنَيْنِ الْآنَ فَحَسَبُ^(٩) .
- ١٣ وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ أَلْفَ بَصْرِي مَا هُوَ أَقْلٌ مِمَّا تَأَلَّقَا^(١٠) — وَأَقُولُ " الْأَقْلُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَحْسُوسِ الْأَعْظَمِ الَّذِي ارْتَدَدْتُ عَنْهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْهُ^(١١) —
- ١٦ رَأَيْتُ الْجَيْشَ الْمَجِيدَ^(١٢) إِلَى الْيَمِينِ مُتَّجِهاً ، وَنَظَرْتُهُ يَعُودُ وَقَدْ صَارَتِ الشَّمْسُ وَالشَّعَلَاتُ السَّبْعُ فِي مُوَاجِهَتِهِ^(١٣) .
- ١٩ وَكَمَا تَلْتَفَّ كَتِيبَةٌ مِنَ الْجُنْدِ فِي حِمَايَةِ دُرُوعِهِمْ مَنَاجاةً بَأَنْفُسِهِمْ ، وَيَسْتَدِيرُونَ مَعَ عِلَاقَتِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَتِمَكَّنُوا جَمِيعاً مِنْ تَغْيِيرِ وَجْهِهِمْ^(١٤) —
- ٢٢ هَكَذَا مَرَّتْ أَمَامَنَا كُلُّ تِلْكَ الْجَمَاعَةِ مِنْ جُنُودِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ الَّذِينَ سَارُوا فِي الطَّلِيعَةِ^(١٥) ، قَبْلَ أَنْ تَغْيِرَ الْعَرَبَةُ مِنْ اتِّجَاهِ عَرِيشِهَا^(١٦)
- ٢٥ وَعِنْدَئِذٍ عَادَتِ السَّيِّدَاتُ إِلَى الْعَجَلَتَيْنِ^(١٧) ، وَسَحَبَ الْجَرِيفُونَ حِمْلَهُ الْمُبَارَكَ ، مِنْ دُونِ أَنْ تَهْتَزَّ بِذَلِكَ إِحْدَى أَرْيَاشِهِ^(١٨)
- ٢٨ وَأَخَذْنَا نَسِيرَ — السَّيِّدَةِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي عَبَرَتْ بِي النِّهَرِ^(١٩) وَاسْتَاتِيوسَ^(٢٠) وَأَنَا — فِي إِثْرِ الْعَجَلَةِ الَّتِي صَنَعْتُ مَدَارَهَا بِأَصْغَرِ قَوْسٍ^(٢١)
- ٣١ وَعَلَى لَحْنِ مَلَائِكَةٍ انْتَضَمَتْ خَطَوَاتُنَا^(٢٢) ، بَيْنَمَا كُنَّا نَسِيرُ فِي الْغَابَةِ الْعَلِيَاءِ الَّتِي أَقْفَرَتْ مِنَ الْبَشَرِ بِخَطِيبَةٍ مَنَّ وَضَعَتْ فِي الْحَيَةِ ثِقَمَهَا^(٢٣) ،
- ٣٤ وَكُنَّا قَدْ سَرْنَا شَوْطاً رُبَّمَا يَعْدِلُ طَوْلُهُ مَا يَقْطَعُهُ السَّهْمُ فِي ثَلَاثٍ مِنْ رَمِيَّاتِهِ^(٢٤) ، حِينَما نَزَلْتُ عَنِ الْعَرَبَةِ بِيَاثَرِيَّتِي^(٢٥)

- ٣٧ وسمعتهم يهيمسون جميعاً باسم "آدم" (٢٦)؛ ثم أحاطوا بشجرة تعرت من أوراقها ، وختل كل غصونها من الأزهار (٢٧)
- ٤٠ وإن قممتها التي تزداد بسسطة بازدياد علوها (٢٨) ، لتثير بشاهق ارتفاعها عجب الهنود في غاباتهم (٢٩)
- ٤٣ « طوبى لك أيها الجريفون أنك لا تقرض بمنقارك شيئاً من هذه الشجرة الحلوة المذاق ، ما دام يصيب بطنك منها الضرُّ أبداً (٣٠) .
- ٤٦ هكذا صاح الآخرون حول الشجرة الهائلة (٣١) ؛ وقال الكائن ذو الطبيعة المزدوجة (٣٢) : « هكذا تُحفظ بذرة كل ما هو ببر (٣٣) »
- ٤٩ ولما التفت نحو العريش الذي كان يسحبه (٣٤) ، اجتذبه إلى أسفل الجذع المترمل (٣٥) ، وترك ما هو منه مربوطاً إليه (٣٦) .
- ٥٢ وكما يحدث لأشجار الأرض أن تربيه (٣٧) ، حينما يهبط عليها النور الساطع ، ممتزجاً بالنور الذي ترسله النجوم السائرة
- ٥٥ في لآثر برج الحوت (٣٨) ، ثم تجدد كل الأشجار لونها قبل أن تبلغ الشمس بجيادها (٣٩) إلى ما تحت برج غيره (٤٠) ؛
- ٥٨ وبينما كانت تلك الشجرة تتخذ لونها أقل حمرة من الورد وأشد زرقاً من البنفسج (٤١) ، إذ بها تجدد نفسها وقد كانت من قبل عارية تماماً (٤٢)
- ٦١ ولم أستوعب ذلك النشيد ، وهو ما لا يُرتل في الأرض نظيره (٤٣) ، وانلدى تغنى به أولئك القوم عندئذ (٤٤) ، ولم أقو على سماع اللحن كله (٤٥)
- ٦٤ ولو أنى استطعت أن أصور كيف نامت الأعين الشريرة باستماعها إلى قصة سيرنكس (٤٦) — الأعين التي كلّفها مجرد الرؤية غالى الثمن (٤٧) ؛
- ٦٧ لتصور كيف أخلنى النوم ، كمصور يرسم عن أنموذج حتى (٤٨) ؛ ولكن فليفعل هذا من يقدر على وصف النوم بأمانة وحذق
- ٧٠ ولذا فلأنى أنتقل إلى اللحظة التي استيقظت فيها (٤٩) ؛ وأذكر أن نوراً قد مزق لى حجاب النوم (٥٠) ، وسمعت نداءً يقول لى « ألا فليتنهض وماذا أنت فاعل الآن (٥١) ؟ »

- ٧٣ وكما اقتيد^(٥٢) كلٌّ من بطرس ويوحنا ويعقوب وهم فاقدو الوعي^(٥٣) - لكى يَرَوْا نُوويرات شجرة التفاح التى تُشِيرُ بهم الملائكة إلى أثمارها ،
- ٧٦ وتُقيم فى السماء عرساً أبدياً^(٥٤) - ثم استردَّ أولئك رشدَهم بالكلمة التى قطعتُ يوماً أعمق^(٥٥) ،
- ٧٩ فتبينوا أن قد نقص من جماعتهم كلٌّ من موسى وإيليا^(٥٦) ، ورأوا أن قد تبدَّل لباسُ معلمهم^(٥٧) -
- ٨٢ هكذا عدتُ إلى رشدى^(٥٨) ، ورأيت بجانبى واقفةً تلك الرحيمة التى قادتُ من قبل خطواتى لإزاء النهر^(٥٩)
- ٨٥ فقلت وأنا مبلىبٌ مضطرب « أين بياتريتشى^(٦٠) ؟ » فأجابت « فلَـكُنْتَنتظر إليها جالسةً عند جذور الشجرة فى ظلال أغصانها المخضرة^(٦١) : »
- ٨٨ ولَـكُنْتَنتظر إلى الجماعة التى تحيط بها^(٦٢) . وها هم الآخرون يصعدون فى إثر الجريفون^(٦٣) ، وإنهم لَيَـشْشُدون بأغانٍ ذات ألحانٍ أعذب وأعمق^(٦٤) »
- ٩١ ولستُ أدرى هل استرسلتُ فى كلامها ، إذْ كانت قد تراءت لعيى مَنِّ حالت دون انتباهى إلى أمرٍ سواها^(٦٥)
- ٩٤ وعلى الأرض الحقَّة جلستُ وحيدةً^(٦٦) ، وهناك ظَلَّتْ لكى تقوم بحراسة العربَة^(٦٧) ، التى رأيتُ يربطها الوحش ذو الطبيعة المزدوجة^(٦٨) .
- ٩٧ وصنعتُ الحوريات السبع من أنفسهنَّ حولها سوراً^(٦٩) ، بما فى أيديهنَّ من الأنوار^(٧٠) الآمنة من ريح الشمال وريح الجنوب^(٧١)
- ١٠٠ « إنك ستكون هنا من سكان الغابة لفترة قصيرة^(٧٢) ؛ وستصبح معى بلا نهاية من أهل روما العظيمة^(٧٣) ، حيث يَـعُدُّ المسيح مواطناً رومانياً^(٧٤) »
- ١٠٣ ولذلك فلَـكُنْتَركُز عينيَّك على العربَة الآن ، حرصاً على صالح العالم الذى يحيا حياة الشرِّ ، ولَـكُنْتعمل على تدوين ما تراه حين تعود إلى ذلك الجانب^(٧٥) .
- ١٠٦ هكذا تكلمت بياتريتشى ؛ وأنا الذى كنت قد وقفت خاضعاً خاشعاً أمام وصاياها - اتجهتُ بفكرى وعىى حيث شاءت^(٧٦)

- ١٠٩ لم تسقط أبداً صاعقة^(٧٧) من سحابة كثيفة بهذه السرعة الفائقة ، حين تهوى^(٧٨) من تلك الحدود الشاهقة البعد عنا^(٧٩) ،
- ١١٢ كما رأيت طائرَ جوبيتر ينقض على الشجرة^(٨١) ، مُحطماً لحاءها^(٨١) فضلاً عن أزهارها^(٨٢) وأوراقها المخضرة^(٨٣) ؛
- ١١٥ وبعنفوان قوته ضرب العربة^(٨٤) ؛ قالت كالسفينه وسط العاصفة ، التي اجتاحت الأمواج يُمنها تارة وطوراً يُسرّاه^(٨٥) .
- ١١٨ ثم نظرتُ ثعلبة^(٨٦) تندفع إلى باطن عربة النصر^(٨٧) ، وقد بدت صائمةً عن كلِّ غذاءٍ صالحٍ^(٨٨) ؛
- ١٢١ ولكن حينما عنفتُها سيدنى على خطاياها الخبيثة ، دفعها إلى الفرار مسرعةً ، بقدر ما احتمل عظمها الخالي من اللحم^(٨٩)
- ١٢٤ ومن حيث أتى النسر أولاً رأيتُه يهبط منقضاً على باطن العربة ، ثم ينشئ عنها وهي مفعمة^(٩٠) بأرياشه ؛
- ١٢٧ وكالصوت الذي ينبعث من قلبٍ يملكه الأسمى^(٩١) — هكذا صدر عن السماء صوتٌ شرع يقول : « أيا زورقي ، كم حملوك بالمفاسد^(٩٢) ! » .
- ١٣٠ ثم بدا لي أن الأرض قد انشقت بين كلتا العجلتين ، ونظرتُ تنيناً يخرج منها ويعمد إلى إنشابه ذنبه في العربة^(٩٣) ؛
- ١٣٣ وكزنبورٍ يسحب حُمته ، اقتلع جزءاً من قاع العربة حينما اجتذب ذنبه الخبيث إليه ، ثم مضى مُتمايلاً في سيره^(٩٤) .
- ١٣٦ وكأرضٍ خصبةٍ يكسوها العشب ، اكتسى بالريش ما تبقى منها^(٩٥) ، ولعلته قد مُنح بنّية خالصة حسنة^(٩٦) ؛
- ١٣٩ وتغطّي به ثانياً العريش وكلتا العجلتين ، في وقتٍ أقلّ مما يظلّ فيه فم الإنسان مفتوحاً عند التنهّد^(٩٧)
- ١٤٢ ولما تشكّلت على هذا النحو العربة المباركة^(٩٨) ، برزت رؤوسٌ على كلِّ أجزائها ، ثلاثة منها فوق العريش ، وواحدٌ في كلِّ ركنٍ من أركانها

- ١٤٥ وكان للرؤوس الأولى قرنان كقرنى الثور^(٩٩) ، أما الرؤوس الأربعة فكان لكلٍّ منها على الجبين قرنٌ واحدٌ^(١٠٠) : ولم يُرَ بعدُ لهذا الوحش نظيرٌ أبداً
- ١٤٨ وكقلعةٍ ثابتةٍ فوق جبلٍ عالٍ ، تبدّتْ لى امرأةٌ داعرةٌ معتليةٌ ذلك الوحش وهى شبه عارية ، ومدّتْ عينها الطُلّعةَتين إلى ما حوالها^(١٠١) ؛
- ١٥١ ولكيلا ينتزعها من الوحش أحدٌ^(١٠٢) ، رأيتُ مارداً يقف إلى جانبها^(١٠٣) ، وتوالى بينهما تبادل القُبُل من آونةٍ لآخرى^(١٠٤)
- ١٥٤ ولكن ذلك العاشق المفترس ، انهال عليها بسوطه من رأسها إلى قدمها^(١٠٥) ، إذ اتجهتْ إلى بعينها المُدّ بَدَ بيتين المليئتين بالشهوة^(١٠٦) .
- ١٥٧ ثم فكّ المارد إسار الوحش وقد أُفعم قلبه بالغيرة وجُنّ جنونه بالغضب^(١٠٧) ، وسحبهُ إلى أعماق الغابة^(١٠٨) ، حتى صنع لى منها فحسبُ دريئةً —
- ١٦٠ تحجبى عن الداعرة والوحش العجيب^(١٠٩)

حواشي الأنشودة الثانية والثلاثون

- (١) هذه هي الأنشودة الخامسة من أنشودات الفردوس الأرضي وتسمى أنشودة الشجرة العلوية - شجرة معرفة الخير والشر - وأنشودة عربة الكنيسة .
- (٢) يعنى كان دانتي يتأمل جمال بياتريشى الفائق الوصف . وأصفت (إليها) للإيضاح
- (٣) المقصود أن عطش دانتي إلى بياتريشى بدأ منذ موتها في ١٢٩٠
- Purg. IV. (٤) أى لم يعد دانتي يحس بشيء سوى بياتريشى ، وسبق مثل هذا التعبير
- (٥) يعنى كان عدم اكتراث دانتي بما حوله بمثابة جدار أمام عينيه قطع صلته بما يحيط به
- (٦) أى اجتذبت بياتريشى دانتي إليها بالبسة التي افترعها ثغرها وبالحب القديم الذي أشعلت نيرانه في قلبه .
- (٧) كان دانتي واقفاً أمام العربة المقدسة يتأمل بياتريشى حينما لفت نظره مرأى السيدات الثلاث - رمز الفضائل التيولوجية - اللائى كن على يمين العربة ، ولذلك نظر دانتي إلى يساره لكى يتجه إليهن .
- (٨) السيدات الثلاث دعون دانتي إلى المزيد من تركيز بصره على بياتريشى .
- (٩) حينما ركز دانتي بصره على بياتريشى أصبح كأنه ينظر إلى الشمس حتى لم يعد قادراً على الرؤية لشدة ضيائها
- (١٠) يعنى حينما تخلص دانتي من أثر سناء بياتريشى أصبح قادراً على رؤية ما حوله .
- (١١) يوازن دانتي بين نور بياتريشى الساطع ونور الموكب الأقل نسبياً
- Purg. XXIX. 64-150. (١٢) أى الموكب السالف الذكر
- (١٣) سار الموكب نحو المشرق في مواجهة دانتي والشمس ، وكانت الساعة حوالى العاشرة من صباح يوم الأربعاء الموافق ١٣ أبريل ١٣٠٠
- Purg. XXIX. 43-54. وسبق ذكر الشعلات السبع
- (١٤) هذه صورة مأخوذة من حركات الجند حينما يستدير حشد مهم لتغيير اتجاههم تخلصاً من العدو ، ويستدير أولاً الذين في المقدمة ثم يتم تغيير اتجاههم جميعاً حتى المؤخرة بالتدرج
- Purg. XXIX. 83. (١٥) يعنى جماعة الأربعة والعشرين شيخاً الذين ساروا أمام العربة
- (١٦) غيرت جماعة الشيوخ اتجاهها قبل أن يميل عريش العربة لتغيير اتجاهها
- (١٧) كانت السيدات الأربع قد تركن يسار العربة للسير يدانتي لكى ينظر إلى عبي بياتريشى وكانت السيدات الثلاث قد تركن يمين العربة وتقدمن وهن يرقصن لرجاء بياتريشى أن ترفع عنها النقاب حتى يشهد دانتي ابتسامتها
- Purg. XXXI. 109, 130-138. (١٨) سحب الجريفون العربة التي كانت فيها بياتريشى بدون أن تهتز أرياشه بالحركة لأنه فعل ذلك بكل ثبات .

(١٩) يعى ماتيلدا

(٢٠) في الأنشودات الثلاث الأخيرة يكاد دانتى ينسى وجود استاتيوس ، ويقتصر على الإشارة إليه أحياناً بكل إيجاز وكما سيفعل بعد ، ولكنه لم يحدثنا عن لقائه ببياتريتشى التى لا تبدى اهتماماً وكان من المستطاع لدانتى أن يخرج من مسرح شعره بإبقائه في الإفريز التاسع لكي يكمل استغفاره وندمه وتكفيره وربما أبقى دانتى استاتيوس معه لكي يساعد على إظهار أن الشرب من مياه هرى لى وإينووى جزء أساسى في تطهير النفس من الخطايا وترى دوروى سايرز أن دانتى ربما جعل استاتيوس يرى في بياتريتشى صورة الله ذاته ، كما هي عند دانتى ، ولا يذكر ذلك دانتى (الشاعر) لأن دانتى (الرحالة في رحاب العالم الآخر) لا يعرف ما يدور بخلد استاتيوس . وهذا رأى معقول

(٢١) أى ساروا يقرب العجلة اليمى التى مالت بأقل قوس عند اتجاهها صوب اليمين .

(٢٢) كان الترتيل مستمراً لتنظيم خطوات الشعارين وماتيلدا

(٢٣) يعى خلت الغابة بخطيئة حواء التى استمعت لإغراء الحية

(٢٤) كانت تقاس المسافة قديماً بالبعد الذى يقطعه السهم المنطلق كما يقاس البعد الآن بإطلاق الرصاص والمقصود أنهم ساروا مسافة تعادل ما يقطعه السهم إذا أطلق ثلاث مرات

(٢٥) نزلت بياتريتشى عن العربة بعد هذا التمهيد كله وكأنها ملكة جليلة الشأن وأضفت (عن العربة) للإيضاح

(٢٦) عندما نزلت بياتريتشى عن العربة أخذ الجميع العجب لمرآها وهمسوا باسم آدم وهذا دليل على

هبة بياتريتشى مع التعبير عن الأسف للخطيئة التى ارتكبتها آدم فحرم البشر من الفردوس الأرضى .

(٢٧) هذه هي شجرة معرفة الخير والشر ، ويختلف الشراح في تفسير معناها الرمزية فهى قد تكون

رمزاً للأمبراطورية ولربما خاصة وقد تكون رمزاً للقانون الإلهى والأمبراطورية الإلهية وربما

تكون رمزاً لآدم وللإنسانية والعقل والإرادة ويمكن أن تكون الترجمة (تعرت جميع أفرعها من الأوراق والأزهار

(٢٨) المقصود بزيادة امتداد الشجرة واتساعها كلما ارتفعت أنه لا حد ولا نهاية للمعرفة ، وهى تعلو بما لا يبلغه نظر الإنسان حتى تصل إلى الله .

(٢٩) يشبه هذا المعنى ما أورده فرجيليو Virg. Georg. II. 122-124.

(٣٠) تغنى هؤلاء بتمجيد الجريفون - رمز المسيح - الذى أطاع الله فلم يقرب الشجرة المحرمة أبداً
Epis. Rom. V. 19. والكلام عن الطاعة مقتبس من « الكتاب المقدس »

(٣١) أى الأربعة والعشرون شيخاً

(٣٢) المقصود الجريفون الذى يجمع بين طبيعة النسر - الإلهية - وطبيعة الأسد - البشرية

(٣٣) نطق الجريفون بكلام مقتبس من أقوال السيد المسيح Matt. III. 15.

(٣٤) يقصد بهذا أن الجريفون قد استدار حتى أصبح في مواجهة العربة

(٣٥) لما كان الشيطان قد أغرى الإنسان بمصيان الله والأكل من الشجرة المحرمة فقد جاء الجريفون الآن بالإنسان طامعاً أمام الله . والجذع المترمل هو الجذع العارى من الأوراق .

(٣٦) يرى بعض الشراح أن تعبير (di lei) يعنى بشئ منه أى بفرع أو بغصن من الشجرة ، والمقصود أنه ربط عريش العربة إلى الشجرة بغصن منها ويرى آخرون أن هذا التعبير يعنى ما يتنى

إليه باعتبار الأسطورة القائلة بأن الصليب الذى صلب عليه السيد المسيح - فى عقيدة المسيحيين - صنع من خشب أصله من هذه الشجرة . وتكون الترخبة فى هذه الحال (أنه ترك ما ينتمى له أو ما هو منه - مربوطاً إليه) . والتعبيران متقاربان ولكنى أخذت بالتعبير الثانى .

(٣٧) نقلت بيت ٥٥ إلى هذا الموضع كما نقلت جزءاً من هذه الثلاثية إلى الثلاثية التالية مراعاة للأسلوب . وقلت (أشجار الأرض) بدلا من (أشجارنا) للإيضاح . ويشبه هذا المعنى تعبير فرجيليو و « الكتاب المقدس »
Virg. Georg. I. 315.
Num. XVII. 8.

(٣٨) يعنى تزدهر الأشجار فى الربيع حينما تكون الشمس فى برج الحمل الذى يكون وراء برج الحوت

(٣٩) يشبه هذا قول فرجيليو
Virg. Æn. I. 568.
وذكر أوغيديوس جياذ عربة الشمس الأربعة بيرويس وإيوس وإيثون وفليجون
Ov. Met. II. 153

(٤٠) أى قبل أن تبدأ الشمس رحلتها اليومية إلى برج الثور

(٤١) المقصود أن الشجرة قد جددت نفسها بأزهار أقرب إلى اللون القرمزى المزيج من الأحمر والأزرق وهذا رمز لدم السيد المسيح الذى بذله - عند المسيحيين - فى سبيل اتحاد الإنسان بالله ، كما هو رمز للأمباطورية . ويشبه التعبير فى ناحية اللون ما أورده فرجيليو
Virg. Georg. IV. 274-275.

(٤٢) ازدهرت الشجرة باتحاد العرب - رمز الكنيسة - بالجذع - رمز الأمباطورية

(٤٣) قلت (الأرض) بدلا من (هنا) للإيضاح

(٤٤) رتل السائرون فى الموكب نشيداً لم يسمع دانتى فى الأرض مثله

(٤٥) لم يستطع دانتى الاستماع إلى اللحن كله لأنه نام على أنغامه المذبة متأثراً بألحانه الساحرة وهذا هو دانتى الفنان المهدف الحس

(٤٦) هذه إشارة إلى الأرجوس - الحيوان الخرافى - وكيف تخلص منه جوبيتر بأن سلط عليه عطارذ الذى قص عليه قصة حب الحورية سرنكس (Syrinx) ، فنامت أعين الأرجوس المائة وبذلك أمكن قطع رأسه . وسبقت الإشارة إلى ذلك
Purg. XXIX. 95.
Ov. Met. I. 568-747.

وتلخص أسطورة سرنكس حورية أركاديا فى أنه كان قد عشقها بان إله الماشية والرعاة ، فلجأت إلى هر لادون حيث تحولت إلى قسبة ، فاتخذ بان منها زمزماً ، ثم ابتكر تكريراً لها نايًا ذا سبع قصبات يتناقص طولها من أسفل . وقد استوحى كلود ديبسى (١٨٦٢ - ١٩١٨) هذه الأسطورة فوضع مقطوعة موسيقية رقيقة ساحرة تعرف باسم سرنكس وتعزف على الناي المنفرد
Debussy, Claude (1862-1918) Syrinx (Columbia, New York).

(٤٧) يعنى أن أعين الأرجوس التى نظرت إلى إيوس معشوقة جوبيتر قد كلفت حياته .

(٤٨) أعرب دانتى عن رغبته أن يرسم حالة الانتقال من اليقظة إلى النوم كما يرسم الرسام رسومه عن النماذج الحية ، حتى تأفى صورته صادقة . وهذا يعنى صعوبة التعبير عن هذه الحالة

- (٤٩) أى ما دام من الصعب عليه أن يصف كيف أخذه النوم فإنه سيترك ذلك و ينتقل إلى وقت عودته إلى اليقظة .
- (٥٠) هذه هى أنوار الموكب الذى كان صاعداً إلى السماء .
- (٥١) هذه هى ماتيلدا تنادى دانتى وتدعوه أن ينظر إلى المشهد الجديد .
- (٥٢) أجريت بعض التغيير فى مواضع بعض الأبيات بين هذه الثلاثية والتى تليها والأبيات التسعة التالية مقتبسة من « الكتاب المقدس » وترمز إلى ذهاب السيد المسيح مع بعض حواريه إلى جبل طابور حيث شهدوا تجليه
Matt. XVII. 1-13.
- (٥٣) اصطحب المسيح بطرس (Pietro) ويوحنا (Giovanni) ويعقوب (Jacopo) من حواريه إلى جبل طابور وفقدوا وعيهم حينما شهدوا تجلى المسيح
- (٥٤) التفاح رمز للمسيح كما ورد فى الكتاب المقدس (Cant. Cantic. II. 3) والمقصود أن الملائكة يتطلعون إلى المسيح ويسعدون بتأملهم فيه لأنه بذلك يجعلهم فى عرس أبدى .
- (٥٥) أى أفاقوا حينما لمسه المسيح وكلمهم
Matt. XVII. 7-8.
وفى ذكر الكلمة التى قطعت نوماً أعق إشارة إلى كلام المسيح الذى أحيا به لعازر من الموت
Giov. XI. 41-44.
- (٥٦) كان موسى (Moise) وإيليا (Elias) بجانب المسيح فى أثناء تجليه واختفيا فجأة عقب ذلك
- (٥٧) يقصد بذلك تجلى المسيح وعليه الثوب الأبيض الناصع
Luca, IX. 29.
- (٥٨) هكذا كانت حال دانتى حينما نام ثم استيقظ
- (٥٩) هذه هى ماتيلدا
- (٦٠) سيطر الشك والاضطراب والجزع على دانتى حينما لم ير بياتريتشى أمامه وخشى أن تكون قد تركته كما فعل فرجيليو ، ولذلك فهو يسأل عن مكانها
- (٦١) يعنى أن بياتريتشى - التى تعد رمز الكنيسة - أخذت مكان الجريفون - رمز المسيح ، وجلست عند أسفل الشجرة - رمز روما والأمبراطورية
- (٦٢) أى جماعة الحوريات السبع اللائى يمسكن بالسرچ المنيرة
- (٦٣) يعنى صعد إلى السماء باقى أفراد الموكب
- (٦٤) أى أنهم شهدوا بأغان ذات أنغام أعذب وأعمق مما سمعه فى أبيات ٦١ - ٦٣
- (٦٥) لم يدر دانتى هل تكلمت ماتيلدا مزيداً أم لا لأنه استغرق فى تأمل بياتريتشى .
- (٦٦) يرى بعض الشراح أن قول (terra vera) يعنى الأرض الحقة أو الحقيقة أى أرض الفردوس الأرضى المطيعة لله ويرى آخرون أنه يعنى الأرض العارية ، وفى هذه إشارة إلى أن رجال الكنيسة القدامى كانوا فقراء متواضعين ويرى غيرهم أنه يعنى أن بياتريتشى كانت جالسة على الأرض ذاتها . ولا يمكننا الوصول إلى رأى حاسم
- (٦٧) استخدم دانتى لفظ (plauastro) من اللاتينية بمعنى عربة
- (٦٨.) هذا هو الجريفون رمز المسيح ، وهذه إشارة إلى ما سبق
- (٦٩) استخدم دانتى لفظ (clauastro) من اللاتينية بمعنى شئ دائرى .
- (٧٠) المقصود أن الحوريات السبع قد أحطن بياتريتشى وفى أيديهن السرچ المشتعلة .

(٧١) ربح الشمال (Aquilone) الباردة التي تهب من شمال أوروبا ورياح الجنوب (Austro) الحارة التي تعصف في ليبيا وتهب على جنوب أوروبا ويرجع هذا الأمان من الرياح إلى وجود الفردوس الأرضي في أعلى المنطقة التي لا تتأثر بالعوامل الجوية السائدة في الأرض .

(٧٢) يعنى سيكون دائتي في الفردوس الأرضي لمدة قصيرة

(٧٣) أي روما السماوية مدينة الله .

(٧٤) جعل دائتي المسيح مواطناً رومانياً في روما السماوية الإلهية ، وفي هذا تقريب وتوافق بين الإنسان والله وبين الأرض والسما .

(٧٥) يعنى على دائتي أن ينظر إلى العربية رمز الكنيسة ، وعليه أن يدون ما يراه لمصلحة العالم حينما يعود إلى الدنيا والتعبير الأخير يشبه ما ورد في « الكتاب المقدس »

Apocal. I. 19; XXI. 5.

(٧٦) أصبح دائتي خاشعاً خاضعاً أمام وصايا بياتريثي ، وكان حريصاً على تنفيذ ما قالته له .

(٧٧) عبر دائتي عن الصاعقة بقوله (النار)

(٧٨) استخدم دائتي فعل (يطر) والمقصود السقوط السريع من أعلى

(٧٩) يتفق هذا ومعرفة أرسطو القديمة بأن الصاعقة تنشأ في أعلى مناطق الجو لشدة البرد وكثافة السحب

Arist. Meteor. II. 9. 2-4.

(٨٠) أي النسر ويرمز للأباطرة الذين اضطهدوا الكنيسة ، ويسميه دائتي في الفردوس طائر الله

Par. VI. 4. والفكرة مقتبسة من « الكتاب المقدس »

Ezech. XVII. 3.

(٨١) لحاء الشجرة رمز ثبات القديسين وقوة إيمانهم .

(٨٢) الأزهار رمز صلوات القديسين .

(٨٣) الأوراق الحديدية المخضرة رمز لأعمال القديسين الصالحة .

(٨٤) الا نقضاض والتحطيم والضرب رمز لما أصاب الكنيسة من الويلات على أيدي الأباطرة الرومان من نيرون إلى دقلديانوس (٦٤ - ٣١٤)

(٨٥) لفظ (poggia) يعنى الحبل الذي يربط السفينة جهة اليمين ويعنى لفظ (orza) الحبل الذي يربطها جهة اليسار والمقصود التعبير عن يمين السفينة ويسارها وتشبه صورة السفينة وسط

العاصفة ما أورده فرجيليو :
Virg. Æn. I. 120

(٨٦) الثعلبة رمز للهطقة التي أفلقت الكنيسة وعلى الأخص مذهب آريوس الذي أنكر ألوهية المسيح في القرن الرابع الميلادي

(٨٧) هذا رمز لمهاجمة الكنيسة في الصميم

(٨٨) يعنى كانت الثعلبة محرومة من الغذاء الصالح ويشبه التعبير الخاص بالغذاء الصالح ما ورد في « الكتاب المقدس »
Epist. Ebrei, V. 14.

(٨٩) هذا رمز لا انتصار الكنيسة على الهرطقة ويتضمن هذا قرار مجمع نيقيا في سنة ٣٢٥ ضد مذهب آريوس .

(٩٠) النسر رمز للإمبراطور ، ويمثل هنا قسطنطين الذى أعطى ريشه للبابا ، وهذا رمز لمنحته للبابا بشأن السلطة الزمنية ، الشيء الذى لم يحدث فى الواقع ، كما أثبت ذلك لورنتزو قاللا فى القرن الخامس عشر ، ولم يرض دانتى عن هذه المنحة وسبقت الإشارة إليها فى الجحيم وستأق الإشارة إليها فى الفردوس
Mon. III. X. 5.

Inf. XIX. 115

Par. XX. 55

(٩١) هذه إشارة إلى الأسطورة القائلة بأنه عقب منحة قسطنطين دوت فى السماء صرخات ألم وأسى
(٩٢) المقصود أن منحة قسطنطين - التى لم تحدث - قد ملأت الكنيسة بالشرور والمفاسد
(٩٣) التين هو الحيوان الخرافى الذى يجمع بين صفات الزواحف والطيور ، وهو رمز للشيطان الذى أفسد الكنيسة أو رمز بلشع الإنسان إلى متاع الدنيا وسبقت الإشارة إليه وذكره « الكتاب المقدس »
Inf. XXV. 23.

Apocal. XII. 3...; XX. 2.

ويوجد رسم للتين فى صورة ترجع إلى القرن ١٢ وهى فى كنيسة القديس بطرس فى الفاتيكان .
(٩٤) أى أخرج التين كثيراً من المسيحيين من رحاب الكنيسة ثم سار متايلا منعرجاً ماضياً فى أعماله الشريرة ، وهذا ما يناسب حركة الزاحفة فى سيرها . ويفسر بعض الشراح تعبير (vago vago) بأنه يعنى أن التين قد سار مغتبطاً راضياً عن فعله الخبيث
(٩٥) يعنى ما بقى من العربة بعد أن أنتزع التين بذنبه جزءاً منها
(٩٦) أى مع أن قسطنطين ربما يكون قد منح الكنيسة ما منحه لها من السلطان بقصد حسن فإن ذلك كان شراً ووبالاً عليها

(٩٧) يعنى حدث ذلك بسرعة فائقة ويأخذ دانتى الصورة من حركة الإنسان عند التهد
(٩٨) أى تحولت العربة المقدسة إلى وحش بشع ، وتشبه هذه الصورة ما ورد فى « الكتاب المقدس »
Apocal. XIII. ...; XVII.

(٩٩) يعنى كان كل رأس من الرؤوس الثلاثة الأولى ذا قرنين وهذه الرؤوس الثلاثة رمز للكبرياء والغضب والحسد ، وهى ذات قرنين لأن هذه خطايا توجه إلى الله والإنسان
(١٠٠) كانت الرؤوس الأربعة الأخرى ذوات قرن واحد وهى رمز لخطايا الجشع والنهم والكسل وشهوة الجسد ، وتوجه كلها إلى الإنسان وحده . والصورة مقتبسة من الكتاب المقدس كما سبق أنفاً
(١٠١) هذه رمز للكنيسة الفاسدة المنحلة فى عهد بونيفاتشو الثامن واكلمنتو الخامس
(١٠٢) يعنى لكيلا تنتزع الداعرة من على ظهر الوحش . وقلت (الوحش) للإيضاح
(١٠٣) المارد رمز لفيليب الجميل ملك فرنسا أو الملك فرنسا على وجه العموم الذى كان يؤيد البابوية الخاضعة لسياسته

(١٠٤) هكذا كان فساد البابوية والملكية الفرنسية عند دانتى

(١٠٥) انهال المارد بسوطه على كل جزء من جسد المرأة الداعرة .

(١٠٦) هذه النظرة من الداعرة إلى دانتى تعنى رغبتها فى التخلص من المارد - أى من سلطان ملك فرنسا

(١٠٧) كان الجريفون - رمز المسيح - قد ربطت العربية - رمز الكنيسة - بجذع الشجرة - رمز الإمبراطورية - وجاء هذا المارد - رمز ملك فرنسا - فأطلق العربية من الشجرة فتحولت العربية إلى وحش بشع

(١٠٨) هذا رمز لانتقال مركز البابوية إلى أثينيون في جنوب فرنسا عند انتخاب اكلمنتو الخامس .

(١٠٩) يعنى اختفى الوحش - العربية فى الأصل - واختفت المرأة الداعرة داخل الغابة التى أصبحت حائلا دون أن يراها دانتي وهكذا صور دانتي طرفاً من تاريخ الكنيسة وارتباطها بالإمبراطورية ، وما أصاب الكنيسة من الفساد حتى عهده ، وفعل ذلك بطريق الرمز الذى استخدمه بفن عظيم واستمد دانتي صوره من الأساطير القديمة والكتاب المقدس ومظاهر الطبيعة والإنسان ، ومزج بين هذه العناصر على اتساق وتوافق

الأنشودة الثالثة والثلاثون^(١)

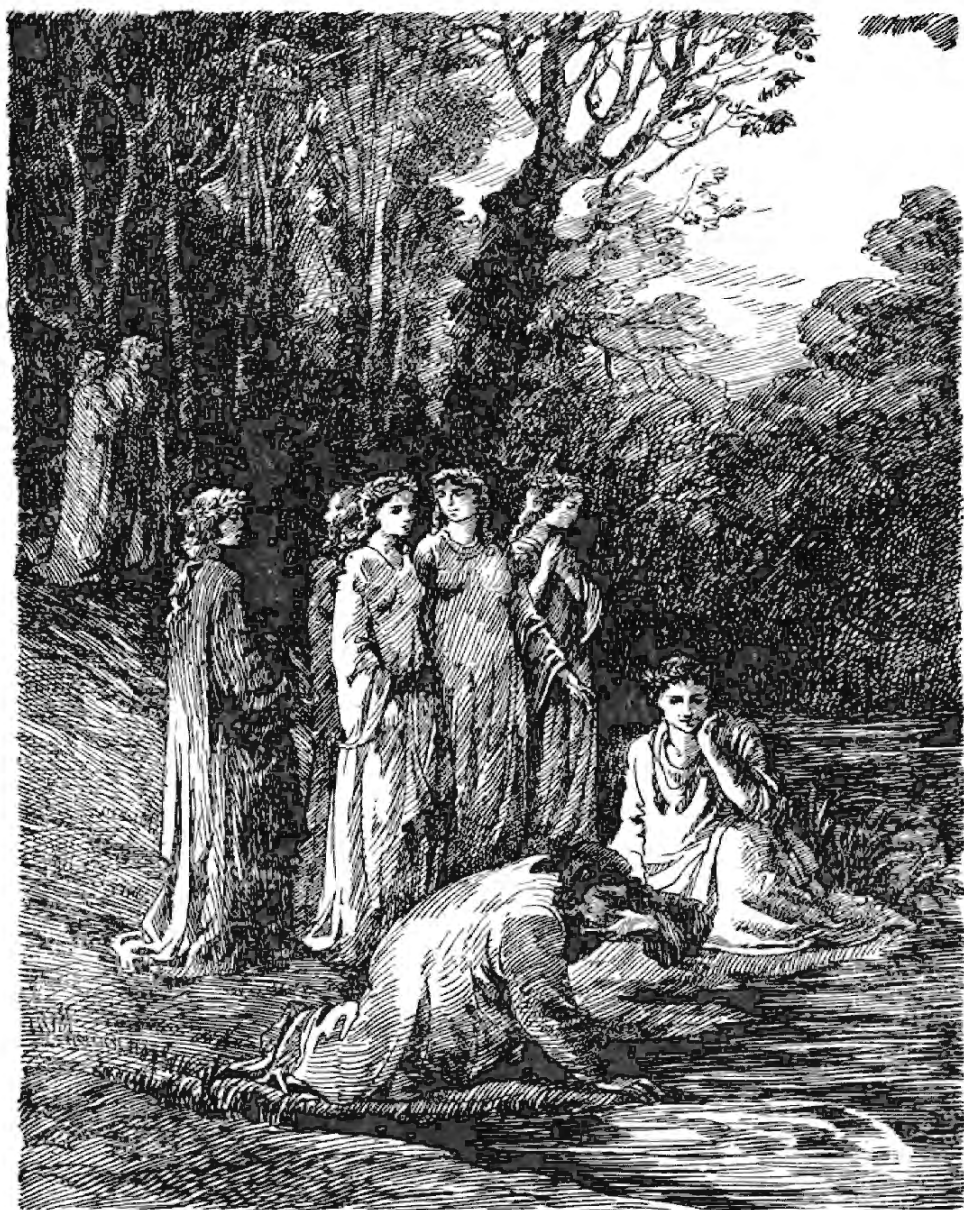
أخذت السيدات السبع ترتلن باكيات على مصير الكنيسة السيئ ، وشاركنهن بياتريتشى فى ألمهن ولكنها أعلنت نبوءتها بزوال الشرور والمفاسد ، وأشارت إليهن بالسير مع دانتي وماتيلدا واستاتيوس ، ثم التفتت إلى دانتي ودعته للمجئ إلى جوارها حتى يكون أقدر على سماعها ، وشجعته على التخلص من الخوف والحجل . وقالت بياتريتشى إن الأمباطورية لن تظل دائماً بدون وريث ، وسيأتى الزمن الذى يظهر فيه رسول يبعثه الله لكى يقضى على المساوىء ، وسوف تتضح لدانتي كل المسائل ، وسألته أن يعنى فى ذهنه الحال التى رأى عليها الشجرة—رمز الأمباطورية— وما طراً عليها من التغير حتى يذكر ذلك عند عودته إلى الدنيا وقالت إن آدم بقى ألوف السنين يتطلع إلى السيد المسيح الذى عاقب نفسه على خطيئة آدم — كما يعتقد المسيحيون — وسوف يدرك دانتي العدالة الإلهية فى تحريم الأكل من هذه الشجرة وسألها دانتي لم تسمو كلماتها عن مستوى إدراكه ، فأجابت بأنها تفعل ذلك لكى يرى أن تعاليم الفلسفة التى اتبعها لا تكفى لكى يفهم وأنها بعدت به عن الطريق الإلهى ، فقال دانتي إنه لا يذكر أنه ابتعد عنها فأجابته بأن هذا من أثر مياه لىتى وكان الوقت ظهراً حينما توقفت الجماعة عن المسير عند ظل ظليل ، وبدا لدانتي أنه يرى هرين يخرجان كالدجلة والفرات من ينبوع واحد ، وينفصلان كصديقين متمهلين عند الرحيل فاستفسر دانتي عن ذلك متعجباً ، فقالت ماتيلدا إنها سبق أن فسرت له كل شئ واقتادت ماتيلدا دانتي واستاتيوس إلى هر اينوى الذى يعيد للإنسان ذكرى الأعمال الصالحة ، ونعم دانتي بالماء العذب الذى لم يكن ليرتوى منه أبداً ، واعتذر للقارئ عن عدم وصف أثره لضيق المقام . وهكذا أصبح دانتي كأنه ولد من جديد كالنبات الذى يتجدد بأوراقه الخضراء ، وصار طاهراً مؤهلاً للصعود إلى النجوم

- ١ " اللهم إن الأمم قد دخلوا ميراثك " (٢) ، هكذا شرعت السيدات ترتلن باكيات المزمور العذب على اتساقٍ وتوافقٍ ، ثلاث مهن تارةً وأربع تارةً أخرى (٣) ،
- ٤ وبوجهٍ لم يكد يزيد عنه تحت الصليب وجه ماريّا الشاحب — على هذا النحو أصغت إليهن بياتريتشى وهى تأسى وتُصعّد الزفرات (٤)
- ٧ ولكن حينما أتاحت لها هاتيك العذارى فرصة الكلام (٥) ، هضت واقفةً على قدميها ، وأجابت وقد اكتسى وجهها بلون النار (٦)
- ١٠ " بعد قليل لا تبصرونى ، ثم بعد قليل ترونى ثانياً ، يا أخواتي الحبيبات " (٧)
- ١٣ ثم دفعت أمامها السيدات السبع جميعاً (٨) ، وبإشارة منها فحسبُ ، حملتنا على السير فى إثرها أنا والسيدة (٩) والحكيم الذى ظلّ فى صُحبتنا (١٠)
- ١٦ وهكذا مضت فى سيرها ، ولا أظن أنها كانت قد درجت على الأرض بعشري من خطاها (١١) ، حينما تألّقت فى عيى وميض من عينيها (١٢)
- ١٩ وبوجه هادئٍ قالت لى (١٣) : « هلاً تسارع الخطى حتى تصبح فى موضع ملائمٍ للإصغاء إلىّ إذا ما خاطبتك (١٤) » .
- ٢٢ ولما صرت إلى جانبها امتثالاً لكلمتها (١٥) ، قالت لى « يا أخى ، لم لا تجبرى على سؤالى ما دمت تسير بجوارى الآن (١٦) ؟ » .
- ٢٥ وكما يحدث لمن يتكلمون باحترامٍ بالغٍ أمام من يعلوهم قدراً ، فلا تتجاوز أصواتهم المنبعثة حدّ شفاههم (١٧) —
- ٢٨ هكذا حدث لى ، فبدأت أتكلّم بصوتٍ مُقَطَّعٍ : « إنك يا سيدتى عليمّةٌ بحاجتى وبما يطيب لها (١٨) »
- ٣١ فقالت لى « لئننى راغبةٌ أن تحرّر نفسك الآن من الخوف والحجل ، حتى تكفّ عن الكلام كما يفعل الرجل حينما يحلم (١٩) »
- ٣٤ ولتُعلم أن العربية (٢٠) التى حطّمها التنين كانت من قبل موجودةً وهى غير موجودة الآن (٢١) ، ولكن فليثق من أثم بسببها ، أنه ما من حائلٍ يهابه انتقام الله (٢٢) .

- ٣٧ ولن يظلّ أبد الدهر بلا وريث — النسْرُ الذى ترك على العربية أرياشه (٢٣) ،
وبذلك أصبحت وحشاً ثم صارت فريسة (٢٤) ؛
- ٤٠ وإني أخبرك بأنى أرى فى الحقيقة نجوماً تقترب الآن آمنةً من كل عائقٍ
وخالصةً من كل عقبة (٢٥) ، لكى تجود علينا بالزمن
- ٤٢ الذى سيفتك فيه — مَنْ حساب جُمْلَه خمسة عشرة وخمسةائة (٢٦) — رسولٌ
من الله — سيفتك بالمغتصبة الداعرة وبذلك المارد الذى يرتكب معها
المعصية (٢٧)
- ٤٦ وربما لا يكتفى لإقناعك حديثى ، الذى هو فى غموض قصصتى تميس (٢٨)
وأُمّ الهول (٢٩) ، إذ يغشى العقل على منوالهما (٣٠) ،
- ٤٩ ولكن سرعان ما ستصبح الوقائع هى النيا دس (٣١) التى تحلّ هذا اللغز
العويص (٣٢) ، بدون خسارةٍ تلحق بالقطيع أو محصول الحنطة (٣٣)
- ٥٢ فعليك بأن تعي ما قلته لك (٣٤) ، وَلْتَنْقِلْ عَنى هذه الكلمات كما تلفظتُ بها ،
إلى من يعيشون الحياة التى هى إلى الموت سباقٌ* (٣٥)
- ٥٥ وحين تدوّنها فَلْتَذْكُرْ أَلَا تُخْفِ كيف رأيتَ الشجرة (٣٦) ، التى انتزعتُ
ها هنا أوراقها مرتين الآن (٣٧)
- ٥٨ إن كل من يسرقها أو يسلبها شيئاً ، يسىء بشائن فعله إلى الله (٣٨) ، الذى
لم يخلقها مقدسةً إلا لخدمة هدفه (٣٩)
- ٦١ وبالنهش منها تطلّعت النفس الأولى (٤٠) فى عذابٍ وشوقٍ — أكثر من خمسة
آلاف سنة (٤١) — تطلّعت إلى من عاقب نفسه على تلك القضمة (٤٢)
- ٦٤ وإنك لَتَعُدّ غائباً عن وعيك إذا لم تقدّر أن سيباً فريداً قد سما بالشجرة إلى
ذلك الارتفاع الشاهق ، وبه امتدّت هكذا عند القمة (٤٣)
- ٦٧ ولو لم تكن أفكارك الباطلة قد صارت فى رأسك كماءٍ هَرِّ الإلّسا (٤٤) ، ولم
يفعل ابتهاجك بها ما فعله پيراموس بثّار التوت (٤٥) ،
- ٧٠ لكفتك هاتان الخاصيتان لكى تدرك مغزى العدالة الإلهية ، فى التحريم
المنصبّ على الشجرة العالية — بمعناه الخلقي (٤٦)

- ٧٣ ولكن ما دمت أرى أن عقلك قد استحال صخرةً ، وتحجرتُ أفكارك وأظلمت نفسك ، حتى لتتبهرك أنوار كلماتي^(٤٧) ،
- ٧٦ فلا زلتُ أرجو أن تعينها في نفسك — وإن لم تكن مكتوبةً فرسومةً على الأفل^(٤٨) ، لذات السبب الذي يعود به عكاز الحاج متوجاً بسعف النخل^(٤٩) .
- ٧٩ فقلت « لقد انطبع ذهبي بكلماتك الآن ، كشمع الختم الذي لا تتغير الصورة المهور بها أبداً^(٥٠) »
- ٨٢ ولكن لم تحلق عالياً فوق متناول إدراكي^(٥١) — كلمتك التي تنوق نفسي لسماعها ، بحيث يزداد بعدها عنى كلما ازدادت سعياً إليها^(٥٢) ؟ »
- ٨٥ فقالت « لكي تعرف أية مدرسة اتبعها^(٥٣) ، وترى كيف يمكن لتعاليمها أن تتبع كلماتي ،
- ٨٨ ولكي تدرك أن طريقك^(٥٤) ينأى عن طريق الله ، كما تنأى عن الأرض السماء التي تسارع إلى الدوران في أعلى مدارجها^(٥٥) »
- ٩١ فأجبتها عندئذٍ : « لا أذكر أني قد جعلت نفسي غريبةً عنك أبداً ، ولست أشعر بوخز الضمير من جراء ذلك^(٥٦) »
- ٩٤ فقالت لي وهي تبتسم : « إذا كنت لا تستطيع أن تعي ذلك ، فلستذكر الآن كيف شربت اليوم من مياه ليتي^(٥٧) ؛
- ٩٧ وإذا ما دلّ الدخان على اشتعال النار ، فإن نسيانك يُثبت جلياً أن إرادتك تعورها الخطيئة — باتجاهها وجهةً أخرى^(٥٨) »
- ١٠٠ ولكن^(٥٩) كلماتي ستصبح لك الآن جليةً ، بقدر ما سيكون ذلك ضرورياً لكي يكشف عنها نظرك المعتم^(٦٠) »
- ١٠٣ وبوهجٍ أشدّ وخططي أبطأ كانت الشمس قد استوت في دائرة الزوال^(٦١) ، التي تنتقل هنا وهناك ، بحسب الأماكن التي تُرى منها^(٦٢) ،
- ١٠٦ حينما توقفتُ — كما يتوقف مَنْ يسير أمام جماعة كأنه دليلها ، إذا ما لقي أشياءً غريبةً أو ما ينبئ عنها^(٦٣) —

- ١٠٩ حينما توقفت السيدات السبع^(٦٤) عند حافة ظل^٥ ظليل^٦ ، أشبه بما تلقى به جبال الألب على غدرانها العذبة ، تحت أفنانها الداكنة وأوراقها المزدهرة^(٦٥)
- ١١٢ وأمامهن بدا لى أنى أرى الفرات والدجلة يخرجان من نبع واحد^(٦٦) ، وكصديقين حميمين يتمهلان عند افتراقهما^(٦٧)
- ١١٥ « أيها النور المتألق ، وبإمجد البشرية^(٦٨) ، أية مياه هذه التى تنبثق من ينبوع واحد^٧ ، وتبتعد بذاتها عن ذاتها^(٦٩) ؟ » .
- ١١٨ وإزاء هذا الرجاء سمعتها تقول^(٧٠) « عليك برجاء ماتيلدا حتى تخبرك عن ذلك^(٧١) » وهنا أجابت الغادة الجميلة كما يفعل مَنْ
- ١٢١ يخلص نفسه من اللوم : « لقد حدثتته عن هذه المسألة وعن أشياء غيرها^(٧٢) ، وإنى واثقة أن مياه لى لم تُخفها عنه^(٧٣) » .
- ١٢٤ فقالت بياتريتشى « ربما أظلمت عيناه بعمى بمشغلة أجل شأناً ، والتى كثيراً ما تحرم الإنسان من ذاكرته^(٧٤) »
- ١٢٧ ولكن هاك هـر إينووى ينساب فى ذيلك الجانب : فخذيه إليه ، وأعيدى له قواه الواهنة ، كما كان فى مألوفك أن تفعل ذلك^(٧٥) »
- ١٣٠ وكالنفس الرقيقة التى لا تلتمس سبيلاً إلى المَعذرة^(٧٦) ، ولكن تُشكّل لإرادتها بإرادة غيرها ، حين يُفصّح عنها بإشارة بادية^(٧٧)
- ١٣٣ هكذا سارت بى الغادة الجميلة^(٧٨) ، حينما أمسكت بى^(٧٩) ، وقالت لاستاتيوس « هلا تأتى معه^(٨٠) » ، بتعبير يم عن رقة شمائلها^(٨١)
- ١٣٦ ولو اتسع لى مجال القول — يا قارئى — لشدوت على نحو غير مكتمل بالكوثر العذب الذى ما كنت لأرتوى منه أبداً^(٨٢) ؛
- ١٣٩ ولكن لما كانت صفحائى الخاصّة بهذا النشيد الثانى قد أضحت كلها مفعمة^٨ ، فإن عنان فننى لا يدعى أمضى فى قرىضى^(٨٣)
- ١٤٢ وعُدت من أعظم الأمواج قدسية^(٨٤) مولوداً جديداً^(٨٥) ، كالأشجار الجديدة التى تتجدّد بيزوغ أوراقها الوليدة^(٨٦) ،
- ١٤٥ وصرت طاهراً^(٨٧) مؤهلاً للصعود إلى النجوم^(٨٨)



۱۳ - دانی یشرېب من مياھ نهر اينوى

حواشي الأنشودة الثالثة والثلاثون

- (١) هذه أنشودة نبوءة بياتريثى .
- (٢) هذا القول مقتبس من « الكتاب المقدس » ويمكننا القول (اللهم إن الكفار قد جاءوا)
Salmi, LXXIX.
- (٣) المقصود أن السيدات السبع بكين حزناً على ما أصاب الكنيسة من الويلات والمفاسد وترمز ثلاثهن إلى الفضائل اللاهوتية وترمز أربعتهن إلى الفضائل الأساسية
- (٤) تأملت بياتريثى لذلك واقترب وجهها في شحوبه مما أصاب وجه العذراء ماريا عند صلب السيد المسيح - في عقيدة المسيحيين
- (٥) أى حينما انتهت السيدات المذكورات من إنشاد المزمور المشار إليه
- (٦) هضت بياتريثى وقد أخذتها الحماسة المقدسة فاخر وجهها
- (٧) المقصود أن المفاسد الحالية سوف تزول وستجدد الكنيسة وتعود البابوية إلى روما وهذا القول مقتبس من كلام السيد المسيح
Giov. XVI. 16.
- (٨) يعى السيدات السبع المشار إليهن آنفاً
- (٩) أى ماتيلدا
- (١٠) يعى استانيوس
- (١١) ربما ترمز الخطوات العشرة إلى الوصايا العشرة أو ترمز إلى أن البابوية ستعود إلى روما قبل انقضاء عشر سنوات .
- (١٢) يدل هذا التعبير على أثر عيبى بياتريثى في دانتى .
- (١٣) سبق أن تأثرت بياتريثى وانفعلت لما أصاب الكنيسة من الويلات ولكن سرعان ما استعادت هدوءها لثقتها في الله وفي نفسها
- (١٤) هذه كلمات هادئة رقيقة مستمدة مما يحدث بين الأصدقاء في الحياة الواقعة
- (١٥) أى كما ينبغي على دانتى أن يطيع بياتريثى دائماً
- (١٦) هكذا تحفز بياتريثى دانتى على الكلام بكلمات هادئة بسيطة تحمل علامة العطف والموودة .
- (١٧) هذا تصوير دقيق لمن لا يسفه الكلام في حضرة الشخص ذى المقام الكبير فلا تتجاوز ألفاظه حد أسنانه
- (١٨) يعنى أن دانتى ليس في حاجة إلى الإفصاح عما يتخالبه لأن بياتريثى تدرك كل شيء .
- (١٩) تدعو بياتريثى دانتى إلى أن يتخلص من الخوف والحجل حتى لا يتكلم كلاماً غير مفهوم كما يفعل الرجل في الحم . وهذه صورة دقيقة مستمدة من الحياة الواقعة
- (٢٠) أى العربة المقدسة السالفة الذكر في الأنشودة السابقة

(٢١) يعنى كانت الكنيسة موجودة من قبل ولكن بانتقال مركز البابوية إلى أفينيون سنة ١٣٠٩ أصبحت الكنيسة كأنها غير موجودة . والتعبير هنا مقتبس من « الكتاب المقدس »

Apocal. XVII. 8.

(٢٢) يرى بعض الشراح أن لفظ (suppa) يعنى الحساء - وهو هنا مصنوع من النبيذ والخبز - وأن دانتى قد اقتبس هذه الفكرة التي وجدت في تاريخ اليونان القديم والتي يقال إنها عرفت في فلورنسا بعض الوقت . ومؤدى هذه الفكرة أن القاتل كان يأمن على نفسه من طائلة القانون ومن انتقام أهل القتل إذا استمر يتناول هذا الحساء مدة تسعة أيام على قبر القتيل ، ولذلك كان أهل القتل يحرسون قبره حتى لا يلجأ قاتله إلى هذه الطريقة لكي ينجو من العقاب أو الانتقام . وفى هذه الحال تكون الترجمة (أن انتقام الله لا يخشى تناول الحساء) ، يعنى أن انتقام الله لا يخشى أن يعوقه شيء . ولكن يستبعد غيرهم من الشراح والدارسين هذا التفسير ، ويرون أن انتقام الله يرتبط بالسيف ، كما ورد في الكتاب المقدس (تثنية ٣٢ ٤١ أشعيا ٣٤

حزقيال ٢١ و ٣٣ إلخ) ويرون أن انتقام الله لا يمكن أن يرتبط بالخطيئة كما أنه لا توجد أدلة تاريخية في القوانين أو العادات المعاصرة تثبت وجود هذه العادة المشار إليها . ومن القائلين بهذا الرأي الأخير فرنشيسكو توراكا . وعنده أن لفظ (suppa) مأخوذ من لفظ (jupppa) المعروف في لاتينية القرن ١٢ ، والذي أصبح (giuppa) في لهجة تسكانا وصار (subba; zubba, zuppa) في لهجات إيطاليا الشمالية ، وتعنى نوعاً من الدروع أو التروس ، وهذا مما يناسب انتقام الله بالسيف . وفى هذه الحال تكون الترجمة (أن انتقام الله لا يخشى نرساً أو درعاً) والمعنى المقصود في كل من الحالين هو أن الانتقام الإلهي لا يقف شيء في سبيله .

(٢٣) سبق أن ترك النسر - رمز الأمباطور - ريشه على العربة - رمز الكنيسة

Purg. XXXII. 216

(٢٤) تحولت العربة إلى وحش ثم صارت فريسة للمارد كما سبق (Purg. XXXII. 130 ...) والمقصود أن دانتى اعتبر عرش الأمباطورية خالياً بعد فردريك الثانى وحتى تقوم هنرى السابع إلى إيطاليا سنة ١٣١١ لأن الأباطرة لم يعنوا بإيطاليا ولم يتوجوا بها

(٢٥) رأت بياتريتشى نجوماً سيظهر أثرها في الدنيا بدون عائق من البشر

(٢٦) يرى بعض النقاد أن رقم ٥١٥ يعبر عن (d x v) في حساب الأعداد الرومانية وبتغيير وضع الحرفين الأخيرين تعنى الكلمة الزعيم (dux) . ويرى آخرون أنه يقصد به الأمباطور هنرى السابع لأن حساب الأجددية العبرية لحروف اسمه (Arrico) على التوالى هو كالاتى ١ + ٢٠٠ + ٢٠٠ + ١٠٠ + ١٠٠ = ٥١١ ولم يكن للحرف الأخير من اسمه معادل في الأجددية العبرية وقتئذ . وأضاف دانتى رقم ٤ على أساس أنه رابع حرف متميز في اسم هنرى المكتوب بالإيطالية . وعلى كل حال فالمقصود أن بياتريتشى تنبأ بظهور زعيم قوى يضع الأمور في نصابها ويقضى على المفساد ويحقق العدل والسلام . ويتفق هذا مع فكرة السلوق الذى سبق ذكره في الجحيم

Inf. I. 101.

(٢٧) المغتصبة الداعرة هي الكنيسة المنحلة والمارد هو ملك فرنسا وقد سبق ذكرهما

Purg. XXXII. 149

- (٢٨) تيمس (Themis) إلهة التنبؤ في معبد دلفي واشتهرت بنبوءاتها الغامضة : Ov. Met. I. 347-415.
- (٢٩) أم الهول (Sphinx) كائن خرافي له صدر امرأة ورأسها وجسم لبؤة ، وكانت تسكن على جبل فينو في طيبة واعتادت أن تسأل كل من يمر بها لغزاً وتقتله إذا لم يحله . ويقول اللغز : من هو الكائن الذي يمشي على أربع في الصباح وعلى اثنين في الظهر وعلى ثلاث في المساء . وعرف أوديبوس ابن لايبو أنه الإنسان في أطوار حياته من الطفولة إلى الرجولة فالشيخوخة ، وعندئذ انتحرت أم الهول . وأورد أوفيدوس هذه الأسطورة Ov. Met. VII. 759...
- (٣٠) استخدم دانتى فعل (attuare) من لغة البروفنس بمعنى يعوق ، وتحشى بياتريتشى أن يكون كلامها غامضاً ككلام تيمس وأم الهول
- (٣١) النيا داس (Naiades) حوريات الينابيع والأنهار والبحيرات . وفي الواقع لم تحل النيا داس لغزاً بل أخطأ دانتى في قراءة مخطوطة أوفيدوس كما كانت مكتوبة في زمنه ، فقرأ النيا داس بدلا من ليا داس (Laiades) وهو أوديبوس ابن لايبو الذي حل لغز أم الهول كما أشرنا من قبل
- (٣٢) أى سيزول الغموض سريعا بشأن الرسول من السماء
- (٣٣) حينما انتحرت أم الهول غضبت تيمس فأرسلت وحشاً فتلك بماشية طيبة ومحصولها الزراعى ، ولذا تقول بياتريتشى إن الغموض سيزول بدون خسائر .
- (٣٤) تدعو بياتريتشى دانتى ألا ينسئ كلامها . ويشبه هذا المعنى ما سبق
- Purg. XXXII. 104-105.
- (٣٥) وتسأله أن ينقل كلامها إلى أهل الدنيا الذين يعيشون حياة قصيرة الأمد .
- (٣٦) يعنى على دانتى ألا يخفى كيف كانت الشجرة شاهقة الارتفاع وكيف كانت عارية من أوراقها ثم كيف ازدهرت حين ربطت العربة إليها
- Purg. XXXII. 38
- (٣٧) المقصود أن أوراق الشجرة قد نزع في مرتين على يد آدم والمارد أو بواسطة الشر والمارد
- (٣٨) الإساءة إلى الله بالفعل أسوأ من الإساءة إليه بالكلام . وفي هذا المعنى إشارة إلى ما أورده توماس الأكويني d'Aq. Sum. Theol. II. II. XIII-XIV.
- (٣٩) أى خلق الله الفردوس الأرضى مباركاً بحيث لا تخرق قوانينه ولكى يخدم أغراضه السامية
- (٤٠) يعنى آدم الذى أكل من الشجرة المحرمة
- (٤١) هناك أسطورة تقول إن آدم عاش في الأرض ٩٣٠ سنة وعاش في الميمو ٤٣٠٢ سنة وسيأتى ذكر هذا في الفردوس
- Par. XXVI. 118...
- (٤٢) أى ظل آدم هذا الزمن كله يتطلع إلى السيد المسيح الذى عاقب نفسه على خطيئة آدم — كما في عقيدة المسيحيين
- (٤٣) يعنى لا بد أن يكون عقل دانتى معطلا إذا لم يدرك أن قوة استثنائية قد باركت هذه الشجرة وجعلتها بذلك الارتفاع وبذلك الصورة الشاسعة عند قممها
- (٤٤) نهر الإلسا (Elsa) ينبع في منطقة سينا ويصب في نهر الأرنو على مقربة من إيمبولي ، ويتوفر في مياهه — في منطقة كولي — أكسيد الكربون وكر بونات الكلسيوم ، ولذلك تغطى الأشياء التي تلقى فيه بطبقة من الجير . والمقصود الإشارة إلى احتمال تحجر أو تكلس الأفكار الباطلة في رأس دانتى .

(٤٥) كان انتحار پيراموس (Pyramus) حزناً على محبته ثسبى - التى ظن خطأ أنها ماتت فى بابل - سبباً فى تلون ثمر التوت باللون الأحمر والمقصود الإشارة إلى تلوث عقل دانتي بظنونه وأفكاره الباطلة - فى هذا الموقف - كما لوث پيراموس بدمه ثمر التوت وسبقت الإشارة إلى هذه الأسطورة Purg. XXVII. 37-39.

(٤٦) أى لو لم تكن الأفكار الباطلة قد ثبتت فى رأس دانتي وإذا لم يطمس عقله لأدرك الحكمة الإلهية فى تحريم هذه الشجرة على آدم ، بما هى عليه من الارتفاع الشاق وتكوينها الإستثنائى .

(٤٧) وجدت بياتريتشى أن قد "تججر عقل دانتي وأظلمت نفسه حتى لم يعد قادراً على إدراك مغزى كلماتها

(٤٨) تطلب بياتريتشى إلى دانتي أن يعى كلامها حتى يمكنه تدوينه فيما بعد

(٤٩) يعود الحاج وقد لف سعف النخل على عكازه للدلالة على أنه زار الأراضى المقدسة ، وكذلك تسأل بياتريتشى دانتي أن يعى كلامها للدلالة على أنه زار الفردوس الأرضى ومن الطريف أن تجرى بياتريتشى الموازنة بين شئ مادى وآخر معنوى ، وضعه دانتي بهذه الصورة المحسنة

(٥٠) أخذ دانتي هذا التشبيه من درايته بالوثائق والمراسلات والأختام ، حين شغل بعض الوظائف فى فلورنسا وحين عاش بعض الوقت فى رحاب بعض الأمراء فى إيطاليا فى حياة المنفى وسبق مثل هذا Purg. X. 45; XVIII. 39.

(٥١) فى الأصل (النظر) بمعنى الإدراك العقلى .

(٥٢) المقصود أن بياتريتشى تتكلم بطريقة علوية لا يستطيع دانتي فهمها مهما بذل من الجهد

(٥٣) أى العلم الإنسانى الفلسفى الذى يبحث عن الحقيقة دون العناية بالعلم الذى مرجعه إلى الإلهام .

(٥٤) يعنى طريق الخطيئة ويشبه هذا ما سبق Purg. XXX. 130.

(٥٥) أى سماء المحرك الأول التى هى أسرع السموات واستخدم دانتي لفظ (festina) من اللاتينية بمعنى الإسراع وتعنى هذه الثلاثة أن أفكار بياتريتشى ليست هى أفكار دانتي وهذا المعنى مقتبس من «الكتاب المقدس» Isaia, LV. 8-9.

(٥٦) نسي دانتي أنه ابتعد عن بياتريتشى وأنه ارتكب الخطيئة

(٥٧) نسي دانتي أنه شرب من ماء مهر لىتى ، وتذكره بياتريتشى بذلك Purg. XXXI. 94-102.

(٥٨) يعنى كما يدل الدخان على وجود نار يدل نسيان دانتي لخطاياها على ارتكابها

(٥٩) من معانى كلمة (veramente) ولكن - كما سبق Purg. VI. 43.

(٦٠) أى ستصبح كلمات بياتريتشى واضحة لدانتي الذى لم يتمكن بعد من فهمها بذنه المغلق الذى يعوزه مزيد من العلم والإستشارة ويمكن أن تكون الترجمة هنا (بقدر ما يحتاج إليه ذهنك الغليظ) ، والمعنى واحد .

(٦١) كانت الشمس شديدة الوهج ولذا بدت أنها بطيئة السير وكان الوقت ظهر الأربعاء ١٣ أبريل ١٣٠٠ وهذه هى آخر مرة يحدد دانتي فيها الوقت لأن الزمان فى الفردوس غير محدد .

(٦٢) تختلف دوائر الزوال باختلاف خط طول المكان ، وربما كان المقصود الاختلاف بين نصى الكرة الجنوبي والشمالى .

(٦٣) هذه صورة دقيقة لتوقف جماعة تسير حين يرى دليلها ما يستدعي الوقوف ، وهي مأخوذة من حياة الارتحال والتنقل التي عاشها دانتي

(٦٤) يعنى الحوريات السبع وهن ممسكات بالسرّج المشتعلة . وكررت هنا (حينما توقفت) للإيضاح

(٦٥) هذا وصف جميل لبعض مظاهر الطبيعة في جبال الألب في إيطاليا

(٦٦) بدا لدانتي أنه يرى هري ليني وإينوي يخرجان من ينبوع واحد كالفرات (Eufrates)

والدجلة (Tigri) اللذين ذكرهما « الكتاب المقدس » على أنهما من أنهار الفردوس الأربعة وفكرة المنبع الواحد مأخوذة من لوكانوس وبوتيتوس . والواقع أن الفرات ينبع من أرمينيا وينبع الدجلة من كردستان ، ويلتقيان في مجرى واحد يصب في الخليج الفارسي Gen. II. 9

Luc. Phars. III. 256-559.

Boet. Cons. Phil. V. met.

وتشبه فكرة النهرين بعض ما ورد في تراث الإسلام وكما سبقت الإشارة إليه

الشعراني مختصر تذكرة القرطبي (المصدر السابق الذكر) ص ٩٩

ويوجد رسم موزايكو لرجل يصب الماء من جرة على أرض كاتدرائية أو وستا تمثل نهر الفرات وترجع إلى القرن ١٢ كما يوجد رسم آخر يمثل نهر الدجلة في نفس الكاتدرائية وتوجد صورة لأنهار الفردوس الأربعة ترجع إلى القرنين ١٢ - ١٣ وهي في كنيسة سان پيترو .

(٦٧) أى أن النهرين سارا في اتجاهين مختلفين متباطين كصديقين لا يريدان أن يفترقا . وهذا تعبير إنساني مليء بالعاطفة جعله دانتي ينصب على النهرين

(٦٨) يخاطب دانتي بياتريشي ويمجدها . ويشبه هذا التعبير قول ثرجيليو في الجحيم Inf. II. 76-78

(٦٩) يعنى كيف تنقسم المياه وتسير في نهرين منفصلين ويمكن أن يكون المقصود هو التعبير عن ابتعاد مياه النهرين معاً عن ينبوع

(٧٠) أحالت بياتريشي دانتي على ماتيلدا لتخبره بما يريد .

(٧١) هذه هي المرة الأولى والوحيدة التي يذكر فيها اسم ماتيلدا

(٧٢) قالت ماتيلدا إنها سبق أن أوضحت كل شيء لدانتي Purg. XXVIII. 88

(٧٣) أى أن عمر دانتي في مياه ليني لم يجعله ينسى تلك الأشياء

(٧٤) المقصود أنه ربما عطل ذاكرة دانتي مسألة أكثر أهمية وهذا يعنى التأمل في بياتريشي .

(٧٥) يختص مهر إينوي بإعادة ذكرى الأعمال الحميدة الطيبة

(٧٦) يعنى أن النفس الرقيقة أو النبيلة لا تعتذر ولا تتوانى عن تلبية ما يطلب إليها

(٧٧) هذه أبيات رقيقة تعبر عن المحبة والولاء بين نفسيين لا تطلب إحداها شيئاً إلا وتسارع الأخرى

إلى تلبيةه بمجرد الإشارة إلى ذلك وهكذا يصور دانتي العواطف الإنسانية الرقيقة بدقة وإيجاز

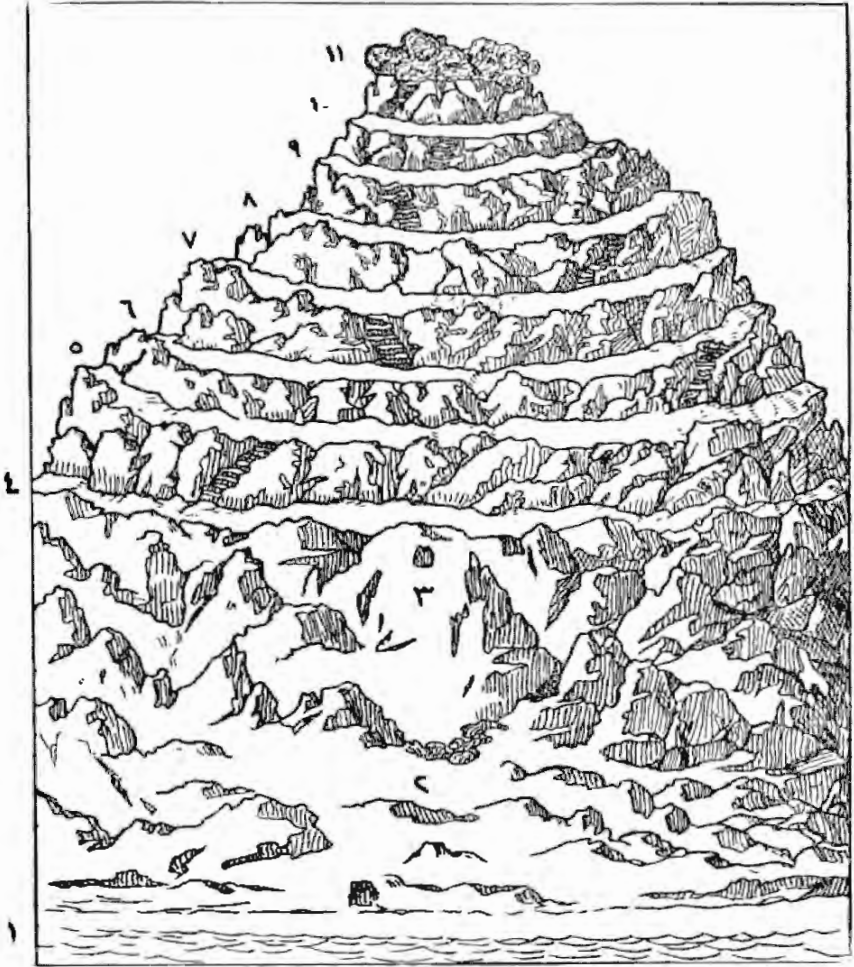
وهذا هو دانتي الذى لا يكاد يفوته شيء مما يقع تحت حسه وإدراكه

(٧٨) يعنى هكذا كان التعاطف بين بياتريشي وماتيلدا بحيث سارعت الأخيرة إلى تلبية ما طلب إليها

(٧٩) أمسكت ماتيلدا بيد دانتي أو بذراعه وهذه حركة إنسانية لطيفة مبثها الولاء والمودة

(٨٠) سألت ماتيلدا استاتيويس بلهجة نبيلة رقيقة أن يأتى بمصاحبة دانتي .

- (٨١) استخدم دانتي تعبير (donescamente) وهذا يعنى أن بياتريتشى تكلمت بالأسلوب الذى تتكلم به السيدة النبيلة المهذبة الرقيقة
- (٨٢) أى لو كان هناك مجال للكتابة لتغنى دانتي بطريقة جزئية - غير كاملة - بشربه من مياه إينوى التى لا يمكن التعبير عنها أبداً
- (٨٣) أوشك دانتي على الانتهاء من الأنشودة الثالثة والثلاثين من المطهر ، وهو حريص على التناسق الشكلى - والمعنوى والفنى - بين أجزاء الكوميديا الثلاثة ومع ذلك لو أنه زاد بعض أبيات فى هذا الصدد لما اختل التناسق ولكن يظهر أنه أراد الاكتفاء بما كتبه عند هذا الحد لأنه لم يقدر على وصف ما أحسه وهذه طريقة فى الرواية والعرض .
- (٨٤) يعنى رجع دانتي من شربه من مياه هر إينوى .
- (٨٥) يشبه هذا تعبير فرجيليو Virg. Georg. III. 235.
- (٨٦) استمد دانتي هذا التشبيه الدقيق من حياة النبات ويشبه هذا تعبير فرجيليو Vir. Æn. VI. 205-206.
- (٨٧) أصبح دانتي نقياً طاهراً بالندم والتوبة وبالشرب من مياه لىتى وإينوى .
- (٨٨) هكذا صور دانتي نفسه على أنه قد تطهر وصفا وصار جديراً بالصعود إلى السماء وهذه إشارة إلى ما سبق فى أول المطهر . وتنتهى أجزاء الكوميديا الثلاثة بلفظ النجوم Inf. XXXIV. 139. Par. XXXIII. 145.



١٤ - رسم إيضاحي لجبل المطهر

شرح الرسم الإيضاحي لجبل المطهر

٢	أنشودة ١		١ - بحر وشاطئ
		يتجمع المهملون الكسالى فى أربع مجموعات الواحدة منها فوق الأخرى	
	٣ »	(أ) الذين ماتوا محرومين من الكنيسة	
	٤ »	(ب) المهملون الكسالى	٢ - مقدمة المطهر
٧	٦ »	(ح) الذين لقوا بالعنف حتفهم	
	٩ »	(د) الأمراء المهملون	
			٣ - باب المطهر .
	أنشودة ١٠ ، ١١ ، ١٢		٤ - الإفريز الأول
	١٥ ، ١٤ ، ١٣ »	المطهر الأدنى { المتفطرسون	٥ - الإفريز الثانى
	١٧ ، ١٦ »	الحاسدون	٦ - الإفريز الثالث
		الغاضبون	
	١٩ ، ١٨ »	المطهر الأوسط الكسالى اللامبالون	٧ - الإفريز الرابع
	٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ »		٨ - الإفريز الخامس
	٢٤ ، ٢٣ »	المطهر الأعلى { البخلاء والمبدرون	٩ - الإفريز السادس
	٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ »	أصحاب شهوة الجسد { الجشعون النهمون	١٠ - الإفريز السابع
	أنشودة ٢٧ ، ٢٨	ظهور ماتيلدا	
	٢٩ »	موكب الشيوفى	
	٣١ ، ٣٠ »	ظهور بياتريتشى	١١ - الفردوس الأرضى
	٣٢ »	عربة الكنيسة المظفرة	
	٣٣ »	نبوءة بياتريتشى	

موجز مضمون الأناشيد
مع بيان أرقام الآيات

الأنشودة الأولى

مقدمة المطهر

- ١ يشبه دانتي فكره بزورق يحوب مياهاً هادئة بعد خروجه من الجحيم .
 ٧ يستنجد دانتي بربيات الشعر
 ١٢ رأى دانتي السماء تتلون بلون اللازورد الصافي فعادت إليه الهبة .
 ١٩ كانت الساعة حوالى الرابعة صباحاً من يوم الأحد ١٠ أبريل ١٣٠٠
 ٢٨ نظر دانتي إلى الشمال ورأى كاتو حارس المطهر
 كاتو يسأل دانتي وفرجيليو كيف هربا من الجحيم ، ويتساءل عن قادهما وكيف خرفت
 قوائين الجحيم
 ٤٠ فرجيليو يحمل دانتي على الركوع وإطراق رأسه أمام كاتو
 ٤٩ قال فرجيليو إنه أتى برجاه من بياتريشى
 ٥٢ وقال إن دانتي لم يمت بعد وإنه قد أرسل لإنقاذه من المخاطر
 ٥٨ وقال إنه أطلعه على الآمين ومقصده الآن أن يريه المتطهرين .
 ٦٤ سأل فرجيليو كاتو أن يرحب بمقدم دانتي الذى جاء باحثاً عن الحرية .
 ٧٠ قال فرجيليو إن مكانه فى اللبوة حيث توجد مارتيزيا زوجة كاتو ويسأله باسمها أن
 يستجيب لهما
 ٧٦ قال كاتو إنه لا أثر لمارتيزيا عليه هنا ولكنه سيطلب فرجيليو من أجل بياتريشى .
 ٨٥ طلب كاتو أن يطوق فرجيليو دانتي بأوراق الأسل الناعمة وأن يغسل وجهه من آثار الجحيم .
 ٩٤ ينمو الأسل على شاطئ جبل المطهر
 ٩٧ دانتي وفرجيليو يسيران إلى شاطئ الجبل .
 ١١٢ يتبين دانتي اضطراب البحر حينما كان الفجر يهزم نسيم الصباح
 ١١٥ غسل فرجيليو وجه دانتي عند شروق الشمس
 ١٢٤ طوق فرجيليو دانتي بالأسل الأملس .
 ١٣٠ يعود هذا النبات إلى النمو عند اقتلاعه
 ١٣٤ - ١٣٦

الأنشودة الثانية

مدخل المطهر

- ١ يحدد دانتي الوقت - حوالى السادسة صباحاً - بطريقته الفلكية .
 ١٠ وقف دانتي وفرجيليو يتفكران فى الطريق الذى ينبغي سلوكه .
 ١٦ رأى دانتي نوراً يأتى عبر البحر بسرعة فائقة .

- ٢٥ فرجيليو يحمل دانتي على الركوع أمام ملاك السماء .
 ٣٧ لم يقو دانتي على النظر إلى نور الملاك المتألق .
 ٤٠ جاء الملاك بقارب خفيف يحمل جماعة من أرواح المتطهرين .
 ٤٦ ترم الملائكة ببعض ما ورد في مزامير داود
 ٥٢ ترك الملاك الأرواح على شاطئ المطهر فأحسوا أنهم غرباء .
 ٥٨ الأرواح تسأل الشاعرين عن طريق السير فيجيب فرجيليو بأنه ورفيقه مثلهم غريبان
 ٦٧ تولى الأرواح العجب حينما أدركوا أن دانتي إنسان حى وتدافعوا من حوله
 ٧٣ ركزت الأرواح أعيها على دانتي حتى نسيت الذهاب في طريق التطهر
 ٧٦ روح كازيلا الموسيقى الفلورنسى ودانتي يحاولان عناق أحدهما الآخر بدون جدوى
 ٨٢ عرف دانتي أنه كازيلا من صوته وتقدم إلى الأمام يتابعه بينما كان كازيلا يتراجع
 ٨٨ يسأل كازيلا ما الذى جاء بدانتي إلى هذا المكان
 ٩١ قال دانتي إنه جاء لكي يتعلم السبيل إلى التطهر
 ٩٤ قال كازيلا إنه تأخر في المجيء إلى المطهر لأن هذه هى إرادة الله .
 ١٠٩ دانتي يسأل كازيلا أن يتغنى له بقصيدة من شعره .
 ١١٥ الأرواح تصفى إلى الغناء العذب
 ١١٨ كاتو يصيح بالمستمعين المنصرفين عن السير في طريق التطهر
 ١٢٤ تفرقت الأرواح كما يتفرق الحمام حينما يهاجمه ما يخشاه وهو يتناول طعامه
 ١٣٠ - ١٣٣ الأرواح والشاعران يسرون جميعاً إلى الأمام

الأنشودة الثالثة

مدخل المطهر المهملون
 والمحرمون من الكنيسة

- ١ بعد أن تفرق شمل الأرواح اقترب دانتي من فرجيليو
 ٧ بدا على فرجيليو علام من يلوم نفسه
 ١٣ دانتي ينظر إلى جبل المطهر ذى الارتفاع الشاهق
 ١٦ ظهر ظل دانتي وحده على الأرض فخشى أن يكون فرجيليو قد ارتحل
 ٢٢ فرجيليو يطمئن دانتي .
 قال فرجيليو إن القدرة الإلهية لا تكشف عن أسرار الوجود وإن الفلسفة لا تكفى وحدها
 ٣١ لاستكناه ذلك .
 ٤٦ سفح جبل المطهر شديد الانحدار وفرجيليو يبحث عن مكان للصعود .
 ٥٨ رأى دانتي أرواح من تابوا عن آثامهم في آخر لحظة من حياتهم وهم يسرون ببطء شديد .
 ٦٤ يسير الشاعران إليهم توفيراً للوقت

- ٧٠ وقف هؤلاء حينما رأوا الشاعر ين يسيران مسرعين جهة اليسار
٧٣ فرجيليو يسأل عن مكان مناسب للصعود .
٧٩ تتحرك جماعة الأرواح صوب الشاعرين كحركة الأغنام حين تخرج من حظيرتها
٨٨ وقف هؤلاء وتراجعوا حينما رأوا ظل دانتي على الأرض .
٩٤ قال فرجيليو إن دانتي إنسان حي
١٠٠ يسير الشاعران أمام جماعة الأرواح
١٠٣ مانفريد يتحدث إلى دانتي .
مانفريد يعرف دانتي بشخصه ويرجوه عند عودته إلى الأرض أن يعرف إبنته كوستانتزا
بأنه من أهل المطهر
١١٢ ذكر مانفريد كيف قتل في معركة بنيقنتو .
١١٨ اعترف بشناعة آثامه ولكن بالتوبة تلقتة الرحمة الإلهية
١٢١ قال مانفريد إن عظامه قد نقلت إلى خارج حدود ناپلى .
١٢٤ وقال إن الحرمان الكنسى لا يغلق باب الرحمة الإلهية وإن المحروم التائب عليه أن يقضى
ثلاثين ضعفاً لمدة عصيانه إلا إذا قصرت بالصلوات الطيبة
١٣٦ يطلب مانفريد إلى دانتي أن يوضح ذلك لابنته كوستانتزا
١٤٢ - ١٤٥

الأنشودة الرابعة

مدخل المطهر المهملون وبلاكو

- ١ دانتي مشغول عما هو أمامه بما سمعه من مانفريد منذ هنيئة
١٦ صارت الساعة حوالى التاسعة صباحاً
دانتي وفرجيليو يصعدان خلال ثغرة تشبه الشغرات التى يسدها الفلاح لحماية الكرم عند
نضجه
١٩ انحدار جبل المطهر أشد من انحدار بعض الجبال في إيطاليا
٢٥ وعورة الطريق تقتضى من دانتي أن يستخدم قديه ويديه
٣١ يتبين شدة انحدار الجبل
٤٠ دانتي يشعر بالتعب وفرجيليو يستحبه على الصعود .
٤٣ جلس الشاعران على صخرة في الجبل ونظر دانتي إلى المسافة التى قطعها فأخذه العجب
٥٢ فرجيليو يشرح لدانتي حركة الكواكب
٦١ وقال إن حركة الشمس في أورشليم تبدو من اليسار إلى اليمين وفي نفس الوقت تبدو في جبل
٦٧ المطهر من اليمين إلى اليسار
٧٦ دانتي يقتنع بشرح فرجيليو .

- ٨٥ دانتي يسأل كم ينبغي عليه أن يصعد .
 ٨٨ قال فرجيليو إن صعود الجبل صعب في بدايته ولكنه يصير سهلاً كلما صعد أعلى .
 ٩٧ دانتي يسمع صوتاً يتحدث إليه من وراء صخرة كبيرة .
 ١٠٦ رأى دانتي رجلاً جالساً محتضناً ركبتيه مخفضاً بينهما رأسه
 ١١٥ تعرف دانتي على المتكلم وذهب إليه .
 ١٢١ كان هذا هو بلاكو الفلورنسي صانع الآلات الموسيقية .
 ١٢٤ يسأله دانتي عن سبب قعوده .
 ١٢٧ قال بلاكو إنه لا جدوى من محاولة الصعود قبل الأوان .
 ١٣٠ وقال إن الصلوات الطيبة في الأرض تقصر من فترة بقائه في مدخل المطهر
 فرجيليو يدعو دانتي إلى السير لأن الوقت أصبح ظهراً في المطهر بينما حل الليل في نصف
 الكرة الشمالي .

١٣٦ - ١٣٩

الأنشودة الخامسة

مدخل المطهر المهملون دل كاسيرو
 ودي مونفلترو وپيا دا تولومي

- ١ دانتي يسير وراء فرجيليو ويثير دهشة الأرواح فيأخذون في التحدث عنه .
 ٧ دانتي ينظر إلى تلك الأرواح
 فرجيليو يدعو دانتي إلى المسير ويسأله ألا يحفل بالهمس الدائر وأن يكون كالبرج الثابت
 ١٠ الذي لا تهتز قمته بعصف الرياح
 جماعة من الأرواح ترتل شيئاً من الكتاب المقدس ، ووقفت عجباً عندما رأت دانتي يحجب
 ٢٢ أشعة الشمس
 ٣١ فرجيليو يؤكد لروحين مهم أن دانتي إنسان حي .
 ٣٧ عودة الروحين من حيث أتيتا بسرعة فائقة .
 ٤٦ تقترب الأرواح من دانتي وتتلهف على التحدث إليه .
 ٤٩ طلبوا إلى دانتي التوقف وقالوا إنهم قتلوا عنوة وتابوا عن آثامهم في آخر لحظة .
 ٥٨ قال دانتي إنه لا يعرف واحداً منهم وإنه مستعد لأداء ما يمكن فعله من الخير لهم
 ٦٤ جاكوبودل كاسيرو يرجو دانتي أن يسأل أهل وطنه الصلاة من أجله .
 ٧٣ تحدث عن مقتله في الحرب .
 ١٠٠ بوونكونتي دي مونفلترو يقول إنه جرح في معركة كامبالدينو
 ١٠٣ قال إن ملاك السماء وملاك الجحيم تنازعا بشأن روحه عند موته .

- ١٠٩ تكلم عن سقوط المطر يوم معركة كامبالدينو
١١٨ صورة تكشف البخار وهطول الأمطار وجريان المياه في القنوات وانحذارها إلى هر الأرنو .
١٢٤ قال إن مياه المطر دفعت جثته إلى هر الأرنو
١٣٠ بيا دا تولومبي تسأل دانتى فى رفق أن يذكرها فى الدنيا بعد أن يرتاح من عناء رحلته
١٣٥ - ١٢٦ تقول إن زوجها يعرف ما نالها

الأنشودة السادسة

مدخل المطهر المهملون سورديلو

- ١ دانتى وسط الأرواح كأنه لاعب النرد الراح حينما يتخلص من رفاقه
رأى دانتى أرواح بعض الإيطاليين مثل بنينكا دا لاتيرينا الكازنتيبى وجوتشو دى تارلاقى
٢١ ١٣ من أريتزو وفاريناتا دلى سكورنيدجافى من پيزا
٢٢ ورأى أرواح بعض الفرنسيين مثل پير دلا بروتشا وماريا دى براينت
٢٨ دانتى يسأل فرجيليو عن معنى بعض أبيات الإنيادة بخصوص الحكم الإلهى وفرجيليو يفسر .
٤٣ قال فرجيليو إن بياتريتشى ستكمل له الشرح فيما بعد
٤٩ دانتى يطلب السير بسرعة لأنه لم يعد يحس التعب
٥٨ روح سورديلو شاعر التروبادور
٦٤ سورديلو هادئ ساكن وينظر إلى الشاعرين بهيئة الأسد الراض .
٧٠ فرجيليو وسورديلو يتعانقان عندما تبين أن موطنهما مانتوا .
تأثر دانتى بمشهد الاعتزاز بالوطن فثار غضبه على إيطاليا ونعمتها بالأمّة الذليلة وندد
٧٦ بالصراع الداخلى الذى يمزقها
٨٥ سأل دانتى إيطاليا أن تنظر إلى شواطئها وتساءل هل ينعم جزء منها بالسلام .
٩١ وندد بفساد رجال الكنيسة وقدخلهم فيما لا يخصهم .
يخاطب أمبراطور الدولة الرومانية المقدسة ويستمطر عليه عدالة السماء لأنه حول حديقة
٩٧ الأمبراطورية - إيطاليا - إلى خراب
١٠٩ وسأل الأمبراطور أن يلازم جراح إيطاليا الدامية
واتجه إلى الله متسائلا هل أدار عينيه عن إيطاليا أم هل أعد لها من الخير ما يبعد عن
١٢١ مداركه
١٢٤ يقول دانتى إن إيطاليا مليئة بالطغاة
ويقول إن العدالة قائمة فى قلوب الكثيرين ولكن عدالة الشعب الفلورنسى ليست إلا على
١٣٠ طرف اللسان
١٣٦ يسخر دانتى من فلورنسا فيقول إنها غنية وتعيش فى سلام وتنعم بالحكمة
ويندد بسرعة تغيير فلورنسا لقوانينها وعاداتها وموظفيها ويشبها بالمرأة المريضة التى تخفف
١٤٥ ألمها بالتقلب فى فراشها .

الأنشودة السابعة

مدخل المطهر الأمراء المهملون

- ١ يتكرر العناق بين سورديلو وفرجيليو
 ٤ فرجيليو يفصح عن شخصه
 ١٠ عجب سورديلو ودهشته وتمجيد فرجيليو .
 ٢٢ فرجيليو يتحدث عن رحلته وعن موضعه في اللبوة
 ٣٧ يستفسر فرجيليو عن الطريق إلى بداية المطهر
 ٤٠ سورديلو دليل مؤقت لدانتي وفرجيليو
 ٤٣ لا يمكن السير في أثناء الليل بسبب الإظلام .
 ٦١ مسير الشعراء الثلاثة
 ٦٤ وادى الأمراء
 ٧٣ أعشاب الوادى وأزهاره ذات ألوان رائعة فاقت ما يعرفه البشر
 ٧٩ شذا الأزهار العطرية
 ٨٢ أرواح الأمراء المهملين ترتل للعداء ماريا
 ٨٥ سورديلو يتحدث عن الأمراء .
 ٩١ الأمباطور رودلفو المنسوى الذى لم يشف جراح إيطاليا .
 ٩٧ أدواكر الثانى ملك بوهيميا
 ١٠٣ فيليب الثالث ملك فرنسا
 ١٠٧ - ١٠٨ هنرى الأول ملك نافار
 ١١٢ بطرس الثالث الأرجونى
 ١١٥ ألفونسو الثالث الأرجونى
 ١١٨ جاكومو وفيدريجو الأرجونيان .
 ١٢٤ شارل دانجو .
 كوستانتزا زوجة بطرس الثالث وبياتريشى ابنة راييموندو دى پروفنس ومرجريت ابنة دوق
 ١٢٧ بروجونيا
 ١٣٠ هنرى الثالث ملك إنجلترا
 ١٣٣ جوليلمو دى مونفيراتو .

الأنشودة الثامنة

مدخل المطهر المهملون نينو فيسكوئى
وكواردو مالا سپينا

- ١ حلول المساء والإحساس بالكآبة كما يحدث للمسافر لأول مرة حينما يبحر نائياً عن وطنه .
دانتى يتأمل الأرواح التى كانت ترتل متضرعة إلى الله ويفقد الوعي بنفسه لتأثره بسبح
الأنغام العذبة
١٠ الأرواح تنظر إلى أعلى .
٢٢ هبوط ملاكين من السماء .
٢٥ زاعج يصير دانتى أمام بهاء الملاكين .
٣٤ دانتى يلتصق بفرجيليو خشية من ظهور الحية .
٤٠ نزول دانتى وفرجيليو وسورديلو إلى وادى الأمراء .
٤٦ دانتى يلاقى روح نينو فيسكوئى قاضى جالورا
٥٢ تراجع سورديلو ونينو إلى الوراء عندما أدركا أن دانتى لإنسان حى .
٥٨ نينو فيسكوئى ينادى كواردو مالا سپينا لكى يرى دانتى الإنسان الحى
٦٤ يطلب نينو إلى دانتى - عند عودته إلى الأرض - ان يسأل إبتته جوفانا أن تصلى من أجله .
٦٧ يقول نينو إنه لا يعتقد أن زوجته ظلت وفية له لأن الحجة لا تلوم إلا باستمرار المداعبة .
٧٣ دانتى ينظر إلى بعض النجوم .
٨٥ سورديلو يلفت نظر نينو إلى الحية المقبلة
٩٤ الملاك كان يطردان الحية .
١٠٣ كواردو مالا سپينا يتحدث إلى دانتى
١١٢ قال دانتى إن آل مالا سپينا مشهورون بالكرم والفضل والشجاعة
١٢١ على رغم فساد الدنيا بالرؤوس الخبيثة يسير شعب مالا سپينا وحده مستقيماً مزدرياً طريق الشر
١٣٠ يتنبأ كواردو لدانتى بحياة المنى .
١٣٣

الأنشودة التاسعة

مدخل المطهر أنشودة لوتشيا أو أنشودة الملاك الحارس

- ١ الوقت قبل الفجر والخطاف يشدو بألحانه الحزينة قبل طلوع الشمس .
١٦ دانتى يحلم أن نسرأ حله إلى أعلى
٣١ بلغ النسر بدانتى منطقة من النار فانقطع نومه .
٤٠ استولى عليه الرعب والفزع .

- فرجيليو يقول لدانتي إنهما بلغا باب المطهر وإن لوتشيا هي التي حملته إلى أعلى وهو نائم وجاء هو في إثرهما ٤٦
- دانتي يسترجع طمأنينته . ٦٤
- دانتي يخاطب القارئ ويقول إنه يسمو بموضوعه ويدعمه بفته ٧٠
- اقترب الشاعران من باب المطهر ورأيا تحت الباب ثلاث درجات وحارساً ممسكاً بسيفه ٧٦
- لم يقو دانتي على النظر إلى الملاك الحارس لشدة بهائه . ٧٩
- يستفسر الحارس عن شخصيهما ٨٥
- قال فرجيليو للملاك إنهما جاءا بمعونة لوتشيا فدعاهما إلى التقدم إليه . ٨٨
- اختلاف الألوان في درجات السلم الثلاث ٩٤
- فرجيليو يسحب دانتي على درجات السلم ١٠٦
- دانتي يركع أمام الملاك الحارس ويسأله أن يفتح باب المطهر ١٠٩
- الملاك يرسم بسيفه على جبين دانتي سبع خاءات رمز الخطايا السبع . ١١٢
- الملاك يفتح باب المطهر بمفتاح من الفضة - رمز المعرفة - وبآخر من الذهب - رمز السلطة الدينية . ١١٥
- الملاك يتكلم عن خصائص المفتاحين . ١٢١
- يفتح الباب ويدعو الملاك الشاعرين إلى الدخول ويسألهما ألا ينظرا إلى الخلف - رمز العودة إلى الخطيئة . ١٣٠
- أحدث فتح باب المطهر دويًا هائلًا فاق ما حدث عند الاستيلاء على خزينة روما في تل تارنيا ١٣٣
- سمع دانتي من الداخل نشيد « اللهم لك الحمد » ١٣٩

الأنشودة المباشرة

أنشودة المتكبرين

- دانتي وفرجيليو يدخلان المطهر ١
- يسير الشاعران في طريق ضيق منمرج داخل الصخر ٧
- فرجيليو يقول إنه لا بد من الحذق في هذا المسير ١٠
- خروج الشاعرين إلى الفضاء . ١٦
- بلوغهما الإفريز الأول لإفريز المتكبرين ١٩
- يبلغ اتساع الإفريز حوالي ٥ أمتار ٢٢
- يرى دانتي حفراً بارزاً أمامه على الصخر ٣١
- أمثلة على التواضع بالحفر البارز ، يصور المشهد الأول منها الملاك جبريل وهو يبشر العذراء ماريًا بميلاد السيد المسيح ٣٤

- ٤٣ العذراء تقول في تواضع إنها أمة الرب
المشهد الثاني من الحفر البارز يمثل الاحتفال بنقل التابوت المقدس لليهود من بيت أبيناداب
٤٩ إلى اورشليم
٥٨ بدا المحتفلون أنهم يرتلون الأناشيد الدينية
٦١ وبدا دخان البخور مرسوفاً على الصخر
٦٤ داود الملك يرقص أمام التابوت .
٦٧ زوجته ميكال تنظر من نافذة قصرها وقد سادها الحزن
المشهد الثالث يصور قصة الأمبراطور تراجان والأرملة الحزينة التي طلبت إليه الانتقام
٧٣ لمقتل ابها
٨٥ سألها الأمبراطور أن تنتظر عودته أو أن خلفه سيقوم بواجبه .
٨٨ الأرملة تحمل الأمبراطور على تحقيق العدالة فوراً
١٠٠ جماعة المتكبرين
١١٥ سار المتكبرون وقد ناءت ظهورهم بالأحجار الثقيلة
١٢١ دانتي يندد بالمتكبرين المتغطرسين .
١٢٤ يقول إن البشر كالديدان التي لم يكتمل نموها
١٣٠ سار المتكبرون بهيئة التماثيل الزخرفية التي تستخدم لتدعيم الشرفات أو الأسقف
١٣٩ أكثر المتكبرين احتمالاً بدا يقول إنه لا يستطيع الاحتمال مزيداً

الأنشودة الحادية عشرة

تابعة للسابقة أنشودة ألدوبراندسكى
وأوديريزى وسالفانى

- ١ ترتل الأرواح نشيداً مقتبساً من صلاة الأحد ، تمجد فيه الله وتحمده .
٣ وتسال الأرواح السلام وتطلب قوتها اليوم وتسال الرحمة والغفران .
١٩ وتسال خلاصها من الشيطان وتوجه هذه الفقرة من صلاتها في سبيل أهل الأرض .
٢٨ الأرواح تتفاوت في انحنائها تحت الصخور التي حملوها تبعاً لخطيئة كل منهم .
٣١ ينبغي أن تكون الصلاة متبادلة بين أهل المطهر وأهل الأرض
٣٧ يستفسر فرجيليو عن أقصر الطرق وأسهلها التي تؤدي إلى الإفريز الثاني إفريز الحاسدين .
٤٩ أومبرتو ألدوبراندسكى يدلّه على الطريق .
٥٨ يتكلم عن أصله التسكاني وعن غطرسته التي جلبت الكوارث عليه وعلى أسرته .
٧٠ يقول إن عليه أن يحمل هذا الحجر الثقيل ليكفر عن كبريائه .
٧٩ دانتي يتحدث إلى أوديريزى مزخرف الكتب في باريس .

- اعترف أوديريلى بتفوق فرانكو البولونى عليه وكان قد أنكر ذلك وازدراه فى أثناء الحياة ٨٢
قال أوديريلى إن مجد الدنيا سريع الزوال ٩١
وقال إن جوتو تفوق على تشيابوى فى الرسم وإن كالفالكاتنى تفوق على جوبينتلى فى
الشعر وسيأتى من يفوقهما معاً ٩٤
وقال إن الشهرة فى الأرض لا تزيد عن نفثة ربيع تهب هنا تارة وطوراً هناك وتغير اسمها
إذ تغير مكان هبوبها ١٠٠
وليس هناك فارق كبير بين أن يموت الإنسان فى سن الشيخوخة أو فى سن الطفولة ١٠٣
يشير أوديريلى إلى پروفتنزان سالفانى الذى كان سيد سيننا ولكن لا يذكره أحد الآن ١٠٩
قال إن الشهرة فى الدنيا تشبه لون العشب الذى يخضر ثم يذوى ويموت سريعاً ١١٥
يقصص أوديريلى أخبار پروفتنزان سالفانى الذى سيطر على فلورنسا واشتهر بالبطش
والكبرياء والغطرسة . ١٢١
قال إنه فى وقت مجده وقف فى ميدان سيننا يستجدى المال ليخلص أحد أصدقائه من الأسر ،
وبذلك كفر عن خطيئته . ١٣٣ - ١٤٢

الأنشودة الثانية عشرة

تابعة لأنشودى المتكبرين السابقتين

- دانتى وأوديريلى يسيران معاً كثورين يرهقهما النير الثقيل . ١
يبتعد دانتى عن أوديريلى ويتبع خطى فرجيليو ٤
دانتى يرى بعض القبور وعليها لوحات مسطحة من الرخام . ١٣
ورأى دانتى على غطاء أحد القبور صورة محفورة تمثل لوتشيفيرو ٢٥
ورأى صور شخصيات من الميثولوجيا اليونانية الرومانية مثل برياروس وأبولوومينرفاومارس . ٢٨
ورأى صورة عمرود ملك بابل . ٣٤
ورأى صورة إنيوى زوجة ملك طيبة ٣٧
ورأى صورة شاول ملك إسرائيل . ٤٠
ورأى صورة الكمايون بن أمفياروس عراف طيبة . ٤٩
ورأى صورة سنخاريب ملك آشور ٥٢
ورأى صورة تاميريس ملكة إسكيشيا
ورأى صورة أوليفانا قائد نبوكد نصر بعد مقتله ٥٨
رأى صورة طروادة - إليوم - وقد سادها الحزن والهوان . ٦١
يظهر دانتى إعجابه بدقة الصور التى رآها محفورة . ٦٤
يندد دانتى بكبرياء البشر ٧٠
فرجيليو يسأل دانتى ألا يسير وهو مستغرق فى التفكير ٧٦

- فرجيليو يلفت نظر دانتي إلى قدوم ملاك السماء .
 ٧٩
 جاء الملك الجميل كنجمة الصباح المتألقة .
 ٨٨
 الملك يقود الشاعرين على السلام و يضرب جهة دانتي بجناحيه .
 ٩١
 يخف الميل في درجات السلم
 ١٠٠
 يسمع دانتي ترتيل « طوبى للمساكين بالروح »
 ١٠٩
 يشعر دانتي أنه أخف حركة
 ١١٥
 أفاده فرجيليو بأن هذا يرجع إلى تخلصه من خطيئة الكبرياء .
 ١٢١
 تحسن دانتي جبينه فوجد حرف « الحاء » الذى يرمز لخطيئة الكبرياء قد زال وأحى .
 ١٢٧
 ابتم فرجيليو علامة الرضى .
 ١٣٦

الأنشودة الثالثة عشرة

أنشودة الحاسدين أو أنشودة ساپيا

- دانتي وفرجيليو يتجهان إلى الإفريز الثانى
 ١
 وعورة الطريق .
 ٧
 فرجيليو ينظر إلى الشمس - رمز الله - ويطلب معونتها والاهتداء بنورها
 ١٣
 يسمع الشاعران الأرواح تنطق بدعوات رقيقة إلى مائدة المحبة للتخلص من خطيئة الحسد
 ٢٥
 الترم بفقرات من الكتاب المقدس
 ٢٨
 فرجيليو يفيد دانتي بأن هنا عذاب الحاسدين .
 ٣٧
 يرى دانتي أشباحاً ارتدت عبااء لونها في لون الحجر
 ٤٦
 تستنجد بعض الأرواح بالعذراء ماريا وبميكائيل والقديسين .
 ٤٩
 يتألم دانتي لمشهد المتطهرين حتى يذرف من أجلمهم الدمع الغزير
 ٥٢
 كان الحاسدون في هيئة العميان الذين يقفون للاستجداء وقد مال كل منهم برأسه على الآخر
 ٥٨
 خيطت أجفانهم بسلك من الحديد كما تحاط عيى الباز البرى إذ لا يستقر ساكناً
 ٧٠
 أحس دانتي أنه يسمي إليهم حيناً كان يرى هؤلاء بدون أن يكونوا قادرين على رؤيته .
 ٧٣
 تجاهد هذه الأرواح لتدفع دموعها خلال أجفانها المغلقة
 ٨٢
 يتجه دانتي إلى محادثة الأرواح ويسأل هل يوجد بينهم أحد الإيطاليين ؟
 ٩١
 سمع دانتي رداً على بعد قليل فتقدم إلى مصدر الصوت
 ٩٤
 رأى دانتي شعباً يرفع ذقنه إلى أعلى كما يفعل العميان
 ١٠٠
 كانت هذه روح ساپيا داسيينا
 ١٠٣
 قالت إنها فرحت في الدنيا بمصائب الآخرين أكثر من فرحها بمباهجها هى .
 ١٠٩
 فرحت بانتصار فلورنسا على سيينا في موقعة كولى .
 ١١٢

تأخرت ساپيا في الندم والتوبة وكان مكانها سيصبح في مقدمة المطهر مع الكسالى لولا
صلوات پير پتيناو من أجلها

١٢٤

قال دانتي إنه ارتكب خطيئة الحسد قليلا وإنه الآن إنسان حى
ساپيا تسأل دانتي أن يعيد ذكرها الحسنة لدى أقربائها في تسكانا

١٣٣

١٤٥

الأنشودة الرابعة عشر

تابعة للسابقة وتسمى أنشودة جويدو دل دوكا

ورينيرى دا كالبولى

- ١ تساءلت روحان عن يكون هذا الإنسان الحى (دانتي)
١٠ جويدو دل لوكا يخاطب دانتي ويسأله عن شخصه وبلده .
١٦ قال دانتي إنه من تسكانا وإنه يأقى بجسده من ضقتى نهر لا يذكر اسمه (نهر الأرنو)
تساءلت روح رينيرى دا كالبولى لماذا أخفى دانتي اسم النهر فأجابته روح جويدو بأن
٢٥ هذا يرجع إلى أن وادى نهر الأرنو جدير بالزوال من الوجود .
٣١ وسبب ذلك أن الناس جيعاً أصبحوا يطاردون الفضيلة كعدو لدود .
يقول جويدو دل دوكا إن أهل الكازنتينو الأعلى صاروا كالحنازير وإن أهل أريتزو
٤٣ أصبحوا كالكلاب الناجحة بما يزيد عن طاقتها
٤٩ ويقول إن أهل فلورنسا تحولوا إلى ذئاب
٥٢ ويقول إن أهل منطقة إيمبولى وپيزا أصبحوا كالثعالب
ويقول إن حفيد دا كالبولى سيصبح صائداً لذئاب فلورنسا وإن فلورنسا لن تعود إلى
٥٨ ما كانت عليه من الازدهار حتى ولو انقضت ألف سنة .
٦٧ اضطراب رينيرى دا كالبولى وحزنه لسماع ذلك
٧٦ أفصح جويدو دل دوكا عن اسمه وشخصه .
٨٢ استأنف كلامه قائلاً إنه كان يحزن لسعادة الآخرين .
٩١ قال إن أهل رومانيا امتلأوا بالحسد كذلك
ينوه بخيرة الرجال السابقين مثل لتزيو دا قالبونا وأريجو ماناردى وفابرو دى لامبرتاتزى
٩٧ وفيدريجو تينيوزو
سأل جويدو دانتي أن يمضى في سبيله إذ يلذ له البكاء أكثر من الكلام .
١٢٤
١٢٧ مسير دانتي وفرجيليو
١٣٠ سمعان صرخات تبينا قولاً مأخوذاً من كلام قابيل .
١٣٦ و يسمعان صرخات فيها كلام مقتبس من قول أجلاوروس الاثينية .
١٤٢ يتكلم فرجيليو عن خروج الإنسان عن حدوده بارتكاب خطيئة الحسد .

الأنشودة الخامسة عشرة

أنشودة العبور من إفريز الحاسدين إلى إفريز الغاضبين

- ١ دانتي وفرجيليو يسيران غرباً في الساعة الثالثة مساء .
 ١٠ دانتي يحجب عينيه بيديه اتقاء لنور شديد .
 ١٦ ازدياد الوهج أمام دانتي .
 ٢٨ أفاده فرجيليو بأن هذا نور رسول يأتي من السماء .
 ٣٤ دعا ملاك السماء الشاعرين إلى الصعود .
 ٣٧ يسمع الشاعران ترتيل بعض آيات من الكتاب المقدس .
 ٤٣ دانتي يستفسر عن بعض ما فات إدراكه في الأنشودة السابقة .
 يشير فرجيليو إلى الحسد الذي وقع فيه جويدو دل دوكا كما سبق ، وقال إن محبة الأشياء
 ٤٦ الدنيوية تؤدي إلى الحسد وإن محبة الأشياء الإلهية تقضي على الحسد .
 المشاركة تزيد من الخير والمحبة .
 ٦٧ يقول فرجيليو إن الله يبذل من روحه بقدر ما يجد من المحبة .
 ٧٦ وسوف تزيد بياتريتشى دانتي إيضاحاً فيما بعد .
 ٨٢ يصعد الشاعران إلى إفريز الغاضبين .
 ٨٥ يرى دانتي العذراء ماريا في رؤيا خاطفة .
 ٩٤ ويرى في الرؤيا زوجة بيسستراتوس طاغية أثينا وهي تبكي في ازدياء وغضب
 ٩٧ تسأل الزوجة زوجها أن يتقمم من عائق ابنتهما وقبلها علناً
 يرفض بيسستراتوس الانتقام ويقول ماذا سيفعل بمن يرجو له الشر إذا هو عاقب من
 يحمل له المحبة !
 ١٠٣ ويرى دانتي في الرؤيا اليهود وهم يقذنون القديس إسطفانوس بالحجارة .
 ١٠٦ القديس إسطفانوس يسأل الله النضران لقتله .
 ١٠٩ أدرك دانتي أن ما رآه كان مجرد رؤيا
 ١١٥ فرجيليو يستحث دانتي على أن يستعيد وعيه
 ١١٨ فرجيليو يعرف كل ما يدور بخاطر دانتي ويحمله على المسير
 ١٢٧ استئناف المسير
 ١٣٩ يغشى المكان دخان كثيف — رمز الغضب .
 ١٤٢

الأنشودة السادسة عشرة

أنشودة الغاضبين أو أنشودة ماركو لومباردو

- ١ يغشى المكان ظلام يشبه ظلام الجحيم بفعل دخان كثيف تتعذر معه الرؤية .
 ٨ — ٩ فرجيليو يعاون دانتي على السير بالإستناد إلى كتفه
 ١٠ دانتي يسير وراء دليله كما يسير الرجل الكفيف
 ١٦ دانتي يسمع الأرواح تطلب الرحمة من السيد المسيح
 ٢٥ تتحدث إحدى الأرواح إلى دانتي .
 ٣١ يسأل دانتي هذه الروح أن تسير معه
 ٤٣ قال دانتي إنه إنسان حى وسأل الروح أن تفصح عن شخصها واستفسر عن طريق المسير
 ٤٦ قال الروح إنه ماركو لومباردو وإنه عرف الفضائل التي لم يمد أحد يجعلها هدفاً له
 ٤٩ وقال له إنه يسير في الطريق المؤدى إلى الصعود وسأله أن يصلى من أجله
 يتعهد دانتي بالصلاة من أجله ويسأله أن يفسر له ما غمض عليه من قول جويدو دل دوكا
 ٥٢ في الأنشودة ١٤
 ٥٨ يسأل دانتي عن السبب في خلو العالم من الفضائل
 قال لومباردو إن السماء ليست هي السبب في كل شيء ، لأن هذا معناه إلغاء الإرادة الحرة
 في الإنسان ، وقال إن السماء بدأت أول مظاهر الحياة ثم منحت الإنسان الإرادة الحرة
 ٦٤ لاختيار طريق الخير أو الشر
 ٨٢ البشر أنفسهم هم السبب في فساد العالم
 ٨٥ تخرج النفس ساذجة كالطفلة وتجري وهي مخدوعة وراء خيرات الدنيا التافهة
 ٩٤ ولذلك كان من الضروري وجود قانون وحاكم لرعاية البشر
 ٩٧ ليست العبرة في القوانين والشرائع بل في من يباشرها ويطبقها
 ١٠٣ السلطة السيئة هي السبب في فساد العالم
 وجدت في روما شمسان : البابا والأمبراطور ، ثم أطلقا البابا نور الأمبراطور وجمع في يده
 ١٠٩ السلطين الدينية والدنيوية
 ١١٥ كانت إيطاليا العليا تسودها الأخلاق النبيلة من قبل بعكس حالها الآن
 ١٢١ ولا يوجد من الفضلاء إلا القلائل
 ١٤٢ لا يمكن لروح ماركو لومباردو متابعة السير مع دانتي .

الأنشودة السابعة عشرة
أنشودة التنظيم الخلقى للمطهر

- ١ صورة جبال الألب حينما يغشاها الضباب
١٠ خروج الشعارين من منطقة الضباب
١٩ يرى دانتي في خياله بعض الرؤى رؤيا بروكني الأثينية التي استحالت بلبلا
٢٥ رؤيا هامان وأحشويروش وأستير ومردخاي
٣١ تبددت الصورة السابقة كتبدد الفقاعة حينما يعوزها الماء .
٣٤ رؤيا لافينيا ابنة ملك الروتوليين في إيطاليا
٤٠ إفاقة دانتي من خياله حينما سطع على وجهه نور شديد
٤٦ الملاك يدل دانتي على طريق الصعود إلى الإفريز الرابع
٥٢ وهج الملاك الشديد يمنع دانتي من الرؤية
فرجيليو يستحث دانتي على السير إلى طريق الصعود .
٦٤ يزيل الملاك من جبين دانتي العلامة الدالة على خطيئة الغضب
٧٠ حلول الليل وظهور النجوم .
٧٣ توقف الشعارين عن المسير
٨٥ فرجيليو يشرح النظرية العامة للمحبة أساس التنظيم الخلقى للمطهر
٩١ يتكلم عن المحبة الطبيعية (أو الغريزية) والمحبة العقلية القائمة على الإرادة الحرة .
٩٤ المحبة الطبيعية لا تخطئ* ولكن المحبة العقلية معرضة للخطأ بانحرافها إلى الشر والفساد
١٠٩ الكائنات مرتبطة بالله تماماً ولذلك نزعته منها كل كراهية لله
١١٥ صور من المحبة العقلية الخاطئة هناك من يتطلع إلى سقوط الآخرين لكي يرتفع هو
وهناك من يخشى أن يفقد السلطان والخطوة والمجد والشهرة بارتفاع شأن الآخرين ولذلك فهو
يحب سقوطهم
١١٨ وهناك من يصبح مهوماً إلى الإنتقام لما أصابه من المهانة
١٢١ يشير فرجيليو إلى تكفير المتغترسين والحاسدين والغاضبين في الدوائر السابقة .
١٢٤ يعاقب هذا الإفريز المتكاسلين في محبة الخير
١٣٠ محبة الخير الدنيوى لا تكسب الإنسان السعادة .
١٣٣ لم يذكر فرجيليو لدانتي كل شيء بل ترك له مسائل بتعلمها بنفسه .
١٣٦

الأنشودة الثامنة عشرة

أنشودة الكسالى اللامبالين المتباطئين في فعل الخير

- ١ فرجيليو يرقب وجه دانتى الذى لا يريد أن يثقل عليه بأسئلته .
 ١٣ يسأل دانتى كيف تكون المحبة سبباً في الخير والشر معاً
 ١٦ يندد فرجيليو بالعميان الذين يحملون أنفسهم قادة
 يقول فرجيليو إن النفس الشهوية تميل إلى ما يلد لها ، وإنه إذا مالت الحاسة العاقلة إلى
 ١٩ مصدر الهجة فهذه هي المحبة
 ٢٨ تتجه النفس إلى تحقيق رغبتها كما تتجه النار بطبيعتها إلى أعلى
 ٣٤ ليست كل محبة في ذاتها شيء حميد (كقول الأبيقوريين)
 ٤٠ يستفسر دانتى عن مسؤولية الإنسان عن المحبة الصادرة عنه .
 ٤٦ يقول فرجيليو إنه سيفسر الأمر في حدود العقل أما ما يتعلق بالإيمان فسيدعه لبياتريتشى
 كل صورة جوهرية منفصلة عن المادة ومتحدة بها ، تجمع في ذاتها قوة نوعية تدرك
 ٤٩ بالعمل كما تبدو الحياة في النبات بخضرة أوراقه .
 الاتجاه الطبيعي في الإنسان نحو المعرفة هو كغريزة النحل في صنع العسل ، والإرادة الأولية
 لا تستحق اللوم أو المدح
 على الملكة المرشدة - العقل - أن تحمي الإنسان من نزواته الشريرة وبهذا يثاب الإنسان
 ٦١ على الخير ويعذب على الشر
 ٧٠ في الإنسان القوة على كبح جماح الشر
 يقول فرجيليو إن بياتريتشى تسمى هذه القوة النبيلة بالإرادة الحرة ويسأل دانتى أن يعيها
 ٧٣ في ذهنه
 ٧٦ كاد الوقت أن يبلغ منتصف الليل .
 ٨٥ دانتى يأخذ النعاس ولكنه يزول عنه فجأة بظهور بعض المتطهرين
 ٩١ الكسالى اللامبالون يسرون مسرعين .
 صاح اثنان مهمم بذكر مثالين على العمل السريع مأخوذتين من أخبار العذراء ماريا ومن
 ١٠٠ تاريخ يوليوس قيصر
 ١٠٩ فرجيليو يسأل أرواح الكسالى اللامبالين عن أقرب الطرق إلى الصعود .
 ١١٢ تتحدث روح الرئيس لدير لآنزينو في فيرونا
 ١٢١ يندد بآلبرتو دلا سكاللا الذى سيندم على محابة إبنه المشوه الناقص العقل .
 ١٣٣ يتكلم روحان عن خروج اليهود من مصر وعن تخلف رفاق إينياس عنه في صقلية .
 ١٣٩ دانتى يشرد بفكره .

الأنشودة التاسعة عشرة

أنشودة البخلاء والمسرفين أو أنشودة أدريانو الخامس

- ١ يبرد الليل بزوال أثر الشمس بعد منتصف الليل .
- ٧ يرى دانتي في الحلم امرأة شهواء ترمز للبخل والجشع وشهوة الجسد .
- انتصبت قامتها وغنت قائلة إنها عروس البحر التي تفضل الملاحين وإنما اجتذبت بفنائها
- ١٠ أوليسيس من قبل .
- ٢٥ ظهور قديسة لكي تحمي دانتي من الإغراء .
- فرجيليو يكشف عن بطن هذه الساحرة فيستيقظ دانتي من حلمه بالرائحة الكريهة
- ٣١ المنبعثة منها
- ٣٧ يسير الشاعران في ضوء النهار
- ملاك الخلاص يحمل الشاعرين إلى الإفريز الخامس ويزيل من جبين دانتي خطيئة اللامبالاة
- ٤٦ والتباطؤ في عمل الخير
- ٥٢ دانتي يخلق في الأرض متفكراً فيما سبق رؤيته بدون أن يفهم مدلوله .
- ٥٨ قال فرجيليو إن خطايا البخل والجشع وشهوة الجسد تنطهر في الأفاريز التالية .
- ٦٤ دانتي يسرع الخطي كالبازي الذي يمارع لنيل غذائه .
- ٧٠ دانتي يرى البخلاء يبكون وقد انكفأوا على وجوههم فوق الأرض
- يستفسر دانتي عن الطريق إلى الإفريز السادس ويدل أدريانو الخامس الشاعرين على
- ٧٦ ذلك الطريق
- ٨٨ دانتي يقترب من أدريانو ويسأله عن شخصه .
- أفصح أدريانو عن شخصه وقال إنه قد جرب ثقل الرداء البابوي وأدرك كذب الحياة الدنيا .
- ١٠٣ وقال أدريانو إنهم يعذبون هنا وجوههم إلى أسفل أي إلى الأرض التي أحبوها في أثناء الحياة .
- ١١٥ دانتي يركع إلى جانب أدريانو .
- ١٢٧ أدريانو يسأل دانتي أن يقف على قدميه وقال إن الجميع ما هم إلا عبيد وخدام لله .
- ١٣٣ أدريانو يطلب إلى دانتي أن يمضي في سبيله حتى لا يعطل بكاءه وتطهره .
- ١٣٩ أدريانو يذكر لدانتي أن له ابنة أخ تدعى ألدجا وهي حلوة الثمائل بطبعها اللهم إذا
- ١٤٢ لم تكن قد فسدت بمثالب أسرتها .

الأنشودة العشرون

تكلمة للسابقة وتسمى أنشودة هيچ كاپيه

- آثر دانتي رغبة أدريانو الخامس في متابعة تطهره على رغبته هو أن يتحدث إليه مزيداً
فانسحب كما تسحب من الماء إسفنجة لم تفعم ١
- البخلاء يبكون للتكفير والتطهر ٧
- دانتي يلعن الذئبة القديمة رمز الجشع ويتساءل متى يأتى السلوقى الذى سيقضى عليه ١٠
- دانتي يسمع المتطهرين يبكون ويذكرون أمثلة على الفقر والأريحية مأخوذة من حياة العذراء
ماريا وفابريسيوس الرومانى والقديس نيقولا البيزنطى ١٩
- يحاول دانتي أن يعرف أحد الأرواح ٣١
- يقول هيچ كاپيه إنه أصل لأسرة كاپيه التى حكمت فرنسا عدة قرون وكان أفرادها مؤثلاً
للفساد ٤٣
- يقول إن بلاد الفلمنك ستتقم هذه الشرور ٤٦
- يتكلم عن تجمع السلطة في يده
- يقول إن آل كاپيه كانوا يشعرون بالجلجل ثم أخذوا في النهب والطغيان بعد استيلائهم
على البروفنس ٦١
- ويذكر قدوم شارل دانجو إلى إيطاليا ويتنبأ بقدوم شارل دى قالوا الذى سيقتر بطن
فلورنسا ٦٧
- يقول هيچ كاپيه إن شارل الثانى دانجو باع إبتته من أجل المال ٧٩
- يندد بالآثار السيئة للبخل ٨٢
- يقول إن مأساة السيد المسيح تتكرر بمحاولة اعتداء فيليب الجميل على بونيفاتشو الثامن
في كنيسة أناذنى . ٨٥
- يسأل الله متى يحل انتقامه ٩٤
- يقول هيچ كاپيه إن المتطهرين سيذكرون في الليل أمثلة عن البخل والشره مثل پيجماليون ملك
صور وميداس ملك فريجيا وعخان اليهودى . ٩٧
- ستسأل الأرواح كراسوس الرومانى عن طعم الذهب في فمه . ١١٧-١١٦
- أحس دانتي بزلزلة جبل المطهر حتى خشى أن يصيبه الموت . ١٢٤
- الأرواح تنشد « المجد لله في الأعلى » ١٣٦
- دانتي وفرجيليو يتابعان المسير ١٤٢

الأنشودة الحادية والعشرون
تكملة للسابقتين وتسمى أنشودة استاتايوس

- ١ دانتي تحدوه الرغبة الملحة في معرفة السبب في الزلزلة السابقة
٥ - ٦ دانتي يشعر بالأسى لما يلقاه المتطهرون من الآلام .
٧ يظهر شبح استاتايوس الشاعر اللاتيني .
١٣ استاتايوس يخاطب الشاعرين ويستفسر عن طريقة مجيئهما إلى المطهر
٢٢ قال فرجيليو إن دانتي إنسان حى وإنه جاء معه لكى يرشده في الطريق بقدر ما يستطيع
٣٤ يستفسر فرجيليو عن السبب في رجة الجبل منذ هنيئة
قال استاتايوس إن كل ما يحدث للجبل يتبع نظاماً دقيقاً وإنه غير خاضع لمؤثرات الأرض .
٤٠ يل يتأثر بالسما وحدها
٨٥ يتزلزل جبل المطهر حينما تشعر إحدى النفوس بتمام تطهرها ، ويتبع ذلك تهليل الأرواح
٦١ ولا دليل على التطهر سوى إحساس النفس بذلك وعندئذ تنتقل الروح إلى الفردوس .
٦٧ وقال استاتايوس إنه شعر الآن بالتطهر بعد قضائه عدة قرون في المطهر
٧٣ ابتهاج دانتي كمن تزيد بهجته عند الشرب بقدر زيادة عطشه .
٧٩ يسأل فرجيليو استاتايوس أن يفصح عن شخصه .
٨٢ قال استاتايوس إنه عاش في عصر تيتوس وإنه قد تغنى بطيبة وأخيل .
٩٤ وقال إنه استمد إلهامه من الإنياذة
١٠٠ وتمنى لو أنه عاش في زمن فرجيليو .
١٠٣ ابتسم دانتي إزاء هذا الموقف
١١٨ فرجيليو يحمل دانتي على الإفصاح عما يساوره .
١٢١ قال دانتي إن شبح فرجيليو هو المائل أمامه الآن
١٢٧ استاتايوس يحاول تقبيل قدمي فرجيليو بدون جدوى .
١٣٣ المحبة التي حملها استاتايوس لفرجيليو أنسته أنهما كانا مجرد شبحين .

الأنشودة الثانية والعشرون
تكملة لسابقتها ثم تصبح أنشودة النهمين

- ١ يتخلف الملاك الذى أزال خطيئة البخل من جيبي دانتي .
٧ يشعر دانتي أنه أصبح أخف وزناً
١٠ يتحدث فرجيليو إلى استاتايوس بإعزاز ومحبة .

- ويسأله كيف اتصف بالبخل في أثناء الحياة . ١٩
 يضحك استاتيوس لذلك وينى اتهامه بالبخل ويقول إن خطيئته كانت الإسراف ٢٥
 قال إنه تعلم كراهة البخل من فرجيليو ذاته ٣٧
 وقال إنه مال إلى الإسراف ثم ندم على ذلك ٤٣
 وذكر أنه ينال عقاب البخلاء . ٤٩
 سأل فرجيليو استاتيوس عن عقيدته الدينية .
 قال استاتيوس إن لفرجيليو الفضل عليه في إرساله لكي يشرب من ينبوع الشعر وفي هدايته ٦٤
 إلى الإيمان المسيحي . بما كتبه في الإنيادة .
 ذكر استاتيوس أنه مارس الطقوس المسيحية ، وحيناً فتك دوميتيانوس بالمسيحيين شاركهم ٧٦
 في بكائهم وآلامهم .
 وقال إنه نال التعميد ولكنه أخفى ذلك سراً ولذلك فقد قضى عدة قرون في التطهر ٨٨
 استفسر استاتيوس عن مكان بعض الشعراء اللاتين مثل تيرنسيوس وپلاوتوس . ٩٧
 قال فرجيليو إنهم موجودون معه في اللبوس ، وذكر له أسماء كثيرين مثل أوريبيدس
 وأجاتون وأنتيجون وديفيلي . ١٠٠
 الوصول إلى الإفريز السادس والساعة تتجاوز الحادية عشرة من صباح الثلاثاء ١٢ أبريل ١٣٠٠ ١١٥
 اتجاه الشعراء الثلاثة في سيرهم صوب اليمين . ١٢١
 دانتي يسير خلف فرجيليو واستاتيوس . ١٢٧
 شجرة الحياة ١٣٠
 قال ملاك — أوربما بعض المتطهرين — لفرجيليو واستاتيوس إنهما لن ينالا طعاماً من هذه ١٣٩
 الشجرة ، وذكر أمثلة على القناعة والزهد
 مثال العذراء ماريا ١٤٢
 مثال دانيال ١٤٧ — ١٤٦
 مثال يوحنا المعمدان . ١٥١ — ١٥٤

الأنشودة الثالثة والعشرون

أنشودة الشربين أو أنشودة فوريزي دوناتي

- دانتي ينظر إلى أوراق الشجرة كن ينفق حياته في صيد صغار الطير ١
 فرجيليو يدعو إلى المسير ٤
 دانتي يسمع ترتيلاً من الكتاب المقدس . ١٠
 جماعة من الأرواح تلحق بالشعراء الثلاثة وتمضي في سيرها مسرعة . ١٦
 كانوا شديدي الهزال حتى اتخذت جلودهم أشكالها من صورة عظامهم . ٢٢
 بدت محاجر عيوبهم خواتم بدون درر ٣١

- دانتى يأخذه المعجب لهزاهم الشديد . ٣٤
 اتجه شبح لمحادثة دانتى . ٤٠
 تبين دانتى أن هذا شبح صديقه فوريزى دوناتى الفلورنسى . ٤٦
 أعرب دانتى عن حزنه عليه عند موته وحزنه من أجله الآن .
 قال فوريزى إن الحكمة الإلهية تعاقب الشرهين هنا وتطهرهم بالجوع والعطش ، وإن عذابهم طريق للخلاص . ٦٤
 يسأل دانتى كيف جاء فوريزى هنا سريعاً ما دام قد مات منذ قليل ٧٦
 قال فوريزى إن زوجته نيلا قد حملته بدموعها على التوبة فى الدنيا ثم أقصرت بصلاتها مدة تطهره فى مدخل المطهر . ٨٥
 ويقال إنها محبوبة من الله لأنها كانت فريضة فى فعل الخير ٩١
 تنبأ فوريزى بأن نساء فلورنسا الفاجرات سينالهن الجزاء العادل بعد زمن قليل ٩٧
 يتذكر دانتى أيام الشباب مع فوريزى . ١١٥
 قال دانتى إن فرجيليو قد قاده بحسه الحى خلال الجحيم . ١١٨
 وقال إنه قد دار به حول جبل المطهر وسيقوده حتى يبلغ به مكان بياتريتشى . ١٢٤
 وأشار إلى استاتىوس قائلاً إنه هو من ارتجف له الجبل منذ برهة حينما صار من اللحم عليه أن يغادر المطهر . ١٣١

الأنشودة الرابعة والعشرون

تابعة للسابقة وتسمى أنشودة بونادجوتنا

- يسير دانتى وفوريزى كسفينة تدفعها ريح مؤاتية وتدهش الأرواح لرؤية دانتى الإنسان الحى ١
 عرف دانتى أن مكان بيكارداد دوناتى فى الفردوس . ١٠
 رأى دانتى بعض الشخصيات مثل الشاعر بونادجوتنا والبابا مارتينو الرابع ١٩
 ورأى أوبالدينو دلا پيلا يعض بأسنانه على فراغ بسبب الجوع . ٢٨
 وشهد مركيز دلى أرجوليووزى . ٣١
 بونادجوتنا يرغب فى التحدث إلى دانتى ويتكلم عن جنتوكا . ٣٤
 يستفسر بونادجوتنا عن صاحب القصيدة التى مطلعها « أيتها النساء اللاتى تدركن جوهر الحب » . ٤٩
 يعرف بونادجوتنا أن دانتى المائل أمامه هو قائلها ٥٢
 التمييز بين دانتى والشعراء السابقين عليه .
 تطير الأرواح بسرعة هيئة الكراكى التى تقضى الشتاء فى أرض النيل . ٦٤
 فوريزى يتراجع إلى مكان دانتى كمن تعب من الجرى فيمشى وثيداً حتى يهدأ لهث صدره ويسأله متى يراه ثانياً . ٧٠

- ٧٩ يتنبأ دانتي بما سينال فلورنسا من الولايات .
 ٨٢ يتكلم فوريزي عن أخيه كورسو وعن مقتله .
 ٩١ لم يعد لفوريزي فرصة للبقاء مع دانتي مزيداً .
 يرتحل فوريزي مسرعاً كالفارس الذي يخرج من جماعته عدواً كى ينال شرف الالتحام
 بالعدو أولاً
 ٩٤ شجرة معرفة الخير والشر
 ١٠٣ يتطلع المتطهرون إلى ثمرها كالأطفال الذين يطلبون الفاكهة بدون جدوى .
 ١٠٦ قال الملاك إن هذه الشجرة نابتة من شجرة المعرفة الموجودة في الفردوس الأرضي في أعلى
 جبل المطهر .
 ١١٥ يذكر الملاك مثالين لخطيئة النهم .
 ١٢١ يدل ملاك الاعتدال الشعراء الثلاثة على طريق الصعود إلى الإفريز التالي .
 ١٣٩ زوال خطيئة النهم من جبين دانتي .
 ١٤٥

الأنشودة الخامسة والعشرون

أنشودة شهوة الجسد وتسمى بأنشودة توالد الجنس البشري

- ١ يتجه استاتيوس وفرجيليو ودانتي للصعود إلى الإفريز السابع .
 دانتي يرغب في الكلام ولكنه يتوقف وكان في ذلك أشبه بفرخ اللقلق الذي يحاول الطيران
 بدون جدوى
 ١٠ فرجيليو يدعو دانتي إلى الكلام فيسأل كيف تنحف الأرواح حيث تشعر بالحاجة
 إلى الغذاء .
 ١٦ يحاول فرجيليو أن يفسر ذلك بأسطورة ميلياجرو وبانعكاس صورة الإنسان في المرأة .
 ٢٢ يتكلم استاتيوس عن توالد الإنسان باختلاط الدم النقي للرجل - النطفة - بالدم النقي للمرأة -
 أي البويضة .
 ٣٤ ويمتزج الدمان ثم يتجمد دم المرأة وتدب فيه الحياة .
 ٤٣ ويبدأ الجنين في التكون في صورة بدائية ثم تتكون أعضاء الحس فأعضاء الجسم .
 ٥٢ ويخلق الله في الجنين النفس العاقلة .
 ٦٧ ويتكون الإنسان وحدة كاملة تشمل الجسم والنفس الحاسة والنفس العاقلة .
 ٧٣ ويضرب مثلاً لذلك بتحول الكرم إلى نبيذ بفعل حرارة الشمس .
 ٧٦ وبموت الإنسان تذهب الروح إلى موضعها الملائم في العالم الآخر وتتحول إلى شبح
 أو طيف .
 ٧٩ وتطبع الروح شبحها بالصورة التي كان عليها الإنسان في الحياة .
 ٨٨

- ويتكلم الشيخ - أو الطيف - ويضحك ويبكي ويتندد .
 ١٠٣ يبلغ الشعراء الثلاثة منطقة تندلع فيها النيران وتهب ريح تزيحها من طريقهم .
 ١١٢ يسير الشعراء واحداً خلف الآخر ويخشون النيران في جانب كما يخشون السقوط من أعلى
 الجبل في الجانب الآخر
 ١١٥ دانتي يسمع بعض الأناشيد ترتل وسط اللهب
 ١٢١ تذكر الأرواح أسماء نساء وأزواج عاشوا أعفاه .
 ١٣٣

الأنشودة السادسة والعشرون

أنشودة خطايا الجسد أو أنشودة جويدو جويتنزلي

- ١ مسير الشعراء الثلاثة على حافة الإفريز السابع واحداً وراء الآخر .
 ٧ تبدو أشعة الشمس أشد توهجاً على الجزء من النار الذي يقع عليه ظل دانتي .
 ١٠ الدهشة تتولى أرواح المتطهرين .
 ١٦ جويدو جويتنزلي الشاعر البولوني يسأل دانتي عن سبب هذه الظاهرة .
 ٢٥ دانتي يرى جماعة من مرتكبي خطيئة الجسد يأتون في مواجهة الجماعة الأولى وسط النيران .
 ٣١ التقاء الجماعتين وتقبيل أفرادها بعضهما بعضاً كما عند التقاء جماعتين متقابلتين من النمل .
 ٣٧ يذكر الملوطون مثال سدوم وعمورة ويذكر مرتكبو الزنا مثال پاسي زوجة مينون .
 ٤٣ انفصال الجماعتين واتجاه كل منهما إلى وجهتها
 ٤٩ دانتي يخاطب الزناة ويقول إنه جاء إلى المطهر بجسمه الحى
 ٦١ يستفسر دانتي عن شخصية من يحادثه وعن الجماعة الأخرى .
 ٦٧ دهشة هذه الجماعة كدهشة سكان الجبل حيناً يدخلون إحدى المدن لأول مرة .
 ٧٣ قال المتحدث إن الجماعة الأخرى هى جماعة الملوطين .
 ٨٢ وقال إن خطيئة جماعته كانت ارتكاب الزنا
 ٩١ وأفصح عن شخصه بأنه جويدو جويتنزلي .
 ٩٤ يعترف دانتي بفضل جويتنزلي على الشعر
 ١٠٦ استفسر جويتنزلي عن سبب إعزاز دانتي له .
 ١١٢ أفاده دانتي بأن ذلك يرجع إلى عدوية شعره
 ١١٥ أشار جويتنزلي إلى أرنو دانيل الشاعر البروفنسى .
 قال إن جويتوفى داريتزو نال الشهرة الكاذبة إلى أن فاقه الكثيرون ، وعبر عن تصديق
 الناس للإشاعة أكثر من الحقيقة .
 ١٢١ يسأل جويتنزلي دانتي أن يصلى من أجله أمام السيد المسيح
 ١٢٧ اختفى جويتنزلي في اللهب كاختفاء السمكة في أعماق الماء .
 ١٣٣ دانتي يتحدث إلى أرنو دانيل .
 ١٣٦ أفصح أرنو عن شخصه .
 ١٣٩ اختفاء أرنو في النار
 ١٤٨

الأنشودة السابعة والعشرون

الفردوس الأرضي أنشودة لَيْثَة (لِيَا)

- ١ بلغت الساعة حوالى السادسة من مساء الثلاثاء ١٢ أبريل ١٣٠٠
 ٧ ملاك العفة والطهارة حارس الإفريز السابع يرتل شيئاً من الكتاب المقدس .
 ١٠ دانتي يتولاه الرب حينما عرف أن عليه اجتياز منطقة من النار
 ١٩ فرجيلير يهون عليه الأمر
 ٣٥ - ٣٤ دانتي يقف جامداً لا يتحرك وقد أخذه الاضطراب .
 ٣٥ قال فرجيليو إنه لم يعد بين دانتي وبين بياتريتشى سوى هذه النار
 ٤٥ - ٤٤ صار دانتي كالطفل الذى يسترضى بتفاحة .
 ٤٦ دانتي يشعر بشدة اللهب
 ٥٢ فرجيليو يشجعه ويحادثه عن بياتريتشى .
 الملاك حارس السلم المؤدى إلى الفردوس الأرضي يستحث الشعراء الثلاثة على المسير قبل أن
 يخيم الظلام .
 ٦٤ غروب الشمس .
 ٦٧ ينام الشعراء الثلاثة على درجات السلم .
 ٧٦ دانتي يشبه نفسه بالعنزة بين راعيين .
 ٨٥ دانتي يرى النجوم ويغلبه النعاس .
 رأى دانتي فى الحلم فتاة فى مستقبل العمر بحيلة تقطف الأزهار فى روضة يانعة ، وكانت
 ٩٧ هى لَيْثَة (لِيَا) التى أخذت تصنع لنفسها إكليلا من الزهر
 ١٠٦ تذكر لَيْثَة فى الحلم أن أختها راحيل ولوعة بالنظر فى مرآتها إلى عينيها الجميلتين .
 ١١٢ انحسار الظلام ويقظة الشعراء الثلاثة .
 ١٢١ يصعد الشعراء درجات السلم
 ١٣٠ قال فرجيليو إنه قاد دانتي إلى هذا الموضع بكل ما أوتيته من الحذق والفن .
 وقال لدانتي إنه يمكنه الآن الجلوس أو السير بين الأزهار حتى تأتى إليه بياتريتشى .
 ١٣٩ وقال إن إرادة دانتي أصبحت الآن حرة خالصة وإنه صار سيد نفسه .

الأنشودة الثامنة والعشرون

الفردوس الأرضي أنشودة ماتيلدا

- ١ دانتي يسير فى الغابة وتبدأ ويلمس جبينه النسيم العليل .
 ١٠ أشجار الغابة تتمايل بالهواء العليل .

لا تكف الأطيّار عن شدوها فوق الأشجار التي كان حفيفها ترديداً يصاحب شدو الأطيّار

١٣

دانتي يتوغل في الغابة اليانعة .

٢٢

يقف دانتي أمام هر ليتي وينظر إلى الأزهار العديدة المتنوعة .

٢٥

دانتي يرى ماتيلدا وهي تترنم وتجنّي الأزهار في الجانب الآخر من الجدول .

٣٧

دانتي يطلب إلى ماتيلدا أن تقترب في مواجهته حتى يسمع ترتيلها

٤٦

مشت ماتيلدا على العشب وكأنها ترقص واقتربت مستجيبة لرجاء دانتي فسمع شدوها العذب .

٥٢

رفعت ماتيلدا عينها الخفيضتين وأخذت تضحك وتجمع الأزهار

٦١

تقول ماتيلدا إنها مستعدة للإجابة عن كل سؤال .

٧٦

يستفسر دانتي عن الصوت الذي ترسله المياه والهواء .

٨٥

قالت ماتيلدا إن الله منح الإنسان حق الإقامة في الفردوس الأرضي .

٩١

وبارتكاب الخطيئة فقد الإنسان الفردوس الأرضي .

٩٤

وقالت إن جبل المطهر قد ارتفع صوب السماء لكي يتخلص من أدران الأرض ابتداء من باب المطهر الحقيقي .

٩٧

والهواء الذي يحدث الحركة هنا غير هواء الأرض .

١٠٣

وتنبت أرض البشر أنواعاً عديدة من الأشجار .

١١٢

والفردوس الأرضي ملء بالفاكهة التي لا نظير لها في الدنيا

١١٨

والماء الذي رآه دانتي ينبع من إرادة الله .

١٢١

وليّتي هو نهر النسيان وإينووي هو نهر الذكريات الطيبة .

١٢٧

وقالت ماتيلدا إن القدماء حلموا بهذا المكان وهم فوق جبل پارناسوس .

١٣٩

دانتي ينظر إلى فرجيليو واستاتيوس .

١٤٥

دانتي يلتفت من جديد إلى ماتيلدا .

١٤٨

الأنشودة التاسعة والعشرون

الفردوس الأرضي أنشودة الكنيسة الظاهرة

١

ماتيلدا تترنم وتسير على ضفة نهر ليتي ويسير دانتي بإزائها على الضفة المقابلة

١٦

سطع نور شديد في أرجاء الغابة المباركة .

٢٢

سمع دانتي أنغاماً رخيمة جعلته يلوم حواء على ارتكابها الخطيئة .

- رأى دانتي الهوام كأنه يشتعل بالنار وسمع ترتيلاً عذباً فاستنجد بربات الشعر لكي بقدر على التعبير عما رآه وسمعه .
 ٣٤ شهد دانتي سبعة سرج — أو منابر — مشتعلة وتخيل لبعد المسافة أنها كانت أشجاراً مصنوعة من الذهب
 ٤٣ دانتي يتبين السرج بعد قليل .
 ٤٩ كان توهج موكب السرج أشد من توهج البدر في منتصف ليلة صافية .
 ٥٢ اتضح لدانتي أنه يرى موكباً ارتدى السائرون فيه الثياب البيض .
 ٦١ دفع الهوام شعلات السرج إلى الوراء حتى بدت كأنها مصنوعة بلمسات من ريشة الرسم
 ٧٣ تبين دانتي أربعة وعشرين شيخاً — رمز لإصحاحات العهد القديم — يسرون اثنين اثنين وقد كللت هاماتهم بأزهار الزنبق ورتلوا طرفاً من آيات الكتاب المقدس .
 ٨٢ رأى أربعة حيوانات — رمز الأناجيل الأربعة أو وأضعيها — تأق وراء الشيوخ وقد كللت رؤوسها بأغصان الغار وامتلاً ريشها بالأعين .
 ٩١ يعبر دانتي عن عجزه عن وصف ما شهده ويحيل القارئ على سفر حزقيال .
 ٩٧ رأى دانتي بين الحيوانات الأربعة عربية نصر — رمز الكنيسة الظاهرة — يسحبها الجحيفون —
 ١٠٦ رمز السيد المسيح
 ١١٥ فاقت هذه العربية كثيراً عربات الرومان وعربة فيتون
 ١٢١ شهد دانتي ثلاث سيدات ترمزن لفضائل المحبة والأمل والإيمان
 ١٣٠ ورأى أربع سيدات رمز الفضائل الأساسية .
 ١٣٣ وشهد القديسين لوقا وبولس .
 ورأى يواقيم وبطرس ويوحنا ويهوذا وأضى الرسائل الكنسية الأربع ، كما رأى يوحنا
 ١٤٢ صاحب الرؤيا
 ١٥١ سمع دانتي رعداً قاصفاً وتوقف الموكب عن المسير

الأنشودة الثلاثون

الفردوس الأرضي أنشودة رجيل فرجيليو وظهور بياتريتشى

- تتقدم السرج — أو المنابر — السبعة ويتجه الأربعة والعشرون شيخاً إلى العربية المقدسة
 ١ ومن بينهم يرتل سليمان الحكيم شيئاً من الكتاب المقدس .
 ١٣ يظهر كثير من الملائكة الذين ينثرون الأزهار فوق العربية وحولها
 ٢٥ تظهر بياتريتشى بين سحابة كثيفة من الأزهار
 تكلمت بياتريتشى بغصن الزيتون فوق نقابها الأبيض وارتدت ثوباً آخر اللون تحت عباءة
 خضراء .
 ٣١ دانتي الذى لم ير بياتريتشى منذ أمد بعيد يشعر بالسلطان العارم لحبه القديم .
 ٣٤

- ٤٠ يتجه دانتي إلى فرجيليو كالطفل الذي يجري نحو أمه حينها يخاف أو يتألم .
- ٤٩ اختفاء فرجيليو فجأة وبكاء دانتي لذلك .
- بياتريتشى تدعو دانتي إلى الكف عن البكاء .
- تبدو بياتريتشى كأثير البحر الذى يرقب سفنه ويشجع رجاله على بذل خير ما فى
- ٥٨ استطاعتهم من الجهد
- ٦٤ أمارات الجلال تظهر على بياتريتشى على رغم أن وجهها لم يبد بعد واضح الملامح
- ٧٣ بياتريتشى تعرف دانتي بشخصها وتسأله كيف جرؤ على الصعود إلى المطهر
- ٧٦ أطرق دانتي رأسه وأحس بالحجل الشديد
- ٧٩ بياتريتشى تبدو كالأم القاسية أمام ابها
- صار دانتي كالثلج الذى يتجمد بهبوب رياح اسلافونيا الباردة ويدوب بهبوب رياح أفريquia
- ٨٥ الحارة ، فانحبس دمه أولاً ثم بكى بسماع ألحان الملائكة العذبة
- ١٠٠ بياتريتشى تخاطب الملائكة ثم توجه للوم إلى دانتي
- ١١٥ قالت بياتريتشى إن دانتي تحلى فى شبابه بالفضائل ثم انحرف عن الطريق القويم .
- ١٢١ وقالت إنها ساندته بعض الوقت وحيناً ماتت اتجه إلى مسالك الزلل .
- ولم يتفهمها أن تستدعيه إليها بالإلهام الإلهى ، فنزلت للبحيم وحلت فرجيليو على أن يقتاده
- ١٣٣ إلى هذا الموضع
- ١٤٢ - ١٤٥ وقالت إن على دانتي أن يذوق من مياه مهرلتي بعد أن يندم ويكفر عن خطاياها .

الأنشودة الحادية والثلاثون

الفردوس الأرضى أنشودة اعتراف دانتي بالخطيئة

- ١ تابعت بياتريتشى تعنيفها لدانتي فتولاه الاضطراب حتى عجز عن الكلام .
- ١٦ دانتي يذرف الدمع ويرسل التهديدات .
- ٢٢ تستفسر بياتريتشى عن العقبات والأباطيل التى انحرفت به عن طريق الصواب .
- ٣١ قال دانتي فى صعوبة إن ملذات الدنيا الزائلة كانت السبب .
- ٣٧ قالت بياتريتشى إن اعتراف الآثم بذنوبه يخفف من الأمر
- تسأله بياتريتشى أن يدع عنه الاضطراب والخوف ، وقالت إن جسدها الجميل كان قد
- ٤٦ أهجه فى الدنيا والذى صار الآن تراباً .
- ٦٥ وقالت إنه كان عليه عند موته أن يسمو وراءها بروحه .
- وقالت إنه لم يعد كالطائر الصغير الذى يعجز عن الطيران أمام رميات السهام ، ولكنه
- ٦١ صار كالطائر الكبير الذى يمكنه التخلص من الشباك والسهام .
- ٦٤ دانتي يشعر بالحجل كالأطفال الذين يطرقون رؤوسهم إلى الأرض .

- ٦٧ بياتريثى تسأل دانتي أن يرفع رأسه وسينال برؤيتها ألماً أشد .
 ٧٠ رفع دانتي رأسه بمجهود شديد ورأى الملائكة قد كفوا عن نثر الأزهار
 ٨٢ رأى دانتي بياتريثى فائقة الجمال
 ٨٥ وخز دانتي الشعور بالندم ومزق قلبه ما أدركه فسقط فاقد الوعي .
 ٩١ عندما استرد دانتي وعيه رأى ماتيلدا فوقه
 ٩٤ ماتيلدا تغمر دانتي حتى عنقه في مياه نهر لبي .
 ١٠٠ شرب دانتي من مياه النهر
 ١٠٣ أخرجت ماتيلدا دانتي من النهر فأحاطت به الحوريات .
 ١٠٩ الحوريات يذهبن بدانتي أمام بياتريثى .
 دانتي يثبت عينيه على عبي بياتريثى اللتين كانتا مركبتين بدورهما على الجريفون -
 ١١٨ رمز المسيح
 وقف الجريفون ثابتاً على حين كان يتحرك ويتحول في صورته التي انطبعت في عبي
 ١٢١ بياتريثى ، تارة إلهية وطوراً بشرية .
 ١٣٠ الحوريات - رمز الفضائل اللاهوتية - ترقصن وترتلن .
 ١٣٦ الحوريات تسألن بياتريثى أن تكشف لدانتي عن جمال ابتسامتها
 ١٤٥ - ١٣٩ يعبر دانتي عن عجزه وسائر الشعراء عن وصف ما شهدته من الجمال الرائع .

الأنشودة الثانية والثلاثون

الفردوس الأرضي أنشودة الشجرة العارية وعربة الكنيسة الظافرة

- ١ دانتي يحدق النظر في بياتريثى لإرواء عطشه إليها
 ١٠ نور بياتريثى يبهز دانتي حتى لم يعد يقوى على الرؤية .
 ١٣ استعاد دانتي قوة إبصاره ورأى موكب الشيوخ يتابع المسير
 ٢٥ الجريفون يسحب العربة المقدسة - رمز الكنيسة .
 ٣٤ بياتريثى تنزل عن العربة .
 ٣٧ شجرة معرفة الخير والشر الشاهقة الارتفاع والعارية من الأوراق .
 الجريفون يربط العربة - رمز الكنيسة - بالشجرة - رمز الأمباطورية - فتعود الشجرة
 ٤٩ العارية إلى الازدهار
 الجماعة ترتل ترتيلاً عذباً نام دانتي على أنغامه الساحرة وتمنى لو أن كانت له المقدرة على أن
 ٦١ يرسم كيف أخذه النوم .
 عاد دانتي إلى وعيه كما عاد بطرس ويوحنا ويعقوب إلى وعيهم بعد النيبوبة التي أصابهم
 ٧٣ حينما شهدوا تجلي السيد المسيح
 ٨٥ تساءل دانتي عن مكان بياتريثى .
 ٨٦ كانت بياتريثى جالسة عند شجرة معرفة الخير والشر لحراسة العربة المقدسة .

- قالت بياتريتشى لدانتي إنه سيبقى في الفردوس الأرضى فترة قصيرة ومآله أن يركز بصره على العربية
 ١٠٠ رأى دانتي نسرأ - رمز الأباطرة مضطهدى الكنيسة - ينقض على الشجرة ويحطم لحاءها ويكسر أفرعها ، وضرب العربية حتى مالت على جانبيها كالسفينة وسط العاصفة الهوجاء .
 ١٠٩ شهد دانتي ثعلبة - رمز الهرطقة - تهاجم العربية
 ١١٨ انسحبت الثعلبة وانسحب النسر بعد أن ملأ العربية بريشه - رمز منحة قسطنطين .
 ١٢١ انشقت الأرض وخرج منها تنين ضخم - رمز الشيطان أو جشع الإنسان
 ١٣٠ اقتلع التنين جزءاً من العربية وسار وهو يتمايل .
 ١٣٣ تحولت العربية إلى وحش متعدد الرؤوس - رمز الخطايا
 ١٣٦ رأى دانتي امرأة داعرة - رمز الكنيسة المنحلة - تجلس فوق الوحش .
 ١٤٨ ورأى بجانبها مارداً - رمز لملك فرنسا المؤيد للبابوية .
 ١٥١ المارد يمال بسوطه على العاهرة ويسحبها إلى داخل الغابة - رمز الأسر البابوى في أفينيون
 ١٥٤

الأنشودة الثالثة والثلاثون

الفردوس الأرضى أنشودة نبوءة بياتريتشى

- السيدات السبع ترتلن باكيات وتسرن ومن ورائهن بياتريتشى ودانتي وماتيلدا واستاتويس
 ١ دانتي يسير إلى جانب بياتريتشى .
 ١٩ تكلم دانتي كن لا يقوى على النطق في حضرة من يكبره مقاماً
 ٢٥ قالت بياتريتشى إن الكنيسة أصبحت غير موجودة بانتقالها إلى أثينون
 ٣٤ بياتريتشى تتنبأ بمجيء رسول من السماء ليقتضى على المفساد
 ٤٠ طلبت بياتريتشى إلى دانتي أن يذكر لأهل الأرض كيف ازدهرت شجرة المعرفة بعد ربطها بالعربة المقدسة .
 ٦١ وقالت إن دانتي سوف يعرف السر في تحريم هذه الشجرة على آدم .
 ٧٩ قال دانتي إن عقله قد طبع بكلمات بياتريتشى كما يطبع الشمع بالحم
 ٨٢ يسأل دانتي لم تعلو هذه الكلمات فوق مستوى إدراكه
 ٨٥ قالت بياتريتشى إن الفلسفة التي اتبعها دانتي تختلف عن مضمون كلماتها وأنكارها
 ٩١ قال دانتي إنه لا يذكر أنه قد أصبح غريباً عن بياتريتشى أبداً
 حل وقت الظهر وتوقفت السيدات السبع عن المسير عند ظل خفيف يشبه الظل في بعض مناطق الألب
 ١٠٣ بدا لدانتي أنه يرى هر ليتي وهر إينوى يخرجان كالدجلة والفرات من ينبوع واحد
 ١١٢ ويسيران في اتجاهين مختلفين كأنهما صديقان هيمان يتباطآن عند افتراقهما

دانتي يستفسر عن سبب ذلك .

١١٥

١٢٤ بياتريتشى تسأل ماتيلدا أن تأخذ دانتي إلى مهر إينوى - مهر الذكريات الطيبة
تستجيب ماتيلدا إلى سؤالها كالنفس الرقيقة التي لا تلتصم المعذرة بل تشكل إرادتها
بإرادة الغير

١٣٠

١٣٦ يعجز دانتي عن وصف ما أحسه حين شرب من مياه مهر إينوى .
أحس دانتي أنه قد ولد من جديد كالشجرة التي تتجدد أوراقها وصار طاهراً متأهباً للصعود
إلى السماء .

١٤٥-١٣٩

تذييل

شئء عن الثقافة اللازمة للدراسة دانتي والكوميديا — أسفارى إلى الخارج
من سنة ١٩٣٤ حتى سنة ١٩٥٥ — رحلة اليونسكو من ٨ يونيو سنة ١٩٦٢ إلى
٧ يناير سنة ١٩٦٣ — الترجمات العربية السابقة لشئء من الكوميديا أو لها
مكتملة — شئء من تجربتى فى ترجمة الكوميديا

يُعدُّ دانتي واحداً من العباقرة الأربعة أو الخمسين الأوائل في تاريخ البشرية ، ولقد أطلق بعض النقاد عليه وعلى هوميروس وشكسبير لقب « الشاعر الأعظم » وهو يجد العناية والإقبال والدرس في الجامعات والجمعيات الأدبية ولدى كثير من الناس ، في أنحاء العالم المتحضر من اليابان غرباً إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، حتى اكتظت دور الكتب بالألوف المؤلفة من التراث الدانتي في عشرات من اللغات الحية — ولهذا أعتقد أنه من المناسب أن يلقي دانتي من العالم العربي قدراً من العناية التي تجعلنا نشارك غيرنا من الأمم في سبيل دراسته والتعريف به ، خصوصاً وأن تراث الإسلام والمشرق قد أسهم — ولو بطريق غير مباشر — في إنتاج ثمراته وأظن أنه من المفيد أن أذكر شيئاً من تجربتي في دراسة الكوميديا وترجمتها ، عسى أن يبعث ذلك في نفوس بعض النشء من العرب ، الرغبة في دراسة دانتي وآثاره ، ولعله يأتي يومٌ — قريب أو بعيد — يكثر فيه مريدوه وهواته وتنهض الهيئات والجامعات العلمية في بلادنا إلى العناية الواجبة بهذه الدراسة الجوهرية .

« ١ »

لقد تذرعتُ في هذه السبيل — ولا زلت أتذرّع — بالوسائل الأدبية والعلمية الضرورية لبلوغ الهدف المنشود . فحرصتُ منذ سنوات عديدة على متابعة التزوّد من بعض اللغات الأوروبية — فضلاً عن العربية — بالرجوع إلى النصوص القديمة والمؤلفات الحديثة في تلك اللغات ، لكسب أقدار متفاوتة من الألفاظ والأساليب والصور والتشبيهات والأفكار والمعاني الموحية وحصّنتُ — ولا زلت أحصّل — ألواناً من المعرفة من تراث اليونان والرومان ، ومن تراث الإسلام والمشرق ، ومن تراث المسيحية في العصور الوسطى ، ومن أحوال إيطاليا وفلورنسا السياسية والاقتصادية ، ومن ثقافة التروبادور وأدب الفروسية ، ومن بواكير الأدب الإيطالي الوليد ، ومن سيرة دانتي وشخصيته ومؤلفاته ، ومن التراث الدانتي الغزير ، ومن دراسة بعض ترجمات الكوميديا ، ومن مطالعة فصول من الترجمات لبعض النفاثس العالمية ، ومن دراسة لروائع الفنون التشكيلية ، ومن تذوقٍ لألوانٍ من عالم الموسيقى الزاخر .

وربما يبدو تحصيل هذه الثقافة الخاصة والعامة أمراً عسير التحقيق ، ولكن لا سبيل إلى دراسة دانتي بغير هذه الوسائل ولا يمكن للدارس أن يقبل على هذه الدراسة ، التي تستغرق شطراً كبيراً من العمر أو ربما تستغرق عمراً بأكمله ، إلا إذا توافرت له الرغبة الصادقة ، وآثر هذا الأسلوب من العمل على ما سواه ، وحذاه الإعزاز والمحبة والمشاركة والتجاوب ، ووافاه الصبر والجلد ، مما يذلل له الصعاب ويتخطى به العقبات. وهناك من الدارسين في الغرب والشرق — حتى اليابان — من يتوفر تماماً على دراسة دانتي وآثاره ، ومهم من يدرسه خلال فترات من حياته ، ثم يقوم بترجمة الكوميديا بعد بلوغه سنّ التقاعد وفي العادة تستغرق دراسة دانتي وترجمة الكوميديا ، بالنسبة لهؤلاء الدارسين أجواء علمية اجتماعية اقتصادية مناسبة ، زمنياً يتراوح بين ١٥ و ٢٠ عاماً وقد يمتدّ إلى ٢٥ عاماً والنتيجة التي يبلغها الدارس المحبّ هي وحدها الجزاء العادل لما يقضيه من الزمن ، ولما يبذله راضياً من الجهد والمال في سبيل دراسة الكوميديا وترجمتها

وحين اعتزمت دراسة دانتي بقصد تأليف كتاب عام عنه في سنة ١٩٤١ ، والتي انتهت إلى شروعي في ترجمة الكوميديا ترجمة شاملة في خريف سنة ١٩٥١ ، حرصت على أن أخصّص — إلى جانب عملي في التدريس وما يتعلق به من متابعة بحوث الطلاب ورسائلهم — ثلاثة أو أربعة أيام في الأسبوع بطريقة منتظمة ، لدراسة دانتي والكوميديا ولتحصيل الثقافتين الخاصة والعامة الضروريتين لذلك ولقد اعتذرت شاكراً ممتناً ، منذ سنة ١٩٤٦ حتى الآن ، عن عدم استطاعتي تلبية أكثر من دعوة كريمة للعمل في التدريس خارج جامعة القاهرة ، في هذه البلاد أو خارجها ، أو للمشاركة في بعض الأعمال التاريخية أو الثقافية ، أو الثقافية الإدارية ، داخل القطر أو خارجه ، لكي أحقق لنفسى نوعاً من التفرغ ، مؤملاً بذلك أن أتمكن من إكمال ما أنا بسبيله في فرصة غير بعيدة

« ٢ »

ولقد كانت الأسفار والرحلات عنصراً أساسياً في لفت نظري إلى دانتي وفي تزويدي بكثير من المعلومات التي اقتضت تحصيلها طبيعة دراسته. وخلال

سنوات بعثتى الدراسية الجامعية من ديسمبر سنة ١٩٣٤ إلى ديسمبر سنة ١٩٣٨ ، حرصتُ كهواو — إلى جانب دراستى التاريخية — حرصت على أن أتتبع بعض آثار دانتي ، والتردد على بعض الأماكن التى عاش فيها فى فلورنسا وغيرها من أنحاء إيطاليا ، واطلعت على بعض التراث الدانتي ، وتذوقت بعض الآثار فى فنون الرسم والتصوير والنحت والحفر والعمارة والموسيقى والرقص ، التى تُساعد على فهم دانتي وتذوق آثاره . وحينما زرتُ خلال تلك البعثة لبنان وسوريا والنمسا وفرنسا وإنجلترا ، لم أغفل عن دانتي ، بل تعقبتُ كهواو قدرأ لا بأس به من أخباره وآثاره ، ومن الثمرات الأدبية والعلمية والفنية التى تساعد على فهمه ، والتي توفرت على نحوٍ أثار إعجابى ودهشتى فى أغلب الأماكن التى ارتحلت إليها . وكنت أسأل نفسى أحيانا ، وأسأل بعض من عرفتهم من الإيطاليين والسويسريين والإنجليز والنرويجيين والأتراك والأمريكيين والمصريين — هل أستطيع يوماً أن أكتب شيئاً عن دانتي للقارئ العربى ؟

وعند عودتى من البعثة إلى مصر فى ديسمبر سنة ١٩٣٨ ، أخذتُ أعدّ العدة لمتابعة أسفارى إلى الخارج طلباً للمزيد من العلم والمعرفة . ولكن عاقبى عن ذلك قيام الحرب العالمية الثانية فى صيف سنة ١٩٣٩ فاقترنتُ على الدرس فى قدرٍ متواضع من الكتب التى كنت قد حصلت عليها . ثم وُفقت لحسن الحظ إلى استعارة ذخائر من الكتب الدانتيّة من مكتبة دير دون بوسكو بالإسكندرية التى أفادتني جمّ الفائدة ، حينما كنت أعمل فى جامعة (الإسكندرية) من سنة ١٩٤٢ إلى سنة ١٩٥٠ . وما إن استقرتُ أحوال أوروبا عقب تلك الحرب ، حتى أخذتُ أتطلع إلى متابعة أسفارى إلى الخارج

وحدث فى شتاء سنة ١٩٤٩ أن أرادت هيئة ثقافية "مصرية" عليا ، التعبير عن تقديرها لكتاب كنت قد وضعته فى سنة ١٩٤٧ عن « سافونارولا » الراهب الذى استشهد فى سبيل الدفاع عن مبادئه فى فلورنسا فى سنة ١٤٩٨ — وذلك باقتراح لإرسالى فى بعثة جديدة إلى إيطاليا لمدة عام قابل للتجدد ، على أن أدرس موضوعاً تاريخياً معيناً ، ولكننى اعتذرت آسفاً شاكرأ عن عدم القبول ، لأن هذا

كان معناه أن أتوقف عن دراسة دانتي التي كنت قد قطعت فيها شوطاً بدأت منذ سنوات

ومع أن فكرة ترجيى للكوميديا مكتملة لم تكن عندئذ قد تباورت لدى بعد ، فلم يكن من العدل أن أعطل مجهوداً بذلته في دراستها بشغف ومحبة ، فضلاً عن أن ذلك الموضوع المقترح على ، كان موضوعاً لا يتصل بالموضوع الذى أريد بسببه التعبير عن تقديرى

وعلى ذلك أخذت على عاتقى متابعة أسفارى ، طالما كان ذلك ميسوراً لى ، فى فترات العطلات الجامعية الصيفية ، منذ سنة ١٩٤٩ حتى سنة ١٩٥٥ وقمت خلال هذه المدة بست رحلات فى صيف سنة ١٩٤٩ زرت إيطاليا وفرنسا فى رفقة جماعة من الأساتذة والطلاب من كلية الآداب بجامعة (القاهرة) وأذكر أنى اجتمعت وقتئذ بالأستاذ إتورى روسى ، الذى رحب بمقال لى عن « فرنشسكا دا ريمبى » ، وأخذنا نترنم معاً وبصوت واحد بأبيات عن فرنشسكا ، ونحن ننزل على درجات كلية الآداب والفلسفة بجامعة روما

وفاتنى السفر إلى أوروبا فى صيف سنة ١٩٥٠ ، لأننى قضيت بعض الوقت فى أخذ ورد مع المسؤولين فى وزارة (المعارف) ، بشأن ترشيحى لوظيفة ثقافية فى روما وترددت وقتاً فى القبول ، ثم اعتذرت عن عدم القبول شاكراً ممتناً ، وكان ذلك راجعاً فى الحقيقة - وهو ما لم أفصح عنه حينئذ - إلى تقديرى لما تتطلبه تلك الوظيفة من الجهد الذى كان من شأنه أن يستغرق كل وقته ، وما كان يجدينى نفعاً أن أعيش فى قلب إيطاليا ، وأنا غير مستطيع أن أتفرغ للحياة الدراسية التى أؤثرها على سائر المهام والوظائف .

ثم استأنفت رحلاتى إلى أوروبا فزرت إيطاليا فى صيف سنة ١٩٥١ وزرت إيطاليا والنمسا فى صيف سنة ١٩٥٢ وزرت إيطاليا والنمسا وألمانيا وسويسرا فى صيف سنة ١٩٥٣ وزرت إيطاليا والنمسا وفرنسا وإنجلترا فى صيف سنة ١٩٥٤ وزرت إيطاليا وفرنسا وإنجلترا فى صيف سنة ١٩٥٥ وكانت الرحلات الثلاث الأخيرة فى صحبة جماعات من أساتذة مدرسة الألسن بالقاهرة وطلابها ، حينما كان زميلى مراد كامل مديراً لها

وكانت تلك كلها سفرات مثمرة ، جدّدت فيها العيش في الأماكن التي سبق أن عرفتها في إيطاليا والتي وجدتُ فيها ما يعين على دراسة دانتى وآثاره وزرت فلورنسا مرات عديدة ، وما كنت أغادرها إلا لأعود إليها مشوقاً خاشعاً ، مع غيرى من ألاف البشر الذين يحجّون إليها في كل شهور السنة من كافة أنحاء العالم المتحضر ودرست المباني التي كانت مقامة في زمن دانتى ، مثل معمدان سان جوفانى الذى عمّد فيه ؛ وكنيسة سان مارتينو التي يُقال إن زواجه من جيمّا دوناتى قد عمّد فيها ، والمطلّة على بيته التذكارى الذى أقامته بلدية فلورنسا في سنة ١٩١١ ؛ وكنيسة سانتا مارجريتا الواقعة على بُعد خطوات من بيته التذكارى ؛ وبرج كاستانيا المطلّ كذلك على بيته التذكارى ، والذى كان مقرّاً لاجتماع حكومة السنيوريا في زمن دانتى والذى كان هو عضواً فيها قبل نفيه وتشريده ؛ وقصر البارجلو القريب من حيّه ؛ والجسر القديم وجسر سانتا ترينيتا وتأملت المباني التي بُدئ في إنشائها في زمن دانتى ، ولكنها اكتملت في وقت متأخر عنه ، مثل كاتدرائية فلورنسا المسماة بكنيسة سانتا ماريّا دل فيورى ، وكنيسة سانتا كروتشى التي أقيم لدانتى بها قبر تذكارى في سنة ١٨٢٩ ، وقصر السنيوريا ومشيت على ضفاف الأرنو ، وتجوّلت في ميادين فلورنسا وشوارعها وأزقتها التي تهب النفس التاريخية وتأملت التماثيل المقامة في الميادين والشوارع وعلى جدران الكنائس ، والتي تعطي صورة حية من روح فلورنسا ودانتى ، على الرغم من إقامتها في زمن متأخر عنه وزرت متاحف فلورنسا الزاخرة بروائع فنون التصوير والرسم والنحت والحفر والنقش والمنمنمات والمصنوعات القديمة ، مثل متحف الأوفيتزى ، ومتحف بيتى ، ومتحف السنيوريا ، ومتحف البارجلو ، وأكاديمية الفنون الجميلة ، ودير سان ماركو . وترددت على أرشيف فلورنسا التاريخي الكائن بقصر الأوفيتزى ، وعلى المكتبة اللورنتزية الحافلة بالخطوط الدانتية ، وترددت على المكتبة الوطنية ، وعلى أماكن بيع الكتب القديمة والحديثة الزاخرة بنفائس الكتب المخطوطة والمطبوعة وتقصّيت الألحان الموسيقية المستوحاة من الكوميديا ، أو التي تتناول موضوعات تقرب منها ، أو التي تساعد على سبر غورها ، سواء أكانت مسجلة أم لم تكن

وتتبع غير مرة خطوات دانتى خارج فلورنسا قبل حياة المنفى وفي أثنائها

فترددت على أريتزو ، وأورفويتو ، سسينا ، وبيرو دجا ، وأستيسى ، وجويو ، ورافنا ، وفيرار ، وبولونيا ، وبادوا ، والبندقية ، وفيرونا ، وبحيرة جاردو ومانتوا ، وجنوا ، ولوكا ، وبيزا ، وكلها حافلة بالمباني والمتاحف ودور الكتب وأماكن الذكريات وزرت نواحي من جبال الأبنين ومن حوض الپو ، وما تبقى من غابة الصنوبر بقرب رافنا

وفى زيارتى لإنزبروك وفينا ومونيخ وشتوتجارت وتوبنجن وهيدلبرج وزوريخ وباريس ولندن وأكسفورد وكمبرج وسترادفورد على الأقون ، ترددت على بعض دور الكتب وعلى أماكن بيعها وفى كل هذه الأماكن وجدت عديداً من فهارس الكتب المطبوعة خاصة بالتراث الدانتى الغزير فى شتى اللغات الحية ، واقيت صنوفاً من المراجع القديمة والحديثة القيمة ، التى لا توجد أحياناً إلا فى مكان بعينه . وزرت بعض المتاحف والكنائس التى تحتوى على بعض آثار الفن المستراحة من الكوميديا ، أو تتناول شيئاً مما ورد بها ، والمعاصرة لدانتى أو القريبة من زمنه . وتابعت بحثى عن الألحان الموسيقية التى تساعد على تذوق الكوميديا

وبهذا كله حصّات قدراً مناسباً من الثقافة الدانتية المباشرة ، ومن الثقافة العامة النافعة ، معتمداً فى ذلك على القراءة والدرس وعلى الرحلة والمشاهدة واستيعاء الأماكن الملهمة ، وجمعت قدراً طيباً من الكتب القديمة والحديثة ، ومن الرسوم والصور القديمة والحديثة ، ومن الألحان الموسيقية المسجلة ، فضلاً عما ظلت أحصل عليه من طريق المراسلة من تلك البلاد ، ومن الولايات المتحدة الأمريكية ، التى كانت زيارتى لها أمراً يتجاوز إمكانى .

« ٣ »

ثم توقفت أسفارى إلى أوروبا منذ سنة ١٩٥٥ ، لظروف خارجة عن إرادتى ومع تقديرى للعوامل الوطنية أو الاقتصادية التى اقتضت الحدّ من السفر إلى الخارج ، فقد كان ذلك بالنسبة لى من دواعى التعويق ، وحاولت لدى بعض الهيئات الثقافية فى مصر تيسير سفرى إلى أوروبا ، ولكننى لم أوفق فى ذلك ونجحت أخيراً فى أن أنال تأييد الشعبة القومية لليونسكو بوزارة التعليم العالى ،

فرشحتنى لنيل منحة دراسية من منظمة اليونسكو فى باريس ، فى نطاق المشروع الكبير للتقدير المتبادل للقيم الثقافية بين الشرق والغرب فقضيتُ سبعة شهور من ٨ يونيو سنة ١٩٦٢ إلى ٧ يناير سنة ١٩٦٣ منتقلا بين إيطاليا وإنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وقضيتُ نصف هذه المدة فى إيطاليا ، وكانت هى أفضل فترة قضيتها فى هذه الرحلة ، نظراً لطولها النسبى ، ولأن أحداً لم يقيدنى بانتقال معين محدد من بلد لآخر ، ولرخص مستوى المعيشة النسبى بها ، مما جعل إقامتى بها محتملة بالجهد والحذر ، وذلك لقلة موارد اليونسكو فى هذا الصدد وانتقلتُ فى إيطاليا بين روما وپاليرمو — التى لم أكن زرتها من قبل — وزرت من جديد ناپلى وپيرودجا وأسيسى وفلورنسا ورافنا والبندقية وفيرونا وبحيرة جاردّا . وعكفتُ على الدراسة والتأمل والتذوق على غرار ما كنت أفعله من قبل فى دور الكتب والمتاحف والكنائس والأديرة والمناطق الأثرية ، وفى الجبال والبحيرات والسهول والأودية وعلى شواطئ البحر ، وأضفت إلى ما عندى مادةً جديدة ، ونهلت من ينابيع المعرفة والفن والأدب ولقيتُ فى هذه الأسفار بعض العلماء والأدباء الإيطاليين ، من الشيوخ والكهول والشباب ، وأذكر منهم ج. دلاّ قيدّا و ف جابرييلى و ل. جانتوتا وماريا نلّينو و م . مورينو ولوتشيا كولكازى و ك فيسكيا و أ ريتزيتانو و ج. بلفيورى وفريال باريزى و ج أورفيتو و ل. بلقدبرى . ولقد تحدثت مع هؤلاء قليلا وكثيراً ، ولقيت لديهم حسن الوفادة وجميل الترحاب ، إذ أنى أعرف بعضهم منذ أكثر من ربع قرن . ومن بينهم سبق أن كتب فى روما ف جابرييلى غير مرة منوهاً بترجمتى للعجم فى مقال افتتاحى فى صحيفة يومية كبرى وفى بعض الدوريات العلمية . وكذلك كتب عنها م . مورينو فى إحدى الدوريات ، كما كتب فى پاليرمو عن ذات الموضوع أ ريتزيتانو — وذلك فى الفترة بين سنة ١٩٦٠ وسنة ١٩٦٢ — وكنت فى پيرودجا فى هذه المرة ضيف الشرف لدى جامعتها للأجانب ، وفيها وفى فلورنسا وفى روما تعقبنى بعض رجال الصحافة — على رغم تهربى منهم — وكتبوا غير مرة عن عملى وعن مصر الجمهورية — فضلا عن كتابتهم وتحدثهم عن ذلك فى مراتٍ سابقة فى الصحافة والإذاعة والتلفزيون فى روما وفلورنسا فى سنتى ١٩٦٠ و ١٩٦١

على أن المدة التي مُنحتْها للإقامة في إيطاليا لم تكف قط لاستيعاب ما كنت أتطلع إليه ، وكنت أحتاج إلى مضاعفة مدة إقامتي بها ، ولكن ذلك لم يكن أمراً ميسوراً مع الأسف الشديد .

ثم قضيتُ في إنجلترا حوالي الشهر . وانتقلتُ فيها بين لندن وكبريدج وبرمنجهام ودرام ونيوكاسل وأدنبرة وألغا ووتنجهام ، وبذلك زرت مدناً لم تسبق لي زيارتها في رحلاتي السابقة إلى إنجلترا . والتقيتُ هناك ببعض العلماء والأساتذة مثل ج . هويتفيلد و ر . هل وجوليانا هل و ف . روسون وبيريل إيتكين وفليز جونس و ج . كاننجهام وباربارا رينولدز — وكانت من زملائي في دراسة الحضارة الإيطالية في جامعة بيرودجا للأجانب في سنة ١٩٣٥ . وقد لقيت من هؤلاء جميعاً حسن الوفادة ورحابة الصدر . وما أذكره أن ج . هويتفيلد ، أستاذ الدراسات الإيطالية في جامعة برمنجهام ، والذي لم أكن أعرفه من قبل إلا بقراءة كتبه ، قد استبقاني في صحبته ضعف المدة المتفق عليها — وأخذ يسير بي هنا وهناك ، ووجدت في مكتبته الخاصة كثيراً من الكتب التي يشترك وإياي في اقتنائها عن دانتى والحضارة الإيطالية ، وطربنا معاً على بعض ألحان أركانجلو كوريلتي وأنتونيو فيفالدي ! واعتقد ج . هويتفيلد أنني أقوم في جامعة القاهرة بما يقوم هو به في جامعة برمنجهام ، من دراسة الحضارة الإيطالية ، ولكنني ضحكت وأفدته بأن الأمر ليس كما يظن ، وأنه ربما توجد الفرصة في المستقبل للعناية بهذه الناحية الجوهرية ! وكذلك حباني ر . هل بعطفه ولقيي واستقبلني غير مرة ، وسافرنا معاً إلى نيوكاسل للاطلاع والمشاهدة ، ويسر لي إقامتي وتحركي في درام — وكنت قد عرفته في القاهرة من قبل واستقبلني ج . كاننجهام في ألغا ، وهو من رجال الأعمال في الطباعة والنشر ، ومن المعنيين بدراسة دانتى ، إذ وضع رسالة عن ترجمات الكوميديا الإلهية إلى اللغة الإنجليزية وتقع في ألف صفحة، ونال بها درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة أدنبرة في سنة ١٩٥٤ ، كما ترجم الكوميديا ترجمة كاملة ووجدت لديه مكتبة دانتية تضم عدة مئات من المجلدات ، وتحدثنا طويلاً وسرنا معاً إزاء وادٍ عميق في أحضان الجبل . وفي نوتنجهام استقبلتني باربارا رينولدز — المشار إليها — على أنني مرسل من قبيل اليونسكو ، عن طريق

المجلس البريطاني ، ولم يعرف أحدنا الآخر لأول وهلة ، وقلت لها إننى كنت أتوقع أن أرى باربارا أخرى كنت قد عرفتها قديماً فى بيروتجا - ولكن يظهر أنك لست هى وبعد فترة من الحديث قالت إنها عرفتني الآن - من صوتى ومن طريقة كلامى اللذين لم يتغيرا ! فقلت لها ولكن صوتك الآن ليس هو صوت باربارا الخجول الصغيرة الذى عرفته فى سنة ١٩٣٥ - بل هو صوت أستاذة تحاضر طلابها ! وتحققت من أنها هى بذاتها حينما أرّنتى صورة لها ترجع إلى سنة ١٩٣٦ ! ووجدتُ لديها مكتبة زاخرة بالمؤلفات التى تتناول دانتي والحضارة الإيطالية ، وحدثتني عن القاموس الإيطالى - الإنجليزى الضخم الذى أصدرته حديثاً ، كما حدثتني عن سعيها إلى إصدار مجلة خاصة بالدراسات الدانتية والإيطالية ، وسألتني أن أمدّها ببعض المقالات وذكرْتُ لى الصعوبات التى واجهتها حينما التزمت بترجمة الجزء المتبقى من ترجمة صديقها دوروثى سايرز للفردوس ، وكيف تغلبت عليها

ولكن رحلتى إلى إنجلترا هذه المرة لم تكن مثمرة على النحو الذى كنت أتوقعه كسافر متمتع بمنحة من اليونسكو ، لقصر المدة التى مُنحت لى للإقامة بها ، ولسرعة ارتحالى من مدينة إلى أخرى . فإذا يجدى مثلاً أن أسافر شمالاً حتى ألقا فى إسكتلندة ، ولا أبقى بها سوى أربع ساعات ، على حين كانت بها مكتبة دانتيّة قيمة لم أفد منها شيئاً ! وكيف لا تُتاح لى الفرصة لزيارة أكسفورد ، التى تحتوى مكتبة جامعها على ألوف من الكتب الدانتية ، والتى كانت مركزاً لجليل عظيم من العلماء الإنجليز الدانتيين مثل إدوارد مور وپاجيت توينبى ؛ وكان غلاء المعيشة وقلة المال الذى فى يدى وعدم إمكانى السكّنى فى المدن الجامعية لزخرها بالطلاب فى أثناء العام الدراسى ، عوامل أشعرتنى بالضيق والخرج - فأخذتُ أصبر وأصابر وأبتسم وأتأمل !

وقضيت فى الولايات المتحدة الأمريكية مدة شهر ونصف وزرتُ جامعة كورنيل فى إيثاكا بولاية نيويورك وهناك وجدت مكتبة دانتيّة نادرة تحتوى على ١١٠٠٠ مجلد ، وربما تكون أكبر مجموعة من المؤلفات الدانتية فى العالم توجد فى مكان واحد . ولقيت العناية والترحاب وكرم الأخلاق من جانب السكرتير العام

للجامعة المستر ف بولدوين ومن الأستاذ د بويتون عميد الدراسات العالية ،
ور ديرلنج أستاذ الدراسات الإيطالية ، ومدير المكتبة الأستاذ س ماكرثي
والسيدة زوجته وحضرت بعض اجتماعات لأساتذة الدراسات الإيطالية وطلابها
وما أذكره أن ف بولدوين كان يحبوني بعطفه ومودته ، ويسر لي سبل الإقامة ،
ويطوف بي هنا وهناك ، ويأتي إليّ لدعوتي إلى حفل أو طعام وقال لي ذات مرة
إنه من المحتمل النظر في أمر استعاري واستبقائي سنة أو أكثر في جامعة كورنيل ،
فاعتذرتُ آسفاً عن عدم استطاعتي ذلك ، لأنه لو تمّ هذا لتعطّلت عملية ترجمتي
للكوميديا مكتملة إلى اللغة العربية وكان ر ديرلنج يتردّد عليّ كثيراً للتحدث
في الدراسات الدانتية أو للترجمة في منطقة « بحيرات الأصابع » .

ولكنني لم أكد أحقق فائدة تذكر من وجودي في مكتبة جامعة كورنيل لأنني
لم أُمْنَح من الزمن للإقامة بها أكثر من أسبوعين ، وماذا يجدي أن أنظر أو أُلْس
١١٠٠٠ مجلد في أسبوعين ! وعدتُ إلى نيويورك آسفاً وكانت النية متجهة إلى أن
أنتقل إلى كل من جامعات هارفارد وشيكاجو وواشنطن للقيام بالمزيد من البحث .
ولكنني وجدت أنه من العبث سرعة التنقل في زمن شديد القصر ، وفي مستوى
صعب من الغلاء الفاحش ، مع ضآلة المال الذي كان تحت تصرفي ، فامتنعت
آسفاً عن السفر الداخلي مزيداً ، وفاتني أن أزور الجمعية الدانتية الأمريكية ،
التي أنا عضو بها ، والقائمة في بوسطن ، وبذلك لم أجتمع برئيسها الأسبق الأستاذ
إرنست هاتش ويلكنس الذي عرفته عن طريق المراسلة منذ سنة ١٩٥٣ ، والذي
نوّه بترجمتي للجحيم في التقرير السنوي للجمعية دانتى في أمريكا ، في سنة ١٩٦٠
واتجهت في نيويورك إلى تحصيل قليل من الفائدة العلمية في مكتبة المعهد الإيطالي
في جامعة كولومبيا ، حيث التقيت بمديره ب ريتشو ، وزرت مكتبة المعهد
الثقافي الإيطالي التابع للسفارة الإيطالية ، وترددت على بعض المتاحف ولم
أحصل في نيويورك إلا على القليل من الكتب والألحان المسجلة ، حين وصلني
في آخر لحظة بعض المال من القاهرة

ثم قضيت الشهر السابع والأخير من هذه الرحلة في باريس وهناك بلغ
غلاء المعيشة ذروته ، ولكنني لم أشعر بالضيق المالي لوصول مبلغ آخر من القاهرة .

وفى باريس حصلت على بعض الفائدة بترددى على بعض دور الكتب والكنائس والمتاحف ، وعلى الأخص متحف اللوفر ، ومتحف رودان ، الذى يحتوى على باب الجحيم المستوحى من دانتي ، والذى استغرق صنعه فترات امتدت حوالى ٣٠ عاماً ، وصُبَّ من البرونز بعد موت رودان ، وتوجد منه نسخ مصبوبة من البرونز فى كل من طوكيو وزوريخ وفيلا دلفيا وفى جامعة باريس قابلت الأستاذين ر. بلاشير و ش. بيللا ، اللذين عرفتهما من قبل من طريق المراسلة ، وقد كتب أولهما فى سنة ١٩٦١ تقريراً عادلاً مُحكماً عن ترجمتى للجحيم فى مجلة « أرابيكا » التى تصدر فى لسيدين . وحصلت فى باريس على قدرٍ من الكتب والألحان المسجلة التى تساعد على فهم نواحٍ من الكوميديا ، حينما تحسنت حالى المالية وحينما كنت فى مكتبة القاتيكان عرفت بوجود مركز أدبي غنى بالمؤلفات الدانتية فى مدينة نيس ، ولكن لم تسمح حالى المالية ولا حال اليونسكو المالية بزيارتها ، ولا بمدّة إقامة فى الخارج

وعلى الرغم من الجهود التى تبذلها منظمة اليونسكو فى ميادين العلم والأدب والفن والثقافة ، وعلى الرغم مما بذلته فى سبيلى من العون الذى أنا شاكرٌ له وممتنٌ ، فيبدو أن قلة ميزانيتها — على الأقل — فيما خصّنى بها — وقلة عدد موظفيها العارفين المختصين ، فى الناحية التى كان لى بها بعض التجربة — يبدو أن ذلك قد فوّت على فرصة الدرس والتحصيل على النحو الذى كنت أرجوه ، فزرت أقطاراً شاسعة وبلداناً عديدة فى فترة قصيرة من الزمن ، لا تتفق مع طبيعة العمل الذى أمارسه ، وبذلك أصبحت انتقالاتى فى نصف المدة التى أعطيت لى قليلة الحدوى ولم تتمكن اليونسكو ، إزاء الظرفين المشار إليهما ، من إيجاد الوسيلة التى تُيسر بها لمثلّى سبيل العمل وعلى كل حال فقد علمتني هذه الرحلة الأخيرة أشياء كثيرة إدارية وعلمية ما كنت لأعرفها بدونها ، وعملت فى أثنائها على أن أتابع دراستى لدانتي والكوميديا على أفضل وجه مستطاع

ولا شك أننى قد أفدت أشياء جمة من رحلاتى منذ الثلاثينات حتى رحلتى الأخيرة وما كنت لأستطيع الحصول على ما حصلت عليه من المعرفة والثقافة من طريق الكتب وحدها ولم يكن من الميسور الحصول على الكتب من طريق

المراسلة فحسب ، والتي لا يصل خبر كثير منها إلى الراغبين فيها ، وعلى الأخص الكتب المتخصصة النادرة ، والتي لا بد من الانتقال إلى الأماكن التي يُحتمل أن توجد بها ، حتى يمكن العثور عليها . ولقد كان السفر في طلب العلم شرقاً وغرباً في عصر الحمل والشرع ، مهاجراً سار عليه علماء المسلمين وقت ازدهار حضارتهم ، إذ أنه يوسع الأفق ويصقل النفس ويُسمى المدارك ، وبذلك يصبح من عوامل الغذاء الروحي والعقلي ومن أسباب تقدم الأمم وبهوض العمران . فعسى أن تيسر الجهات المسؤولة لرجال العلم والأدب والفن سبل السفر إلى الخارج ، بل لعلها تبذل لهم في ذلك بعض العون المادّي ، لأن الفائدة التي يجنيها المسافر من سفره لا تعود عليه وحده بل تشمل من يوجدون في محيطه على الأقل . وعسى أن تتحقق قريباً العناية بهذه الناحية الحيوية الجوهرية لأمة عريقة في الحضارة ، تسعى إلى أن تأخذ من جديد مكانها تحت الشمس .

« ٤ »

لم تخلُ اللغة العربية من جهود بعض أبنائها في سبيل ترجمة الكوميديا أو شيء منها . وربما كانت أول ترجمة عربية — فيما أعرف — لأبيات من الكوميديا ، هي ما قام به يوسف صقر اللبناني من ترجمة الأبيات الأربعة والعشرين الأولى من الأنشودة الحادية عشرة من المطهر ، بناءً على طلب ماركو بيسّو ، لكي يضمّنها مع الترجمات الأخرى لنفس الأبيات ، في كتاب له عن «حظ دانتى خارج إيطاليا» المطبوع في فلورنسا في سنة ١٩١٢ . ومضمون هذه الأبيات مقتبس من صلاة الأحد في الكنائس ، وقد وردت معانيها في إنجيل متى وإنجيل لوقا . وترجم يوسف صقر هذه الأبيات شعراً . وجاءت الأبيات مختصرة قليلاً عن الأصل ، وتتميز بالوزن الشعري وإن كانت قد خالفت النص بالضرورة . وبما حبذا لو كانت قد أتيحت له الفرصة لترجمة الكوميديا مكتملة !

وفيما أعرف — وكما أشرت في مقدمة ترجمتي للجحيم — هناك محاولتان لترجمة الكوميديا بصورة أعمّ وأكبر . فتوجد ترجمة كاملة للكوميديا قام بها عبود أبو راشد اللبناني الأصل ، الذي تجنّس في ليبيا بالجنسية الإيطالية . وترجم أبو راشد

الكوميديا عن الإيطالية ترجمة نثرية ، وسمّاها « الرحلة الدانتية في الممالك الإلهية الجحيم والمطهر والنعيم » ، ونشرها في ثلاثة أجزاء في طرابلس الغرب من سنة ١٩٣٠ إلى سنة ١٩٣٣ . وقد قدّم لترجمته بمقدمة موجزة ، ووضع للترجمة بعض الحواشي ولقد بذل أبو راشد جهداً كبيراً في عمله الذي استغرق ثمانى سنوات وتدلّ ترجمته على معرفته الوثيقة باللغة الإيطالية، ولكن تُعوزه الثقافة الدانتية المباشرة والثقافة العامة التي تفيد الدارس المترجم على وجه العموم وترتب على ذلك أن فاته إدراك بعض المعاني الدانتية ، ولم يقدم الشروح المناسبة لفهم متن الترجمة وأحياناً تحجى ترجمته مناسبة تماماً وأحياناً أخرى يدمج بعض المعاني في بعض ، أو يتجاوز عن بعضها الآخر بدون مبرر ، وتارة يُدخل على المتن ألفاظاً وتعبيرات بقصد الشرح بغير ضرورة ، وتارة أخرى يغير تعبير دانتى ويقدم تعبيراً مخالفاً بدون حاجة إلى ذلك . وفي رأى كان من المستطاع المحافظة على تعبير دانتى في نطاق الأسلوب العربى وبصورة عامة لا يناسب أسلوبه الأسلوب العربى ، كما لا يلائم أسلوب دانتى وفنه العظيم ومع ذلك فإنه قد بذل جهداً كبيراً يشكر عليه ، وله فضل الاقتحام والسبق والتمهيد لغيره في هذا الميدان البكر

وترجم أمين أبو شعر الجحيم ، ونشر ترجمتها في القدس في سنة ١٩٣٨ وقدّم لترجمته بمقدمة موجزة ومع إلمامه بالإيطالية فقد اعتمد في ترجمته إلى حد كبير ، على ترجمة هنرى فرانسيس كارى الإنجليزية وتُعوزه الثقافة الدانتية المباشرة والثقافة العامة ، مما فوت عليه وضع الشروح الضرورية لفهم متن الترجمة ولغته العربية لطيفة مقبولة لدى القارئ ، وإن كان يخالف أحياناً نصّ الكوميديا بدرجات متفاوتة ، كما فعل كارى نفسه ومع ذلك فلا بُدّ أن شعر فضل سبق والتمهيد في هذا المجال الذي لا يزال في العربية بكرّاً

أما فيما يتعلق بتجربتي الفعلية في ترجمة الكوميديا فأقول إننى كغيرى من المترجمين الدارسين ، وجدتُ أن الترجمة قد تشبه نصّالاً أو حرباً لا يُكفى فيها بوسائل الإعداد وبوضع الخطط ، بل لابد فيها من خوض سلسلة من العمليات

والحركات المستمرة التي تتناول كافة الجزئيات والكليات وكما يعرف سائر المشتغلين بالترجمة — تبدأ هذه العمليات — بالنسبة لدانتي — بمحاولة فهم المعنى اللفظي الظاهري ، ثم المعاني الباطنة من استعارةٍ ورمزٍ وميثولوجيا وتاريخ وفلسفة وعلم ولاهوت ، ثم العمل على تمثيل التعبيرات الواردة وتذوقها ، والإحساس بها ، في معناها الظاهر ومعانيها الخفية ويُسْتعان في ذلك بوسائل الثقافة الدانتية المباشرة وبالثقافة العامة ، وبتحليل الأبيات والثلاثيات ، وبكتابة بعض هذه الثلاثيات في نصّها ، بالطريقة التي تجعلها أكثر وضوحاً ، ثم بمحاولة بنائها ، وإعادة تركيبها والتعبير عنها باللغة التي يراد الترجمة إليها

وكما وجد غيري من دارسي دانتي ومترجميه — وجدت أن هناك كلمات وتعبيرات يحير أمامها المترجم ، فتذرّعت كغيري بالصبر ، وأخذتُ أفكر وأتذوق ، حتى وصلت إلى أفضل ما أمكنني الوصول إليه وجدتُ أحياناً الجناس في اللغة الإيطالية مقبولا ، وجاريته في اللغة العربية تارة ، وعدلت عن ذلك تارة أخرى ، بدون إخلال بالمعنى وشعرتُ أحياناً أن تعبيرى العربى غير مقنع — هنا أو هناك — وأنه لا يؤدي ما أراد الشاعر قوله ، أو ما أردتُ أنا التعبير عن مضمونه ، فكنت أضع الترجمة التي أصل إليها ، وأظلّ غير راضٍ عنها ، حتى يأتي ما يفضلها وأحياناً أخرى وجدتُ تعبيرات سهلة بسيطة في اللغة الإيطالية ، ومع ذلك لم تكن ترجمتها إلى اللغة العربية أمراً ميسوراً ، مما جعلنى لا أعرف طعم الكرى

ولكننى وجدتُ في أحوال كثيرة التعبير العربى الملائم ، بفضل الثقافة الخاصة والعامة التي سعت وأسعى إلى تحصيلهما أبداً وربما كان هذا راجعاً في بعض الأحيان إلى وجود نوع من التقارب في التعبير بين اللغتين الإيطالية والعربية ، بحكم الصلات التاريخية والثقافية بين التراث الإسلامى وبين التراثين اللاتينى والنورمانى ويبدو أن الفرق بين التعبير العربى وبين التعبير الإيطالى أقل من الفرق بين التعبير الإيطالى وبين التعبير الإنجليزى ، على الرغم من انتماء اللغتين الإيطالية والإنجليزية إلى مجموعة اللغات الهندية — الأوروبية ، وانتماء اللغة العربية إلى مجموعة اللغات السامية

وعبرت في ترجمتي عن الفعل الماضي المستمر بالفعل الماضي العربي ، الذي لا يوجد منه في العربية إلا نوع واحد وأحياناً استخدمتُ فعلين ، أحدهما ماضٍ والآخر مضارع للتعبير عن الماضي المستمر في اللغة الإيطالية . وراعى بقدر المستطاع اختلاف المعاني التي تدلّ عليها ألفاظٌ بعيها ، وباختلاف استخدام دانتى لها ، وهى شائعةٌ في كلّ أجزاء الكوميديا ، ويختلف في شأنها الشراح ، منذ القرن الرابع عشر حتى اليوم وراعى الألفاظ التي اختلف معناها بتغير الزمن وفي بعض الأحيان أجريت شيئاً من التصرف فمثلاً ترجمت كلمة بكلمتين أو بجملة ، أو أتيت بفعل بدل فعل ما دام يعبر عن المقصود ، أو أضفت اسماً أو صفة غير موجودة بالنص ، أو أتيت بصيغة الإنكار مكان صيغة الإثبات أو العكس ، أو أضفت ظرفاً أو اسم إشارة ، أو كررت معنى من المعاني للتوكيد ، وذلك في حدود المعنى الذي أراده دانتى ، وسعياً إلى التعبير عن فن دانتى في نطاق الأسلوب العربى بقدر المستطاع ولا ريب أنه لا يمكن ترجمة الآثار الأدبية ترجمة لفظية ، إذ العبرة فيها بالمعاشة والتجاوب والمشاركة والحرص على نقل روح المؤلف إلى اللغة المراد الترجمة إليها وتقتضى الترجمات الأدبية عنصراً من الخلق والإحياء

وعنيتُ بكلّ بيت وبكلّ ثلاثيةٍ على حدة ، وبعلاقة كلّ ثلاثية بما تسبقها أو ما تليها ، إذا اقتضت تشبيهات دانتى أو استعاراته الطويلة لإيجاد رابطة خاصة بين بعض الثلاثيات وبعض وعُنيْتُ بكلّ ثلاثية على حدة ، أو بمجموعة من الثلاثيات بالنسبة للأنشودة التي وردت بها وعنيت بكلّ أنشودة بالنسبة لما تسبقها وما تليها ، وبالنسبة للجزء الذي وردت به من الكوميديا وبالنسبة للكوميديا كلها وراعى ما يوجد من الترابط بين بعض الأنشودات وبعض وراعى المشاهد التي أراد دانتى إبرازها أو إظهار بعض الشخصيات فيها وراعى ما قد يسود أنشودةً بعيها من إحساس معين ونغمة واحدة ، أو من أحاسيس وأنغام متنوعة ، وذلك لأن دانتى اهتم كأغلب فتاني عصره بالتفصيلات والجزئيات ، ولكنه بخلاف أكثرهم امتاز بإحساسه الفريد في إبراز الصورة العامة لموضوعه ، فضلاً عن عنايته بالتفصيلات والجزئيات

ولقد ترجمتُ الجحيم وراجعتُ ترجمتها وقمت بتبويبها ثلاث مراتٍ كاملة قبل

تقديمها للمطبعة أما المطهر فقد ترجمته وراجعته وبيضته أربع مرات ، منهزماً فرصة وجودى بالخارج فى « الرحلة اليونسكية » وفعلت ذلك مرتين بالنسبة لترجمة الفردوس ، التى يبقى على أن أؤدى مراجعتها وتبييضها للمرة الثالثة ، أو الرابعة إذا ما آتيت لى فرصة السفر إلى الخارج مرة أو مرات أخرى !

وكثيراً ما كنت أترجم ، وأعيد الترجمة ، وأكتب ، وأمزق ما كتبت ، ثم أكتب من جديد ، هنا وهناك ، فى مصر وفى الخارج ، فى دار للكتب ، أو فى فندق أو مقهى ، أو فوق قمة جبل أو عند شاطئ بحيرة ، أو فى رحاب دير وكنت أهدى أحياناً إلى التعبير المناسب فى نظرى—وأنا أهيى فى صحراء ساكنة الأعطاف ، أو وأنا أتمهل فى روضة يانعة ، أو عند سماعى خريير جدول ، أو حين طربى لهديل حمام أو شدو أطيّار ، أو عند نشوقى بنفثات راع فى نايه وبلغت ضالتي تارة فى السكون وطوراً فى الضوضاء ، أو حين استعذبت الحديث اللطيف ، أو تأذيت بالكلام النابى ، بدون أن يشعر المتكلم بأذى ! وكنت أبلغ أحياناً التعبير الملائم مستلهماً ما أبتغيه من صورة أو من تمثال ، أو من بناء شاهق ، أو من أحجار وأطلال ، أو من ميادين وطرق وأروقة وأزقة ودروب ، أو من قباب وأبراج ، أو من صوت مؤذن أو من قرع أجراس وبلغت ضالتي أحياناً فى النور الساطع ، وأحياناً أخرى على أضواء الشموع حين ينقطع التيار الكهربائى واهتديت تارة إلى الأسلوب المناسب ، وأنا أشق أجواز الفضاء ، أو وأنا أركب متن البحر ، أو أستقل السيارة أو القطار أو العربة ذات الجواد ، أو وأنا أسير طويلاً فى السهول والوديان ، وفى الجبال والأحراش ، أو حين كنت أرقب الغزلان والوعول والأزهار البرية والزواحف والفراشات ، أو عندما كنت أعبر الريف أو أخترق المدن والقرى والساكر ، أو أرقب الناس فى مختلف خطوطهم وأوضاعهم

واهتديت أحياناً إلى التعبير الملائم على ألحان الموسيقى الكلاسيكية ، بما تتضمنه من أنغام أرضية وعلوية ، دنيوية وصوفية ، أو أنغام نسمع فيها صرخات المعذنين والاهين ، أو بهجة السعداء الطوباويين ، أو نحس فيها نزوة الشيطان أو إبهال العابد ، أو ظلمات الجحيم أو أنوار الفردوس ، أو ألحان درامية أو مجردة ،

أو أنغام رقيقة أو غليظة ، هادئة أو عنيفة ، سريعة أو بطيئة ، عالية أو خفيضة ، منفردة أو متعددة أو أوركسترالية

وكننت أبلغ مراعى أحياناً حينما كانت تتبدى أمامى ألوانٌ من الشر والخير ، ومن الكذب والصدق ، ومن الغطرسة والتواضع ، ومن الجحود والوفاء ، ومن الإهمال وأداء الواجب ، ومن الأنانية والغيرية ، ومن التعصب والتسامح ، ومن الغلظة والوداعة ، ومن الظلم والعدل ، ومن الاستبداد والحرية ، ومن الكندر والصفاء ، ومن خيبة الأمل ، ومن الإيمان والأمل ، ومن الغفران والمحبة . وبلغت ضالتى أحياناً حينما كنت أستشفّ بعض خلجات النفس من وجوه الناس وأعيهم من كلّ الأسنان والأوساط بدون أن يدروا ، وبدون استطاعتي حملهم على أن يدروا

واستلهمتُ بعض التعبيرات من نفسى ومن كيانى ، من طفولتى وكهولتى وشبابى ، ومن همسة تطوف بى ، ومن نأهة تبلغ أذنى ، ومن شاردة وواردة ، ومن بسمة أرسلها أو من ضحكة تخرج من صدرى ، ومن طرفة عين ، ومن لقاء وفارقة ، ومن بهجتى ونشوقى وأسأى ، ومن أبواب مغلقة ، ومن رحاب عوالم أحلق فى أجوازها ، ومن صمّتى الذى لم يفهمه أحد ، ومن كلامى الذى لم يكده يصغ إليه إنسان

أو ليس ما فى الوجود من مظاهر الطبيعة ، ومن آيات الخلق ، ومن الخير والشرّ ، ومن الأفكار والمعانى ، ومن الوقائع والأمانى ، وما تنبض به قلوب الناس ، شىء أو أشياء مما رآها دانتى ونبض بها قلبه وتردّت بين جوانحه ؟ وكيف نفهم شاعراً مثله ، إذا نحن لم نرَ بعض ما رآه ولم نحسّ بعض ما أحسه ، ولم نتأثر ببعض ما تأثر به من الصور والمعانى الإنسانية العامة المشتركة الباقية أبداً ، مهما اختلف المكان وتغير الزمان !

المكتبة

يضاف ما يلي إلى ما سبق وروده في ترجمة الجحيم

أولا : مؤلفات دانتي أليجييري

(١) في نصوصها

Dante Alighieri La Divina Commedia

- La Divina Commedia di Dante Alighieri Manoscritta da Giovanni Boccaccio, 3 voll. Roveta, 1820.
- commento alla Divina Commedia d'Anonimo Fiorentino del secolo XIV., ora per la prima volta stampato a cura di P. Fanfani. Bologna, 1866-1874.
- commento di Christoforo Landino fiorentino. Firenze, 1841.
- Le Prime Quattro Edizioni della Divina Commedia Letteralmente Ristampate per cura di G.G. Warren Lord Vernon. Londra, 1858.
- La Commedia di Dante Alighieri illustrata da Ugo Foscolo, 4 voll. Londra, 1842-1843.
- Dante Illustrato da Lord Vernon
 - vol. I L'Inferno di D.A. disposto in Ordine Grammaticale e corredato di Brevi Dichirazioni da G.G. Warren Lord Vernon. Firenze, 1858.
 - vol. II Documenti. Firenze, 1862.
 - vol. III Album. Firenze, 1865.
- con il commento di E. Bianchi. Firenze, 1940.
- commentata da F. Torracca, 3 voll. Firenze, 1952.
- con il commento di C. Steiner. Torino, 1960.
- commentata da C. Grabher, 3 voll. Milano, 1960.
- a cura di N. Sapegno, 3 voll. Firenze, 1961.
- La Vita Nuova, edizione critica per cura di Michele Barbi. Firenze, 1932.
- De Vulgari Eloquentia, commentato e tradotto da A. Marigo. Firenze, 1957.

(ب) بعض ترجمات إنجليزية (وأمريكية) للكوميديا والحياة الجديدة

- The Purgatory, trans. by A.J. Butler. London, 1880.
- The Divine Comedy, trans. by C.E. Norton. Boston, 1891-1892.
- Vernon, W.W. Readings on the Divine Comedy of Dante, 6 vols. London, 1906-1908.
- Purgatorio, trans. by S.E. Wright. Edinburgh, 1954.
- The Comedy of Dante Alighieri the Florentine : Cantica II. Purgatory, trans. by D.L. Sayers. Edinburgh, 1955.
- The Divine Comedy, trans. by G.L. Becrersteth. Aberdeen, 1955.
- The Divine Comedy, trans. by G.L. Swiggett. South Sewanee, Tennessee, 1956.
- The Comedy of Dante Alighieri, translated into English Unrhymed Hendecasyllabic verse by M.P. Lillie, 3 vols. San Francisco, 1958.
- The Purgatorio, trans. by J. Ciardi. New York, 1961.
- La Vita Nuova, trans. by M. Musa. New Brunswick, 1957.

(ح) بعض ترجمات فرنسية للكوميديا والحياة الجديدة

- La Divine Comédie, trad. par P.E. Colbert, Count de Creully, 3 tomes, Paris, 1796.
- La Divine Comédie, trad. par J.A. de Mongis. Dijon, 1857.
- La Divine Comédie, trad. par L. Ratisbonne. Paris, 1870.
- La Divine Comédie, trad. par F. Reynard. Paris, 1877.
- La Divine Comédie, trad. de J. Berthier. Fribourg, 1924.
- Vita Nova, suivant le texte critique préparé pour la "Società Dantesca Italiana" par M. Barbi, traduite, avec une introduction et des notes, par H. Cochin. Ital. et Fr. Paris, 1908.

ثانياً : مراجع في تاريخ الأدب الإيطالي

- De Sanctis, F. History of Italian Literature, trans. by J. Redfern, 2 vols. New York, 1959.
- Flora, F. Storia della Letteratura Italiana, vol. I. Milano, 1957.
- Hall, R.A. Jr. A Short History of Italian Literature. Ithaca, New York, 1951.

- Papini, G. *L'Aurora della Letteratura Italiana*. Firenze, 1956.
 Russo, L. *Storia della Letteratura Italiana*, vol. I. Firenze, 1957.
 Sansone, M. *La Letteratura Italiana*, vol. I. Bari, 1956.
 Whitfield, J.H. *A Short History of Italian Literature*. Harmondsworth, 1960.

ثالثاً : مراجع عن داني ومؤلفاته :

- Auerbach, E. *Dante, Poet of the Secular World*, trans. by R. Manheim, Chicago, 1961.
 Barsanti, E. *I Processi di Dante*. Firenze, 1908.
 Biagi, G. e Passerini, G.L. *Codice Diplomatico Dantesco I Documenti della Vita e della Famiglia di Dante Alighieri*, riprodotti in fac = simili, trascritti e illustrati con note critiche, monumenti d'arte e figure. Firenze, 1895-1911.
 Butler, A.J. *Dante His Times and His Work*. London, 1895.
 Capetti, v. *L'Anima e L'Arte di Dante*. Livorno, 1907.
 Cunningham, G.F. *The Divine Comedy in English. A critical Bibliography of Dante Translations, 1782-1954*. Alva, 1954. (unpublished).
 De Sanctis, F. *Lezioni e Saggi su Dante*. Torino, 1955.
 Di Mirafiore, G. *Dante Georgico*. Firenze, 1898.
 Ferguson, F. *Dante's Drama of the Mind*. Princeton, 1953.
 Foligno, C. *Dante*. Bergamo, 1920.
 Getto, G. (A cura di) *Lecture Dantesche*. Firenze, 1962.
 Groppi, F. *Dante Traduttore*. Roma, 1962.
 Ignudi, S. *Alcune Corrispondenze di Concetto tra il Cantico delle Creature di S. Francesco e le Opere di Dante*. Assisi, 1961.
 Masseron, A. *Pour Comprendre La Divine Comédie*, Paris, 1939.
 Mazzeo, J.A. *Medieval Cultural Tradition in Dante's Comedy*. Ithaca, New York, 1960.
 Morini, C.V. *La Teoria del Simbolo Dantesco nella Vita Nuova*. Firenze, 1952.
 Natoli, G. *Dante Rivelato nella Vita Nuova*. Tivoli, 1952.
 Niccolini, P. *L'Amore e l'Arte di Dante*. Ferrara, 1921.
 Pietrobono, L. *Saggi Danteschi*. Torino, 1954.

- Pietrobono, L. Nuovi Saggi Danteschi, Torino ?
- Rascoe B. Titans of Literature. New York ?
- Renucci, P. Dante. Paris, 1958.
- Rossetti, G. La Beatrice di Dante. Impola, 1935.
- Sacchetto, A. Il Gioco delle Immagini in Dante. Firenze, 1947.
- Santayana, G. Three Philosophical Poets. New York, 1953.
- Sayers, D.L. Further Papers on Dante. London, 1957.
- Singleton, Ch. S. Journey To Beatrice. Cambridge, Mass., 1958.
- Stambler, B. Dante's Other World. London, 1958.
- Troccoli, G. Il Purgatorio Dantesco. Firenze, 1951.
- Vallone, A. La Critica Dantesca Contemporanea. Pisa, 1957.
- Vernon, W.W. Lectures on Dante and His Times. London, 1917.
- Vigo, L. Dante e la Sicilia. Palermo, 1870.
- Vossler, K. : Mediaeval Culture, an Introduction to Dante and his Times, trans. by W.G. Lawton, 2 vols. New York, 1958.
- Whiting, M.B. Dante and his Poetry. Manchester, 1932.
- Williams, Ch. The Figure of Beatrice. London ?

راسكو ، برتون عمالقة الأدب ، ترجمة دريى خشبة وأحمد قاسم جودة ،
ج ١ القاهرة ، ١٩٦١

آل عيال ، مصطفى دانتى القاهرة ، ١٩٥٦
مندور ، محمد نماذج بشرية القاهرة ، ١٩٥١

رابعاً : مراجع عن التراث القديم

- Aristotle : Metaphysics, trans. by H. Tredennick, (L.C.L.), 2 vols. London, 1932.
- Seutonium De Vita Caesarum, trans. by J.C. Rolfe (L.C.L.), 2 vols. London, 1930.

سفر المزامير ترجمة محمد الصادق حسين والأب س . دى بوركى الدومنى .
القاهرة ، ١٩٦١

خامساً : مراجع عن تراث العصور الوسطى :

- Aquinas, Th. The Summa Theologica, Trans. by the Fathers of the English Dominican Province, 3 vols. New York, 1957.
- Atiya, A.S. Crusade, Commerce and Culture. Indiana Un. Press, 1962.
- Briffault, R. Les Troubadours et le Sentiment Romanesque. Paris, 1945.
- Briffault, R. The Mothers, vol. III. New York, 1952.
- Capellanus, A. : The Art of Courtly Love, trans. by J.J. Parry. New York, 1959.
- Frederick II. of Hohenstaufen The Art of Falconry, trans. by G.A. Wood and F.M. Fyfe. London 1955.
- Heer, F. The Medieval World, trans. by J. Sondheimer. London, 1962.
- Knowles, D. The Evolution of Medieval Thought. London, 1962.
- Lafitte-Houssat, J. Troubadours et Cours d'Amour. Paris, 1960.
- Lewis, C.S. The Allegory of Love. London, 1953.

ضومط ، ميخائيل توما الأكوبي بيروت ، ١٩٥٦

فرايبه ، جان وجوسار ، أ م المسرح الديني في العصور الوسطى ترجمة
محمد القصاص القاهرة ، ١٩٦٢

سادساً : مراجع عن تراث الإسلام والمشرق

- Bloch, E. Les Sources Orientales de la Divine Comédie. Paris, 1901.
- Williams, J.A.V. Zoroastrian Studies. New York, 1928.

أربري ، ج أ. وآخرون تراث فارس اشترك في ترجمته وإخراجه محمد
كفافي وأحمد الساداتي والسيد يعقوب بكر ومحمد صقر خفاجة ويحيى الحشاب
القاهرة ، ١٩٥٦

أرسطوطاليس فن الشعر ، مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن
سينا وابن رشد ترجمه وشرحه وحقق نصوصه عبد الرحمن بدوي القاهرة ،
١٩٥٣

الأهواني ، عبد العزيز الزجل في الأندلس القاهرة ، ١٩٥٧
الجوزية ، أبو عبد الله شمس الدين . . . الشهير بابن قيم مفتاح دار السعادة

- ومنشور ولاية العلم والإرادة القاهرة ، ١٣٢٣ هـ .
- ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد طوق الحمامة في الألفه والألاف .
حققه ونشره حسن كامل الصيرفي وإبراهيم الإبياري القاهرة ، ١٩٥٩
- ابن رشد ، أبو الوليد تلخيص كتاب النفس نشره أحمد فؤاد الأهواني
القاهرة ، ١٩٥٠
- السيوطي ، عبد الرحمن كتاب شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور
القاهرة ، ١٣٠٩ هـ
- السيوطي ، عبد الرحمن كتاب اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة
القاهرة ، ١٣١٧ هـ
- الغيطي ، نجم الدين المعراج الكبير القاهرة ، ١٢٩٥ هـ .
- الفاخوري ، حنا والبحر ، خليل تاريخ الفلسفة العربية جزءان . بيروت ،
١٩٥٧ - ١٩٥٨

سابعاً : مراجع عن الناحية الفنية

(١) الصور والتصوير والنحت والعمارة

- Alinari, V. Il Paesaggio Italico nella Divina Commedia. Firenze, 1921.
- Bargellini, P. Panorama Storico dell'Arte L'Arte Gotica. Firenze, 1960.
- Cladel, J. Rodin, Sa Vie Glorieuse et Inconnue. Paris, 1936.
- Cladel, J. : Rodin, the Man and his Work, trans. by S.K. Star. New York, 1918.
- Dante Alighieri La Divina Commedia Illustrata nei Luoghi e nelle Persone, a cura di C. Ricci. Milano, 1921.
- Dante Alighieri Il Purgatorio, colle Figure di G. Doré. Parigi, 1868.
- Elsen, A.E. Gustave Doré. London, 1946.
- Golscheider, G. Rodin. London, 1949.
- Koch, Th. W. Hand List of Framed Productions of Pictures and Portraits belonging to the Dante Collection (Cornell University Library). New York, 1900.
- Mather, F.J., Jr. The Portraits of Dante. Princeton, 1921.
- Rodin, A. Les Cathédrales de France. Paris, 1946.

- Skira, A. and Dupont, J. and Gnudi, C. Gothic Painting. Lausanne and Geneva, 1954.
- Venturi, A. Il Botticelli Interprete di Dante. Firenze, 1921.

(ب) مراجع في الموسيقى

- De Batines, C. Musicografia della Divina Commedia Bibliografia Dantesca t. I. Prato, 1845.
- Chailley, J. Histoire Musicale du Moyen Age. Paris, 1950.
- Champigneulle, B. Histoire de la Musique. Paris, 1961.
- Jacobs, A. (Editor) Choral Music. Harmondsworth, 1963.
- Larousse de La Musique, Sous la direction de N. Dufourcq. 2 vols. Paris, 1957.
- Reese, G. Music in the Middle Ages. New York, 1940.
- Reese, G. Music in the Renaissance. New York, 1959.
- Roland - Manuel (Direction) Histoire de la Musique Des Origines à Jean - Sébastien Bach (Encyc. de la Pléiade), vol. I. Paris, 1960.
- Taddei, A. La Divina Commedia nella Illustrazione Musicale di Franz Liszt. Opuscolo. Livorno, 1903.
- Valensise, R. La Forma del Suono secondo l'Alighieri. Opuscolo. Napoli, 1900.
- Zacco, A. Dante Conoscitore della Musica del suo Tempo. Opuscolo. Padova, 1868.

(ج) ألحان موسيقية مسجلة بحسب سنوات المؤلفين

- Chant Grégorien Messe pour la fête de l'Assomption. (Archiv).
- Troisième Messe de Noel (Archiv).
- Oraisons Solennelles et Vénération de la Croix de la Liturgie du Vendredi Saint. (Archiv).
- Troubadours, Trouvères et Minnesaenger,
- De La Halle, Adam Le jeu de Robin,
- 13 Rondaux,
- Anonymi 17 Danses du 13' et 14' siècle. (1100-1350 Archiv).
- Le jeu de Daniel de Beauvais du 13' siècle. (Deutsche).

- Des Près, Josquin (1445-1521) Messe de Beata Virgine. (Discophiles Français, Paris).
- Divertissements Courtois du 15' et 16' siècle. (Discophiles Français, Paris).
- Da Palestrina, Giovanni Pierluigi (1524-1594)
- Missa Papae Marcelli (Westminster, New York).
- Messe Aeterna Christi Munera - Messe Lauda Sion. (Erato, Paris).
- Monteverdi, Claudio (1567-1643) Orfeo. (Vox, New York).
- Buxtehude, Dietrich (1637-1707) : Jubilate Domino - Fuge en ut majeur - In Dulci Jubilo. (L'Oiseau Lyre, Paris).
- Vivaldi, Antonio (1678 ? - 1741) : Gloria in D major - Gloria in R major. (Vox, Paris).
- Vivaldi Antonio The Four Seasons The Spring. (Vox, New York).
- Bach, Jean - Sebastien (1685-1750) St. John Passion. (Vox, London).
- St. Matthew Passion. (Nixa, London).
- Haendel, George Friederic (1685-1759) Messiah. (Richmond, New York).
- Schuman, Robert (1810-1865) Carnival. (Columbia, New York).
- Debussy, Claude (1862-1918) Syrinx. (Columbia, New York).

ثامناً : قواميس وفهارس

- Bedeian, A.K. Illustrated Polyglottic Dictionary of Plants. Cairo, 1936.
- Fay, E.A. Concordance of the Divina Commedia. Baltimore, 1888.
- Miller, M.S. and Miller, J.L. Black's Bible Dictionary. London, 1960.
- Poletto, D.G. Dizionario Dantesco di quanto si contiene nelle Opere di Dante Alighieri con Richiami alla Somma Teologica di S. Tommaso d'Aquino, coll'Illustrazione dei Nomi Propri Mitologici Geografici e delle Questioni più Controverse, 7 voll. Siena, 1885-1887.
- Sheldon, E.S. : Concordanza delle Opere Italiane in Prosa e del Canzoniere di Dante Alighieri. Oxford, 1905.
- Siebzehner - Vivanti, G. Dizionario della Divina Commedia. Firenze, 1954.

تاسعاً : الدوريات

- L'Alighieri, diretta da F. Pasqualigo. Firenze, 1889-1893.

عاشراً : دوائر المعارف :

Encyclopaedia of Social Sciences. New York, 1947.

The Jewish Encyclopedia, New York, 1906.

حادى عشر : كتب المراجع

Biblioteca dell'Imperiale Università di Kioto Catalogo della Collezione Dantesca Donata da Giukici Oga. Kioto, 1941.

Catalogue des Ouvrages de Dante Alighieri conservés au Département des Imprimés extrait du tome XXXV du Catalogue Général des Livres Imprimés de la Bibliothèque Nationale. Paris, 1908.

Dante: An Excerpt from the General Catalogue of Printed Books in the British Museum. London, 1952.

Frati, C. I codici Danteschi della Biblioteca Universitaria di Bologna. Bologna, 1923.

Friedrich, W.D. Dante's Fame Abroad (1350-1850). Roma, 1950.

Lane, W.C. The Dante Collections in the Harvard and Boston Public Libraries. Cambridge, U.S.A., 1890.

Mambelli, G. Gli Annali delle Edizioni Dantesche. Bologna, 1931.

Manna, A.M. La Raccolta Dantesca della Biblioteca Universitaria di Napoli, 2 voll. Firenze, 1959.

Oga, J. Bibliografia Dantesca Giapponese, trad. di E. Felkel. Firenze, 1930.

Olschi, L.S. Gli Studi Danteschi dal 1940 al 1949. Firenze, 1950.

فهرست الصور

صفحة

صورة الغلاف

- ١ - دانتى .
مقتبسة من رسم رافاييل وسانتزيو فى صورة الدسبوتا أو تمجيد
القربان المقدس (١٥٠٩ - ١٥١٠) الأصل موجود فى
متحف الفاتيكان
- ٢ - دانتى فى سن الشباب .
مقتبسة من رسم جوتو أو مدرسته فى القرن ١٤ الأصل موجود
فى متحف البارجلو فى فلورنسا
- ٣ - دانتى وفرجيليو على شاطئ المطهر يتطلعان إلى الزهرة .
مقتبسة من رسم جوستاف دوريه فى ١٨٦١ أنشودة ١ ١٩-٢١
- ٤ - دانتى وفرجيليو ينظران إلى الأمراء الكسالى المهملين .
مقتبسة من رسم جوستاف دوريه أنشودة ٤ ١٠٣ - ١٠٥
- ٥ - فلتذكرنى فلانى أنا بيا
مقتبسة من رسم جوستاف دوريه أنشودة ٥ ١٣٣ - ١٣٦
- ٦ - نسر يحمل دانتى صاعداً به خلال منطقة من النيران .
مقتبسة من رسم جوستاف دوريه أنشودة ٩ ٢٨ - ٣٠
- ٧ - المتطهرسون يتطهرون بحمل الأحجار الثقيلة .
مقتبسة من رسم جوستاف دوريه أنشودة ١٢ ١ - ٣
- ٨ - رجم القديس إسطفانوس .
مقتبسة من رسم جوستاف دوريه أنشودة ١٥ ١٠٦ - ١١٤
- ٩ - دانتى وفرجيليو يأسيان على البخلاء والمبذرين
مقتبسة من رسم جوستاف دوريه أنشودة ١٩ ١٢٧ - ١٣٥
- ١٠ - دانتى وفرجيليو واستاتيوس ينظرون إلى المتطهرين فى النار من
شهوة الجسد . مقتبسة من جوستاف دوريه أنشودة ٢٥ ١٢١ ... ٣٢٧

صفحة

- ١١ - لَيْثَة (ليا) تقطف الأزهار في الفردوس الأرضي
مقتبسة من رسم جوستاف دوريه أنشودة ٢٧ ٩٧ - ٩٩
- ١٢ - ثلاث حوريات يرقصن في الفردوس الأرضي
مقتبسة من رسم جوستاف دوريه أنشودة ٢٩ ١٢١ - ١٢٦
- ١٣ - دانتى يشرب من مياه هر إينووى
مقتبسة من رسم جوستاف دوريه أنشودة ٣٣ ١٣٦ - ١٣٨
- ١٤ - رسم لإيضاحى للمدارج جبل المطهر
مقتبس من رسم روبرتو رايمندى عن كتاب أندريا جوستاريلتى .
المطهر . ميلانو ، ١٩٣٥

٣٤٩

٣٧٣

٤٢١

٤٢٩

فهرست المحتويات

صفحة	الإهداء
٥	تصدير
٧	مقدمة تمهيد - بعض أصول المطهر - وصف عام للمطهر - شىء من فن دانتي في المطهر - دانتي في المطهر - فرجيليو في الجحيم والمطهر -
٩	بياتريتشى
٥٣	النشيد الثانى المطهر
٥٥	الأنشودة الأولى
٦٧	» الثانية
٧٦	» الثالثة
٨٥	» الرابعة
٩٦	» الخامسة
١٠٩	» السادسة
١٢٢	» السابعة
١٣٢	» الثامنة
١٤٢	» التاسعة
١٥٤	» العاشرة
١٦٤	» الحادية عشرة
١٧٥	» الثانية عشرة
١٨٨	» الثالثة عشرة
٢٠٠	» الرابعة عشرة
٢١٢	» الخامسة عشرة
٢٢٤	» السادسة عشرة
٢٣٥	» السابعة عشرة

صفحة

٢٤٤

٢٥٤

٢٦٦

٢٧٨

٢٨٨

٣٠٠

٣١٠

٣٢٢

٣٣٤

٣٤٤

٣٥٦

٣٦٨

٣٨٢

٣٩٣

٤٠٣

٤١٦

٤٣١

الأنشودة الثامنة عشرة

» التاسعة عشرة

» العشرون

» الحادية والعشرون

» الثانية والعشرون

» الثالثة والعشرون

» الرابعة والعشرون

» الخامسة والعشرون

» السادسة والعشرون

» السابعة والعشرون

» الثامنة والعشرون

» التاسعة والعشرون

» الثلاثون

» الحادية والثلاثون

» الثانية والثلاثون

» الثالثة والثلاثون

موجز مضمون الأناشيد

تذييل شىء عن الثقافة اللازمة لدراسة دانتى والكوميديا — أسفارى إلى
الخارج من سنة ١٩٣٤ حتى سنة ١٩٥٥ — رحلة اليونسكو من
٨ يونيو سنة ١٩٦٢ إلى ٧ يناير سنة ١٩٦٣ — الترجمات العربية
السابقة لشىء من الكوميديا أو لها مكتملة — شىء من تجربتى فى

ترجمة الكوميديا

المكتبة

فهرست الصور

فهرست المحتويات

٤٦٣

٤٨١

٤٩١

٤٩٣

تم طبع هذا الكتاب بالقاهرة

على مطابع دار المعارف بمصر

سنة ١٩٦٤

LA DIVINA COMMEDIA DI DANTE ALIGHIERI

"florentini nazione sed non moribus"

CANTICA II.

PURGATORIO

TRADUZIONE IN PROSA ARABA

DI

HASSAN OSMAN



**DAR AL MAAREF - CAIRO,
1964**

 Bibliotheca Alexandrina

0536245